ترامب بلا قناع

رحلة من الطموح والغرور والمال والنفوذ

مايكل كرانِش
ومارك فيشر

'أكمَلُ وأدَقُّ سيرة لترامب كُتِبت حتى اليوم'
The Boston Globe

ترجمة
ابتسام بن خضراء



مايكل كرانش
مارك فيشر

ترامب بلا قناع

رحلةٌ من الطموح والغرور والمال والنفوذ

ترجمة
ابتسام بن خضراء



Michael Kranish and Marc Fisher, *Trump Revealed: An American Journey of Ambition, Ego, Money, and Power,* Scribner, 2016

Published by arrangement with the original publisher, Scribner, a Division of Simon & Schuster, Inc.

الطبعة العربية

الطبعة الأولى 2017

ISBN 978-6-14032-015-4

دار الساقي
بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: 113/5342، بيروت، لبنان
الرمز البريدي: 2033-6114
هاتف: 442 866-1-961+، فاكس: 443 866-1-961+
email: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني
www.daralsaqi.com

تابعونا على

@DarAlSaqi
دار الساقي
Dar Al Saqi

هذا الكتاب

تتحرّى صحيفة **واشنطن بوست** *Washington Post* كل أربع سنوات عن حياة المرشحين الرئاسيين وسيرهم المهنية. الفكرة هنا هي معرفة كل ما تمكن معرفته عن أسلوب تفكير المرشحين وكيفية اتخاذهم القرارات وتصرفاتهم، إضافة إلى تفحُّص ماضي هؤلاء بهدف توقُّع الكيفية التي سيتصرفون بها مستقبلاً. في أواخر آذار/مارس ٢٠١٦، عندما كان التنافس على الترشيح في الحزبين لم يُحسم بعد، قرر محرِّرو صحيفة **واشنطن بوست** أن الوقت قد حان لبدء الأبحاث الموسّعة وإعداد التقارير اللازمة لإجراء دراسات شاملة حول سيرة كلٍّ من المرشحين للانتخابات العامة. شكّل محرِّرو "بوست" فريقَيْ عمل كبيرين من المراسلين لإجراء دراسة دقيقة حول عمل وخلفية كلٍّ من المرشَحَيْن المحتملَيْن، دونالد ترامب Donald Trump وهيلاري كلينتون Hillary Clinton. كُلِّف الفريقان المهمة نفسها، لكن ترامب كان يمثِّل تحدياً فريداً، فقد كان أوّل مرشح رئاسي لحزب أساسي، خلال أكثر من خمسين عاماً –الأول منذ دوايت أيزنهاور Dwight Eisenhower– يصل إلى هذه المكانة دون أن يكون قد تبوّأ منصباً عن طريق الانتخابات.

أوكلت صحيفة **واشنطن بوست** العمل إلى أكثر من ثلاثين مراسلاً، فيما كُلِّف محرران التحقق من الوقائع، وكُلِّف ثلاثة تفحّص حياة ترامب. كان على هؤلاء، خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، أن ينجزوا الكتاب الحالي وأكثر من ثلاثين مقالة للصحيفة، وذلك لوضع سردية زمنية لكل ما يتصل بخلفية عائلة ترامب وطفولته ومسار حياته المهنية وتطوره السياسي، إضافة إلى فهْم كل تلك المعلومات.

بعثنا مراسلين إلى مواطن أسلاف ترامب في ألمانيا واسكتلندا، والأحياء التي

قضى فيها طفولته في كوينز ومدرسته الداخلية شمال ولاية نيويورك، والجامعات التي درس فيها في برونكس وفيلادلفيا، وكذلك مواقع مشاريعه في مجال الأعمال في مدينة أتلانتيك سيتي وبنما وروسيا وأذربيجان. زرنا أقرباء ترامب وزملاءه في الدراسة وأصدقاءه ومنافسيه وشركاءه في أعماله والمديرين التنفيذيين الذين عملوا معه، وموظفيه ومؤيديه ومنتقديه، وتبادلنا معهم الأحاديث.

هذا الكتاب هو ثمرة جهود مجموعة من المراسلين والمحررين ممن يتمتعون بموهبة وبإخلاص استثنائيين؛ سافرت جينا جونسون Jenna Johnson، وفرانسيس سيللرز Frances Sellers، في كل الاتجاهات للتحري عن جذور عائلة ترامب. عاد مايكل ميللر Michael Miller وبول شوارتزمان Paul Schwartzman إلى طفولة ترامب للعثور على من كانوا يشاركونه اللعب والدراسة ومدرّسيه وجيرانه. تحرى روبرت أوهارو Robert O'Harrow وشون بوبُرغ Shawn Boburg عن الصفقات المالية والعقارية المعقدة، التي عقدها ترامب في مدينة أتلانتيك سيتي ونيويورك، ووافانا بوب وودورد Bob Woodward بمقابلات مهمة وبإرشادات أثناء سعينا لاكتشاف الكيفية التي أنشأ بها ترامب أعماله. تعقبت درو هارويل Drew Harwell جذور Tramp Organization في مانهاتن ونقب ويل هوبسون Will Hobson بحثاً عن معلومات تتعلق بتطور علاقة الحب-الكره التي تربط ترامب بوسائل الإعلام الإخبارية، والتي تعود إلى عقود مضت، وبمشاريعه التجارية في مجال الرياضة الاحترافية. تعقبت ماري جوردان Mary Jordan وكارين هيللر Karen Heller علاقات ترامب النسائية، بما في ذلك علاقاته بزوجاته وبصديقاته وبالمديرات الموظفات لديه. تفحصت إيمي غولدشتاين Amy Goldstein وجيري ماركون Jerry Markon التقلبات التي حدثت في الكازينوهات العائدة إلى ترامب ومشاريعه الأخرى خلال الفترة العصيبة التي مرت بها حياته المهنية، كما تتبعت روزالند س. هيلدرمان Rosalind S. Helderman وتوم هامبورغر Tom Hamburger الأسلوب الذي أعاد به ترامب صياغة إمبراطوريته لتصير علامة مميزة ترتكز إلى اسمه وصورته العامة. تحرى روبرت صاموئيلز Robert Samuels عن سياسات ترامب عبر السنين، وجالَ كيفن سوليفان Kevin Sullivan في نواحي الأرض لتفحُّص مشاريع ترامب الدولية.

غاص دان بالز Dan Balz في أعماق حملة ٢٠١٦ لِفَهْم الأسلوب والسبب اللذين جعلا ترامب يبرز من بين المجموعة الكبيرة من المرشحين الجمهوريين، كما عمل معظم المراسلين المذكورين في جوانب أخرى من هذا الكتاب الذي استفاد إلى حد كبير من جهود مراسلين آخرين يعملون لدى صحيفة **بوست**، وهم: دان زاك Dan Zak، وبن تيريس Ben Terris، ومايكل برنبوم Michael Birnbaum، وإيان شابيرا Ian Shapira، وستيف هندريكس Steve Hendrix، ديفيد آ. وفاهرنثولد David A. Fahrenthold، وكارين توملتي Karen Tumulty، وروبرت كوستا Robert Costa، وفيليب راكر Philip Rucker، وجانيل روس Janell Russ، إضافة إلى الباحثة أليس كريتس Alice Crites، ومحرر العمود المالي آلان سلون Alan Sloan.

تحققت الباحثتان جولي تيت Julie Tate ولوسي شاكلفورد Lucy Shackelford بكل دأب من الوقائع، ونظّم محرر الصور برنوين لاتيمر Bronwen Latimer الجزء المتعلق بالصور في الكتاب، كما كان للمحررين سكوت ويلسون Scott Wilson وستيفن جينسبرغ Steven Ginsberg وبيتر والستن Peter Wallsten دور مهم في تنظيم تقارير المراسلين وقراءة كل مسوّدة أثناء تقدُّم سير العمل. وقد صمم كل من المحرر التنفيذي في "بوست"، مارتن بارون Martin Baron، والمحررة الإدارية كاميرون بار Cameron Barr، منذ البداية، على أن هذه السيرة ينبغي أن تكون شاملة ومعمّقة قدر الإمكان، والتزما التزاماً صارماً المصادر التي تدعم هذا الهدف.

أتاح ترامب للعديد من المراسلين الذين أسهموا في الكتاب إجراء مقابلات معه لأكثر من عشرين ساعة، كما أتاح لنا لقاءات مع محاميه وبعض أعضاء حملته الانتخابية، لكنه رفض السماح لنا بلقاء أفراد أسرته، كما رفض رفع الحظر الذي كان قد فرضه على العديد من مديريه الحاليين والسابقين الذين وقّعوا عندما بدأوا العمل معه تعهدات بمنع كشف أي أسرار. ورفض ترامب أيضاً إطلاعنا على كشف ضريبة الدخل الخاصة به، رغم أن كل المرشحين الرئاسيين في التاريخ الحديث كانوا يتيحون للعامة الاطلاع على كشوف ضرائبهم. أثناء العمل في هذا الكتاب، قال لنا ترامب إنه يأمل ويتوقع أن يكون الكتاب دقيقاً ومنصفاً، وقد أكدنا له أن ذلك هو هدفنا الأساسي. ولكي نتيح للقراء فرصة التنقيب في سجل حياة ترامب بأنفسهم، ولإثبات

أن كل التأكيدات الواردة في الكتاب تستند إلى وثائق ومقابلات وأبحاث أخرى، فقد نشرنا آلاف الصفحات التي تضم المعلومات التي تشكل خلفية الكتاب على شبكة الإنترنت ليطلع عليها الجميع. ويمكن مراجعة هذا الأرشيف في https://www.washingtonpost.com/graphics/politics/trump-revealed-book-reporting-archive/.

في لحظات عدة خلال هذا المسار، كان ترامب يقول لنا إنه في حال غضبه على الكتاب لن يتردد في إعلان استنكاره أو اتخاذ إجراءات قانونية ضده. وفي اليوم نفسه، الذي وافق فيه لأول مرة على إجراء مقابلة بشأن الكتاب، قال لصحيفة **نيويورك بوست** *New York Post* إن المشروع كان "سخيفاً". وعشية نشر الكتاب، كتب تغريدة على حسابه في تويتر يقول فيها: "جمّعت WashingtonPost@ على وجه السرعة كتاباً يتضمن هجوماً عليّ... الكتاب مملّ، لا تشتروه!". عندما كتب ترامب هذه التغريدة لم يكن قد رأى الكتاب بعد. وأفضل ما يمكن قوله في هذه الحالة إن ترامب وفّى بالوعد الذي قطعه لنا بأنه لن يقرأ الكتاب.

عاش دونالد ترامب حتى الآن وفق عقيدة مفادها أن كل الاهتمام الموجَّه إليه، سواء أكان اهتماماً متملقاً أم ناقداً أم وسطاً بين الاثنين، إنما يصبّ في مصلحته، وأن صورته الشخصية هي التي تحدد علامته المميزة، وأنه هو نفسه تلك العلامة المميزة. لقد بدأنا إعداد هذه التقارير انطلاقاً من نظرية تقول إن ترامب، شأنه شأن أي شخص آخر، شخصية تنطوي على ما هو أعمق من سمعته أو علامته المميزة. وننهي الكتاب بالفكرة نفسها بعدما اكتشفنا أن الرجل الذي انتُخب ليكون الرئيس الرابع والخمسين أكثر تعقيداً مما توحي به لغته البسيطة، وأن دوافعه وقيمه مستمدة من والديه ومن نشأته وانتصاراته وهزائمه، وسعيه طوال حياته إلى الحصول على الحب والقبول. في ما يأتي صورة الرجل الذي اكتشفناه.

المحتويات

تمهيد

"شخصية رئاسية"

غدا الآن المتنافس الأول. كانت الخطوة التالية هي أن يتحول إلى شخصية رئاسية. قال له ابنه وابنته وزوجته إن عليه فعل تلك الخطوة. عليه إبراز الجانب الأكثر عمقاً وهدوءاً في شخصيته. أجاب: "بإمكاني أن أكون شخصية رئاسية بجدارة"، ثم ضحك وأردف: "بإمكاني أن أكون شخصية رئاسية أكثر من أي رئيس حَكَم هذه البلاد، عدا أبراهام لنكولن Abraham Lincoln، إذ... لا يمكنك أن تكون أرفع شأناً من لنكولن".[1] ها هو الآن في عاصمة وطنه، في بطن الوحش، يثبِت للجميع أن بإمكانه فعل ذلك. سيقابل أحد أعضاء الكونغرس الأميركي - رجل من مؤيديه، أي من مؤيدي الشاب الآتي من كوينز وهو الولد الشقي متعهد المشاريع السكنية في نيويورك- في مكتب إحدى كبريات شركات المحاماة داخل مبنى الكونغرس. سوف يتجاذب أطراف الحديث حول السياسة الخارجية مع مجموعة كبيرة من الشخصيات البغيضة التي تحفل بها واشنطن، وسوف يلقي خطاباً يقرأُه على الملقِّن الآلي، وهو الجهاز الذي دوماً سخر منه ووصفه بالعكاز الذي يستند إليه السياسيون الفاشلون. سوف يعيِّن بعض المطَّلعين على دخائل الأمور ليكونوا مستشارين له في البيت الأبيض، رغم أنه سيظل بالطبع المستشار الأوحد لنفسه، لأنه يفهم شؤونه أفضل مما يفهمها الآخرون. في ذلك الصباح الربيعي الرائق من عام ٢٠١٦، كان على المتنافس الأول

١ مقابلة ترامب مع روبرت كوستا وبوب وودورد، *Washington Post*, April 1, 2016.

في ترشيح الحزب الديموقراطي لانتخابات الرئاسة الأميركية الرد بإجابات موفقة على أي سؤال محرج قد توجهه إليه هيئة تحرير صحيفة **واشنطن بوست**، وسوف يلقي خطاباً أمام جمهور لا يرحم في مقر "أيباك" AIPAC، وهي لجنة الشؤون العامة الأميركية–الإسرائيلية The American Israeli Public Affairs Committee، خاصة أنها واحدة من أقوى جماعات الضغط lobbies في أهم مدينة في العالم، وكان أعضاؤها لا يتوقفون عن وصف حملته الانتخابية بالمرعبة، بل حتى الغوغائية. وبما أنه كان في واشنطن –حيث كان، بالمناسبة، يبني واحداً من الفنادق التي تحمل علامته التجارية– اصطحب عدداً من مرتزقي وسائل الإعلام في جولة داخل موقع البناء ليتباهى بأحجار الجرانيت السميكة والرخام الفاخر. كان مشرق الوجه وهو يتحدث وقد برز فكه معلناً أن بناء الفندق سينتهي قبل الموعد المضروب وبكلفة أقل مما كان مخصَّصاً له: "لدينا ثلاثمئة غرفة تقريباً. ترف يفوق الحد"... و"سوف نوظف فعلياً أكثر من خمسمئة شخص، خمسمئة على الأقل".

كان يوماً مشهوداً في تلك الحملة الكبيرة التي كان شعارها "لنُعِد لأميركا عظمتها Make America Great Again". سوف يُظهِر للناس مختلف جوانب شخصيته المتعددة. كان في تلك اللحظة الرجل الشعبوي الذي يحرض الحشود الكبيرة في قاعات وميادين يزداد اتساعها مع مرور الوقت، فيهنئ تلك الحشود على انعتاقها من وضعية الأغلبية الصامتة لتصير "أغلبية شديدة العدائية، شديدة الصخب عالية الصوت". في اليوم التالي، كان عليه أن يتحول إلى المتنافس الأول –الرئاسي، هذا صحيح– الأنيق الجدي المستقيم. كان يقول إن تلك هي المسألة الفعلية، ولا سبيل لإنكار إرادة الناس. في تلك اللحظة، وفي أكبر قاعة في عاصمة البلاد، وقف دونالد ترامب –ابن الرجل العصامي الذي بنى المنازل المتواضعة لعائلات الطبقة الوسطى؛ والشاب المزهو بنفسه الذي عبر الجسر واستولى على مانهاتن؛ والرجل الذي أعاد لمدينة أتلانتيك سيتي عظمتها (إلى أن انهارت ثانية)؛ ورجل الاستعراض الذي وصف نفسه بأنه الآلة التي تسجل أعلى نسبة مشاهدات– وقف ليلقي خطاباً سوف يجري تفحُّص كل كلمة ترد فيه كأنّ الرجل أصبح فعلاً رئيس الجمهورية. ترامب –المرشح المتطرف الذي قلب كيان الحزب الجمهوري رأساً على عقب، والملياردير الذي أقنع

ملايين الأميركيين أنه أفضل من يتفهم تطلعاتهم ومشاعر الإحباط التي يحسون بها- هذا المبتدئ السياسي، الدخيل المتغطرس، فاق دهاؤه دهاءَ الخبراء والمستشارين والمطَّلعين على دخائل الأمور، أي كل عصبة المتنفذين والمعجبين بأنفسهم الذين أوصلوا المدينة إلى هذا الوضع العاجز الباعث على الإحباط.

خلال أسابيع، تحول المشهد الجانبي إلى الحدث الأساسي. صار ترامب نجم اليوم، اليوم الذي سيمر مثله مئات الأيام لحظةَ يصير الرجل الرئيس ترامب، وهي أيام ستكون مكرَّسة لـ"جعْل هذا البلد بلداً من جديد"، وذلك لاستعادتها، ولجعْلها عظيمة، ولاستعادة الوظائف، ولإبعاد المكسيكيين والمسلمين عن حدودها. "الربح، الربح، الربح"، "وبسرعة!"، هذا ما يقوله أمام الجموع الفظة المحتشدة. بسرعة! إرهابيو "دولة الإسلام في العراق والشام" [داعش] الأشرار سوف يتم محوهم من الوجود. وبسرعة! الشركات نفسها التي صدَّرت الوظائف الأميركية إلى الخارج سوف تعيد هذه الوظائف إلى أميركا. وبسرعة! ستدفع المكسيك كلفة بناء الجدار الذي يحول دون تسلل المهاجرين غير الشرعيين إلى الولايات المتحدة. وبسرعة! ستعود دولة عظيمة.

عاش ترامب معظم حياته، وهو في سن الرشد، تحت الأضواء. وقبل أن يتجاوز الثلاثينات من عمره، كان قد صار شخصاً مشهوراً معروفاً باسم واحد فقط، مثل مادونا Madonna وبيونسيه Beyoncé، شأنه شأن أي مغنّي روك أو رئيس جمهورية. كان اسمه يُكتَب بكامله بالأحرف الكبيرة المطلية بالذهب على الأبنية والطائرات والقمصان وزجاجات الخمر (رغم أنه يقول إنه لم يشرب الخمر في حياته). كان الملياردير الفريدَ من نوعه الذي يتفادى الخصوصية، والذي يدعو المصورين إلى تسليط كاميراتهم على الجدار الذي ثُبتت عليه شهاداته وجوائزه داخل مكتبه. كان يتباهى بثروته، وينفق الأموال لِلَفْت الأنظار، كما يدفع لوسائل الإعلام لإبقاء اسمه في أعمدة الشائعات في الصحف وعلى الصفحات الخاصة بالأعمال وبالرياضة، وكذلك الصفحات الأولى. كان، كما يقول منتقدوه، لا يفوت فرصة حضورِ حدثٍ يجعله حديث الناس.

كان ترامب، منذ بداياته تقريباً، علامة فارقة مميزة. كان يتفحص بدقة كل ما

يُقال عنه، وذلك عامل لا يُستهان به في جعله يصل إلى ما وصل إليه. كان يبدأ نهاره بحزمة من قصاصات الصحف اليومية التي تتحدث عنه. حتى في هذه الفترة، التي يسعى فيها إلى الفوز بأقوى منصب على وجه الأرض، وهو عمل يعتمد كلياً، تقريباً، على قوة إقناعك من حولك، كما أنه عمل مرهق لأنه يتطلّب إدارة فريق وكسب الولاءات، لا يزال دونالد ج. ترامب يقول إنه يتخذ معظم قراراته بنفسه دون أن يستشير أحداً: "أنا أفهم الحياة، وأفهم كيف تسير الأمور في الحياة. أنا الجوال الوحيد Lone Ranger".[1]

كان يعرف كيف يصير مشهوراً، ويعرف كيف يكسب، وكيف يجتذب أعداداً كبيرة من المشاهدين، وكيف يلفت الأنظار. قبل أكثر من ثلاثة عقود من اتخاذه قرار الترشح للرئاسة، ظهر اسمه ضمن "قائمة غالوب" Gallup التي تضم أسماء أكثر عشرة رجال يُعجَب بهم الأميركيون، لم يأتِ قبل اسمه في القائمة إلا اسم بابا الفاتيكان وبعض رؤساء الجمهوريات. درس طوال حياته كيف يستثير الشائعات حوله، ونظّم مجالات الاهتمام داخل تفكيره في تراتبية هرمية. يقول إن التفاخر يقع في مستوى أعلى بدرجة من مستوى التباهي. العلاقات العامة الناجحة أفضل من العلاقات العامة السيئة، لكنّ كليهما جيد. كان مزيجاً مثيراً للفضول، بل فريداً، من رجل الاستعراض الذكي ورجل الشارع الوقح والنزق والصاخب. كان يُعلي منزلة نفسه باستهتار، وبذلك كان يستثير التزلف والسخرية. يُقاضي منتقديه مثل ما يتباهى بإنجازاته. كان رجلاً ناجحاً فخوراً متبجحاً يفوق عدد المشاريع التي أخفق بها عددَ المشاريع التي أنشأها العديد من أقطاب الأعمال طوال حياتهم. نادراً ما كان يُشاهد دون سترة وربطة عنق. حتى الأشخاص الذين ربطتهم به علاقة عمل وثيقة لعقود لا ينادونه إلا باسم "السيد ترامب".

مع ذلك، نجد أن اللغة التي يستخدمها في حديثه تسبب صدمة للناس، فهو لا يتوانى عن شن هجمات عنيفة على من يراهم أعداءه –خصوصاً النساء– بألفاظ لاذعة فظة مهينة. أحياناً، تبدو لغته سلسلة من الشعارات والتصريحات البسيطة التي تنطوي على أفكار ساذجة، وقد دفع ذلك بعضهم إلى استنتاج أنه شخص جلف طائش. يبدو

[1] المصدر نفسه.

أنه لم يكن يمانع هذا الوصف، فقد كان ذلك هو ما يتوقعه من أفراد النخب الذين لم يتوقفوا عن السخرية منه طوال حياته. كان لا يكف عن التباهي، لكنه لم يكن يعبِّر عما يدور في قرارة نفسه. نادراً ما فعل ذلك، كما حدث عندما تكلم عن الأفلام التي يحبها. عندما سُئل عن فيلم المواطن كين Citizen Kane، وهو من كلاسيكيات المخرج أورسن ويلز Orson Welles ويروي قصة مالك صحيفة إخبارية مثالي النزعة يحصل على ثروة هائلة لكنه يخسر روحه، أجاب ترامب: "يدور موضوع فيلم المواطن كين حول فكرة التكديس، عندما ينتهي التكديس، تدرك ماذا يحدث، وهو ليس بالضرورة إيجابياً بالكامل. ليس إيجابياً... في الحياة الواقعية، أعتقد أن الثروة تعزلك فعلاً عن الآخرين. هذه آلية حماية. تلتزم الحذر[١] أكثر مما كنت لتلتزمه لو لم تكن صاحب ثروة".

كان يتخيل نفسه رجل الشعب، فيهتم بالثناء الذي يغدقه عليه سائقو سيارات الأجرة وعمال البناء أكثر مما يهتم بحفلات التكريم التي يقيمها له الأثرياء والمتنفذون. كان يقول إن الناس يعرفونه ويُعجبون به، ولذلك كان دائماً يفكر أن الخطوة النهائية قد تكون باتجاه البيت الأبيض. قال: "لأنني حققت نجاحاً كبيراً، كنت رجلاً ناجحاً لمدة طويلة من الزمن. وربما كانت الفكرة كامنة في أعماق تفكيري... كنت دائماً أسعى إلى جعْل البلد أفضل مما هي عليه،[٢] أو بعبارة أخرى: إعادة البلد إلى عظمتها السابقة، صحيح؟... شعار ممتاز ابتكرته، أنا".

قبل عام مضى وإلى ذلك اليوم، كان كل شيء يبدو حلماً وخيالاً جامحاً. كان ترامب منذ عقود يفعل ذلك في كل دورة انتخابية تقريباً: يعبث مع المراسلين، ويجول على البرامج الحوارية في المحطات الإذاعية ونشرات الأخبار التلفزيونية، ويوزع التلميحات والتعليقات الساخرة، ويرسم على وجهه شبه ابتسامة هازئة بالسياسيين العاجزين، ويتلاعب بعواطف المشاهدين عبر فكرة أنه قد يستغل موهبته لمداواة أوجاع العالم. في ذلك اليوم الربيعي، في آذار/مارس ٢٠١٥، قبل عام بالضبط من أولى جولاته "الرئاسية" في واشنطن العاصمة، كانت الموجة الأولى من الطامحين

١ مقابلة مصورة مع إيرول موريس Errol Morris, 2002.
https://www.youtube.com/watch?v=upC8pX3RY0A.

٢ مقابلة مع المؤلِّفين، ٢١ نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

الجمهوريين قد بدؤوا التعبير عن نياتهم، ورد ذِكْر اسم ترامب ستاً وثمانين مرة في الصحافة. طلبت منه صحيفة **شيكاغو صن-تايمز** *Chicago Sun-Times* الإدلاء برأيه في نزاع محلي حول تحديد الموقع المحتمل لناطحة سحاب؛ لم يستسغ ترامب فكرة وضْع زملائه المتعهدين في موقف محرج، خاصة أنهم إذا رغبوا، على غرار ترامب، في إحداث تغييرات على المباني التاريخية، ينبغي السماح لهم بذلك.[1] في بالم بيتش، وقف ترامب في صف مالكي البيوت في معارضتهم توسيع مدرج المطار الذي سيتسبب في إحداث ضجيج ناجم عن هدير الطائرات النفاثة[2] فوق إحدى ملكياته، وهي Mar-a-Lago. أما في اسكتلندا، فسلك مساراً معاكساً[3] وأعلن أنه سيمضي قدماً في إنشاء فندق وملعب للغولف. في موطنه، في نيويورك، نشرت إحدى شركات الترفيه، وكانت تنظم عرضاً يضم موسيقى ورقصاً وعرض أزياء في Radio City Music Hall، إعلاناً تقول فيه إن العرض يتضمن "فيلماً تلعب فيه شخصية مشهورة دوراً صغيراً"[4] من بطولة دونالد ترامب.

مع ذلك، في آذار/مارس ٢٠١٥، بدأت عاصفة من اللغط والانتقادات المتراكمة تتسلل إلى داخل المجموعة الكبيرة من النزاعات المتعلقة بالأعمال وبحملات الترويج الخاصة بترامب. في الشبكة التلفزيونية MSNBC، عرض مقدم البرنامج كريس ماثيوز Chris Matthews "فقرة ترفيهية قصيرة" على صورة مناقشة حول آمال ترامب الرئاسية. جاءت إجابة كلارنس بيج Clarence Page، وهو كاتب عمود في صحيفة **شيكاغو تربيون** *Chicago Tribune*، كالتالي: "دعنا لا نعتبر دونالد ترامب مرشحاً جدياً، لا شك في أنه عبقري في التسويق،[5] وهذا ما يفعله حالياً". وفي محطة CNN، رفض المحلل جيفري توبين Jeffrey Toobin مناقشة الموضوع برمته، قائلاً: "ترامب ينفذ إحدى حملاته الرئاسية الخيالية".[6] وفي تقرير موجز أعدته صحيفة "واشنطن بوست" حول

1 "Donald Trump: Be Careful!", *Chicago Sun-Times*, March 23, 2015.

2 Decade-Old Plan to Extend Palm Beach Airport Runway Revived, *Associated Press*, March 23, 2015.

3 Brian Swanson, *Scottish Express*, March 22, 2015, 31.

4 "Radio City: Excitement Continues to Build around New York Spring Spectacular," *Globe Newswire*, March 23, 2015.

5 Hardball, MSNBC, March 23, 2015.

6 Jeffrey Toobin on The Situation Room, CNN, March 23, 2015.

المرشحين الجمهوريين، صنّفت الصحيفة ترامب ضمن "سرب متنامي العدد[1] من المتنافسين المراهنين ذوي الحظ البائس"، يضم كارلي فيورينا Carly Fiorina، عضو الكونغرس ليندسي غراهام Lindsey Graham، وحاكم أوهايو جون كاسيش John Kasich، وحاكم نيويورك السابق جورج باتاكي George Pataki. وفي حديث إلى شبكة MSNBC، تجاهل ماكيه كوبنز McKay Coppins، العامل في موقع BuzzFeed، حديث ترامب عن الترشيح، واصفاً إياه بأنه "مهرجان الطموحات الرئاسية المزعومة"، مضيفاً: "أراهن بمرتبي لعام كامل[2] على أنه لن يحصل على صوت واحد في ولاية إيوا".

وعلى مواقع المقامرة على شبكة الإنترنت، كان واضعو الرهانات يراهنون[3] على حتمية جيب بوش Jeb Bush وعبثية ترامب. في ذلك اليوم من عام ٢٠١٥، كانت احتمالات بوش ٤-١، وكانت احتمالات ترامب في الحضيض: ١٥٠-١.

بعيداً عن مراكز وسائل الإعلام الأميركية في نيويورك وواشنطن، بدأت تسري موجات من اللغط تنبئ بوجود مزاج مختلف. فقد كتب الناشر جو ماكويد Joe McQuaid في صحيفة **نيو هامشاير ليدر** *New Hampshire Leader* يقول إن المرشحين الآخرين ووسائل الإعلام "يستخفون بشأن ترامب إلى حد قد يعرضهم للخطر. فالناس قد سئمت الكلام المنمق[4] والتصاوير المصقولة والتصريحات التي تعبِّر عن المواقف، لدرجة قد تشجعهم على اختيار شخص يتصرَّف عكس المألوف ويشعر بالإهانة لدى سماعه المراسلين التلفزيونيين الذين يتحدثون كأنهم يعرفون كل شيء". ظهر ترامب في برنامج ميغان كيلي Megyn Kelly، في محطة "فوكس نيوز" Fox News، وعندما سألته: "هل تتصرف من باب المشاغبة فقط؟"،[5] أجاب: "أواصل فعل كل شيء حتى النهاية. كل شيء في حياتي، واصلت فعله حتى النهاية... أحب ما أفعله، لكنني أحب بلدي أكثر. وبإمكاني تحسين وضعها".

1 Philip Rucker and Robert Costa, "With Cruz In, Race for GOP Right Heats Up," *Washington Post*, March 23, 2015.

2 Up with Steve Kornacki, MSNBC, March 21, 2015.

3 "Odds of Ted Cruz Winning White House Sit at 33-1," *Chicago Sun-Times*, March 23, 2015

4 Joe McQuaid, "Publisher's Notebook," *New Hampshire UnionLeader*, March 23, 2015, 1A.

5 Trump, on The Kelly File, Fox News Channel, March 23, 2015.

بعد تسعة أشهر، أي في الأيام الأخيرة من ٢٠١٥، لم يكن هناك من يرى في ترامب مشاغباً. ففي إحدى الليالي الممطرة الباردة، وفي قاعة واسعة احتشد فيها الناس، في Grand Rapids، في ولاية ميشيغان، وقف ترامب أمام علم أميركي هائل الحجم مشرقَ الوجه، فيما كان مؤيدوه يهتفون باسمه، وكان العديد منهم يرتدي قبعة البيسبول الحمراء التي يرتديها هو، وقد كُتِب عليها "فلنُعد لأميركا عظمتها"، "صُنعَت في الولايات المتحدة الأميركية" وهي متوافرة في موقع shop.donaldjtrump.com بسعر ٢٥ دولاراً. كان قد تبقّى بضعة أشهر على موعد الانتخابات التمهيدية الأولى، لكن خصوم ترامب كانوا قد بدأوا بالتهاوي. افتتح ترامب الاجتماع بالإشارة إلى أن ليندسي غراهام قد انسحب من السباق في ذلك اليوم: "كان شريراً معي. كل من يعارضني سيُلغى"، ورسم في الهواء إشارات X ملغياً كل الخاسرين، فيما كان الحشد الموجود في Delta-Plex Arena يهدر، ثم أضاف: "هذا ما ينبغي أن يحدث في بلدنا، كل من يعارضنا سيواجه الفشل". هدر الحشد ثانية.

بعد تنظيم عدة اجتماعات خلال حملته، ترسخ أسلوبه المعتمد. لم يكن هناك نص محدد، بل مجموعة صغيرة من القصص التي كان يرويها بين الفواصل المعتادة حول أحداث اليوم، وسرديات عن حوادث إخراج المحتجين من القاعة (لم تكن الجموع تمانع سماع قصص سبق أن سمعتها، مثل قصة بناء فورد Ford مصنعاً كبيراً في المكسيك وكيف أن الرئيس ترامب سوف يرغمهم على إعادة تلك الوظائف إلى الولايات المتحدة. كان يسأل: "هل سمع أحدكم هذه القصة قبل الآن؟، فكان الناس يجيبون: "نعم!". "هل ترغبون في سماعها ثانية؟". كانوا يصرخون: "نعم! نعم!").

في ذلك اليوم، كان في جعبة ترامب بعض الملاحظات اللاذعة، وعوامل جذب جديدة لجمهورٍ كان يستسيغ أي ملاحظة يصوبها إلى المتنفذين والمغرورين. كان الهدف الأول آنذاك مراسلي الأخبار. أشار ترامب إلى أنه قد نُقِل عن الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين Vladimir Putin، أنه قال إن ترامب متقد الذكاء. ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة من تقارير وسائل الإعلام الأميركية القائلة إن مديحاً يوجَّه إلى مرشح رئاسي من طاغية يحكم دولة تُعتبَر من أشرس أعداء البلد، ليس أمراً عظيماً، ثم أردفَ متهكماً: "أليس أمراً فظيعاً أن يصفني بوتين بكلمات لطيفة؟ هذا ليس فظيعاً، هذا شيء

جيد... إذا انسجمنا مع الناس، ألن يكون ذلك أمراً رائعاً؟". وأضاف أن المراسلين الصحافيين لم يكفّوا لحظة عن تحريف كلامه لجعل الأمر يبدو كأنه يدعم بوتين. "بالمناسبة، أنا أكره بعض أولئك المراسلين، لكنني لن أفكر مطلقاً في قتلهم. أنا أكرههم". وصلت صيحات الابتهاج إلى ذروة لم تكن قد بلغتها قبل، وأضاف ترامب وهو يرفع صوته ليعلو فوق الصرخات الحماسية: "بعضهم أشخاص كاذبون مقرفون، هذا أكيد، هذا أكيد... لكنني لن أفكر مطلقاً في قتلهم".

كان ترامب يصر على حقه بالتزامه الكلام دون مواربة. لم يعتذر قط عن اللغة التي يستخدمها، أو التلويح بحركة "وداع" دالة على الاستخفاف بالمحتجين الذين يخرجهم حراسه الأمنيون من القاعة وهم يصرخون: "أنت شخص متطرف!". قال لجمهوره شارحاً الأمر: "لقد درست في جامعة من أفضل الجامعات في البلاد Ivy League School. أنا أتمتع بمستوى دراسي رفيع... لا حاجة بي أن أكون صريحاً. أنا أعرف تلك المفردات الرائعة. ولكن، بربكم، كيف يمكنني أن أصف قادتنا سوى بكلمة حمقى؟... كنت أستخدم عبارة عاجزون على نحو فاضح، لكن كلمة حمقى تبدو أقوى تعبيراً، أليس كذلك؟".

وافقته الجماهير المحتشدة بحماسة. شرع الجميع يصرخ: "ترامب، ترامب، ترامب"، ثم بدؤوا الهتاف: "USA, USA, UAS"، وانضم إليهم المرشح، ثم أمر المراسلين الإخباريين أن "يحوِّلوا اتجاه عدسات آلات التصوير" ويجولوا بها أرجاء القاعة ليُظهِروا الحشد، لأن "هناك الكثير من الحب يملأ القاعة". ألحّ عليهم حتى أضجرهم بطلبه، فاستجاب بعضهم أخيراً، وهدر الحشد مسروراً. علا صوت محتج آخر وهو يصرخ ببعض الكلمات، فتوجّه ترامب إلى الحرس قائلاً: "أخرجوه من القاعة"، وأضاف وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة لئيمة: "لا تؤذوه، عاملوه بلطف!". استدار ثانية نحو الجمهور قائلاً: "هل هناك ما هو أكثر متعة من مهرجانات ترامب؟". كان جمهوراً سعيداً، رغم أن الناس وقفوا في الصف لساعات تحت المطر متحلقين حول القاعة، ورغم وجود بضع أشخاص من المحتجين يقفون بصمت ويلوحون بلافتات كُتب عليها: "لا للكراهية"، و"لا لترامب"، و"هاي heil [التحية النازية] ترامب، الفاشي الأميركي". كان معظم الحاضرين سعداء لأنهم سيستمعون

أخيراً لترامب، ليس لأنهم يحبون هذا الرجل، أو حتى يعتقدون أنه سيكون رئيساً رائعاً، بل كانوا سعداء لأن شخصاً ما شرع أخيراً يقول ما يقوله ترامب.

كان كيفين ستاينك Kevin Steinke في الثالثة والخمسين، وكان يجد نفسه أخيراً مضطراً أحياناً إلى الاختيار بين تسديد دفعة الرعاية الصحية أو دفعة رهن المنزل. حضر إلى الاجتماع بصحبة ولديه المراهقَيْن لكي يسمع الولدان بنفسيهما ويدركا أن هناك أشخاصاً آخرين يعانون أيضاً، وأن ثمة احتمالاً أن تكون هناك طريقة لجعل الأمور تعود إلى ما كانت عليه. قال ستاينك إن لغة ترامب متطرفة قليلاً، لكنه "يضرب على الوتر الحساس. الناس مصابون بالإحباط لأنهم يشعرون أننا لا نتطور كأمة، بل إن العديد منا يشعرون أننا نتراجع". لم يكن ستاينك، وهو خريج جامعي، وزوجته، وهي مدرسة موسيقى، يعيشان بالمستوى السابق نفسه، ورغم أنه لم يكن ينتمي سياسياً إلى اليمين أو اليسار، ولم يحضر مهرجاناً سياسياً في حياته، فقد أعجبته فكرة كون ترامب المدير التنفيذي الرئيس للبلاد، شخصاً لن "يفصلنا عنهم"، بل سيغيّر الجو حتى يستطيع الناس "قول ما يخطر في بالك دون أن تشعر أنك تعاني رهاب الإسلام أو رهاب المثليين أو ... وهنا يمكنك إضافة أي كلمة بعد كلمة رهاب". أضاف ستاينك أن ترامب كان مرعباً بما يكفي "لإشعار بعض شخصيات المؤسسة بالذعر، وهذا يعجبني نوعاً ما. دونالد يعبّر عن أفكاره بلغة إنكليزية واضحة وصريحة، صريحة أكثر من اللازم. ولكن بالنسبة إليّ، هذا يشعرني بالانتعاش".

لم تكن لدى ستاينك أي أوهام عن أن ترامب كان "نظيف الكف لا تشوب سمعته أي شائبة–لا يوجد شخص كهذا". وفي رأيه، إن بعض التصريحات التي صدرت عنه كانت "متجاوزة للحدود، وهو لا يستطيع دائماً العودة عنها كما يشاء"، لكن ستاينك كان يحب سماع ترامب يتحدث بقوة عن التعامل مع الزعماء الأجانب، لأن أميركا لم تكن بحاجة أن تكسب كل شيء، بل كانت بحاجة أن تكون "أكثر قوة ضمن هذا الوسط، وبحاجة أن تقول نحن من يجب أن نكون الزعماء. لن نكون آسفين لأننا أميركيون. هذا ما نشعر به فعلاً، فلقد أخفقت التنشئة، ولم تكن هناك أي نتائج في كل نواحي الأرض". ترامب، كما يقول ستاينك، "يعرف كيف يقايض: إذا راعيت مصالحي، فسوف أراعي مصالحك. لذلك أعتقد أنه، مهما بلغت حدة بلاغياته

وصراحته اللاذعة، فإنه عندما يصير خلف الأبواب المغلقة، يرغب في عقد صفقة".

في ذلك اليوم، كان لدى ترامب ملاحظة جديدة حول هيلاري كلينتون ومدى افتقارها إلى الكفاءة، فقد ألحق بها أوباما "هزيمة مخزية" [استخدم ترامب كلمة "schlonged"، وهي كلمة عامية مبتذلة بلغة الييدش Yiddish] في الانتخابات التمهيدية عام ٢٠٠٨. سخر من كلينتون، لأنها ذهبت إلى الحمام أثناء المناظرة الأخيرة بين المرشحين الديموقراطيين، ووصف ما فعلته بأنه "مقرف، لا أود الحديث عنه". وأضاف أنه كان على علاقة طيبة بها، "أثناء عملي السابق"، حيث كان "شخص ما يعطيك خمسة ملايين دولار... وتشعر -أنت- بالامتنان"، لكنه لم يعد يتلقى هبات كبيرة، فهو يمول حملته؛ "يصعب عليّ الرفض، لأنني كنت آخذ طوال حياتي. آخذ نقوداً، أنا أحب النقود وآخذ النقود. الآن، أنا أقول لأولئك الأشخاص إنني لست بحاجة إلى نقودهم. لأنني أعرف ماذا يحدث".

تعالت الهتافات أكثر، لأنه كان يقول ما يقوله الناس، وكان يعترف بما لا يمكن للسياسيين المرائين الذين يتشدقون بالتفاهات الاعتراف به. لقد قالها للتو: "الحقيقة هي أن الحلم الأميركي قد مات". هتفت له الجماهير، لكن ليس لأنهم متشائمون، أو من باب التهكم، بل لأنهم كانوا يشعرون بالألم، ولأنهم كانوا قد تعرضوا للخيانة، وها هو أخيراً شخص يُقرّ بذلك. أنهى ترامب كلامه بوَعْد، وَعْد مهم، وَعْد اختار الناس تصديقه: الحلم الأميركي مات لكنه لم ينته؛ "سوف أجعله أكبر وأفضل وأقوى مما كان عليه سابقاً. مما كان عليه سابقا. أكبر وأفضل وأقوى".

انقضت ثلاثة أشهر، وفي آذار/مارس ٢٠١٦ خلال يوم ربيعي رائق في واشنطن، كان ترامب قد حقق نصراً تلو الآخر وقطع شوطاً لا بأس به في مساره نحو الترشيح الرئاسي، وكان كل منافسيه قد تهاووا عدا اثنين. عقد زعماء الحزب عدداً من الاجتماعات السرية لإيجاد طريقة لجعْل المؤتمر الصيفي يمضي في غير مصلحة ترامب، لكن الأشخاص المخضرمين أنفسهم الذين لم يأخذوه على محمل الجد قبل عام، باتوا يقولون إن ترشيحه يبدو شبه محتم.

كان لا يزال ينظم عدة مهرجانات كل أسبوع، ويظهر على شاشات التلفزة وفي الإذاعات كل يوم، ويمزج الوعود المعتادة بإعادة الإحياء والعظمة بتصريحات مفاجئة

غير صائبة سياسياً. صرّح ذات يوم بأن النساء عندما يخضعن لعمليات إجهاض "ينبغي أن يُعاقَبْن"، ليعود ويتراجع بعد بضع ساعات. كان واثقاً من النصر آنذاك لدرجة التصريح بأن الحزب إذا أحجم عن ترشيحه، فسوف يجد نفسه بمواجهة "أحداث شغب". كان واثقاً لدرجة أنه قرر أن الوقت قد حان للبدء في إظهار الأمور الجوهرية التي صرح بأنه سيفعلها بعد انتهاء مرحلة المناكفات في الحملة الأولية. قال إنه سيبرهن، بسهولة وبسرعة، أن "بإمكاني أن أكون رئاسياً بامتياز".

هكذا بدأ ترامب يرتدي ربطة عنق كحلية ذات مظهر محافِظ ولون أقل سطوعاً من ربطات العنق الحمراء البراقة التي كان يفضل ارتداءها في مهرجاناته. لدى اجتماعه مع هيئة تحرير "واشنطن بوست"، كان صوته أهدأ وألطف أيضاً. كانت بلاغياته أقل حدة، بل إنه خلافاً لعادته، امتدح أحد المراسلين السياسيين في الصحيفة رغم أنه أضاف أيضاً: "لقد عوملت معاملة سيئة جداً في **واشنطن بوست**"، ومجّد الوكالة الفيدرالية التي تشرف على مبنى الكابيتول، المجاور لدائرة الضرائب IRS، الذي كان ترامب يحوّله إلى فندق.

وافق ترامب فوراً على تسجيل المقابلة التي استغرقت ساعة، خلافاً للعادة التي تلتزمها هيئة التحرير بالحفاظ على خصوصية الحوارات، التي تجريها مع المرشحين، بهدف إفساح المجال لإجراء نقاش صريح أثناء اتخاذ القرار بشأن المرشح ستصادق عليه. في حالة ترامب، لم يكن هناك في هيئة التحرير من يخدع نفسه باحتمال دعم صحيفة **واشنطن بوست** جدياً، وهي التي عادة ما تتميز صفحتها الأولى بنزعة مهاودة للحزب الديموقراطي، مرشحاً كانت افتتاحياتها تهاجمه بتعابير قوية غير مألوفة، وتصفه بالخطر الذي يتهدد الديموقراطية الأميركية. في النتيجة، كانت القيمة الوحيدة للمقابلة تتمثل في معرفة هل كان المحررون وكتّاب الأعمدة في الصحيفة يستطيعون الضغط على ترامب في ما يتصل بتصريحاته المتطرفة وباختبار مدى فَهْمه الموضوعات التي يتناولها.

كان أعضاء هيئة التحرير قد ناقشوا إستراتيجية مُعَدَّة سلفاً للتوجّه مباشرة إلى سبر مدى إلمام ترامب بالقضايا الصعبة في السياسة الخارجية، ولإغراقه بالأسئلة حول السبب الذي يدعوه إلى أن يثير كل هذا الشغب. حان وقت العرض. دخل ترامب ومد يده –كانت يداً ممتلئة لكنها، لدهشة الحضور، كانت خشنة الملمس– ليصافح

المحررين فرداً فرداً. كان ذلك أمراً عادياً بالنسبة إلى معظم الزوار، لكنه جديد بالنسبة إلى ترامب الذي قضى معظم حياته يتفادى المصافحة، والسبب، وفق تعبيره، هو أن "الأشخاص يأتون وهم مصابون بزكام شديد، تصافحهم أنت فتصاب بالزكام" (قال إنك إذا صرت مرشَّحاً، فهذا يقتضي التغيير، لأن الناس يتوقعون أن تصافحهم: "كما تعلم، إذا جاء شخص وأراد مصافحتك ورفضت أنت، فهذا تصرف جلف، في النتيجة، تصافحه. أغسل يدَيّ قدر الإمكان... وليس في ذلك إهانة لأحد، هذه حقيقة: تتلوث يداك بالجراثيم[1] وتصاب بعدوى الزكام").

في الاجتماع مع هيئة تحرير **واشنطن بوست**، ظلت لهجة ترامب هادئة وبدت جمله أطول وأكثر تعقيداً مما كانت عليه أثناء ظهوره في المناظرات أو البرامج التلفزيونية، لكنه لم يسمح لأحد بدفعه إلى قول ما لا يرغب في قوله. حاول المحررون، الذين كانوا يطرحون عليه الأسئلة، ست مرات، دفْعَه إلى قول هل يعتقد أن رجال الشرطة يعاملون الأشخاص السود بقسوة أكثر مما يعاملون البيض؟ أجاب ترامب: "كما تعرفون، أؤيد تطبيق القانون. يجب أن يكون لتطبيق القانون دور مهم". وعندما سُئل ثانية هل يعتقد أن ثمة تبايناً في تطبيق القانون وفق العرق، أجاب: "قرأت عن أماكن يوجد فيها تفاوت وعن أماكن لا يوجد فيها مثل هذا التفاوت. أقصد لقد قرأت عن الحالتين. ولم أكوّن رأياً في هذا الشأن".

تحولت المناقشة إلى تعليقات ترامب النارية خلال مهرجاناته، حينما كان يستحث رجال الأمن لإخراج المعترضين، بأوامر من نوع "لا تأخذكم به رأفة". أليست تلك الملاحظات تحريضاً على العنف؟

عن اللجوء إلى العنف؟ "كلا، إذ إنني في تلك اللحظة كنت أدرك أن بعض من يأتون كانوا أشخاصاً شريرين. كان أحد هؤلاء... مرتفع الصوت... قلت: بودي لو أسحقه. لقد قلت ذلك. كنت أود أن ألكمه. كان صوته مرتفعاً بصورة لا تصدَّق. كان صوته مثل صوت بافاروتي Pavarotti. قلت لو كنت مدير أعمال، لجعلته يكسب أموالاً طائلة، لأنه كان يتمتع بأفضل صوت. أعني، كان الرجل حالة لا تُصَدَّق، كان يثير ضجة عالية".

---

[1] مقابلة ترامب مع المؤلِّفَين.

كانت الأنباء المتسربة من الاجتماع تتحدث عن وجهة نظر ترامب في أن الولايات المتحدة ربما لم تكن مضطرة إلى الإسهام بكل تلك المبالغ في "حلف الناتو" الذي يُعتبر نواة التحالف الأمني الأوروبي-الأميركي منذ الحرب الباردة، وهو تصريح من النوع الذي قد يستثير الإيماءات المرحِّبة أو التصفيق في المهرجانات الانتخابية، لكنه سبب صدمة وأثار التعليقات الساخرة في دهاليز مراكز الدراسات الفكرية والورش السياسية في واشنطن. هل كان ترامب يرتجل في ما يقول؟ هل كان يعبث مع تلك الشخصيات البغيضة التي تأخذ نفسها على محمل الجد، أم كان يتحدث من موقع المطّلع الذي درس الموضوع من جوانبه كافة؟

قال ترامب: "أنشِئ حلف الناتو عندما كنا دولة غنية... نحن الآن لسنا دولة غنية. نحن نقترض من غيرنا. نحن نقترض كل تلك الأموال". قال له المحرر تشارلز لين Charles Lane: "لكنك تعرف أن كوريا الجنوبية واليابان تدفعان نصف التكاليف الإدارية اللازمة لإبقاء الجنود الأميركيين في تلك الدولتين، أليس كذلك؟".

سأله ترامب: "خمسون بالمئة؟"

قال لين مؤكِّداً: "نعم".

- "لماذا لا تدفعان مئة بالمئة من التكاليف؟".

لم يُظهِر ترامب أي أمارات تنم عن الغضب خلال الاجتماع. لم يصطبغ وجهه بالحمرة كما يحدث عادة في اللحظات الحرجة من المناظرات. أما المحررون، الذين كانوا راغبين قبل كل شيء في معرفة نسبة الهزل المميز له في تصرفاته خلال الحملة ونسبة الحقد الحقيقي في هذه التصرفات، فقد توصلوا إلى استنتاج أنهم رأوا ترامب الحقيقي: رجل واثق من آرائه، وبالغ الثقة بإمكاناته، ولا يتمتع بمعرفة شاملة، ويسارع إلى الهجوم، ويشعر بارتباك حقيقي إزاء الشكوك التي تطاول دوافعه وتتساءل هل لديه دوافع أخرى غير إعادة العظمة إلى أميركا؟

بعد بضعة أسابيع، وظّف ترامب مخطِّطاً إستراتيجياً جديداً، وهو رجل متمرس وعضو في إحدى جماعات الضغط في واشنطن، يدعى بول مانافورت Paul Manafort. سرعان ما أكد مانافورت لـ"اللجنة الجمهورية الوطنية" أن ترامب كان يمثّل دوراً، فقط لا غير، في جولاته لكسب التأييد خلال الحملة. وأضاف: "الدور الذي كان

يمثّله[1] حتى الآن يتطور حالياً ليصير الدور الذي كنتم تتوقعونه"، لكن ترامب نفسه لم يكن مقتنعاً بهذا الكلام، ولم يقتنع به أيضاً أعضاء هيئة تحرير صحيفة **واشنطن بوست**. واللافت أن اللحظات التي تميَّزت بأدنى درجة من السمات الرئاسية في تلك الزيارة، أقنعت بعض محرّري **واشنطن بوست** بأن ترامب لم يكن يمثّل دوراً بهدف إرضائهم. كان على محرر الصفحة الأولى، فريد هيات Fred Hiatt، سؤاله: كيف يمكن لرجل مرشح لانتخابات الرئاسة تبرير الظهور في مناظرة متلفزة تُبث في كل نواحي البلاد ليتحدث عن حجم عضوه؟ قال له المحرر: "أنت رجل ذكي ودرست في جامعة راقية، ومع ذلك تظهر في التلفزيون لتتحدث عن يديك وحجم أعضائك التناسلية".

أجاب ترامب: "كلا، كان هو البادئ". وكان ماركو روبيو Marco Rubio قد أثار موضوع يَديْ ترامب.

قالت كاتبة أحد الأعمدة وهي روث ماركوس Ruth Marcos: "لكنك اخترت المضيّ به".

قال ترامب وقد برز فكه: "كلّا، أنا اخترت الرد عليه. لم يكن لدي خيار".

تابعت ماركوس الكلام بإصرار: "أنت اخترت إثارته أثناء إحدى المناظرات. هل لك أن تشرح لنا لماذا لم يكن لديك أي خيار؟".

- "أنا لا أحب أن يعتقد الناس أنني أعاني مشكلة ما".

كان هو البادئ. وكأن الأمر لا يعدو كونه مجرد تلاسن سخيف في باحة المدرسة. وكل ما فعله ترامب هو الرد. لم يكن لديه خيار. لم يكن شخصاً من النوع الذي ينسحب من المعركة، لا كطالب في كلية عسكرية، وطبعاً ليس في الميدان الوطني. نعم، كان محارباً، وكان شخصاً لا يعرف الخسارة، ولا يتوانى عن التعبير عن رأيه أمام كل من يطلب ذلك، لكنه كان أيضاً وفياً ومحترماً وشهماً. أثناء خروجه من قاعة الاجتماع، توقف لمصافحة إحدى المحررات، وهي كارين عطية، التي كانت قد طرحت عليه سؤالاً حول بلاغياته المثيرة للشقاق وتأثيرها في بلد يتنامى فيه عدد المواطنين من ذوي البشرة السمراء وكذلك السوداء. قال ترامب: "آمل أن أكون قد أجبت عن سؤالك"، ثم ابتسم ونظر إليها بإمعان، وأضاف: "شيء جميل"، لكنه

١ نُقلت عن بول مانافورت،
"Trump Is Playing a Part and Can Transform for Victory," *Washington Post*, April 21, 2016.

لم يكن يقصد سؤالها. لم تجب عطية. أحست بالدهشة لسماع مرشح رئاسي يعلّق على شكلها. لم تشعر بالغضب، بل قالت: "شعرت بالذهول، كان ساحراً ذا حضور جذاب، لم يكن كتوماً أو راغباً عن الكلام. فكّرتُ في ما قاله، وتذكّرت: هذا هو الرجل الذي يحضر حفلات انتخاب ملكات الجمال ويعرض زوجته وابنته متباهياً، وهو الرجل الذي قال لو لم تكن ابنتي لواعدتها.[١] وخلصْتُ إلى نتيجة مفادها أننا خضنا تجربة ترامب بكاملها".

على بعد بضعة أبنية في الميدان الرياضي الذي يتبارى فيه فريقا Washington Wizards وCapitals، تجمّع آلاف الناشطين اليهود للاستماع لخطاب ترامب أمام لجنة "أيباك" AIPAC، الذي طال انتظاره، والذي كان سيتناول فيه مقاربته الوضعَ المأزوم الذي وصل إليه الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. كان عشرات الحاخامات وأشخاص آخرون قد أعلنوا نيتهم مقاطعة الحدث،[٢] لأن ترامب كان قد آلى على نفسه أن يكون "محايداً" في المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين، ولأن دعوته إلى منع المسلمين من دخول الولايات المتحدة أصابت العديد من اليهود بالذعر، إذ كانت أشبه بصدى مخيف للسياسات التي عانى منها آباؤهم وأجدادهم في أوروبا. ورغم أن ابنة ترامب إيفانكا متزوجة برجل يهودي متمسك بدينه، ورغم اعتناقها اليهودية، فقد أشعَر ترامب العديد من اليهود بالنفور منه بسبب تعليقاته في اجتماع لـ"الائتلاف الجمهوري اليهودي"، عندما قال إنه قد لا يحصل على دعم العديد من الموجودين في القاعة لأنه لم يكن بحاجة إلى أموالهم، كما قال إنه في موقف أفضل يتيح له عقد صفقة سلام في الشرق الأوسط لأنه شخص يميل إلى التفاوض، "مثلكم تماماً".[٣]

في النتيجة، كان على ترامب إصلاح بعض مواقفه. لم يخاطر في ما يتصل بذلك. فرغم أنه كان قد صرّح أن الملقّن الآلي يجب أن يُمنَع أثناء جولات كسب التأييد خلال الحملة، صار يستعين بملقّن آلي، وينقل نظراته الحادة من شاشة لأخرى. صار

---

١ كارين عطية، مقابلة مع مارك فيشر في ٢٩ آذار/مارس ٢٠١٦. وكان ترامب قد أدلى بهذه الملاحظة حول إمكانية مواعدته إيفانكا لو لم تكن ابنته في مقابلة مع ABC في برنامج The View في ٦ آذار/مارس ٢٠٠٦.

2 Rosalind S. Helderman, "Rabbis Organize Boycott of Trump's Speech to Pro-Israel Group," *Washington Post*, March 17, 2016.

٣ المصدر السابق.

الآن يدعم إسرائيل بكل وضوح. شجب محاولات الفلسطينيين شيطنة اليهود، وذكّر الجموع أنه كان قد أعار طائرته الخاصة لمحافظ نيويورك، رودي جيولياني Rudy Giuliani، عندما زار إسرائيل بعد أسابيع من هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، وأنه كان أحد المنظمين الرئيسيين لمسيرة إسرائيل Israel Parade في نيويورك، عام ٢٠٠٤، خلال الفترة التي كان فيها الصراع على أشده في قطاع غزة. وحرص على أن يعرف الجميع أن إيفانكا ستضع خلال مدة وجيزة "مولوداً يهودياً جميلاً".[١]

مع ذلك، قبل أن يبدأ الترحيب الحماسي بخطاب ترامب، في بداية عرضه أفكاره، وقف حاخام يرتدي شال الصلاة اليهودي، وكان يجلس على بعد ستة صفوف من المنصة، وشرع يصرخ وحده محتجاً: "هذا الرجل شرير. فهو يلهم العنصريين والمتعصبين. وهو يشجع على العنف. لا تصغوا إليه". لم يكن رد الفعل الغاضب للحاخام شموئيل هيرزفيلد Shmuel Herzfeld، الذي يرأس مجموعة من المصلين الورعين في واشنطن، وليد لحظة انفعال. كان قد درس قراره من الأوجه كافة لأيام. استشار الحاخام المرشد له، واستشار محاميه، واستشار زوجته وأولاده السبعة. قال لأولاده إنه يشعر بأنه ملزم قَوْل شيء ما، "ملزم قَوْل: نحن نعرفك على حقيقتك، نحن نعرف ما تفكر فيه". طلب منه أولاده ألا ينفذ هذا الاحتجاج العلني كيلا يصاب بأذى، لكن هيرزفيلد توصل إلى قرار بأنه لا يملك أي خيار. كان يدرك أنه سيخسر بعض المصلين في معبده (هذا ما حدث). كان يدرك أنه سيُتَّهم باتخاذ موقف سياسي غير ملائم (هذا ما كان يفعله)، لكنه كان قد توصل إلى قرار يفيد بأن ترامب كان يمثّل "تهديداً وجودياً لبلدنا؛ لم يسبق لي في حياتي أن رأيت شخصية سياسية من هذا الطراز. هذا شخص لا يخجل عندما يوحي باللجوء إلى العنف. شخص يستخدم لغة وضيعة لوصف شعوب الدول الأخرى. لقد أفسح المجال للقبح لكي يبرز من بين الظلال".

أُخرج هيرزفيلد فوراً من الميدان وتابع ترامب كلامه دون أن يبدو عليه أي تأثّر، لكن في اليوم التالي، اعتذر رئيس "أيباك" وهو يغالب الدموع، عن خطاب ترامب، قائلاً: الخطاب خرق قواعد الجماعة في ما يتصل بمهاجمة الأشخاص. كان ترامب

---

1 Jenna Johnson, "A New Donald Trump Emerges at AIPAC, Flanked by Teleprompters," *Washington Post*, March 21, 2016.

مؤدباً على غير عادته في حديثه، لكنه وصف الرئيس أوباما بأنه ربما كان أسوأ ما حدث لإسرائيل. وأضاف كلمة بلى !Yeah، التي لم تكن واردة في النص الأصلي،[1] إلى الجزء الذي أشار فيه إلى أن أوباما كان يعيش عامه الأخير في البيت الأبيض. كان بإمكانه الوجود في أجواء رئاسية، لكنه كان لا يزال ترامب كما هو، على سجيته.

الواقع أن الظهور الوحيد لترامب في ذلك اليوم، الذي بدا فيه، بل تحدث، كرجل ملياردير شعبي يتكلم ببساطة وبوضوح، وهو ما كان يفعله خلال جولاته لكسب التأييد -يتقلب بين الهزل والغضب والانفعال والإقناع- كان في حدث مختلف تمام الاختلاف، موقع للبيع بأسعار مخفضة في مبنى منمق قديم في جادة بنسلفانيا كان سابقاً مكتباً للبريد، وبدأ يتحول بسرعة إلى فندق لترامب Trump International Hotel. قبل ساعة من موعد وصول ترامب، كان الصف الذي يقف فيه المراسلون للحصول على التصاريح التي تخولهم تغطية الحدث، يلتف حول المبنى. حضر مئتا مراسل تقريباً، وربما كان عدد الذين يهتمون فعلاً بتجديد مبنى المكتب الفيدرالي العائد إلى القرن التاسع عشر ليصير فندقاً فخماً لا يبعد سوى بضعة أبنية عن البيت الأبيض، لا يتجاوز عدد أصابع اليد. كان الطُّعم الذي جذبهم هو فرصة توجيه الأسئلة إلى ترامب.

ظل صوت المطارق التي تضرب الفولاذ وأزيز المعدات الكهربائية يترددان في الجو إلى أن اقترب موعد وصوله. توارى عن الأنظار العمال الذين كانوا يرتدون الخوذ وبذلات العمل البرتقالية، وتعالى في الجو صوت موسيقى بيانو هادئة، وبدا ذلك اختلافاً لافتاً عن الألاعيب التي تستثير الحماسة والتي يلجأ إليها ترامب لتهييج الجموع في مهرجاناته. وصل موكب ترامب: سيارتان سوداوان لامعتان رباعيتا الدفع تتقدمهما سيارات شرطة واشنطن العاصمة وعدة رجال شرطة على الدراجات النارية. دخل ترامب إلى الردهة -يتبعه أكثر من اثني عشر مساعداً يرتدون بذلات سود ورجل ممتلئ الجسم يرتدي ملابس الطباخ البيضاء، واثنان من عمال البناء وعدد كبير من الموظفين الإداريين في الفندق- فوق معبر من الخشب العاكس، واستقر أمام علمين أميركيين. وعد الحاضرين بأن الفندق سوف يكون "رائعاً، برخامه المستورد من

1 David Weigel, "AIPAC's Apology for Trump Speech Is Unprecedented", *Washington Post*, March 22, 2016.

مناطق مختلفة من العالم... أعتقد بأنه شيء عظيم للبلاد، وشيء عظيم لواشنطن".

ظلّ المراسلون يمطرون ترامب بالأسئلة لمدة أربعين دقيقة، ولم يكن أي من تلك الأسئلة يتناول مشروع مكتب البريد، بل كان المراسلون يريدون الحديث عن مسائل تتصل بالمندوبين delegate counts، وبسياسته في الشرق الأوسط، وبـ"الناتو"، وبالعنف في مهرجاناته الانتخابية. أجاب ترامب عن جميع تساؤلاتهم، ثم سألهم هل يودون رؤية قاعة الرقص الفخمة. انحشرت مجموعة من المراسلين والمصورين عبر المدخل، وكانوا كتلة مدججة بالميكروفونات الموصولة بأذرع التطويل وبآلات التصوير المرفوعة إلى أعلى، وأحاطوا بترامب مثل الطفيليات. لم يبد على ترامب أنه لاحظ كل ذلك. توقف، وأنعم النظر في المظهر الخارجي للبناء، الذي شيّد على طراز Romanesque Revival، ثم أشار قائلاً: "تلك النافذة تعود إلى عام ١٨٨٠,[1] من الصعب أن تصدقوا، أليس كذلك؟ النافذة مصنوعة من زجاج خاص... زجاج معتّق". لم تكن تلك الجموع قد أتت لتتفحص مواد البناء، ولكن هذا ما كان ترامب يعرفه. هنا المكان الذي عاش فيه. ما تبقى -الحشود، والناس الذين يترنمون باسمه، وسياسة البلد التي صارت فوضى عارمة- كل ذلك كان جديداً ومثيراً، وباعثاً على القلق أيضاً. كان قد غدا المتنافس الأول، وكانت الخطوة التالية، كما أخبره بعضهم، أن يتحول إلى شخصية رئاسية. مع ذلك، هو يعلم أنه سيبقى على ما كان عليه دوماً.

---

١ كان مكتب البريد القديم قد بُني عام ١٨٩٩.

الفصل الأول

حمّى الذهب: الأرض الجديدة

في أحد أيام حزيران/يونيو ٢٠٠٨، وفي إحدى جزر أوتر هبرديس على الساحل الشمالي الغربي من اسكتلندا، تجمَّع بعض السكان شاخصين أبصارهم نحو السماء ومحدِّقين في طائرة آتية اتجاههم. كانت شكل الجزر التي يعيشون فيها أشبه بهراوة من القرون الوسطى: ضيقة عند الطرف الجنوبي وعريضة عند الطرف الشمالي، وتتوزع داخل المياه المتلاطمة الأمواج ذات اللون الأزرق المائل إلى الرمادي. كانت معظم أراضي الجزيرة، القليلة السكان البادية من بعيد، مروجاً فسيحة وحقولاً تصل إلى المنحدرات الوعرة والشطآن الصخرية المطلّة على مجموعة من الجزر الصغيرة. انتظر سكان الجزيرة في وقت كانت فيه طائرة "البوينغ ٧٢٧"[١] تنعطف صوبهم.

كانت الطائرة زائراً غير مألوف بالنسبة إليهم، فهي لا تشبه في شيء الزلاجة المائية التي تسيّرها المراوح أو طائرة البريد الملكي التي تقرقع، واللتين كانتا ترددان إلى الجزيرة. بعد اجتياز المحيط الأطلسي آتية من مدينة بوسطن، مرقت الطائرة عبر الرياح وأنزلت عجلاتها بسرعة فوق الأسفلت ودرجت باتجاه المحطة النهائية الصغيرة في ستورنووي، وهي المدينة الرئيسة في جزيرة لويس التي لا يتجاوز عدد سكانها ثمانية آلاف نسمة. كانت الطائرة قد خضعت لإعادة تجهيز وفق المواصفات الدقيقة التي

١ طائرة ترامب ٧٢٧ التي كان يستخدمها عام ٢٠٠٨ غير ٧٥٧ التي استخدمها في حملته عام ٢٠١٦.

حدَّدها مالكها، دونالد ج. ترامب، الذي يقطن في مانهاتن. كانت تحوي غرفة نوم رئيسية، ومكاناً فسيحاً يتسع لجلوس أربعة وعشرين راكباً، وزاوية خاصة بتناول الطعام تتسع لخمسة ضيوف، وتضم أدوات مائدة مصنوعة من الخزف النفيس والكريستال، وفوق كل ذلك، مغسلتان مطليتان بالذهب.[1] على طول جسم الطائرة، كُتِبَتْ كلمة واحدة بالأحرف الكبيرة: TRUMP. هدأ هدير محركات الطائرة. أفرغ مساعدو ترامب صناديق الكتب التي أحضرها والتي كان ينوي إهداءها لسكان الجزيرة لتكون بمنزلة الرموز المقدسة بالنسبة إليهم. كُتِبَ على أحد الصناديق "ترامب: كيف تصير غنياً؟"، وعلى صندوق آخر: "إياك والاستسلام".

حيّا ترامب سكان الجزيرة. كان يرتدي بذلة غامقة وقميصاً أبيض وربطة عنق زرقاء تتدلى إلى ما دون حزامه، فيما كان شعره الأشقر يتطاير مع النسيم، ثم توجّه مع مرافقيه إلى سيارة بورش Cayenne وإلى سيارتي BMW X5. سار الموكب على الطرق المتعرجة لسبعة أميال ماراً بهضاب خضر تنحدر لتصل إلى خليج، وعبر أحياء تضم منازل تشرف على الواجهة المائية، وأبنية تضم منشآت صناعية صغيرة... إلى أن وصل إلى منزل رمادي اللون، يُعرف باسم تونغ ٥ Tong 5، وهو اسم القرية الموجود فيها. ترجل ترامب من سيارته واختلس نظرة إلى داخل المنزل. كان المسكن متواضعاً إلى حدّ أنه لم يحتمل البقاء داخله أكثر من سبع وتسعين ثانية. التُقِطَتْ الصور، وبدا أن حبكة القصة قد اكتملت بكل براعة وإحكام: "ترامب يزور مسقط رأس والدته، ماري آن ماكليود Mary Anne Macleod".

قال ترامب للمراسلين المتجمهرين: "أشعر براحة تامة هنا،[2] عندما يعود أصل والدتك إلى مكان معين، فلا بدّ أن تحب هذا المكان. أشعر بأنني اسكتلندي، ولكن لا تطلبوا مني أن أحدّد شعوري. ثمة شيء قوي اكتسبته من والدتي"، ثم أضاف، حتى إذا كان هناك من فاتته الملاحظة، "لدي أموال طائلة".[3]

1 "Want Your Own Boeing 727? Donald Trump Is Selling His...Cheap!," *Flying With Fish*, November 10, 2009; Hibah Yousuf, "Donald Trump to Personal Jet: 'You're Fired!'" CNN Money, November 10, 2009; and Auslan Cramb, "Donald Trump Flies to Western Isles to Visit Mother's Home," *Telegraph*, June 8, 2008.

2 Severin Carrell," 'I Feel Scottish,' Says Donald Trump on Flying Visit to Mother's Cottage," Guardian, June 9, 2008.

3 " 'I'll Be Back,' Says Trump," *Stornoway Gazette*, June 12, 2008.

كان ترامب قد زار المكان مرة واحدة قبل ذلك، عندما كان في الثالثة أو الرابعة من عمره، وكانت زيارته قصيرة قدر الإمكان، إذ لم تتعدّ ثلاث ساعات. كانت هناك أقاويل حول نية ترامب تحويل إحدى القلاع المحلية إلى فندق فخم،[١] ثم تغير المكان إلى موقع آخر في اسكتلندا، حيث كان ترامب يأمل أن هذا التذكار النادر لإرثه قد يساعد في إقناع السياسيين بالسماح له ببناء منتجع ضخم يضم ملاعب غولف[٢] إضافة إلى تنفيذ مشروع إسكاني على أرض ذات حساسية بيئية تقع قرب أبيردين.

كانت حكاية والدة ترامب قصة تقليدية تحكي عن الرغبة في حياة جديدة في أرض غريبة، ويُثقِلها حلمٌ بعيد عن الواقع بالحصول على ثروة لا تخطر في البال. في حالة أسرة ترامب، كانت الثروة ستأتي آجلاً أم عاجلاً، ولكن كان من الصعب تصوُّر هذه النتيجة في حال عدنا بالزمن إلى الوراء وتأملنا المشهد الموجود في صورة باهتة المعالم التقطت قرب الموقع الذي زاره ترامب لمدة وجيزة في ذلك اليوم الصيفي.

التقطت الصورة، وهي بالأبيض والأسود، عام ١٩٣٠ في تونغ ٥، وتبدو فيها امرأة منحنية قليلاً إلى الأمام ترتدي ثوباً طويلاً وشعرها مربوط خلف رأسها، وقد التف نطاق حول كتفها. كان النطاق مربوطاً إلى صرة فوق ظهرها يبلغ حجمها عشرة أضعاف حجم رأسها. واستناداً إلى الجملة التي كتبتها الجمعية التاريخية في تونغ، هذه المرأة هي إحدى أسلاف ترامب، وقد تكون جدته لأمه، "تحمل على ظهرها سلة مليئة بالأعشاب البحرية".[٣] تظهر في خلفية الصورة شابة، قد تكون والدة ترامب، ماري ماكليود، وكانت آنذاك في الثامنة عشرة من عمرها، وبدأت تخطط لمغادرة جزيرتها حيث الفقر المدقع، للذهاب إلى أميركا.

نشأت ماري في ذلك المكان البعيد وكانت تتكلم باللهجة الغاليّة Gaelic المحلية. كانت قرية تونغ هي مسقط رأس والدَيّ ماري وجدّيها وأسلاف جدّيها، وعدد لا يُحصى من أبناء الأعمام والأخوال والعمات والخالات. كانت الأرض المحيطة بالمنزل مجرّد حقل صغير مسوَّر، أشبه بالمزرعة الصغيرة التي كانت الأم تُعنى بها، وهو ما مكّن الوالد من قضاء معظم وقته في صيد السمك. كانت حياة شحيحة،

١ المصدر نفسه.

2 "Trump Golf Inquiry in Full Swing," BBC News, June 10, 2008.

3 "MacLeod," Tong & Aird Tong Historical Society.

وصفتها إحدى الوثائق التاريخية المحلية بأنها "قذرة على نحو لا يوصف... كانت أبواب المنازل منخفضة حتى كان السكان يضطرون إلى الزحف للدخول إليها والخروج منها". كانت العائلات تكافح معاً لتتدبّر الدخل كيفما اتفق، عن طريق زراعة التربة الحمضية وتربية المواشي، والصيد في الخلجان والأنهار القريبة، وجمع الفحم لبيعه أو لاستخدامه كوقود، وجمع أعشاب البحر لاستخدامها كسماد في تلك الأرض العسيرة على الزراعة. كان من الشائع أن يغرق الرجال في مراكب الصيد التي يعملون عليها، وهو ما حدث لجد ماري، دونالد سميث[1] Donald Smith عام ١٨٦٨، وكان عمره آنذاك لا يتجاوز الرابعة والثلاثين. وبعد عقود، أطلقت ماري اسمه على ابنها، دونالد ترامب.

ولدت ماري عام ١٩١٢، خلال السنوات التي بلغ فيها الطلب على سمك الرنجة ذروته، وهي سمكة دسمة المذاق صارت تُقدَّم كطبق شهي مترف في كل نواحي أوروبا. كان معظم الشباب من سكان القرية يعملون في هذه التجارة، إما بتنظيف أحشاء السمك أو بالإبحار مع سفن الصيد. كانت ماري طفلة عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى وانهارت معها تجارة السمك في القرية. توفي عشرة بالمئة من السكان الذكور، وحدثت موجة من الهجرة عندما بدأت العائلات تبحث عن فرص اقتصادية في أماكن أخرى. ويقال أن رجلاً من قرية تونغ تحسّنت أوضاعه المالية إلى حد كبير وعاد إلى القرية في زيارة جاء خلالها يقود سيارة أميركية ضخمة ذات دواليب بيض، واصطحب بها أطفال القرية في جولة.

عام ١٩١٨، عرض أحد أكبر رجال الأعمال في تلك الفترة، وهو اللورد ليفيرهولم Leverhulme الذي ينحدر من العائلة التي تمتلك إمبراطورية صابون Lever، مبلغ ١٤٣٠٠٠ جنيه[2] لشراء جزيرة لويس حيث كانت تقع قرية تونغ. انتقل اللورد ليفيرهولم إلى قلعة لويس التي كانت تتوسع عشوائياً وأعلن سلسلة من الخطط الكبيرة التي كان ينوي تنفيذها، بما في ذلك تسويق السمك المحلي عبر مئات دكاكين البيع

1 Kenneth Maclennan, Tong: *The Story of a Lewis Village* (Tong, UK: Tong Historical Society and the Stornoway Gazette, 1984).

2 Roger Hutchinson, *The Soap Man*: Lewis, Harris and Lord Leverhulme (Edinburgh: Birlinn, 2003).

بالتجزئة[1] في كل نواحي المملكة المتحدة. والأهم من ذلك كله، أنه دعا السكان إلى الثقة به. خلال هذه المدة القصيرة التي ازدهرت فيها الآمال، حدثت مأساة أخرى. ففي اليوم الأول من عام ١٩١٩، خرج يختٌ كان ينقل جنوداً بريطانيين عن السيطرة وارتطم بالصخور، ما أدى إلى مقتل ١٧٤ رجلاً[2] من جزيرة لويس. في النتيجة، نقص عدد الذكور في الجزيرة، وسرعان ما تبيَّن أن الوعود الكبيرة التي أطلقها ليفيرهولم لن تأتي بالمنشود منها، وهكذا حدث تمرد بين سكان الجزيرة. هاجمت مجموعة من رجال قرية تونغ مزرعة يملكها ليفيرهولم واستولت على الأرض. بحلول ١٩٢١، كان ليفيرهولم قد أوقف مشاريع تطوير لويس وركّز اهتمامه على هاريس المجاورة والمشهورة بإنتاج المنسوجات الصوفية التي تحمل اسم Harris Tweed. كانت تعاملاته في مواقع أخرى تتقدم بصعوبة، ولاسيما في ظل الكساد العالمي. وفي ١٩٢٣، ارتطم حلم ليفيرهولم بتحويل لويس إلى أرض الأحلام بأرض الواقع، ولم يعد بإمكانه الاستمرار. توفي ليفيرهولم[3] بعد عامين. وبينما كانت ماري تدخل مرحلة المراهقة، كان مئات الأشخاص يهربون من الجزيرة.

كانت عائلة ماكليود تُفاخر بالمواشي القوية البنية الموجودة في الجزيرة؛ وكانت الشارة المميزة للعائلة رأس ثور وشعار يقول: "ابق صامداً"؛[4] لكن الصمود صار شبه مستحيل مع بداية الكساد الكبير Depression Great. وفي خريف ١٩٢٩، لم تكن تتوافر للشابات، إلا نادراً، الفرصة ليعشن حياة غير حياة المزارعات أو جامعات الأعشاب البحرية ومنجبات للأطفال. هكذا، في السابع عشر من شباط/فبراير ١٩٣٠، وفي أعقاب الثلاثاء الأسود Black Tuesday [يوم انهيار أسعار الأسهم في بورصة نيويورك] وكل ما رافق الكساد من كآبة وبؤس، صعدت ماري آن ماكليود إلى سطح سفينة ترانسلفانيا Transylvania،[5] وهي سفينة ذات ثلاث مداخن كانت قد

1 "Mac Fisheries History," Mac Fisheries Shops, http://www.mac fish eries.co.uk/page2.htm.

2 Malcolm Macdonald, "*Iolaire* Disaster." Stornoway Historical Society.

3 "Lord Leverhulme Dead. Founder of Port Sunlight. Great Captain of Industry," *Argus*, May 8, 1925.

4 Tony Reid, "The Family History of Mary Anne MacLeod, the Mother of Donald J. Trump," Ancestry.com.

5 February 17 and May 2, 1930, manifests of the *Transylvania*, "New York, Passenger Lists, 1820–1957," Ancestry.com.

بنيت قبل ثلاث سنوات. كان طول السفينة، بين مقدمتها ومؤخرتها، ٥٥٢ قدماً،[1] وكان طول دعامتها الأفقية ٧٠ قدماً، وكانت تقل ١٤٣٢ راكباً.

يبدو أن ماري الشابة الجذابة ذات البشرة البيضاء والعينين الزرقاوين، كانت وحدها، فقد ورد اسمها في ملفات السفينة ضمن أسماء McIntoshes و McGraths و McBrides. سجلت ماري نفسها "مساعدة منزلية"، وهو تعبير فضفاض يتسع لكلمة "خادمة" أو لأي عمل آخر قد تجده لدى وصولها إلى نيويورك. أخبرتْ ماري المسؤولين في دائرة الهجرة، في جزيرة إيليس، أنها تخطط للإقامة في منطقة كوينز مع شقيقتها الكبرى كاترين، التي كانت قد تزوجت وأنجبت طفلاً منذ وقت قريب، وقالت ماري إنها تخطط أن تكون مقيمة دائمة، وتأمل في الحصول على جنسية البلد الذي اختارت العيش فيه.

كانت الولايات المتحدة ترحب بالمهاجرين طوال فترة لا بأس بها في تاريخها، إذ كانت تستقدم العمال وتشجع الاستيطان غرب البلاد، لكن فترات الانكماش التجاري، إضافة إلى بروز نزعة إعطاء الأولوية لمصالح أهل البلد الأصليين، وحركة السعي إلى تحسين النسل، زادت صعوبة حصول مجموعات معينة من الناس على جنسية الولايات المتحدة. بدأ تطبيق الإجراءات الصارمة مطلع عشرينيات القرن العشرين. كانت منظمة "كوكلاكس كلان" Ku Klux Klan تسعى إلى السيطرة على "المؤتمر الوطني للحزب الديموقراطي" الذي كان سيعقد عام ١٩٢٤ في مدينة نيويورك، وتدعو إلى فرض قيود صارمة على قدوم المهاجرين، وتهاجم الكاثوليك بعنف، وتفتعل المشاجرات في ممرات ماديسون سكوير غاردن. سار أكثر من عشرين ألفاً من أعضاء المنظمة في مكان قريب من مكان انعقاد المؤتمر، وكانوا يحتفلون بفشل المؤتمر بصعوبة في إقرار بند رئيسي في البرنامج السياسي يدين المنظمة. كان من شأن أيام الشغب التي تلت ذلك، والتي صارت تُعرف باسم Klan Bake،[2] إيقاع الفوضى في المؤتمر، إذ تطلب الأمر إعادة الاقتراع مئة وثلاث مرات لاختيار المرشح جون و. ديفيز John W. Davis، الذي خسر الانتخابات العامة أمام المرشح الجمهوري

1 Premal, *Admiralty Ships/Subs Lost 1939 to 1946*, 515.

2 Jim Dwyer, "G.O.P. Path Recalls Democrats' Convention Disaster in 1924," *New York Times*, March 15, 2016.

كالفين كوليدج Calvin Coolidge.

مع ذلك، استمرت "كوكلاكس كلان" في اللجوء إلى النفوذ السياسي، وسيطر على البلاد مزاج معادٍ للمهاجرين مع تدهور الوضع الاقتصادي. أقدمت المنظمة على التشهير بمرشح الديموقراطيين لعام ١٩٢٨، آل سميث AL Smith، لأنه كاثوليكي، فخسر الانتخابات أمام المرشح الجمهوري هربرت هوفر Herbert Hoover. بحلول ١٩٢٩، كان الكونغرس قد أقر تشريعاً يقلص حصص المهاجرين من عدة بلدان، من بينها بعض الدول الأوروبية مثل ألمانيا. وسرعان ما طرد مئات الألوف من المكسيكيين. أما المهاجرون من الصين واليابان وأفريقيا والجزيرة العربية، فصارت فرصهم محدودة للحصول على الجنسية. وفي الوقت نفسه، رفع الكونغرس إلى الضعف تقريباً حصص المهاجرين من عدد من الجزر البريطانية. هكذا، لقي قدوم ماري، وهي المنحدرة من العرق المفضَّل[1] من البيض البريطانيين، ترحيباً في الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة تغلق الأبواب بوجه العديد من المهاجرين من مناطق أخرى.

بينما كانت ماري تعبر المحيط الأطلسي، واجهت سفينة ترانسلفانيا عاصفة عاتية. أخيراً، عندما وصلت السفينة إلى ميناء نيويورك، أثارت الأمطار المنهمرة بغزارة أمواجاً عاتية. وأدت الصواعق إلى انقطاع التيار الكهربائي،[2] حتى عن مشعل تمثال الحرية، الذي كان رغم كل شيء يرحب بالفقراء وبالكادحين في العالم. في اليوم الذي وصلت فيه ماري إلى نيويورك، كانت القصة الرئيسية على الصفحة الأولى من صحيفة **نيويورك تايمز**، مطمْئِنة: "مرّت أسوأ أيام الكساد، هكذا يقول هوفر، بالتعاون نتغلب على المحنة Cooperation Lessening Distress". كان هوفر يعلق آماله[3] على ازدهار حركة العمران، التي كان يصرّ على أنها تسارعت "أكثر مما كنا نأمل". لكن آماله كانت مفرطة في التفاؤل. وسرعان ما جرى إحلال حاكم نيويورك الديموقراطي

1 S. A. Mathewson, "Now 'National Origins' Fix Quotas for Aliens," *New York Times*, June 30, 1929.

2 " Sudden Storms Follow Summer Heat Here; Lightning Kills Man, Puts Out Liberty's Torch," *New York Times*, May 2, 1930.

٣ في حديث خاص لصحيفة *New York Times*
"Worst of Depression Over, Hoover Says," *New York Times*, May 2, 1930.

فرانكلين ديلانو روزفلت Franklin Delano Roosevelt محله في البيت الأبيض، وتطلّب الأمر سنوات من التدخل الحكومي لإنقاذ أميركا من الكساد، ولكن كان هناك رجل يشارك هوفر آماله في حصول ازدهار عمراني، وهو شاب يدعى فريد ترامب Fred Trump، وكان ابناً لمهاجر ألماني، كما كان على وشك تكوين ثروة عن طريق بناء مساكن متواضعة في المنطقة نفسها من نيويورك التي أُرسلت إليها ماري ماكليود.

يبدأ الفصل الخاص بأسرة ترامب في القصة الأميركية الطويلة للعائلة من جدّ دونالد، فريدريك Friedrich. نشأ فريدريك في قرية تنتج الخمر وتقع جنوب غربي ألمانيا تدعى كالشتاد، وكانت القرية تبدو للوهلة الأولى خضراء ومزدهرة، لكنها كانت أصغر من أن تتسع لطموحات المراهق الذي سيصير جد دونالد ترامب لأبيه.

كان المنزل ذو السقف المنحدر والمؤلف من طابقين، الواقع في شارع فراينشيم حيث نشأ فريدريك، يبعد مسيرة بضع دقائق عن برج جرس كنيسة البروتستانت وسط قرية كالشتاد. وكان المنزل الذي يحوي غرفتين أو ثلاث غرف[١] نوم لإيواء عائلة مؤلفة من ثمانية أفراد لا يعطي الانطباع بأنه منزل أكبر صانع خمور، لكن آل ترامب، رغم أنهم لم يكونوا أغنى صانعي النبيذ في كالشتاد خلال أواخر القرن التاسع عشر، كانوا مع ذلك يحصلون على دخل لائق. وكانوا يملكون أراضي يزرعون فيها العنب، وكان منزلهم يضم عدة أبنية خارجية خاصة بالمواشي، وقبواً مقنطراً مجاوراً لغرف الطابق الأرضي حيث كان يتمّ فيه تخمير المحصول السنوي.

تقع قرية كالشتاد في منطقة بفالز، أو بلاتِنت، وهي منطقة خصبة ذات تضاريس متموجة في وادي الراين، تعود إليها جذور عدد من العائلات الأميركية-الألمانية، مثل عائلة ترامب، وأنشأ فيها النازيون لاحقاً طريق النبيذ Weinstrasse[٢] لتسويق المنتوج بعدما طردوا التجار اليهود المحليين. قد أوجدت الطبيعةُ الطبوغرافية السلسة في المنطقة، المحمية بجبال هاردت من الغرب، مناخاً شبيهاً بمناخ البحر الأبيض المتوسط، أو ما يُسمى منطقة توسكاني الألمانية، حيث تزدهر زراعة اللوز والتين والكستناء الحلوة. تنتج هذه المنطقة العنب منذ ألفي عام على الأقل، أي منذ بنى

١ زار المنزل فرانسيس سيللرز Frances Sellers من صحيفة **واشنطن بوست** بصحبة رولاند بول Roland Paul مدير the Institut fuer pfaelzische Geschichte und Volkskunde

2 http://www.deutsche-weinstrasse.de/.

الرومان فيلا فوق التل المشرف على القرية. كانت صفوف شجيرات العنب، الذي يُنتَج منه نبيذ ريسلنغ، تسير بخطوط متصالبة في الحقول، وتملأ قطع الأرض الصغيرة الواقعة بين بيوت القرية.

أدت سنوات الاضطرابات إلى فرار العديد من السكان، وبذلك ترسّخ تاريخ من الهجرة،[1] وهو ما دعم استقلالية العائلات التي ظلت في المكان. صار سكان كالشتاد، الودودين والفخورين بماضيهم المشترك، يُعرفون باسم Brulljesmacher، أو "المتبجحون". لا يُعرف بالضبط متى جاء آل ترامب لأول مرة إلى بلاتِنت أو متى استقر رأيهم على طريقة تهجئة اسم عائلتهم. عثر اختصاصيو أنساب العائلات والمؤرخون على عدة طرق لتهجئة الاسم، بما في ذلك: Dromb، Drumb، Drumpf، Trum، Tromb، Tromp، Trumpf، Trumpff.[2] نجد على شواهد القبور الأحدث في كالشتاد تهجئة الاسم Trump، رغم أن حرف P في نهاية الكلمة يُلفظ بلهجة بلاتِنت المحلية مشدداً، أي أقرب إلى Trump–h[3].

ولد فريدريك، الذي صار في ما بعد جد دونالد ترامب، في ١٤ آذار/مارس ١٨٦٩. كان طفلاً واهن القوى لا يناسب العمل الشاق الذي يقصم الظهر في الكروم. وكان في الثامنة من عمره عندما توفّي والده، جوهانسن، بسرطان الرئة. وجدت زوجته، كاترينا، نفسها وحيدة تدير عائلة مؤلفة من أطفال تتراوح أعمارهم بين عام وخمسة عشر عاماً، إضافة إلى إدارة مصنع الخمر. بدأت الديون تتراكم. أرسلت كاترينا فريدريك، ابنها الأصغر، وكان في الرابعة عشرة من عمره إلى دكان حلاق في فرانكينثال ليتدرب لمدة عامين.

رغم ذلك، لم يكن فريدريك يرى لنفسه أي مستقبل في قرية بلاتِنت، وقرر الانضمام

---

١ مقابلة أجريت في آذار/مارس ٢٠١٦، مع رولاند بول، مدير the Institut fuer pfaelzische Geschichte und Volkskunde

٢ أرشيف Freund لأبحاث الأنساب موجود على الشبكة العنكبوتية، جمعه كريستيان فرويند Christian Freud حفيد ابن إليزابيث ترامب فرويند، وحصل عليه من موقع **كالشتاد** توماس جارويك Thomas Jarowek في ٢٧ حزيران/يونيو، ٢٠١٠؛ و Gwenda Blair, *The Trumps* (New York: Simon & Schuster, 2000), 26.

٣ مقابلة أجراها فرنسيس سيللرز مع سيمون ويندل Simone Wendel مديرة Kings of Kallstadt, *Washington Post*, March 2016

إلى ركب الألمان الباحثين عن حياة أفضل في الولايات المتحدة. قطع فريدريك مسافة ٣٥٠ ميلاً صوب الشمال إلى بريمن ، وهو ميناء يعج بالمهاجرين، وصعد إلى ظهر سفينة أيدر Eider. كانت السفينة الألمانية، ذات المدختنين، العابرة للمحيط الأطلسي، متجهة نحو مدينة نيويورك، حيث سيلتحق بشقيقته الكبرى، كاترين، التي كانت قد تزوجت مهاجراً من كالشتاد. وصل فريدريك إلى نيويورك في التاسع عشر من تشرين الأول/أكتوبر ١٨٨٥. ورد في سجلات الهجرة[١] أن مهنته كانت "مزارعاً"، وأن اسمه كان فريدريك ترامبف Trumpf، لكنه سرعان ما صار يُعرف باسم ترامب، وكان لا يتجاوز السادسة عشرة من العمر.

مع ذلك، خلق سفر فريدريك إشكالاً له مع القانون الألماني، فقد كان القانون يقضي بفترة خدمة إلزامية مدتها ثلاث سنوات، ولكي يتمكن الشباب الذين في سنّ التجنيد من الهجرة، كان عليهم الحصول على إذن. لم يحصل الحلاق الصغير على الإذن، وهو ما أوجد وضعاً إشكالياً قوَّض أي أمل مستقبلي في العودة، فقد كان فريدريك ترامب مهاجراً غير شرعي.[٢] لحسن الحظ، لم يكن المسؤولون الأميركيون يكترثون للظروف التي غادر فيها ألمانيا، فقد كان قانون الهجرة الأميركي آنذاك يمنح الألمان وضعاً تفضيلياً، إذ كان هؤلاء ينظر إليهم على أنهم من العرق الأوروبي الأبيض المناسب الذي يتمتع بطبيعة تميل إلى التصنيع. كان فريدريك واحداً من مليون ألماني هاجروا إلى الولايات المتحدة عام ١٨٨٥، وهو عدد يفوق أي عدد سبق أن وصل إلى الولايات المتحدة في سنة واحدة.

وصلت سفينة آيدر إلى كاسل غاردن، نقطة العبور الرئيسية[٣] للمهاجرين قبل أن تفتتح الحكومة الفيدرالية نقطة إيليس أيلاند، عام ١٨٩٢. كان فريدريك قد غادر بلدة ريفية أوروبية لا يصل عدد سكانها إلى ألف نسمة ليجد نفسه وسط فوضى مدينة نيويورك التي كانت آنذاك تضم أكثر من مليون ومئتي ألف نسمة، كان ثلثهم مولودين خارج الولايات المتحدة. انتقل فريدريك للعيش مع شقيقته الكبرى وزوجها، فريد شوستر Fred Schuster، وانضم إلى مجتمع رفاقه المهاجرين من بلاتنت في الجانب

1 Freund Archive, "Passenger List," *SS Eider*, October 15, 1885.

٢ مقابلة مع بول.

3 Library of Congress, "*Rise of Industrial America*, 1876–1900."

الشرقي من مانهاتن، ثم بدأ العمل حلاقاً، لكنه لم يفلح في هذه المهنة.

كان فريدريك، شأنه شأن عديدين قبله، قد أغرته قصص اكتشاف الذهب والثروات الأخرى التي يمكن العثور عليها في الغرب. عام ١٨٩١، توجَّه الشاب الطموح -الذي تصفه وثيقة حكومية بأنه رجل يبلغ طوله خمسة أقدام وتسع بوصات، وذو جبهة عالية وعينين عسليتين وأنف مستقيم وذقن بارزة وبشرة سمراء ووجه نحيل[١]- إلى سياتل. كانت خطوط الترام تقطع تلك المدينة المزدهرة، التي يبلغ تعداد سكانها خمسين ألفاً، طولاً وعرضاً، كما كانت الأساطيل الكبير ترسو فيها. وجد فريدريك فرصة لتأمين الطعام والمأوى. افتتح دكاناً في شارع يضم صالات للرقص في منطقة سيئة السمعة، وغيَّر اسم منشأة معروفة باسم Poodle Dog[٢] ليصير Dairy Restaurant [مطعم منتجات الحليب]، الذي يوحي بالصحة السليمة، وبدأ العمل بين تجار الجنس والمقامرين الذين كانوا يملؤون المكان.

بدأ ترامب، بعد حصوله على الجنسية الأميركية في سياتل عام ١٨٩٢، الاستثمار في الأراضي. توجَّه إلى منطقة التعدين مونت كريستو، القابعة في سلسلة كاسكيد القريبة. كانت إحدى النقابات العاملة في نيويورك، والمدعومة من جون د. روكفلر John D. Rockefeller قد سمحت ببناء خط سكة حديد لنقل المعادن الخام من الجبال. ومثل ما تفادى فريدريك الكدح في كروم كالشتاد، لم يحاول الالتحاق بالعمل المضني وغير المجزي غالباً، في التنقيب عن الذهب والفضة. بدلاً من ذلك، بنى فندقاً وادّعى امتلاك الأرض بموجب حق المكتشف وذلك بصفقات تظللها الشكوك لكنها سمحت له بادعاء ملكية حقوق التعدين. في عام ١٨٩٦، فاز في الانتخابات التي كانت تُجرى لاختيار قاضي الصلح في مونت كريستو بنسبة ٣٢-٥.

بعدما عاد لمدة وجيزة إلى سياتل، التحق فريدريك بركب آلاف المهاجرين الذين سيّرتهم حمّى الذهب إلى كلونديك في منطقة يوكون، حيث افتتح مع شريكه مؤسسة أطلق عليها اسم "آركتيك" Arctic،[٣] وغيَّر الاسم لاحقاً إلى "وايت هورس" White

---

١ استمارة طلب جواز السفر التي قدمها فريدريك ترامب في ٢٦ أيار/مايو ١٩٠٤.

٢ يمكن الاطلاع على سرد لقصة سفر ترامب إلى الغرب في Blair, *Trumps*, 41-93.

3 *Yukon Sun*, April 17, 1900, https://news.google.com/newspapers?nid=3fE2CSJIrl8C&dat=19000417&printsec=frontpage&hl=en

Horse. هناك وصْف يضج بالحياة لفندق آركتيك الذي يؤمن الطعام والمبيت، وقد ظهر في صحيفة محلية، ويوحي بأن الفندق يقدم خدمات تلبي متطلبات العادات المريبة لعمال المناجم. وورد في صحيفة **يوكون صن** *Yukon Sun*، عام ١٩٠٠، أن "آركتيك، بالنسبة إلى الرجال العازبين، يحوي كل أسباب الراحة الفائقة وأفضل مطعم في بينيت، لكنني لا أنصح النساء المحترمات بالذهاب إلى الفندق للنوم لأنهن سيكنّ معرضات لسماع ما قد تمجّه مشاعرهن يصدر عن الفاسقات من بنات جنسهن".

باع فريدريك حصته في المنشأة بعدما بدأت السلطات التشديد على تعاطي المشروبات الروحية والقمار والدعارة. ومع أنه قد يبدو كأنه قد استقر تماماً في الولايات المتحدة، فإنه لم يكن قد نسي كالشتاد أو أصوله الألمانية، إضافة إلى أنه لم يكن قد تزوج حتى تلك اللحظة. امتلأ فراغ حياته خلال إحدى زياراته إلى كالشتاد، والتقى خلالها والدته، وحضر بعض حفلات الزفاف العائلية. في تلك الزيارة، التي حدثت عام ١٩٠١، التقى فريدريك بإليزابيت كرايست Elizabeth Christ، التي كانت آنذاك في الواحدة والعشرين، والتي ترعرعت في الجانب المقابل من الشارع الذي كانت تعيش فيه عائلة ترامب. في العام التالي، عاد فريدريك ليتزوجها ويعود بها إلى نيويورك حيث وُلدت أول طفلة لهما، واسمها إليزابيت أيضاً، عام ١٩٠٤.

رغم المجتمع المترابط للمهاجرين الآتين من كالشتاد في الجانب الشرقي الأدنى، لم تشعر إليزابيت كرايست ترامب بالألفة مطلقاً في نيويورك. وفي ١٩٠٤، جدّد فريدريك جواز سفره ليسافر إلى ألمانيا، وكتب في خانة المهنة "صاحب فندق" قائلاً إنه سيعود إلى الولايات المتحدة في غضون عام، لكنه في هذه المرة أحضر معه مدَّخراته إلى ألمانيا، وهي ثمانون ألف مارك تقريباً، أي ما يعادل عدة مئات آلاف الدولارات بأسعار عام ٢٠١٦. كان من دواعي سرور المسؤولين في كالشتاد، الذين أسعدهم الترحيب بالشاب الأميركي الثري العائد إلى قريتهم، الشهادة بأنه يتمتع بشخصية فاضلة وبالقدرة على إعالة أفراد عائلته، لكن المسؤولين في المناطق وعلى المستوى الوطني سألوا: لماذا لم يعد ترامب قبل ذلك الوقت لأداء الخدمة العسكرية؟ بالنسبة إلى هؤلاء، كان ترامب متخلفاً عن التجنيد، وضغطوا عليه ليغادر البلاد. في مطلع ١٩٠٥، تلقى ترامب إشعاراً بوجوب مغادرة البلاد قبل الأول من أيار/مايو،

وفي ٢٩ نيسان/أبريل، ردّ بأن طفلته الرضيعة كانت مريضة ولا يمكنها تحمُّل مشاق السفر. حصل على تمديد إقامة لمدة ثلاثة أشهر. في ٦ حزيران/يونيو،[1] جرّب ترامب محاولة أخرى للبقاء، وفي هذه المرة كتب رسالة شخصية إلى الوصيّ على إمارة بافاريا، لويتبولد Luitpold، الذي ينتمي إلى عائلة ويتلسباخ Wittelsbach، يصف فيها بتعابير يائسة متذللة كيف أنه وزوجته إليزابيت كانا يشعران بخوف يقعدهما عن الحراك لمجرد احتمال عودتهما إلى أميركا.

كتب يقول: "زوجتي العزيزة وأنا... من رعاياك الأوفياء المخلصين، مواطنان مثاليان من بلاتنت، بافاريّان صالحان يربطهما حبّ وتفانٍ لا حدَّ لهما بالأسرة الأميرية العظيمة آل ويتلسباخ الذائعي الصيت". وأضاف أنه مستعدٌ للتخلي عن حقه في العيش في الولايات المتحدة في حال استطاع تأمين إقامة دائمة في الأرض التي شهدت مولده، لكن لم يحالفه الحظ. في الثامن والعشرين من حزيران/يونيو، روَّض ترامب نفسه للعودة مباشرة إلى نيويورك مع إليزابيت التي كانت حاملاً آنذاك وابنتهما الصغرى. وصلت عائلة ترامب إلى نيويورك في منتصف الصيف واستقرت في شقة في حيّ تقطنه غالبية ألمانية في جنوب برونكس، حيث ولد ابنهما الأول في الحادي عشر من تشرين الأول/أكتوبر، وهو فريدريك كرايست ترامب، الذي صار في ما بعد والد دونالد ترامب.

في العشرين من كانون الأول/ديسمبر، فعل فريدريك ترامب محاولة أخيرة للحصول على حق العودة إلى موطنه. ومرة أخرى، رُفِضَ التماسه، ثم بحلول أيار/مايو ١٩٠٧، أُغلقت القضية. ظل فريدريك وإليزابيت ترامب في أميركا وربّيا أولادهما الثلاثة بصفتهما مواطنين أميركيين.

بعدما وجد فريدريك ترامب نفسه مسؤولاً عن أسرة تضم أطفالاً في موطنه الجديد، توجَّه إلى العمل في وول ستريت، لكن ليس مضارباً أو خبيراً مالياً، بل في مهنته الأصلية: حلاق. قصّ شعر عدد لا يحصى من سكان الجزء الأدنى من مانهاتن في مجمع صار في ما بعد معروفاً لحفيده. كان عنوان المجمع ٦٠ وول ستريت،[2] ولم

1 Freund Archive.

2 Blair, *Trumps*, 110.

يكن بإمكان فريدريك حتى أن يتخيل أن اسم العائلة، بعد قرن من الزمن، سيزيّن برجاً لا يبعد عنه كثيراً مؤلفاً من اثنين وسبعين طابقاً في ٤٠ وول ستريت، وهو برج ترامب.

في نهاية المطاف، عمل فريدريك مدير فندق، وانتقل للسكن في شارع جامايكا في كوينز في غمرة حركة ازدهار عمراني، وهي حركة أسهمت في إرساء أسس مستقبل العائلة وثروتها.

اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤. فجأة، وجد ترامب ومئات الآلاف من ذوي الأصول الألمانية أنفسهم هدفاً لحكومتهم. عام ١٩١٥، نشرت صحيفة أميركية-ألمانية، وهي *Fatherland*، قصة غلاف بعنوان "هل المواطنون من ذوي الأصل المختلط hyphenated، أميركيون صالحون؟"، وهو سؤال كان العديد من المواطنين ممن لا ينحدرون من أصول مختلطة يطرحونه في تلك المرحلة. كانت مجموعة من المتطوعين مُجازة من الحكومة تُدعى The American Protective League، وتضم ٢٥٠ ألف عضو، تتجسس على الأميركيين من أصل ألماني وسط مخاوف متنامية من أن عائلات المهاجرين كانت تعمل لمصلحة أرض الأجداد وضد موطنهم الجديد.

سريعاً صار استخدام اللغة الألمانية يواجَه بالسخط، وجرى إضفاء الطابع الأميركي على عدد من الأسماء الألمانية، وبدأ ذلك التوجه من قمة الهرم. في الرابع عشر من حزيران/يونيو ١٩١٧، أي بعد شهرين من دخول الولايات المتحدة معترك الحرب العالمية الأولى، أعلن الرئيس وودرو ويلسون Woodrow Wilson، قائلاً: "لقد ملأ القادة العسكريون الألمان مجتمعاتنا الغافلة بجواسيس[1] وبمتآمرين أشرار، وسعوا إلى إفساد آراء شعبنا". عُرِفَ ذلك الخطاب باسم خطاب يوم العَلَم Flag Day Speech، وكانت لحظة سيتذكرها الأميركيون الألمان لمدة طويلة. قويت الآراء المناهضة للألمان في السنوات التي تلت، عندما أيقظت الحربُ العالمية الثانية مشاعرَ العداء، وهكذا قضى فريد ترامب، والد دونالد، الشطر الأكبر من حياته متخذاً موقف الدفاع عن جذوره، وكان يصر أحياناً على أن عائلته من أصل سويدي، وهو ادعاء كرّره ابنه، ولكن لم يحدث مطلقاً أن جرى نقاش جدي بشأن طرد الألمان. في نهاية المطاف،

1 "War Hysteria and the Persecution of German Americans,"AuthenticHistory.com; and "Wilson Declares Berlin Is Seeking Deceitful Peace," *New York Times*, June 15, 1917.

امتزج ترامب مع غيره داخل البوتقة التي تسمى أميركا.

بعد مدة وجيزة من دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى، كان فريدريك ترامب، الذي كان في التاسعة والأربعين آنذاك، يسير في شارع جمايكا مع ابنه فريد، الذي كان في الثانية عشر من عمره. ذكر الوالد عَرَضاً أنه ليس على ما يرام. وصل إلى المنزل، وأوى إلى فراشه، وسرعان ما فارق الحياة.[١] كان قد أصيب بوباء الإنفلونزا الذي كان منتشراً في كل نواحي العالم. خلّف فريدريك لأسرته أملاكاً لا بأس بها، وتولّت زوجته إليزابيت بنفسها إدارة مشاريع الأعمال العقارية الخاصة بالعائلة، وأطلقت على الشركة اسم E. Trump & Son. كان ابنها الأكبر، فريد ولوعاً بتجارة البناء، وسرعان ما صار له دور أساسي في الشركة التي كانت تديرها والدته. وبما أنه اضطلع بمسؤولية كبيرة وهو في سن صغيرة، فإنه أتقن عمله، وكان مصمماً على أن يصير من كبار مقاولي البناء في مدينة نيويورك التي ازدهرت فيها الأعمال بعد انتهاء الحرب. بنى فريد منزله الأول وهو في السابعة عشرة من العمر، ثم بنى منزلاً آخر وآخر، وكان يستخدم الأرباح التي يحصل عليها من بناء منزل ما لتمويل بناء المنزل التالي.

عندما كان فريد يجول ببصره في مدينة نيويورك في عشرينيات القرن الماضي، كان يرى فيها مجالاً لاقتناص الفرص. كانت منطقتا بروكلين وكوينز لا تزالان تضمان مساحات كبيرة لم يجرِ استغلالها، وكانت حافلات الترام وقطار الأنفاق تمتد بعيداً إلى أعماق المناطق الخارجية فاسحةً المجال لتطوير مناطق جديدة. كان عدد سكان كوينز،[٢] حيث عمّر ترامب معظم أبنيته الأولى، قد ازداد إلى أكثر من الضعف، أي من ٤٦٩ ألف نسمة في عام ١٩٢٠ إلى مليون ومئة ألف نسمة في عام ١٩٣٠، وظلّ العرق الأبيض يمثل ٩٩٪ من السكان خلال ذلك العقد.

حتى مع وجود ذلك الفصْل، كانت التوترات العرقية والإثنية تغلي وتفور. بعد أيام الشغب التي رافقت مؤتمر الحزب الديموقراطي عام ١٩٢٤، لم تكفّ منظمة

---

١ روى فريد ترامب، في ١٩٩١، في مقابلة مع مؤرخ السِيَر، بلير، قصة وفاة فريدريك ترامب Blair, .Trumps, 116

2 US Census figures, http://www.census.gov/population/www/documentation/twps0076/NYtab.pdf

"كوكلاكس كلان" عن ترداد نغمة أولوية مصالح أهل البلاد على مصالح غيرهم. عادت التوترات لتصل ذروتها مجدداً في الثلاثين من أيار/مايو ١٩٢٧، وذلك اثناء إحدى مسيرات يوم الذكرى Memorial Day التي كانت قد اتخذت مسارها عبر الحي الذي يقطنه فريد ترامب في كوينز. كانت دوائر الشرطة تشعر بالقلق منذ أسابيع جراء خشيتها من أن تحاول "كوكلاكس كلان" السيطرة على الحدث، وكانت قد أعلنت أن بإمكان أعضاء المنظمة المشاركة في المسيرة في حال موافقتهم على التخلي عن أرديتهم وقلنسواتهم البيضاء. انضم ترامب، الذي كان آنذاك رجلاً بروتستانتياً في الواحد والعشرين من عمره يدير الشركة العائلية، إلى عشرات الآلاف من سكان نيويورك الذين شاركوا في المسيرة، لكن أعضاء المنظمة لم يبالوا بتحذيرات رجال الشرطة. ارتدوا أرديتهم وقلنسواتهم وحملوا علماً أميركياً ضخماً ووزعوا مناشير في الحي الذي كان يقطن فيه ترامب يزعمون فيها أن رجال الشرطة الكاثوليك كانوا لا يكفون عن مضايقة "الأميركيين البروتستانت المولودين في أميركا". ناشدت المنظمة "سكان منطقة كوينز ذوي التفكير النزيه أن اتَّخذوا موقفاً دفاعياً لمصلحة المبادئ الأساسية لبلدكم". كان هذا التكتيك المعهود للمنظمة يحاول تحريض الكاثوليك ضد البروتستانت واستثارة المشاعر المناوئة للمهاجرين.

بعد غرس بذور الصدام، تجمّع أكثر من ألف عضو من "كوكلاكس كلان" عند تقاطع شارع جامايكا مع الشارع الخامس والثمانين، حيث كان مقرراً أن تنطلق مسيرة يوم الذكرى. شعر رئيس فرقة الشرطة بغضب شديد عندما لاحظ أن أعضاء المنظمة تحدّوا أوامره وارتدوا أرديتهم وقلنسواتهم. اندفع أحد رجال الشرطة وهو يمسك هراوته نحو أحد أفراد المنظمة وكان يرتدي القلنسوة وأوشك أن ينهال بها على رأسه عندما التقط أحدهم صورةً لهذه اللحظة نُشرت في صحيفة **بروكلين ديلي إيغل** *Brooklyn Daily Eagle*. ورد في صحيفة **نيويورك تايمز** في اليوم التالي: "كانت النساء تتقاتل مع النساء، وكان المتفرجون يتقاتلون مع رجال الشرطة ومع أعضاء الكوكلاكس كلان، كلٌ حسب هواه. انهزم المقاتلون ومُزِّقت رايات الكوكلاكس كلان". تورط فريد ترامب في معمعة تلك الفوضى، واعتُقل.

كانت التهمة الموجهة إلى ترامب "رفْض الانصراف من مسيرة بعدما طُلِب منه

ذلك"، لكن إحدى الصحف الصادرة في كوينز، وهي **ديلي ستار** *Daily Star*، ذكرت أن التهمة سرعان ما أُسقطت. لم تذكر التقارير الصحافية هل كان ترامب مع أو ضد "كوكلاكس كلان"، أو هل كان في المسيرة لمجرد الفرجة، لكن مضمون قصة الصحيفة المذكورة يشير إلى أنه قد اتُّهم دون وجه حق. ومهما كانت حقيقة ما حدث، فإن المسيرة والاعتقالات أكّدت أن "كوكلاكس كلان" كانت لا تزال منظمة مهمة[1] وذات نفوذ، كما بدا واضحاً لدى فرض حصص للهجرة بعد عامين.

في تلك الأثناء، كان ترامب يتابع منهجه في بناء إمبراطوريته؛ كان يشتري الأراضي الخالية من الأبنية ومعظمها في كوينز. حتى عندما كان الكساد ينهك نيويورك، كان لا يتوقف عن البحث عن فرص. عندما تراجعت مبيعات المنازل، استثمر ترامب في المجال الذي صار لاحقاً دكاكين البقالة المزدهرة في المدينة. في آذار/مارس ١٩٣١، وعندما كان الكساد في أسوأ مراحله، أعلن ترامب أنه بصدد الانتهاء من تنفيذ مشروع مترف في منطقة جمايكا إستيتس[2] في كوينز، وقال إنه يتوقع بناء ما قيمته ٥٠٠ ألف دولار من المساكن خلال بضعة أشهر. ورد في صحيفة **نيويورك تايمز** التي كانت أخبارها الأخرى في ذلك اليوم تبعث على الكآبة، أن "المنازل كانت مصممة على الطراز الإنكليزي التيودوري English Tudor والطراز الجيورجي الكولونيالي Georgia Colonial".

كان ترامب يعثر على الفرص في أحلك الظروف. عندما انهارت شركة رهونات تدعى Lehrenkrauss & co. نتيجة اتهامات وُجِّهت إليها بالاحتيال، سارع ترامب وأحد شركائه للاستيلاء على شركة تابعة لها تمتلك حقوقاً شرعية في الممتلكات التي حُجِزَ عليها. استفاد ترامب من المعلومات التي حصل عليها بهذه الطريقة لشراء منازل كانت تواجه الرهن، وبذلك وسَّع ممتلكاته العقارية بأملاك اشتراها بأثمان بخسة من

1 "Four in Klan Riot Held for Hearing on Police Charge," *New York Daily Star*, June 1, 1927; "Warren Criticizes 'Class' Parades," *New York Times*, June 1, 1927; "Two Fascisti Die in Bronx, Klansman Riot in Queens, in Memorial Day Clashes," *New York Times*, May 31, 1927; and "Warren Ordered Police to Block Parade by Klan," *Brooklyn Daily Eagle*, May 31, 1927

بعد سنوات، أكد دونالد ترامب أن والده لم يُعتقل أبداً، لكن تبيَّن التقارير الصحافية أنه رغم اعتقال الوالد، فإن التهمة سرعان ما أُسقطت، وبذلك هي لا تستحق الذكر.

2 "Jamaica Estates Is Active," *New York Times*, March 22, 1931.

أناس لم يكن أمامهم خيار سوى البيع.

في زمن الدمار المالي، عندما ارتفعت نسبة البطالة إلى ٢٥٪ وغصّت الشوارع بطوابير المتعطلين عن العمل، برز ترامب بوصفه واحداً من أنجح رجال الأعمال الشباب. ومع تعافي الاقتصاد، تمكن من انتزاع المزيد من الممتلكات، وبناء المزيد من المنازل في كوينز مصممة وفق الطراز التيودوري. بدأ ترامب، عام ١٩٣٥، التركيز على منطقة بروكلين، وباع ثمانية وسبعين منزلاً[1] خلال عشرين يوماً، كان سعر البيت ٣٨٠٠ دولار. وسرعان ما ارتفع عدد المنازل التي كان يبيعها إلى آلاف.

في أحد الأيام، ارتدى ترامب بدلة أنيقة وشذّب شاربيه المنمقين وذهب لحضور حفلة في مكان قريب من منزله. شاهد شقيقتين، واسترعت الصغرى انتباهه. كان اسمها ماري آن ماكليود. كانت ماري خلال السنوات التي انقضت منذ وصولها إلى الولايات المتحدة قد ذهبت عدة مرات لزيارة قريتها الصغيرة في جزيرة لويس، الواقعة ضمن جزر أوتر هبرديس، دون أن تدري ماذا يخبئ لها القدر. كانت يومها على وشك الذهاب في زيارة أخرى إلى القرية عندما اصطحبتها شقيقتها الكبرى، كاثرين، إلى الحفلة في كوينز. قضت ماري ماكليود، وكانت آنذاك في الثالثة والعشرين، وفريد ترامب، وكان آنذاك في الثلاثين، الأمسية معاً، وسرعان ما حدث التوافق بين الخادمة ورجل الأعمال البارز. عندما عاد فريد تلك الليلة إلى المنزل الذي يعيش فيه مع والدته، أعلن الخبر: لقد التقى بالمرأة التي سيتزوجها.[2]

تمّت مراسم الزواج في الحادي عشر من كانون الثاني/يناير ١٩٣٦ في الكنيسة المشيخية Presbyterian في شارع ماديسون، في مانهاتن، وأعقب ذلك حفل استقبال أقيم في فندق كارلايل Carlyle Hotel، وهو مبنى أنيق مبني على طراز ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين وكان قد افتتح قبل ستة أعوام. ذهب العروسان لقضاء شهر عسل قصير، وسرعان ما عاد فريد إلى العمل. بعد مدة وجيزة، أعلن فريد، الذي كانت الصحف تصفه آنذاك بأنه رئيس شركة Trump Holding Corp.، في جامايكا، أنه يبني اثنين وثلاثين منزلاً في فلاتبوش، ضمن "مشروع سكني حصري". مع اقتراب الحرب

1 Richard J. Roth, "Trump the Builder Plays Mothers as Ace Cards," *Brooklyn Daily Eagle*, May 14, 1950.

2 Blair, *Trumps*, 148.

العالمية الثانية، قال ترامب متبجحاً إن خطر القتال الماثل كان عاملاً مساعداً لمجال الأعمال. وأضاف في محاولة لإغراء الناس من أجل زيادة مبيعاته: "أعتقد أنه في حال اندلاع الحرب، سوف تكون الأرباح أسرع وأكثر".[1] ربما كانت تلك الملاحظة خرقاء لكن ثبتت صحتها، على الأقل بالنسبة إلى شركته. أظهر ترامب موهبة في فن البيع والعرض، فقد رفع رايات طولها خمسون قدماً رآها "ملايين" السابحين على شواطئ المدينة. وكان يروّج للمنازل التي يبنيها من يخت طوله خمسة وستون قدماً يذيع الموسيقى والدعايات فيما امتلأ الجو بـ"آلاف البالونات على شكل السمك"،[2] وكانت النتيجة حدوث "سلسلة من الأحداث التي كادت تتطور إلى أعمال شغب" أثناء محاولات الناس التقاط تلك التذكارات. وجد الأشخاص، الذين تمكنوا من التقاط البالونات، قسائم تمنحهم خصماً لدى شراء المنازل. ضَمنَ عرضُ ترامب المُقام على القارب، كما أُطلِق على هذا البذخ في التسويق، انتشارَ اسم العائلة في كل نواحي المدينة الكبيرة.

ركزت ماري ترامب على دورها الجديد بصفتها زوجة وأمّا لعائلة رزقت في ما بعد بخمسة أطفال. في الرابع عشر من حزيران/يونيو ١٩٤٦، وُلِدَ الابن الرابع للعائلة. أطلق عليه فريد وماري اسم دونالد جون ترامب. كان هذا الطفل سيضمن دوام اسم العائلة طويلاً بعدما تغيب قصص هجرة أسلافه من الذاكرة.

---

1 "Trump Expects War Scare Will Aid Homes Sales," *BrooklynDaily Eagle*, April 23, 1939.

2 "Show Boat Tells Bathers about Trump Flatbush Homes, "*Brooklyn Daily Eagle*, July 16, 1939.

الفصل الثاني

القنابل النّتنة والمُديات النابضة وبذلةٌ من ثلاث قطع

عام ١٩٥٨، كان هناك صبيّان في الثانية عشرة من عمرهما متعطشان للمغامرة يعيشان على أطراف منطقة كوينز المنخفضة الهادئة، وكانا يحبّان ركوب القطار E المتجه إلى مانهاتن، جزيرة الأحلام الغريبة المحلّقة في السماء، التي كانا يعرفانها باسم "المدينة the City". لم يكن دونالد ترامب وبيتر برانت Peter Brant يطلبان إذناً من والديهما للسماح لهما بتلك الرحلات القصيرة التي كانا يفعلانها ظهر أيام السبت، فقد كان الرد المتوقع هو الرفض القاطع.

كانت مانهاتن منطقة بعيدة وخطيرة ومضطربة وتحوي خليطاً متنافراً من رجال أشبه بالأبطال المتفوقين في مجلات القصص المصورة، ومن أصحاب الملايين والمحتالين ونجوم السينما ورجال العصابات، ونماذج أخرى أسوأ بكثير.

بالنسبة إلى الصبيين، كان ذلك المزيج من السحر والخطر يمثّل جزءاً من الإغراء. فلم تكن ساحة تايمز قد صارت بعد الزقاق الخلفي الأشهر في البلاد، وسوقاً مفتوحة للجنس وللأجواء الوضيعة، بعدما انحدرت إلى ذلك الدرك في أواخر ستينيات القرن العشرين. أما في ١٩٥٨، فكانت حياً يسير سريعاً في طريق الانحدار، حيث ينتشر المشاة على أرصفتها وتمتلئ دكاكينها ببضائع طريفة وغريبة. كانت دكاكين ساحة تايمز تأسر اهتمام دونالد وبيتر، فقد كانا يبتاعان منها القنابل ذات الرائحة النتنة

والألعاب التي تصدر أزيزاً عند المصافحة والقيء المزيف، وهي الأدوات الملائمة للمزاح مع أصدقائهما في المدرسة.

بعد الترجّل من القطار قبل بضعة أبنية من الساحة، عند الشارع الثالث والخمسين والجادة الخامسة، كان الصبيّان يصعدان درجات المحطة ليجدا نفسيهما في دوامة مثيرة من أبواق السيارات الناعقة وصفّارات رجال الشرطة وبائعي النقانق، في ضبابية بشرية تأخذ الألباب.[١] كانت مانهاتن، بالنسبة إلى الولدين، حقل اختبار، وحدوداً أخرى ينبغي اقتحامها. كان دونالد ترامب صبياً طويلاً نحيلاً في مستهل سن المراهقة، وكان يعيش في حيّ لم تكن أعلى الأبنية فيه تتجاوز بضعة طوابق. على حدود المدينة مع ضاحية لونغ آيلاند، كانت منطقة جمايكا إستيتس مأهولة بسكان معظمهم من اليهود والكاثوليك المنتمين إلى الطبقة الوسطى وطبقة أصحاب الدخل المرتفع. كانت الشوارع محاطة بمرج مشذب أمام أبواب المنازل، كما كانت أشجار السنديان الكثيفة والمنازل الجميلة تتوزع في المنطقة، وضمن أكبر تلك المنازل كان المنزل الذي بناه فريد ك. ترامب.

بعد معاناة طويلة خلال فترة الكساد والحرب العالمية الثانية، كان الجزء الأكبر من نيويورك يعيش مرحلة ازدهار، إذ كانت تضم أكثر المرافئ حيوية في العالم، كما كانت تضم مصانع، فضلاً على كونها مركزاً مالياً. كان أكثر من ربع الشركات الخمسمئة،[٢] التي تُعتبر الأهم في البلاد، وهي قائمة تضم شركات IBM وRCA وUS Steel، قد نقلت مقراتها الرئيسية إلى المدينة التي غدت عاصمة العالم. انتشر الرخاء إلى ما بعد مانهاتن. وإثر عودة الجنود الذين شاركوا في الحرب إلى أحيائهم في كوينز وبروكلين، لاحظ فريد ترامب نشوء سوق نامية للمنازل السهلة البناء ذات الأسعار المتواضعة، التي كان سكان نيويورك يسمونها "خرائب ترامب المقامة على قوائم خشبية" "Trump's dumps on Stumps".[٣] في باث بيتش، وهو حيٌّ يقع على حدود خليج غرافيسند في بروكلين، خطّط فريد ترامب لإنشاء أكثر مشاريعه طموحاً حتى اليوم، وهو مجمّع يضم اثنين وثلاثين بناء بستة طوابق -بلغ مجموع الوحدات السكنية

١ مقابلة مع بيتر برانت، نيسان/أبريل ٢٠١٦.

2 Ric Burns documentary *New York: The Center of the World.*

٣ مقابلة مع فرانك بريغز Frank Briggs، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

١٣٤٤ وحدة- ليؤجر فيها المساكن بمبلغ لا يتجاوز ستين دولاراً.[١]

عندما ولد دونالد، بعد أقل من عام على انتهاء الحرب العالمية الثانية، كان فريد وماري ترامب وأطفالهما الأربعة يعيشون في مبنى على الطراز التيودوري الحديث في ويرهام بليس، الذي لا يبعد عن شارع غراند سنترال باركوي، وهو شارع عام رئيسي، سوى بضعة أبنية، ولكن عندما كانت ماري حاملاً بطفلها الخامس روبرت، اشترى فريد قطعتي أرض متجاورتين مواجهتين للساحة الخلفية للمنزل، وبنى منزلاً في ميدلاند باركوي يضم ثلاثاً وعشرين غرفة. كان المنزل أشبه بمزرعة جنوبية، فقد كانت سبع عشرة درجة من القرميد تصعد المنحدر الواصل إلى الباب الأمامي المؤطّر برواق معمّد على الطراز الكولونيالي، تعلوه قمة من الزجاج الملون، وتحيط به ستة أعمدة بيضٌ مهيبة. كان المنزل حديثَ سكان الحي، من محامين وأطباء ورجال أعمال كبار، إن لم يكن لحجمه، فلثروة فريد ترامب التي لا تخطؤها عين، كما يتبيّن من سيارة الكاديلاك الكبيرة الفخمة الكحلية اللون، التي تقف في الممشى المؤدي إلى الباب الأمامي، وهي تحمل لوحة تُبرز الأحرف الأولى من اسم فريد: FCT.

كان لدى آل ترامب أشياء أخرى لم تكن متاحة لكثيرين، فقد كان لديهم سائق وطباخة ونظام اتصال داخلي وجهاز تلفزيون ملون وقطار كهربائي يسير في كل الاتجاهات، إذ كان مثار حسد الجيران. في ما بعد، وبينما كان أصدقاء دونالد يقودون دراجات Schwinn، كان يتجول وهو يقود دراجة سباق إيطالية تسير بعشر سرعات،[٢] لكن الثروة لم تكن الشيء الوحيد الذي ميّز آل ترامب. فعندما طلب فريد ترامب إذناً من جارته شافا بن-عموس Chava ben-Amos، لتركيب هوائي تلفزيون على سطح منزلها، ظناً منه أن زيادة الارتفاع ستؤدي إلى تحسين إشارة الاستقبال، وافقت الجارة، ولكن عندما أخبرها فريد أنه لن يسمح لها بوصل الهوائي بجهاز التلفزيون الخاص بها، أخبرته أنها سحبت موافقتها.[٣]

يبدو أن أولاد فريد ترامب ورثوا عنه تعامله بجفاء مع الجيران. فعندما سقطت كرة أحد الجيران، دون قصد، في الساحة الخلفية الفسيحة لمنزل آل ترامب، تذمّر

1 Blair, *Trumps*, 168.

٢ مقابلة مع ستيفن ناشتيغال Steven Nachtigall، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٣ مقابلة مع شافا بن-عموس وابنها أومري بن-عموس، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

دونالد الطفل قائلاً: "سوف أخبر والدي.[1] سوف أستدعي الشرطة". هناك جار آخر، وهو دينيس بيرنهام Dennis Burnham، نشأ في منزل قريب من منزل آل ترامب. روى بيرنهام أنه عندما كان طفلاً صغيراً، اعتادت والدته وضْعَه في ساحتها الخلفية داخل محبس صغير مع ألعابه. ذات يوم، دخلت الأم إلى المنزل لدقائق، ثم عادت لتجد أن ترامب -كان في الخامسة أو السادسة من العمر آنذاك- قد جاء إلى ساحتها الخلفية وأخذ يرمي طفلها بالأحجار.[2] كانت جرأة دونالد تثير دهشة فرانك بريغز Frank Briggs، وكان جليسه في بعض الأحيان. في أحد الأيام، وكان وقت الغسق، اصطحب بريغز دونالد إلى بالوعة مجارير قيد الإنشاء في فوريست هيلز. ظل الاثنان تحت الأرض لمدة ساعتين. يتذكر بريغز ما حدث يومها: "فجأة، ساد ظلام دامس، ولم يعد بالإمكان رؤية المدخل أو رؤية أي شيء. ما أدهشني هو أن دوني لم يشعر بالخوف، بل تابع المسير".[3]

عندما بلغ دونالد سن الذهاب إلى روضة الأطفال، أرسله والداه إلى مدرسة Kew-Forest الخاصة، حيث كانا قد سجلا شقيقه الأكبر، فريد الابن، وكان صبياً مرحاً يحلم في أن يصير ربان طائرة،[4] كما كانت شقيقتاه اللتان تكبرانه سناً، ماريان، التي ورثت دينامية والدها، وإليزابيث، التي ورثت طبع والدتها المتفائل، في المدرسة نفسها. في المدرسة الثانوية، برزت ماريان، التي كانت تحلم بأن تصير محامية وقاضية فيدرالية، بوصفها النجمة الأكاديمية للعائلة. فانضمت إلى فريق المناظرة في مدرسة Kew-Forest وإلى مجلس الطلبة، وكانت تَنظُم الشعر. كتبت مقطعاً حزيناً بعنوان "وحدها Alone"،[5] وقد نُشر في الكتاب السنوي للمدرسة.

"في باحة المدرسة المألوفة، حيث كانت مجموعات الشبان والشابات يتوقفون لتبادل الأحاديث والضحكات، ثم يذهبون لرؤية أصدقاء آخرين، تقف هي دون أن

1 "Donald Trump's Old Queens Neighborhood Contrasts with the Diverse Area around It," *New York Times*, September 22, 2015.

٢ مقابلة مع دينيس برنهام Dennis Burnham، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٣ مقابلة مع بريغز.

4 Donald Trump with Tony Schwartz, *Trump: The Art of the Deal* (New York: Ballantine Books, 1987), 70.

5 1954 Kew-Forest yearbook, 72.

يكترث بها أحد. وحدها، دون أصدقاء، لا يمكنها حتى أن تأمَل في الانضمام إلى مجموعتهم السعيدة وهم يسيرون نحو دكان الحلوى عند زاوية الشارع".

كان دونالد يقضي معظم وقته مع روبرت، شقيقه الأصغر، وهو طفل هادئ حساس[1] وضحية سهلة لشقيقه الأكبر ذي الميول العدوانية. بعدما صار دونالد رجلاً، كان يحب أن يروي كيف استولى على قطع البناء التي كان روبرت يملكها وألصقها بقطعه، وكان مسروراً بما فعل. ويضيف: "هكذا، كانت نهاية قطع البناء التي كان يملكها روبرت".[2]

في مدرسة Kew–Forest، اضطر دونالد إلى التقيّد بقواعد محددة لارتداء الملابس -سُتَر وربطات عنق للصبيان، وتنانير للفتيات- والتزام قوانين صارمة، بما في ذلك الطلب من التلاميذ الوقوف عند دخول المدرّس إلى غرفة الصف. قاوم دونالد وأصدقاؤه، منذ البداية، أوامر المدرسين، وكانوا يثيرون الشغب في غرفة الصف بتعليقاتهم البارعة وسلوكهم الجامح. يتذكر بول أونيش Paul Onish ما كانوا يفعلونه، فيقول: "كنا نرمي كرات الورق بعد مضغها بلعابنا،[3] ونتسابق بمقاعدنا ونتصادم بها. كان دونالد يمضي أوقاتاً طويلة في غرف العقاب لدرجة أن أصدقاءه كانوا يطلقون على تلك الغرف، من باب التندر، أمكنة عقاب DTs، اختصاراً لاسم دوني ترامب Donny Trump's".

مع ذلك، لم يكن زملاؤهم في الصف معجبين دائماً بسلوكهم التهريجي. فعندما كان ترامب في الصف الثاني، وبعدما جذب شعر زميلته شارون مازاريللا Sharon Mazzarella، رفعت الفتاة علبة الغداء المعدنية التي كانت تحملها وضربته بها على رأسه بكل قواها،[4] لكن سلوك دونالد لم يكن ليتغير مهما تكن العواقب. تقول آن تريز Ann Trees، وهي مدرّسة في Kew–Forest وكانت تشرف على الطلاب في الكافتيريا، إنه "كان عنيداً ومتهوراً،[5] وكان يجلس وقد شبك ذراعيه، وقد ارتسم ذلك التعبير على

1 Blair, *Trumps*, 231.

2 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 72.

٣ مقابلة مع بول أونيش، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٤ مقابلة مع شارون مازاريللا، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٥ مقابلة مع آن تريز، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

وجهه -يمكن أن أصفه بالتعبير الفظ- كأنه يتحداك أن تقول شيئاً لا يروقه". ويقول ستيفن ناشتيغول Steven Nachtigall، الذي كان يعيش في منزل لا يفصله سوى بضعة أبنية عن منزل آل ترامب في جمايكا إستيتس، إن انطباعه عن ترامب قد تأكد عندما شاهده يقفز من فوق دراجته بعد ظهر ذات يوم ويلكم صبياً آخر. يتذكر ما حدث بعد ستة عقود: "كان الأمر أشبه بلقطة سريعة من فيلم، لا يفارق تفكيري حتى الآن، لأنني أعتقد أن الأمر كان غريباً ومخيفاً في ذلك السن".[1]

رغم هذا، الأمر كما يصفه ترامب، كان أن تركيزه الأساسي في المرحلة الإعدادية ينصبّ على "إثارة الإزعاج لأنني، لسبب ما، كنت أحب تعكير الأجواء، وأحب اختبار الناس... لم أكن خبيثاً[2] بقدر ما كنت عدوانياً". ويروي كيف أنه عندما كان في الصف الثاني لكَم مدرّس الموسيقى وسبب له "كدمة زرقاء حول عينه"... "لأنني لم أكن أعتقد أنه يفقه أي شيء في الموسيقى، كدت أُطرَد من المدرسة جراء ذلك. لست فخوراً بما فعلت، لكن ذلك يمثّل دليلاً واضحاً على أنني كنت منذ طفولتي ميالاً إلى الوقوف في وجه الآخرين والتعبير عن رأيي بأسلوب بالغ القوة"،[3] لكن بيتر برانت، وهو أعز أصدقاء دونالد في مدرسة Kew–Forest، والعديد من أصدقائه الآخرين، لا يتذكرون الحادثة، ولا يتذكرون أنه رواها سابقاً.[4] عندما سئل ترامب عن الحادثة ثانية بعد عقود، قال: "عندما أقول لكمت، في تلك السن لا يستطيع أحد اللكم بقوة، لكنني كنت صعب المراس في المدرسة".[5]

أيضاً، المدرّس تشارلز ووكر Charles Walker، الذي توفي عام ٢٠١٥، لم يخبر أي فرد في أسرته أن تلميذاً ضربه. مع ذلك، كان احتقاره لدونالد واضحاً. قال ذات مرة: "كان مزعجاً.[6] هناك أطفال ينبغي ألا نغفل عنهم. كان هو واحداً من هؤلاء". قبيل وفاته، وعندما كان يرقد في سريره في المستشفى، سمع ووكر تقاريرَ تفيد بأن

١ مقابلة مع ناشتيغول.

2 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 72.

٣ المصدر السابق، ص ٧١-٧٢.

٤ مقابلة مع بيتر برانت ومارك غولدنغ Mark Golding وإيريك سيفين Irik Sevin في نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٥ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن.

6 "Public Lives: Musical M.C. for Silk Stocking District," *New York Times*, February 23, 2000.

ترامب كان يفكر في الترشح للرئاسة. فقال لأفراد أسرته: "عندما كان هذا الرجل طفلاً في العاشرة، كانت تفاهته واضحة حتى في تلك السن المبكرة".[1]

كانت علامات ترامب متدنية، وكثيراً ما جلب له سلوكُه الملامة، لكنه برز في صالة الألعاب الرياضية وملاعب الكرة، حيث تجلت براعته الرياضية بوضوح. في لعبة دودج بول dodgeball، كان من المعروف عن دونالد أنه يقفز في الهواء عمودياً ويثني ركبتيه إلى الأعلى[2] ليتفادى ضربة الكرة. يقول أحد رفاق صفه، وهو كريسمانشيرف Chrisman Scherf، مستذكراً اسم التحبب الذي كان ينادي به ترامب: "كان ترومبيت على الدوام الرجل الذي يصمد حتى اللحظة الأخيرة".[3] كان دونالد وأصدقاؤه يلعبون البنش بول punch ball وكرة السلة والركبي وكرة القدم، لكن رياضته المفضلة كانت البيسبول، وقد ألهمته هذه اللعبة قصيدة بسيطة أشبه بأدبيات طائفة Zen[4] نُشرت في الكتاب السنوي للمدرسة:

> أحب رؤية ضربة بيسبول ورؤية اللاعب يلتقطها بقفازه... عندما تكون النتيجة ٥–٥، أشعر برغبة في البكاء. عندما تبدأ جولة جديدة، أشعر بأنني أتمنى الموت. ثم يخطئ اللاعب التقاط الكرة، فهو لا يشبه في شيء يوغي بيرا Yogi Berra. تنتهي المباراة ونقول غداً يوم آخر – دونالد ترامب

في منتصف خمسينيات القرن العشرين، كانت مدينة نيويورك مقصد محبي لعبة البيسبول الذي لا يُنازع في أميركا. كان فريق يانكيز Yankees في برونكس، وفريق دودجرز Dodgers في منطقة بروكلين، والجيانتس Giants، في مانهاتن العليا. في أحد أيام خريف ١٩٥٦، عندما كان دونالد في العاشرة من عمره، اصطف مع زملائه تلاميذ مدرسة Kew–Forest خارج بناء المدرسة لتحية الرئيس أيزنهاور[5] حينما كان

---

١ مقابلة مع بيتر ووكر Peter Walker ابن تشارلز ووكر، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٢ مقابلة مع برانت.
٣ مقابلة مع كريسمانشيرف، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
4 1958 Kew–Forest yearbook, 93.
٥ مقابلة مع برانت.

ماراً بسيارته الفارهة Chrysler Imperial التي كانت تقلّه لرمي الكرة الأولى الاحتفالية في مباريات Yankee–Dodgerworld Series. كان يوغيبيرا، من فريق يانكس Yanks، وروي كامبانيللا Roy Campanella، من فريق دودجرز، وكلاهما لاعبا التقاط الكرة، هما اللاعبين المفضلين لدى دونالد، وكان يتابع إنجازاتهما البطولية عن طريق راديو ترانزستور يدخله إلى غرفة الصف خلسة ويدس شريط السماعة تحت كمّ قميصه.

في الصف السادس، كانت إمكانات دونالد كمهاجم اليمين مخيفة لدرجة كان معها خصومه يتحولون إلى المجال الأيسر لصد الكرة التي يرميها. يقول نيكولاس كاس Nicholas kass، الذي كان يكبره بعامين: "إذا ضرب الكرة نحو اليمين، كان بإمكانه أن يركض إلى نقطة الانطلاق بسبب فراغ المكان هناك من اللاعبين، لكنه كان دائماً يرغب في رمي الكرة عبر اللاعبين.[1] كان يريد إخضاعهم". وعندما يلعب في الدفاع، وهو موقعه المفضل، كان لباسه الرياضي هو الأقذر في الملعب. كان يُبعد عنه الكرات المخالفة لقوانين اللعبة، التي ترتطم بقناعه، ويتلقى الرميات المنحرفة بجسده الضخم، كما يتذكر بيتر برانت أنه "كان جريئاً. إذا تسلل إلى موقع، كان يهجم بكل ما أوتي من قوة".[2] كان يكره الفشل، كما اكتشف جاره جيف بيير Jeff Bier عندما استعار منه دونالد مضربه المفضل، لكنه أُخرِج من المباراة. شعر بالإحباط لدرجة دفعته إلى تهشيم المضرب على الإسفلت ما أدى إلى تشقق الخشب. أعماه الغضب عن الاعتذار.[3]

في تلك الأيام، كان لاعبو الكرة الشباب يرغبون في الحصول على قفازات لاعبي صد الكرة في رياضة البيسبول، التي تضم غشاء يجمع بين الأصابع، والتي كانت شركة Rawling قد بدأت إنتاجها. أقنع بيتر والده بشراء زوج من القفازات بثلاثين دولاراً، بما أن الصبي كان يؤدي بعض المهمات في المنزل ويكسب خمسة عشر دولاراً لقاء ذلك، لكن دونالد لم يستطع إقناع فريد ترامب بأن النموذج الحديث من القفازات يستحق هذا الثمن. ابتاع فريد لابنه نموذجاً أرخص ثمناً.[4]

١ مقابلة مع نيكولاس كاس، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٢ مقابلة مع برانت.
٣ مقابلة مع جيف بيير، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٤ مقابلة مع برانت.

رغم ثراء فريد، لم يكن راغباً في إفساد أطفاله، وكان يشجعهم على كسب المال عن طريق جمع زجاجات المياه الغازية White Rock الفارغة وتسليمها لمستودع النيكل، أو عن طريق توصيل الصحف (في الطقس الماطر، كان يوصلهم بسيارته الكاديلاك لأداء مهماتهم).[١] كان فريد، وهو المدمن على العمل، يصحب دونالد[٢] إلى مواقع العمل ومقر عمله الرئيسي، وهو مبنى كان عيادةَ طبيب أسنان قرب كوني آيلاند قبل أن يحوله فريد إلى مكتب، حيث كان الصبي يكتسب اهتمام والده بالتفاصيل وهوسه بتخفيض النفقات. في مدرسة Kew–Forest، حيث كان فريد ضمن أعضاء مجلس الأوصياء، اشتكى من أن المدرسة كانت تبذّر النقود التي تحصل عليها من التمويل على إنشاء حمامات جديدة ملحقة بالصالة الرياضية، وقال متذمراً إن المدرسة كانت تحوي ما يكفي من المراحيض.[٣] في مواقع مشاريعه الخاصة، كان فريد يلتقط المسامير الساقطة على الأرض ويعيدها إلى النجارين. تمكّن من توفير المبالغ التي كانت تُنفق على منظِّفات الأرضيات بأن أجرى تحاليل مخبرية على المنظِّفات المشتراة من السوق، ثم اشترى المكوِّنات ومزَجَها[٤] للحصول على منظِّفاته الخاصة.

كان فريد رجلاً تقليدياً يبالغ في التأنق ويرتدي السترة وربطة العنق حتى داخل المنزل، لكن كان بإمكانه أن يكون صارماً ومثيراً للحرج اجتماعياً. أما زوجته ماري، فكانت تستسيغ الاهتمام بها، وتمكّنت من فرض حضورها في الحفلات واللقاءات الاجتماعية، كما كانت تهوى الأبّهة، فقد جلست لساعات لتشاهد تتويج الملكة إليزابيث. كرّست ماري، التي كانت ربة منزل، نفسها للأعمال الخيرية، وتبرعت بالخدمة في مشفى جامايكا حيث ولد رونالد. كانت ماري تعاني مشكلات صحية عدة، وأصيبت بنزيف بعد ولادة روبرت استدعى إجراء عملية عاجلة لاستئصال الرحم. ورث دونالد عن والدته الحذر من التقاط الجراثيم[٥] ما أدى إلى تفاديه مصافحة الناس لسنوات خلال حياته عندما كان راشداً.

1 Blair, *Trumps*, 229.

2 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 74; and interviews with Brant and Briggs.

٣ مقابلة مع فلورنس بويارFlorence Boyar، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

4 Tracie Rozhon, "Fred C. Trump, Post–War Master of Housing for Middle Class, Dies at 93," *New York Times*, July 26, 1999.

٥ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن.

كان فريد وماري يفرضان الانضباط على أفراد عائلتهما، فقد منعا أولادهما من مناداة بعضهم بعضاً بأسماء تحبُّب، أو استعمال أحمر الشفاه، أو الإيواء إلى الفراش بعد الوقت المحدد. كان فريد وماري ترامب يسألان أولادهما عن فروضهم المدرسية كل ليلة ويطلبان منهم فعل واجباتهم الروتينية. وكما كان شأنه في المدرسة، كان دونالد يتمرد على تلك القواعد، ويجادل والده. مع ذلك، كان فريد يقول لابنه دائماً إنه "ملك"، وإنه بحاجة إلى أن يصير "سفّاكاً"[١] في أي شيء يفعله. وبما أن دونالد وصديقه بيتر كانا متعطّشَيْن للشعور بالاستقلالية، فقد وضعا لنفسيهما برنامجاً روتينياً أخفياه عن والديهما. في صباح أيام السبت، وبعد لعب كرة القدم في المدرسة، كانا يرتديان بنطاليهما القطنيين المكويين وقميصيهما، ويذهبان سيراً إلى محطة قطار الأنفاق في يونيون تيرنبايك، حيث يستقلان القطار إلى مانهاتن. كانت المدينة بالنسبة إليهما أكثر إثارة وإغراء من الشوارع الهادئة المنظمة الواقعة في المناطق الداخلية من كوينز، وهو إحساس لم يتغير مع اقتراب الولدين من سن الرشد.

أثناء التجوال في المدينة، كان كل منهما يتخيل نفسه ديفي كروكيتس Davy Crocketts [بطل شعبي أميركي] من أبناء المدن،[٢] وكانا يستكشفان المساحات الريفية في سنترال بارك، ويراقبان الشبان السود وهم يلعبون كرة السلة في الملاعب المكشوفة على امتداد إيست ريفر، ويتأملان المتسولين في ساحة تايمز، ويأكلان النقانق من الباعة في الشوارع، ويقفزان على المقاعد في عربات المطاعم المتنقلة ليشربا الحليب المحلى مع الصودا. وفي الدكاكين المفضلة لديهما، حيث كانت تُباع السلع الطريفة في ساحة تايمز، كانت تجتذبهما مجموعة من المديات النابضة. كانت مسرحية قصة الحي الغربي West Side Story تلقى نجاحاً منقطع النظير على أحد مسارح برودواي، وبما أن دونالد وبيتر كانا يتخيلان نفسيهما عضوين في عصابة في الأحياء الوضيعة من المدينة، فقد ابتاعا سكاكين لكي يناسبا هذا الدور. في كوينز، كان الصبيّان يلعبان لعبة أسمياها "الأرض"، حيث كانا يرميان سكاكينهما بسرعة وقوة على الأرض ثم يدوسان على البقعة التي اخترق فيها النصل التراب. في البداية، كانت

1 Harry Hurt III, *Lost Tycoon: The Many Lives of Donald J. Trump* (New York: W. W. Norton, 1993), 13.

٢ مقابلة مع ترامب.

السكاكين التي يستخدمانها بطول ستة إنشات، ولكن مع تنامي جرأتهما، صار طول السكين أحد عشر إنشاً[1] (أنكر ترامب أنه كان في حياته "شخصاً يحمل سكيناً... لم يسبق لي في حياتي أن حملت مدية نابضة. هذا جنون").[2]

مع قرب إنهاء دونالد الصف السابع، اكتشف فريد مخبأ السكاكين. اتصل بوالد بيتر الذي عثر بدوره على مخبأ مجموعة ابنه. تملك الغضب الوالدَيْن عندما علما برحلات الولدين إلى المدينة. عندما صار بيتر راشداً، رأى أن تلك المغامرات إشارة مبكرة على روح الاستقلالية والتحدي، وحافزاً كان من شأنه دفع الرجلين إلى تحقيق الشهرة والثروة الطائلة في ما بعد (صار برانت قطباً من أقطاب صناعة الورق، وناشراً ومنتجاً سينمائياً)، لكن فريد ترامب، الذي أرعبته رؤية الكيفية التي كان ابنه يتطور بها، قرَّر أن دونالد يحتاج إلى تغيير جذري.

خلال الأشهر التي سبقت بدء الدراسة في الصف الثامن، بدا كأن دونالد قد تلاشى. سمع بيتر من أحد الزملاء أن صديقه سيلتحق بمدرسة أخرى. عندما اتصل به هاتفياً، بدا صوت دونالد مثقلاً بالاكتئاب، وأخبره أن والده كان ينوي إرساله إلى الأكاديمية العسكرية في نيويورك، وهي مدرسة داخلية معروفة بصرامتها تبعد مسافة خمسة وسبعين ميلاً إلى الشمال من كوينز. شعر بيتر بالذهول[3]. فقد كان أعز أصدقائه سيُرسل بعيداً، ولأسباب بدت، على الأقل لصبي في الثالثة عشرة، غير مفهومة.

وصل دونالد إلى الأكاديمية العسكرية في نيويورك في أيلول/سبتمبر ١٩٥٩، كان مراهقاً قصير القامة ممتلئ الجسم يشعر بالارتباك بسبب الأجواء الجديدة التي وجد نفسه فيها. كانت الكلية، التي تبعد ساعة عن مانهاتن باتجاه الشمال، تقع في قرية كورنويل أون هدسون الصغيرة، داخل حرم تسود فيه أجواء صارمة لا ترحم، إذ سرت إشاعة تقول إن أحد الطلبة المبتدئين شعر باليأس لدرجة دفعته إلى القفز إلى نهر هدسون ليسبح نحو الحرية.[4] بدلاً من شرائح لحم البقر اللذيذة وقطع الهامبرغر الشهية التي كانت تعدها طباخة آل ترامب في المنزل، كان على دونالد الجلوس في

1 Blair, *Trumps*, 233.

٢ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن.

٣ مقابلة مع برانت.

٤ مقابلة مع فنسنت كانتغهام Vincent Cunningham، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

قاعة الطعام إلى جانب الطلاب المبتدئين الآخرين وملء طبقه من الأوعية الكبيرة العامرة بأرغفة اللحم والمعكرونة والجبن، وصنف آخر كان الطلاب يطلقون عليه اسم "جبل الغموض"، وهو خليط من بقايا الأطعمة التي كانت تُقلى بزيت غزير وتكوَّر. وبدلاً من النوم في غرفته الخاصة في المنزل الفسيح، صار ينام في ثكنة حيث يوقظه كل صباح قبل الفجر تسجيل لبوق يعزف لحن "Reveille". وبدلاً من أن يكون له حمامه الخاص، كان عليه الوقوف تحت مرذاذ كبير والاستحمام مع الصبية الآخرين. وبدلاً من الامتثال لأوامر والده، صار لدونالد سيد جديد، وهو رجل فظ من قدامى المحاربين منفوخ الصدر، يُدعى تيودور دوبياس Theodore Dobias.

كان دوبياس، أو دوبي كما كان يُعرَف، قد شارك في الحرب العالمية الثانية وشاهد جثة موسوليني Mussolinin الهامدة[1] متدلية من حبل المشنقة. وبما أن دوبي كان مدرب لعبة الركبي وموجِّه التدريب التكتيكي لصفوف المبتدئين، فقد كان يصفع الطلاب فاتحاً كفَّه إذا تجاهلوا توجيهاته. كان يعدُّ حلبات ملاكمة[2] بعد ظهر يومين من أيام الأسبوع، ويأمر الطلاب المبتدئين ممن كانت علاماتهم منخفضة والطلاب ذوي المشكلات المسلكية، أن يتصارعوا سواء أرغبوا أو لم يرغبوا. قال ترامب يوماً وهو يتذكره: "كان مزعجاً.[3] كان مصمماً على جعلك تعتاد الحياة الخشنة، وتعليمك كيف تحافظ على بقائك". وأضاف ترامب أن مجرد محاولة الحملقة في دوبي، أو حتى الإيحاء بالتهكم، كان كفيلاً بجعل الرقيب المدرِّب "يطاردني كما لا يمكن أن تتخيل".

لم يكن دوبياس يبالي هل كان طلابه أبناء سباكين أو أبناء أصحاب ملايين. كان عليهم إطاعة توجيهاته. لم يكن ليتسامح مع أي أسئلة أو تذمر، ولم يكن دونالد مستثنى من هذه القاعدة. قال دوبياس: "في البداية،[4] لم يكن يحب فكرة أن يملي عليه أحد ما ينبغي فعله، مثل: رتِّب سريرك، أو لمِّع حذاءك، أو نظِّف أسنانك، أو نظِّف المغسلة، أو اكتب فروضك المدرسية... وكل ما ينبغي للشاب فعله عندما يكون طالباً مبتدئاً

1 Michael D'Antonio, *Never Enough: Donald Trump and the Pursuit of Success* (New York: Thomas Dunne Books, 2015), 42.

2 " I Showered with Donald Trump at Military School," *Daily Beast*, March 28, 2016.

3 "The Men Who Gave Trump His Brutal Worldview," *Politico*, March 29, 2016.

٤ مقابلة مع تيودور دوبياس، تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٥.

في أكاديمية تضم أربعمئة شاب. لم نكن نبالي هل جاء الشاب من مركز روكفلر أو من أي مكان. بالنسبة إلينا، كان مجرد اسم آخر، وشاب مبتدئ آخر، شأنه شأن أي شاب آخر".

كانت الأكاديمية، التي أنشأها عام ١٨٨٩ محارب قديم شارك في الحرب الأهلية في مبنى كان سابقاً فندقاً في منتجع صيفي،[1] قد وضعت نظام السلوك الصارم وصممت مبناها الخاص ذا الأبراج على نسق أكاديمية West Point الواقعة على بعد خمسة أميال جنوباً على طول نهر هدسون. كان هناك ٤٥٠ طالباً، جميعهم من البيض عدا بضع عشرات من الأميركيين من أصل لاتيني. لم تسمح الأكاديمية للسود بالانتساب إليها إلا حين كان ترامب في صف التخرج. ولم تنتسب إليها النساء قبل مضي عقد على ذلك. كانت الأكاديمية العسكرية مكاناً يجري فيه، كما يقول شعارها، "فرز الشباب من أجل التميُّز"؛ كانت الفكرة جعل الشبان الذين قدموا إلى حرم الكلية جامحين ودون شخصية محددة، يكتسبون الانضباط والتوجه السليم، وكان ذلك يعني تفكيك شخصياتهم لإعادة تركيبها من جديد. كان كل طالب يستلم كتيباً صغيراً أزرق اللون عنوانه "النظام العام رقم ٦"، وقد أدرجت فيه العقوبات الخاصة بكل مخالفة للقواعد. كانت البذلة المتسخة[2] والحذاء القذر والشعر المشعث والسرير غير المرتب و"السير بطريقة غير لائقة" و"إمساك أيدي الشابات" والتعرّي في الثكنات، كلها تؤدي إلى تدنّي علامات الطلاب، كما كان الوقوف في الطرق وطلب الركوب مجاناً في سيارات الغرباء والسرقة وتعاطي الكحول وامتلاك كتابات جنسية مصورة تؤدي إلى الفصل الفوري. كان على الطلاب المبتدئين الاصطفاف يومياً لمواجهة تفتيش صارم، وكان أحد الضباط يمسح بيده المكسوة بقفاز أبيض[3] السطح العلوي للخزائن للتحقق من أن لا غبار عليها. كان الخطأ الإملائي أو إهمال علامة تنقيط في البحث الفصلي كافيين لتدنّي العلامات.[4]

لم تكن الأكاديمية توفّر عدداً من وسائل التسلية، بل كان النشاط الترفيهي يقتصر

1 Samuel J. Rogal, *The American Pre-College Military School* (Jefferson, NC: McFarland, 2009), 10.

2 "General Order No. 6: Scale of Punishment," New York Military Academy.

٣ مقابلة مع بيتر تكتين Peter Ticktin، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٤ مقابلة مع وين أكستن Wayne Akstin، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

على مسرحيات أبطالها جميعهم من الرجال، وأفلام سينمائية قديمة تُعرض في الكنيسة الصغيرة في أمسيات أيام السبت والجمعة. وإذا احتوى الفيلم مشاهد تظهر فيها ممثلات شابات،[1] كان الطلاب يثيرون عاصفة من الصراخ والصفير، ما يدفع الآمرين إلى إصدار عقوبة مثل جولات من المشية العسكرية في الساحة المربعة الشكل. كان الطلاب الذين صاروا ضباطاً ذوي رتب عالية هم من يُسمح لهم فقط بالخروج من حرم الأكاديمية ضمن مجموعات بعد ظهر أيام السبت، لكن الطلاب المبتدئين كان بإمكانهم مغادرة الحرم مع أهاليهم لتناول وجبة. كان فريد ترامب يتردد إلى الأكاديمية لزيارة ابنه. جاء فريد ذات يوم في سيارة فارهة[2] يقودها سائق، وشعر دونالد بحرج شديد لدى لقائه. منذ ذلك اليوم، صار فريد يأتي للاطمئنان على ترامب بسيارته الكاديلاك التي يقودها بنفسه.

كانت الأكاديمية تحتفي بالتميز الذكوري بعبارة محفورة فوق المدخل الرئيس للكلية: "عبر هذه البوابات، مرَّ رجال شجعان ونبلاء". وفي حال انتهاء أوقات الدراسة والألعاب الرياضية، كان يُطلب من الطلاب المبتدئين تعلُّم تنظيف بندقية M ١ وإطلاق قذيفة هاون. كان هناك تسامح، بل تشجيع إزاء الخشونة الجسدية والسباب، كما كانت العقوبات المرهقة جزءاً[3] من حياة المبتدئين، إذ كان الطلاب من ذوي الرتب العالية يضربون الطلاب الجدد بمقابض المكانس أو يجبرونهم على الوقوف بكامل بذلاتهم الرسمية فوق أجهزة تسخين أو في مقاصير الاستحمام العابقة بالبخار حتى يغمى عليهم. يقول مايكل سكادرون Michael Scadron، وهو أحد الأصدقاء المقربين من ترامب في الأكاديمية، إن عقوبته وصلت حدّ أن يطلب منه أحد أصحاب الرتب العالية تقبيل الحيوان الجالب للحظ في الكلية -الحمار- "من مؤخرته".[4]

بعدما استوعب دونالد جو الأكاديمية على نحو كامل، برزت نزعته التنافسية، إذ بدأ يحصل على أوسمة بسبب ترتيبه وتنظيمه.[5] كان يحب التنافس للتفوق في منافسات

١ مقابلة مع ديفيد م. سميث David M. Smith، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٢ المصدر السابق.
٣ مقابلة مع مايكل بيتكو Michael Pitkow ولي أينز Lee Ains، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٤ مقابلة مع مايكل سكادرون، تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٦.
5 *The Shrapnel*, New York Military Academy yearbook, 1964, 105.

أنظف غرفة وأنظف حذاء وأكثر الأسرّة ترتيباً. بدأ، لأول مرة، يشعر بالفخر بسبب علاماته،[1] بل غضب ذات يوم لأن أحد زملائه في الدراسة نال علامة تفوق علامته في امتحان الكيمياء، فسأله إن كان قد لجأ إلى الغش. كذلك، تعلّم ترامب كيف يتدبّر أمر دوبياس، فقد أظهر قوته -خاصة في الألعاب الرياضية- دون أن يبدو كأنه يقوض مكانة الرقيب. يقول ترامب: "توصلت إلى إدراك ما الذي يجعل دوبياس يقف في صفي. لجأت إلى الحيلة معه، وساعدني في ذلك أنني كنت رياضياً متفوقاً، بما أنه كان مدرب فريق البيسبول، وكنت أنا كابتن الفريق، لكنني تعلمت أيضاً كيف أتلاعب به".

بالنسبة إلى زملائه من الطلاب المبتدئين، كان بإمكان ترامب أن يكون ودوداً ومتحفظاً ومعتداً بنفسه، فقد قال ذات يوم لصديقه جيف أورتينو Jeff Orteneau: "سوف أصير مشهوراً يوماً ما".[2] وعندما كان يلتقي برفاق صفه لأول مرة، كان يحب أن يسأل: "ماذا يعمل والدك؟"". كان معظم أصدقاء دونالد يعرفون أن عائلته كانت ثرية لأنه كان يحب الحديث عن أعمال والده، فقد أخبر دونالد سميث Donald Smith، وهو صديقه في صف التخرج، أن ثروة فريد ترامب تتضاعف[3] إثر كل مشروع ينفذه. يقول أحد رفاق صفه، وهو مايكل بيتكو Michael Pitkow، إن ترامب كان "واثقاً من نفسه[4] ومعسول اللسان، وقد لا تصدقونني إذا قلت إنه كان أشبه بمن يعرف أنه يمضي الوقت بانتظار الانطلاق إلى ما هو أعظم.

رغم الثراء الذي كان ينعم به، كان ذوقه شعبياً في الغالب، ففي الشهور الأخيرة من عهد أيزنهاور، وضمن ثقافة اتسمت بالانسجام والتناغم، كان دونالد يستخدم جهاز التسجيل في غرفته في المهجع للاستماع إلى أغاني إلفيس بريسلي Elvis Presley وجوني ماتيس Johny Mathis. أحياناً، كان يثبت مصباحاً كهربائياً ذا أشعة فوق بنفسجية إلى المقبس الذي يعلو رأسه ويعلن لزملائه في الغرفة أن الوقت قد حان لصبغ البشرة باللون الأسمر. وكان يقول: "سنذهب إلى الشاطئ".[5]

1 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 74; and interview with Smith.

٢ مقابلة مع جيف أورتينو، نيسان/أبريل ٢٠١٦.

٣ مقابلة مع سميث.

٤ مقابلة مع مايكل بيتكو، تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٥.

٥ مقابلة مع سميث.

عندما صار في صف التخرج، لفت دونالد الأنظار لأنه كان يُحضِر النساء إلى داخل حرم الأكاديمية ويُريهن المكان. يقول رفيقه في الصف جورج وايت George White: "كنَّ نساء جميلات رائعات،[1] وكنَّ يرتدين ثياباً من محلات Saks في الجادة الخامسة". لم يكن ترامب ليتورع عن إبداء رأيه في مظهر الفتاة، فقد وصف إحدى زائرات وايت بـ"الكلب".[2]

كان إيرني كيرك Ernie Kirk يذهب في مواعيد مزدوجة[3] مع دونالد وفتاتين تعيشان في البلدة. وبما أنه لم يكن يُسمح للشبان بالخروج من حرم الأكاديمية، كانت الفتاتان تأتيان إلى الداخل، حيث كان الأربعة يشاهدون مباراة ثم يتناولون الهامبرغر والكوكاكولا في المطعم الصغير. كان دونالد ودوداً مع الفتاة المرافقة له، وكانت سمراء، ولم يتوقف عن الحديث معها. بعد بضعة أشهر، كانت إحدى الصفات المعرِّفة بترامب في الكتاب السنوي لصف التخرج، هي "زير نساء"، وظهرت صورته في الكتاب السنوي يقف إلى جانب إحدى سكرتيرات الأكاديمية.

أحياناً، كان ترامب يُظهر أنه لا يزال قادراً على التصرف بالعدوانية نفسها التي ميّزته عندما كان في Kew-Forest، ويبدو كأنه يستمتع بممارسة نفوذه. عندما كان في الصف قبل الأخير، رقيباً مسؤولاً عن التجهيز في السرية E، أمر بضرب أحد الطلاب المبتدئين على ظهره بعصا مكنسة[4] لأنه خرق التشكيل، كما أنه عندما كان في مهمة تفتيشية، شاهد سرير أحد الطلاب، وهو تيد ليفين Ted Levine، دون ترتيب، فانتزع الملاءات ورماها أرضاً. رماه ليفين، الذي كان أقصر منه بقدم، بحذاء عسكري، ثم ضربه بعصا مكنسة. يتذكر ليفين أن دونالد استشاط غضباً، فأمسك به وحاول دفعه من نافذة في الطابق الثاني.[5] تدخل طالبان آخران لمنع ليفين من السقوط. اصطدم ترامب وليفين ثانية عندما تشاركا في غرفة. وكان ترامب، الذي أشعرته فوضى ليفين

---

١ مقابلة مع جورج وايت (اسمه عند الولادة جورج ويتيك George Witek)، تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٥.

٢ مقابلة مع جورج وايت، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٣ مقابلة مع إيرني كيرك، تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٥، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٤ مقابلة أجريت مع الطالب الذي تلقى العقوبة، أيار/مايو، ٢٠١٦. كما روى الطالب هذه الحادثة في إفادة متعلقة بقضية أخرى منفصلة.

٥ مقابلة مع تيد ليفين، أيار/مايو، ٢٠١٦.

بالقرف، غالباً ما ينبهه وهو يصرخ طالباً منه أن ينظف ما حوله. قال زميله السابق في الغرفة في ما بعد إن ترامب كان يحاول "ترويض" أي شخص لا يمتثل لإرادته.

مثلما كانت الحال في مدرسة Kew-Forest، كان بوسع ترامب الاعتماد على مقدراته الرياضية لكسب احترام مدرسيه ورفاق صفه. في سنته الثانية في الأكاديمية، كان ترامب يلعب ضمن فريقَيْ الركبي والبيسبول للمبتدئين، وكان فريق البيسبول بإشراف دوبياس. عندما صار في الصف الثاني، وبدأ جسمه ينحف وينمو، وصل ترامب إلى المنتخب في كلتا الرياضتين، لكنه تفوق في البيسبول على نحو خاص. كان يلعب عدّاء الموقع الأول، واشتهر بأنه كان يمطّ جسده الطويل لالتقاط الكرات التي كان جيرالد بيج Gerald Paige، اللاعب بين الموقعين الثاني والثالث، يرميها على التراب، كما كان بإمكان ترامب أرجحة مضربه، وهو ما أدى إلى كتابة عبارة "ترامب يؤرجح... ثم يضرب"[1] أسفل صورة له التقطت أثناء اللعب في الكتاب السنوي. كذلك، ظهر عنوان في الصحيفة المحلية "ترامب يكسب المباراة لأكاديمية نيويورك العسكرية" يمكن اعتباره العنوان الأول الذي يحتفي بإنجازاته. قال ترامب بعد عدة سنوات: "أبهجتني رؤية اسمي مطبوعاً في الصحف. كم عدد الناس الذين تظهر أسماؤهم في الصحف؟ لا أحد. كانت المرة الأولى التي ورد فيها اسمي في الصحف. اعتبرت الأمر آنذاك رائعاً".[٢]

علَّم دوبياس لاعبيه الجملة الشهيرة التي تُعزى إلى مدرّب Green Bay Packers الأسطوري فينس لومباردي Vince Lombardi، يقول دوبياس: "علمتهم أن الفوز ليس كل شيء، بل إنه الشيء الوحيد".[٣] التقط دونالد تلك العبارة سريعاً، فكان يقول لأعضاء فريقه: "نحن هنا من أجل هدف وحيد، هو الربح". كان دائماً يريد أن يكون الأول في كل شيء. كان يتغاضى عن بعض الأمور حتى في ذلك الوقت. كان شخصاً مزعجاً حقاً، ولا مانع لديه من فعل أي شيء لمجرد الربح فقط... "كان [ترامب] يريد أن يكون الأول في كل شيء، وكان يرغب في أن يعرف الناس أنه الأول".

في فريق الركبي، كان ترامب لاعب الخط الأمامي لعامين. لم يكن اللاعب

1 *The Shrapnel*, New York Military Academy yearbook, 1962.

2 D'Antonio, *Never Enough*, 46.

٣ المصدر نفسه، ٤٣.

الأسرع، لكنه، كما يقول جيرالد بيج، الذي كان ظهيراً، كان "شاباً ضخماً قوياً[1] يصعب التغلب عليه". في الصف قبل الأخير، ترك ترامب الفريق. لم يكن يحب المدرب الأساسي، وكانت المشاعر على ما يبدو متبادلة. يقول ليفين: "كان المدرب يتعامل معه ببغض. لقد أساء المسؤولون معاملة ترامب ولم يقدّروه حق قدره". غضب أعضاء فريق ترامب، الذين كانوا يقدّرون أسلوبه في اللعب، لأنه ترك الفريق،[2] لكن المدرب الأساسي جون سينو John Cino، كانت له نظريته الخاصة، فقد قال إن ترامب ترك الفريق لأن والده أراد له التركيز على الدراسات الأكاديمية.[3]

خارج الملعب، ترقّى ترامب بسرعة من نَفَر إلى عريف، وفي السنة ما قبل الأخيرة إلى رقيب مسؤول عن التجهيز، وهو موقع مهم رغم كونه مملاً ويتطلب منه تأمين مستلزمات السرية، بما في ذلك بنادق M1 معطلة الفعالية. كان يطلب من الطلاب المبتدئين تنظيف أسلحتهم بدقة وتأنٍّ، بل مضى أبعد من ذلك، فقد طالبهم بحفظ أرقام بنادقهم. يقول جاك سيرافِن Jack Serafin، الذي كان طالباً مبتدئاً عندما كان ترامب رقيباً مسؤولاً عن التجهيز، "كانت حياة الطالب الجديد مخيفة، ولكن كان بإمكانك دائماً اللجوء إلى دونالد،[4] فقد كان يعرف كيف يعالج الأمور".

في حزيران/يونيو ١٩٦٣، وبينما كان دونالد ينهي سنته ما قبل الأخيرة، اصطحب الحرس الوطني طالبَين من السود إلى جامعة ألاباما، ودفعا عن طريقهما الحاكم جورج ويليس George Wallace الذي كان يقف عند باب المبنى معترضاً. بعد ثلاثة أشهر، وافقت الأكاديمية العسكرية في نيويورك على قبول أول طالبَين مبتدئين من الأميركيين من أصل أفريقي. في يومه الأول في الأكاديمية، كان فنسنت كاننغهام Vincent Cunningham، الآتي من حي هارلم، يعقد رباط حذائه عندما ناداه عريف بـ"الزنجي". لكم كاننغهام العريف فطرحه أرضاً وانتهى به الأمر في مكتب الآمر. استمرت هذه المعاملة السيئة طوال العام. يقول كاننغهام: "كان ينبغي أن تكون عديم

١ مقابلة مع جيرالد بيج، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٢ مقابلة مع ليفين.
٣ مقابلة مع جون سينو، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٤ مقابلة مع جاك سيرافِن، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

الإحساس[1] وأن تعرف كيف تتصرف كي تدعم نفسك. إذا بالغت في ردود أفعالك إزاء كل شيء وخالفت كل شيء، فسوف يحوّلون حياتك إلى جحيم". أما الطالب الآخر، وهو ديفيد برنس توماس David Prince Thomas، فاشتبك في عراك منذ اليوم الأول بعدما ناداه أحد الطلاب البيض باسم "أرنب الأدغال". وفي الليل، كان زملاؤه من الطلاب المبتدئين يصرخون صوب غرفة توماس قائلين إن أعضاء منظمة "كوكلاكس كلان" كانوا آتين للقبض عليه.[2] يقول بيتر تكتين Peter Ticktin، وهو أحد رفاق صف دونالد، عن هذا النوع من السلوك الفظ، إنه "كان مقبولاً، تقريباً، من الوجهة الاجتماعية"،[3] لكن تكتين يتذكر أنه عندما سمع هو وترامب طالباً ينادي طالباً مبتدئاً أسود بـ"الزنجي"، شعر كلاهما بالقرف.

في الثاني والعشرين من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣، وكان أحد أيام الجمعة، كان دونالد جالساً في غرفة الصف عندما سمع صوت جرس الإنذار. استُدعي الطلاب المبتدئون إلى الكنيسة الصغيرة، حيث أعلن المشرف الإداري أن الرئيس كينيدي Kennedy قد اغتيل. كان ترامب، في منزله قد نشأ وهو يتشرّب حماسة والده للجمهوريين، مثل باري غولدووترBarry Goldwaterr،[4] وكان قد جاء إلى المدرسة وهو يضع زرّاً كُتب عليه "أنا أحب آيك I Like Ike"[5] [Ike اسم التحبب الذي كان يُطلَق على أيزنهاور]. مع ذلك، وبالنظر إلى مصالح الوالد في مجال الأعمال، فقد كان له العديد من الحلفاء في مؤسسة الحزب الديموقراطي في نيويورك[6]. أحدَث اغتيالُ كينيدي ما يشبه الزلزال، فأجهش العديد من الطلاب الذين تجمعوا عصر ذلك اليوم بالبكاء لدى سماعهم النبأ. كانت مرحلة مقلقة، فبالإضافة إلى الأزمات العرقية والسياسية، كان التورط الأميركي في فيتنام يتعمق.

عندما بدأت السنة ما قبل الأخيرة في الأكاديمية العسكرية في نيويورك، كان ترامب يركز اهتمامه على مشكلات ذات طبيعة شخصية، فقد ترك صديقه سكادرون الأكاديمية

١ مقابلة مع كاننغهام.
٢ مقابلة مع ديفيد برنس توماس، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٣ مقابلة مع تكتين.
٤ مقابلة مع روجر ستون Roger Ston، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٥ مقابلة مع برانت.

6 Blair, *Trumps*, 212.

بعدما اتهمه طالب مبتدئ بأنه ضربه بعصا.[١] في الوقت نفسه، جرت ترقية ترامب إلى رتبة نقيب السرية A، وهو منصب رفيع. صار تكتين رقيب الفصيلة التابع لترامب، وكان يساعده في "ضبط إيقاع مسار المهرجانات" وتدبير شؤون الفصيلة المؤلفة من خمسة وأربعين رجلاً. يقول تكتين إن ترامب، عندما صار نقيباً، صار "أكثر هدوءاً"،[٢] وكان يفرض احترامه دون أن يضطر إلى الصراخ على الطلاب المبتدئين. كان غالباً ما يترك ضباطه للاهتمام بشؤون الطلاب المبتدئين. يقول تكتين: "لم تكن لترغب في إشعاره بخيبة الأمل. عدت ذات يوم من رحلة إلى نيويورك، كنت متأخراً خمس دقائق، نظر إليّ فقط. لم يكن يصرخ بوجه أحد. كان يكتفي بالنظر إليك، وحاجباه شبه مرفوعين في نظرة تقول لك إنك لا يمكن أن تخيب أمله".

بعد مضي شهر على بدء العام الدراسي، دفع أحد الرقباء العاملين تحت إمرة ترامب طالباً مبتدئاً يدعى لي آينز Lee Ains بعنف إلى الجدار،[٣] لأن الشاب لم يقف بالاستعداد بالسرعة اللازمة. تقدم آينز بشكوى. وبما أن المسؤولين الإداريين كانوا لا يزالون يعانون تأثيرات حوادث مماثلة من العقوبات القاسية، فقد أعفى كولونيل في الأكاديمية ترامب من مهماته؛ في الثكنات وعيّنه في مبنى الدراسات الأكاديمية ليكون ضابط تدريب إحدى الكتائب. يقول آينز الذي ترك الكلية في نهاية العام: "شعروا بأنه لم يكن يولي الضباط الآخرين اهتماماً كما ينبغي له أن يفعل"، لكن هذا التغيير، من وجهة نظر ترامب، كان ترقية ولا علاقة له بالعقوبات القاسية التي نُفِّذت تحت قيادته. فقد قال: "لقد أحسنت فعل عملي، ولهذا تمت ترقيتي.[٥] إذا شاركت في تنفيذ العقوبات، فلن تتم ترقيتك". بعد نقله من عمله، عُهِد إليه بفريق تدريبات عسكرية شُكِّل خصيصاً للمسيرة التي كانت ستجري في مدينة نيويورك بمناسبة يوم كولومبوس. قاد ترامب الموكب، وهو يرتدي بذلته الرسمية وقفازات بيضاء، جنوباً

١ مقابلة مع مايكل سكادرون، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٢ مقابلة مع تكتين.
٣ مقابلة مع لي آينز ومع طالب مبتدئ آخر لم يرغب في كشف هويته، تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٥.
٤ مقابلات مع لي آينز، ووليام سبيكت، وجورج وايت، وديفيد سميث، وإيرني كيرك، وتيودور دوبياس، وبيتر تيكتين.
٥ مقابلة مع ترامب، كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٥.

على امتداد الجادة الخامسة باتجاه كاتدرائية سانت باتريك، حيث صافح الكاردينال فرانسيس سبيلمان Francis Spellman،[1] ثم استدار نحو الرائد أنتوني "آس" كاستيلانو Anthony "Ace" Castellano، أحد آمري الكلية العسكرية في نيويورك، قائلاً: "هل تعلم يا آس؟[2] أود فعلاً امتلاك جزء من هذا العقار يوماً ما".

عندما تخرج ترامب من الكلية الحربية في نيويورك، في أيار/مايو ١٩٦٤، وسار بخطى عسكرية في الساحة المربعة وهو يرتدي بذلته الرسمية أمام أسرته، كان طموحه السير على خطى والده[3] في مجال العقارات. ورغم التنشئة العسكرية التي تلقاها، لم يكن على ما يبدو يرغب في المشاركة في الحروب. سجّل نفسه للخدمة العسكرية -وُصف في الوثائق آنذاك بأن طوله ستة أقدام وبوصتان، ووزنه ١٨٠ باونداً، مع وجود علامتين فارقتين على كلا الكعبين- لكن قراره في الذهاب مباشرة إلى الكلية أتاح له الحصول على التأجيل الدراسي الأول، من حالات التأجيل الأربع[4] التي حصل عليها، في ٢٨ تموز/يوليو ١٩٦٤.

راودته لفترة فكرة الالتحاق بكلية السينما في جامعة جنوب كاليفورنيا -ما يعكس حبه القديم للأفلام- لكنه التحق بجامعة Fordham لأنه كان يريد البقاء قريباً من موطنه.[5] خلال فصل الصيف، الذي انقضى بين المدرسة الثانوية والجامعة، عمل دونالد لدى فريد، وكان يسافر إلى مدينة سنسيناتي، حيث كان والده قد اشترى مجمّعاً للشقق يضم ألفاً ومئتي وحدة مهدّمة، اسمها سويفتون فيليدج، بمبلغ ٥,٧ مليون دولار.[6] كان فريد يترك ولده في سنسيناتي لمدة أسبوع كامل ليشرف على الأعمال الوضيعة. يتذكر روي نايت Roy Knight، وهو عامل صيانة في سويفتون فيليدج، أن دونالد "كان يأتي ويعمل معنا،[7] لم يكن يتمتع بالمهارة، لكنه كان ينجز الأعمال في الباحة ثم ينظف المكان مهما كان العمل المطلوب إنجازه".

1 D'Antonio, *Never Enough*, 43.

٢ مقابلة مع سيرافِن. روى سيرافِن قصة كان قد سمعها من هيلين كاستيلو، زوجة أنتوني كاستيلو.

٣ مقابلة مع سميث.

٤ من سجلات الخدمة العسكرية الخاصة بدونالد ج. ترامب.

5 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 77.

6 "Brooklyn Firm Buys Swifton Village," *Cincinnati Enquirer*, April 15, 1964.

7 "From Swifton Village to Trump Tower," *Cincinnati Enquirer*, June 28, 1990.

في خريف ١٩٦٤، بدأ ترامب التنقل ما بين جمايكا إستيتس وحرم جامعة Fordham المليء بأوراق الشجر في برونكس، بسيارته الحمراء من طراز Austin–Healey. بعد غياب طويل في الكلية دام خمس سنوات، صار بإمكان دونالد قضاء وقت أطول مع والده، فانضم إليه في تشرين الثاني/نوفمبر لحضور حفل افتتاح جسر Verrazano–Narrows الأنيق ذي التصميم الجريء، وكان آنذاك أطول جسر معلق في العالم، ويربط بين بروكلين ومنطقة جزيرة ستاتن في غمرة كل تلك الأبهة، لاحظ دونالد أن مسؤولي المدينة لا يعيرون سوى القليل من الاهتمام لمصمم الجسر، أوثمار أمان Othmar Amman، الذي يبلغ الخامسة والثمانين من العمر. ورغم أن الطقس كان مشمساً والسماء خالية من الغيوم،[١] يتذكر ترامب بعد كل تلك السنوات كيف انهمر مطر غزير كما يتذكر كيف كان أمان يقف وحيداً. يقول ترامب: "لم يذكر اسمه أحد.[٢] أدركت عندئذ أنك إذا سمحت للناس أن يعاملوك كما يرغبون، فسوف يجعلونك موضع سخرية. أدركت عندئذ أمراً لم أنسَه منذ تلك اللحظة: لن أسمح لأحد بخداعي".

في جامعة Fordham، تجلى الثراء الذي كان يتنعم به ترامب لرفاق صفه،[٣] وكان معظمهم من خريجي المدارس الحكومية وأبناء عائلات عمالية وعائلات من الطبقة الوسطى، وفي الوقت نفسه آتين من منطقة نيويورك. في عصر بدأ فيه طلاب الجامعات يجربون تعاطي المخدرات ويرتدون ثياباً أكثر بساطة، كان ترامب يأتي إلى الجامعة مرتدياً بذلة ذات ثلاث قطع[٤] ويحمل حقيبة لحفظ الأوراق. في غرفة الصف، كان ترامب غالباً ما يرفع إصبعه للمشاركة في الدرس. مع ذلك، أكثر ما لفت نظر روبرت كلاين Robert Clein، وهو طالب كان يتخصص في الحسابات ويجلس بجواره في درس الفلسفة، هو الخربشات التي كان يرسمها ترامب،[٥] فقد كان يرسم صور أبنية–ناطحات سحاب، كما اكتشف كلاين أن ترامب كان مختلفاً عن رفاق صفه في أمور

1 *New York Times*, November 22, 1964.

2 "Verrazano Bridge Opened to Traffic," *New York Times*, November 22, 1964.

٣ مقابلات مع دون روبنسون Don Robinson وروبرت كلاين Robrt Klein، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٤ مقابلة مع جون ب. سيفتشيلو John P. Cifichiello، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٥ مقابلة مع كلاين.

أخرى أيضاً، فقد دعا ترامب كلاين بعد ظهر أحد الأيام إلى حضور مباراة لفريق Mets. قاد ترامب سيارته ذات الغطاء القابل للطي إلى ملعب Shea، وهناك صفّ أحد العاملين السيارة بدلاً عنه. وفي الملعب، جلس ترامب وكلاين في الصف الأول، بجوار مالك الفريق، جوان بيسون Joan Payson.

انضم ترامب إلى فريق السكواش في جامعة Fordham، وكان ينحشر مع أعضاء الفريق في سيارة المدرب الكبيرة للذهاب إلى التمارين. لم تكن لعبة السكواش رياضة ترامب المفضلة، لكنه كان يحب تعلُّم أشياء جديدة[1] وكان عدائياً في الملعب، كما كان يفضل قذف الكرة بعنف لتتجاوز الخصوم بدلاً من الصمود بوجههم في لعبة الفولي بول. كان أعضاء فريقه يهتفون بعدما ربح ترامب لعبة حاسمة: "هكذا يكون اللعب يا ترومبي!".

يقول أحد أعضاء فريقه وهو ريتش مارين Rich Marrin:[2]

> كانت هناك هالة تحيط به. لم تكن تتملكه نوبات غضب ولم يتأخر يوماً. أقل ما يقال هنا هو أنه كان رجلاً يفوقنا شهامة ودماثة، كأنه نشأ وسط أسرة أكثر صرامة وأكثر تركيزاً على السلوك المهذب. لم نكن بالطبع فظين، لكننا لم نكن نحسن استعمال شوكات المائدة بالأسلوب الصحيح.

شكّل ترامب فريقاً من الطراز الأول، وكان هذا الفريق يسافر عبر ولايات الشمال الشرقي والولايات الواقعة على الساحل الشرقي. كان أحياناً يصحب أعضاء الفريق بسيارته الرياضية ويطلب منهم الإسهام في ثمن البنزين ورسوم الطرق، رغم أن المدرب كان يعطيه المال اللازم للسفر. كان أحد رفاقه في الفريق، في بعض الأحيان، يبحث عن ترامب خلال التمرينات ليراه وقد انسحب ليرتاح وليقرأ صحيفة **وول ستريت جورنال** أو **نيويورك تايمز**. خلال السفر إلى جامعتي Yale و Georgetown، كان يتسلل ليلاً مع أعضاء فريقه للذهاب إلى البارات، رغم أنه لا يتناول المشروبات الروحية. بعد

١ مقابلة مع رتشارد أودونيل Richard O'Donnell ودون روبنسون، نسيان/أبريل، ٢٠١٦.

2 Gwenda Blair, *The Trumps: Three Generations of Buildersand a Presidential Candidate* (New York: Simon & Schuster, 2015).

إحدى الخسائر الموجعة أمام فريق Naval Academy، في أنابوليس، حاول ترامب رفع الروح المعنوية لأعضاء فريقه، فبينما كانوا عائدين بالسيارة إلى نيويورك، طلب من زميله التوقف عند مخزن Montgomery Ward حيث اشترى مضارب غولف والقطع التي توضع عليها الكرات، وعشرات الكرات، ثم ذهب الجميع إلى منحدر صخري يطل على خليج تشيسابيك. أمسك ترامب بمضرب وبدأ يقذف بعض الكرات نحو الماء، وما لبث أصدقاؤه أن انضموا إليه. بعد نفاد كل الكرات، عاد ترامب وأعضاء الفريق إلى السيارة، وتركوا مضارب الغولف على حافة الطريق.[١]

مع ذلك، ورغم كل هذه الأوقات المسلية التي بدا كأنه يستمتع بها مع أعضاء فريقه، فإنه كان ينشر حوله جواً من القلق في جامعة Fordham، وكأن سمعة الجامعة وثقافتها لم تكونا منسجمتين مع معاييره. يقول بريان فيتزغيبون Brian Fizgibbon، الذي كان يعيش بجوار دونالد في كوينز ويصحبه أحياناً بسيارته إلى المدرسة، إنه لم يكن يعتقد أن ترامب "كان يشعر بانتماء عميق إلى جامعة Fordham. وربما كانت ثروة عائلته وكونه ليس كاثوليكياً دفعا به للشعور بأنه مختلف عن الآخرين". يضيف فيتزغيبون أن ترامب كان يتذمر في بعض الأحيان من أن "هناك العديد من الطلاب الإيطاليين والأيرلنديين في Fordham"، وأنه دُهش لسماع ذلك ورأى أنه ينم عن شعور بالانتماء إلى "النخبة". كان فيتزغيبون يشك أحياناً في أن موقف ترامب كان يعكس اعتقاده بأنه كان دائماً ينتمي فعلياً إلى واحدة من أفضل ثماني جامعات في الولايات المتحدة Ivy League.[٢] بعد إنهاء السنة الثانية، حقق ترامب رغبته، إذ انتقل إلى جامعة بنسلفانيا، فغادر Fordham دون أن يودع أصدقاءه[٣] في فريق السكواش.

وصل ترامب إلى كلية Wharton في جامعة Pennsylvania في خريف ١٩٦٦، وبدا رجلاً على عجلة من أمره. في قسم العقارات المتواضع في الكلية، برز تبجحه منذ البداية، فقد أخبر الشاب ذو الشعر الأشقر الكثيف[٤] زملاءه في الصف بأنه سيصير بيل زيكيندورف Bill Zeckendorf التالي، وهو متعهد بناء في مانهاتن كان يملك مبنى

١ مقابلة مع لاعب سكواش اشترط عدم الكشف عن هويته، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٢ مقابلة مع فيتزغيبون، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٣ مقابلة مع أودونيل.
٤ مقابلة لويس كالاماريس مع الواشنطن بوست، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

كرايسلر Chrysler وجمَع الأراضي لبناء مقر الأمم المتحدة (كان ابن أحد كبار متعهدي البناء)، بل إن ترامب وعد زملاءه أنه سيصير أكبر وأفضل من زيكيندورف.

كان العامان، اللذان قضاهما ترامب في الجامعة الوحيدة ضمن جامعات Ivy League التي تضم كلية تدرّس الأعمال للطلاب ممّن لم يتخرجوا بعد، المدةَ الوحيدة التي عاش فيها خارج نيويورك، لكن حتى خلال تلك الفترة، كان غالباً ما يعود إلى المنزل في عطل نهاية الأسبوع ليعمل مع والده. منذ البداية، رأى ترامب في كلية Wharton مكاناً يُكسِبه مسحةً من العراقة. وفي رأيه:

> ربما كان أهم شيء[1] تعلمته في Wharton هو ألا أبالغ في الانبهار بالمؤهلات الأكاديمية. فلم يتطلب الأمر مني وقتاً طويلاً كي أدرك أن زملائي في الصف لا يتصفون بأي شيء يثير الرهبة أو بأي شيء استثنائي، وأن بإمكاني التنافس معهم بكل سهولة. الشيء المهم الآخر الذي حصلت عليه من وارتون، هو شهادة Wharton. وفي اعتقادي، أن الشهادة بحد ذاتها لا تعني الكثير، لكن الأشخاص الذين أتعامل معهم في مجال الأعمال، يأخذون هذه الشهادة على محمل الجد.

ترامب نفسه صار ينظر إلى جامعة Wharton بجدية كبيرة، وصارت وارتون اسماً ينبغي أن يُذكَر عَرَضاً، شيئاً من "أفضل" الأشياء التي تضيف البريق إلى علامة ترامب المميِّزة. ظل ترامب لمدة يتبجح بأنه كان طالباً متفوقاً بين رفاقه في Wharton الذين يبلغ عددهم ٣٣٣ طالباً، بل إنه ادعى أنه كان الأول في صفه،[2] لكن اسم ترامب ليس موجوداً في قائمة الشرف التي تُنشر[3] في ديلي بنسيلفانيا *Daily Pennsylvania*، وهي صحيفة الطلبة، كما أن رفاقه في الصف لا يتذكرونه كطالب استثنائي. يقول لويس كالوماريس Louis Calomaris، وهو أحد رفاق صفه:

---

1 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 77.

2 William D. Cohan, "Decades-Old Questions about Trump's Wealth and Education," *New York Times*, September 28, 2015.

3 "Wharton Schools Reveal Dean's List for 1967-68," *Daily Pennsylvanian*, October 25, 1968.

> لم يكن ترامب الرجل الذي يمكن وصفه بالمفكر،[1] لكنه لم يكن شخصاً غبياً. كان هناك أمر محدد يهمّه، ولا أعتقد أنه درس لتقديم أي امتحان. كان ترامب مهتماً بالتجارة وبالصفقات المهمة... كان يفعل كل ما يتطلب الأمر لمجاراة البرنامج.

عاش ترامب خارج حرم الجامعة في شقة متواضعة، وكان غالباً ما يغادر المدينة في عطل نهاية الأسبوع. لم يكن مبرّزاً في الأنشطة خارج المنهاج، بل إن العديد من رفاق صفه لا يتذكرونه إطلاقاً.

في ذروة الاحتجاجات ضد حرب فيتنام،[2] التي كانت تجري داخل حرم الجامعة، وفي السنوات الأولى المضطربة من عهد إدارة نيكسون، نظّم طلاب جامعة Pennsylvania اعتصامات وتظاهروا احتجاجاً على العقود التي أبرمتها الجامعة[3] مع الجيش الأميركي لإجراء أبحاث حول الأسلحة البيولوجية ومبيدات الأعشاب الفعالة. أما ترامب، على غرار طلاب عديدين في Wharton، فنأى بنفسه عن الاضطرابات الجارية في حرم الجامعة؛ كان تركيزه منصباً على بدء مزاولة مهنته. بعد مدة وجيزة من التحاقه بجامعة Pennsylvania، خضع ترامب لفحصه الطبي العسكري الثاني، لكنه ظل معفياً من التجنيد لأنه كان لا يزال طالباً. بعدما أنهى دراسته الجامعية، في ١٩٦٨، كان تصنيفه A – 1 أي صالح للخدمة، لكنه أجرى فحصاً طبياً عسكرياً آخر في خريف العام نفسه، وكان تصنيفه 1-Y، أي غير مؤهل طبياً للخدمة إلا في حالات الطوارئ الوطنية. لا تضم السجلات العسكرية أي تفاصيل توضح سبب تلك النتائج، لكن ترامب يقول إن السبب يعود إلى وجود مهماز عظمي في كلٍ من عقبيه. في ١٩٦٩، كان الشبان الذين ولدوا في اليوم نفسه مع ترامب – ١٤ حزيران/ يونيو – يسحبون رقم ٣٥٦ من ٣٦٦ في قرعة التجنيد، وهذا يعفيهم على نحو يكاد يكون مؤكداً من الخدمة العسكرية الإلزامية، لكن ترامب لم يكن بحاجة إلى حظ في القرعة لأن غياب الأهلية الطبية ظل سارياً حتى ١٩٧٢، حينما تغير التصنيف إلى

١ مقابلة مع كالوماريس.

2 “Air Force, Penn End Spice Rack,” *Daily Pennsylvanian*, September 13, 1967.

3 Alison D. Graham, “A Brief History of Global Engagement at the University of Pennsylvania: International Crisis, the War in Viet Nam,” UPenn Archives, 2007.

4-F، ومعناه غير مؤهل للخدمة العسكرية (أثناء حملته الانتخابية، قال أحد الناطقين باسمه إن ترامب "لم يكن معجباً بالحرب في فيتنام، فهو يراها كارثة أخرى تحل بلدنا، [لكن] لو جرى اختيار رقمه في القرعة، لكان التحق بالجيش بكل سرور).[١]

وبما أنه لم يكن سيلتحق بمئات آلاف الشبان الأميركيين في أدغال جنوب شرق آسيا، فقد كان يقضي وقتاً في العمل مع والده في نيويورك، يعادل الوقت الذي كان يقضيه في الصف في فيلادلفيا. يقول زميله في الصف، تيري فاريل Terry Farrell، إنه "كان يتباكى كل أيام الاثنين[٢] بسبب اضطراره إلى العودة إلى نيويورك في عطل نهاية الأسبوع للعمل مع والده. كان رجلاً غنياً ينتحب". ربما كان ترامب يشعر أنه أمير كوينز، لكنه لم يكن بأي حال الطالب الأغنى في الصف أو حتى ضمن مجال تخصصه. كان قسم العقارات، الذي يضم ستة مجالات تخصص، على الأقل، للطلاب غير المتخرجين في كل صف، يحوي العديد من أبناء بعض عمالقة تطوير المشاريع السكنية، بمن فيهم جيرالد و. بليكلي الثالث Gerald W. Blakeley III، الذي كان والده يدير الشركة الكبرى في بوسطن Cabot, Cabot & Forbes، وروبرت ماكل Rober Mackle، الذي كان والده وأعمامه شخصيات بارزة في مجال العقارات في فلوريدا في المرحلة التي أعقبت الحرب.

كان ترامب متلهفاً لبدء العمل في مجاله، وكان يقضي ساعات طوال باحثاً عن شقق[٣] ليشتريها قرب حرم ويست فيلادلفيا لكي يؤجرها للطلاب. يتذكر ترامب كيف أنه كان يركّز على حيازة الممتلكات، لكن اسمه لم يظهر خلال البحث في صفقات العقارات خلال تلك الفترة. يقول بعض رفاق صفه إنه كان يهتم أيضاً بأن يراه الناس بصحبة نساء جميلات، ويضيف أحدهم، وهو بيل سبيكت Bill Specht، أنه "في كل مرة رأيته فيها، كانت هناك فتاة جميلة تتأبط ذراعه".

كانت كانديس بيرغن Candice Bergen، وهي ممثلة وعارضة أزياء، قد تركت جامعة Pennsylvania قبل قدوم ترامب، لكنها تتذكر أنها خرجت معه في موعد مدبَّر؛

---

١ وردت في Craig Whitlock, "Questions Linger about Trump's Draft Deferments during Vietnam War," *Washington Post*, July 21, 2015.

٢ مقابلة تيري فاريل مع **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٣ مقابلة بيل سبيكت مع **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

"كان يرتدي[1] بذلة خمرية من ثلاث قطع وحذاء خمرياً و[كان يقود] سيارة فارهة خمرية اللون. بدا شديد التناسق... كانت أمسية قصيرة"، لكن ذكريات ترامب عن الموضوع مختلفة، إذ قال: "كانت تواعد رجالاً من باريس،[2] في فرنسا، وكانوا في عمر الخامسة والثلاثين، كل علاقاتها. أنا الذي بادرت، ويجدر بي الاعتراف بأنها كانت تتمتع بالحس السليم الذي دفعها لقول: لا بالطبع".

خلال السنوات التي أعقبت تخرج ترامب، صارت Wharton مرادفة للنجاح المالي، فقد غدا العديد من خرِّيجيها أثرياء، وازدادت الهبات المقدمة إلى جامعة Pennsylvania زيادة كبيرة. كان الخريجون يدفعون بسخاء، وكانت أسماؤهم تزين جدران الحرم بكاملها. ورغم أن مكانة Wharton قد ازدادت في سيرة ترامب، فإن إسهاماته المالية للجامعة لم تزدد إلا نادراً. في ثمانينات القرن العشرين، قال أحد المسؤولين عن التطوير في جامعة Pennsylvania، إن ترامب قدم إلى الجامعة أكثر من عشرة آلاف دولار، لكنه لم يعطِ أي تفاصيل. تقول نانسي ماغارغال Nancy Magargal، وهي مساعدة مدير التطوير في وارتون: "لا أعرف لماذا[3] لم يقدم إلى جامعة أكثر". أحد المواقع القليلة التي يظهر فيها اسمه في حرم الجامعة هو لوحة غرفة صف الحلقات الدراسية لعام ١٩٦٨ في مكتبة Van Belt، وكانت تقدمة بمناسبة اجتماع لمّ الشمل الخامس والثلاثين لصفه. يعتقد زملاؤه في الصف والموظفون السابقون في الجامعة أن الإسهام كان بحدود خمسة آلاف دولار. ورغم ادعاءات ترامب في حبه جامعة Pennsylvania وتباهيه بنجاحاته المالية، فإن جامعي التبرعات في الجامعة سئموا المطالبة بهبات كبيرة. في ١٩٩٤، قدّم ترامب منحة سخية، إذ دفع مبلغاً كافياً لكي يوضع اسمه في قائمة "مؤسسي" الموقع الجديد لنادي جامعة Pennsylvania، وسط مانهاتن. كان المبلغ الأدنى للانضمام إلى تلك الفئة، هو مئة وخمسون ألف دولار. بعد مضي خريفين، وصل دونالد ترامب الابن إلى الحرم الجامعي المليء بأوراق الشجر. في الإجمال، التحق ثلاثة من أولاد ترامب الأربعة

1 Maggie Parker, "Candice Bergen Says Her Date with Donald Trump Was 'Short'-but She Does Remember His Burgundy Limo," *People*, February 12, 2016.

2 Matt Viser, "Even in College, Donald Trump Was Brash," *Boston Globe*, August 28, 2015.

3 Greg Stone, "Trump Towers over East; Shies Away from East," *Daily Pennsylvanian*, November 24, 1987.

الكبار، بمن فيهم إيفانكا (التي انتقلت بعد عامين إلى جامعة جورج تاون) وتيفاني، بهذه الجامعة، ما جعلها أشبه بالإرث، أو بالرمز العائلي.

في أيار/مايو ١٩٦٨، ألقى ويليام س. باليه William S. Paley، مؤسس شبكة CBS وأحد الخريجين، خطاب التخرج في جامعةWharton . يظهر دونالد في الصورة التي تجمعه ووالده، فريد ترامب، مرتدياً الرداء الأسود وقد أحاط وشاح ذهبي بياقته. تبدو السعادة على وجه الأب والابن وقد تدلت أذرعهما على نحو متشابه. انتهت أيام تنقُّل دونالد. كانت Wharton محطة هامشية في الدرب الموصل إلى ممارسة المهنة التي أعلن لزملائه في الصف، فور وصوله إلى الحرم الجامعي، أنه سيمارسها. بينما كان رفاقه يسيرون في شارع سبروس أثناء الاحتفالات بمناسبة التخرج، يذكر هؤلاء أن ترامب صرخ: "لويس، انتظر!"، استدار كالوماريس نحو صديقته الجديدة، وزوجته المستقبلية، وقال لها: "ليندا، أنت على وشك أن تقابلي بل زاكيندورف التالي[١] الآتي من مانهاتن".

---

١ مقابلة مع كالوماريس.

الفصل الثالث

الأب والابن

ظلّ دونالد ترامب لسنوات يقضي فصل الصيف مع والده، يطوف معه في مشاريع التطوير السكنية ويتعلّم أسس المهنة. الآن، طلب فريد من ابنه خريج الجامعة الانضمام إليه ليعمل بدوام كامل في بروكلين حيث كان لشركة Trump Management مكتب متواضع في جادة Z، قرب الممشى الخشبي العتيق في منطقة كوني آيلاند. هناك كانت درة مشاريع فريد ترامب، وهو مشروع ترامب فيليدج، يهيمن على الأفق.

كانت منطقة كوني آيلاند، لمدة قرن تقريباً، منتجعاً مدينياً مزدهراً، فقد كانت شواطئ نيويورك تعج بمئات الآلاف من السكان الذين يقفون طوابير بانتظار دورهم في استخدام وسائل التسلية، لكن المنطقة تراجعت بمرور السنين، وكان المسؤولون تواقين إلى إعادة تطويرها. أصدروا حكماً[1] بغياب صلاحية قطعة أرض تبلغ مساحتها أربعين فداناً وبهدم المباني الموجودة، ومنحوا ترخيصاً لفريد ترامب للبناء قرب برج Parachute Jump الشهير، الذي كان يُطلق عليه "برج إيفل بروكلين"، البالغ ارتفاعه ٢٥٠ قدماً، والذي كان يسمح لمن يعتليه بالسقوط الآمن إلى الأرض. اغتنم ترامب الأب الفرصة مطلع الستينيات، ولأول مرة أطلق اسم العائلة على مشروع.

بينما كان دونالد يقود سيارته الكاديلاك من منطقة كوينز إلى كوني آيلاند للانضمام

1 "Begin Action to Clear Coney Island Area for Housing Project,"*Brooklyn Daily Eagle*, December 2, 1960.

إلى والده، كان بإمكانه رؤية أعظم إنجازات والده. لم يكن مشروع ترامب فيليدج ملاذاً ريفياً كما يوحي اسمه، بل كان مجموعة هائلة مؤلفة من سبعة أبراج شاهقة بعلو ثلاثة وعشرين طابقاً، يفوق ارتفاعها برجParachute Jump وكل ما حوله من منشآت، وهي مبنية وفق طراز عملي، وتضم ثلاثة آلاف وثمانمئة شقة[1] تشرف على الشاطئ، وكانت آنذاك أكبر مجمع للشقق المؤجرة في بروكلين. مع ذلك، كانت الشقق، الخالية من الأبهة والأناقة، تمثل تطوراً تُفاخِر به عائلات الطبقة الوسطى المكافحة، ومعظمها عائلات مهاجرين يهود أو أبناء تلك العائلات، ممن تركوا صفوف المنازل القديمة المزدحمة في المدينة للاستمتاع بنسائم المحيط المنعشة، وللإقامة قرب كشك ناتانNathan الذي يبع النقانق، وقرب قطع العجين المقلية التي كانت تعدها السيدة ستال Stahlعلى الممشى الخشبي.

كان فريد قد أصر على أن يُبنى مشروع ترامب فيليدج بأقل تكاليف ممكنة، وبأرخص أحجار البناء وبأبسط الزخارف المعمارية. كان يفرض التقشف نفسه في مكتبه القريب من المشروع، الذي كان مفروشاً بالبسط الصوفية[2] وتنتشر فيه قطع الأثاث المعدنية،كما تزينه تماثيل خشبية للهنود الحمر من النوع الذي كان يُعرَض في متاجر التبغ. كان ذلك سيصير مكتب دونالد أيضاً. بعد بضع سنوات من إنهاء دراسته في Wharton، عندما قارب عامه الخامس والعشرين، في عام ١٩٧٠، صار دونالد مديراً لشركة Tramp Management، فيما اكتفى فريد بمنصب الرئيس. كانت ترقية دونالد هبة استثنائية ومسؤولية كبيرة في الوقت نفسه. صار دونالد مشرفاً على أربعة عشر ألف شقة متوزعة على جميع مناطق الأطراف، بما في ذلك شقق مشروع "ترامب فيليدج". كان عملاً لا يخلو من الصعوبات،إذ كان مئات المستأجرين يأتون ويذهبون، وكان بعضهم يتوقف عن الدفع، بل إن مسؤولي المدينة ضغطوا على عائلة ترامب لتقبل عائلات ذات دخل متدنٍّ كانت في بعض الأحيان تهرب عند موعد دفع الفواتير وتترك الشقق في حالة يرثى لها. روى دونالد في ما بعد كيف كان أحياناً يقف

1 KareenFahim, "Brooklyn Towers Have Trump Name but No Limos,"*New York Times*, April 8, 2010.

2 Philip Weiss, "The Lives They Lived: Fred C. Trump, b. 1905," *NewYork Times*, January 2, 2000.

إلى جانب أبواب المنازل بعد قرع الجرس خشية أن يستقبله أحدهم حاملاً بندقية. كانت الأثمان من هذا النوع تمثل جزءاً من عملية إدارة مجمّعات كبيرة للشقق السكنية في أحياء كهذه، أي إنها كانت مألوفة بالنسبة إلى فريد، لكنها شكّلت صدمة ثقافية لابنه.

كان فريد في بداية الكساد، أي عندما كان في منتصف العشرينات من عمره، يشعر بالقلق إزاء وضعه المالي ويتفادى قدر المستطاع تحمُّل مجازفات شخصية. قال فريد إنه نجح لأنه كان ينجز عملاً يحتاج تسعة أيام خلال سبعة أيام، ولأنه كان يصرف كل بنس بحكمة. كان يتباهى بأنه يستطيع تحويل ليمونة عادية إلى ليمونة هندية. كانت تلك هي الدروس التي أمل في أن يعلّمها لدونالد: اعمل بجد، كن متواضعاً وممتنّاً، وتمسّك بوصفة النجاح وهي بناء شقق سكنية للطبقة الوسطى في مناطق كوينز وستاتن أيلاند وبروكلين.

بعد سنوات، ولدى قبوله "جائزة هوراشيو ألجر" Horatio Alger، التي تُمنح للأشخاص الذين يتجاوزون المحن، قال فريد: "لا يوجد سر. هناك شيئان فقط: الأول، عليك أن تحب ما تفعل، والثاني، عليك أن تختار العمل الصحيح أو المهنة الصحيحة. تعلَّم كل ما يتصل بهذا العمل... لكي تشعر بالحماسة أثناء أدائه. تسعة أشخاص من أصل عشرة لا يحبون عملهم. وعندما لا يحب المرء عمله، فإنه يفقد الحماسة لإنجازه، يتنقّل الأشخاص من هذا النوع من عمل لآخر، وفي النهاية، يصيرون لا شيء". ذلك هو التحدي الذي واجهه دونالد بوصفه ابن ذلك الرجل، فقد قُدِّم له كل شيء منذ البداية، وفي المحصلة، لن يتمكن من الحصول على جائزة هوراشيو ألجر. كان يريد أن يتفادى خسارة احترام والده والتحوُّل إلى لا شيء.[1]

كسب فريد ملايينه عن طريق الاهتمام والتقشف، ولكن أيضاً عن طريق مساعدة لا يستهان بها من برامج الإسكان الحكومية. كلما ازداد فريد نجاحاً، كان يواجه المزيد من التساؤلات حول الكيفية التي يدير بها أعماله. وقعت المواجهة الأولى عام ١٩٥٤، عندما كان دونالد في الثامنة من عمره، حينما استدعي فريد للإدلاء بشهادته أمام الكونغرس. فقد كانت لجنة تابعة للكونغرس تحقق هل كان فريد قد أساء

1 Fred C. Trump, 1985 Horatio Alger Award Winner video, https://www.youtube.com/watch?v=BaWPTdme2_U.

استخدام قرض حصل عليه بكفالة الحكومة من أجل مشروع شقق في بروكلين، كان يسمى بيتش هافن. كان قد اقترض ٣,٥ مليون دولار فوق حاجته، طبقاً لتقرير مجلس الشيوخ. ردّ ترامب بغضب أن تلك المزاعم قد سببت "ضرراً لا حدّ له لمكانتي ولسمعتي"[١]. وقال في شهادته إنه بنى الشقق بمبلغ أقل من القرض بسبب خفضه النفقات، وليس لأنه كان يسعى إلى الحصول على أرباح غير شرعية. ولم تُثبت عليه التهمة.

في ١٩٦٦، واجه فريد اتهامات بأنه تمكّن من الحصول على "ربح غير متوقع" يبلغ ١,٨[٢] مليون دولار، أثناء بناء "ترامب فيليدج" عبر برنامج حكومي. قال المحققون في نيويورك إن تكاليف مشروع ترامب قد ارتفعت إلى حد غير سوي، وإنه أعاق تعيين أحد الموظفين الحكوميين وقد كان يمكن أن يعارض مخططاته. أنكر ترامب، كما فعل في جلسة الاستماع في مجلس الشيوخ، الشكاوى بوصفها سخيفة، وقال إن الأرباح كانت "تافهة مقارنة مع مشروع بقيمة ستين مليون دولار". هنا أيضاً لم تثبت عليه التهمة.

كان بإمكان فريد ترامب أن يشير، وهو يشعر بالفخر، إلى عشرات ألوف السكان من الطبقة العاملة في بروكلين وكوينز وستاتن أيلاند، ممن كانوا يعيشون في منازل بناها، أو مجمعات شقق كان يديرها. هناك أعداد كبيرة من سكان نيويورك، بمن فيهم عدد من عائلات المهاجرين، بدؤوا حياتهم في المدينة في المنازل التي جمع منها ترامب ثروته. كان عدد من مجمعات الشقق قد أقيم في أحياء لا تخلو من القلاقل، وكانت غالباً مقسّمة عرقياً، لكن الحكومة الفيدرالية، التي موّلت عدة مشاريع لترامب، تتحمل جزءاً من المسؤولية عن هذا التقسيم، فقد كادت إدارة الإسكان الفيدرالية أن تجيز هذا العزل العرقي، إذ كانت لا تحبذ المشاريع التي أُطلق عليها تأدباً مشاريع "غير متجانسة".

كان وودرو ويلسون غوثري Woodrow Wilson Guthrie، أو وودي Woody كما كان يُطلَق على المغني الشعبي الآتي من أوكلاهوما، واحداً من مستأجري ترامب الذين

1 *Associated Press*, "Tenafly Builder Balks at Inquiry, "*New York Times*, July 13, 1954.

2 Edith Evans Asbury, "Housing Windfall Yielded 1.8 Million, Inquiry Here Told, "*New York Times*, January 27, 1966.

أزعجهم هذا العزل العرقي الناتج بحكم الواقع. انتقل وودي إلى نيويورك في ١٩٤٠، وفي العام نفسه كتب كلمات أغنية "This Land is Your Land" التي صارت إحدى أكثر الأغاني التي حظيت بإعجاب الناس. بعد عشر سنوات، انتقل إلى "بيتش هافن"، أي مجمع ترامب الذي يبعد بضعة أبنية عن شاطئ كوني أيلاند. كتب غوثري في ما بعد عدداً من الأشعار التي كانت توحي بأن فريد ترامب كان مسؤولاً عن إبعاد السود عن المجمع: "أعتقد/أن ترامب العجوز[1] يعرف/مدى الكره العنصري الذي استثاره/ في قلوب البشر/عندما رسم/خط اللون/هنا، في مشروعه العائلي الألف وثمانمئة".

ظلت شركة فريد، لسنوات بعد مغادرة غوثري منطقة بيتش هافن، تواجه اتهامات بالتمييز العرقي. كانت الشكاوى تتوالى من حين إلى آخر،إلى الهيئات المحلية، وكانت شركة ترامب توافق على تأجير شخص كان قد ادعى بأنه لم يحصل على الموافقة، وهكذا يسوى الأمر، ولكن عندما انضم دونالد إلى العمل، كان المحققون يراقبون الشركة ثانية خشية ممارستها التمييز العرقي. كان الناشطون المحليون يشكون من أن وكلاء الإيجار كانوا يبعدون مقدمي الطلبات السود عن الأبنية التي تقطن فيها أغلبية بيضاء. كان ذلك أمراً مألوفاً منذ سنوات في عدد من المناطق في الولايات المتحدة، لكنه مُنِع بموجب قانون الإسكان العادل Fair Housing Act الصادر عام ١٩٦٨. تم إقرار القانون خلال عهد إدارة جونسون Johnson، في وقت كان فيه العديد من البيض يعودون إلى السكن في الضواحي، وكان أفراد الأقليات غالباً ما ينتقلون للعيش في مباني المدينة التي أخلاها البيض. تصاعدت مشاعر القلق بهذا الشأن إلى أن وصلت الذروة بعد أحداث العنف العرقية التي اندلعت في كل نواحي البلاد في أعقاب اغتيال القس مارتن لوثر كينغ الابن، عام ١٩٦٨. في نهاية ١٩٧١، وبعدما سوّى أحد كبار ملاك الأراضي في مدينة نيويورك قضية اتهام بالتمييز العرقي، ازداد تركيز الكشّافين السريين على فريد ترامب وابنه دونالد، وسرعان ما عثر هؤلاء على دليل على ما اعتقدوا أنه تمييز عرقي.

في الثامن عشر من آذار/مارس ١٩٧٢، علم ألفريد هويت Alfred Hoyt، وهو رجل أسود، بوجود منزل شاغر في مجمّع شقق ترامب في شارع ويستمنستر في

1 Will Kaufman, "Woody Guthrie, 'Old Man Trump,' and a Real Estate Empire's Racist Foundations," The Conversation.com.

بروكلين. وعندما حاول استئجار المنزل، أخبره المشرف المسؤول أنه لا توجد شقق بغرفتي نوم. في اليوم التالي، قُدِّمت إلى زوجته شيللا هويت Sheila Hoyt، وهي بيضاء، استمارة لاستئجار شقة بغرفتي نوم في المجمّع نفسه، ولكن ما كان يجهله المشرف هو أن شيللا هويت كانت كشّافة تعمل لمصلحة لجنة مدينة نيويورك لحقوق الإنسان، وهي وكالة تعمل داخل المدينة وتحقق في مسألة التمييز العرقي في مجال الإسكان. بعد يومين، عادت شيللا لتوقيع عقد الإيجار، ولم يكن المشرف يعلم أنها أحضرت معها زوجها ومندوباً للحكومة يعمل في مجال الإسكان. كان الرجلان ينتظران خارجاً،ثم دخلا الشقة. طلب المندوب الحكومي معرفة السبب الذي حدا بالمشرف إلى منع منح الشقة لألفريد هويت وتأجيرها لشيللا هويت. قالت هويت إن المشرف أخبرها بأنه كان "ينفذ ما يأمره به مديره فقط؛ لا يُسمَح لي بتأجير العائلات [السوداء]".

ثبّت المندوب الحكومي لوحة على المبنى كتب عليها أنه لا يمكن إجراء صفقات تتعلق بهذا المبنى بأمر من لجنة حقوق الإنسان. بعد ذلك، اصطحب المشرف عائلة هويت والمندوب الحكومي إلى مكتب ترامب في جادة Z. لا تذكر شيللا هويت هل كانت قد قابلت دونالد، لكنها قالت إنه بعد اجتماع عقد في مكتب ترامب مع ثلاثتهم، سُمح لألفريد هويت[1] باستئجار الشقة ليعيش فيها مع زوجته.

ساعد الرفضُ المبدئي لتأجير ألفريد هويت على إبراز سلسلة من الأحداث التي أدت بدورها إلى تعرُّض دونالد ترامب إلى أكثر اللحظات إشكالية وتحديداً خلال سنواته الأولى في مجال العمل. ازداد عدد الكشّافين الذين كانوا يجولون سراً في أبنية ترامب. في حادثة للاختبار في تموز/يوليو ١٩٧٢، داخل موقع شقق شور هافن في بروكلين، قال المشرف لامرأة سوداء، وهي هنريتا ديفيز Henrietta Davis، إنه لا توجد شقق متوافرة. لحقت امرأة بيضاء، وهي موريل سالزمان Muriel Salzman تعمل كشّافة لدى منظمةUrban League ، بديفيز إلى المكتب، فأخبرها المشرف نفسه أن بإمكانها أن "تستأجر فوراً[2] واحدة من شقتين متوافرتين".

---

١ مقابلة مع شيللا هويت مورس أجراها مايكل كرانيش
WashingtonPost; and *United States of America v. Fred C. Trump, et al.*

2 *USA v. Trump*, "Plaintiff 's Answers," March 6, 1974.

كشفت تلك الاختبارات وجود نمط للتصرف. فقد كان يجري تشجيع الكشّافين البيض على استئجار شقق في أبنية معينة تابعة لترامب، فيما كان يجري تثبيط عزم الكشّافين السود على الاستئجار أو رفض تأجيرهم أو تحويلهم إلى مجمّعات شقق غالبية السكان فيها من الأقليات العرقية. بعدما أدرك الناشطون المحليون مدى أهمية النتائج التي توصلوا إليها، نبّهوا قسم الحقوق المدنية في وزارة العدل، الذي كان يبحث عن قضايا تتعلق بالإسكان لمتابعتها.

استقر ملف ترامب على مكتب محامية شابة تعمل في وزارة العدل وتحمل أفكاراً مثالية. كان اسمها إليس غولدويبر Elyse Goldweber. كانت لحظة حاسمة بالنسبة إلى المحامية، فاغتنمتها، إذ كانت إحدى ذكريات طفولتها التي لا تغيب عن بالها أنها عندما استقلّت عبّارة في فيرجينيا الجنوبية لزيارة جديها، شاهدت لوحتين حين صعودها: للبيض، وللملونين. عندما وصلت العبّارة إلى نيوبورت نيوز في فيرجينيا، أقسم والدا غولدويبر ألا تتعامل عائلتهما مع المتاجر التي تمارس التمييز العرقي. خلال نشأتها في لونغ آيلاند، كانت غولدويبر تشاهد تقارير تُظهر الكلاب البوليسية وهي تتعقب السود، والمياه المندفعة بقوة من الخراطيم الموجّهة ضدهم لمنعهم من متابعة مسيراتهم. في النتيجة، قررت أنها تريد أن تعمل في وظيفة حكومية محامية تدافع عن الحقوق المدنية.

كانت وزارة العدل، لسنوات تسعى إلى اجتذاب خريجي كليات الحقوق في إحدى جامعات Ivy League لتمثيل حكومة الولايات المتحدة. تخرجت غولدويبر في Brooklyn Law School، وشعرت بأن فرصتها لتحقيق حلمها كانت ضئيلة، ولكن ما إن تخرجت، حتى أعلنت وزارة العدل أنها ترغب في توسيع مجال المرشحين للعمل لديها، كما أن عدداً من المحامين تركوا قسم الإسكان للالتحاق بالحملة الانتخابية للمرشح الديموقراطي جورج ماكغفرن George McGovern. هكذا وجدت غولدويبر نفسها تشغل وظيفة مرموقة[1] منذ البداية.

عندما وصلت الاتهامات ضد شركة ترامب إلى مقر وزارة العدل في واشنطن، تسلمت غولدويبر الملف، وكان مديروها قد منحوها صلاحية البت في الدعاوى

---

١ مقابلة مع إليس غولدويبر أجراها مايكل كرانيش وروبرت أوهارو،
Washington Post, January 11, 2016

المرفوعة في نيويورك. ذهبت إلى نيويورك وتحدثت مع الناشطين في مجال الإسكان ومع عمال في شركة ترامب، وعلمت أنه، بعد أخْذ نماذج من عشرة أبنية تابعة لترامب، تبيّن أن نسبة ١-٣,٥%[1] من القاطنين فيها فقط كانوا من الأقليات، وهي نسبة أدنى بكثير من النسبة التي يمثلها هؤلاء ضمن سكان المنطقة. كانت قضية واضحة الأدلة، كما لاحظت غولدوير، فأوصت بأن تقيم وزارة العدل دعوى ضد فريد ودونالد ترامب وشركتهما.

قال موظفان سابقان في شركة ترامب، وهما زوج وزوجة، إن "فريد ترامب ووكلاء آخرين" أخبروهما أن الشركة تريد أن تؤجر الشقق "لليهود وكبار الموظفين" فقط، وأنها "لا تشجع على تأجير السود". وأضاف الزوجان: "كانت هناك شيفرة عرقية يُعمَل بموجبها، فالسود كان يُشار إليهم برقم ٩".[2] وقال وكلاء تأجير آخرون، كانوا يعملون لدى ترامب، لمكتب التحقيقات الفيدرالي إن السود المستأجرين في شقق أوشن تيراس، التي يديرها ترامب، كانوا يشكلون نسبة لا تتعدى ١%، وإن شقق لنكولن شور لم تكن تحوي أي مستأجرين سود. كان كلا المجمّعين يقعان في أوشن باركوي في بروكلين. كان المستأجرون من الأقليات يحوَّلون إلى باتيو غاردنز، وهو مجمّع مختلف يقع في جادة فلاتبوش في بروكلين، حيث كان السود يشكلون نسبة ٤٠% من السكان. وقد رُفِض طلب سيدة سوداء للاستئجار في منطقة تسكنها غالبية بيضاء، ولكن قيل لها إن عليها "محاولة الحصول على شقة في باتيو غاردنز".

عام ١٩٧٣، ذهبت فيليس سبيرو Phyllis Spiro، وهي سيدة بيضاء، متخفية إلى بيتش هافن، وهو الموقع نفسه الذي عاش فيه وودي غاثري وكتب فيه الشعر قبل عشرين عاماً. أخبرت سبيرو المحققين أن أحد المشرفين على المباني اعترف لها أنه كان "يطبق سياسة تأجير تتسم بالتمييز العرقي وفق إرشادات من رؤسائه، وأنه لم يكن هناك سوى عدد ضئيل جداً من المستأجرين الملونين" في المجمّع. ما زالت سبيرو تتذكر[3] هذه الحادثة بوضوح بعد انقضاء أكثر من أربعة عقود، وقالت إنها وزملاءها

1 September 24, 1973, memo to Attorney General Elliot Richardson, from *USA v. Trump*.

2 *USA v. Trump*, "Plaintiff's Answers," March 6, 1974, 8.

٣ مقابلة مع فيليس سبيرو أجراها روبرت أوهارو، *Washington Post*; and *USA v. Trump*.

من الناشطين في مجال الإسكان اكتشفوا وجود "نمط ثابت وممارسة ثابتة من التمييز" في أبنية ترامب.

سمع مديرو غولدويير ما يكفي. وبعد إيراد تجارب كل من عائلة هويت، والسيدة سبيرو، وآخرين كُثر، أعلنت وزارة العدل إقامة دعوى، وكانت إحدى أبرز دعاوى التحامل العرقي في ذلك العصر، وهي: الولايات المتحدة الأميركية ضد فريد ك. ترامب ودونالد ترامب وإدارة شركة ترامب.في صباح الخامس عشر من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣، اتصل أحد مسؤولي وزارة العدل هاتفياً بدونالد ترامب. جرت هذه المكالمة، التي كانت من باب المجاملة، لإعلام متعهد البناء البالغ من العمر سبعة وعشرين عاماً أن الحكومة الفيدرالية هي التي كانت تقاضيه وتقاضي والده. خلال دقائق، أصدرت وزارة العدل تصريحاً صحافياً قالت فيه إن فريد ودونالد ترامب خالفاالقانون "برفضهما تأجير السود والتفاوض معهم بشأن الإيجار، وهما يفرضان شروطاً على الإيجار تختلف باختلاف العرق، كما يشوّهان الحقائق ويتظاهران بأنه لا توجد شقق".

سرعان ما التقطت وسائل الإعلام هذه القصة. قال ترامب لاحقاً إنه علم بتلك الأخبار للمرة الأولى عبر المذياع في سيارته الكاديلاك، وليس من المكالمة الهاتفية التي أجراها معه المسؤول في وزارة العدل. في الصباح التالي، كان اسم ترامب يتصدر الصفحات الأولى، كما نشرت صحيفة **نيويورك تايمز** قصة تحمل عنواناً عريضاً هو "اتهام أحد كبار ملاك الأراضي بالتحامل ضد السود في المدينة". اهتاج ترامب وقال إن الاتهامات كانت "سخيفة تماماً.[1] لم يسبق لنا أن مارسنا التمييز العرقي".

كان التوقيت رهيباً، فقد حدث ذلك بينما كان دونالد يزداد تلهفاً للانعتاق من هيمنة والده. لقد ضاق ذرعاً بإستراتيجية والده القائمة على الاهتمام برغبات سكان بروكلين وكوينز، من ذوي الدخل المنخفض والمتوسط، وبكل ما تتطلبه تلك الإستراتيجية. فعندما شاهد بعض المستأجرين يلقون القمامة من النوافذ، بدأ بتنفيذ برنامج "لتعليم الناس كيفية استخدام مواقد إحراق النفايات". حذّره موظفو الشركة من أنه "قد يتعرض لإطلاق النار" إذا حاول تحصيل الإيجارات في وقت غير ملائم. كان يعتقد

1 Morris Kaplan, "Major Landlord Accused of Antiblack Bias in City, "*New York Times*, October 16, 1973.

أن أبنية والده تفتقر إلى الذوق بـ"واجهاتها المبنية من حجارة عادية". وكل ذلك في سبيل هامش ربح كان يصفه بأنه "منخفض جداً".

ورغم أن دونالد كان نتاج أعمال والده ومستفيداً منها، فإنه كان يتطلع إلى ما هو أكثر. أما فريد، الذي كان قد بلغ الثامنة والستين، فاستقر على برنامجه الرتيب المعهود وهو الذهاب لتناول الغداء[1] أيام الاثنين والأربعاء والجمعة، في مطعم غارجيولو Gargiulo's، وهو مطعم إيطالي لا يفصله عن "ترامب فيلدج" سوى مبنيين، وكان أحد المعالم الثابتة في الحي منذ عام ١٩٠٧. وغالباً ما كانت ترافقه مساعدته الإدارية، واسمها آن، كما كان دائماً يطلب الطبق نفسه: تورتيلليني على الطريقة البولونية مع صلصة الكريمة البيضاء.

كانت مرحلة فاجعة بالنسبة إلى مدينة نيويورك، فقد فقدت هذه الحاضرة نسبة ١٠% من سكانها خلال السبعينيات، وارتفعت معدلات الجريمة، وهجرها البيض، وبدت المدينة على شفير الإفلاس. كانت الضجة تملأ أنفاق القطارات التي غطت الكتابات جدرانها، والتي كانت بحاجة ماسة إلى الإصلاح. كانت إحدى المحطات التلفزيونية تعرض مسلسلاً شعبياً، وهو All in the Family، تظهر فيها شخصية رجل شديد التعصب، أركي بنكرArchie Bunker، يعيش في كوينز قرب المنزل الذي قضى فيه ترامب طفولته. تدهورت أحوال كوني أيلاند أكثر، وصارت مجرد ذكرى لأيام مجدها السعيدة. في تلك الأثناء، كان بإمكان دونالد أن يجول ببصره في مانهاتن ليرى أفقاً آخذاً بالتحوُّل؛ عندما جرى تدشين برجي مركز التجارة العالمية World Trade Center، في نيسان/أبريل ١٩٧٣، حيّا الرئيس نيكسون تلك اللحظة بوصفها استهلالاً لعصر من التجارة العالمية التي أُعيد إحياؤها. ومع انتهاء حرب فيتنام، بدأت إيقاعات موسيقى الديسكو تحل محل موسيقى الاحتجاجات التي كانت تتسلل من النوادي الليلية الشعبية.

كان دونالد يفضل كل ما يتعلق بمانهاتن: المطاعم الفخمة، وعارضات الأزياء الرشيقات، وناطحات السحاب، والأموال التي تُجنى ثم تُصرف. كان يستخف بتجربته في الأحياء التي لا تخلو من القلاقل في المدينة. كتب ترامب يقول إن

[1] مقابلة مع أنتوني روسو Anthony Russo أجراها بول شوارتزمان
Paul Schwartzman, *Washington Post*, April 2016.

إمبراطورية والده في أحياء الأطراف"لم تكن العالم الذي أعتبره جذاباً بالنسبة إليّ. كنت قد تخرجت لتوي من Wharton، وفجأة، وجدت نفسي هنا في مشهد يمكن لي أن أصفه بأنه عنيف في أسوأ الأحوال وبغيض في أحسن الأحوال".

كان ذلك العالم "البغيض" هو الواقع الذي يواجهه ملايين البشر، لكنه كان بعيداً كل البعد عما كان ترامب يعرفه: محيطه المترف في جامايكا إيستيتس، والنظام في الأكاديمية العسكرية، ودراسة النخبة التي تلقاها في Wharton. كان يريد شيئاً أفضل. كان والده قد وجد طريقاً واحدة إلى الثراء، لكن دونالد ارتأى طريقاً آخر يوصل إلى ثروة أكبر. أضاف ترامب: "السبب الحقيقي[1] الذي دفعني إلى ترك العمل مع والدي -وهو أهم من واقع أن العمل كان شاقاً جسدياً وعسيراً مالياً- أنه كانت لدي أحلام ورؤى أكثر شموخاً، ولم تكن لتتوافر الفرصة لتحقيقها بمجرد بناء منازل في أحياء الأطراف".

في ١٩٧١، انتقل ترامب ليعيش في مانهاتن، داخل شقة تقع في الطابق السابع عشر من بناء في الشارع الخامس والسبعين الشرقي، أثثها بأرائك مخملية وزيّنها بقطع مصنوعة من الكريستال، وذلك بمساعدة مهندس تصميم داخلي. وظّف في الشقة خادمة من أصل أيرلندي. كان يوقف سيارته الكاديلاك، ذات السقف القابل للطي، في موقف مجاور، ويقود السيارة كل يوم لمسافة طويلة للعمل في مكتب Tramp Management في الجادة Z. كانت تلك الشقة الواقعة في الجانب الشرقي الأعلى من المدينة تحمل جاذبية خاصة بالنسبة إلى الشاب، والسبب جزئياً هو أن إيجارها كان محدَّداً؛ كان قانون المدينة يمنع أصحاب الأملاك من زيادة الإيجار زيادة كبيرة كل عام (في ١٩٧٥، سلَّم ترامب الشقة لشقيقه روبرت. آنذاك، كان دونالد يعبّر عن احتجاجه ضد قوانين تحديد الإيجار:[2]"كل من في نيويورك يحصلون على زيادات عدا أصحاب الأملاك، وسوف نضع حداً لتلك الممارسة").

بعد قضاء عامين في مانهاتن، اقترب ترامب من تحقيق حلمه: بدء مشاريع خاصة به. في تلك الفترة أقامت الحكومة دعوى ضده وضد والده. وفي الوقت الذي بدأ

1 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 78.

2 Wayne Barrett, *Trump: The Deals and the Downfall* (New York: HarperCollins, 1992), 84.

فيه يتخيل علامة ترامب جديدة مميزة مركزها مانهاتن، كان أول ما سمعه الناس عنه هو الاتهام بأنه كان يمارس التمييز ضد السود. ربما كان الحل الحكيم يكمن في التسوية. فوزارة العدل لم تكن تسعى إلى فرض عقوبة مالية أو إصدار حكم بالسجن، بل كانت الحكومة ترغب أساساً في تسوية يتعهد فيها دونالد ووالده تجنّب ممارسة التمييز العرقي. في تلك اللحظة المرحلية، بينما كانت الصلاحيات تنتقل من الوالد إلى الابن، كان دونالد بحاجة إلى التوجيه. بعد إقامة الدعوى بيوم، زار ترامب ووالده شركة محاماة مرموقة في نيويورك، حيث نصحهما المحامون العاملون فيها بالاستسلام للحكومة. شعر دونالد بالإحباط. في ذلك المساء، وبينما كان يفكر في القرار الذي سيتخذه، ذهب إلى أحد النوادي الليلية في مانهاتن. هناك قابل الرجل الذي سيساعده في صياغة مسار حياته بعدما بدأ والده الانسحاب من الصورة. كان الرجل الذي تعرَّف عليه ماهراً في استغلال دهاليز النفوذ الخاصة والعامة. كان يعرف محافظين وقضاة وأعضاء في مجلس الشيوخ، وكان يتحرك في مستوى آخر غير المستوى الذي يتحرك فيه دونالد ترامب. كان اسم الرجل روي كوهين.

الفصل الرابع

روي كوهين وفنّ الهجوم المعاكس

لم يكن المبنى العادي، الذي لا يميزه شيء والمكسوّ بالجص، الواقع في ٤١٦ شرق الجادة الخامسة والخمسين، يحمل أي إشارة تنم عما داخله. لم يكن هناك أي اسم على المدخل أو على مظلة النافذة. كانت هناك لوحة نحاسية كتب عليها عبارة وحيدة "للأعضاء فقط". كان ذلك المربع الليلي، المعروف باسم النادي Le Club، المكان الذي تجتمع فيه شخصيات غوثام Gotham [أحد الأسماء المتداولة لمدينة نيويورك] المتألقة داخل صالة رقص صغيرة، وحول طاولة بلياردو، وفي غرفة طعام في الطابق الثاني. اقتصرت عضوية النادي على ألف ومئتي شخص، يضمون "ثلاثة عشر أميراً[1] وثلاثة عشر كونتاً وأربعة بارونات وثلاث أميرات ودوقين".

استولت على ترامب الرغبة في الانضمام إلى النادي. كتب يقول إن Le Club كان في عام ١٩٧٣ مركزاً يجتمع فيه "بعض أنجح رجال العالم وأجمل نساء العالم،[2] وهو مكان من النوع الذي يمكن أن تشاهد فيه رجلاً ثرياً في الخامسة والسبعين يسير مع ثلاث شقراوات سويديات"، لكن هذا القادم الجديد الشاب لم يكن يتمتع بالمؤهلات التي تسمح له بالانضمام إلى مكان حصري كهذا. رفض النادي طلبه. لجأ

1 David A. Andelman, "Le Club, Restaurant of the Jet Set, Cited for Health Code Violations", *New York Times*, July 9, 1974.

2 Donald Trump and Tony Schwartz, *Trump: Art of the Deal* (New York: Ballantine Books Trade Paperback ed., 2015), 93–98.

ترامب إلى المداهنة وناشد الإدارة قبوله. قبلت الإدارة بشرط واحد: كان عليه أن يعد بأنه لن يتحرش بأي من النساء المتزوجات اللواتي يترددن على النادي، "لأنني كنت شاباً وسيماً". كان يتفاخر بأنه يذهب إلى النادي كل مساء تقريباً، و"قابلت العديد من الشابات الجميلات العزباوات"، لكنه أضاف أنه لم يتورط "جدياً" مع إحداهن خلال تلك السنوات المبكرة من حياته. على أي حال، لم يكن بإمكانه اصطحاب نساءإلى شقته، لأنها لم تكن مزوّقة بما يكفي.

بالنسبة إلى ترامب، لم يكن الأمر يتعلق بالنساء أو بالموسيقى. كانت الرغبة بالانضمام إلى النادي جزءاً من مساعيه لتكوين صلات. كان يريد مصادقة أصحاب النفوذ في مدينة نيويورك، ومصادقة وسطاء القوة الذين كانوا يتنقلون بسهولة بين صنّاع الصفقات والسياسيين. في تلك الأمسية التي أعقبت نصيحة أحد المحامين لترامب ولوالده بتسوية قضية التحامل العرقي، ذهب دونالد إلى Le Club، وهناك لمح رجلاً أصلع ذا وجه يعلق في الذاكرة: جبهة عالية، وعينان زرقاوان ثاقبتان، وجفنان سميكان، وأنف محارب يحمل أثراً طولياً مائلاً. كان يبدو كالأوغاد الذين تصوّرهم هوليوود في الأفلام، أي كان نقيضاً لترامب الطويل القامة والأنيق. مع ذلك، شعر ترامب بانجذاب نحو روي كوهين، أو على الأقل، نحو النفوذ الذي كان يمثّله، وهو نفوذ كان من شأنه أن يفيد ترامب في تلك اللحظات الصعبة.

وُلد روي كوهين في بيئة تتمتع بالنفوذ. كان والده، ألبرت س. كوهين Albert C. Cohn، عضواً في ماكينة الحزب الديموقراطي في نيويورك، وصار في ما بعد قاضياً في محكمة الدولة العليا. التحق روي في المرحلة الإعدادية بمدرستين لأولاد النخبة، هما: Fieldston و Horace Mann في برونكس، ثم التحق بجامعة Columbia التي تخرج في كلية المحاماة فيها وهو في العشرين من عمره. حصل كوهين على عمل في مكتب المدعي العام الأميركي في مانهاتن عبر علاقات عائلته السياسية. بعد بضعة أشهر، أوكلت إليه مهمة حوّلت مجرى حياته المهنية، فقد طُلب منه إعداد مذكرة حول ألجر هيس Alger Hiss، وهو موظف في وزارة الخارجية اشتُبه بأنه كان يتجسس لحساب الاتحاد السوفياتي. وبعدما أخبر عملاءُ مكتب التحقيقات الفيدرالي روي بوجود "خلايا كرملين" مزعومة في الهيئات الفيدرالية، بات على قناعة بأن الشيوعيين

قد تسربوا[1] داخل الحكومة. ارتقى كوهين بسرعة في عمله في مكتب المدعي العام الأميركي وتبجح لاحقاً بأنه استفاد من العلاقات التي كانت تربط أسرته بالعائلات الخمس الرئيسية في عالم الجريمة في نيويورك (بعد سنوات، قال كوهين إنه رتّب أمر حصول أحد أنصاره على منصب المدعي العام الأميركي بمساعدة فرانك "رئيس الوزراء" كوستللو Frank Costello، وهو زعيم عائلة لوشيانو Luciano، التي صار اسمها في ما بعد الجنويين Genovese. كتب كوهين يقول: "في تلك الأيام، لم يكن بإمكان أحد الوصول إلى منصب المدعي العام الأميركي في نيويورك دون موافقة العصابة").[2]

عام ١٩٥١، عمل كوهين في فريق الادعاء على جوليوس وإيثيل روزنبرغ Julius and Ethel Rosenberg[3] اللذين أُدينا بالتجسس ونقل أسرار القنبلة النووية إلى الاتحاد السوفياتي. أُعدِم الزوجان في ما بعد، وادّعى كوهين أنه أقنع القاضي سراً بالحكم بإرسال إيثيل –وليس جوليوس فقط–إلى الكرسي الكهربائي. بعد تلك القضية المثيرة، عمل كوهين عام ١٩٥٢ في قسم الأمن الداخلي الفيدرالي، وكان قسماً جديداً استحدثته وزارة العدل ومهمته التركيز على التخلص من الشيوعيين. سرعان ما علم كوهين أن عضو مجلس الشيوخ جوزيف مكارثي Joseph McCarthy كان بصدد إجراء تحقيق لمعرفة هل كان الشيوعيون قد تسربوا داخل الحكومة، ثم اختار النائبُ الجمهوري عن ولاية ويسكونسن، كوهين، ليكون المستشار الرئيسي للجنة التحقيقات الفرعية الدائمة التي شكلها مجلس الشيوخ.

شغل مكارثي عناوين الصحف عندما ادعى أن لديه قائمة بمئتين وخمسة موظفين في وزارة الخارجية كانوا أعضاء في الحزب الشيوعي. امتلأت الصحف بعناوين تتحدث عن "الرعب الأحمر" الذي يتملّك مكارثي، وادعائه أن الحكومة كانت مليئة بـ"مخاطر تطاول الولاء". أطلق مكارثي، بمساعدة كوهين، سلسلة من جلسات الاستماع حول التهديد الشيوعي المزعوم داخل الولايات المتحدة، فاستدعى عشرات أساتذة الجامعات وكتّاب هوليوود وموظفي الحكومة، وآخرين أيضاً بسبب ارتباطاتهم المزعومة بالحزب الشيوعي.

1 Sidney Zion, *The Autobiography of Roy Cohn* (Secaucus, NJ: Lyle Stuart, 1988), 47–51.

٢ المصدر نفسه، ص ٦٠.

٣ المصدر نفسه، ص ٧٧.

صعّد مكارثي وتيرة اتهاماته، وادعى أن الجواسيس والمخربين قد اخترقوا صفوف الجيش الأميركي. استُدعي إلى الخدمة العسكرية صديق كوهين، وهو ج. ديفيد شاين G.David Schine الذي كان يعمل مع مكارثي مستشاراً دون مقابل، وكان هناك احتمال إرساله للخدمة في ما وراء البحار. قيل آنذاك إن كوهين توعّد بأنه سوف "يدمّر الجيش"[1] في حال لم يُسمح لشاين بالبقاء في الولايات المتحدة، وهو ما دفع المسؤولين في الجيش إلى اتهام مكارثي وكوهين بأنهما يحاولان تأمين معاملة خاصة لشاين. في مواجهة الانتقادات اللاذعة، ردَّ مكارثي بهجوم معاكس، فقد ادّعى أن أحد المحامين الشباب في شركة المحاماة التي كانت توظِّف جوزيف ويلش Joseph Welch وهو مستشار الجيشٍ في جلسات الاستماع، كان ينتمي في الماضي إلى إحدى الجماعات التي تشكل واجهة للشيوعيين. وفي موقف شهير، قلب ويلش الأمور لمصلحته لدى مواجهة عضو مجلس الشيوخ، فقد سأله: "سيدي، بعد كل ما حدث، ألا تملك أي إحساس باللياقة؟". وجّه مجلس الشيوخ توبيخاً إلى مكارثي، واستقال كوهين. صارت المكارثية أشبه بالاسم الرمزي للحملات السياسية ضد الأشخاص الخارجين عن الخط العام؛ تبدد نفوذ عضو مجلس الشيوخ وتوفّي عام ١٩٥٧، لكن كوهين كان يصر على أنه "لم يعمل مطلقاً مع رجل أفضل ولم يخدم قضية أفضل".[2] لم يكتف كوهين بأن تجاوز ما حدث، بل عاد إلى نيويورك ليصير أحد أكثر الرجال نفوذاً فيها.

كان كوهين يعمل في منزله في مانهاتن، وكان يمثّل زبائن من مختلف النوعيات: أساقفة كاثوليك، وأصحاب نوادٍ ليلية، وكبار الوسطاء العقاريين، وأعضاء عصابات إجرامية. تبجح مرة بأنه يتهرب من الضرائب الفيدرالية، وهو ما أوقعه في مشكلات مع الحكومة. وخلال العقدين اللذين أعقبا جلسات الاستماع المكارثية، اتُّهم بجرائم تراوحت ما بين إعاقة العدالة وبين تقديم رشى والابتزاز، لكنه كان دائماً يتفادى الإدانة. كان كوهين في معاركه القضائية يلجأ إلى استخدام مجموعة من الأساليب العملية والبلاغيات الإنشائية التي كانت تفيده حتى خارج قاعة المحكمة. في مطلع

1 "The Self-Inflated Target, "*Time*, March 22, 1954.

2 Zion, *Autobiography*, 81.

سبعينيات القرن العشرين، كان كوهين يبحث عن زبون يتمتع بالثروة وبالعلاقات المناسبة، أيْ زبون يستطيع تشكيله وفق هواه.

في الخامس عشر من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣، وهو اليوم نفسه الذي أعلنت فيه وزارة العدل أنها ستقاضي فريد ودونالد ترامب بسبب التحامل العرقي، ظهرت مقالة افتتاحية في صحيفة **نيويورك تايمز** بقلم روي كوهين. كانت المقالة-العمود مكتوبة بصيغة رسالة موجَّهة إلى سبيرو أغنيو Spiro Agnew، وهو النائب السابق لرئيس الجمهورية الأميركي. كان أغنيو قد استقال قبل بضعة أيام بعدما أقرَّ بالذنب في تهمة التهرب من ضريبة الدخل الفيدرالية. شعر كوهين، الذي كان معروفاً بأنه تهرب من دفع ضرائب الدخل الفيدرالية لسنوات، بغضب شديد.

كتب كوهين:

> عزيزي السيد أغنيو، كيف أمكن لرجل جعل من الشجاعة تعبيراً مألوفاً أن يفقد شجاعته؟ كيف يمكن لرجل من دهاة هذا العقد ارتكاب غلطة غبية كغلطتك عندما استسلمت وقبلت إدانة جنائية؟ أعتقد أنك لو صمدت في موقفك، كما وعدت الناس، لكانت قد توافرت لك فرصة ممتازة لتتجاوز الأمر قضائياً وسياسياً. وقد يكون لرأيي قيمة لأنني مررت لثلاث مرات منفصلة بإجراءات قضائية جنائية مماثلة لما كان يتهددك... لقد عُرِضَت عليّ اتفاقات وصفقات من أجل تقديم التماس. رفضتها جميعاً وواجهتْ. عندما انتهى كل ذلك، كنت قد حصلت على ثلاثة أحكام بإخلاء سبيل بإجماع لجنة المحكمين.

كان ترامب، الذي يهيئ نفسه لمواجهة تهمة التمييز العرقي، قد تلقى نصائح تستحثه على قبول تسوية، لكنه لم يستسغ الفكرة. وكان كوهين، الذي روّعته فكرة استسلام نائب الرئيس أمام الاتهامات الموجّهة إليه وتقديمه استقالته من ثاني أقوى منصب في البلاد، يمثل المنطق المعارض للتسوية... ثم دخل ترامب إلى Le Club. كان كوهين موجوداً، وهو الرجل الذي لا يساوم. جلس ترامب وشرح له المعضلة التي كانت تواجهه.

قال ترامب لكوهين: "أنا لا أحب المحامين.[1] كل ما يفعلونه هو تأخير الاتفاقات... لا يجيبون إلا بكلمة كلّا، ويسعون دائماً إلى تحقيق تسويات بدلاً من المواجهة".

وافقه كوهين. تابع ترامب حديثه: "أفضّل المواجهة على لفلفة الأمور، لأنك ما إن تتصرف على هذا النحو لو مرة، حتى تصير معروفاً بأنك من النوع المهادن".

- "هل هذه مجرد دردشة أكاديمية؟".

شعر ترامب بالحماسة كَوْن كوهين كان يصغي إلى شخص "نكرة" مثله. بدأ يتودد إلى كوهين: "كلا، ليست أكاديمية على الإطلاق". شرح له كيف أقامت الحكومة دعوى ضده: "تدَّعي الحكومة أننا نميز ضد السود في بعض مشاريعنا السكنية". قال ترامب إنه لم يمارس التمييز، لكنه لا يريد أن تفرض عليه الحكومة تأجير الأسر التي تعيش على المساعدات الحكومية.

- "ماذا تعتقد أن عليّ أن أفعل؟".

قال كوهين: "رأيي أنك يجب أن تقول لهم: اغربوا عن وجهي. واجههم في المحكمة وليحاولوا إثبات أنك مارست التمييز... لا أعتقد أنك ملزم تأجير سكان لا ترغب في تأجيرهم، سواء أكانوا بيضاً أم سوداً، وليس للحكومة الحق في أن تملي عليك كيفية إدارة أعمالك".

وأضاف مؤكِّداً: "سوف تكسب وأنت مرتاح البال".[2]

سُرَّ ترامب لسماع تلك الكلمات؛ ليس بشأن القضية فقط، بل أعجبته فلسفة "اغربوا عن وجهي" بكاملها. منذ تلك اللحظة، تبنى ترامب مبدأ كوهين: عندما يهاجمك أحد، رد بهجوم معاكس وبقوة ساحقة. كانت إحدى أهم العلاقات وأكثر تأثيراً في حياة ترامب تتكوّن في تلك اللحظة. مع تنامي علاقتهما، أُعجب ترامب بذكاء كوهين، لكن كانت تؤرقه فكرة أنه قد يكون أحياناً غير مستعد، وفي النتيجة: "كارثة".

عندما تباهى كوهين بأنه قضى شطراً كبيراً من حياته يواجه اتهامات، سأله ترامب هل كان قد ارتكب فعلاً ما اتُّهم به. أجاب كوهين بابتسامة. قال ترامب إنه "لم يفهم

1 Zion, *Autobiography*, 81.
2 Ken Auletta, "Don't Mess with Roy Cohn," *Esquire*, December 5, 1978, 41.

قط"[1] معنى تلك الابتسامة، لكنه أُعجب بصلابة كوهين وبولائه.

عمل كوهين جاهداً على صقل سمعته كرجل حازم، وتعاون مع مجلة **إسكواير** *Esquire* عندما نشرت مقالة بعنوان: "لا تعبث مع روي كوهين"، إذ وُصِف بأنه رجل يستمتع بكونه هدفاً للاتهامات، ويواجه كل قضية كأنها معركة. كتب كين أوليتا Ken Auletta:

> الزبائن المحتملون،[2] أي النساء اللواتي يرغبن في قتل أزواجهن، وشركاء العمل الذين يودون تعذيب شركائهم، والأشخاص الذين يودون كسب معركة ضد الحكومة، يستأجرون روي كوهين. إنه جلّاد قانوني. أصلب المحامين، وأكثرهم وضاعة وولاء وخساسة وذكاء في أميركا. وهو ليس بالرجل الفاضل.

قام ترامب في المقالة المذكورة بدور الشاهد الداعم لروي. فقال:

> عندما يعلم الناس أن روي ضالع في الموضوع، يفضلون تجنب التورط في أية دعاوى قضائية وأي شيء يتعلق بها. كوهين لم يكن منافقاً[3] على الإطلاق. بإمكانك الاعتماد عليه لإنجاز ما تريد إنجازه.

كان هذا بالضبط ما أراد ترامب أن يفعله كوهين في دعوى التحامل العرقي.

كشف كوهين إستراتيجيته بعد شهرين من إقامة وزارة العدل الدعوى. في الثاني عشر من كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٤، سار ترامب أمام عدسات جمهرة من المصورين في فندق "نيويورك هيلتون" ليعلن خطة كوهين الجسورة. قدم كوهين ادعاءً معاكساً ضد الحكومة اتهم فيه وزارة العدل بتقديم إفادة مزيفة ومضلِّلة. طالب بالحصول على مئة مليون دولار[4] لترامب. أخبر دونالد الصحافيين أن الحكومة تحاول ظلماً

1 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (2015), 93-98.

2 Auletta, "Don't Mess with Roy Cohn," 41.

3 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (2015), 93-99.

4 Barbara Campbell, "Realty Company Asks $100 Million 'Bias' Damages, "*New York Times*, December 13, 1973.

إجبار شركته على تأجير شقق لعائلات تعيش على المساعدات الحكومية. وأضاف، إذا حدث ذلك، "فسوف تحصل هجرة جماعية من المدينة، وليس من المستأجرين فقط، بل من جماعات كاملة".

رفض ترامب أي تلميح إلى أن رأيه له أي علاقة بالعرق، وقال في إفادة خطية مقرونة بقسم: "أنا لم أفعل أبداً،[1] ولا أي شخص في شركتي، وفق معلوماتي، التمييز أو إظهار تحامل لدى تأجير الشقق"، كما قدم كوهين إفادته الخاصة ندب فيها ما سمّاه "استغلال" نفوذ الحكومة. قال كوهين:

> لم يُقِم قسم حقوق الإنسان دعوى قضائية، بل رمى صفحة من الورق لتُستَخدَم كتصريح صحافي، وفي ما بعد كوثيقة تُقدم إلى المحكمة، وهي لا تحوي واقعة واحدة حول ممارسات التمييز العرقي ضد السود فعلتها شركة ترامب.

وبعدما طالب بدفع مئة مليون دولار لفريد ولدونالد ترامب، قال كوهين: "مهما كانت نهاية هذه القضية، أعتقد أن الضرر لن يزول كلياً، لأنكم لن تتمكنوا من متابعة كل عناوين الصحف".[2]

بعد خمسة أشهر، جلس دونالد وفريد ترامب وبصحبتهما كوهين إلى طاولة في قاعة المحكمة الأميركية في بروكلين، المختصة بالمنطقة الشرقية من نيويورك. دخلت غولدويبر، وهي محامية وزارة العدل ذات الأفكار المثالية التي لم تتجاوز السادسة والعشرين من العمر، وكان منظرها دراماتيكياً، فقد أغرقها ماء المطر الغزير أثناء انتظارها سيارة أجرة. جلست وهي متوترة الأعصاب واستعدت لمواجهة السفاح الشهير الذي لا يرحم: كوهين.

كانت المسألة المطروحة: هل كان القاضي سيسمح بمتابعة الدعوى المعاكسة التي قدمها ترامب، أو أنه سيتجاهلها، كما ترغب الحكومة؟ كان كوهين أول المتحدثين، فسخر من الحكومة لأنها طلبت تصنيفات عرقية للقاطنين في أبنية ترامب. قال كوهين

1 "Donald Trump affidavit, December 11, 1973, in *United States of America v. Fred and Donald Trump and Trump Management*, Case 75-C-1529.

2 Roy Cohn affidavit, December 11, 1973, in *USA v. Fred andDonald Trump.*

للمحكمة: "هناك عدد من السود يعيشون في تلك الأبنية. هذا ما يمكن أن نلاحظه بوضوح". وأضاف:

> لقد زرت المنطقة وشاهدت بعض السود يدخلون ويخرجون من المباني، ولا أعتقد أنهم موجودون هناك لأغراض غير لائقة، فهم يعيشون في المنطقة، لكنهم على ما يبدو يريدون منا أن نجول في الوحدات البالغ عددها أربعة عشر ألفاً، ونتفحص سكانها لنعرف كم عدد السود الذين يعيشون هناك وكم عدد غير السود، وأعتقد أن علينا أن نعرف أيضاً كم عدد السكان المنحدرين من أصل بورتوريكي أو عدد السكان المنحدرين من أصل غير بورتوريكي.

طالبت غولدويبر القاضي بالمضي في دعوى التمييز المقامة من الحكومة، وقالت:

> لقد رفض المتهمان[1] تأجير شقق لبعض الأشخاص بسبب عرقهم ولونهم. صدرت عنهم تعبيرات تتضمن تمييزاً عرقياً في ما يتعلق بتأجير تلك المساكن... زعموا أنه ليس لديهم شقق متوافرة للإيجار، في الوقت الذي كانت فيه تلك الشقق متوافرة.

تبنّى القاضي إدوارد ر. نيار Edward R. Neaher موقف غولدويبر، ورفض الدعوى المعاكسة التي تقدم بها كوهين وفريد ودونالد ترامب بالمطالبة بمئة مليون دولار، وأمر بمتابعة النظر في الدعوى الأصلية. طلبت غولدويبر مباشرة من فريد ودونالد الإدلاء بشهادتيهما، وقالت إنها لا تصبر على أساليب التأجيل، وهو ما حدا بكوهين أن يكتب إليها قائلاً:

> عزيزتي إليس، لم أكن أعلم أنك امرأة بيضاء حادة المزاج!...[2] سنراك مع السيد ترامب والشهود والآخرين في الأسبوع المقبل.

1 *USA v. Fred and Donald Trump*, US Courthouse, Brooklyn, NY, January 25, 1974, accessed via National Archives.

2 Roy Cohn letter to Elyse Goldweber, April 17, 1974, *USA v. Fred and Donald Trump*.

قال ترامب في شهادته إنه لم يكن "مطلعاً[1] على قانون الإسكان العادل الذي يمنع التمييز"، وقال أيضاً في بداية كلامه إنه لا يأخذ بالاعتبار دخل الزوجة عند حساب الأهلية المالية للزوجين لاستئجار إحدى شققه، مضيفاً أنه يعتمد فقط على دخل "الذكر في العائلة"، لكنه عاد وعدَّل أقواله.

تابع فريد ودونالد ترامب الهجوم المضاد، وسعى كوهين إلى إضعاف تأكيد الحكومة أن موظفي ترامب كانوا يستعملون لغة مرمَّزة للإشارة إلى أفراد الأقليات. كانت الحكومة قد قدمت الدليل على أن أحد موظفي ترامب تلقى توجيهات بوضع علامة على استمارة طلب التأجير المقدمة من السود، وهي حرف c، وتعني "ملوَّن colored"، وأن هذا الموظف "كان يفعل ذلك في كل مرة يقدم فيها شخص أسود طلباً لاستئجار شقة". لم يرغب الموظف في كشف هويته أثناء البت في الدعوى. وقال إنه يخشى أن "تتخلص عائلة ترامب منه".

زار كوهين الموظف وعاد برواية مختلفة. كتب كوهين للموظف إفادة جديدة أنكر فيها قوله إنه تلقى توجيهات بممارسة التمييز. ادّعى الآن الموظف أن محامية وزارة العدل التي حلت محل غولدوير، دونا غولدشتاين Donna Goldstein، طلبت منه أن "يكذب" وإلا "أُلقي به في السجن". وصف الموظف نفسه بأنه "من أصل بورتوريكي ويتكلم الإسبانية وقد وظفه السيد دونالد ترامب مباشرة".

بعد ذلك، لجأ كوهين، وهو يهودي، إلى مناورة غير متوقعة، فقال في إفادته إن غولدشتاين، وهي يهودية أيضاً، كانت تلجأ إلى استخدام "أسلوب استجواب أشبه بأسلوب الغستابو Gestapo". وكتب أحد زملاء كوهين إلى وزارة العدل يقول إن عملاءها "كانوا ينقضّون على مكاتب ترامب بخمسة أشخاص أشبه بجنود العاصفة النازيين". طالب كوهين القاضي تصنيف ما فعلته غولدشتاين ازدراء للمحكمة، لكن مقارنة كوهين المحامين العاملين لدى وزارة العدل وعملاء مكتب التحقيق الفيدرالي بالنازيين ارتدت عليه، فقد قال القاضي نيار لكوهين: "لم أعثر على أي دليل في السجلات على وجود أي شيء ذي طبيعة شبيهة بأساليب الغستابو[2] يُسمَح لعملاء

1 Wayne Barrett, "Like Father, Like Son, "*Village Voice*, January 15, 1979.

2 *USA v. Fred and Donald Trump*, October 24, 1974.

مكتب التحقيقات الفيدرالي باستخدامه أثناء تأدية المهمات الموكلة إليهم"، كما طلب كوهين من القاضي الحكم بأن غولدشتاين[1] قد ازدرت المحكمة لأنها، كما زعم، تحاول دفع الشهود إلى تغيير أقوالهم. رفض القاضي نيار ذلك أيضاً.

أخيراً، مع نهاية فصل الربيع من عام ١٩٧٥، سعى كوهين إلى التوصل إلى تسوية، رغم كل ما ادعاه ترامب بأنه يكره التسويات، أو ادعاء كوهين بأن بإمكانه كسب القضية بمجرد الطلب من عملاء الحكومة أن "يغربوا عن وجهه". كان عامان تقريباً من الصراع على وشك الانتهاء، وكانت التسوية شبيهة بما كان يمكن للرجلين ترامب الحصول عليه منذ البداية، ولكن كان في جعبة ترامب حيلة أخرى، فقد وجد في عملية توقيع أمر القبول فرصة جديدة للتفاوض، وبدأ المماحكة.

في أحد بنود التسوية، كانت وزارة العدل تطالب الرجلين ترامب، الأب والابن، بنشر إعلانات في الصحف المحلية يؤكدان فيها للمستأجرين المحتملين أن مساكن ترامب كانت متاحة للأشخاص من كل الأعراق. قال ترامب:

> هذه الإعلانات، رغم أنها، كما تعلمون وأعتقد أنها ضرورية من وجهة نظر الحكومة، مكلفة جداً بالنسبة إلينا، بل إنها في الواقع مرهقة مادياً، فكل جملة نضيفها سوف تكلفنا الكثير من المال خلال الفترة التي يُفترض فيها نشر الإعلانات.

عندما أصرَّ مسؤولو الحكومة، سأل ترامب: "هل تدفعون كلفتها؟"،[2] كان الجواب أن على أسرة ترامب دفع تكاليف الإعلانات.

في العاشر من حزيران/يونيو ١٩٧٥، وقَّع فريد ودونالد ترامب أمر قبول يحظر عليهما "التمييز ضد أي شخص في شروط أو بنود أو مزايا بيع أو استئجار منزل"، وطُلِبَ من الاثنين أن "يطّلعا شخصياً وعلى نحو كامل وعميق على تفاصيل" قانون الإسكان العادل، كما كان الاتفاق يطالبهما بدفع تكاليف الإعلانات التي تطمئن الأقليات إلى إمكانية حصولهم على المساكن على نحوٍ متساوٍ مع الآخرين.

١ رفضت غولدشتاين، التي كانت قاضية في المحكمة العليا في كاليفورنيا، التعليق، عندما حاولت صحيفة بوست الاتصال بها عام ٢٠١٦.

2 *USA v. Fred and Donald Trump*, June 10, 1975.

بعد مضي عقود، حاول ترامب تلفيق أفضل قصة ممكنة حول هذه القضية، مؤكِّداً أنه "لم تكن دعوى أقيمت ضدنا، بل كان هناك العديد من ملّاك الأراضي[1] ممن شملتهم الدعوى"، لكن الدعوى، في الواقع، أقيمت ضد ترامب ووالده وشركتهما. أما بقية الشركات، فتمت مقاضاتها في دعاوى منفصلة. على أي حال، أكد ترامب أن الأمر سُوِّيَ "دون الاعتراف بأي شيء"، وأن الأمر بالنسبة إليه"انتهى بتسوية أفضل عن طريق المواجهة".

ادَّعت وزارة العدل أنها انتصرت في هذه الدعوى، ووصفت القرار بأنه "أكثر القرارات التي جرى التفاوض بشأنها تأثيراً على المدى الطويل". ردّدت الصحف[2] وجهة النظر هذه، فقد قالت صحيفة **نيويورك أمستردام نيوز** *New York Amsterdam News*: "الأقليات تكسب دعوى الإسكان"، وأخبرت الصحيفة قراءها أن "الفرصة متاحة الآن أمام السود والبورتوريكيين المؤهلين لاستئجار شقق تملكها شركة Trump Management"، ولكن، كما تبيّن لاحقاً، لم تكن المعركة قد انتهت.

بعد خمسة عشر شهراً، أي أيلول/سبتمبر ١٩٧٦، زار فريد، ميريلاند، حيث كانت السلطات المحلية قد اشتكت لسنوات من أنه أخفق في إيلاء العناية المناسبة لمجمّع سكني كان يملكه في مقاطعة برنس جورج خارج واشنطن العاصمة. كان دونالد قد عمل هناك عدة مرات، وغالباً في تحصيل الإيجارات، وكان قد قال لوالده إن "هذه المِلْكية صعبة الإدارة"[3]. عندما وصل فريد، صعق لمّا استقبله المسؤولون المحليون بمذكرة للقبض عليه لارتكابه عدداً من مخالفات قانون الإسكان في مشروع يضم خمسمئة وأربع وحدات، يدعى غريغوري إستيتس، وهو منظم على شكل أبنية بعلوّ ثلاثة وأربعين طابقاً. كانت المخالفات تتضمن نوافذ مكسورة ومجاري مطرية مهترئة وغياب معدات مكافحة الحريق. حُدِّدت الكفالة بمبلغ ألف دولار.

قالت صحيفة **واشنطن بوست**: "اعتقال مالك وحدات برنس جورج الذي يعيش في نيويورك بسبب مخالفات قانونية". اهتاج فريد[4] لكنه تدبر أمر دفع الكفالة، ودفع في

١ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن.

2 "Minorities Win Housing Suit, "*New York Amsterdam News*, July 9, 1975.

٣ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن، **واشنطن بوست**، ٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.

4 Karen DeYoung, "N.Y. Owner of P.G. Units Seized in Code Violations," *Washington Post*, September 30, 1976. 68 *$3,640 fine:* Prince George's County district court records, May 3, 1977.

نهاية المطاف مبلغ ٣٦٤٠ دولاراً. في وقت لاحق، نقلت **واشنطن بوست** عن دونالد قوله إن مهاجمة الشركة بالاتهام بمخالفة قانون الإسكان كان أمراً "فظيعاً"[١] ولكن بعد أربعين عاماً، قال دونالد إنه "لم يعرف مطلقاً"[٢] أن والده قد اعتُقل.

عاد فريد إلى نيويورك ليواجه المزيد من المتاعب مع مكتب التحقيقات الفيدرالي. كانت السلطات تشكك في أن فريد وابنه دونالد كانا يخالفان تعهداتهما في الاتفاق القاضي بتأمين السكن لأي شخص بغض النظر عن عرقه. في نهاية المطاف، اتهمت وزارة العدل الرجلين بتهربهما من التزام التسوية، وبالاستمرار في جعل الشقق "غير متوافرة[٣] للسود بسبب عرقهم". ولثلاث سنوات بعد توقيع فريد ترامب وابنه التسوية، ظل كوهين يواجه وزارة العدل بالنيابة عنهما.

بمرور الوقت، صار كوهين موجوداً طوال الوقت إلى جانب دونالد، ليس بصفته محامياً فقط، بل مستشاراً غير رسمي ومسؤولاً عن الدعاية والإعلان ووسيطاً مع الجهات النافذة في المدينة. في تلك الأثناء، حاول دونالد تجاوز قضية التحامل العرقي، وبدأ ينمّي الصورة التي كان يتوق إليها. وبينما كان ترامب يغامر بدخول مجال العقارات في مانهاتن، أبدى تعاوناً مع صحيفة **نيويورك تايمز** التي نشرت لمحة عنه بدأتها بمقطع يحلم بكتابته أي مسؤول عن الدعاية:

> طويل القامة نحيل الجسم أشقر الشعر،[٤] ذو أسنان لامعة. يشبه روبرت ردفورد Robert Redford إلى حد كبير. يجول نواحي المدينة داخل سيارة كاديلاك رمادية يقودها سائق، كُتب على لوحتها الأحرف الأولى من اسمه DJT. يواعد عارضات أزياء رشيقات القد، ويتمتع بعضوية النوادي الراقية، لم يتجاوز الثلاثين من عمره، تُقدَّر ثروته بأكثر من مئتي مليون دولار.

1 Elizabeth Becker, "Apartment Rentals Halted Until Repairs Are Made," *Washington Post*, October 29, 1976.

٢ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَين، **واشنطن بوست**، ٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.

3 *US v. Trump*, "Motion for Supplemental Relief," March 7, 1978.

4 Judy Klemesrud, "Donald Trump, Real Estate Promoter, Builds Image as He Buys Buildings," *New York Times*, November 1, 1976.

بهذه الكلمات، ترسخت معالم شخصية الرجل الذي صار يُعرف باسم The Donald. أشارت المقالة إشارة عابرة إلى الاتهامات الموجهة إليه بممارسة التمييز العرقي، التي أنكرها ترامب، وركّز على عبقريته في مجال العقارات (رغم أن أحد "رجال المال"، وهو مجهول الهوية، كان يقول إن الناس "يغالون" في تقديره، وإنه رجل "بغيض").

لا يُعرف بالضبط كيف قدّر ترامب ثروته بمئتي مليون دولار. كان منخرطاً في صفقات عقارية ربما كانت ستجلب له ربحاً جيداً، وقد تكون تلك هي المرة الأولى التي يعرض فيها القيمة غير الملموسة لاسمه. ربما كانت الشركة التي أسسها والده تساوي مئتي مليون دولار، أو ربما كان دونالد يقدر قيمة حصصه في ممتلكات متعددة بهذا المبلغ الكبير، لكنه قدم في عام ١٩٧٦ تقريراً حول دخله أورد فيه رقماً متواضعاً نسبياً، وهو ٢٤,٥٩٤ دولاراً[1] إضافة إلى بعض الدفعات الآتية من الودائع العائلية والأصول الأخرى. الخلاصة أنه كان ملزماً دفع ضرائب بقيمة ١٠,٨٣٢ دولاراً، وذلك استناداً إلى تقرير صدر لاحقاً عن New Jersey Division of Gaming Enforcement، لكن الفروق الدقيقة في القيمة الصافية لم تكن ذات أهمية، على الأقل في ذلك الوقت، إذ إن كل ما سعى دونالد ج. ترامب إلى تحقيقه -صورة الرجل الذكي صعب المراس في عقد الصفقات، وهو رجل يعيش في الأوساط المترفة ويتردد إلى النوادي الراقية ويواعد عارضات الأزياء- قد صار محدداً وثابتاً. أخيراً، صار ترامب مستقلاً يشق طريقه في الحياة.

1 State of New Jersey, Department of Law and Public Safety, Division of Gaming Enforcement, "In re the application of Trump Plaza Corp. for a casino license," report to the Casino Control Commission, October 17, 1981.

الفصل الخامس

عبور الجسر

كانت مدينة نيويورك مستميتة للحصول على نقد وتواجه خطر العجز عن تسديد الديون. في مطلع السبعينيات، كانت المدينة قد فقدت ٢٥٠ ألف فرصة عمل، كما كانت تستنزف قاعدتها الضريبية رغم أن كلفة خدمات المدينة ارتفعت ارتفاعاً ملموساً.[١] شبّه المتحدث الصحافي للرئيس جيرالد فورد Gerald Ford، رون نيسين Ron Nessen، اعتماد المدينة على المساعدات الفيدرالية بـ"الابنة المشاكسة المدمنة على الهيروين".[٢] كانت مرحلة بائسة بالنسبة إلى من يريد أن يعمل في مجال تعهدات مشاريع الإسكان. في ١٩٧١، وهو العام الذي انتقل فيه ترامب ليعيش في مانهاتن، هبط معدل إشغال الفنادق إلى ٦٢%، وهو أخفض مستوى منذ الحرب العالمية الثانية.[٣] بحلول ١٩٧٥، أجبرت التخفيضاتُ المدينةَ والدولةَ على تجميد بناء مشاريع الإسكان التي تحصل على مساعدات حكومية، وهي أساس أعمال عائلة ترامب.[٤] في مكتب الوالد في جادة Z، كان دونالد يتلهف إلى الانعتاق من عملية بناء مساكن بسيطة لعائلات الطبقة الوسطى التي تعيش في أطراف الأحياء الرئيسية. عندما انطلق

1 Barrett, *Trump*, 103.

2 Felix G. Rohatyn, *Dealings: A Political and Financial Life* (New York: Simon & Schuster, 2010), 124.

3 William G. Connolly, "In Hotels, the Key Is Occupancy, and It Is Up a Little," *New York Times*, December 17, 1972.

4 Barrett, *Trump*, 103.

فريد ترامب لتوسيع أعماله خارج بروكلين، كان ذلك بهدف شراء أراضٍ رخيصة من مالكين مستميتين لبيع أراضيهم في كاليفورنيا ونيفادا[١] وأوهايو وفيرجينيا، لكن دونالد كان يرغب في شيء أكبر. كان قد حث والده مراراً على سحب عشرات ملايين الدولارات التي كانت على صورة أسهم وكان فريد قد جمعها من بناء ما يزيد على ثمانين مبنى للشقق، والاستفادة من قيمتها للاستثمار في مانهاتن[٢] حيث كان مجال العمل الحقيقي. اعتاد دونالد السير في طرقات المدينة وتقدير أحجام المباني وتخيُّل ما يمكن أن يفعله هو بكل قطعة أرض.[٣]

كان فريد ترامب يخشى تكاليف مانهاتن وصعوبة البناء هناك، لكن دونالد لم يستطع صرف النظر عن المكان الذي استحوذ على مشاعره مذ كان طفلاً. وعندما كانت مدينة نيويورك على وشك الانهيار، شعر أن تلك اللحظة كانت تمثل الفرصة السانحة التي ستغير مجرى حياته. تعرضت شركة النقل Penn Central، التي كانت من أكبر شركات السكك الحديدية، للإفلاس. بحلول عام ١٩٧٠، وفي قضية من أكبر قضايا الإفلاس في تاريخ الولايات المتحدة حتى تلك اللحظة، كانت الشركة قد حصلت بالتدريج على ٣٠٠ مليون دولار من ثلاثة وخمسين مصرفاً[٤] لإسعافها من مأزقها المالي. هنا صار دائنوها متلهفين إلى تقطيع أوصال الشركة وبيع معظم الأجزاء المربحة فيها، بما في ذلك بعض أكبر قطع الأرض الكبيرة المكشوفة الأخيرة في مانهاتن، وكانت ساحات فسيحة للقطارات تقع وسط المدينة وفي الجانب الغربي الأعلى. اجتذب أمناء تفليس شركة القطارات اهتمام[٥] بعض الشيوخ العرب والخبراء الماليين المصرفيين والباحثين عن أراض لإنشاء فنادق، لكن بعض ممتلكات الشركة كانت أكثر جاذبية من غيرها. كانت شركة Penn Central تملك أربعة فنادق وسط المدينة، وقد كانت يوماً ما مشهورة لكنها تحولت إلى خرائب منذ زمن طويل. قُدِّمت

1 Marilyn Bender, "The Empire and Ego of Donald Trump," *New York Times*, August 7, 1983.

2 Robert O'Harrow Jr., "Trump Swam in Mob-Infested Waters in Early Years as an NYC Developer," *Washington Post*, October 16, 2015.

3 D'Antonio, *Never Enough*, 76.

4 Robert E. Bedingfield, "Penn Central and Banks Reach Loan Pact," *New York Times*, May 25, 1971.

5 Youssef M. Ibrahim, "Mideast Bid for 3 New York Hotels," *New York Times*, May 5, 1978.

عروض عدة[1] لشراء بعض الممتلكات، ولكن لم يُقدَّم أي عرض[2] لشراء فندق كومودور Commodor المتداعي والموبوء بالجرذان، وقد كان في الشارع الثاني والأربعين الشرقي، ومجاوراً مباشرة لمحطة Grand Central.

استرعى اهتمام ترامب ثلاثٌ من ممتلكاتPenn Central، هي: شريط أرضي على ضفة نهر هدسون يمتد بين الشارعين التاسع والخمسين والثاني والسبعين، وساحة سكك حديدية غير مستخدمة في الشارع الرابع والثلاثين، وفندق كومودور الأكثر قذارة بين الفنادق، وهو الذي كان ترامب يعتقد أنه جوهرة غفل عنها الجميع. في صيف ١٩٧٤، بدأ ترامب يقدم عروضاً تمهيدية للحصول على الممتلكات، وصرح لصحيفة **نيويورك تايمز** بأنه يخطط لشرائها بمبلغ يتجاوز ١٠٠ مليون دولار. ورغم أن الصحيفة وصفته بأنه "أحد متعهدي البناء الكبار في نيويورك"، فإنه لم يكن آنذاك يملك المال الكافي[3] لشراء تلك الممتلكات. مع ذلك، بدأ يتودد إلى المسؤول عن بيع أصولPenn Central، بل أرسل له مع سائقه جهاز تلفزيون كهدية بمناسبة عيد الميلاد، لكن المسؤول رفض الهدية.[4] كان ترامب أكثر حظاً عندما استغل صيت والده،فخطط لعقد اجتماع مع ممثل شركة القطارات ومحافظ نيويورك آبي بيم Abe Beame، وكان صديقاً قديماً لوالده. عانق بيم الأب والابن قائلاً: "كل ما يرغب فيه دونالد وفريد، يحظى بدعم كامل مني".[5]

كان ترامب مبتدئاً في مجال البناء، لكنه كان قد اكتسب مهارة في الالتفاف على المعارضة التي يواجهها. في البداية، عارض ديفيد بيرغر David Burger[6] وهو محامٍ كان يمثل مالكي أسهم شركة القطارات، بيع فندق كومودور لترامب، لكنه في لحظةٍ حاسمة من المفاوضات قلب موقفه، وصار يدعم عقد صفقة مع ترامب. بعد بضع

1 Connolly, "In Hotels, the Key Is Occupancy."

2 Philip Greer, "Penn Central Bids Are Low: Railroad May Seek More Funds," *Washington Post*, October 16, 1971.

3 Timothy L. O'Brien, *Trump Nation: The Art of Being The Donald* (New York: Business Plus, 2005), 61.

٤ المصدر نفسه، ص ٢٦١.

5 Barrett, *Trump*, 94.

6 Wayne Barrett, "Donald Trump Cuts the Cards: The Deals of a Young Power Broker," *Village Voice*, January 22, 1979.

سنوات، أجرى المُدَّعون العامّون الفيدراليون تحقيقات لمعرفة كون التغيير المفاجئ في موقف بيرغر مرتبطاً بقرار ترامب دعم بيرغر والانضمام إليه في دعوى بقيمة ١٠٠ مليون دولار لا علاقة لها بالموضوع، أقامها مالكو الأراضي في نيويورك ضد تسع شركات نفطية كبرى لتثبيت سعر وقود التدفئة، لكن التحقيق الفيدرالي لم يسفر عن أي اتهامات.[١] أنكر كل من ترامب وبيرغر وجود أي مقابل لما حدث.[٢]

في آذار/مارس ١٩٧٥، أراد أحد القضاة العاملين في مجال التفليس معرفة هل كان الأمناء على شركة Penn Central قد منحوا المتعهدين الآخرين، الذين كانوا يرغبون في الحصول على أراضي الشركة، الفرصة نفسها[٣] التي منحوها لترامب. مع ذلك، أقرّت المحكمة صفقة تمنح ترامب اتفاقية خيار لأَجَل Option [حق البيع والشراء خلال مدة محدودة] لتطوير الملْكية الكائنة في الشارع الرابع والثلاثين، حيث كان قد ناقش فكرة بناء مقر للمؤتمرات وعشرين ألف شقة بتمويل من مجلس المدينة، وبضربة واحدة، أنشأ إمبراطورية[٤] تنافس إمبراطورية والده. سرعان ما انهار الجزء المتعلق بالشقق في الخطة،[٥] لكن ترامب مضى قدماً في مشروع مقر المؤتمرات مستعيناً بأحد معارفه السياسيين المهمين. في ١٩٧٤، وظّف لويز سنشاين Louise Sunshine، التي كانت آنذاك جامعة التبرعات الأساسية في حملة هيو كاري Hugh Carey للفوز بمنصب الحاكم، وذلك لمساعدته في إقناع المسؤولين في مجلس المدينة ببناء مقر المؤتمرات على ساحات سكك الحديد حيث صار يملك اتفاقية الخيار لأَجَل.[٦] كان دونالد ووالده يؤيدان كاري بقوة، وتبرعا بـ١٣٥ ألف دولار (تعادل ٣٩٠ ألف دولار بسعر عام ٢٠١٦) لحملته، أي أكثر مما تبرع به أي شخص آخر عدا شقيق المرشح.[٧]

---

1 Barrett, *Trump*, 102.

٢ المصدر نفسه، ص ١١٤، و "Behind the Seventies-Era Deals That Made Donald Trump," *Village Voice*, February 1979.

3 Wayne Barrett, "Behind the Seventies-Era Deals That Made Donald Trump," *Village Voice*, February 1979.

4 Robert D. McFadden, "Penn Central Yards' Sale Is Approved by U.S. Court," *New York Times*, March 11, 1975.

5 O'Brien, *Trump Nation*, 60.

6 "Empire and Ego of Donald Trump."

7 Howard Blum, "Trump: The Development of a Manhattan Developer," *New York Times*, August 26, 1980.

تعرف دونالد على سنشاين بدايةً عندما دار في خلده، بعد فوز كاري بمنصب الحاكم، أن بإمكانها الحصول على لوحة سيارة كُتبت عليها الأحرف الأولى من اسمه -كان ذلك آنذاك امتيازاً لا يُمنح إلا نادراً. كان على حق، فقد صار يذهب كل صباح من مانهاتن إلى بروكلين في سيارة كاديلاك فارهة يقودها سائق وتحمل لوحتها الأحرف الأولى من اسمه DJT.[1] كانت تلك نسخته عن سيارة والده الكاديلاك الزرقاء[2] بلوحاتها التي تحمل أحرف FCT. صارت سنشاين من أهم مؤيدي المتعهد الشاب. تقول سنشاين: "كان الاعتقاد السائد بين الجميع أن دونالد شاب متهور يصعب تحمّله. كنت أنا من أخذ دونالد إلى كل مكان... ولا يهم أي مكان، وبما أنهم لم يعرفوا دونالد حق المعرفة، كنت أنا وسيط منْح المصداقية لدونالد".[3]

لم يكن دونالد ليتورع عن الاعتراف باستغلاله صلات سنشاين السياسية. كان ينوي شراء مركز التجارة العالمية الذي كانت تملكه Port Authority of New York. طلب مقابلة المدير التنفيذي للهيئة، وهو بيتر غولدمارك Peter Goldmark. اجتمع الرجلان لتناول الغداء في المطعم الخاص بالمديرين في الطابق الثالث والأربعين من مركز التجارة. ألح غولدمان على ترامب ليكشف الستار عن التفاصيل الدقيقة للصفقة المنوي عقدها، لكن ترامب تمسّك بالعموميات. وبوصفه لاعباً جديداً في المدينة، لم يكن مرشحاً محتملاً للاستيلاء على البرجين اللذين كانا ينظر إليهما كرمز، إضافة إلى أن عدة متعهدين آخرين كانوا قد عبّروا مسبقاً عن اهتمامهم بالبنائين، لكن فرص ترامب سرعان ما تحسّنت إلى حد كبير عندما بدأ التلويح بعلاقاته.[4] يتذكر غولدمارك ما حدث في ذلك اليوم: "هدد قائلاً: لن تستمر طويلاً في عملك في حال قرر الحاكم كاري أنك لا تفعل ما ينبغي فعله في هذا الشأن. عليك أن تعلم أنني أتمتع بنفوذ كبير في ألباني". ذكر ترامب اسم سنشاين عَرَضاً. يضيف غولدمارك: "ما إن بدأ يهدد حتى أوضحت له أنني لم أعد أرغب في الكلام. كان يتوقع أنني سأرتعد وأرتجف خوفاً". أنكر ترامب رواية غولدمارك قائلاً: "أنا لا أتكلم بهذه الطريقة".

1 Klemesrud, "Donald Trump, Real Estate Promoter."

2 Paul Schwartzman, "Trump Left His Mark All Over New York. Some in the City Would Like to Erase It," *Washington Post*, October 7, 2015.

٣ مقابلة مع لويز سنشاين في نيسان/أبريل عام ٢٠١٦.

٤ مقابلة مع بيتر غولدمارك في ٤ أيار/مايو، عام ٢٠١٦.

في عام ١٩٧٨، قرر مجلس المدينة بناء مقر المؤتمرات في موقع الشارع الرابع والثلاثين، عندئذ قال ترامب إن اتفاقية الخيار لأَجَل التي عقدها بشأن تلك الملْكية كانت تخوله الحصول على عمولة تزيد عن أربعة ملايين دولار، لكنه قال إنه مستعد للتخلي عن المبلغ في حال أُطلق على المنشأة اسم مقر مؤتمرات فريد ك. ترامب. كان مجلس المدينة يناقش الفكرة عندما أعاد أحد الموظفين، بعد شهر، النظر في عقد ترامب مع شركة Penn Central، ووجد أن حقه في الاتفاقية المذكورة يخوله الحصول على مبلغ لا يصل إلى عشْر العمولة[1] التي يطالب بها. في نهاية المطاف، دفع مجلس المدينة لترامب مبلغ ٨٣٣ ألف دولار عندما اشترى الأرض لبناء مقر مؤتمرات جاكوب ك. جافتز Jacob K. Javits.[2] لم ينكر ترامب هذه القصة، لكنه قال: "لو أن شخصاً ما تصرف معي بأسلوب لائق،[3] لكنت قد تنازلت عن عمولتي دون المطالبة بإطلاق اسم والدي على المبنى... لكنهم لم يفعلوا ذلك".

حصل ترامب، مع حق إعادة بناء فندق كومودور[4] على زاوية من غراند سنترال، وكان ذلك يمثل كارثة حتى بالنسبة إلى ترامب لأنه كان جواراً من النوع الذي يخفض قيمة العقار. كانت الجريمة متفشية في مركز المدينة وتناقص عدد الركاب الذين يستخدمون قطار الأنفاق[5] تحت غراند سنترال. ووقع مبنى كرايسلر Chrysler، المعلم الأثري في الحي والمبني على الطراز المعماري للعشرينيات والثلاثينيات مقابل فندق كومودور، فريسة لحبس الرهن. أما شركة Texaco، القاطن الأساسي في المبنى، فحذت حذو الشركات الكبرى في أميركا ونقلت مقراتها إلى الضواحي.[6] كان الفندق الذي يضم ألفاً وتسعمئة غرفة، وكان أحد أضخم فنادق نيويورك،[7] قد غدا مشهداً مزعجاً

١ منقولة عن النائب السابق للمحافظ، بيتر ج. سولومون Peter J. Solomon وردت في Blum, "Trump".

2 Charles Kaiser, "Koch Said to Have Chosen 34th St. as Site of New Convention Center," *New York Times*, March 31, 1978.

٣ منقولة عن ترامب، وردت في Blum, "Trump".

4 Barrett, *Trump*, 103.

5 Edward C. Burks, "15 Busiest Subway Stations Show Big Decline in Riders," *New York Times*, November 10, 1975.

٦ المصدر نفسه.

7 "In Hotels, the Key Is Occupancy."

للعيان، إذ كان التحول الذي حدث بعد الحرب من القطارات المرفهة إلى المطارات ووسائل النقل عبر الولايات، قد أثّر سلبياً في عمله.[1] عندما افتتح الفندق عام ١٩١٩ وأطلق عليه في ذلك اليوم اسم "كومودور" تيمناً باسم القائد كورنيليوس فاندربلت Cornelius Vanderbilt، قطب صناعة المطاط، الذي صار أول شخصية أميركية مرموقة في عالم المال،وكان يتباهى بردهته الشبيهة بالقصور، التي صُنفت آنذاك أكبر ردهة في مدينة نيويورك، وكانت مزخرفة على طراز الباحات الإيطالية وتضم شلالاً مائياً. كان العمال يلصقون على جدران الصالة أسعار البورصة المحدَّثة باستمرار،كما كانت هناك صالة أخرى تضم أوركسترا خاصة بها.

كانت عملية تحديث كومودور مشروعاً ضخماً. لم يكن الفندق يضم مرآباً للسيارات. أما أقبيته المطوقة بخطين لقطارات الأنفاق، فلم يكن بالإمكان توسيعها. كانت الغرف أضيق من أن تُحوَّل إلى شقق، إضافة إلى افتقارها تمديدات الغاز والكهرباء العصرية. كانت الغرف تظل فارغة نصف الوقت، وكانت المتاجر الرثة التي يضمها الفندق والمطلة على الشارع تضم صالة تدليك مشبوهة تدعى الاسترخاء الفائق Relaxation Plus[2] (كان ترامب يقول مازحاً: "لم يتوصل أحد إلى معرفة معنى الاسترخاء الفائق").[3] قدّر أحد خبراء العقارات قيمة المبنى بأنها "القيمة الحقيقية للأرض بعد حذف كلفة الهدم"، وبعبارة أخرى: لا قيمة له[4]. وبعدما بلغت خسارة الفندق مليوناً ونصف مليون دولار سنوياً، تقرر إغلاق الفندق في صيف ١٩٧٦، عندما كانت المدينة تستضيف المؤتمر الوطني الديموقراطي في مبنى ماديسون سكوير غاردن.[5]

كان فريد ترامب متردداً بشأن مخطط ابنه. لم يفهم الوالد قط مكمن جاذبية مانهاتن، التي كانت أسعار الأراضي فيها الأغلى ثمناً في العالم، وكانت تسبب متاعب جمة[6] لدى تنفيذ مشاريع التطوير فيها. كان رأي فريد أن "شراء مبنى الكومودور في

---

١ المصدر نفسه.

٢ المصدر نفسه.

3 Olivia Nuzzi, "Trump Lies So Much Less to NY Mega-Rich," *Daily Beast*, April 15, 2016.

4 Connolly, "In Hotels, the Key Is Occupancy."

5 Glenn Fowler, "Commodore Plan Is Called Unfair," *New York Times*, April 9, 1976.

6 D'Antonio, *Never Enough*, 56.

وقت صار فيه حتى مبنى كرايسلر تحت الحراسة القضائية هو أشبه بالتقاتل للحصول على حجز في سفينة تايتانيك"،[1] لكن دونالد كان مصمماً، وقال:

> أنا في الأصل شخص متفائل، وبصراحة، أنا أجد في المتاعب التي تواجهها المدينة فرصة عظيمة بالنسبة إلي، ولأنني نشأت في كوينز، كنت أعتقد، وربما لدرجة غير عقلانية، أن مانهاتن ستصير أفضل مكان للعيش[2]-مركز العالم.

رغم الشكوك التي كانت تنتاب فريد، فإنه تجاوب مع ابنه، فقد رهن الأسهم التي يملكها لإنجاح مشروعه. كانت تلك إشارة مبكرة إلى أن الوالد نفسه، رغم غياب اهتمامه بالعمل في مانهاتن، سوف يدعم ابنه وسيساعده في اللحظات المصيرية خلال السنوات التي كانت تشكل الأساس في حياته المهنية، كما دعم شخصياً قروض البناء من مصرف Manufacturers Hannover Trust، وضمن أن أصحاب المصرف سيحصلون على أموالهم حتى في حال خسارة مشروع دونالد.[3]

ولكي ينجح مشروع دونالد، كان على شركة Penn Central أن تبيعه الفندق، وكان على البيروقراطيين في مدينة نيويورك الموافقة على تصوُّره للمشروع ومنحه تخفيضاً ضريبياً، كما كان من الواجب أن تنضم إليه شركة إدارة لتسيير شؤون الفندق، وكان على المصارف منحه دفعة مالية لدفع تكاليف المشروع. توجّه دونالد أولاً إلى سلسلة فنادق حياة Hyatt، التي تملكها عائلة بريتزكر Pritzker المعروفة بثرائها، لإقناعها بإدارة كومودور بعد تجديده. كانت السلسلة المذكورة، منذ افتتاحها أول فندق لها قرب مطار لوس أنجلس، تتمتع بشعبية فائقة، لكنها كانت متخلفة عن منافسيها في مجال واحد مهم: لم تكن تمتلك فندقاً في نيويورك.[4] أرفق ترامب هجومه بلفتة آسرة، فقبْل تناوله الغداء مع بن لامبرت Ben Lambert، وهو صديق لعائلة بريتزكر ويعمل في استثمار العقارات، اصطحب شريكه المحتمل في جولة بسيارته الفارهة (كانت

1 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 121.

2 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (2015), 102.

3 Barrett, *Deals and the Downfall*, 147.

4 Alan S. Oser, "Hotel Dispute Focuses on Tax Abatements," *New York Times*, April 27, 1976.

في الواقع مستأجَرة عبر شركة والده).[1] وضع ترامب في المقعد الخلفي المخططات الأولية لعملية تجديد الفندق، ثم قال في معرض الاقتراح إن بإمكان الفندق الاستفادة من الضرائب العقارية المخفَّضة إلى حد كبير. كانت الفكرة مغرية، لكنه لم يكن قد أمَّن إبرام الصفقة بعد.[2]

كان ترامب يتلاعب بمجلس المدينة وبالبائعين وبسلسلة الفنادق، كُلٌّ على حدة، ويستغل الواحد منهم لدعم صفقة مع الآخر، فقد أكد لمفاوضي شركة Penn Central أنه أبرم صفقة حقيقية مع فنادق حياة في الوقت الذي لم يكن فيه قد توصل إلى عقد أي صفقة، كما منحته شركة السكك الحديدية فرصة حصرية غير ملزمة لشراء الملكية البالغ ثمنها عشرة ملايين دولار.[3] لم يكن ترامب يملك مبلغ ٢٥٠٠٠٠ دولار اللازم لتثبيت اتفاقية حق البيع والشراء لأجَل، ناهيكم عن التمويل اللازم لتغطية المشروع الذي كانت تقدَّر قيمته بسبعين مليون دولار، بل إن والده كان قد منحه الدفعة اللازمة لتوظيف مهندس معماري،[4] لكن ترامب دعا إلى مؤتمر صحافي في أيار/مايو ١٩٧٥. في هذا المؤتمر، الذي ضم أيضاً جيه بريتزكر Jay Pritzker وهو الشريك في إنشاء فنادق حياة، قدم ترامب الرسوم المفصلة لمشروع إحياء فندق كومودور، وهي: ألفان وأربعمئة غرفة، ومساحة سبعين ألف قدم مربع مخصصة لمتاجر البيع بالتجزئة، وردهة رائعة وفق الطراز المطبق في فنادق حياة، وجدران من المرايا تحيط بالهيكل الفولاذي للفندق القديم.[5] أعلن ترامب أنه وقَّع عقداً مع شركة Penn Central لشراء الفندق. كان العقد قد وُقِّع، لكن منه فقط؛ كان عليه دفع ٢٥٠ ألف دولار،[6] ثم حدثت مأثرة التضليل التي تباهى بها لاحقاً. عندما طلب أحد المسؤولين في مجلس المدينة دليلاً على التزام شركة Penn Central، أرسل إليه ترامب ما بدا كأنه اتفاقية مع الشركة البائعة، ثم استخدم موافقة مجلس المدينة لإتمام صفقته مع شركة فنادق حياة.[7]

1 State of New Jersey, Department of Law and Public Safety, Division of Gaming, Enforcement Report to the Casino Control Commission, October 16, 1981, PDF36.

2 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 128.

٣ المصدر السابق، ص ١٢٣.

4 O'Brien, *Trump Nation*, 61.

5 Robert E. Tomasson, "Deal Negotiated for Commodore," *New York Times*, May 4, 1975.

6 Trump with Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 134.

٧ المصدر السابق.

صار ترامب بحاجة إلى المال. وبما أنه لم تكن لديه ضمانة إضافية لدعم دينه، فقد بذل جهوداً قصوى لإقناع المصارف بمنحه قرض بناء. بعدما رُفض طلبه أول مرة، أراد إلغاء المشروع، وقال للسمسار العقاري الذي يتعامل معه: "فلنكتفِ بهذه الصفقة ولا حاجة بنا إلى البقية"،[١] لكن ترامب، الذي نشأ وهو يرى والده يبني إمبراطورية تقوم على تطوير مشاريع سكنية مدعومة مالياً من الحكومة، وجد طوق النجاة في أول تخفيض ضريبي على ملْكية تجارية[٢] يحدث في نيويورك. كانت وكالة Urban Development Corporation –وكالة على شفير الإفلاس أنشئت عام ١٩٦٨ لبناء مجمعات سكنية– تتمتع بنفوذ يمكنها من إعفاء الممتلكات من الضرائب.[٣] كانت تستطيع شراء الفندق بدولار ثم تأجيره لترامب ولسلسلة فنادق حياة لمدة تسعة وتسعين عاماً،[٤] وهو إجراء وفّر على مشروع ترامب ما يقارب ٤٠٠ مليون دولار خلال السنوات الأربعين التالية[٥]. ساعدت سنشاين ترامب على ترتيب موعد مع مدير الوكالة المذكورة، ريتشارد رافيتش Richard Ravitch، الذي كان قد نشأ في بيئة أعمال الإنشاء. كان والده شاول مؤسس شركة HRH Construction، وهي الشركة التي استأجرها فريد لبناء ترامب فيليدج. لاحظ رافيتش أن ترامب الابن الشاب، كان يتمتع بأسلوب مختلف في تسيير الأعمال. حضر ترامب لمقابلة رافيتش وأخبره أنه اشترى كومودور ليحوله إلى فندق غراند حياة. قال له: "أريد منك أن تمنحني إعفاء ضريبياً".

أجاب رافيتش أن فندق حياة لا بد أن يكون مشروعاً عظيماً بالنسبة إلى المدينة، لكن المشروع ليس مؤهلاً للحصول على تخفيض ضريبي لأنه سينجح غالباً دون هذا التخفيض. وقف ترامب وكرر طلبه: "أريد إعفاءً". يقول رافيتش إنه عندما أحجم ثانية عن دعم الفكرة، قال ترامب: "سوف أتسبب في طردك"، وغادر المكتب[٦] (أنكر ترامب رواية رافيتش ووصفه بأنه "شخص يبالغ الناس في تقدير مزاياه").

1 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (2015), 130.

2 "Estimate Board to Rule on Easing of Tax Allowing Commodore Transformation," *New York Times*, March 3, 1976.

3 Barrett, *Trump*, 121.

4 Charles Kaiser, "Financing Arranged for the Commodore," *New York Times*, December 23, 1977.

5 David Cay Johnston, "21 Questions for Donald Trump," *The National Memo*, July 10, 2015.

٦ مقابلة مع ريتشارد رافيتش، ٢٠١٦.

أيّد أصحاب الفنادق المنافسين موقف رافيتش وعارضوا ما رأوا أنه صفقة مثالية بالنسبة إلى ترامب، وقالت جمعية الفنادق في مدينة نيويورك إن أعضاءها كانوا يدفعون ضرائب عقارية سنوية تتجاوز قيمتها خمسين مليون دولار، وتساءلت: ما الذي يجعل من متعهد بناء شاب متهور، لم يسبق له بناء فندق ولن يستثمر أي أموال خاصة به، جديراً بالمساعدة؟[1]

في اليوم السابق للاقتراع الذي كانت ستجريه "هيئة استخدام الأراضي في نيويورك"، التي تتمتع بنفوذ كبير، وهي مجلس Board of Estimate، بشأن الإعفاء الضريبي، عقد ثلاثة من صنّاع القوانين في مانهاتن مؤتمراً صحافياً خارج مبنى الفندق لمطالبة مجلس المدينة بالضغط للتوصل إلى صفقة أفضل. عندما انتهى السياسيون من الكلام، قال ترامب، الذي حضر لتفنيد حججهم، للصحافيين، إنه في حال رفض مجلس المدينة الموافقة على مساعدته، سوف يلغي المشروع ويترك كومودور ليتعفن.[2] ولإبراز مدى فداحة وضع كومودور دون مشروعه، كان قد أوعز إلى عماله بإزالة الألواح النظيفة التي كانت تغطي نوافذ الفندق ووضْع ألواح خشبية قديمة قذرة محلها.[3]

الواقع أنه كان هناك مستثمرون آخرون مهتمون بالفندق،[4] وكانوا قد عرضوا تجديده ودفع ضرائب أعلى ومشاركة مجلس المدينة بنسبة من الأرباح تفوق النسبة التي كان سيدفعها ترامب، ولكن تم تجاهل العرض البديل بسبب العقد الذي أبرمه ترامب مع شركة Penn Central رغم أن الصفقة لم تكن قد أبرمت بعد.

في نهاية المطاف، ساعدت اتفاقيةُ الشراء لأَجَل، التي كان ترامب قد أبرمها، وحيويتُه وعلاقاتُه السياسية والوعودُ التي قطعها بالمشاركة في الأرباح، في تحويل موقف مجلس المدينة المستميت ليقف في صفه. بعد بضعة أسابيع، أخرج آخر السائحين من فندق كومودور، ووافق مجلس Board of Estimate على التخلي عن كل

1 Fowler, "Commodore Plan Is Called Unfair."

2 "3 Lawmakers Are Critical of Commodore Tax Relief," *New York Times*, April 26, 1976.

3 D'Antonio, *Never Enough*, 103.

4 Carter B. Horsley, "New Offer Is Made for the Commodore," *New York Times*, April 10, 1976.

الضرائب العقارية ما دام مشروع ترامب يُدار بصفته فندقاً من "الدرجة الأولى".[1] اتخذ ترامب وضع المنتصر في صحيفة **تايمز**، وتبجح بـ"إبداعه المالي" عندما تمكّن من التوفيق بين الاعتمادات الضريبية،[2] ثم أوضح الفرق بين نجاح والده وبين طموحاته في مانهاتن، بالقول: "كان والدي يعرف بروكلين معرفة جيدة، ويعرف كوينز معرفة جيدة. أما الآن، فقد ولى زمان ذلك التفكير". أكد ترامب للصحيفة أنه يملك "أكثر من ٢٠٠ مليون دولار"،[3] رغم أن مفاوضي شركة Penn Central كانوا، قبل عام، قد قدّروا قيمة ممتلكات آل ترامب بحوالى ٢٥ مليون دولار، وكانت كلها تحت إشراف فريد.[4] في كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٦، أي بعد شهر من نشر المقالة، فتح فريد ترامب ثمانية حسابات ودائع باسم أولاده وأحفاده، وحوّل إلى كل حساب مبلغ مليون دولار. خلال السنوات الخمس التالية، حصل دونالد على دخل يعادل ٤٤٠ ألف دولار تقريباً من ذلك الحساب وحده.[5]

رغم أن ترامب كسب معركة كومودور، فإنه ظل يحمل مشاعر ضغينة اتجاه من عارضوه. بعد خمس سنوات من الاجتماع الذي عقد بين ترامب ورافيتش، والذي ساده الخلاف، أخبر مجلسُ هيئة (MTA) -Metropolitan Transportation Authority، رافيتش، الذي صار رئيس المجلس، أن محامي ترامب الشرس، روي كوهين، يريد مكالمته هاتفياً. قال كوهين لرافيتش إن ترامب يريد من الهيئة المذكورة إنفاق أموال دافعي الضرائب لوصْل فندق كومودور بمحطة قطار الأنفاق في الشارع الثاني والأربعين. عارض رافيتش. وفي صباح اليوم التالي، اتصل به المحافظ إد كوتش Ed Koch وسأله: "ماذا فعلت لدونالد ترامب؟ لقد طلب مني أن أفصلك[6] من العمل". لفت رافيتش نظر المحافظ إلى ما كان هذا الأخير يعرفه؛لقد عيّن الحاكم رافيتش، فظل في عمله.

---

1 State of New Jersey, Department of Law and Public Safety, Division of Gaming, Enforcement Report to the Casino Control Commission, October 16, 1981, PDF50.

2 Klemesrud, "Donald Trump, Real Estate Promoter."

٣ المصدر نفسه.

4 Harry Hurt III, *Lost Tycoon: The Many Lives of Donald J. Trump* (New York: W. W. Norton, 1993), 84.

5 :State of New Jersey, October 16, 1981, PDF50.

٦ مقابلة مع رافتش.

عام ١٩٧٧، وبينما كان ترامب يسعى جاهداً لتأمين قروض، كانت مدينة نيويورك تواصل انحدارها،فقد تفاقمت أزمتها المالية، وكان هناك قاتل متسلسل يدعى ابن سام أفزع المدينة بكاملها. وخلال إحدى موجات الحر الشديد في تموز/يوليو، حدث انقطاع في التيار الكهربائي غلّف المدينة بالظلام، فاندلعت حرائق هائلة ونُهبت المتاجر وحدثت اعتقالات، لكن التهديد الحقيقي لترامب كان أكثر خطورة، فقد خسر المحافظُ بيم، وهو صديق قديم لفريد ترامب وأحد الداعمين الأقوياء لمشروع ترامب، حملةَ إعادة انتخاب، وذلك مقابل كوش، الذي كان معارضاً صريحاً للمحسوبيات في السياسة وللهبات السخية. فجأة، صار التخفيض الضرائبي الذي ينعم به ترامب معرضاً للخطر، لكنه تمكن من النجاة ثانية عندما عثر على حليف قوي في شخص ستانلي فريدمانStanley Friedman، نائب المحافظ بيم الذي كان على وشك ترك منصبه، بلحيته الصغيرة المشذبة والسيجار من نوع Te–Amo Toro المغروز دائماً بين أسنانه، وهي صورة هوليوودية كاريكاتورية لصانع الصفقات في المدن الكبرى. كان نيويوركياً أصيلاً. نشأ في برونكس، وهو ابن سائق سيارة أجرة اسمه مو Moe. التحق بمدرسة حكومية، وبـCollege City وجامعة Brooklyn Law School. رأى فريدمان في ترامب شخصاً آخر من أحياء الأطراف يحاول ترسيخ مكانته في مانهاتن، حيث كثيراً ما صادفه في مواقع اجتماعية مثيرة، مثل: Le Club و Maxwell's Plum.

في الأسابيع الأخيرة من ولاية بيم، عام ١٩٧٧، بذل فريدمان جهوداً مضنية خلال الاجتماعات الطويلة المرهقة لإبرام صفقة فندق كومودور. عندما ترك بيم المنصب، كانت سيطرة ترامب على الفندق، المدعومة من دافعي الضرائب، قد صارت فعلياً حصينة ضد أي هجوم. وجد فريدمان عملاً جديداً في شركة روي كوهين القانونية.[١] قال فريدمان: "كانت غراند سنترال تتحول إلى تايمز سكوير، وهو حي خالٍ من الحياة. وبغض النظر عن مصدر المال الذي كان سينفقه–أموال مجلس المدينة، أو أمواله، أو أموال شركة فنادق حياة–فإنه كان سيأخذ مبنى متداعياً وينفذ فيه مشروعاً من الطراز الأول. كان ذلك أول عمل مهم يجري في المدينة منذ سنوات".

١ مقابلة مع ستانلي فريدمان، ٢٠١٦.

لم يعبر ترامب الجسر لمجرد إنشاء مشاريع عمل فقط. كان يريد أن يعيش حياة مانهاتن. انتقل إلى شقة فسيحة تحوي ثلاث غرف نوم في إحدى شقق فوينكس في الشارع الخامس والستين الشرقي، على بعد ميل من فندق كومودور.[1] عندما زاره أحد أصدقائه في الأكاديمية العسكرية في نيويورك، مايك سكادرون، ذُهل لرؤية قطع الأثاث المتوزعة داخل الشقة:[2] الجدار المكسو بالمرايا، والسجادة الصوفية، والطاولة الزجاجية الصغيرة. كانت نسخة عن كومودور. كان اهتمام ترامب يتركز على تحقيق النجاح في المدينة الكبيرة. قال لسكادرون إن نجاحه سيفوق نجاح والده عندما يتمكن من إخضاع مانهاتن، حيث لم يبن والده حجراً. وفي مناسبة أخرى، شهد سكادرون في المكتب الكائن في جادة Z، طريقة تعامل الأب والابن: "كانا يتكلمان ويقاطعان بعضهما[3] كأنهما كانا في غرفتين منفصلتين. كان دونالد يحاول إثبات أمر ما"، ولكن لنعد إلى شقة دونالد، كان هناك شيء موضوع في مكان بارز في الشقة: صورة صديقة ترامب الجديدة.

هناك روايتان حول قصة ترامب وإيفانا زيلنسكوفا ونكلماير Ivana Zelinckova Winklmayer. يقول ترامب إنهما تقابلا لأول مرة أثناء دورة الألعاب الأولمبية الصيفية في مونتريال عام ١٩٧٦. كانت إيفانا، طبقاً للرواية الرسمية، عضواً في فريق التزلج التشيكي الأولمبي في سابورو في اليابان. هكذا قال الاثنان في إحدى المناسبات، ولكن في ما بعد، كتب ترامب يقول إن إيفانا كانت لاعبة بديلة في الفريق الأولمبي. وعندما قابلت مجلة *Spy* سكرتير اللجنة الأولمبية التشيكية، قال إن الفريق لم يكن يضم شخصاً بهذه الصفة.

القصة الشائعة أكثر حول تعارفهما تقول إن ترامب قدم نفسه إلى إيفانا في طابور المنتظرين خارج Maxwell's Plum، وهو بار يملكه وارنر لوروي Warner Le Roy في الجانب الشرقي من المدينة كان يتردد إليه العازبون، وكانت تنتشر فيه مصابيح من طراز تيفاني ويعلوه سقف من الزجاج الملون. كانت إيفانا، التي قدمت إلى نيويورك لحضور عرض أزياء يقام للترويج للألعاب الأولمبية المقبلة، تقف مع صديقاتها بانتظار

---

1 Klemesrud, "Donald Trump, Real Estate Promoter."

٢ مقابلة مع سكادرون.
٣ المصدر السابق.

الدخول إلى البار عندما ربت ترامب على كتفها وقال لها إنه يعرف المالك، وأضاف أن بإمكانه تدبير دخولهن إلى البار. دخل الجميع البار. دفع ترامب تكاليف تلك الأمسية، ثم اصطحب الفتيات إلى فندقهن، وفي اليوم التالي، سحر إيفانا بإرساله ثلاث دزينات من الورد.

كانت إيفانا وهي وحيدة والديها، التي نشأت في تشيكوسلوفاكيا في ظل الحكم الشيوعي، تعمل عارضة أزياء هاجرت إلى كندا قبل قدومها إلى الولايات المتحدة. ما إن بدأت تواعد ترامب، حتى صارت، شأن أيٍّ من ممتلكات ترامب، تنسب إليها أفضل الصفات على نحو لا يخلو من المبالغة. كتب ترامب يقول إنها "واحدة من أفضل العارضات في كندا".[1] كانت إيفانا تعرض الأزياء في المتاجر الكبرى في مونتريال، كما كانت تعرض معاطف الفراء. وكانت قد تزوجت لمدة وجيزة بألفريد وينكلماير، وهو لاعب تزلج نمساوي، لكن هذا الزواج اختفى من الرواية الرسمية ولم يرد في مذكراتها المنشورة عام ١٩٩٥ بعنوان *The Best Is Yet to Come: Coping With Divorce and Enjoying Life Again*. كان وينكلماير قد ساعد إيفانا في الانتقال إلى الغرب،[2] وانتهى الزواج مباشرة بعد ذلك.

عندما بلغ ترامب الثلاثين من عمره، صار جاهزاً للاستقرار. كان زواج والديه هو النموذج بالنسبة إليه. قال: "لكي ينجح الرجل فهو بحاجة إلى الدعم داخل منزله، مثلما كان والدي يلقى الدعم من والدتي، وليس بحاجة إلى شخص لا يكف عن محاولة السيطرة والشكوى".[3] بدت إيفانا، التي كانت مهاجرة مثل والدته، مناسبة لهذا الدور. قال يصفها: "لقد أذهلني اقتران الجمال والذكاء، فقد كنت، شأني شأن العديد من الرجال، قد تعلمت من أفلام هوليوود أنه لا يمكن لامرأة واحدة أن تحوز الأمرين معاً".[4] أما إيفانا، فرأت في ترامب "شاباً لطيفاً أميركياً بمعنى الكلمة...[5] طويل

1 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 19.

2 D'Antonio, *Never Enough*, 119.

3 Donald Trump, *The Art of the Comeback* (New York: Times Books/Random House, 1997), 147.

4 Donald Trump and Charles Leerhsen, *Trump: Surviving at the Top* (New York: Random House, 1990), 53.

5 Ivana Trump, *The Best Is Yet to Come: Coping with Divorce and Enjoying Life Again* (New York: Simon & Schuster, 1995), 65.

القامة بارعاً يفيض حيوية... شديد الذكاء وشديد الوسامة". وصفته بما كان سيحققه: "لم يكن مشهوراً ولم يكن فائق الثراء".

في ليلة رأس السنة لعام ١٩٧٦، عرض ترامب الزواج على إيفانا، وقدم إليها في ما بعد خاتماً ماسياً يبلغ وزنه ثلاثة قراريط من متجر Tiffany،[1] لكن، قبل أن يتم الزفاف، بعد أقل من عام على لقائهما، وُضِعَت اتفاقية ما قبل الزواج، وقد بلغت في نهاية المطاف أربعة أو خمسة عقود.[2] حث روي كوهين ترامب على بدء حياته الزوجية بترتيبات مالية منظمة وفق القوانين، وجرت المفاوضات بين ترامب وإيفانا ضمن نمط صار في ما بعد السمة المحدِّدة لفكر ترامب: تبجحٌ بالثروة وبالنفوذ، والتعبير العلني عن الشكوى، والمعارك الدراماتيكية التي تجري في أعمدة الصحف المخصصة للإشاعات وفي قاعات المحاكم. بدأ الزواج -انتهى لاحقاً بنحو مفاجئ ومدوٍّ- بمرافقة المحامين. فاوض كوهين اتفاقية ما قبل الزواج، التي وُقِّعت قبل الزواج بأسبوعين، ومثَّل إيفانا محامٍ زكّاه كوهين. في إحدى جلسات المفاوضات، داخل منزل كوهين الذي كان يرتديٍ روب الحمّام، كانت إيفانا على وشك التوقيع على الاتفاقية، لكنها أحجمت عندما علمت باقتراح قدمه كوهين يطالبها بإعادة أي هدايا تلقتها من دونالد، في حال الطلاق. عندما لاحظ كوهين مدى غضبها، أضاف عبارة تسمح لها بالاحتفاظ بثيابها وبأي هدايا، كما أضاف، بموافقة ترامب، رصيداً خاصاً بـ"الأيام الصعبة" بقيمة مئة ألف دولار؛ بدأت إيفانا تسحب من ذلك الرصيد بعد شهر من الزفاف.[3]

بينما كان كوهين يساعد دونالد وإيفانا على إجراء ترتيبات زواجهما، كان في الوقت نفسه يرشدهما في حياتهما في أجواء نوادي "الديسكو" التي ينتشر فيها تعاطي المخدرات ولا مكان فيها سوى للسعي وراء المتعة، وهو المشهد الذي ساد في أواخر السبعينيات. مع أن دونالد كان يعتز بسمعته حول أنه لا يتعاطى المشروبات الروحية، كان يحب الوجود ضمن ذلك المزيج من الرجال ذوي الأسماء البارزة والنساء الجميلات، الذين يسهرون إلى ساعات متأخرة. في نيسان/أبريل ١٩٧٧،

1 Hurt, *Lost Tycoon*, 104.

2 Barrett, *Trump*, 5.

٣ المصدر السابق، ١٣٧.

ذهب ترامب وإيفانا لحضور افتتاح Studio 54، وهو نادٍ يقع وسط المدينة وصار لاحقاً موطن حركة "الديسكو". كان مالكا النادي، ستيف روبل Steve Rubell وإيان شريغر Ian Schrager، يعتمدان على كوهين للحصول على الاستشارات القانونية، وكان بدوره يقوم بدور الحارس غير الرسمي للنادي، إذ كان يُدخل الأغنياء والمشاهير متجاوزاً طابور الأشخاص الراغبين في السهر والمستميتين في محاولة دخول النادي للاختلاط بشخصيات من نوع: أندي وارول Andy Warhol، وليزا مينيللي Liza Minnelli وترومان كابوتي Truman Capote، ومارغو هيمنغواي Margaux Hemingway، وديفيد بوي David Bowie. كذلك اعتمد كوهين على تأثيره الجذاب للحصول على السماح بدخول جماعات الشباب المثليين؛ ورغم أنه كان يصر دائماً على أنه ليس مثلياً، فقد كان أحد أصدقاؤه يعلمون ما يعلمون عنه (رغم ميوله الجنسية، ظل كوهين معارضاً شرساً للمثلية في شؤون السياسة؛ عندما طُلب منه ذات مرة تمثيل مدرِّس فُصل من عمله لأنه كان مثلياً رفض، وقال لمجموعة من الناشطين المثليين إن المدرسين المثليين يمثلون خطراً جسيماً على أطفالنا[١] فلا داعي لوجودهم حتى لا يلوثوا المدارس الأميركية).

صار ترامب زبوناً دائماً للنادي، وروى في ما بعد أنه شاهد "أموراً تحدث هناك... لم أر مثلها حتى اليوم. شاهدت عارضات أزياء شهيرات تجري مضاجعتهن[٢] على طاولة في منتصف الغرفة. كنّ سبعة عارضات، وكان سبعة رجال يضاجعوهن في منتصف الغرفة. وهذا أمر لا يمكن أن يحدث حالياً بسبب الخشية من الموت".

في يوم السبت السابق لعيد الفصح، تزوج دونالد إيفانا، وأجرى المراسم القس نورمان فنسنت بيل Norman Vincent Peale، وهو مؤلف الكتاب الذي راج عام ١٩٥٢ *the Power of Positive Thinking* وأحد دعائم ثقافة مساعدة الذات في أميركا، وهو قس كنيسة Marble Collegiate في نيويورك، التي كان والدا رونالد يترددان إليها أحياناً. ما عدا والده، كان بيل الشخص الوحيد الذي يرى فيه دونالد معلِّماً (كان يرفض استخدام ذلك التعبير لوصف كوهين، ويصر على أن كوهين كان "مجرد محامٍ، ومحامٍ

1 Zion, *Autobiography*, 236.

٢ وردت في O'Brien, *Trump Nation*, 53.

بارع").[1] يقول ترامب إن بيل كان "يُلقي أفضل المواعظ، أفضل من أي شخص آخر؛ كان خطيباً رائعاً. وكان يراني أحسن تلامذته على الإطلاق".[2] كان والدا ترامب قد اصطحباه لأول مرة لسماع مواعظ بيل في خمسينيات القرن العشرين، عندما كان القس في أوج شهرته، إذ كانت الملايين تقرأ عموداً يكتبه في إحدى الصحف وتستمع لحديثه في برنامج إذاعي. قال بيل ذات مرة: "أعرف أنني بعون الله أستطيع بيع مكانس كهربائية"، وقد راقت وجهة النظر هذه للمبادرين من رجال الأعمال، بمن فيهم فريد ترامب وابنه. وبينما كان دونالد ترامب يحقق نجاحاته، تنبأ له بأنه سيصير "أعظم متعهد بناء في عصرنا الحالي".[3] ومن هنا، عزا ترامب لبيل الفضل في تعليمه كيف يربح بالتفكير في أفضل النتائج: "يمكن للتفكير قهر أي عقبة. أنا لا أفكر مطلقاً في النتائج السلبية".[4]

أقيم حفل الاستقبال الخاص بزفاف دونالد وإيفانا في نادي ٢١ Club، وهو حانة سابقة اشتهرت بزبائنها من المشاهير. حضر الحفل مئتا شخص تقريباً،[5] بمن فيهم المحافظ بيم وكوهين ومجموعة من السياسيين ومحامو ترامب. لم يحضر الحفل سوى فرد واحد من عائلة إيفانا، وهو والدها ميلوس Miloš.

في الواحد والثلاثين من كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٧، أي بعد عام من إعلان خطوبتهما، وضعت إيفانا أول مولود من أطفالهما الثلاثة، وهو دونالد جون ترامب الابن. ولدت إيفانكا عام ١٩٨١، وإيريك عام ١٩٨٤. انتقلت العائلة الجديدة إلى شقة بثماني غرف في ٨٠٠-الجادة الخامسة، تضم ديكورات عصرية من النوع الذي يمكن تفكيكه والقليل من المبالغات التي صارت في ما بعد العلامة المميزة لأسلوب ترامب. سرعان ما صار الزوجان محط أنظار الصحافيين الساعين وراء الصور المثيرة التي تظهر فيها العارضة وبطلة التزلج البارعة الجمال والمتعهد العقاري فائق الحيوية ذو التصرفات الصبيانية. يقول ستانلي فريدمان: "كان يدخل إلى غرفة مزدحمة ويلفت

---

١ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن.

2 Paul Schwartzman, "How Trump Got Religion–and Why His Legendary Minister's Son Now Rejects Him," *Washington Post*, January 21, 2016.

٣ المصدر السابق.

4 *New York Times*, August 7, 1983.

5 D'Antonio, *Never Enough*, 123.

أنظار كل الموجودين. كان العالم بأسره يتمحور حول دونالد. كان دائماً الشخص الذي يتحدث معك ولكن لا يكف عن النظر فوق كتفه للبحث عن شخص آخر. كان دائماً يعمل... يبحث عن الصفقة التالية، كان دائماً يبحث عن الشيء التالي".[١]

رغم هذا، كان ذلك الشيء الذي سيأتي لاحقاً عادة ما ينطوي على عمل يتجاوز الأبوة. فعلى غرار والده، كان دونالد يرى أولاده غالباً في المكتب، حيث كانوا يلقون الترحيب دوماً. يقول ترامب: "كنت دائماً موجوداً عندما يحتاجني أولادي، لكن ذلك لا يعني بالضرورة دفع عربة الطفل[٢] في الجادة الخامسة لمدة ساعتين". تقول إيفانا إن ترامب "لم يكن يدري كيف يتصرف مع أولاده عندما كانوا صغاراً. كان يحبهم ويقبّلهم ويحملهم، ثم يعطيني إياهم، إذ لم تكن لديه أدنى فكرة عما يجب أن يفعله".[٣] النتيجة أن الأولاد يذكرون سنيّ طفولتهم بشعور واثق من حب والدهم، مع ما كان يداخله من حزن ما بسبب أولويات الوالد. يتذكر دونالد الابن طفولته، قائلاً: "لم تكن علاقة والد وابن من نوع: فلنذهب يا بني ونلعب بالكرة في الباحة الخلفية، بل علاقة من نوع: هل عدت من المدرسة، تعال إلى المكتب. كنت أجلس في غرفة مكتبه. كنت ألعب بشاحناتي الصغيرة على الأرض في غرفة مكتبه، وأجمع حلوى عيد الهالوين في غرفة مكتبه. كنا نقضي وقتاً طويلاً معه، ولكن بالشروط التي تناسبه...[٤] لم يختف عن أنظارنا مطلقاً، ولم ينعزل عنا، ولكن بالشروط التي تناسبه. هذه هي طريقته في أداء الأمور".

سرعان ما ضم ترامب إيفانا إلى طاقم مديريه التنفيذيين، وعيّنها نائب الرئيس للإشراف على التصاميم الداخلية في فندق كومودور، وفي ما بعد في برج ترامب، وفندق بلازا وأحد الكازينوهات التي يملكها في مدينة أتلانتيك سيتي. يقول ميكي هاسكال، وهو صديق للزوجين ترامب، لقد"كان ذلك بدعة في أوساط رجال الأعمال،[٥] إذ لم يسبق أن سلّم أحدُهم زوجتَه، الجديدة، التي لم تكن معروفة بأنها

١ مقابلة مع فريدمان.
٢ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن.
3 Jonathan Van Meter, "Growing Up Trump," *New York*, December 13, 2004.
٤ مقابلة دونالد ترامب الابن مع دان زاك Dan Zak، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٥ مقابلة نيكي هاسكال مع كارين هيللر، **واشنطن بوست**، ١٣ نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

تعمل في هذا المجال، مسؤوليات بهذا الحجم. فمعظم الرجال الأثرياء لا يسمحون لزوجاتهم بزيارة مكاتبهم. ومعظم النساء لا يعرفن أي شيء عن أعمال أزواجهن".

تقول لويز سنشاين: "كان دونالد وإيفانا من الطبيعة نفسها، ومن النوع عينه من الأشخاص. كانا يتسمان بالتصميم وبالتركيز الفائق وبالذكاء الحاد... كانا شديدي الميل إلى التآزر وشديدي التشابه في كل شيء، متشابهان أكثر مما ينبغي. كان من الصعب التمييز بينهما. كأنهما خُلقا من النطفة نفسها".

في موقع العمل في فندق كومودور، كانت إيفانا كثيراً ما تصطدم بمراقبي العمال، ولكن عندما كان العمل يواجه عوائق، كان دونالد يميل إلى توجيه اللوم إلى مدير المشروع ومساعديه وليس إلى زوجته. كان مشروع كومودور عملاً صعباً يستنزف الجهود؛ كان ترميم بناء ضخم مؤلف من ستة وعشرين طابقاً، وهو مشروع يفوق في تعقيده أي مشروع كان والده قد حاول تنفيذه. عندما بدأت طواقم الهدم عملها في أيار/مايو ١٩٧٨، وجدوا أن الظروف كانت أقذر بكثير من توقعاتهم. كان المشردون يعيشون في إحدى غرف المرجل الدافئة المليئة بالقمل. أما الهيكل الفولاذي الذي كان ترامب يريد البناء عليه، فكان صدئاً وخطيراً. في الأقبية، أطلق العمال عدداً من القطط لمطاردة الأعداد الكبيرة من الجرذان الضخمة؛ ماتت القطط، وظلت الجرذان على قيد الحياة.[١] سرعان ما تضخمت التكاليف، فقد كان يجب كسو الجدران الحجرية الخارجية للطوابق الستة وعشرين بالزجاج العاكس. كانت طوابق بأكملها بحاجة إلى الهدم. كان المزودون والمقاولون ينتظرون ملهوفين للحصول على أموالهم. عندما وصلت بربارة ريس Barbara Res، وهي مساعدة مدير مشروع في شركة HRH Construction كان ترامب قد وظفها لإدارة العمل، إلى الموقع، سلّمها مديرها العقد وطلب منها أن تتأكد من تسجيل كل ثانية من العمل ومن دفع كل التكاليف: "اقرئي هذا وتعلمي... سوف يحاول أولئك الأشخاص القضاء عليك. سجّلي كل شيء واحتفظي بالسجلات".[٢]

تقول ريس إن ترامب في إدارته مشروعه الأول، كان "شديد التهور وبالغ الثقة

---

١ مقابلة باربرا ريس مع درو هارويل، **واشنطن بوست**، آذار/مارس، ٢٠١٦.

٢ المصدر السابق.

بالنفس"، بل إن عدداً من قراراته صدمت عمال البناء من ذوي الخبرة بوصفها أشبه بقرارات الهواة. كان المهندسون المعماريون والمتعهدون يخشون تحدي آرائه، وهو ما أوجد ما أطلقت عليه ريس "توليفة مميتة:...شخص مسؤول يتسم بالعدائية والنفوذ، إضافة إلى كونه يفتقر الخبرة". وبما أن الدائنين كانوا يراقبون سير العمل، حاول ترامب تقليص الأعمال بغية التوفير. خطر له يوماً أن بإمكانه استرداد بعض الدولارات عبر استخدام الأنابيب وقطع الفولاذ القديمة في مبنى كومودور. كان بذلك يقلد والده الذي كان أسطورة في البخل، والذي تباهى ذات مرة بأنه وفَّر ١٣ ألف دولار في يوم واحد عندما أقنع المتعهد بخفض قيمة الدهان لثلاث عشرة شقة دولاراً واحداً لكل شقة،[١] لكن محاولة ترامب للادخار ارتدت عليه، فقد قضى عمال النقابات ساعات طويلة يرشون القطع المعدنية بدهان ذي ألوان مرمَّزة –أحمر للتخلص منها وأخضر للاحتفاظ بها– وهو ما جعل أعمال الإنشاء تسير ببطء السلحفاة.

وظَّف ترامب مهندساً معمارياً هو دير سكوت Der Scutt، المعروف بتدخين الغليون وبأنه النجم الصاعد في مجال التصميم العصري في نيويورك. بعد مقابلة الرجلين الأولى مساء أحد أيام الجمعة في Maxwell's Plum، دعا ترامب سكوت إلى شقته.[٢] على غرار ترامب، كان لدى سكوت مزيجه الخاص من التصرفات الغريبة الأطوار النابعة من طبيعته الذاتية، فقد غيَّر اسمه الأول من دونالد إلى الكلمة الألمانية التي تعني "لام التعريف der". كانت تستفزه أساليب ترامب "بالغة العدائية" في تحقيق المبيعات وميله إلى المبالغة. مع ذلك، كانت مطالب ترامب التي لا تنتهي تبعث في نفسه الحيوية. يقول سكوت: "لا يأبه ترامب في حال أيقظني في السابعة صباحاً من يوم الأحد ليقول: لدي فكرة، سأراك في المكتب بعد أربعين دقيقة. كنت دائماً أذهب".[٣]

افتُتح فندق غراند حياة المجدَّد في الخامس والعشرين من أيلول/سبتمبر ١٩٨٠، أي بعد ست سنوات من قرار ترامب الحصول على كومودور. ومع أن الفندق، الذي كان يضم ألفاً وأربعمئة غرفة، كان مصمماً في الأصل لاستضافة المسافرين من الطبقة

١ مقابلة مع سكادرون.

2 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 123.

3 Klemesrud, "Donald Trump, Real Estate Promoter."

الوسطى، فإنه اكتسب سيماء الرفاهية بتجهيزاته النحاسية وبمعدلات أجور الغرف التي كانت تبدأ بمبلغ ١١٥ دولاراً في الليلة (ما يعادل ٣٣٠ دولاراً بأسعار عام ٢٠١٦). وللاحتفاء بالافتتاح، أقيم في غراند حياة حفل فخم في صالة الرقص حضره الحاكم والمحافظ والمحافظ السابق وكوهين وغيرهم من نخبة العاملين في مجال العقارات في نيويورك. كان غراند حياة نموذجاً لأسلوب ترامب في التطوير: تخفيضات ضريبية كبيرة، والاستفادة من تضارب مصالح المنافسين، إضافة إلى جرعة قوية من الصفاقة والبراعة في الخداع. ادّعى ترامب أن الفندق ساعد في نهضة الأحياء المجاورة لغراند سنترال ودشّن عصراً جديداً من السحر في مانهاتن، وقال إن المشروع غيّر حياته. "لو لم أتمكن في نهاية المطاف من إقناع مجلس المدينة باختيار الموقع الذي اقترحته والكائن في الشارع الرابع والثلاثين الغربي لإنشاء مقر المؤتمرات، ثم تطوير غراند حياة، لكنت على الأغلب لا أزال في بروكلين، أحصِّل الإيجارات".[١]

أما المصير الذي تنبأ به ترامب للأحياء المجاورة، فثبت أنه ليس مجرد كلام؛ ما إن بدأت الطواقم تعمل في مبنى كومودور، حتى كانت عشرات المكاتب والشقق ومشاريع الفنادق قد بدأت تنشأ في المباني المحيطة بالموقع من دون المساعدة الحكومية التي قال عنها ترامب إنها ضرورية لتحريك الأمور في تلك المنطقة الكئيبة.[٢] بعدما بدأ النزلاء التدفق على الفندق، أحكم ترامب قبضته على أحد التنازلات القليلة التي قدمها للحصول على التخفيض الضريبي. ففي ١٩٨٧، أوعز ترامب إلى محاسبيه بتغيير طرق إعداد التقارير، وبذلك خفَّض المبلغ الذي كانت اتفاقية التشارك في الأرباح الخاصة بغراند حياة ستؤمنه لمجلس المدينة.[٣] عندما راجعت مدققة الحسابات العامة في مجلس المدينة، كارين بيرشتاين Karen Burstein سجلات الفندق، وجدت أن أساليب المحاسبة "الخارجة عن المألوف" قد بخست مجلس المدينة[٤] وحقه في ملايين الدولارات الناتجة عن الضرائب. ولما سئل ترامب بعد سنوات عن تلك

1 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 107.

2 Carter B. Horsley, "In Environs of Grand Central, New Strength," *New York Times*, April 30, 1978.

3 Geraldine Baum, Tom Hamburger, and Michael J. Mishak, "Trump Has Thrived with Government's Generosity," *LA Times*, May 11, 2011.

٤ المصدر السابق.

التغييرات، أجاب بأنه لا يذكر[1] ذلك التحقيق.

خلال السنوات التالية، كان ترامب غالباً ما يتشاحن مع العائلة المالكة لسلسلة فنادق حياة، ومن بين تلك المشاحنات دعوى قضائية ودعوى مضادة كانتا مثاراً للحرج، ثم انتهى الأمر بموافقة عائلة برتزكر، عام ١٩٩٥، على دفع ٢٥ مليون دولار مقابل أعمال التجديد، لكن ترامب الذي كان يسعى جاهداً إلى دفع الديون الكبيرة التي تراكمت عليه مع توسُّع إمبراطوريته، انتهى به الأمر ببيع حصة النصف التي كان يملكها في شركة حياة إلى العائلة، عام ١٩٩٦، وبذلك انتهت علاقته بالمشروع الذي استهل به حياته المهنية. احتفظ ترامب بخمسة وعشرين مليون دولار من ثمن البيع البالغ ١٤٢ مليون دولار، وذهب القسم الأكبر من المال لدفع جزء من المليارات التي كانت أعماله مدينة بها، بما في ذلك مئات ملايين الدولارات كان ترامب قد كفلها شخصياً.[2]

في تلك المدة، كان ترامب وسنشاين يتجولان في مانهاتن جالسين في المقعد الخلفي من سيارة ترامب الفارهة، ويبحثان عن مواقع مشاريع محتملة. في أحد الأيام، مرّا بالمقر الرئيسي لمتجر Bonwit Teller الكائن في الجادة الخامسة، وهو متجر فخم للبضائع النسائية كان يواجه آنذاك بعض المصاعب. قال ترامب: "أعجبني هذا الموقع،[3] فلنبحث عن مالكه ونهدم المبنى". قرر ترامب أن الموقع المذكور سيكون أفضل مكان للمشروع الذي سيحمل اسمه، وهو برج ترامب، العبارة البراقة التي تتلألأ في أفخم جادة في نيويورك. عرَّفت سنشاين ترامب على حامل الأسهم الرئيسي في Genesco، وهو التكتل الذي يملك رخصة Bonwit Teller. وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٨، عندما علم ترامب أن الشركة معروضة للبيع، أمّن اتفاقية خيار لأجل دون مقابل مالي، لتسمح له بشراء الرخصة بمبلغ ٢٥ مليون دولار. كانت ضربة موفقة حصل نتيجتها على واحد من أهم المباني الموجودة[4] في وسط مانهاتن. عندما علم متعهدو البناء المنافسون بالصفقة وعرضوا أسعاراً أعلى، رد ترامب بعنف وهدد

١ المصدر السابق.

2 Mark Singer, "Trump Solo," *New Yorker*, May 19, 1997.

٣ مقابلة مع سنشاين.

4 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 151.

باللجوء إلى القضاء في حال نكث الأمين على الصفقة وعده.

صار ترامب آنذاك مالكاً لرخصة البناء الكائن في ما وصفه ترامب بأنه "أفضل موقع في العالم"،[1] لكنه كان لا يزال بحاجة إلى أمرين: الأرض الموجودة في الأسفل التي كانت تملكها شركة التأمين العملاقة Equitable، وحقوق فضاء المنطقة التي تملكها شركة .Tiffany and Co، وهي شركة المجوهرات الرمز التي كان مبناها الذي يمثل معلماً يقع بجوار المبنى الذي حصل ترامب على رخصته. هناك كانت أودري هيبورن Audrey Hepburn تتأمل واجهات المحلات في فيلم Breakfast at Tiffany's، وهناك اشترى ترامب خاتم خطوبة إيفانا الماسي. وبما أن فندق غراند حياة كان قد انتهى بناؤه وافتتح، لم يعد ترامب بحاجة إلى الصراع من أجل الحصول على قروض، فقد قدم له مصرف تشيزمانهاتن المبالغ اللازمة لشراء الحقوق أعلى وأسفل مبنى Bonwit Teller، إضافة إلى مبلغ ١٠٠ مليون دولار لأعمال الإنشاء. أقنع ترامب شركة Equitable، وهي أحد دائني أعمال إنشاء غراند حياة، أن تبيعه الأرض مقابل رهن يبلغ ٥٠% من المشروع.[2]

عاد سكوت ثانية ليوقع بوصفته مهندساً معمارياً، ورسم مخططاً أولياً لمبنى مسنّن الحافة أشبه بالمنظر الخارجي لدرج. كانت شقق الملكيات المشتركة في الطوابق العليا من برج ترامب تطل على مشهدين للمدينة، وهذا يمثل سبباً منطقياً بالنسبة إلى ترامب ليطلب أسعاراً أعلى. امتدحت الناقدة المعمارية في صحيفة **تايمز** أدا لويز هكستابل Ada Louise Huxtable البرج المكسو بالزجاج الأسود بوصفه "منشأة بديعة على نحو دراماتيكي" لها "ثمانية وعشرون جانباً تومض بالضوء".[3] كانت قوانين تقسيم المناطق في المدينة تمنع إنشاء برج بهذا الارتفاع في موقع صغير كهذا، لكن ترامب تمكن ببراعة من استغلال حقوق الفضاء الخاصة بشركة تيفاني والأحكام المتسامحة بشأن مشاريع الأبنية متعددة الاستعمالات (سكنية-مكتبية-تجارة التجزئة) للتوسع باتجاه الأعلى، كما استفاد البرج من الشرط الوارد في قوانين تقسيم المناطق، الذي

1 Jonathan Mandell, "Raising Trump's Tower: How a Cast of Thousands Built One Man's Answer to the Pyramids," *New York Sunday News*, February 13, 1983.

2 "Trump Pursued a 'Vision' of Tower with Tenacity," *New York Times*, August 26, 1980.

3 Ada Louise Huxtable, "Architecture View: A New York Blockbuster of Superior Design," *New York Times*, July 1, 1979.

كان يسمح بارتفاعات أعلى في حال أمنت الجهة التي تبني وجود فضاءات عامة، كالردهات مثلاً.[1] كان مخطّطو المدن قد بدؤوا يتوخون الحذر لدى إنشاء ناطحات سحاب جديدة، ولاسيما في وقت تنامت فيه ردود الفعل الشعبية العنيفة إزاء تزايد عدد الشوارع الضيقة التي لا يصل إليها ضوء الشمس في مانهاتن، لكن تصاميم سكوت وبراعة ترامب في إنجاز الصفقات كسبتا الجولة. كان المسؤولون في مجلس المدينة قد خفضوا عدد الطوابق، في المخططات، من ثلاثة وستين إلى ثمانية وخمسين،[2] لكن الكلمة الأخيرة كانت لترامب، فقد أعاد ترقيم طوابق البرج الثمانية والخمسين حتى صار عددها ثمانية وستين.

في البداية، كان يجّب إزالة الواجهة الأنيقة لمتجر Bonwit Teller، لكن بعض أهالي نيويورك كانوا يحبون المبنى المشاد على الطراز المعماري للعشرينيات وللثلاثينيات، خصوصاً الشبكة البرونزية العالية المقامة فوق المدخل، وخصوصاً تمثالين نافرين، أو إفريزين، بطول خمسة عشر قدماً لإلهتين شبه عاريتين ترقصان فوق الجادة الخامسة (في عام ١٩٣٠[3] قال محرر عمود الهندسة المعمارية في صحيفة *New Yorker* في أحد المقالات: "قد يخطر للمرء أن التمثالين إعلان فاشل لمتجر مخصص لبيع الملابس النسائية").

كان روبرت ميللر، Robert Miller، وهو مالك صالة عرض للفنون تقع مقابل المبنى، وبينلوب هنتر-ستيبل Penelope Hunter-Stiebel، وهي إحدى أمناء متحف متروبوليتان للفنون، يعتقدان أن بإمكانهما إقناع ترامب بالإبقاء على تلك القطع ومنحها للمتحف مقابل الحصول على تقييم سخي لها -يقدر بأكثر من ٢٠٠ ألف دولار- يمكن له الاستفادة منه على صورة تخفيض ضريبي. وكان قد سبق لهنتر-ستيبل اللجوء إلى الحس التاريخي لدى ملّاك الأراضي، فقد حصل المتحف من مركز روكفلر على حجيرة مصعد تعود إلى ثلاثينيات القرن العشرين تمثل الأسلوب الفني العصري،

1 Ada Louise Huxtable, "Architecture View: A New York Blockbuster of Superior Design," *New York Times*, July 1, 1979.

2 Huxtable, "Architecture View."

3 Christopher Gray, "The Store That Slipped through the Cracks," *New York Times*, October 3, 2014.

وخطر لها أن ترامب قد يوافق أيضاً على التعاون معها.[1] بدا ترامب متحمّساً للفكرة، وقال لها عندما قابلها في مكتبه: "سوف تكون صفقة عظيمة"، لكن، في الخامس من حزيران/يونيو ١٩٨٠، اتصل ميللر بهنتر-ستيبل من صالته، وأخبرها أنه يشاهد عمال البناء على السقالات خارج مبنى Bonwit Teller وهم يكسرون التمثالين ويحولوهما إلى شظايا. اندفعت هنتر-ستيبل، وكانت حاملاً في شهرها التاسع، خارجة من مبنى المتحف واستقلت سيارة أجرة. عندما علقت السيارة في زحمة المرور، ترجلت هنتر-ستيبل وقطعت مسافة الأبنية العشر الباقية للوصول إلىBonwit Teller، ركضاً. في تلك الأثناء، كان ميللر قد عرض نقوداً على مراقب العمال للإبقاء على التمثالين. رفض المراقب وقال له: "أخبرني دونالد الشاب أن هناك سيدة حمقاء في المتحف تريد التمثالين وعلينا إتلافهما".[2] تتذكر هنتر-ستيبل كيف وصلت وشهقت برعب... "وأنا لا أصدق ما أراه. كانوا يثقبون عنق أحد التمثالين. كان أمراً لا يمكن تصوره".

في الصباح التالي، تصدرت الصفحة الأولى من صحيفة **تايمز** مقالة تحمل عنوان "متعهد بناء يفتت تمثالي Bonwit". جاء في المقالة أن "جون بارون John Baron"، وهو نائب مدير Trump Organization، قال في معرض الشرح، إن الشركة قررت تدمير التمثالين بعدما توصّل ثلاثة مُخَمِّنين مستقلين إلى قرار بأن التمثالين كانا "لا يتمتعان بأي ميزة فنية"، ولا تتجاوز قيمتهما تسعة آلاف دولار، وسوف يكلّف نقلهما ٣٢ ألف دولاراً. كان اسم جون بارون، وعادة ما كان يُكتب Barron هو الاسم المستعار الذي كان ترامب غالباً ما يستخدمه عندما يكون غير راغب في كشف هويته لأحد المراسلين الصحافيين. بعد يومين، تناول ترامب، مستخدماً اسمه الحقيقي، الحادث قائلاً إن نقل التمثالين كان سيكلف ٥٠٠ ألف دولاراً، وأضاف مؤكِّداً: "كان اهتمامي الأكبر منصباً على سلامة الناس في الشارع، فلو أن أحد تلك الأحجار انزلق، لأدى إلى مصرع بعض الأشخاص".

كان ذلك الحادث أول فشل ذريع لترامب في مجال العلاقات العامة؛ وَرَدَ في مقالة رئيس تحرير صحيفة **نيويورك تايمز**: "قد يخطر للسيد ترامب أن التخريب المتعمد

---

١ مقابلة مع بنيلوب هنتر-ستيبل، ٢٠١٦.
٢ مقابلة مع روبرت ميللر، ٢٠١٦.

للجماليات سرعان ما يتلاشى من ذاكرة المواطنين، لكن ما دمّره ترامب لدى تدميره التمثالين هو صورته العامة التي كان يحاول بناءها مع ناطحة السحاب الخاصة به في الجادة الخامسة". وقال كينت بارويكKent Barwick، وهو رئيس لجنة Landmarks Preservation Committee في نيويورك، إن تدمير ترامب التمثالين قد رسّخ صورته "كشخص سيئ، ففي نهاية المطاف، أكان ذلك صحيحاً أم خطأً، كانت المسألة تتعلق بالثقة".[٣] في ما بعد، عبّر ترامب عن "أسفه" لتدمير التمثالين، وقال في معرض الدفاع عن نفسه إنه كان مضطراً إلى التصرف بسرعة بشأن تدمير التمثالين لتفادي التأخير الطويل الأمد الذي يتسبب فيه محبّو الحفاظ على التاريخ.[٤] وفي كتاب *Trump: The Art of the Deal*، قال ترامب إنه كان مسروراً بتلك التغطية الإعلامية السلبية، لأنها وفرت له دعاية مجانية وساعدته في بيع الشقق. في ثمانينيات القرن العشرين، وصف ترامب التمثالين بأنهما "لا شيء"[٥] وبأنهما "خردة".[٦] بعد عشر سنوات، كان زواره في منزله المؤلّف من ثلاث وخمسين غرفة، يعلّقون على قطعة فنية لافتة من النحت النافر، في غرفة الطعام المؤلّفة من طابقين، بأنها "إفريز محفور من العاج".[٧]

كان مبنى Bonwit Teller محشوراً بإحكام داخل مباني الجادة الخامسة، فلم يكن بإمكان طواقم العمال استخدام أساليب الهدم التقليدية، مثل كرات الهدم أو الديناميت.[٨] كان يتعين تفكيك المبنى قطعة فقطعة. ولتنفيذ هذا العمل المضني، لجأ ترامب إلى شركة تعهدات Kaszycki and Sons Contractors، التي قدمت عرضاً بأقل سعر.

نفذ العمل مئات المهاجرين البولونيين ممن لا يحملون وثائق قانونية، والمعروفون باسم "الفرقة البولونية". كدح الرجال طوال ربيع وصيف ١٩٨٠ بالمطارق الثقيلة

٣ مقابلة مع كينت بارويك، ٢٠١٦.
٤ مقابلة ترامب مع المؤلفَيْن.

5 Graydon Carter, "Donald Trump Gets What He Wants," *GQ*, May 1984.

6 Lee Wohlfert-Wihlborg, "In the Manhattan Real Estate Game, Billionaire Donald Trump Holds the Winning Cards," *People*, November 16, 1981.

7 David Remnick, ed., *The New Gilded Age*: The New Yorker *Looks at the Culture of Affluence* (New York: Random House, 2000).

8 Suzanne Daley, "Bonwit Building Set for the Ultimate Sale," *New York Times*, March 16, 1980.

الضخمة وبمواقد اللِّحام، ولكن دون ارتداء خُوَذ. كانوا يعملون من اثنتي عشرة إلى ثماني عشرة ساعة في اليوم طوال سبعة أيام في الأسبوع، وغالباً ما يبيتون على أرضية المبنى. كانوا يحصلون على أقل من خمسة دولارات في الساعة، وأحياناً تدفع لهم بزجاجات فودكا، ولكن العديد منهم لم يكونوا يحصلون على أي أجر، وكانوا يتلقون تهديدات بالترحيل في حال اشتكوا.[١] في ١٩٨٣، أي العام الذي افتتح فيه برج ترامب، أقامت نقابة House wreckers Local ٩٥ دعوى قضائية ادعت فيها أن ترامب سمح على نحو غير قانوني لمهاجرين لا يحملون وثائق قانونية بالعمل في إنشاء برجه. قال جون سابو John Szabo، وهو محامٍ متخصص بقضايا الهجرة، وكان يمثل العمال، إن شخصاً يدعى السيد بارون -الاسم نفسه- اتصل به من Trump organization وهدد بإقامة دعوى قانونية في حال لم يتنازل العمال عن دفعاتهم المالية المتأخرة.[٢] في ١٩٩٠، وبعد سنوات من التأجيل، شهد ترامب أنه لم يكن يعلم أن العمال كانوا لا يحملون وثائق قانونية، وألقى باللوم على شركة Kaszycki&Sons.[٣]

حكم القاضي في غير مصلحة ترامب والمتعهد، وقال إن أحد المساعدين الرئيسيين لترامب في الموقع، وهو توماس ماكاري Thomas Macari، "كان ضالعاً في كل مراحل الهدم". استأنف ترامب الحكم وكسب نقضاً جزئياً، لكن المحكمة قررت أن ترامب "كان يجب أن يعرف" بشأن العمال البولونيين. تمت تسوية القضية وإنهاؤها عام ١٩٩٩,[٤] بعد سنوات، وصف ترامب المهاجرين غير القانونيين بأنهم "كرة هدم موجّهة ضد دافعي الضرائب الأميركيين".[٥]

ما إن هُدِمَ مبنى Bonwit Teller، حتى بدأت عملية البناء المعقدة لبرج ترامب على نحو جدي. بعد انقضاء بضعة أيام على حفل افتتاح فندق غراند حياة، دعا دونالد وإيفانا، بربارة ريس إلى شقتهما البديعة في الجادة الخامسة. كانت غرفة الجلوس

1 Dean Baquet, "Trump Says He Didn't Know He Employed Illegal Aliens," *New York Times*, July 13, 1990.

٢ المصدر السابق.

٣ المصدر السابق.

4 Tom Robbins, "Deal Sealed in Trump Tower Suit," *New York Daily News*, March 8, 1999.

5 Donald Trump, *Time to Get Tough: Making America #1 Again* (Washington, DC: Regnery Publishing, 2011).

تشرف على حديقة سنترال بارك ذات المناظر الخلابة، وكان لون الأثاث والستائر والسجاجيد أبيض بدرجات متناغمة. عندما قدمت إيفانا إلى ريس كوباً من عصير البرتقال، رفضته ريس خوف التسبب في أي بقعة.[١] في فندق غراند حياة، كانت ريس -التي يبلغ طولها خمسة أقدام وأربع بوصات، وذات شعر بني يصل إلى كتفيها، وغالباً ما ترتدي خوذة وقميصاً من الفانيلا وبنطالاً من المخمل المضلع وجزمة عمل- قد صمدت بصلابة بوصفها إحدى النساء القليلات الموجودات في موقع العمل، حيث كان العمال يتبولون علناً على الأعمدة ويغطون الجدران برسوم بدائية تظهرها وإيفانا عاريتين. ورغم أن ريس كانت تعرف أنها تحظى باحترام ترامب، لم تكن تتوقع ما سيطلبه منها.

قال لها ترامب: "أريدك أن تبني لي برج ترامب". كانت ناطحة السحاب ستضم أبهى المتاجر وأحدث المكاتب، وأكثر الشقق رفاهية. لم يكن يتوافر لدى ترامب الوقت الكافي للانخراط في العمل كما كان عليه الوضع أثناء بناء غراند حياة. كان بحاجة إلى شخص يثق به لينوب عنه في كل شيء وليكون مسؤولاً عن بناء "أهم مشروع في العالم". كانت ريس، التي كان يصفها بأنها "ترامب بصورة امرأة"، ستصير المهندسة الرئيسية للبرج، ومسؤولة عن كل الأعمال الإنشائية،[٢] ولم تكن قد تجاوزت الواحدة والثلاثين. كانت إحدى النساء القلائل اللواتي يعملن في تنفيذ المشاريع العقارية في ذلك الوقت، وكان دونالد قد عيّنها رغم معارضة والده الذي قال لولده إن النساء لم يُخلَقْنَ لهذا النوع من الأعمال.[٣]

كانت الطوابق الخمسة الأولى ستُملأ بأروقة التسوق وبالسلع الباذخة، ثم ستضم الطوابق الأحد عشر التالية المكاتب، ثم تأتي ثمانية وثلاثون طابقاً من الشقق الباذخة، ثم العديد من الطوابق التي تضم الآليات التي تسيّر شؤون البرج. كان ترامب يريد أن يبني برجه، وخلافاً لمعظم ناطحات السحاب ذات الهياكل الفولاذية، من الخرسانة المسلحة، وهو ما يسمح بالمزيد من المرونة في تخطيط الطوابق. تقول ريس إن أعمال البناء صُمِّمت حتى تسير بإيقاع شديد السرعة، فقد كانت الطواقم تبدأ العمل

١ مقابلة مع ريس.
٢ المصدر نفسه.
٣ المصدر نفسه.

قبل الانتهاء من وضع كل المخططات. كانت الطواقم تعمل ستة أيام في الأسبوع، وتصب أرضية خرسانية جديدة كل يومين. قال أحد المشرفين على الأعمال الخرسانية، وهو إيدي بيسبو Eddie Bispo إن جدول أعمال الإنشاء كان يتطلب جهداً متواصلاً[1] إلى حدّ أنه كان يأتي إلى موقع العمل في السادسة صباحاً، ويظل هناك أحياناً حتى الحادية عشرة والنصف مساء.

اضطر ترامب، بسبب قراره الإسراع في العمل، إلى التعامل مع "نادي الخرسانة" صاحب النفوذ في نيويورك، وهو اتحاد نقابات ومتعهدين تسيطر عليه المافيا، وكان أعضاؤه يتواطؤون لرفع الأسعار ولوضع العقبات في وجه المنافسين، ولمعاقبة المتعهدين الذين يقاومونهم بتنظيم إضرابات مكلفة لهؤلاء. كان العديد من متعهدي البناء آنذاك يشعرون بأنهم مجبرون على سلوك هذا الدرب الشائك. كان ترامب يحصل على الخرسانة اللازمة لبرجه من شركة S&A Concrete، التي يملكها زعيمان لعائلتين من عائلات الجريمة المنظمة في نيويورك هما: توني ساليرنو Tony Salerno "البدين" من عائلة الجنويين، وبول "بول الكبير" كاستيلانو Paul Castellano، من عائلة غامبينو (اغتيل كاستيلانو عام ١٩٨٥ خارج Sparks Steak House شرقي مانهاتن في ضربة للمافيا نظمها رجل العصابات جون غوتي John Gotti). كان روي كوهين قد مثّل ساليرنو وشخصيات أخرى من رجال العصابات، وكانت تربطه علاقة ودّ مع زعيم آخر من زعماء المافيا، وهو جون كودي John Cody الذي كان يدير نقابة Teamster التي كانت تسيطر على سائقي شاحنات الإسمنت. وقد ورد اسم كودي في الوثائق التي أوردتها اللجنة الفرعية لمجلس النواب، House Subcommittee on Criminal Justice عام ١٩٨٩، التي وصفته بأنه "أخطر أفّاق يبتزّ العمال ويسبب الأذى لصناعة البناء في نيويورك".[2]

عام ١٩٨٢، عندما شلّت إضراباتُ النقابة حركةَ المشاريع العقارية في كل نواحي المدينة، ظلت أعمال بناء برج ترامب تسير بوتيرتها المعتادة. وعندما افتُتح البرج في العام التالي، بيعت ثلاث شقق كبيرة مؤلفة من طابقين، في الطابقين الرابع والستين

1 Mandell, "Raising Trump's Tower."

2 O'Harrow, "Trump Swam in Mob-Infested Waters."

والخامس والستين، أي تحت منزل ترامب مباشرة، لصديقة كودي، فيرينا هيكسون Verina Hixon، بعدما أدخلت تحسينات مكلفة على شقق هيكسون، بما في ذلك حوض سباحة داخلي كان الوحيد في البرج. نفذ العمل المهندسون الإنشائيون العاملون لدى ترامب، بما في ذلك تصميم إطار خاص لاستيعاب الحوض.[١] ولمدة ستة أشهر بعد انتقال هيكسون للعيش في البرج، كان في شققها كل يوم ما بين ثلاثين إلى أربعين عاملاً يركبون خزناً من خشب الأرز المصقول ومرايا كبيرة وتجهيزات ساونا بكلفة ١٥٠ ألف دولار.[٢] عندما رفض ترامب ذات يوم تنفيذ أحد طلبات هيكسون، اتصلت بكودي، وتوقفت في النتيجة إمدادات مواد الإنشاء للمبنى[٣] إلى أن استؤنف العمل في شقتها.

تبرز هيكسون بوصفها واحدة من أكثر القاطنين في برج ترامب ثراء، لكنها قالت في شهادة أدلت بها عام ١٩٨٦، بعد عجزها عن سداد دفعات قرض بلغت قيمته ثلاثة ملايين دولار، إنها لم تمارس أي عمل في حياتها، وإنها تملك حساباً جارياً فيه دولاران، وليس لها حسابات توفير أو أسهم أو أملاك، عدا شقتها في برج ترامب المفروشة بأثاث فخم. وأضافت أن زوجها السابق، وهو رجل أعمال غني من تكساس، كان يرسل لها ألفي دولار شهرياً نفقة لابنها، ويغطي نفقات الصيانة الشهرية لشقتها البالغة ٧٨٠٠ دولار، كما كان يدفع تكاليف مدرسة ابنها البالغ من العمر ستة عشر عاماً. قالت هيكسون إن شقتها لم تكن مؤثثة بالكامل، أو تضم بضعة كراسي و"طاولات تالفة" تناسب حوض السباحة الداخلي. كان لديها أثاث في مخزن ما، لكنها لم تتذكر مكانه... "في مكان ما في أميركا، في بروكلين، ومن يمكنه أن يعرف أين تذهب تلك الأشياء؟". قالت أيضاً إنها لا تتناول طعامها في المنزل أبداً، بل في المطاعم الفخمة، بما فيها Côte Basque، وLa Grenouille و٢١. كيف كانت تدفع التكاليف؟ أجابت: "لدي أصدقاء أثرياء. يحبون دعوتي".[٤] بعد اعتقال كودي وإدانته بتهم ابتزاز عام ١٩٨٢ وإيداعه السجن، أقام ترامب دعوى ضد هيكسون. بعد عجزها

1 Barbara Res, *All Alone on the 68th Floor* (Create Space Independent Publishing Platform, 2013), 169.

٢ شهادة فيرينا هيكسون، ٨ أيلول/سبتمبر، ١٩٨٩.

٣ مقابلة مع ريس.

٤ شهادة فيرينا هيكسون، ٨ أيار/مايو، ١٩٨٦.

عن سداد تكاليف صيانة الشقة، البالغة ٣٠٠ ألف دولار، أشهرت هيكسون إفلاسها وحجز الدائنون على شققها في برج ترامب.[١]

لدى استدعاء ترامب بموجب مذكرة عبر المحققين الفيدراليين، عام ١٩٨٠، أنكر أنه وهب بعض الشقق لكي يستمر العمل في مشروعه،[٢] لكن كودي قال إنه "يعرف ترامب معرفة جيدة"، وأضاف أن "دونالد كان يحب التعامل معي عبر روي كوهين".[٣] بعد وفاة كودي، عام ٢٠٠١، وصفه ترامب بأنه "وغد مجنون يعاني اضطرابات عقلية"، وبأنه "مجرد حثالة".[٤]

رغم أن العمل في البرج كان لا يزال جارياً، تابع ترامب بإصرار خططه الرامية إلى إنشاء مجمع ضخم للشقق ذات الملكية المشتركة عند الطرف الجنوبي من حديقة سنترال بارك. في ١٩٨١، اشترى مبنيين كبيرين قديمين -فندق Barbizon Plaza، ومبنى شقق يضم خمسة عشر طابقاً بجوار المبنى الأول في ١٠٠ Central Park South- بمبلغ ثلاثة عشر مليون دولار.[٥] اشتراهما ترامب ليهدمهما، لكنه واجه مقاومة شرسة من القاطنين فيهما الذين كانوا يرغبون في الاحتفاظ بشققهم ذات الأجر المحدَّد. هاجم ترامب خصومه بقسوة ووصفهم بأنهم "أصحاب ملايين يرتدون معاطف فراء المنك ويقودون سيارات رولز رويس".[٦] كان بعض القاطنين في المبنيين من كبار السن الذين يعيشون على دخل ثابت. أما الآخرون، فكانوا فعلاً من الأغنياء المعروفين.

قال المستأجرون إن ترامب حاول إجبارهم على إخلاء المبنى عن طريق إزعاجهم. اقترح إسكان بعض الأشخاص المشردين في عشر شقق خالية على الأقل، لكن مجلس المدينة رفض هذا العرض السخي.[٧] بدأ عمال الصيانة يتجاهلون الحنفيات التي تتسرب منها المياه والتجهيزات المكسورة وشرعوا يغطون نوافذ الشقق الخالية

---

١ *Never Enough*، D'Antonio، ١٣٥. لم نتمكن من الاتصال بهيكسون لمعرفة تعليقها.

2 Trump Swam in Mob-Infested Waters."

٣ المصدر السابق.

4 O'Brien, *Trump Nation*, 70.

5 William E. Geist, "The Expanding Empire of Donald Trump," *New York Times*, April 8, 1984.

6 Tracie Rozhon, "A Win by Trump! No, by Tenants!; Battle of the 80's Ends, with Glad-Handing All Around," *New York Times*, March 26, 1998.

7 Richard Haitch, "Follow Up on the News; Shelter Game," *New York Times*, May 29, 1983.

بورق القصدير ذي "المظهر الزري".[1] اتهمت جماعة من المستأجرين ترامب بأنه لا يكف عن مضايقتهم لكنه أنكر كل التهم.[2] قال لهم: "سأخبركم شيئاً عن الأغنياء. عتبة الشعور بالألم منخفضة جداً لديهم".[3]

بعد خمس سنوات من المماطلة،[4] تخلى ترامب عن خططه بالهدم وقال إنه سيجدد مبنى 100 Central Park South، ويجعل منه مجمع شقق فخمة يضم ستاً وعشرين شقة. وقال إنه بإمكان المستأجرين الحاليين البقاء فيه. كان مبنى فندق Barbizon Plaza مغلقاً، ولذلك كان يمكن تحويل غرفه التسعمئة والخمسين إلى أربعمئة شقة فخمة. في بداية ١٩٨٣، وقبل الشروع في أعمال تحويل المبنيين، سأل ترامب ستيفن ن. إفشين Stephen N. Ifshin، وهو مضارب تجاري ذو مكانة مرموقة، هل يستطيع العثور على مشترٍ لمبنى الفندق ولمبنى الشقق المجاور له. كان إفشين واثقاً من أنه يستطيع ذلك. قال له ترامب: "أريد مئة مليون دولار ثمناً للمبنيين، معاً. قال إفشين، وقد أذهله الطلب المبالغ فيه: "هذا مبلغ كبير".

لم يكن سعر كهذا وارداً في المشهد العقاري في مانهاتن آنذاك، ولا حتى كرقم كبير غير رسمي يُقدَّم إلى المشترين من ذوي الحظوة، ويطلق عليه اسم "سعر الهمسة"، لكن الوساطة في صفقة كهذه قد تكسبه عمولة بملايين الدولارات، وهكذا بدأ يُعلم من حوله أن بالإمكان الحصول على المبنيين. عبّر شيرمان كوهين Sherman Cohen، وهو مفاوض شرس في سوق الممتلكات العقارية في مانهاتن، عن اهتمامه بالصفقة، ورتب إفشين موعداً في مكتب ترامب. قبل الجلوس إلى طاولة الاجتماع في مكتب ترامب، أشعل كوهين سيجارة، ولكن عندما مد يده ليأخذ صحن السجائر الموجود وسط الطاولة، لم يتزحزح الصحن.

قال كوهين: "دونالد هل ثبتّ هذا الصحن بالبراغي؟". أجاب ترامب: "لقد أحضرت هذه الطاولة من فندقي، Barbizon، وقد ثبّتنا كل صحون السجائر لأن الناس

1 Carter, "Donald Trump Gets What He Wants."

2 Ron Suskind, "Trump Eviction Dispute Taken to State Hearing," *New York Times*, February 28, 1985.

3 Jonathan Mahler, "Tenants Thwarted Donald Trump's Central Park Real Estate Ambitions," *New York Times*, April 18, 2016.

4 George James, "Trump Drops 5-Year Effort to Evict Tenants," *New York Times*, March 5, 1986.

كانوا يسرقونها كذكرى". أوحت ابتسامة ترامب المعبِّرة عن الرضا عن النفس أنه كان يحمي استثماره لا أكثر. بدأت المفاوضات، فأعلن ترامب أن المبنيين كانا معروضين للبيع بمبلغ مئة مليون دولار في سعر نهائي. قال: "عندما أعرض عليك سعراً، فإن هذا هو السعر". أجاب كوهين بأنه لا يملك مئة مليون دولار ليدفعها له، وإن بإمكانه تدبير الحصول على تسعين مليون دولار.

اعتقد إفشين أن التفاهم صار وشيكاً، بل وشيكاً جداً. الآن يمكن البدء بمفاوضات جدية، لكن ترامب شكر كوهين وكرر السعر: مئة مليون دولار، ولا أقل من ذلك. صمت كوهين. صمت ترامب. كان كل منهما ينتظر أن يلين الآخر ويتراجع، كان الأمر أشبه بطريق مسدودة. انتهى الاجتماع خلال أقل من نصف ساعة. غادر كوهين المكتب وبقي إفشين وهو يشعر بالذهول. سأل ترامب: "لماذا. لماذا رفضت عرضاً كهذا؟ كنتما على وشك الاتفاق". أجاب ترامب: "لم يكن المبلغ هو المبلغ الذي أطلبه. أنا لا أبيع بأقل مما أطلب".

فكّر إفشين، كان أمراً عبثياً يجافي المنطق، ففي العادة، تدور مفاوضات، ثم أدرك فجأة أنه تم استغلاله. قال، دونالد كان ذلك أسلوبك في الحصول على تقدير غير رسمي، لتعرف هل كان أحدهم سيسعى جاهداً إلى إبرام الصفقة، وكم سيدفع. أنكر ترامب، لكن إفشين رد محتجاً: "لقد كان الأمر مجرد خدعة لتعرف قيمة البنائين في السوق، وها قد عرفت: تسعون مليوناً على الأقل. أنت مدين لي بعمولة لأنني مكّنتك من الحصول على تقدير غير رسمي من المشتري الذي أحضرته لك. أنت مدين لي بعشرة آلاف دولار".

نظر إليه ترامب كأنه ينظر إلى إنسان مخبول، وقال إنه سيدفع له بصورة خدمة يؤديها له مستقبلاً، لكن هذا لم يحدث. لم يعد إفشين ثانية إلى التعامل مع ترامب ولم يبع ترامب المبنيين. يقول إفشين: "لم يكن صريحاً. كان يخفي نايه. هذا ما أزعجني. لا شك في أنه شديد البراعة، لكنه ليس إنساناً مستقيماً". استنتج إفشين أن ترامب كان شخصاً لا يمكن الاعتماد عليه، وأنه لا يبالي بالعلاقات القديمة، ويستغل الناس لتحقيق مآربه.[1]

احتفظ ترامب بالمبنيين. أعيدت تسمية مبنى فندق Barbizon في ما بعد ليصير

[1] إفشين، في مقابلة مع بوب وودورد Bob Woodward، واشنطن بوست، ٢٠ أيار/مايو، ٢٠١٦. أكد ترامب صحة رواية إفشين في مقابلته مع المؤلِّفَين، واشنطن بوست، حزيران/يونيو، ٢٠١٦.

Trump Parc East[1] وتحول إلى مكان لبيع المدافئ الجدارية العاملة على الحطب. أما مبنى الشقق، فصار اسمه Trump Parc. بعد ثلاثة عقود، سكن ابن ترامب، إيريك، في الطابق الثالث عشر.[2]

كان من المفروض أن يسير ابن فريد الأكبر، فريدي، على خطى والده في مشاريع الأعمال العائلية.[3] كان فريدي، الذي يحمل الاسم الأول والأوسط لوالده[4] (فريدريك كرايست)، أول من تركّزت عليه آمال والده العريضة (كان فريدي الطفل الثاني بعد ماريان التي تكبره بعام). درس فريدي في مدرسة أسقفية Episcopal في لونغ آيلند، ثم التحق بجامعة Lehigh حيث كان شغفه الأول هو الطيران، لكنه بعد تخرجه عام ١٩٦٠، عاد إلى المكتب في جادة Z للعمل مع والده.[5] كان فريد صارماً في الإشراف على مهماته، فبذل فريدي، ذو الطبع اللطيف، جهوداً كبيرة كي يحقق متطلبات والده. وعندما ركّب نوافذ جديدة في مبنى قديم بعد ترميمه، عنّفه والده على تبذيره.[6] كان فريدي يشتكي لإخوته أن والده لا يقدره حق قدره.[7]

كان دونالد ينظر بإعجاب إلى أخيه الأكبر. في مطلع الستينيات، كان فريدي يصحب دونالد، الذي كان آنذاك في المدرسة الثانوية، في رحلات صيفية لصيد السمك في زورقه البخاري السريع Century.[8] وفي مهجعه في الأكاديمية العسكرية في نيويورك، كان دونالد يحتفظ بصورة لأخيه وهو يقف قرب طائرة. قبل تلك المدة، كان دونالد، الذي نشأ في ظل شقيقه الأكبر، يجاهد لكسب محبة والده، لكنه عندما لاحظ أن شقيقه لا يلقى استحسان والده، أدرك أن هذا الشقيق يفتقر الصلابة اللازمة للحفاظ على كيانه ضمن أسرته ذات الطبيعة التنافسية. قال دونالد، مردداً التعبير الذي

---

1 Trump Parc East promotional website, http:// www.trump.com/real-estate-portfolio/new-york/trump-parc-east/.

2 Mahler, "Tenants Thwarted Donald Trump's."

3 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 70.

4 Rozhon, "Fred C. Trump."

5 D'Antonio, *Never Enough*, 58.

6 Gwenda Blair, *The Trumps: Three Generations of Builders and a Presidential Candidate* (New York: Simon & Schuster, 2015), 244.

7 Jason Horowitz, "For Donald Trump, Lessons from a Brother's Suffering," *New York Times*, January 2, 2016.

٨ المصدر السابق.

كان والده يحب استخدامه لوصف ابن ناجح، "لم يكن فريدي سفاكاً".[1]

بعد إخفاق أحد مشاريع التطوير التي كانت الأسرة بصدد تنفيذها في Steeplechase Park، في كوني آيلند، ترك فريدي العمل مع والده وذهب للعمل طياراً في شركة Trans World Airlines. تزوج وهو في الثالثة والعشرين بمضيفة، ورزق الزوجان طفلين: فريدي وماري.[2] كان فريدي يبدو أكثر سعادة مما كان عليه عندما كان يعمل مع والده، لكن دونالد لم يستطع السيطرة على الرغبة في السخرية من طموحات فريدي المتواضعة، فسأله: "ما الفرق بين ما تفعله وبين قيادة حافلة عامة؟".[3] كان إفراط فريدي في التدخين وتعاطي الكحول، الذي زاد سوءاً عندما كان في منتصف العشرين من عمره، هو ما جعل دونالد يتجنب التدخين والكحول طوال حياته. طلّق فريدي زوجته وترك العمل في الطيران. في نهاية سبعينيات القرن العشرين، عاد للسكن مع والديه، وصار يشرف على فريق الصيانة في أحد مجمعات الشقق التابعة لوالده في بروكلين.[4] عام ١٩٧٧، طلب دونالد من فريدي أن يكون إشبينه في حفل زفافه عندما تزوج إيفانا، قائلاً إنه يعتقد أن ذلك سيكون "شيئاً مفيداً له".[5]

في السادس والعشرين من أيلول/سبتمبر ١٩٨١، توفّي فريدي الذي كان يكبر دونالد بثماني سنوات نتيجة نوبة قلبية بعد سنوات من الإدمان على الكحول. كان في الثالثة والأربعين. دُفن فريدي في كوينز داخل مدفن للعائلة في مقبرة لوثرية.[6] وصف دونالد وفاة شقيقه بأنها "أصعب المحن التي عانيتها في حياتي"،[7] وقال إنه تعلم من إخفاق أخيه "أن يظل متيقظاً مئة بالمئة".[8] بعد شهرين من وفاة أخيه، قال ترامب: "الإنسان هو أكثر الحيوانات ميلاً إلى الشر، والحياة هي سلسلة من المعارك تنتهي

1 Hurt, "*Lost Tycoon: The Many Lives of Donald J. Trump*" (New York: W. W. Norton, 1993), 126.

2 Horowitz, "For Donald Trump, Lessons."

3 Marie Brenner, "After the Gold Rush," *Vanity Fair*, September 1990.

4 State of New Jersey. Department of Law and Public Safety, Division of Gaming Enforcement, Report to the Casino Control Commission, October 16, 1981, PDF24.

5 Horowitz, "For Donald Trump, Lessons."

6 FindaGrave.com burial records, http://www.findagrave.com/cgi-bin/fg.cgi?page=gr&GRid=105719907.

7 O'Brien, *TrumpNation*, 189.

8 Barrett, *Trump*, 4.

إما بالنصر وإما بالهزيمة، ولا يمكنك السماح للناس باستغلالك".[١]

نجح مشروع برج ترامب نجاحاً باهراً، فقد بيعت شققه، البالغ عددها ٢٢٦ (بدأ بيعها في أواخر ١٩٨٢) بسعر يبدأ بخمسمئة ألف دولار للشقة ذات غرفة النوم الواحدة، وذلك بمبلغ مجموعه ٢٧٧ مليون دولار،[٢] وكان مبلغاً كافياً لتسديد ما تبقى من حسابات المبنى حتى قبل أن ينتقل أول مستأجر إليه. كان الأشخاص الراغبون في الشراء يقابلون سنشاين وترامب اللذين يصحبانهم أحياناً في جولة داخل المبنى.[٣] كانت الكتيّبات المعدّة للترويج تتحدث بفخر عن مدخل سري من الشارع السادس والخمسين، وتصفه بأنه "غير متاح أبداً للعامة".[٤] شرح ترامب الإستراتيجية التي يتبعها لكسب مشترين للشقق: "أنت هنا تبيعهم وهماً جميلاً".[٥] بيع عدد من الوحدات السكنية على شكل شقق مُدمجة أو كمقر إقامة مؤقت للأثرياء الأجانب.[٦] كان من دواعي سرور ترامب، بعد كل ما فعله من ترويج، أن العديد من الشخصيات الشهيرة اشترت شققاً في البرج، بمن فيهم: ستيفن سبيلبيرغ Steven Spielberg، ومايكل جاكسون Michael Jackson وجوني كارسون Johny Carson، والأخير اتهم اثنين من عمال البناء بسرقة معطفه الصوفي الثمين المصنوع من وبر حيوان Vicuna. بعدما طرد ترامب الرجلين، عثر كارسون على معطفه داخل خزانته.[٧] نشر ترامب إشاعة مفادها أن العائلة المالكة البريطانية -الأمير تشارلز ولي العهد[٨] وزوجته الأميرة ديانا- كانا يفكران في شراء شقة تحوي إحدى وعشرين غرفة بمبلغ خمسة ملايين دولار، أي طابق كامل من برج ترامب، لكن الزوجين لم يأتيا إطلاقاً.[٩] لم يعترف ترامب أنه اختلق الإشاعة التي نسبتها صحيفة **نيويورك تايمز** إلى "مسؤول في مجال العقارات"، لكنه

1 Wohlfert-Wihlborg, "In the Manhattan Real Estate Game."

2 Wohlfert-Wihlborg, "In the Manhattan Real Estate Game."

٣ مقابلة مع ريس.

4 D'Antonio, *Never Enough*, 138.

5 "Sell Them a Fantasy; Says Donald Trump. And Every Day, He Does," *New York Times*, April 8, 1984.

6 Res, *All Alone on the 68th Floor*, 164.

7 D'Antonio, *Never Enough*, 140.

8 Albin Krebs and Robert McG. Thomas Jr., "Notes on People," *New York Times*, August 4, 1981.

9 Mandell, "Raising Trump's Tower."

قال إن الإشاعة "لم تضرّنا على الإطلاق".[1]

ولتعزيز صورة البرج، سعى ترامب إلى جلب أشهر الماركات العالمية الفاخرة إلى ممرات التسوق الموجودة في البرج. كان أول المستأجرين من متاجر البيع بالتجزئة، وعددهم ثمانٍ وأربعون مستأجراً، يضمون شركات من مستوى Mondi (للثياب)، و Botticellino (للأزياء الراقية)، وCharles Jourdan (للأحذية)، وBuccellati (صائغ إيطالي)، وLudwig Beck (مركز تسوق ألماني)، وHarry Winston (مجوهرات)، و Asprey (صائغ في لندن). دفع بعض هؤلاء إيجارات بلغت مليون دولار في العام.[2] خلال السنوات القليلة الأولى، ترك بعض من استأجروا في البداية متاجرهم بعد بذل محاولات مضنية لتحقيق أرباح من السائحين الأميركيين المنتمين إلى الطبقة الوسطى.[3] مع ارتفاع برج ترامب إلى عنان السماء، حلّقت أسطورة ترامب. في ١٩٨٢، وجد ترامب لنفسه مكاناً في قائمة مجلة **فوربس** *Forbes* الأولى لأغنى أربعمئة رجل في أميركا؛ قدرت المجلة ثروته بمئة مليون دولار. ورغم أن الصفقات التي يعقدها ترامب بدأت تتوسع، ظل دخله متواضعاً، فقد قال محققون من نيوجيرسي، كانوا يحاولون تقدير ثروته لإعطائه رخصة كازينو، إن ترامب نفّذ عام ١٩٨٢ أعمالاً لوالده بقيمة ١٠٠ ألف دولار، وحصل على عمولة بقيمة مليون دولار من غراند حياة، ومدخرات بقيمة ٦٠٠٠ دولار، وحدّ اعتماد بقيمة ٣٥ مليون دولار في تشيزمانهاتن، تم تأمينه بمساعدة والده.[4]

حصل البرج، الذي قابله بعض الأشخاص ذوي الميول التقليدية بالازدراء بوصفه عرْضاً مبهرجاً لمبالغات شخص حديث النعمة، على عبارات إطراء من الناقد المعماري في صحيفة **نيويورك تايمز**، بول غولدبيرغر Paul Goldberger، الذي اعترف بأنه كان يتوقع أن يكون البرج "سخيفاً وينم عن التباهي والسوقية إلى حد ليس بالقليل". بدلاً من ذلك، وجد الناقد أن الردهة توحي "بالدفء والفخامة بل حتى بالبهجة... أجمل فضاء عام داخلي أُنجز في نيويورك منذ سنوات".[5] في الأيام الأولى من افتتاح البرج،

1 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 183–84.

2 Marilyn Bender, "The Empire and Ego of Donald Trump," *New York Times*, August 7, 1983.

3 D'Antonio, *Never Enough*, 146.

4 Barrett, *Deals and the Downfall*, 299.

5 Paul Goldberger, "Architecture: Atrium of Trump Tower Is a Pleasant Surprise," *New York*

اعتاد الأشخاص المشردون الجلوس على المقعد الرخامي الطويل الموجود في الردهة للاستماع إلى الموسيقى؛ أرسل ترامب حراساً أمنيين إلى المكان وأوعز إلى المسؤولين عن النباتات التزيينية بوضع أصص مزروعة تغطي المقعد الرخامي. تقول ريس وهي تستعيد الحادثة: "كان الأمر أشبه بمهزلة. كل هذا الزجاج والرخام في برج يعبّر عن أقصى درجات الثراء، وعازف ماهر يعزف ألحاناً جميلة على بيانو بقيمة خمسين ألف دولار، وأفقر سكان المدينة يجلسون بأكياسهم الورقية لا لشيء سوى لتمضية الوقت".[1]

غرس البرج ترامب واسمه وشهرته في سماء مانهاتن، تماماً مثلما كان يحلم وهو طفل ينظر عبر الجسر من كوينز. انتقل إلى مكتب بلون عسلي في الطابق السادس والعشرين، حيث مارس عمله لعشرات السنوات التالية. كانت طاولة المكتب المصنوعة من خشب الماهوغني[٢] وفق مواصفات وضعها تتكدس فوقها أكوام المجلات التي تنشر صوره، والجدران مزدحمة بالجوائز وبالهدايا، وكلها مؤطرة بمشهد خلاب لمبنى البلازا وحديقة سنترال بارك،[٣] كما انتقلت إيفانا إلى مكتب مجاور، على الأقل لبعض الوقت[٤] (أثناء مرحلة التصميم، طلب ترامب من المهندس المعماري وضع مخطط لشقة ثانية خاصة به، لاستخدامها في حال انهيار الزواج).[٥] في آذار/مارس ١٩٨٤، انتقل آل ترامب -دونالد وإيفانا وأطفالهما الثلاثة- إلى الشقة المؤلفة من ثلاثة طوابق. كانت الشقة ذات الغرف الثلاث والخمسين بطلائها الذهبي تزهو بغرفة جلوس بارتفاع تسعة وعشرين قدماً، وبجناح خاص للخدم، وأسقف ذات لوحات تزيينية تعود إلى عصر النهضة تُظهر ملائكة بصورة أطفال، وثريات من الكريستال، ونافورة من طراز Romanesque يكون التحكم بها عن بعد من حجر الجزْع الأزرق[٦] المستخرج من "أعماق إفريقيا السوداء"،[٧] ومصعد خاص بها.[٨] كان لكل من الزوجين حمام خاص به. كان حمام

Times, April 4, 1983.

1 Res, *All Alone on the 68th Floor*, 161.

٢ مقابلة مع ريس.

3 "Donald Trump's Tour of His Manhattan Office," *Wall Street Journal*, September 13, 2015.

4 "Sell Them a Fantasy."

5 Barrett, *Trump*, 5.

6 O'Brien, *Trump Nation*, 71.

٧ المصدر نفسه، ص ٢٣١.

8 Carter, "Donald Trump Gets What He Wants."

دونالد من الرخام البني الغامق. أما حمام إيفانا، فكان من الجزْع الوردي نصف الشفاف. احتفظ دونالد بشقة أسفل شقته مباشرة تضم مدفأة جدارية رخامية مستوردة، مخصصة لوالديه، لكن الوالدين كانا يقيمان في كوينز معظم الوقت.[١]

ما من شك في أن فندق غراند حياة جعل ترامب مشهوراً في نيويورك، لكن برج ترامب جعله مشهوراً في كل مكان. نشرت مجلة GQ تقديرات لقياس يديه ("صغيرتان بأظفار مشذبة بأناقة")، وقامته ("حسنة الهيئة وتنم عن جودة التغذية")، ومواهبه ("أعرف ماذا يريد الناس").[٢] ذكر روبين ليتش Robin Leach، في برنامجه التلفزيوني الفائق النجاح، Lifestyles of the Rich and the Famous، أن قيمة منزل ترامب في غرينويتش، في ولاية كونيكتكت، كانت عشرة ملايين دولار، وهذا ثلاثة أضعاف المبلغ الذي دفعه لشرائه.[٣] قال دونالد أمام عدسات آلات التصوير: "أنا أؤمن بإنفاق[٤] مبالغ تفوق ما يعتقد الآخرون أنها مبالغ معقولة".

أخيراً، صارت المصارف راغبة في إقراضه بما يكفي لتلبية مطالبه. في ١٩٨٥، اشترى منزلاً على شاطئ Palm Beach يحوي ١١٨ غرفة، يدعى Mar–a–Lago، بقرض بقيمة ٨,٥ مليون دولار.[٥] يقول جون بيرنشتاين John bernstein، وهو الشريك السابق في Dreyer & Traub، التي كانت الشركة القانونية الرئيسية الخاصة بترامب في الثمانينيات، "كان كل المقرضين من الساعين دوماً إلى معاشرة المشاهير،[٦] وكل ما كانوا يريدونه هو الارتباط بترامب بأي وسيلة ممكنة".

***

في العام نفسه، عاد ترامب إلى واحدة من العقارات الأولى التي أُغرم بها في مانهاتن،

١ مقابلة مع ريس.

2 Carter, "Donald Trump Gets What He Wants."

3 "Sell Them a Fantasy."

4 O'Brien, *TrumpNation*, 196.

5 Christopher Boyd, "Sweet Deal: $2,811 Cash Gave Trump $10 Million Mar-A-Lago," *Miami Herald*, November 9, 1988.

٦ مقابلة مع درو هارويل، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

وهي أرض شركة السكك الحديدية Penn Central الفسيحة في الجانب الغربي الأعلى من مانهاتن.[1] اشترى الأرض من متعهد آخر بمبلغ ١١٥ مليون دولار وأعلن نيته إنشاء أعلى مبنى في العالم:[2] برج بارتفاع مئة وخمسين طابقاً يشرف على نهر هدسون، إضافة إلى ستة أبراج بعلو ستة وسبعين طابقاً، ويضم ثمانية آلاف شقة ومجمّع تسوق ومكاناً مخصصاً لوقوف السيارات يتسع لثمانية آلاف وخمسمئة سيارة، وحدائق بمساحة أربعين فداناً، ومقراً لشركة الإذاعة الوطنية، التي كان ترامب يأمل في انتزاعها بالإغراء من مركز روكفلر.[3] كانت "Television City"، كما ورد في البيان الصحافي الصادر عنه "أعظم مخططات سيد البنائين، حتى الآن".[4]

مع هذا، لم يعبأ الجيران بكل ذلك، بل توعدوا بشن حرب شعواء.[5] أطلقت صحيفة **نيويورك تايمز** على اقتراح ترامب اسم "عرض من أجل الخلود".[6] كان المعارضون لفكرته يصطفون في طوابير[7] لإعاقة مسيره، وشكلوا جمعية لاربحية اسمها Westpride نظمت برنامجاً لجمع التبرعات انضم إليه بعض المشاهير، مثل: مذيع التلفزيون بيل مويرز Bill Moyers، والناشطة في الحركة النسوية بيتي فريدان Betty Friedan، وكاتب سيرة ليندون جونسون، روبرت كارو Robert Caro. بعد عام من الصراع، غيّر ترامب المهندسين المعماريين وقلّص مخططه، ثم اشتبك مع المحافظ كوش في معركة كلامية نعت فيها الأخير بـ"الأبله" وبـ"الكارثة" على نيويورك. صرح كوش: "إذا كان ترامب يصرخ مثل خنزير جريح، فلا بد أن ما أفعله هو الصواب"، مضيفاً: "خنزير شره، شره، شره".[8]

في نهاية المطاف، وتحت الضغوط المالية، تخلى ترامب عن مخططه الطموح وهو إنشاء أعلى مبنى في العالم، وتبنى المخطط البديل الذي قدمه مناوئوه، والذي يقلّ

1 Timothy L. O'Brien, "How Trump Bungled the Deal of a Lifetime," *Bloomberg View*, January 27, 2016.

2 "Trump Planning 66th St. Tower, Tallest in World," *New York Times*, November 19, 1985.

٣ المصدر نفسه.

٤ المصدر نفسه.

5 "West Siders Voice Concern on Plan," *New York Times*, November 19, 1985.

6 "The Next Trump Tower and Its Shadow," *New York Times*, November 21, 1985.

7 Celebrities Open Wallets to Fight Trump's Project," *New York Times*, September 30, 1987.

8 Margot Horn blower, "In the Shadow of the Boom; Recovery Strains New York City's Physical and Social Fabric," *Washington Post*, August 24, 1987.

زخماً[1] عن مخططه الأصلي بما يعادل النصف تقريباً. امتدح ترامب المخطط الجديد في لقاء جمعه مع روبرتا غراتز Roberta Gratz، وهي إحدى المناوئات البارزات، قائلاً: "شيء رائع يثير الإعجاب![2] كان المهندسون المعماريون العاملون لدي يهدرون وقتي لسنوات". أجابت غراتز، المصعوقة لسماع تنازل كهذا: "دونالد، أود أن أسمعك يوماً ما تصرّح بذلك علناً". عدّل ترامب جلسته في المقعد ولم يجب.[3]

في الثامن والعشرين من أيار/مايو ١٩٨٦، كتب ترامب رسالة إلى كوش يقول فيها: "عزيزي إد، راقبت لسنوات والدهشة تملأ نفسي لإخفاق مدينة نيويورك مرة بعد أخرى في الوفاء بوعودها باستكمال وبافتتاح حلبة التزلج Wollman Skating Rink". كان ترامب، لسنوات، يرقب من نافذة مكتبه حلقة التزلج المغلقة، وقد روّعه عجزُ المدينة عن استكمال هذا المرفق العام. صار الآن جاهزاً لفعل ما عجز عنه مجلس المدينة، ولفضح المحافظ في الوقت نفسه. وعد ترامب كوش أن بناء الحلبة "الذي يتضمن أساساً صب بلاطة خرسانية لن يستغرق أكثر من أربعة أشهر".

عَرَض ترامب أن يدفع تكاليف الأعمال الإنشائية ويدير الحلبة بنفسه. أجاب كوش في اليوم نفسه بأنه سيكون "مسروراً" في حال تكفّل ترامب أعمال التصليح، لكنه رفض فكرة إدارته الحلبة، وحاول ثني ترامب عن السعي إلى إطلاق اسمه على الحلبة بالقول: "تذكر، يقول الكتاب المقدس إن من يقدمون الإحسان سراً، أو إن لم يكن سراً، دون المطالبة بذكْر أسمائهم، يحظون بنعمة مزدوجة".[4]

سرعان ما حوّل ترامب مشروع Wollman إلى منجم ذهبي للدعاية المجانية، فقد عقد ستة مؤتمرات صحافية في وقت كان يسير فيه الكشف عن الأعمال، الأمر الذي أزعج المسؤولين. جاء المفوض المكلف شؤون الحدائق، هنري ستيرن Henry Stern، لحضور أول مؤتمر، فوجد لافتة كُتب عليها: المالك: .Trump ICE INC، فأمر موظفيه بإزالة اللافتة. اقترح ستيرن غرس شجرة للاحتفاء بترامب بدلاً من تسمية الحلبة باسمه. اختار العمال شجرة صنوبر يابانية بطول عشرة أقدام، وأطلقوا عليها اسم شجرة

١ مقابلة مع روبنسون ٢٠١٥.

٢ المصدر السابق.

٣ مقابلة مع روبرتا غراس، ٢٠١٦.

4 Joyce Purnick, "Trump Offers to Rebuild Skating Rink," *New York Times*, May 31, 1986.

ترامب. صادف وصول المتعهد إلى الحلبة أثناء تحضير العمال لغرس الشجرة. صرخ وهو يتميز غيظاً: "أخبروا إد كوش وهنري ستيرن أن بإمكانهما إقحام الشجرة في مؤخرتيهما". بعد ثلاثين عاماً، وأثناء حملة ترامب الانتخابية الرئاسية، كانت الشجرة الباسقة، التي يبلغ ارتفاعها أربعين قدماً، تقف بشموخ خارج الحلبة.[١]

تمكن ترامب، المتحرر من الأنظمة البيروقراطية التي أعاقت جهود مجلس المدينة في إعادة بناء الحلبة، من إنجاز العمل قبل شهرين من الموعد المحدد وبكلفة أقل من المتوقع، وهكذا ربح معركة العلاقات العامة ضد المحافظ، وكسب قلوب العديد من سكان نيويورك.

استغل ترامب تلك المشاعر الودية لإطلاق موجة جديدة من الشهرة، مقدِّماً نفسه بصورة صانع الصفقات البارع الذي يتمتع بذوق مليارديرٍ يحب الظهور، وبولع رجل شعبي بالأحاديث العادية البسيطة. عندما لاحظ القطب الإعلامي سي نيوهاوس Si Newhouse أن مبيعات مجلته GQ ارتفعت عندما ظهرت صورة ترامب على الغلاف،[٢] عرض على الأخير فكرة وضع كتاب لدار النشر التي يملكها، وهي Random House. لخّص المؤلِّفُ الذي وضع الكتاب، بعنوان *Trump: The Art of the Deal*، وهو توني شوارتز Tony Schwartz، احتفاءَ ترامب بنفسه وبالتميز وبالطموح للأعمال الموسَّعة، ضمن كتاب سهل مليء بالوصفات. استعرض الكتابُ، الذي هو مرجع في مجال الأعمال، مشاعرَ السرور التي تبعثها في النفس التخفيضات الضريبية، وقوة القصة المثيرة وأهمية اللعب على وتر أحلام الزبائن. هاجم الكتابُ النقادَ (كانت إدارة كوش "فاسدة منحرفة ولا تتمتع بأي كفاءة") ورفع منزلة ترامب ("الصفقات هي الجانب الفني الذي أتميز به. أحب عقد الصفقات، وأفضل أن تكون صفقات كبيرة"). وفي إعادة لمبدأ "التفكير الإيجابي"، الذي وضعه القس نورمان فنسنت بيل، قدم ترامب وصفة للنجاح مؤلَّفة من إحدى عشرة خطوة. في الخطوة الأولى ("لتكن لديك أفكار عظيمة")، قال ترامب: أظهرَ "العديد من رجال الأعمال المبادرين الناجحين" مستوى من التركيز، أطلق هو عليه اسم "عُصاب منضبط".

١ مقابلة مع هنري ستيرن، ٢٠١٦.

2 Thomas Maier, *Newhouse: All the Glitter, Power, and Glory of America's Richest Media Empire and the Secretive Man Behind It* (New York: St. Martin's Press, 1994), 192.

هاجم النقادُ الكتابَ بوصفه سطحياً ذا أسلوب طنان يتسم بالغرور ويهدف ترامب به إلى ترويج نفسه. قال ناقد صحيفة **واشنطن بوست**: "لا يقل افتقار هذا الرجل إلى الذوق عن افتقاره إلى الحياء"،[1] لكن وصل الكتاب خلال الأسابيع القليلة الأولى من صدوره إلى أعلى قوائم الكتب الأفضل بيعاً، فقد بيع منه أكثر من مليون نسخة ذات غلاف كرتوني،[2] وكان الفضل في ذلك يعود جزئياً إلى حملة الدعاية المركّزة[3] التي نظمها ترامب والتي بدت أشبه بحملة انتخابية رئاسية. لقد نشر إعلانات تشغل صفحات كاملة من الصحف تدعو إلى سياسة خارجية أميركية أكثر تشدداً، وألقى خطاباً في نيوهامبشاير في ذروة الموسم الأول، ووزع ملصقات للسيارات كتب عليها I ♥ Donald Trump. مع ذلك، لم تكن الحملة تتعلق بالترشح لمنصب، بل كانت تتعلق بتسويق كتب وبتسويق نفسه. قال بيتر أوسنوس Peter Osnos الذي حرر الكتاب لمصلحة دار Random House: "كان الكتاب بكامله يتمحور حول إظهار ترامب لنفسه. لدى ترامب دافع يحرضه على أن يصير شخصية مهمة معروفة من الجميع. في النتيجة، هو يسعى إلى تنمية شهرته،لكن أسلوب حياته يفتقر إلى السحر على نحو يثير الدهشة. ترامب يبدو منضبطاً من بعض الأوجه، فهو لا يدخن ولا يشرب الكحول ويشغل منصباً مسؤولاً. لم يكن نجماً اجتماعياً على الإطلاق. هو، أساساً، يستمتع بالصعود إلى منزله ومشاهدة التلفزيون. كان مجال اهتماماته يتمحور حول الشهرة وعمله: إنشاء المباني والعقارات، والمقامرة، والمصارعة، والملاكمة".

مع توسّع إمبراطورية ترامب، بدأ بعض الناس المقربين منه يلاحظون أن تغيراً طرأ عليه، فقد غدا أكثر تحفظاً، ونكداً أحياناً، وسريع الانفعال أحياناً أخرى. في أيام العمل في غراند حياة، ازدهرت شركة ترامب، بكل تبجحاتها، بمكتب صغير وبطاقم عمل قليل العدد: سنشاين، وهارفي فريمان محامي ترامب ومستشاره، وفريق صغير من وكلاء التراخيص والمحامين والسكرتيرات. غرس غرورُ ترامب روحاً قبلية قوية في نفوس العاملين معه. كان دائماً يردد أن عماله هم أفضل عمال.[4] ورغم أنه عُرِفَ

1 Jonathan Yardley, "Trump, the Artless Hustler," *Washington Post*, December 2, 1987.

٢ مقابلة مع أوسنوس، ٢٠١٦.

3 Gwenda Blair, *Donald Trump: The Candidate* (New York: Simon &Schuster, 2007), xiii.

٤ مقابلة مع ريس.

عنه لاحقاً ترديده عبارة: "أنت مطرود"، فإنه عادة ما كان يشعر بالانزعاج من فكرة صرف أحد العاملين عنده. وإذا اضطر إلى ذلك، كان يوكل المهمة إلى أحد مرؤوسيه. تقول ريس: "كنا دائماً نشعر أنك في حال كنت مقرباً من ترامب إلى حدّ أن يصير هو الشخص الذي يستطيع صرفك من العمل، سوف تحتفظ بعملك طوال حياتك".[١]

في مطلع الثمانينيات، كانت ريس تتمشى مع دونالد على أرصفة الشوارع للذهاب إلى الاجتماعات، ويتجاذبان الأحاديث حول الأبنية والصفقات. مع حلول نهاية العقد، وعندما كان ترامب يرغب في تناول الغداء مع مديريه التنفيذيين، كان يحيط نفسه بثلاثة حراس أمنيين.[٢] كان جو المكتب تنافسياً على الدوام، لكن الباب المفضي إلى ملاذه الداخلي كان مفتوحاً على الدوام،[٣] حتى عندما كان يجري مكالمات هاتفية يستخدم فيها اسمه المستعار جون بارون. رغم ذلك، وبعد تحقيق نجاحات كبيرة، بدأ المزاج المحيط به يتغير. أحاط نفسه، كما تقول ريس، بمجموعة من المتملقين المتذللين الذين كانوا يهللون لكل خطوة يفعلها، بدلاً من تحليل المنطق الكائن في هذه الخطوة. تضيف ريس: "لم يعد ذاك الشخص الذي يمكنك الجلوس معه وتبادل حديث ودي عادي.[٤] صار يكره أن يناقشه أحد. صار نجماً كبيراً جداً". صار يشرب المياه الغازية قليلة السعرات الحرارية عبر الأنبوبة الورقية،[٥] وعندما تحضرها إليه مساعدته التنفيذية فقط،[٦] نورما فويرديرر Norma Foerderer، فقد كان يخشى التقاط الجراثيم من الآخرين. صار المديرون التنفيذيون يطلقون على نورما اسم "الباروميتر". إذا كان ترامب في مكتبه وكان في مزاج حاضر للقتال، كانت نورما توقف الزوار بقولها: "لا تدخلوا هناك".[٧]

بدا كأن طلبات ترامب أخذت بالتحول إلى أوامر متسارعة لا ترحم. صباح ذات يوم، وكانت الساعة تقارب الثانية، وبينما كان ترامب يعبر Trump Parc في سيارته الفارهة،

---

1 Res, *All Alone on the 68th Floor*, 181.

2 Steve Bollenbach interview with Bob Woodward, 2016.

٣ مقابلة مع ريس.

٤ المصدر نفسه.

5 Barrett, *Trump*, 3.

٦ مقابلة مع ريس.

٧ مقابلة مع ريس.

لمح علبة مياه غازية فارغة ملقاة على الرصيف قرب المدخل. اتصل بالسيدة التي أشرفت على تطوير المشروع، بلانش سبراغ Blanche Sprague، وقال لها: "اتصلي بي عندما تُزال العلبة". اتصلت بأحد المشرفين ليعالج المشكلة، ثم اتصلت بترامب لتخبره بما حدث. تقول بلانش: "ثم نمت حتى السادسة عندما اتصل ترامب بشأن أمر آخر".[١] مع تنامي أعماله وتزايد تعقيداتها، غدا حاد الطبع،فبعدما قيل له ذات يوم أن المشروع لن ينتهي قبل الموعد المحدد، رفس كرسياً بقدمه عبر غرفة الاجتماعات. يقول سكوت، وهو المهندس المعماري: "ينبغي له دائماً أن يسيّر الأمور على هواه".[٢]

بدأ بعض المديرين التنفيذيين المقربين منه يتركون العمل لديه: مستشاره الرئيسي في نيويورك، والمدير المسؤول عن المبيعات، والمستشار المالي، وحتى ريس المهندسة[٣] التي رفعت اسمه إلى عنان السماء والمرأة التي أطلق عليها اسم "ترامب بصورة امرأة"، لكن كل ذلك تم خلف الكواليس. أما في الحياة العامة، فصار ترامب ما أراده لنفسه: نجماً. وصفته مجلة *Playgirl* بأنه أكثر الرجال جاذبية جنسية في أميركا، وفي آذار/مارس ١٩٩٠، ظهرت صورته على صفحة مجلة *Playboy* وهو يلمس برقة فتاة غلاف تنظر إليه بوَلَه. لم تُبدِ زوجة ترامب اعتراضها على صورة الغلاف، على الأقل في العلن، لكن بعض النساء العاملات في مكاتب ترامب شعرن بالفزع. قالت ريس: "أعتقد أن ذلك كان بداية نهايته كرجل أعمال جدي، تحوّل إلى صورة كاريكاتورية"،[٤] لكن ترامب، الذي لم يبالِ، استساغ ذيوع شهرته. قال: "العرض[٥] هو ترامب، والعروض من هذا النوع تلاقي إقبالاً شديداً".

---

1 *Savvy Woman* magazine, November 1989.

2 Otto Friedrich, "Flashy Symbol of an Acquisitive Age: Donald Trump," *Time*, January 16, 1989.

3 D'Antonio, *Never Enough*, 199.

٤ مقابلة مع ريس.

5 Singer, "Trump Solo."

الفصل السادس

أروع علاقة جنسية حظيت بها

كان العرض قد بدأ في مستهل حياة ترامب المهنية، عندما كان يني، بالإضافة إلى المنشآت، صورتَه كصانع صفقات من الطراز الأول. عام ١٩٧٨، قرر صحافي استقصائي شاب سبر الحقائق الكامنة خلف صورة ترامب. لم يخبر واين باريت Wayne Barret أحداً بمقصده. في النتيجة، عندما رن جرس الهاتف في غرفة الاجتماعات داخل إحدى الوكالات الحكومية المغمورة، حيث كان يتفحص الوثائق بإمعان، تجاهل الرنين. كان حجم العمل الذي يتعين عليه تنفيذه كبيراً، فقد كانت الصناديق والأضابير تحوي آلاف الصفحات من السجلات المكدسة أمامه على الطاولة. كان باريت يشك في أن أكوام الأوراق[1] تضم وثائق تشرح كيف قُيِّض لمتعهد شاب متهور آتٍ من كوينز أن يتبوأ مكانة خاصة تتيح له الاطلاع على معلومات تجعله في موقع متميز في سلسلة من الصفقات العقارية المهمة في مانهاتن. قبل بضعة أسابيع، كان الصحافي المخضرم في صحيفة **فيلدج فويس** *Village Voice*، جان نيوفيلد Jack Newfield، قد كلّف الصحافي المبتدئ، البالغ ثلاثة وثلاثين عاماً، مهمة هي: كان ترامب يحظى بتغطية إعلامية متملقة تبرزه بصورةِ رجل عصامي ناجح يحمل رؤية عمرانية، لكن نيوفيلد، الذي قضى سنوات يغطي فيها نشاط ماكينة الحزب الديموقراطي في بروكلين، لم يكن يرى في ترامب رجل أعمال يخطو إلى مجازفات،

[1] مقابلة واين باريت مع روبرت أوهارو وويل هوبسون، **واشنطن بوست**، آذار/مارس، ٢٠١٦.

بل طفلاً يتمتع بامتيازات ويتلاعب بمعارف والده من السياسيين في مدينة موبوءة بالفساد.[١]

كان باريت يعرف أن وكالة حكومية خاملة الذكر، تدعى Urban Development Corporation، لعبت دوراً محورياً في الصفقة التي أبرمها ترامب لشراء فندق كومودور المتداعي وتحويله إلى فندق غراند حياة الباذخ. طلب باريت رؤية كل السجلات المتعلقة بتلك الصفقة. وعندما وصل إلى مكتب الوكالة الكئيب وسط مانهاتن، سار به أحد الموظفين إلى غرفة الاجتماعات ونحو طوفان الأوراق المرعب. رنّ جرس الهاتف ثانية. في هذه المرة، أطلت إحدى موظفات الوكالة برأسها من الباب وأخبرته أن المكالمة له. وفق معلومات باريت، كان موظفو الوكالة هم الأشخاص الوحيدون الذي يعلمون بوجوده في تلك الغرفة. رفع سماعة الهاتف وهو يشعر بالحيرة. حيّاه شخص يتكلم بلكنة منطقة كوينز المتميزة، قال له: "واين! أنا دونالد[٢]. سمعت أنك تعدّ لكتابة قصة عني".

يستعيد باريت الحادثة قائلاً: "كان يتحدث كأننا أصدقاء قدامى. لم نكن قد تبادلنا الحديث قبل ذلك"[٣]. كان باريت، وهو من أوائل الصحافيين الذين تعمقوا في بحث صفقات ترامب، على وشك أن يصير أول من يختبر إستراتيجية إعلامية، كانت لا تزال في بداياتها، قُدِّر لها أن تشيع في أوساط الصحافيين في كل نواحي نيويورك، ثم في كل البلاد. خلال تدقيق باريت في أعمال ترامب، خلال الأشهر القليلة التي تلت، لجأ ترامب إلى التعامل معه بأسلوب العصا والجزرة[٤]، أي بذل محاولات للتقرب من الصحافي، يتلوها مباشرة توجيه تهديدات مبطنة.

أولاً، الجزرة. كان باريت يعيش في براونزفيل، أحد أفقر أحياء بروكلين. قال له ترامب: "بإمكاني منحك شقة. لا بد أن الحي الذي تعيش فيه هو حي تصعب الحياة فيه". أجاب باريت بأنه اختار العيش في براونزفيل وبأنه يعمل في مجال تنظيم حياة الجماعات القاطنة هناك. قال ترامب: "إذاً، نحن نفعل العمل نفسه! نحن نعيد بناء

١ المصدر السابق.

2 Barrett, "Like Father, Like Son."

٣ مقابلة مع باريت.

4 Barrett, "Like Father, Like Son."

أحياء... لا بد أن نتعارف"، ثم تأتي العصا. قال ترامب لباريت في مناسبة أخرى: "لقد دمّرتُ أحد الكتّاب. صرنا، أنا وأنت، أصدقاء، ولكن إذا أضَرَّت قصتك بسمعتي، عليك أن تعلم أنني سأقاضيك".[١]

وبينما كان المتعهدون الآخرون يرفضون أحياناً إجراء مقابلات، أو يصدرون بيانات صحافية معدة بعناية من مديري الدعاية لديهم، كان ترامب متوافراً على الدوام، تقريباً، للحديث بضع دقائق أو بضع ساعات. دامت إحدى مقابلات باريت مع ترامب، في شقته في الجادة الخامسة، ثلاث ساعات، وانتهت لأن إيفانا قاطعت الجلسة فقط، قائلة إنها تود الذهاب إلى الأوبرا.[٢] ورغم أنه بدا واضحاً أن القصة التي يكتبها باريت لن تكون في مصلحة ترامب، فإن أسلوب الأخير لم يتغير كثيراً. في مقابلتهما الأخيرة، قرأ عليه ترامب بياناً معداً سلفاً: "أنا أقدر سمعتي فعلاً ولا أتردد في المقاضاة. وقد سبق لي أن قاضيت شخصين بتهمة القذف. وكان روي كوهين هو المحامي الذي مثّلني في كلتا الحالتين. ربحتُ الدعوى الأولى وما زالت الثانية معلقة. لقد كلفني الأمر مئة ألف دولار، لكن الأمر يستحق ذلك".[٣] بعد العصا مباشرة، عادت الجزرة. أشرق وجه ترامب بابتسامة، وقال: "لكن الأمور ستنتهي على ما يرام. ولا بد أن نتوصل إلى اتفاق بعد نشر القصة".

مع ذلك، لم يتوصلا إلى اتفاق بعد القصة. فقد كانة مقالة باريت –التي نُشرت في جزأين عام ١٩٧٩– المقالة الأولى التي تكشف الدور البارز لكل من معارف فريد من رجال السياسة، والإسهامات المالية في الحملات الانتخابية، والخدمات المريبة قانونياً التي وفرها المسؤولون في الحكومة ومحاكم التفليس، الأمر الذي ساعد ترامب على النجاح السريع. كان رد فعل ترامب على القصة فاتراً مقارنة بالحروب الإعلامية التي كانت ستتطور في السنوات التي تلت. صار يرفض تلقي مكالمات باريت الهاتفية وينتقده أمام الصحافيين الآخرين.

لم تكن إستراتيجية العصا والجزرة، التي لجأ إليها ترامب، مفاجئة كلياً لباريت. فقد كان مستشار ترامب، روي كوهين، رجلاً يقدر قيمة الدعاية بغض النظر عن طابعها،

---

١ المصدر نفسه.

٢ مقابلة مع باريت.

3 Barrett, "Like Father, Like Son."

رغم مشاكسته مع الصحافيين. وكان غالباً ما يحيي باريت عندما يلتقيان مصادفة، وعادة في نادي ٢١، مع الإبقاء على حساب مستمر للضرر الذي تسبب به الصحافي.[١] فقد قال له كوهين في إحدى المناسبات: "لقد كتبتَ عني أربعاً وثلاثين قصة ولم تقل فيها كلمة واحدة طيبة بحقي. لا يمكنك أن تتخيل المبالغ التي جعلتَني أكسبها".

في الكتاب الذي وضعه ترامب بعنوان *Trump: The Art of the Deal*، أوضح فلسفته الإعلامية بكل صراحة، وهي نتاج تفكير ثلاثة رجال أثّروا فيه وفي البيئة الإعلامية الفريدة التي سادت نيويورك خلال سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، وهم: والده فريد، والمتعهد ويليام زاكيندورف William Zeckendorf، ومحاميه روي كوهين. كتب ترامب:

> أحد الأشياء التي تعلمتها حول الصحافة هو أن الصحافيين يتلهفون دوماً للحصول على قصة ناجحة، وكلما كانت القصة أكثر إثارة، كان ذلك أفضل... الفكرة هنا تكمن في أنك إذا كنت مختلفاً بعض الشيء، أو عنيفاً، أو إذا كنت تفعل أشياء جريئة أو مثيرة للجدل، فسوف تكتب عنك الصحف. كنت دائماً أتصرف على نحو مختلف قليلاً، ولا آبه بإثارة الجدل من حولي، كما أن الصفقات التي أبرمها، تبدو أقرب إلى الطموح...
>
> أحياناً، قد تكتب الصحف أشياء إيجابية عني، وأحياناً أخرى ربما تكتب أشياء سلبية، ولكن من وجهة نظر الأعمال الصرفة، فإن مزايا الكتابة عن شخص ما ترجح على العلل المتأتية عن ذلك. الأمر فعلاً بهذه البساطة؛ إذا وضعت إعلاناً على صفحة كاملة في صحيفة **نيويورك تايمز**، لإعلان مشروع، فسوف يكلّفني أربعين ألف دولار، والناس، على أي حال، لا يثقون كثيراً بالإعلانات، ولكن إذا كتبتْ صحيفة **نيويورك تايمز** عموداً واحداً حول إحدى صفقاتي، وبلغة إيجابية إلى حد ما، فلن يكلفني الأمر شيئاً، لكن فائدته تساوي أكثر من أربعين ألف دولار.
>
> المضحك في الأمر أن قصة تتضمن انتقادات، وقد تكون مؤذية على

١ مقابلة مع باريت.

الصعيد الشخصي، يمكن أن تفيدك في مجال الأعمال... المبدأ الرئيسي النهائي في الأسلوب الذي أروّج به، هو التظاهر بالشجاعة. أنا أعزف على وتر أحلام الناس. قد لا يكون لدى الناس دائماً طموح، لكنهم يشعرون بالإثارة إزاء الأشخاص الطموحين. ولهذا لا ضير في القليل من الغلو، فالناس يحبون أن يعتقدوا أن شيئاً ما هو الأكبر وهو الأعظم وهو الأكثر إثارة.

أنا أسمّي ذلك غلواً صادقاً. وهو شكل بريء من المبالغة... وشكل بالغ الفاعلية من الترويج.[1]

كان فريد ترامب يعرف قيمة الدعاية الناجحة. فعندما كان متعهداً شاباً، كان يرسل، بانتظام، بيانات صحافية للترويج لآخر مشاريعه، ويشير إلى نفسه أحياناً باسم "أكبر بنّاء في بروكلين"، لكن لمسة الإثارة التي أضافها دونالد، استلهمت أكثر، على الأرجح، من متعهد آخر. كان زاكيندورف يوظف[2] وكيلاً خاصاً لشؤون الصحافة لكي يُبقي اسمه على صفحات الصحف، وكان الوجه الأمثل لذلك يتمثل في نشر قصص تركز على أسلوب حياته الذي يتميز بالإسراف، أو إعلان خطط لأبنية غير مألوفة لم تتحقق إطلاقاً، مثل بناء مطار على أسطح المباني في مانهاتن. عندما بدأ دونالد يظهر على صفحات الصحف في أواخر السبعينيات، كان بعض الصحافيين يشيرون إليه باسم زاكيندورف الشاب. وكان ذلك يرضي غرور ترامب[3]، رغم أن شركة زاكيندورف انتهى بها الأمر إلى الإفلاس.

في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٦، تعرّف قراء **نيويورك تايمز** إلى متعهد بناء شاب لافت للنظر يشق طريقه عبر ثلاثة مشاريع ضخمة (رغم أن أياً منها لم يُنجز فعلياً). كانت القصة التي تحمل عنوان "دونالد ترامب، متعهد العقارات، يصنع صورته لدى شرائه الأبنية"، من أولى القصص التي قارنت بين ترامب وبين زاكيندورف. وكانت القصة، التي كتبتها جودي كليميسرود Judy Klemesrud[4]، وهي صحافية

1 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 56–58.

2 D'Antonio, *Never Enough*, 48–49.

3 Bender, "Empire and Ego of Donald Trump."

4 Klemesrud, "Donald Trump, Real Estate Promoter."

اجتماعية، تصف يوماً في حياة "متعهد العقارات الأول في نيويورك في منتصف السبعينات". أدرك عشرات الصحافيين، بعد كليميسرود، التحدي الجوهري الكامن خلف محاولة تغطية ترامب صحافياً. وكما وصفه باريت Barrett، أحد كتّاب سيرته: "وُلِد وهو يتمتع بامتيازات مبالغ فيها، امتيازات تفوق ما يمكن لنا أن نتخيله، أنا وأنتم". كشفت اللمحة الموجزة التي نُشرت عن ترامب في **نيويورك تايمز**، مدى سهولة التلاعب بوسائل الإعلام لتلميع صورته. ذكرت كليميسرود أنه كان الأول في صفه لدى تخرجه من Wharton، وهذا غير صحيح، كما ورد في اللمحة التي نشرتها صحيفة **تايمز** أن ترامب وصف نفسه بأنه "يخجل من الشهرة"، لكن موهبة ترامب في الترويج لنفسه هي التي روّعت العديد من المتعهدين البارزين في نيويورك. فقد كان أقطاب العقارات في مانهاتن -عائلات مثل رودين Rudin وتيشمان Tishman وفيشر Fisher وروز Rose- لا يعتبرون ظهور أسمائهم في الصحف أمراً ذا بال. في النتيجة، فوجئوا بترامب الذي كانوا يرون أنه أشبه بقارب للاستعراضات. قال عنه بول غولدبيرغر Paul Goldberger، الناقد المعماري في صحيفة **تايمز**، لقد "كان غريباً عن تلك المجموعة[1]، ولم يصر إطلاقاً شخصاً محورياً بالنسبة إليها. وأعتقد أنهم كانوا ينزعجون من تقديمه نفسه على أنه أهم وأكبر بنّاء في نيويورك".

كان كوهين أهم مُعلّم لترامب، في شؤون الإعلام والشؤون القانونية على حد سواء، وكان هو نفسه تلميذاً قديماً لصحافة نشر الإشاعات. عمل كوهين، عندما كان في الثالثة عشر من عمره، في تحرير عمود الإشاعات في صحيفة **برونكس هوم نيوز** *Bronx Home News*، وخلال سنوات مراهقته تعلم كوهين فن صحافة المدن الكبرى من ليونارد ليونز Leonard Lyons، وهو محرر عمود في صحيفة **نيويورك بوست**. عندما صار كوهين في العشرين، وكان آنذاك محامياً، ساعد في تجنيد محرر عمود الإشاعات الأسطورة والتر ونشل Walter Winchell لترويج حملة عضو مجلس الشيوخ جوزيف ماكارثي ضد المتعاطفين مع الشيوعية.[2] وعندما تعارف ترامب وكوهين، كان معارف كوهين في الوسط الإعلامي يضمون ناشرين من مستوى سي نيوهاوس Si

١ مقابلة مع بول غولدبيرغر أجراها ويل هوبسون، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

2 Nicholas Von Hoffman, *Citizen Cohn* (New York:Doubleday, 1988), 76.

Newhouse[1] ورجل آخر، وهو أسترالي أدى توسعه في أعماله، لتشمل السوق الإعلامية في نيويورك، إلى تغيير الثقافة الإعلامية في المدينة، وذلك في الوقت نفسه الذي كان فيه قطب شاب في مجال العقارات يسعى إلى الحصول على شهرة مجانية.

كانت هناك تقاليد راسخة تحكم تحرير أخبار الإشاعات في نيويورك، ولكن في نهاية السبعينيات بدا كأن تلك التقاليد قد انقرضت. كانت صحيفة **نيويورك ديلي ميرور** *New York Daily Mirror*[2] قد أُغلقت عام ١٩٦٣، ومع صمت الصوت الذي لا يرحم لتلك الصحيفة المتخصصة بالإشاعات، غدت صحيفتا **ديلي نيوز** *Daily News* و**نيويورك بوست** أقل ميلاً إلى المواد الماجنة. في تلك الأثناء، حضر روبرت مردوخ Rupert Murdoch إلى المدينة. عام ١٩٧٦، اشترى سيد الصحافة الأسترالية صحيفة **نيويورك بوست** التي كانت آنذاك صحيفة ليبرالية ذات توجّه فكري. استقدم مردوخ موظفين من مواقع مطبوعاته الأخرى لإضفاء روحية جديدة على الصحيفة. وسرعان ما صارت عناوين الصحيفة لافتة للنظر وتحمل وقعاً مدوياً، من نوع: "صبي يتجرع بنزيناً، وينفجر"، و"إطلاق سراح وحش جنسي يبلغ وزنه مئتين وخمسين كيلوغراماً"، و"إعدام جدة وهي ترتدي ثياب نومها الوردية".[3] خصص مردوخ صفحة كاملة للإشاعات –هي الصفحة السادسة[4]– مع التركيز على العلاقات العاطفية العابثة للمشاهير، وجولاتهم الليلية، وتصرفاتهم الشخصية الطائشة. قال محرر **نيويورك بوست** الجديد روجر وود Roger Wood: "الناس هم من يروّجون الصحيفة"[5]، خاصة الناس في مدينة نيويورك. انقضى الزمان الذي كان فيه محرِّرو أعمدة الإشاعات يجدون في نجوم هوليوود، الواقعة على بعد ثلاثة آلاف ميل، مادة لعملهم. صارت الصفحة السادسة تحتفي بأقطاب الإعلام في مانهاتن وبسماسرة النفوذ، وحتى بمتعهدي المشاريع العقارية.

كانت كوهين واحدة من أكثر المصادر صدقية بالنسبة إلى الصفحة السادسة، وكان

---

١ المصدر نفسه، ص ٤١٩.

2 Steven Cuozzo, *It's Alive: How America's Oldest Newspaper Cheated Death and Why It Matters* (New York: Times Books, 1996), 10.

٣ المصدر نفسه، ص ٤٩.

٤ المصدر نفسه، ص ٤٠.

٥ المصدر نفسه، ص ٥٢.

وود ومردوخ من أصدقائها. بدأت كلوديا كوهين Claudia Cohn[١]، وهي محررة قديمة للصفحة السادسة، الكتابة عن الحفلات التي كان يقيمها روي وتذكر أسماء القضاة الذين كانوا يرتادون تلك الحفلات. وكان من شأن ذلك إغضاب العديد من المحامين، ولكن ليس كوهين. قالت كلوديا كوهين: "أعجبه ذلك وبدأ يدعوني إلى تغطية كل الحفلات التي يقيمها. كان يحب رؤية اسمه في الصفحة لدرجة أنه تحول إلى مصدر لقصص رائعة. ومَن غير روي كوهين يمكنه معرفة أين يكمن المزيد من الأسرار والتفاصيل الخفية[٢] في نيويورك". كان لكوهين صديق شاب تتملكه رغبة قوية في رؤية اسمه على صفحات الصحف.

كانت المؤسسة الصحفية تسخر من صحيفة **نيويورك بوست** بعد التغيير الذي طرأ عليها، فقد أطلقت صحيفة *Columbia Journalism Review* عليها اسم "قوة الشر"[٣]، لكن أعداد صحيفة مردوخ كانت تنفذ بسرعة البرق، ولاحظت الصحف المنافسة ذلك. في مقر صحيفة **ديلي نيوز**، الكائن في الطرف الآخر من المدينة، تحوّلت ليز سميث Liz Smith، وهي محررة عمود إشاعات كانت سابقاً تركّز على هوليوود، إلى تغطية أخبار شخصيات نخبة نيويورك. تذكر سميث أنها كانت في أحد الأيام داخل سيارة في طريقها إلى بارك أفينيو مع صديقها باركر لاد Parker Ladd، تحدث باركر عن زوجين من ذوي النفوذ في المدينة: شاب من كبار رجالات الأعمال في مجال البناء وزوجته الشقراء الآتية من أوروبا الشرقية. كانت تلك هي المرة الأولى التي تسمع فيها سميث بهذين الاسمين اللذين سيرتبطان يوماً ما باسمها على نحو وثيق. سأل لاد سميث: "هل سبق لك أن قابلت إيفانا ودونالد ترامب؟".[٤]

كان الروتين الصباحي اليومي في حياة ترامب، لعشرات السنوات، يتضمن استعراضاً لكل ما كُتِب أو قيل عنه خلال الساعات الأربع والعشرين السابقة. وكانت نورما فويديرر -التي ظلت لعقدين المساعدة الرئيسية لترامب الحاضرة دوماً- هي

1 Frank Digiacamo, "The Gossip behind the Gossip", *Vanity Fair*, December 2004.

٢ المصدر نفسه.

3 Cuozzo, *It's Alive*, 73.

4 Liz Smith, "I Think I Invented the Trumps, Part I," *New York Social Diary*, August 24, 2015, http://www.newyorksocialdiary.com/guest-diary /2015/liz-smith-i-think-i-invented-the-trumps-part-i

عادة من يختار قصاصات الجرائد[1]، كما كانت تقدم إلى مديرها دفتر ملاحظات يحوي طلبات وسائل الإعلام، التي كان يتعامل مع معظمها بنفسه. ومع تنامي شهرة ترامب، تنامت أيضاً الأكداس اليومية من الأخبار المتعلقة به؛ مع ذلك ظل يحاول بدأب استعراض كل ما يُكتب أو يقال عنه. وغالباً ما كان يقدم الكتابات الإيجابية إلى الصحافيين الذين يزورونه لتكون نموذجاً للكيفية التي يجب أن يؤدوا بها عملهم بنجاح. ورغم كل الشهرة التي حققها، لم تكن هناك مطبوعة أصغر من أن تمر فيها كلمة طيبة بحق ترامب دون أن تلاحَظ. قدم ترامب إلى صحافي في مجلة **فورتشن** *Fortune* نسخة عن مجلة **نيويورك كونستراكشن نيوز** *New York Construction News*[2] التي وصفته بأنه "أنجح مالك ومطور عقارات في ذلك العام".

كان ترامب يحتفظ بالكتابات السلبية أيضاً. عندما زاره نيل بارسكي Neil Barsky[3]، من صحيفة **وول ستريت جورنال**، لإجراء مقابلة معه، كانت طاولة المكتب مغطاة بسلسلة من المقالات التي كتبها بارسكي عن المعارك المالية التي خاضها ترامب. ضغط ترامب على زر جهاز تسجيل، ثم أشار إلى المقالات وقال لبارسكي إن لديه ثلاث إفادات من أشخاص يقولون إن بارسكي كان ينشر إشاعات تتحدث عن مشكلات يواجهها ترامب في تأمين سيولة مالية. أخبر ترامب بارسكي أنه وكّل محامياً بارزاً في دعاوى القذف وهو بانتظار مقالته التالية. عندئذ، بدأت المقابلة.

بينما كان أقطاب رجال الأعمال يختبئون خلف مديري الدعاية والمتحدثين باسمهم، الذين يُبعدون عنهم الصحافيين قدر المستطاع، كان ترامب عادة ما يعاود الاتصال هاتفياً، بنفسه، خلال ساعات، في حال لم تكن دقائق. وبالنسبة إلى بعض المسؤولين في الصحف، كان وجود ترامب المتواصل واهتمامه بما يُكتب عنه، مدعاة إلى الضيق. في إحدى السنوات، وبينما كانت مجلة **فورتشن** تجهز قائمتها السنوية التي تضم أسماء رجال الأعمال الأثرياء، عيّنت موظفاً مقيماً[4] في مقرها للتعامل مع طوفان مكالمات ترامب الذي لم يكن راضياً عن تقييم المجلة للقيمة الصافية لثروته.

1 D'Antonio, *Never Enough*, 153. 108 New York Construction News: Jerry Useem, "What Does Donald Trump ReallyWant?," *Fortune*, April 3, 2000.

2 Jerry Useem, "What Does Donald Trump ReallyWant?," *Fortune*, April 3, 2000.

٣ المصدر نفسه، ص ٤٠٥-٤٠٦.

4 Useem, "What Does Donald Trump Really Want?"

ورث ترامب عن والده علاقته بواحد من أكثر مديري الدعاية نفوذاً في نيويورك، وهو هوارد روبنشتاين Howard Rubinstein، الذي كان المتحدث باسم العديد من أقطاب مجال العقارات البارزين. وسرعان ما اكتشف روبنشتاين أن ترامب الشاب لم يكن بحاجة إلى مساعدته. فما إن رسّخ ترامب مكانته كشخصية لها شأنها في الأوساط الإعلامية، حتى صار كل شيء يفعله وإيفانا أمراً يستحق النشر. عندما أورد محرّرا عمود الإشاعات في صحيفة **ديلي نيوز**، جورج راش George Rush وجوانا مولوي Joana Molloy، خبراً مفاده أن ترامب قطع خط مصعد التزلج[1] في أسبن، كانا قد اعتمدا على مصدرين يؤكدان الحدث، بمن فيهما موظف في منتجع التزلج. يقول راش إنه في اليوم الذي نُشرت فيه المقالة، اتصل به ترامب قائلاً بغضب: "هذا لم يحدث. القصة بكاملها كاذبة. من أخبرك بها؟ كائناً من كان فقد اختلقها. أخبره أنني قلت عنه إنه وضيع. اطلب منه الاتصال بي. كائناً من كان، لا أعتقد أنه يملك الشجاعة لذلك لأنه يعلم أنني لن أرحمه".

في أحد الأيام في فصل الصيف، سمع جيم برادي Jim Brady[2]، وهو محرر قديم في الصفحة السادسة، أن دونالد وإيفانا مُنحا عضوية مؤقتة خلال الصيف في أحد نوادي إيست هامبتون، حيث كانا يستأجران بيتاً. رغب الزوجان ترامب في الحصول على عضوية دائمة، لكن برادي علم أن مجلس إدارة النادي لم يوافق على الطلب. نشر برادي الخبر في الصفحة السادسة وسرعان ما تلقى مكالمة هاتفية من ترامب. قال برادي: "كان يوجّه إلي اللعنات بأكثر الكلمات بذاءة. نعتني بابن... وقال لي أنت كذا. وأنت كذا. سوف أقاضيك. سوف أقاضي صحيفة **نيويورك بوست**. سوف أقاضي مردوخ. سوف أقاضي الجميع".

بعد لحظة، عاد جرس الهاتف للرنين. كان كوهين هذه المرة. قال برادي، الذي كان يتوقع جولة أخرى من الشتائم، لكوهين إنه في حال رغبته في المقاضاة، إن عليه الاتصال بمحامي الصحيفة، لكن كوهين رد عليه بالقول: "جيم، جيم، جيم... لن

1 George Rush and Joanna Molloy, *Scandal: A Manual* (New York: Sky George Rush and Joanna Molloy, *Scandal: A Manual* (New York: Sky horse Publishing, 2013), 96. horse Publishing, 2013), 96.

2 Digiacamo, "Gossip behind the Gossip."

تكون هناك أي مقاضاة. من الأفضل لترامب أن ينفّس عن غضبه. تلك هي طبيعة دونالد. ونحن نشجعه على ذلك، ولكن لن يقدم أحد على مقاضاة أحد. أؤكد لك أنه تكون هناك مقاضاة". لم تحدث مقاضاة.[١]

اكتشف ترامب سريعاً أن بعض الصحافيين في الصحف الصغيرة المخصصة للإشاعات ينشرون مقالات تتحدث عن قدرته على التصرف أو اتخاذ القرار فقط؛ استغل ذلك لنشر أفكار معينة يمكن أن تكون ذات فائدة لأعماله. واستناداً إلى المديرة التنفيذية السابقة في Trump Organization، باربرا ريس، كانت إحدى الحكايات التي لا تُصدَّق والتي سرّبها إلى الصحف الصغيرة ادعاؤه أن البيت الأبيض كان يفكر في نقل الجناح المخصص للرئيس في مدينة نيويورك إلى فندق بلازا الذي يملكه ترامب. تقول ريس: "كان دونالد يتمتع بأسلوب مميَّز يمكنه من دفْع الصحف إلى نشر كل ما يقول، حتى لو لم يكن بالضرورة يمثل الحقيقة الكاملة. كان يتمتع بثقة فائقة بالنفس، وهذا مهم. كان بوسعه أن يقول ما يرغب في قوله، وينشره الصحافيون، ثم يصير حقيقة. كان ذلك هو الجزء في شخصيته الذي يطلقون عليه الكذبة الكبرى. تُكرِّر أي شيء مرات عدة كافية لتحويله إلى حقيقة. والواقع أنه أستاذ في هذا المجال".[٢]

كان ترامب يتمتع بمقدرة خاصة على التخفيف من وطأة الأقوال المنقولة أو الشائعات عن طريق إغفال مصدرها. فإذا لم يكن راغباً في ارتباط اسمه بأمر ما معين، كان يلجأ إلى إقناع الصحافيين بِنَسْب الرواية إلى "أحد أصدقاء ترامب"، أو "مسؤول رفيع المستوى في Trump Organization". بعد سنوات، كان الصحافيون الذين لا يعرفون ترامب حق المعرفة يعبّرون عن ارتباكهم عندما يسمعونه يقول خلال مقابلتهم الأولى معه إن قولاً ما صدر عنه "ليس للنشر، ولكن بإمكانكم الاستفادة منه".[٣] يقول جورج روش George Rush: "كان يتقن أصول اللعبة.[٤] كانت هناك عدة أشياء تصدر عن أحد أصدقاء دونالد، أي، كان يتحدث بضمير الغائب حول ما كان دونالد يفكر به".

---

١ المصدر السابق.

٢ مقابلة مع ريس.

3 Singer, "Trump Solo."

٤ مقابلة جوج روش مع ويل هوبسون، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

كان بعض الصحافيين ينتقدون رغبة الصحف الصغيرة في أن يجري استغلالها. يقول مارك سنغر Mark Singer، وهو صحافي في صحيفة **نيويوركر** *New Yorker* كتب لمحة موجزة عن ترامب عام ١٩٩٧، إن ترامب كان يستغل الصحف الصغيرة لتكون "جهازاً لصنع أسطورته"،[١] لكن الصحافيين في تلك الصحف كانوا يقولون إن القراء -ولا سيما سكان نيويورك المنتمون إلى طبقة العمال- كانوا يحبون أي مقالة تتحدث عن ترامب. يقول روش:

> عندما كنا نتحدث مع المهاجرين، بوجه خاص، المهاجرون الجدد الذين يقرأون صحيفة **ديلي نيوز**، كانوا دائماً يعبّرون عن رغبتهم في معرفة المزيد عن دونالد ترامب، فقد كان يجسّد الحلم الأميركي[٢] بالنسبة إليهم. فالمبالغة في الاستهلاك إلى حد ينافي الذوق، لم تكن بالأمر المستهجن بالنسبة إلى عدد كبير من الناس. ما كان يفعله ترامب يبدو هزلياً إلى حد ما. كنت دائماً أشعر أن دونالد لا يمانع في النوادر التي تُطلق حوله. فهو يعرف أنه تجاوز الحدود، لكنه يحب العيش في هذا الموقع.

كانت قاعدة المعجبين بترامب قوية خارج مانهاتن. يقول إد كوشنر Ed Kosner، المحرر السابق في مجلتي **نيويورك** و**إسكواير** وفي صحيفة **ديلي نيوز**:

> سكان نيويورك يتناغمون جيداً مع اللكنات، وكان هو يتحدث بلكنة منطقة من الأطراف.[٣] ورغم أنه درس في جامعة Pennsylvania، وعايش أجواءها، فإنه يبدو شخصاً نشأ في كوينز، وهو نشأ هناك، وأعتقد أن الناس يدركون هذه الخصلة فيه. هم لا يرونه شخصاً متكبراً، بل يرون فيه رجلاً عادياً استطاع تكوين ثروة طائلة.

توصل العديد من الصحافيين، الذين ترك فيهم ترامب أثراً لا يقل عن تأثيره في معجبيه،

١ مقابلة مارك سنغر مع ويل هوبسون، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٢ مقابلة مع روش.
٣ مقابلة إد كوشنر مع ويل هوبسون، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

إلى نتيجة مفادها أن مردود اهتمام كل وسائل الإعلام كان أكبر بالنسبة إلى هذه الشخصية المشهورة منه بالنسبة إلى المعجبين. يقول جون تايلر John Tayler، الكاتب السابق في مجلة نيويورك:

> كان مدمناً، بالمعنى الحرفي للكلمة، على الشهرة والاهتمام. كان شيءٌ أشبهُ بدفق من الدوبامين[1] يسري في دماغه. كنت أحياناً أدخل بصحبته إلى بناء ما أو غرفة ما، وكان هو يتراجع قليلاً إلى الخلف ويراقب الغرفة، ثم ينتظر إلى أن تمتلئ الغرفة ويصير بإمكانه أن يحظى بلحظة الاهتمام، عندما ترى جماعات من الناس تستدير وتدرك أنه ترامب... كان يعيش من أجل لحظات كهذه.

أحياناً بدا أن الشيء الوحيد الذي يرغب فيه ترامب هو الاهتمام. عام ١٩٨٨، زار جيفري بريسلو Jeffrey Breslow، وهو أحد الرواد في تصميم ألعاب التسالي في أميركا، برج ترامب بهدف إقناع ترامب بشأن لعبة شبيهة بلعبة المونوبولي يمكن أن يُطلق عليها اسمه. كان المصمم قد أعد نفسه للجلوس على الأرض لعرض ألاعيبه الإستراتيجية أمام الرجل الذي ستوضع صورته على علبة لعبة Trump: the Game، لكن ترامب لم يكن مهتماً باللعب أو بسماع تفاصيل اللعبة. ألقى نظرة سريعة على نموذج غطاء العلبة وقال: "أعجبتني–ماذا بعد ذلك؟".[2] بعد ذلك، تمت مفاوضات بسرعة البرق، وحملة ترويج سريعة ومركزة، وبيع ما يقارب مليون علبة. كان ترامب سعيداً بالظهور في مناسبات لبيع اللعبة، لكنه لم يشأ أن يكون له أي دور في تقرير محتواها.

كان تركيز ترامب على وضع اسمه على المنتجات والأبنية وفي القصص الصحافية يدفع بعض كبار المديرين العاملين لديه، والصحافيين أيضاً، إلى التساؤل: هل تنطوي نفسية الرجل على أشياء تتجاوز شخصيته العامة؟ لم يكن لديه مانع في إجراء مقابلة شخصية، في غرفة المستشفى، يوم ولادة ابنته تيفاني. وظل لعدة سنوات يستدعي محرّري أعمدة الشائعات ليسألهم عن تقييمهم لآخر غزواته العاطفية، وكان يفضل

١ مقابلة جون تايلر مع ويل هوبسون، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٢ مقابلة جفري بريسلو مع مارك فيشر، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

أن يعطوه التقييم بتقدير رقمي على مقياس من صفر إلى عشرة. يقول سنغر:

> حيثما يستدير دونالد ترامب، يرى دونالد ترامب. هو لا يرى الآخر كثيراً.[١] لقد صار من الصعب فعلاً التمييز بين [مقدار] الترويج والشهرة... المفيد للأعمال والمقدار اللازم لملء الخواء داخل نفسه.

في خريف ١٩٨٤؛ مرض روي كوهين. وبعد عام دخل مستشفى National Institute of Health في بيثيسدا، ميرلاند، مؤكداً أنه مصاب بسرطان الكبد، لكنه كان قد التقط فيروس نقص المناعة [الإيدز]. وبينما كان كوهين يصارع الموت، انقطع ترامب عن زيارة صديقه لمدة.[٢] كان ترامب يعرف أن كوهين كان مثلياً، فقد قال في كتابه الأول إن كوهين كان "دائماً بصحبة شاب وسيم. لكن روي لم يتحدث عن الأمر مطلقاً. لم يكن يحب صورة المثليين الاجتماعية. وكان يشعر أن الإنسان العادي يرى في المثلي مرادفاً لتاجر الجنس". وأشار ترامب إلى أنه في حال محاولة أحدهم الحديث عن حقوق المثليين، "كان روي دائماً أول من يعارضه".

بينما كان كوهين يخوض آخر معاركه، كانت تملؤه المرارة بسبب خيانة ترامب الواضحة: "أنا لا أصدق أنه يتصرف معي على هذا النحو. دونالد إنسان مجرد من العواطف". وبينما كانت صحته تتدهور، تعقّبته آثار سلوكه اللاأخلاقي بصفته محامياً، فقد اتهمته دائرة الاستئناف في محكمة الدولة العليا في نيويورك بـ"الخداع والاحتيال والدجل وتشويه الحقائق". انبرت بعض الشخصيات اللامعة لدفاع عن شخصية كوهين الصالحة، بمن فيهم ترامب الذي تصدر المشهد وعاد ليلازم صديقه ودعاه إلى زيارة بيته في مار-آلاغو.[٣]

عام ١٩٨٦، فُصِل كوهين من نقابة المحامين. ورد في قرار المحكمة: "هذا سلوك لا يمكن تبريره لمحامٍ مارس عمله في هذه الولاية لمدة أربعين عاماً". توفي كوهين بعد خمسة أسابيع. كانَ آنذاك في التاسعة والخمسين. أقام أصدقاؤه صلاة على روحه. حضر ترامب الصلاة وكان يقف بصمت في مؤخرة المكان.

---

١ مقابلة مع سنغر.

2 Barrett, *Trump*, 293.

٣ المصدر السابق.

قال كوهين ذات يوم: "مجال عملي مثير للجدل. مظهري القاسي هو أهم ميّزاتي. أنا لا أكتب رسائل مهذبة". خلال العقود الأولى من حياته المهنية، كان ترامب لا يتوقف عن إرسال خطابات عدائية إلى كل نواحي نيويورك. كانت تلك الخطابات بخط يده أحياناً، وأحياناً أخرى كانت مطبوعة على أوراق تحمل ترويسة Trump Organization بأحرف ذهبية نافرة[1]، وكانت في نهاية المطاف تحط على طاولات منافسيه أو الساعين إلى التقليل من شأنه. وعندما كان ترامب يرغب في لفت انتباه الصحافة، كان يرسل نسخة من رسالة ما إلى صحافيين أو محرّري أعمدة صحفية معيّنين. عندما وجّه الناقد المعماري في مجلة **نيويورك**، وهو كارتر وايزمان Carter Wiseman، نقداً قاسياً[2] إلى أحد أبنية ترامب، تلقى رسالة تصفه بالفاشل وبأنه يفتقر إلى الذوق في ملابسه ويرتدي بذلات من المخمل المضلّع، كما وجد الناقد المعماري في صحيفة **تايمز**، غولدبيرغ، نقداً لذوقه في ارتداء الملابس[3] في الصفحة السادسة بعدما كتب مقالة سلبية حول مخططات ترامب الخاصة بـTelevision City. كان ترامب أحياناً يتحاشى استخدام أوراق تحمل ترويسة شركته ويكتفي بإرسال نسخة من المقالة التي أثارت استياءه إلى الكاتب بعد إضافة بعض الحواشي. عندما وصفت محررة عمود في صحيفة **تايمز**، وهي جيل كولينز Gail Collins ترامب بأنه "مالك الآلاف الذي لا يكف عن افتعال المعارك المالية"، أرسل إليها نسخة عن العمود بعدما رسم دائرة حول وجهها، وكتب بجوار الصورة "وجه كلب".[4]

في بعض الأحيان، لم تكن الرسائل لتكفي. على سبيل المثال، إذا كان الشخص المسيء متوفّى. عام ١٩٩٠، نشرت مجلة **فوربس** *Forbes* مقالة خفضت فيها ثروة ترامب من مليار وسبعمئة مليون دولار إلى خمسمئة مليون دولار.[5] كان مالك المجلة، مالكولم فوربس Malcolm Forbes، قد توفّي قبل بضعة أشهر نتيجة أزمة قلبية، وكان في السبعين من عمره، لكن ترامب كان يعتقد أن الناشر الراحل هو الملوم على المقالة.

١ مقابلة مع روش.
٢ مقابلة مع كوشنر.

3 Blair, *Trumps*, 372.

4 Gail Collins, "Donald Trump Gets Weirder," *New York Times*, April 1, 2011.

5 Richard L. Stern and John Connolly, "Manhattan's Favorite Guessing Game: How Rich Is Donald?," *Forbes*, May 14, 1990.

كان ترامب آنذاك على وشك نشر كتابه الثاني *Trump: Surviving at the Top*، فاستدعى الكاتب الذي كان يساعده في التأليف، تشارلز ليرسن Charles Leerhsen، وطلب منه إضافة بضع صفحات حول فوربس. في مقابلة تلفزيونية أجراها بعد بضعة أسابيع، قال ترامب إن كتابه سيكون "مثيراً للاهتمام في ما يتصل بفوربس. وهو أمر لم أكن أرغب في الحديث عنه، ولكن بعدما فعل [فوربس] ما فعله بي[1]، شعرت أن بإمكاني الحديث عن ذلك الأمر". في الكتاب، الذي نشر في وقت لاحق من ذلك العام، انتقد ترامب فوربس لأنه أخفى ميوله المثلية. كانت ميول فوربس الجنسية معروفة في أوساط النخبة الاجتماعية في نيويورك، لكن الموضوع لم يكن متداولاً على نطاق واسع؛ فقد كان متزوجاً لمدة تسعة وثلاثين عاماً ورزق بأربعة أبناء قبل طلاقه. قال ترامب في كتابه إن كَوْن فوربس قد "عاش إنساناً مثلياً في العلن[2]-وهذا من حقه- ومع ذلك كان يتوقع من وسائل الإعلام ومن أصدقائه المشاهير إخفاء الأمر، يُصنف من قبيل المعايير المزدوجة". وأضاف أن القصة التي رويت حول ثروة ترامب المتناقضة جاءت رداً على رفض ترامب السماح لفوربس بإدخال شابين دون السن القانونية إلى البار الموجود في فندق بلازا الذي يملكه ترامب.

بينما كان بعض الصحافيين يجدون أنفسهم يواجهون عداء وسائل إعلام ترامب، دون قصد أو لمجرد أدائهم عملهم، سعت إحدى المطبوعات الوليدة بهمّة إلى استثارة ضغينة رجل الأعمال القوي، وهي مجلة **سباي** *Spy* الشهرية الساخرة ذات الأسلوب الهزلي الذكي، التي كانت تجد متعة في التهوين من شأن الشخصيات المزهوّة بنفسها في عهد ريغان. بالمصادفة، كان مؤسِّسا المجلة، كيرت أندرسون Kurt Anderson وغريدون غارتر Graydon Carter، قد كتبا لمحة عن ترامب: أندرسون لمجلة **تايم** *Time* وكارتر لمجلة *GP*. أسَّس أندرسون وكارتر مجلة **سباي** عام ١٩٨٦ لتكون "ذكية ومسلية وهزلية وجريئة".[3] وسرعان ما صارت المجلة الشهرية معروفة بأسلوبها اللاذع وإهاناتها المبتكرة. في مجلة **سباي** كان مدير قناة CBS، لورنس تيش Laurence

1 Joanna Molloy, "The Daily Intelligencer," *New York*, May 21, 1990.

2 Trump and Leerhsen, *Surviving at the Top*,30–33.

3 David Folkenflik, "Decades Later, *Spy* MagazineFounders Continue to Torment Trump," *NPR Morning Edition*, March 7, 2016.

Tisch "مليارديراً قزماً". أما نائب المدير دان كويل Dan Quayle، فكان "طفلاً أبيض غنياً أشقر الشعر غبياً مغموراً في الماء إلى ما فوق رأسه". لم تكن هناك شخصية عامة تجتذب تلك الأنواع من الهجمات الحادة المتواصلة أكثر من ترامب. كان أندرسون وكارتر يستهدفان ترامب لأنه يجسد ما خُلقَت مجلتهما للسخرية منه: "تفاخر نيويورك وتهورها وسوقيتها خلال ثمانينيات القرن العشرين".

في العدد الأول من المجلة، وُضِع اسم ترامب ضمن قائمة تضم أسماء أكثر عشرة أشخاص يثيرون الحرج في نيويورك.[1] في العام التالي، وفي القائمة الأولى لمجلة **سباي**، التي تضم أكثر مئة "شخص ومكان وشيء يثيرون الإزعاج والقلق والرعب"، وضعت المجلة اسم ترامب في المرتبة الثالثة. عام ١٩٨٩، قالت المجلة في معرض الشرح إن ترامب صار مرعباً إذ انتقل إلى "مستوى آخر بالكامل". في العام نفسه، صنّفت مجلة **سباي** الأشخاص وفق درجة شبههم بترامب، أو ترتيبهم على "مقياس ترامب"، بل إن العاملين في المجلة صاغوا صفات جديدة للإشارة إلى ترامب، وهي قائمة طويلة تضم تعبيرات من نوع "المحتال المُغذّى جيداً الذي يبني الشقق"، و"مالك شبكة المواصلات المكوكية الهاوي المصاب بجنون العظمة"، و"المليونير الغرّ الكئيب"، لكن إحدى الإهانات أزعجت ترامب أكثر من غيرها، وظلت شائعة حتى بعد إغلاق المجلة التي أطلقتها، وهي: "الرجل السوقي ذو الأصابع القصيرة". عام ١٩٨٧، وبعد نشر كتاب *Trump: the Art of the Deal* بمدة وجيزة، أرسل ترامب نسخة من الكتاب إلى مكتب مجلة **سباي**. وكان ترامب قد أحاط أصابعه، في الصورة الموجودة على الغلاف، بدائرة ذهبية اللون، وهذا استنكار واضح لقول المجلة إن أصابعه قصيرة. وربما خطر للعاملين في المجلة أن ترامب كان يتمتع بحسّ الفكاهة، حتى حول نفسه، أكثر مما كانوا يعتقدون... إلى أن فتحوا الكتاب. كان ترامب قد دسّ داخل الكتاب ملاحظة مكتوبة باليد تحمل بصمات كوهين: "إذا ضربتني، فسوف أردّ بضربة أقوى بمئة مرة".[2]

كلما ازداد هجوم **سباي** على ترامب، ازداد هجومه المعاكس. قال لمجلة **بلاي بوي**

1 *Spy*, October 1986, 31.

2 Bruce Feirstein, "Trump's War on 'Losers': The Early Years," *Vanity Fair*, August 12, 2015, http://www.vanityfair.com/news/2015/08/spy-vs-trump.

Playboy يوماً إن **سباي** كانت "مجرد قمامة". وكثيراً ما هدّد بمقاضاة المجلة. صرح ذات يوم لإحدى صحافيات **ديلي نيوز**، ليز سميث Liz Smith، بأن مجلة **سباي** ستُغلق خلال سنة؛ تبنّت المجلة هذه النبوءة وأضافت باباً شهرياً: عدّ تنازلي لانتهائها. تقول محررة سابقة في **سباي** وهي سوزان موريسون Susan Morrison، إن ترامب: "جعل الأمر يبدو أشبه بلعبة فولي بول، ولكن كان توجيه الوخزات له أمراً مسلياً، فقد كان أشبه بإطلاق كلاب على دب مقيّد. كان ترامب يرد ويكتب لنا رسائل يصفنا فيها بالفاشلين. كان وجوده نعمة متواصلة".[1] لم تكتف المجلة بوخز ترامب بأوصاف مبتكرة، بل دققت في الادعاءات المالية التي أوردها ترامب في كتاب *Trump: the Art of the Deal*، بحثاً عن الحقائق. في عام ١٩٩٠ أدخلته في تجربة أجريت من باب المزاح، وهي "أرخص رجل ثري في أميركا". شكّلت المجلة شركة –هي National Refund Clearinghouse– وأرسلت بالبريد شيكات تبدأ قيمتها بمبلغ دولار وأحد عشر سنتاً، وذلك بمبالغ متناقصة، إلى عشرات الأشخاص الأغنياء المعروفين. عندما وصلت المجلة إلى شيكات إعادة الدفع ذات المبلغ الأدنى –ثلاثة عشر سنتاً– أودع شخصان فقط المبلغ: عدنان خاشقجي، وترامب[2] (بعد سنوات، أرسل سنغر، الصحافي في صحيفة **نيويوركر**، الذي تحول إلى هدف لترامب بعدما كتب لمحة ناقدة عنه، إلى ترامب شيكاً بمبلغ سبعة وثلاثين دولاراً واثنين وثمانين سنتاً، من باب المزاح أيضاً، لكن الأخير أودعه).

في نهاية المطاف، ثبت أن نبوءة ترامب بتوقف المجلة عن الصدور كانت صحيحة؛ فقد احتجبت لمدة وجيزة عام ١٩٩٤، ثم توقفت نهائياً عام ١٩٩٨، لكن إهانات **سباي** تركت لسعة دائمة، فقد ظل كارتر، الذي صار رئيس تحرير مجلة **فانتي فير** *Vanity Fair* يستلم، على نحو منتظم لسنوات، صوراً لترامب مقصوصة من مجلات وصحف، يرسلها ترامب نفسه بعد رسم دوائر ذهبية اللون حول أصابعه. وفي نيسان/ أبريل ٢٠١٥، أرسل ترامب صورة مرفق بها ملاحظة: "هل رأيت، إنها ليست قصيرة

1 Andre Tartar, "How the Original Insult War with Donald Trump Was Waged," *Bloomberg Politics*, September 11, 2015, http://www.bloomberg.com/politics/articles/2015-09-11/how-the-original-insult-war-with-donald-trump-was-waged

2 Julius Lowenthal, "Who Is America's Cheapest Zillionaire?," *Spy*, July1990.

جداً". أعاد كارتر إليه الصورة بعدما كتب عليها: "الواقع أنها قصيرة جداً".[١]

في أواخر ١٩٨٩، أرسل أحدهم صورة لعارضة شقراء تدعى مارلا ميبلز Marla Maples إلى غرفة الأخبار في صحيفة **نيويورك بوست** مع ملاحظة تقول إن المرأة تواعد رجل أعمال بارز متزوج. لم تكن الصحف الصغيرة تهتم كثيراً بميبلز، فقد كانت ملكة إحدى الحفلات السنوية التي يجتمع فيها الطلاب القدامى. كانت آتية من دالتون، في جورجيا، عاصمة السجاد في أميركا، كما عملت لمدة عارضة في إعلانات لمادة لاصقة لتثبيت السيراميك ولشركة Delta Airlines قبل أن تأتي إلى مانهاتن وتستأجر شقة صغيرة بأربعمئة دولار شهرياً في تشيلسيا، وكانت مصممة على تحقيق النجاح في المدينة الكبرى، لكن الصفحة السادسة نشرت صورتها مع قصة قصيرة ملغّزة، فقد كانت الإشاعات تقول إن العارضة كانت تقيم علاقة مع "أحد كبار رجال الأعمال"[٢]؛ كان دونالد ترامب يخون إيفانا.

في غرفة الأخبار في صحيفة **نيويورك بوست**، كان الرأي السائد أن القصة تجاوز للحدود، فقد كان مردوخ قد باع الصحيفة لحساب بيتر كاليكو Peter Kalikow، وهو متعهد في مجال العقارات تربطه بترامب صداقة. وكان أحد موظفي الصحيفة قد دخل مرة إلى مكتب كاليكو ليسمع ترامب يوبخ الناشر[٣] على الهاتف بسبب ما رأى ترامب أنه نشْر أخبار سلبية عنه. عندما سمع كاليكو أن بعض الصحافيين العاملين لديه كانوا يتعقبون إشاعات حول خيانة ترامب، قال للمحرر الإداري في الصحيفة، لو كولاسونو Lou Colasuono، "لا نستطيع كشف هذه القصة". سأله المحرر: "لم لا؟"، أجاب كاليكو: "رجاء، سوف يسبب ذلك لي أزمة داخل منزلي"، ثم أضاف أن زوجته كانت مقربة من إيفانا، وأنه لا يمكن لصحيفته أن تكون الصحيفة التي تنشر الإشاعات التي تتحدث عن الصعوبات التي يواجهها ذلك الزواج.[٤]

1 Graydon Carter, "Why Donald Trump Will Always Be a'Short-Fingered Vulgarian,' "*Vanity Fair*, March 8, 2016, http://www.vanityfair.com /culture/201510//graydon-carter-donald-trump

2 Digiacamo, "Gossip behind the Gossip."

٣ مقابلة مع مصدر غير معروف أجراها ويل هوبسون، **واشنطن بوست**، أبريل/نيسان، ٢٠١٦.

٤ مقابلة أجراها لو كولاسونو مع بول شوارتزمان Paul Schwartzman، **واشنطن بوست**، آذار/مارس، ٢٠١٦.

كانت ليز سميث تسمع تلك الشائعات في مكتبها داخل منزلها، في الشارع الثامن والثلاثين الشرقي. كانت سميث تكتب بانتظام حول الزوجين ترامب لأكثر من عقد، كما كانت تشاركهما حياتهما الاجتماعية أيضاً، فتسافر معهما في طائرتهما الخاصة، وتحضُر أعياد الذكرى السنوية للعائلة[1]، وحفلات الزفاف وأعياد الميلاد. عندما جدّد الزوجان منزلهما في مار- آلاغو، قضت سميث عطلة نهاية الأسبوع هناك مع مجموعة من صديقات إيفانا، بمن فيهن باربرا والترز Barbara Walters، المذيعة في قناة ABC التلفزيونية. لم تكن سميث تخفي صداقتها للزوجين ترامب، وعندما كان اسم ترامب يظهر في العمود الذي تحرره، كانت تسبقه دائماً كلمة "صديقي". ربما أزعج ذلك الأشخاص المتمسكين بالأخلاقيات الصحافية، لكن سميث قالت إنها مجرد محررة عمود إشاعات، وليست "صحافية حقيقية". على أي حال، كانت سميث معجبة بترامب. وعندما كانا يلتقيان مصادفة في الحفلات، كان ترامب يعانقها ويستدير إلى الشخص الموجود بجانبه ويقول: "إنها عظيمة، ألا ترى أنها أعظم امرأة؟"، وهو تصرف كانت سميث تجده محرجاً وفي الوقت نفسه دالاً على المحبة، في ظل رهاب ترامب من الجراثيم.

عام ١٩٩٠، اتصلت سميث هاتفياً بترامب وأخبرته أن هناك "قصة مؤكدة" يتداولها الجميع تتحدث عن خيانته إيفانا. حاولت إقناعه بمنحها الحق الحصري بنشرها، وعرضت عليه أن تصوغ القصة حتى لا تبدو "شديدة الإثارة". لم ينكر ترامب الشائعات، لكنه لم يكن جاهزاً بعد لإعلان العلاقة على الملأ.[2] بعد بضعة أسابيع، أرسلت إليه سميث رسالة قالت فيها: "أعطني هذه القصة وإلا ستجد نفسك في موقع أسوأ بكثير من عمود ليز سميث". لم يرد ترامب.

في بداية شباط/فبراير، وبينما كانت سميث جالسة إلى مكتبها تحاول بصعوبة كتابة العمود، تلقت مكالمة هاتفية من إيفانا. كان دونالد في اليابان لحضور مباراة مايك تايسون وللتباحث مع مستثمرين يابانيين بشأن شراء فندق بلازا. دعت إيفانا

1 Smith, "I Think I Invented the Trumps, Part I."

2 Liz Smith, "I Think I Invented the Trumps, Part II," *New York Social Diary*, August 25, 2015, http://www.newyorksocialdiary.com/guest-diary/2015/liz-smith-i-think-i-invented-the-trumps-part-ii

سميث إلى زيارتها، وعندما وصلت الأخيرة شاهدت إيفانا غارقة بدموعها. روت إيفانا لسميث القصة بكاملها. فقبل أن تكتشف إيفانا علاقة زوجها بمارلا، كان دونالد قد أخبرها أنه فقد اهتمامه بها جنسياً، ولم تفلح كل عمليات التجميل التي أجرتها أخيراً في تغيير هذا الواقع. كانت إيفانا في تلك اللحظة، على غرار زوجها، لا ترغب في كشف العلاقة على الملأ. وكانت تخشى أن زوجها، بعد أن يتركها في نهاية المطاف، سوف يأخذ معه صديقات مثل سميث وباربرا والترز. حاولت سميث تهدئة مخاوف إيفانا وحثتها على الاتصال بخبير دعاية بارز هو جون سكانلون John Scanlon. جلس الثلاثة ورسموا خطة. في يوم الجمعة التاسع من شباط/فبراير ١٩٩٠، سلّمت سميث عمودها الصحفي إلى محررها في الصحيفة باليد في شقتها. وأرفقت به ملاحظة تقول شبه مازحة: "بعد أن يغادر دونالد الطائرة [قادماً من اليابان] ليلة الأحد، أخشى أنه سيقتلها... أو يقتلني".[1]

في يوم الأحد، كان العنوان الرئيسي البارز أسفل الصحيفة الأولى على النحو التالي: "خبر استثنائي! الحب يواجه مصاعب"[2]، وظهرت إلى جانب العنوان صورة سميث وقد ارتسمت ابتسامة على وجهها. لم تكن الصفحات الداخلية تضم الكثير من التفاصيل، لكنها كانت تروي سيرة دونالد وحكاية تؤرخ مراحل زواجه بإيفانا الذي دام اثنتي عشرة سنة. كانت المقالة المنشورة على صفحتين تتحدث عن الزوجين. كتبت سميث:

> يبدو أن زواج إيفانا ودونالد ترامب يواجه مصاعب، وتقول مصادر داخلية مطلعة إن المحامين قد بدؤوا العمل في محاولة لتقسيم ممتلكات ترامب ذات الوضع المعقد.

ليس من الواضح مَن الذي أغضبته القصة أكثر: محررو **نيويورك بوست**، الذين كانوا يريدون نشر القصة، أو دونالد. ما إن ظهرت القصة أخيراً إلى العلن، حتى تلاشت معارضة كاليكو. اشتعلت حرب تقليدية بين الصحيفتين، وانقضت عدة أشهر قبل أن

١ المصدر نفسه.

2 Liz Smith, "Love on the Rocks," *New York Daily News*, February11, 1990.

يسمح محررو سميث لها بالكتابة عن موضوع آخر. وعندما عيّنت الصحيفة جيشاً من الصحافيين لمتابعة القصة، شرح أحد المحررين الأمر لسميث، قائلاً: "إذا لم تكن هذه القصة قصة خاصة بالصحف الصغيرة، إذاً، لا يوجد صحف صغيرة".[1]

في اليوم التالي، برز على الصفحة الأولى لـ**نيويورك بوست** عنوان "الانفصال". قدمت القصة الواردة في الصفحات الداخلية رواية دونالد: كان قد هجر إيفانا. روى أحد المصادر، الذي وُصف حصراً بأنه "أحد المقربين" من ترامب، قول دونالد: "أنا أحب إيفانا[2]، لكننا تباعدنا أخيراً، فقد تنامت غطرستها إلى حد بات لا يطاق خلال السنوات الماضية". وقالت صحيفة **نيويورك بوست** إن ما أغضب ترامب أكثر من أي شيء لم يكن الخوض علناً في قضايا تخص حياته الزوجية الخاصة، بل عبارة واحدة وردت في قصة سميث: "ظل المتعهد الكبير صامتاً ولم يعلق على مادة نشرتها صحيفة في الأمس وجاء فيها أن إيفانا كانت شريكته في أعماله".

كان شباط/فبراير ١٩٩٠ شهر الأخبار الدسمة، فقد أُطلق سراح نيلسون مانديلا من السجن، وأفلست شركة دريكسل بيرنهام لامبرت Drexel Burnham Lambert، وهي شركة استثمارات مصرفية رئيسية في وول ستريت. واستقبل الرئيسُ جورج هـ. و. بوش George H. w. Bush الرئيسَ الجديد لتشيكوسلوفاكيا، الكاتب المسرحي المنشق السابق فاكلاف هافل Václav Havel في البيت الأبيض، فيما كان انهيار الإمبراطورية السوفياتية في تسارع، لكن قصة واحدة ظلت لأسابيع تهيمن على الصفحات الأولى للصحف الصغيرة: دونالد في مواجهة إيفانا. بعدما وضعت **ديلي نيوز** صورة مانديلا على غلاف عدد الثاني عشر من شباط/فبراير، لم تفارق المواد المتعلقة بترامب صفحتها الأولى لمدة اثني عشر يوماً متواصلة. واستمرت **نيويورك بوست** في وضع المواد المتعلقة بترامب على الصفحة الأولى لمدة ثمانية أيام متواصلة. انتشر الهوس المسيطر على عاصمة الإعلام في أميركا ليشمل المطبوعات الوطنية الجدية. لم يكن هناك خبر، مهما صغر، ينظر إليه على أنه تافه. عندما ذكرت وكالة

1 Liz Smith, "I Think I Invented the Trumps, Part III," *New York Social Diary*, August 26, 2015, http://www.newyorksocialdiary.com/guest-diary /2015/liz-smith-i-think-i-invented-the-trumps-part-iii

2 Esther Pessin, "War of the Trump$," *New York Post*, February 12,1990, 4.

أسوشييتد برس *Associated Press* أن ترامب ومارلا ذهبا إلى الكنيسة نفسها، جاء العنوان البارز في الصفحة الأولى من **نيويورك بوست** كالتالي: "تقابلاً في الكنيسة".[١] وعندما سافر ترامب بالطائرة إلى مار-آلاغو لحضور عيد ميلاد إيفانا، جعل هذا الخبر **ديلي نيوز** في موقع الصدارة؛ صدت **نيويورك بوست** الهجوم في اليوم نفسه بعنوان: "الزوجان ترامب يتشاركان قصرهما في فلوريدا، ولكن... في سريرين منفصلين".[٢] أجرت **ديلي نيوز** استطلاعاً لآراء القراء لمعرفة مقدار الدعم الذي يلقاه كل من دونالد وإيفانا، ووضعت في ردهة مكاتبها مجسّمين من الورق المقوى[٣] لكل من الزوجين، وسمحت للقراء بالتقاط الصور إلى جانب مجسم الشخص الذي يفضّله كل منهم بين الزوجين، كما أجرت **نيويورك بوست** مقارنة بين المعلومات الأساسية حول مارلا وإيفانا -العمر، والطول، والوزن، وقياس الثياب- حملت عنوان "حكاية المقاييس[٤] في المعركة الدائرة بين الجميلتين". تضمن عدد اليوم التالي من **ديلي نيوز** جدولاً يبين بالتفصيل مَنْ مِنْ أفراد الأوساط الاجتماعية في نيويورك يؤيدون دونالد ومن منهم يؤيد إيفانا. كان من بين مؤيدي دونالد: شير Cher وإلتون جون Elton John وفرانك سيناترا Frank Cinatra إضافة إلى "كل سكان أتلانتيك سيتي"، فيما كان مؤيدو إيفانا يضمون: كالفين كلاين Calvin Klein وأوبرا وينفري Oprah Winfrey، والأميرة ديانا و"كل بائعي الأزهار في مدينة نيويورك" (كانت باربرا والترز ضمن مجموعة صغيرة "حيادية" إلى جانب جورج وباربرا بوش).[٥]

وصلت العناوين المثيرة ذروتها في الصفحة الأولى من عدد صحيفة **نيويورك بوست** الصادر في السادس عشر من شباط/فبراير. كان العنوان "أروع علاقة جنسية حظيت بها"، وهي الجملة التي يُفترض أن ميبلز قالتها أثناء الحديث عن ترامب. صار العنوان من كلاسيكيات الصحف الصغيرة المخصصة للشائعات. كتب بيل هوفمان Bill Hoffman، وهو صحافي في **نيويورك بوست** ومعروف بقصصه حول المشاهير، مقالة

١ الصفحة الأولى، *New York Post*, February 15, 1990.

٢ الصفحة الأولى، *New York Post*, February 19, 1990.

3 "Need Your Help," *New York Daily News*, February 17, 1990, 4.

4 Esther Pessin, Jill Brooke, and Sonia Reyes, "The Donald: She's Marla-Vous," *New York Post*, February 14, 1990, 4-5.

5 William Norwich, "Choosing Up Sides," *New York Daily News*, February 15, 1990, 3.

بعد مقابلة أجراها مع صديقتين لميبلز في صف التمثيل. قالت السيدتان إنهما شاهدتا ترامب يأتي لاصطحاب ميبلز بعد انتهاء الدرس، وأضافتا أن مارلا روت لهما كل شيء عن قصة حبهما وعن علاقتهما الجنسية. ألحّ هوفمان عليهما لمعرفة التفاصيل، لكن السيدتين لم تكونا على علم بأكثر من ذلك. لم يكن ذلك مهماً؛ كان هوفمان قد حصل على المعلومة الصغيرة الثمينة التي كان يحتاجها: عبارة مقتبسة عن صديقة مجهولة الهوية تقول فيها مارلا إن ترامب جعلها تعيش "أروع علاقة جنسية حظيت بها".

قرأ كولاسونو، المحرر الإداري لـ**نيويورك بوست**، العبارة على حاسوبه وعرف أنه سيحصل على الصفحة الأولى في اليوم التالي. ناقش المحررون مدى صدقية العبارة: هل قالت مارلا فعلاً الكلمات التي كانت **نيويورك بوست** تفكر في إيرادها على صفحتها الأولى لتحدث دوياً؟ لم يكن كولاسونو يشعر بالقلق. قال لزملائه: "لن يعرضنا هذا العنوان لدعوى قذف. فلن يشكو دونالد منه أبداً". وجد أحد محرري الصور الصورة المناسبة تماماً: ترامب وهو يضحك مثل قطة من نوع شيشير. جاء في **نيويورك بوست** أسفل العنوان الموجود على الصفحة الأولى: "كنا دائماً نعرف أن ترامب كان نمراً في غرفة الإدارة، لكننا بتنا ندرك الآن أنه جامح في الجنس أيضاً" (بعد عامين، وعندما صار كولاسونو رئيس تحرير الصحيفة، كان يتلقى مكالمات هاتفية من ترامب من حين إلى آخر، كما دعاه ذات يوم إلى تناول الغداء معه في فندق بلازا. يقول كولاسونو إن ترامب أخبره بأنه مستعد لنقله إلى أتلانتيك سيتي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع "مع فتاتين"، أو بإمكانه الذهاب لحضور مباراة لفريق Yankee والجلوس في مقصورة مالك الفريق جورج شتاينبرينر George Steinbrenner. كان ترامب يريد من كولاسونو كتابة مقالة يقول فيها إن ترامب كان قادراً على الوفاء بديونه. قال ترامب: "هناك إشاعات عدة تزعم أنني مفلس... هذا كله هراء". كان يريد من كولاسونو كتابة هذه القصة، لكن رئيس التحرير عرض عليه، بدلاً من ذلك، أن يدقق أفضل صحافي متخصص في عالم الأعمال في الصحيفة في شؤون ترامب المالية. لم يتابع ترامب الموضوع. ولم يعد إلى حديث السفر إلى أتلانتيك سيتي أو الذهاب إلى ملعب فريق Yankee). في اليوم التالي لظهور عنوان "أفضل علاقة جنسية"، كان رد **ديلي نيوز** تقريراً أعدته سميث ورد فيه أن دونالد كان "مبتهجاً" لدى قراءة العنوان، ما استدعى إصدار **نيويورك بوست**

ملحقاً ورد فيه: "ترامب: افصل ليز سميث عن العمل".[1]

استمرت هذه التغطية الإعلامية المسعورة لأشهر، وهو ما أتاح لمجلة **سباي** فرصةَ إضافة المزيد إلى مجموعة الصفات التي أطلقتها على ترامب: "رجل أتلانتيك سيتي القوي الذي هجر زوجته" و"الآثم-المدين". أخيراً، وقع الطلاق بين ترامب وإيفانا، وخلال المدة التي عاشها وهو أعزب في الأربعين، برز أحد أغرب أساليبه في تملّق وسائل الإعلام. كان ترامب، منذ بداية حياته المهنية، يتصل أحياناً بالصحافيين ويستخدم اسم جون ميللر John Miller، أو، وهو الأغلب، اسم جون بارون (استمر افتتان ترامب بهذا الاسم لسنوات؛ عندما كان يواعد مارلا وهو لا يزال متزوجاً بإيفانا، كان أحياناً يستخدم الاسم المشفَّر "البارون"[2] عندما يترك لها رسائل. وعندما رزق من زوجته الثالثة، ميلانيا، بصبي أسماه بارون).

عام ١٩٩١، اتصلت صحافية شابة من مجلة **بيبول** *People*، تدعى سو كارسويل Sue Carswell، بمكتب ترامب لتطلب إجراء مقابلة معه. كانت كارسويل قد كُلِّفت السبق الصحافي المتعلق بموضوع ترامب/مارلا/إيفانا، وكانت تريد الحصول على معلومات حول قصة نشرتها **نيويورك بوست** تدّعي فيها أن ترامب قد هجر مارلا من أجل عارضة إيطالية تدعى كارلا بروني Carla Bruni. بعد خمس دقائق، تلقت كارسويل مكالمة هاتفية من مدير الدعاية لدى ترامب[3]. قدّم الرجل نفسه على أنه جون ميللر. أكد ميللر صحة قصة **نيويورك بوست**. نعم، لقد هجر ترامب مارلا، ولديه سرب من الحسناوات تحت تصرفه لينتقي منهن من يشاء لمغامرته العاطفية المقبلة. قال ميللر: "هناك نساء جميلات مهمّات يتصلن به طوال الوقت". عدّد بعض الأسماء، وكان اسم مادونا بينها. قالت كارسويل: "لقد ذكر فعلياً، أسماء جميع النساء المثيرات[4] في هوليوود"، لكن شيئاً غريباً استرعى انتباه كارسويل، فقد بدا صوت مدير الدعاية شديد الشبه بصوت ترامب... نعم، صوت ترامب. كانت كارسويل، ولحسن الحظ، قد سجلت المقابلة الهاتفية. أسْمعَتْ التسجيل لبعض زملائها الذين أيّدوها بأن الصوت

---

1 Bill Hoffman, "Trump: Fire Liz Smith," *New York Post*, February 19, 1990, 14.

2 John R. O'Donnell and James Rutherford, *Trumped! The Inside Story of the Real Donald Trump-His Cunning Rise and Spectacular Fall* (New York: Crossroad Press, 1991), 185.

3 Sue Carswell, "Trump Says Goodbye Marla, Hello Carla,"*People*, July 8, 1991.

٤ مقابلة أجرتها سو كارسويل مع ويل هوبسن، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

يشبه صوت دونالد، ثم اتصلَت بمارلا وأسْمعَتْها التسجيل. انفجرت مارلا بالبكاء، وأكدت أن الصوت هو صوت ترامب.

لم تكن كارسويل الصحافية الوحيدة التي اتصل بها ترامب باسم مستعار. تقول محررة عمود في **ديلي نيوز**، وهي ليندا ستاسي Linda Stasi، إن ترامب ترك لها رسالة صوتية بوصفه "شخصاً مجهولاً يزوّد بمعلومات سرية"[١] يرغب في كشف معلومة تفيد بأن ترامب شوهد يواعد عارضات، كما ظهرت عبارات مقتبسة عن "جون بارون" في مجلة **نيويورك** وصحيفة **واشنطن بوست** وصحيفة **نيويورك تايمز**، إذ ظهر شخص يدعى "جون بارون" وُصف بأنه "نائب رئيس Trump Organization"، في مقالة نُشرت على الصفحة الأولى عام ١٩٨٠. وقد نُقِل عن بارون عدد من الاقتباسات، تارة بوصفه "المتحدث باسم ترامب"، وتارة أخرى بوصفه "مديراً تنفيذياً لدى ترامب"، أو "ممثّلاً عن ترامب". ورغم أن ترامب كان ينكر أحياناً إجراءه اتصالات هاتفية تحت اسم جون بارون، فإنه اعترف في شهادة أدلى بها عام ١٩٩٠، قائلاً: "أعتقد أنني استخدمت أحياناً هذا الاسم". رأى بعض الصحافيين أن الاتصالات الهاتفية من ميللر أو بارون مجرد هزل، وإن كانت تنم عن غرابة الأطوار، لكن صحافيين آخرين رأوها مزعجة أو حتى مروّعة، إذ إن بارون كان يستمتع بوصف انجذاب النساء المرموقات إلى ترامب جنسياً. قال ميللر في مكالمته لكارسويل: "تتصل الممثلات هاتفياً ليعرفن هل باستطاعتهن الخروج معه، وإلى ما هنالك". كانت مادونا "راغبة في الخروج معه". وتباهت "الذّات الأخرى لترامب" بأنه بالإضافة إلى مساكنته ميبلز كانت لديه "ثلاث صديقات أخريات".[٢]

مع اشتداد معارك الصحف الصغيرة المخصصة للإشاعات، كان ترامب يصر على أن كل أنواع الشهرة مفيدة للأعمال، لكن بعض مستشاريه المقربين كانت تساورهم شكوك خطيرة. كانت باربرا ريس، وهي الموظفة القديمة لدى ترامب، تخشى أن تؤدي التغطية الإعلامية للحياة الشخصية لترامب في الصحف الصغيرة، إلى الإضرار بأساس الشركة. في اليوم الذي ظهر فيه عنوان "أروع علاقة جنسية حظيت بها"،

١ مقابلة أجرتها ليندا ستاسي مع ويل هوبسون، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٢ تسجيل لمكالمة من جون ميللر إلى سو كارسويل، حصلت عليه صحيفة **واشنطن بوست**، أيار/مايو، ٢٠١٦.

عرَض ترامب عدد **نيويورك بوست** متباهياً أمام ريس. قالت ريس: "اعتقدنا جميعاً، أي كل الأشخاص الذين يتبوؤون مناصب مهمة في الشركة، أن الأمر كان فظيعاً. أعني، كان لديه في البيت طفل في السادسة من عمره، وطفل في الثانية عشرة يمكنه قراءة الصحف. أقصد، كان الأمر، جميعنا، رأينا أن الأمر فظيع، فيما كان يراه عظيماً إلى أقصى حد"[١] (كافح دونالد الابن في ما بعد دفاعاً عن كرامة والده، فقد دخل في مشادة في مدرسته Hill School، وهي مدرسة داخلية في بنسلفانيا، بعدما واجهه أحد زملائه من الطلاب بصورة فاضحة لعشيقة والده منشورة في إحدى الصحف.[٢] قاطع دونالد الابن والده ولم يبادله الحديث لمدة عام خلال تلك المدة. يسترجع الأحداث قائلاً: "تجد نفسك في جو ترى فيه كل يوم شيئاً جديداً على الصفحات الأولى للصحف، يصلك جانب واحد فقط من القصة، ويتحوّل ذلك إلى سعار يلقّم المطابع بالمعلومات".)[٣]

مع ذلك، كان بعض الصحافيين يرون في قرار ترامب إذكاء نار التغطية الإعلامية بدلاً من محاولة إخمادها، دليلاً على عبقرية في فهم وسائل الإعلام تخالِف أي حدس بدهي. يقول تايلر، وهو الكاتب السابق في مجلة **نيويورك**، لقد "كان يدرك أنك إذا كنت صفيقاً وتتمتع بالبراعة التي تجعلك تحوِّل الأمور في مصلحتك، فلا يوجد ما يُسمى بالسمعة السيئة. كان الوضع المتعلق بمارلا وبإيفانا أوضح مثال على ذلك؛ كان قادراً على التلاعب بالموضوع إذ يصوّر نفسه فائق الرجولة[٤] تطارده الشقراوات الجميلات في نواحي المدينة كلها". في اليوم نفسه الذي نشرت فيه قصة "أروع علاقة جنسية"، أجرى تايلر مقابلة مع ترامب في مكتبه. كان زواجه يتداعى. مع ذلك، طلب من تايلر العودة خلال ساعات. وصل تايلر، وسار في صالة تغطي جدرانها أغلفة المجلات التي تظهر عليها صورة دونالد ترامب، وصل الغرفة ليجد الرجل جالساً خلف طاولة مكتبه مسترخياً كعادته. لم يبدُ على ترامب أنه منزعج. كل ما كان يعنيه هو مدى الاهتمام الصحافي الذي كان يحظى به انفصاله الوشيك عن إيفانا:

١ مقابلة مع ريس.

2 Barrett, *Trump*, 13.

٣ مقابلة مع ترامب الابن.

٤ مقابلة مع تايلر.

لم أشهد طوال حياتي مثيلاً لذلك. ولا أعتقد أن شيئاً مماثلاً حدث من قبل. في أحد الأيام، كانت قصته تشغل ثماني صفحات في صحف الإشاعات. حتى مجلة **تايم** كانت مشاركة... بل إن إحدى الصحف كرست اثني عشر صحافياً لمتابعة الموضوع.

أشار تايلر إلى أن الطلاق الذي وقع أخيراً بين المخرج ستيفن سبيلبيرغ Steven Spielberg والممثلة إيمي إيرفنغ Amy Irving كان يحظى أيضاً باهتمام كبير من الصحافة، لكن ترامب لوّح بيده مستخفاً بتلك المقارنة، ووصف الموضوع المذكور بأنه "سيثير الدهشة ليوم واحد فقط"،[١] كما وصف قصة "أروع علاقة جنسية" بأنها "مبتذلة"، لكنه أضاف أنه سمع أن الصحيفة اختفت عن الأرفف بسرعة البرق في كل نواحي المدينة. ذكر تايلر أنه عاد للتو من لندن، وعندئذ أراد ترامب أن يعرف مدى تأثير طلاقه عبر الأطلسي: "هل اعتُبر خبراً مهماً هناك أيضاً؟ سمعت بأنه كان له وقع هائل في تلك النواحي".

ورد في قصة تايلر، التي حملت عنوان "ترامب: المسلسل العاطفي"، اقتباس مأخوذ عن أحد "مديري ترامب التنفيذيين" يقول إن التغطية الصحافية المثيرة أدت إلى ازدهار أعمال الكازينوهات وازدياد الحجوزات في فندق بلازا. بعد بضعة أسابيع، ظهر اقتباس مماثل في قصة نُشرت على صفحات **وول ستريت جورنال** تتحدث عن قرار ترامب الاستثمار في أتلانتيك سيتي، لكن الكلام في هذه المرة لم يأت من مصدر مجهول الهوية، بل من ترامب نفسه. كان كازينو ترامب، الذي يحمل اسم تاج محل، على وشك الافتتاح. ومنذ انفصال ترامب عن إيفانا وولع الصحافة الشديد بتغطية الحدث، لاحظ موظفو الكازينو تهافت وسائل الإعلام على طلب تغطية حفل الافتتاح. شعر ترامب بالغبطة: "الطلاق ليس بالأمر الباعث على السرور إطلاقاً، لكنه من وجهة نظر الأعمال، يحمل تأثيراً إيجابياً لا يستهان به".[٢]

---

1 John Taylor, "Trump: The Soap," *New York*, March 5, 1990, https://books.google.com/books?id=bdF9SYJ7hsQC&pg=PA1&lpg=PA1&dq=john+taylor,+trump+the+soap,+new+york+mag&source=bl&ots=HK2eN9mbQh&sig=yU_YGhMQcdwsQ7wAh1Br-A6HyHU&hl=en&sa=X&ved=0ahUKEwic77zD3LzMAhWI7CYKHftQDZwQ6AEIJTAC#v=onepage&q=john%20taylor%2C%20trump%20the%20soap%2C%20new%20york%20mag&f=false

2 Neil Barsky and Pauline Yoshihashi, "Trump Is Betting That Taj Mahal Casino Will Hit

كان العمل دائماً محور الحياة؛ هذا ما تشرّبه ترامب عن والده. كان النجاح يتحدّد -بل يُخْلَق- إلى حد كبير بالسمعة وبالصورة العامة؛ هذا ما تعلّمه من روي كوهين. الآن، أضاف ترامب مُكوِّنَه الخاص: لدى تحوّله من تطوير العقارات إلى مفهوم أشمل لعلامة ترامب المميزة، بدأ دونالد استغلال شهرته ليس لترويج أبنيته فقط، بل أيضاً لإنشاء شبكة من المشاريع الجديدة في مجالات القمار والرياضة وحفلات مسابقات الجمال، والتلفزيون، وهي أساليب لا تكف عن التغيُّر لبث رسائل تقول إن اسم ترامب يعني الطموح والثروة والتعبير الشخصي المتميز عن النجاح. مُنيت بعض مبادراته بالإخفاق، وحقق بعضها أكداساً من المال، ولكن في قلب كل ذلك كانت تكمن هويته، وصورته التي جرى تحسينها بعناية بوصفه العنصر البارع في إنجاز الصفقة وإصراره على أنه هو صانع المعجزات، وليس الموظفون أو الشركة، بل هو ذاته. كان كل شيء آخر في حياته مكرساً لخدمة هذه الفكرة: علاقاته النسائية والمصرفيون ووسائل الإعلام والجماهير عموماً. كان الناس دائماً يسألونه عن دونالد ترامب الحقيقي: هل كان الملياردير المتبجح ذو الكلمات الرنانة، الذي يمثله في وسائل الإعلام، مجرد شخصية صُمِّمت لتعزيز أعماله؟ وكان هو يصر أن الناس لم تستطع فهْم الأمر. كان ترامب، تماماً، هو ذاك الشخص الذي يقدمه في العلن: رجل أعمال، دخل مجال الأعمال من أجل نفسه، دخله ليربح. كان يتحدث بـ"غلو حقيقي". هو لا يمانع سحق خصومه وتحقير "الفاشلين". يفضل قضاء الوقت في مكتبه، عوضاً عن قضائه مع زوجاته وأولاده. وسوف يفعل كل ما يتطلبه الأمر. سوف يقامر، فقد بدأ يتجاوز مانهاتن ليبلغ مدينة ساحلية في وضع يرثى له في نيوجيرسي كان يعتقد أنه سيعيد تشكيلها على صورته.

Golden Jackpot in Atlantic City," *Wall Street Journal*, March 20, 1990, B1.

الفصل السابع

لا مكان للمزيد

في صيف ١٩٧٨، استقل دونالد ترامب، وكان آنذاك في الثانية والثلاثين من العمر، طائرة مائية إلى أتلانتيك سيتي مدفوعاً برغبته في معرفة ما يمكن معرفته عن الأرباح التي تصل إلى ملايين الدولارات[١] والتي تجنيها شركة Resorts International، مالكة أول كازينو على الشاطئ الشرقي. كانت النقود تتجمّع بسرعة، وكانت شركة Resorts تعبئها في أكياس مخبوءة[٢] في غرف الفندق تمهيداً لعدّها. مع ذلك، عندما سار ترامب على الممشى الخشبي وشاهد المباني المهدمة، رأى مدينة بحاجة إلى منقذ.

ظلت أتلانتيك سيتي، لأجيال، تحاول استحضار صورة الجمال والرومانسية على شاطئ البحر. كان سكان المدينة يذهبون أفواجاً[٣] إلى شواطئها، في البداية سعياً وراء أجواء صحية. فقد كانت نسائم المحيط المنعشة قد جعلت المدينة تحمل اسم "رئتا فيلادلفيا". عام ١٩٢١، استضافت المدينة أول مسابقة لملكة جمال أميركا، وهي واحدة من المناسبات المتعددة التي جعلت أتلانتيك سيتي مركزاً جذاباً للترفيه على الساحل الشرقي. كانت الفنادق تمتد على طول الممشى الخشبي الكائن على الواجهة

1 Phillip H. Wiggins, "Casino Operators' Profit Soars in Third Quarter," *New York Times*, November 10, 1978.

٢ مقابلة ستيفن بيرسكي Steven Perskie مع شون بوبورغ Shawn Boburg وروبرت أوهارا، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

3 Vicki Golf Levi and Lee Eisenberg, *Atlantic City: 125 Years of Ocean Madness* (Berkeley, CA: Ten Speed Press, 1979), 15.

البحرية، وكانت سهولة الوصول إلى المدينة بواسطة القطار تشجع العائلات على نزهات يومية يحملون فيها طعام الغداء داخل علب الأحذية، ولعل هذا ما جعلهم يُعرَفون باسم Shoobies.

بدأ حظ المدينة بالانحسار مع تغيُّر الأذواق وأنماط العيش السائدة. خلال الحرب العالمية الثانية، استولى الجيش وسلاح الطيران على فنادق المدينة، وفي ١٩٤٤، دمَّر إعصار القسم الأكبر من الممشى الخشبي الشهير الذي كان يمتد مسافة سبعة أميال. وخلال العقدين التاليين، تراجع عدد زوار المدينة بعدما أدت هجرة البيض منها وتدهور وضعها إلى ارتفاع معدلات الجريمة وفقدان فرص العمل فيها، وساعدت الطرق السريعة التي تربط بين الولايات على جذب الناس إلى مشاريع سكنية جديدة في الضواحي. انخفض عدد سكان المدينة[1] من ستة وستين ألفاً في ١٩٣٠، إلى ما يقارب أربعين ألفاً في ١٩٨٠. ظل المنتجع في مخيّلة الناس مكاناً للفنادق التي كانت تُعدّ فيها كعكات حفلات الزفاف، ولأكشاك الحلوى الدبقة، ولحفلات مسابقات الجمال، لكن الواقع المالي كان مريراً. كانت المدينة تبدو على وشك الموت، ولم تفلح كل محاولات المسؤولين فيها في تغيير الوضع. وفي غمرة اليأس، شرّعت نيوجرسي القمار عام ١٩٧٧ وأودعت في القانون حلم "استعادة أتلانتيك سيتي لتكون ملعب العالم ومركز الضيافة الرئيسي في الولايات الشرقية". بعد عام، قدّم الكازينو – الفندق العائد إلى شركة Resorts International الدليل على أن الحلم بدأ يتحول إلى حقيقة. وصل ترامب في مهمته الاستكشافية.

كان ترامب قد أمِل ذات يوم أن تشرّع الولاية التي نشأ فيها، نيويورك، القمار. واقترح إنشاء كازينو في ملكيته الكائنة وسط مانهاتن، غراند حياة. بعثت زيارته إلى نيوجرسي رسالة واضحة نوعاً ما: إذا لم تسمح له نيويورك بإنشاء كازينو في مانهاتن، فسوف يحوّل اهتمامه عبر نهر هدسون. كانت أسعار العقارات في أتلانتيك سيتي أرخص منها في مانهاتن، وكان الشركاء هناك راغبين في المخاطرة من أجل ترامب. تعثرت جهود تشريع القمار في نيويورك، فقرر ترامب الاستثمار في نيوجرسي. خلال زيارته إلى أتلانتيك سيتي، قابل ترامب سمساراً عقارياً في محل لبيع المثلجات ليناقش

1 New Jersey Department of Labor and Workforce Development, US Censuses of Population and Housing. http://lwd.dol.state.nj .us /labor/lpa/census/1990/poptrd6.htm

معه كيفية الحصول على أرض لإنشاء كازينو. لم يكن ترامب يمتلك أي خبرة في مجال ألعاب القمار أو إدارة الكازينوهات، لكن المسؤولين المحليين لم يبالوا؛ فقد كان اهتمامهم منصباً على ثروته الذائعة الصيت. كانوا يرحبون بكل من يقدم طلباً للحصول على ترخيص لإنشاء كازينو، ما دام مقدم الطلب يلتزم القواعد الصارمة ولا تربطه أي صلة بعالم الجريمة المنظمة. خلال السنة الأولى بعد تشريع القمار، تقدمت ستٌّ وثلاثون شركة[1] باقتراحات لإنشاء صالات ألعاب قمار. وبينما كان ترامب يمعن التفكير[2] في خططه خلال العامين التاليين، بدأت ستة كازينوهات العمل. جال ترامب[3] في أحد الفنادق الجديدة، وهو التروبيكانا، وأصر على أن يريه المسؤول عن القمار في الكازينو كل طابق من طوابق المبنى.

ركز ترامب اهتمامه على قطع الأراضي الموجودة على طول الممشى الخشبي، وقدم نفسه إلى المسؤولين في أتلانتيك سيتي بوصفه قطباً شاباً في عالم الأعمال. والواقع أنه كان قد كسب ملايين الدولارات من عمولات[4] لصفقات في نيويورك، بما في ذلك أجره على سمسرة صفقة الحصول على أرض لإنشاء برج ترامب. كان يقود سيارة مرسيدس SL ذات البابين، ويستخدم في تنقلاته سيارة كاديلاك فارهة مستأجرة عبر شركته العقارية. في مطلع ١٩٨١، كان لا يزال، رغم بلوغه الرابعة والثلاثين[5]، يلجأ إلى والده للحصول على النقد. وكان قد اقترض أخيراً من فريد ترامب مبلغ سبعة ملايين ونصف المليون دولار لدفع الديون المتراكمة عليه جزئياً أثناء تطوير خططه لأتلانتيك سيتي.

كان على ترامب الحصول على ترخيص لإدارة كازينو، وكان ذلك يتطلب إجراء مراجعة لوضعه المالي وتدقيقاً لخلفيته. عندما تفحص منظمو ألعاب القمار وضعه المالي توصلوا إلى الاستنتاج أن شركته سوف تصير تحت طائلة ديون كثيرة. قال

1 O'Brien, *Trump Nation*, 116.

2 Rutgers University, Atlantic City Timeline, December 1980, ttp://governors.rutgers.edu/on-governors/nj-governors/governor-brendan-t-byrne-administration/governor-brendan-t-byrne-issues-atlantic-city/atlantic-city -timeline-1614-2010-2/

3 Paul Rubeli interview with Robert O'Harrow, *Washington Post*, December 2015.

4 Barrett, *Trump*, 156.

5 New Jersey Division of Gaming Enforcement report to the Casino Control Commission, October 16, 1981, 29-31.

ترامب للمنظمين[1] إنه سيجمع مئة وخمسة وسبعين مليون دولار لإطلاق مشروعه في أتلانتيك سيتي مستفيداً من الفعالية المالية لممتلكاته العقارية الحالية. بموجب خطته، كان سيحصل على قرض بقيمة مئة مليون دولار بضمانة حصته البالغة ٥٠٪ في غراند حياة. أما المبلغ الباقي، فسيكون تأمينه بضمانة الحجز على كازينو فندق أتلانتيك سيتي، وهو بناء لم يكن موجوداً آنذاك. طلب ترامب من المسؤولين عن ألعاب القمار في الولاية أن يثقوا به، وليس بالضرورة بالأموال التي كانت بحوزته.

بموجب قانون الولاية، كان على ترامب التصريح هل كان "قد مثل أمام القضاء، أو اتُّهم أو أُدين رسمياً بأي مخالفة لتشريع أو لنظام أو لقانون خاص بأي ولاية أو منطقة أو بلَدية أو حكومة فيدرالية أو وطنية، عدا مخالفة جنائية أو مسلكية أو مخالفة وسيلة نقل". في البداية، تغافل ترامب[2] عن إعلام لجنة الإشراف على الكازينوهات بالدعوة التي أقامتها ضده وزارة العدل قبل بضع سنوات بشأن حقوق الإنسان، والتي واجه فيها تهمة التمييز العرقي. في نهاية المطاف، وبينما كانت تظهر نتائج التدقيق في خلفيته، كشف هو عن الدعوى أثناء تبادل الحديث مع منظمي ألعاب القمار.

أظهر تدقيقُ خلفيته أيضاً أن ترامب كانت له اتصالات مع أشخاص مرتبطين بالجريمة المنظمة. كان من شأن ذلك أن يمثل إنذاراً بالخطر. فعندما وقَّع الحاكم برندان بايرن Brendan Byrne[3] قانون القمار الخاص بنيوجرسي، صرح قائلاً: "قلت ذلك سابقاً وسأكرر ما قلته لرجال الجريمة المنظمة: أبعدوا أيديكم القذرة عن أتلانتيك سيتي. لا تقربوا هذه الولاية". كان هناك سبب موجب للقلق. فقد أظهرت المراجعات[4] التي أجرتها لجنة التحقيق في الولاية أنه، وبدءاً من عام ١٩٧٤، أي بعد مدة قصيرة من اعتزام الولاية تشريع القمار، تبيَّن وجود "نمط أولي من اختراق الجريمة المنظمة بعض المشاريع القانونية"، بما في ذلك شركات بيع السجائر والحانات المحلية في أتلانتيك سيتي. كانت العصابات تريد حصتها من الأعمال.

---

١ المصدر نفسه، ص ١٧.

٢ المصدر نفسه، ص ٨٥.

3 Donald Linsky, *New Jersey Governor Brendan T. Byrne: The Man Who Couldn't Be Bought* (Teaneck, NJ: Farleigh Dickinson University Press, 2014), 188.

4 State of New Jersey Commission on Investigation, "Incursion of Organized Crime into Certain Legitimate Businesses in Atlantic City," December 1977, ii.

في حزيران/يونيو ١٩٨٠، وبينما كان ترامب يكثّف مساعيه للعثور على أملاك يشتريها، استرعت انتباهه قطعة أرض تمتد على طول الممشى الخشبي كان قد اشتراها قبل أسابيع رجلان من ذوي العلاقات المشبوهة. كان أحدهما مرتبطاً بعائلة سكارفو Scarfo الإجرامية في فيلاديلفيا، وهي منظمة عنيفة[1] تسيطر بقبضة حديدية على النقابة المؤلفة من عشرين ألف شخص، التي كانت تمثّل عمال الفنادق والكازينوهات في أتلانتيك سيتي. كان الرجل المرتبط بعائلة سكارفو، وهو كيني شابيرو Kenny Shapiro يعمل سابقاً تاجر حديد خردة في فيلاديلفيا وصار متعهد عقارات في جرسي شور. كان شابيرو يعمل خبيراً مالياً لدى سكارفو[2] في ساوث جرسي وفيلاديلفيا، كما كانت تربطه علاقة عمل وثيقة مع دانيال سوليفان Daniel Sullivan[3]، وهو سائق شاحنة سابق، ومع تيمستر Teamster الذي كان يملك شركة لتصريف القمامة، وقد رد اسمه لاحقاً في قضية كانت معروضة أمام إحدى المحاكم بوصفه مخبراً يعمل لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي[4].

كان موقع قطعة الأرض مناسباً تماماً، فقد كانت مجاورة لمبنى قاعة المؤتمرات الذي هو من معالم المدينة. لم يُضِع ترامب وشركته وقتاً، فبدأ السعي مباشرة. في تموز/يوليو[5]، وافق ترامب على دفع عشرات الملايين كرسوم ترخيص للملكية عن السنوات الخمس عشرة التالية. كانت تلك ضربة حظ مفاجئة استثنائية لسوليفان ولشابيرو ولشركتهما الصغيرة. إلى ذلك، قال ترامب للمحققين إنه أُعجب بمهارات سوليفان في التفاوض لدرجة أنه زكّاه للعمل في غراند حياة في نيويورك. وظف ترامب سوليفان ليعمل مفاوضاً لتسوية "مشكلات العمال" مع النقابة التي تمثّل العاملين في الفندق والمطعم في غراند حياة، كما رتّب له[6] فرصة اللقاء بالمصرفي الخاص به في مصرف تشيز مانهاتن، وكانت نتيجة هذا التقديم حصول سوليفان على قرض بقيمة

1 Joseph F. Sullivan, "U.S. Lawsuit Says Mob Controls Union in Atlantic City Casinos," *New York Times*, December 19,

2 New Jersey State Commission of Investigation report on organized crime, 1992, 33–57.

3 New Jersey Division of Gaming Enforcement report, October 16, 1981, 92–95.

4 Sullivan obituary, *Philadelphia Inquirer*, October 18, 1993.

5 New Jersey Division of Gaming Enforcement report, October 16, 1981, 92.

٦ المصدر نفسه، ص ٩٤-٩٥.

عدة ملايين من الدولارات. شعر منظمو شؤون الكازينوهات بالقلق وبدؤوا يتفحّصون الارتباطات.

قال ترامب بعد سنوات إنه لم يكن يعرف سوليفان وشابيرو معرفة جيدة. كان يصنّفهما[1] "رجلين قويين"، كما أنه سمع ذات يوم إشاعة تقول إن سوليفان هو من قتل جيمي هوفا Jimmy Hoffa، الذي كان يوماً زعيم نقابة عمال شركة Teamster، والذي اختفى في حادثة مشهورة عام ١٩٧٥ ولم يعاود الظهور. وقال ترامب مسترجعاً الأحداث الماضية: "عندما سمعت الإشاعة التزمت الحذر. قلت لنفسي: لا أريد صداقة هذا الرجل"، لكن ترامب قال للجنة الإشراف على الكازينوهات، عام ١٩٨٢: "لا أعتقد[2] أن ثمة ما يريب بشأن هذين الرجلين. فقد كان يوجد العديد من أمثالهما في أتلانتيك سيتي منذ سنوات عدة، وأعتقد أنهما يتمتعان بسمعة طيبة".

مع ذلك، كان ترامب يعي تورط رجال العصابات في أتلانتيك سيتي، فقد قال خلال أحاديث سرية مع عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالية، الذين اتصلوا به في نيسان/أبريل ١٩٨١ بشأن دور الجريمة المنظمة، إنه "كان قد قرأ في الصحف وسمع من العديد من معارفه أن عناصر الجريمة المنظمة[3] كانوا معروفين بأنهم ينشطون في أتلانتيك سيتي"، كما ورد في التقرير الموجز لمكتب التحقيقات الفيدرالي أن ترامب قال لعملاء المكتب إنه "كان يريد بناء كازينو في أتلانتيك سيتي، لكنه لم يكن راغباً في تلويث اسم عائلته". رغم ذلك، وبعدما بدأت التساؤلات حول انخراط سوليفان وشابيرو في العرض الذي قدمه ترامب، أجّلت لجنة الإشراف على الكازينوهات إصدار موافقتها النهائية على منحه ترخيص الكازينو. طلبت منه اللجنة إنهاء علاقته بالأشخاص المرتبطين بعائلة سكارفو الإجرامية وذلك بإلغاء الترخيص الذي حصل عليه بشأن الأرض وشرائها بكاملها، ولكن، حتى صفقة البيع كانت ضربة حظ موفقة لسوليفان ولشابيرو، فقد دفع لهما ترامب[4] ثمانية ملايين دولار، أي ما يقارب ثلاثة

1 O'Brien, *Trump Nation*, 118.

٢ المصدر نفسه.

3 FBI memo from Supervisor Damon T. Taylor, September 22, 1981, http://www.thesmokinggun.com/documents/crime/donald-trump-worried-about-oc-ac-0#lightbox-popup-1.

4 New Jersey Division of Gaming Enforcement report, October 16, 1981, 92; *Albert M. Greenfield and Co. v. SSG Enterprises et al.*, 213 NJ Super. 1(1986), 516 A.2d 250, decided

أضعاف المبلغ الذي دفعه الرجلان عند شراء الأرض قبل ثلاث سنوات.

في الرابع عشر من آذار/مارس ١٩٨٢، وافقت لجنة الإشراف على الكازينوهات على طلب ترامب الحصول على ترخيص للكازينو. كان ترامب يريد بناء أكبر كازينو-فندق في المدينة: تسعة وثلاثون طابقاً[1] تضم ستمئة وأربع عشرة غرفة. كاد المسؤولون في أتلانتيك سيتي أن ينحنوا أمامه. لم يكترثوا لأنه لم يكن يتمتع بالخبرة الكافية لإدارة كازينو، ولا لأنه لم يجمع المال بعد، ولا لأنه تعرض للتحقيق بسبب تعاملاته مع أشخاص مرتبطين بالجريمة المنظمة؛ بالنسبة إلى المسؤولين، كان وجود ترامب يؤشر على أن المدينة تسير في طريق التعافي. قال كارل زيتز، Carl Zeitz، أحد أعضاء اللجنة: "شعر الناس بالحماسة[2] لمجيء شخص لم يكن مجرد مضارب آخر من نيفادا". تمّ التصديق على الترخيص خلال أقل من ساعتين.[3]

بينما كان ترامب يمضي في تنفيذ خططه، دفعته فطنته إلى تحسين صورته، فقد صار يرتدي بذلات سوداً مع قمصان بيض وربطة عنق زرقاء أو حمراء، ويرتدي معطفاً أسود بقبّة من المخمل. كان صحافيو مدينة نيويورك ومحررو أعمدة الشائعات يتبعونه كظله. كان توقيت ترامب ممتازاً، بل إن بعض المحللين تنبؤوا بأن أتلانتيك سيتي ربما صارت، مع نهاية ذلك العقد، تتفوق على لاس فيغاس التي كانت تمثل المقصد الأول[4] للمقامرين في البلاد. مع ذلك، كان ترامب بحاجة إلى شريك يساعده في تمويل وإدارة الكازينو. ولإغراء أحدهم بالانضمام إليه، لجأ إلى التضليل.

في حزيران/يونيو ١٩٨٢، استضاف ترامب أعضاء هيئة إدارة شركة Harrah's، وهي شركة تابعة لـ .Holiday Corp، أي الشركة التي كانت تملك أيضاً فندق هوليدي إن الكائن في الموقع المقترح للكازينو، أي الأرض التي حصل ترامب على ترخيص فيها ثم اشتراها من سوليفان وشابيرو. لم تكن شركة Trump Organization قد نفذت

October 2, 1986; and Barrett, *Trump*, 232.

1 Donald Janson, "10th and Largest Casino Opens in Atlantic City," *New York Times*, May 15, 1984.

2 Carl Zeitz interview with Shawn Boburg, *Washington Post*, 2016.

3 Donald Janson, "Trump Assured Casino License," *New York Times*, March 16, 1982.

٤ "ازدياد أرباح الكازينوهات بعد الانهيار الذي لحق بأتلانتيك سيتي" New York Times, August 30, 1982.

سوى بعض الأعمال القليلة في موقع الإنشاء. ولكي يُحدِث ترامب انطباعاً جيداً لدى موظفي Harrah's، أوعز إلى العمال بحفر الأرض وتكويم التراب الناتج عن الحفر حول قطعة أرض مساحتها فدانان. وأوصاهم بجعْل المكان يبدو كأنه "الموقع الإنشائي الأكثر نشاطاً في تاريخ العالم".[1] خلال الجولة، سأل أحدُ موظفي شركة Harrah's عن السبب الذي يدفع أحد العمال 'لى ملء إحدى الحفر بسرعة مع أنه كان قد حفرها للتو. شعر ترامب بالارتياح كوْن السائل لم يكن أكثر تشكيكاً. يستعيد ترامب بجذل ذكرى خديعته الصغيرة تلك: "غادر أعضاء مجلس الإدارة [في شركة Harrah's][2] الموقع مقتنعين تماماً بأن الخيار كان موفقاً".

بعد ثلاثة أسابيع[3]، وافقت شركة Harrah's على استثمار خمسين مليون دولار مباشرة، وتأمين الأموال اللازمة للبناء، وإدارة الكازينو-الفندق بعد الانتهاء من بنائه، لكن ترامب لم يتعهد من جانبه بأي مخاطرة. ففي مقابل نصف الأرباح، قدَّم هو ترخيص الكازينو والأرض ووافق على بناء المنشأة لقاء أجر إنشاء إضافي. عام ١٩٨٣، وعندما كان الكازينو الفندق قيد الإنشاء، زار والد ترامب، فريد، أتلانتيك سيتي. وبينما كان أحد المهندسين العاملين في الموقع يجول به في الورشة، تأمل فريد الهيكل الفولاذي الذي بدأ يتخذ شكلاً على طول الممشى الخشبي، وقال معبراً عن دهشة ممزوجة بالفخر: "لقد نصحت دونالد يوماً بالابتعاد عن مانهاتن، انظر إليه الآن".[4]

صار ترامب يملك حصة في أول كازينو تنشئه شركة Harrah's[5] في ترامب بلازا، الذي افتُتح في ربيع ١٩٨٤. كان يشرف على الممشى الخشبي، وكان أعلى مبنى في أتلانتيك سيتي، بخطوطه المنسابة بسلاسة، وبأضواء النيون المغايرة للقبة الصماء التي تعلو مقر المؤتمرات المجاور، لكن ماكينات القمار العاملة بالقطع النقدية، ووسائل الإنذار عن الحريق، التي لم تعمل كما ينبغي، شوهت حفل الافتتاح، كما أن الأموال

1 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 143.

٢ المصدر نفسه، ص ٢١٥.

3 Donald Janson, "Trump and Harrah's Feud over Name," *New York Times*, August 13, 1985.

٤ مقابلة فرانك ليندي Frank Lundy الثالث مع شون بوبورغ، **واشنطن بوست**، ١٢ أيار/مايو، ٢٠١٦.

5 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 217; and Janson, "10th and Largest Casino Opens."

لم تتدفق بسرعة كما كان متوقعاً. تحقق في العام الأول نصف الأرباح التي كانت مقررة. ألقى ترامب جزءاً من الملامة على الاسم وبدأ حملة لإزالة أي إشارة إلى شركة Harrah's، فقد خطر له أن المقامرين التبس عليهم الأمر فظنوا أن الكازينو هو منشأة أخرى لشركة Harrah's في أتلانتيك سيتي. أصرّ على إطلاق اسم ترامب بلازا على الكازينو، قائلاً: "لقد أوجدْتُ القيمة الكامنة في اسمي"، واتهم شركة Harrah's بسوء إدارة الكازينو. قال: "لقد منحتهم سيارة لامبورغيني[1] لكنهم لم يعرفوا كيف يشغّلونها". رد ممثل الشركة بأن "الأكاذيب التي لا يمكن السكوت عنها" التي يتفوه بها ترامب قد قوضت الشراكة بينهما. وبعد الدعاوى القضائية والدعاوى المضادة، باعت شركة Harrah's حصتها البالغة ٥٠%، وبذلك منحت ترامب كامل ملكية المنشأة التي صارت، دون أي لبس، فندق وكازينو ترامب بلازا.

***

انتصر ترامب، لكنه لم يكتفِ بكازينو واحد. في شباط/فبراير ١٩٨٥، برزت فرصة لا تعوض للحصول على كازينو آخر. كانت شركة Hilton Corp. تضع اللمسات النهائية على كازينو–فندق يقع في منطقة رسو الزوارق، وقد وصلت كلفته إلى مئتين وسبعين مليون دولار. وكانت الشركة التي يديرها بارون هيلتون Barron Hilton، قد وظفت أكثر من ألف عامل، لكن لجنة الإشراف على الكازينوهات فاجأت شركة Hilton، قبل ثلاثة أشهر من تاريخ الافتتاح، برفضها منحها ترخيص عمل بسبب علاقة الشركة بمحامٍ مرتبط برجال العصابات[2] (لكن اللجنة المذكورة لم تكترث لاعتماد ترامب على محاميه، روي كوهين، الذي كان يمثل عائلات المافيا في نيويورك).

اقتنص ترامب فرصة المحنة التي كانت تمر بها شركة Hilton، وعرض شراء المكان لأنه كان أصلاً مؤهلاً للحصول على ترخيص. في الربيع[3]، وافق ترامب على دفع مبلغ

1 Janson, "Trump and Harrah's Feud"; Janson, "10th and Largest Casino Opens";
ومقابلة جون أودونيل مع مايكل كرانيش، **واشنطن بوست**، ٢ أيار/مايو، ٢٠١٦.

2 Al Delugach, "New Jersey Regulators Cite Ties with Korshak," *Los Angeles Times*, March 1, 1985.

3 Barrett, *Trump*, 254.

ثلاثمئة وعشرين مليون دولار، متغلباً بذلك على قطب الكازينوهات في لاس فيغاس، ستيف واين Steve Wynn. كانت مقامرة استثنائية. فلم تكن قدماه قد وطئتا داخل الكازينو، وفي ذلك تجاهُل لنصيحة والده بتفحّص حتى أصغر الممتلكات بدقة قبل الاستثمار فيها. كان ترامب في شبابه يراقب والده وهو يدقق كل شيء، من المغاسل إلى مراجل الماء. اعترف ترامب لاحقاً بأنه لو أخبر والده أنه لم يزر منشأة Hilton "لظن أنني فقدت عقلي"[1]، كما أقر بأنه سيضطر إلى تحمُّل المسؤولية المالية وسط شكوك في إمكانية دعم السوق للكازينو، لكنه كان مقتنعاً بأن تلك المنشأة سوف "تدرّ أرباحاً طائلة".

حصل ترامب على كازينو ثانٍ، شبيه بالأول في الحجم، مع فندق يشغل ستين ألف قدم مربع ويضم ستمئة وخمس عشرة غرفة، وموقف سيارات يتسع لثلاثة آلاف سيارة. حمل الكازينو في ما بعد اسم فندق وكازينو ترامب كاسل. كان يتربع على الطرف الغربي من الجزيرة التي تشكل حاجزاً، بعيداً عن الممشى الخشبي ومجاوراً لحوض رسو الزوارق. كانت الأضواء البراقة[2] مصفوفة على شكل تيجان، وهو ما أوحى بشعار الدعاية الذي وصف المنشأة بأنها "جوهرة تاج أتلانتيك سيتي". صار ترامب الآن بحاجة إلى شخص يساعده في إدارة الكازينو. استشار أصدقاءه وزملاءه وبعض الخبراء، لكن خياره صدم الجميع: اختار زوجته إيفانا. كانت إيفانا، على غرار ترامب، تفتقر إلى الخبرة في إدارة الكازينوهات، لكنها كانت تتمتع بذوق رفيع، رغم أنه ذوق مكلف، كما كانت تحظى بثقة ترامب، في البداية على الأقل. كان يصفها بأنها "مديرة بالفطرة"[3]. تساءل بعض أصدقائه لاحقاً هل كان قد عينها في هذا الموقع ليتسنى له إقامة علاقات مع النساء في مانهاتن، أو لإبعادها عن مشاريعه الإنشائية في نيويورك. على أي حال، كان دور إيفانا مهماً، فقد كانت تعمل نائب مدير والمدير التنفيذي الرئيسي في ترامب كاسل، حيث كانت تُعامِل بوصفها المديرة، لا مجرد زوجة المدير. كانت غالباً ما تستثير غيظ مديري ترامب الآخرين الذين اعتقدوا أنها تدعم كازينو كاسل على حساب كازينو بلازا. وكان موظفو ترامب الآخرون يرون

1 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 239–40.

2 Barrett, *Trump*, 254.

3 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 29–30.

أن التنافس داخل الشركة الواحدة[1] ينذر بصعوبات مستقبلية.

أدرك ترامب في نهاية المطاف أنه بحاجة إلى مديرين تنفيذيين ممن يتمتعون بخبرة كافية من أجل إدارة الكازينوهين. سبر المتقدمين للعمل، واختار ستيفن هايد Stephen Hyde، وهو رجل ورع من طائفة المورمون ورب أسرة كبيرة. كانت كنيسة Latter–day Saints تعارض القمار لكن مجال الكازينوهات كان يضم العديد من الموظفين من طائفة المورمون في مناصب رفيعة، فقد كان المديرون يعتقدون أن المؤمنين الحقيقيين لن يضعفوا أمام إغراء المقامرة. كان هايد رجلاً متماسك الشخصية معسول اللسان، كما كان معروفاً أنه من أمهر مديري ألعاب القمار في البلاد، إضافة إلى أنه كان يعمل أخيراً لدى ستيفن واين، منافس ترامب. كان ترامب، الذي قال عن نفسه ذات يوم "بإمكاني أن أزعق أحياناً"[2]، يهين هايد ويشتمه[3] أمام المديرين الآخرين، لكنه كان يدرك تماماً مقدرات هايد، ولذلك ائتمنه على عمل كان يحتمل أن تصل قيمته إلى مليارات الدولارات. كان هايد، كما وصفه ترامب "شخصاً حاد الذكاء[4]، ذا طبيعة تنافسية، لكن الأهم من كل ذلك، كان يتمتع بحسٍّ يجعله يجيد الإدارة لتحقيق الأساسيات". كان ترامب طوال حياته المهنية يعتمد على دائرة صغيرة من المستشارين، وصار هايد ضمن الأشخاص الذين يتمتعون بأقصى درجات الثقة لدى ترامب. وكان ذلك يعني أن بعض المديرين في مناصب رفيعة كانوا يشعرون بأنهم مستبعَدون، وبأنهم عاجزون عن نقل دواعي قلقهم إلى ترامب دون المرور بتلك الحلقة الضيقة المحيطة به.[5] كان موقع هايد في قمة سلسلة القيادة.

كانت الدهشة تتملك زملاء هايد إزاء مقدرته على توقُّع مزاج ترامب وحماية موظفي المستوى المتوسط من انفجار غضبه. أحياناً، كان ترامب يزور الكازينوهين دون إنذار، ويسأل العاملين في الدرجات الدنيا عن أداء المديرين ويدلي بملاحظاته حول مظهر المَرافق. ذات يوم، صرف مديراً في منشأة كاسيل بعد عثوره على أعقاب

١ المصدر نفسه، ص ٨١.

2 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 242.

3 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 30–31, 34;

ومقابلة مع جون أودونيل

4 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 220.

٥ مقابلة مع جون أودونيل.

أربع سجائر على أحد الأدراج التي يستخدمها موظفو الكازينو. وفي كازينو بلازا، كان هايد غالباً ما يتبع دونالد في جولاته لتلطيف أجواء تعامله مع العمال أو الزبائن. صار هايد ماهراً في توجيه مسار المدير بلطف، فيرى الأمور كما يرغب. كان الرجلان يتحدثان بالهاتف لساعات، وأحياناً في ساعات متأخرة من الليل، حول شؤون خاصة. قال أحد زملائه السابقين، إن هايد "ربما كان الشخص الوحيد الذي يثق به دونالد فعلياً[1]... أكثر صديق مقرب حظي به ترامب". كان مديراً لا يمكن لترامب الاستغناء عنه.

بينما كان ترامب يبني إمبراطوريته، غدا أكثر عدائية في صدامه مع منافسيه. بدأ، في منتصف ١٩٨٦، يذهب في جولات محمومة لشراء أسهم بأموال كان يقترضها.[2] أنفق سبعين مليون دولار[3] لشراء حصص في شركة Holiday Inn، الشركة الأم لـHarrah's، منافسته اللدود وشريكته السابقة، ثم أنفق ما يقارب اثنين وستين مليون دولار[4] لشراء ١٠% من شركة .Bally Manufacturing Corp، التي كانت أيضاً تملك كازينو في أتلانتيك سيتي. كان ترامب يصر على أنه كان يسعى وراء فرص استثمارية، فقط، لكن المنافسين رأوا في شرائه الأسهم نذيراً بعملية استيلاء عدائية، فنفّذوا إجراء متطرفاً، بعدما حصلوا على قرض إضافي، لكي يجعلوا من أنفسهم أهدافاً أقل جاذبية لعمليات الاستيلاء. تراجع ترامب[5]، لكنه كسب أرباحاً طائلة. إذ باع حصته في شركة Holiday Inn بربح تجاوز اثني عشر مليون دولار. وافقت شركة Bally على معاودة شراء حصة ترامب في صفقة سرية، ولكن مع زيادة في السعر. تُرِكَت الشركتان لمصيرهما المضطرب.

مع ذلك، لم تُعْجِب تلك الصفقات لجنة الإشراف على الكازينوهات، وكان السبب جزئياً أن جهود شركة Bally للوقوف بوجه ترامب أدت إلى انهيار الشركة مالياً. اتهم أعضاءُ اللجنة ترامب بممارسة "ابتزاز فج"، أي التهديد بالاستيلاء على الشركة بهدف انتزاع أسعار مخفضة للأسهم. في جلسة استماع تمّت في نيسان/

1 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 56-57, 77.

2 Barrett, *Trump*, 408.

3 New Jersey Division of Gaming Enforcement report, Trump Plaza Renewal, April 7, 1987, 33.

٤ المصدر نفسه، ص ٣٨.

٥ المصدر نفسه، ص ٤٠-٥٠.

أبريل[1] ١٩٨٧، سُئل ترامب هل كان قد نوى عمداً تدمير الشركة. قال: "أبداً. ما فعلته أمر قانوني تماماً".

غضب رئيس اللجنة، والتر ن. ريد Walter N. Read، ووجّه الاتهام إلى شركة Trump Organization[2] باستغلال تراخيص الكازينوهات التي بحوزتها وباستخدامها "سلاحاً لإضعاف أو لتقويض السلامة المالية للمنافسين". وجّه ريد تحذيراً مفاده أنه سيجري اقتراعاً لإلغاء ترخيص أي جهة مشغّلة لكازينو ترتكب الفعل نفسه في المستقبل. في نهاية المطاف، تجاوزت اللجنة الموضوع، وجدّدت ترخيص ترامب، لكن لجنة التجارة الفيدرالية قالت إن ترامب لم يكن يعمل وفقاً للنظم الموضوعة لمنع حدوث حالات منافية للتنافس من أجل الدمج أو الحصول على ممتلكات. في ١٩٨٨، ادَّعت وزارة العدل الأميركية أن ترامب، عند شرائه أسهم شركتي Holiday Corp. و Bally، لم يقدم إلى السلطات مذكرة في الوقت المناسب كما تقضي القوانين الفيدرالية المعارضة للاتحادات الاحتكارية. لم يُقِر ترامب مخالفته القانون، لكنه وافق على تسوية الشكوى[3] بدفع غرامة بقيمة سبعمئة وخمسين ألف دولار.

سُمِحَ لترامب بامتلاك ثلاثة كازينوهات في أتلانتيك سيتي، لكنه امتلك اثنين فقط، ولذلك بدأ يستكشف الأبنية، ولكن تبيَّن أن إستراتيجيته كانت محفوفة بالمخاطر. على سبيل المثال، كان بإمكان شركة واحدة التسويق لكازينوهين لنوعين مختلفين من المقامرين، الطبقة العاملة في أحدهما، والأثرياء من كل نواحي العالم في الآخر، لكن كازينو ثالث بإمكانه شفط زبائن ومكاسب الاثنين الأوليين، ما يتسبب في انهيار الثلاثة. مع ذلك، كان ترامب قد اتخذ قراره. كان يريد المزيد. استرعى انتباهه مشروع كازينو متعثر تبنيه شركة Resorts International. صارت تلك المنشأة متاحة على نحو غير متوقع، تماماً مثل ما حدث مع كازينو Hilton. كان مؤسس شركة Resorts، جيمس كروسبي James Crosby، قد توفّي في العام الأسبق أثناء عملية جراحية، وبدأت أرباح الشركة تتضاءل. فخلال السنوات

1 New Jersey Casino Control Commission hearing transcript, April 20, 1987, vol. 1, 52, 123–24.

2 Casino Control Commission hearing transcript, Plaza license renewal, April 22, 1987, 240–42.

3 *United States v. Donald J. Trump*, Civil Action No. 88-0929, Final Judgment, April 11, 1988.

الثلاث السابقة[1]، كانت شركة Resorts قد أنفقت ما يقارب خمسمئة مليون دولار لتحقيق الحلم الكبير لكروسبي وهو إنشاء كازينو جديد: تاج محل ذو الألف غرفة. عندما بادر ترامب، كان نصف المشروع فقط قد اكتمل، كما كان تمويل الأعمال الإنشائية يتناقص تدريجياً. كان هناك من رأى تاج محل هدراً للمال. حاول اثنان من مستشاري ترامب المخلصين إقناعه بالعدول[2] عن الاستثمار في الكازينو، لكن ترامب، الذي كان قد بلغ الأربعين، رأى في المشروع آلة ستدر عليه المال. عقَد صفقات لشراء حصة Resorts من ورثة كروسبي، وكان بذلك يسعى إلى السيطرة على الشركة. كان يتوقع أنه إذا امتلك ثلاثة كازينوهات، فسوف يهيمن على قطاع القمار على الشاطئ الشرقي.

بدا ترامب متهيئاً للفوز. كانت مجلة **فوربس**، قبل عام، قد قدَّرت أنه يشغل المرتبة الخمسين في قائمة أغنى الأشخاص في أميركا، وأن ثروته تبلغ سبعمئة مليون دولار[3]. كان لا يتوقف عن شراء ممتلكات "تذكارية" تدعم صورته بأن لديه من المال ما يسمح له بالهدر دون حساب. اشترى أكبر يخت في العالم، وكان سابقاً مُلكاً للسعودي عدنان خاشقجي، بمبلغ تسعة وعشرين مليون دولار، وأنفق على تجديده ثمانية ملايين دولار. أطلق على اليخت اسم ترامب برينسيس Trump Princess، وكان يخطط لتعويض كلفته بتأجيره لكازينو كاسل بمبلغ أربعمئة ألف دولار شهرياً، وفي ذلك هدر مالي للمنشأة. كان اليخت، الذي يبلغ طوله مئتين واثنين وثمانين قدماً، يضم مهبطاً لطائرة هيلوكبتر وحوض سباحة وصالة ديسكو وغرفة لعرض الأفلام السينمائية، ومئتي هاتف، وكان بإمكانه استيعاب طاقم من اثنين وخمسين موظفاً. طلى ترامب المغاسل، وحتى البراغي، بالذهب. لم يكن حتى من هواة الإبحار. كان يخت برينسيس أشبه بعرض فخم راسٍ في حوض الزوارق يعزز قيمة العلامة المميزة لترامب، وكان يمكن للمقامرين الأثرياء قضاء وقت ممتع فيه. بعد إزاحة الستار عن يخت برينسيس أمام أنظار الجمهور الذي تملّكه الإعجاب، انتقل ترامب من برينسيس

1 Lenny Glynn, "Trump's Taj–Open at Last, with a Scary Appetite," *New York Times*, April 8, 1990.

2 Blair, *Trumps*, 389.

٣ المصدر نفسه، ص ٣٦٢–٣٦٣.

إلى كازينو كاسل[1] مع حاشيته في زورق مقطور. صاح أحد الواقفين: "دونالد، فلتكن رئيسنا المقبل".

كان الأمر يبدو كأن ترامب لا يستطيع الإنفاق بالسرعة الكافية. في ١٩٨٨، كان قد دفع ثلاثمئة وخمسة وستين مليون دولار لشراء طائرات ومسارات طيران من شركة Eastern Airlines، التي حوّلها إلى شركة رحلات مكوكية Northeastern.[2] كما دفع مبلغ أربعمئة وسبعة ملايين دولار لفندق بلازا، وكان مبنى ذا قيمة رمزية أشبه بالقصر القديم يقع قبالة حديقة سنترال بارك. وفي كلا الصفقتين، اقترض ترامب الجزء الأكبر من المبلغ اللازم، وقال المحللون إنه دفع أكثر مما ينبغي. أثقلت الصفقتان كاهله بعبء الديون في الوقت الذي كان يحسّن فيه مستوى إمبراطوريته الخاصة بالقمار على طول الممشى الخشبي، وقد أرّقته الصفقتان طويلاً.

مع ذلك، رأت الأطراف الراغبة في تحسين وضع المدينة، آنذاك، في ترامب، المخلّص الذي وعدهم بأنه سيكون هو، وكانوا معجبين بمواهبه. كان رجل الاستعراضات الأول، الرجل الذي يقال أنه أغنى الأشخاص في البلاد، يعيد الحياة إلى المدينة المنتجع، وإلى حد ما، دون مساعدة من أحد. يقول ستيف بيرسكي Steve Perskie، أحد المشرّعين في الولاية، وهو من وضع مسوّدة القانون الذي شرّع القمار وصار لاحقاً رئيس لجنة الإشراف على الكازينوهات: "جاء [ترامب] عام ١٩٨٨ وقال: لقد أنجزت كذا، وأنجزت كذا، وأموراً أخرى أيضاً، نجح كل عمل لمستُه. قال الجميع: عظيم، رائع، أنت دونالد ترامب، أنت أكبر من أن تفشل"[3]، ولكن كان هناك جانب سلبي محتمل. إذا أخفق ترامب، فقد تنهار معه كل أتلانتيك سيتي. راهن ترامب على المدينة، لكنها راهنت أيضاً عليه. وكان ذلك مدعاة إلى التوتر.

كانت خطة ترامب للاستيلاء على شركة Resorts وإنهاء بناء تاج محل لا تخلو من التهور والجسارة. فقد تضخمت الكلفة التي كانت مقدّرة لإنهاء بناء تاج محل

---

1 Harry Hurt III, *Lost Tycoon: The Many Lives of Donald J. Trump* (London: Orion Books, 1994), 228; and David Johnston and Michael Schurman, "Trump's Ship Comes In-to Cheers," *Philadelphia Inquirer*, July 10, 1988.

2 David Segal, "What Donald Trump's Plaza Deal Reveals about His White House Bid," *New York Times*, January 16, 2016.

٣ مقابلة مع بيرسكي.

لتتجاوز ثمانمئة مليون دولار، ولم تكف عن الارتفاع. ولكي يربح ترامب من هذا الاستثمار، كان عليه إنهاء تاج محل وإنجاز هذا العمل في الوقت الذي كان فيه تأمين التمويل يصير أكثر صعوبة. في الوقت نفسه، كان سوق القمار يغدو أكثر تعقيداً. كانت عائدات أتلانتيك سيتي قد ارتفعت إلى مستويات غير مسبوقة، لكن أرباح الكازينوهات انخفضت نتيجة سوء الإدارة والمنافسة الشرسة. في ١٩٨٦[١]، وصلت عائدات القمار في كازينوهات المدينة إلى مليارين ونصف مليار دولار، لكن الربح لم يتجاوز أربعة وسبعين مليون دولار. بدأ رجل واحد، تحديداً، يعبّر عن القلق: رجل غير معروف كثيراً خارج عالم الكازينوهات، لكن آراءه كانت تُدرَس جيداً داخل عالم القمار.

***

رأى مارفن روفمان Marvin Roffman[٢] نذر المشكلات تلوح في الأفق. كان هذا الرجل منذ زمن طويل مفتوناً بمجال الكازينوهات، وهو ما دفعه إلى العمل محللاً للأوراق المالية الخاصة بألعاب القمار في شركة Janney Montgomery Scott، ومقرها فيلاديلفيا. تخصَّص روفمان في المشهد العام لأتلانتيك سيتي، وكان يتحدث علناً حول الوعود التي تقدمها مشاريعُ الأعمال ومخاطرها، ويقدم آراء وبيانات موثوقة إلى الصحافيين ومشغّلي الكازينوهات والمستثمرين، بمن في ذلك ترامب وكبار موظفيه. كان روفمان أشبه بناقد مسرحي في مدينة لا تضم سوى عدد ضئيل من المسارح، ما يعني أن آراءه كانت مهمة. في النتيجة، عندما قال في حزيران/يونيو ١٩٨٧ إن افتتاح تاج محل سيكون له تأثير ضاغط في الأرباح، اهتم المسؤولون في أتلانتيك سيتي بما قال. وعندما تنبأ بأن المدينة ستشهد مستقبلاً سنوات صعبة، أصغى مالكو الكازينوهات لما قال.

1 Marvin B. Roffman, "Casino Gambling in Atlantic City," June 11, 1987.

2 Marvin B. Roffman with Michael J. Schwager, *Take Charge of Your Financial Future: Straight Talk on Managing Your Money from the Financial Analyst Who Defied Donald Trump* (New York: Carol Publishing Group, 1994), vi–xxiii.

رغم ما سبق، لم يثبّط كل ذلك عزيمة ترامب. في تموز/يوليو ١٩٨٧[١]، أبرم صفقة بقيمة تسعة وسبعين مليون دولار اشترى فيها ٧٢% من أسهم التصويت في شركة Resorts، وغدا مدير الشركة وعين شقيقه روبرت وشخصاً آخر مقرّباً منه في مجلس الإدارة. وسرعان ما بدأ دونالد يبحث عن صفقات جانبية تتيح له الحصول على ثروة سريعة. لم يكن يتصرف بوصفه مستثمراً أو مديراً فقط، بل كان يلح لعقد "اتفاق خدمات شاملة" مربح ويجعل شركة Resorts مطالبة بأن تدفع له مقابل تأمين تمويل منشأة تاج محل وإدارتها. قُدِّرت قيمة الاتفاق بمئة وثمانية ملايين دولار لمدة خمس سنوات. في نهاية المطاف، خضعت Resorts لمطلب ترامب.

بدا كأن قوة ترامب تنطلق إلى أبعاد جديدة. كان قد انتهى للتوّ من وضعْ كتابه الجديد *Trump: the Art of the Deal* مع الصحافي توني شوارتز، وبدأ الكتاب يحدث ضجة. أمر ترامب الكازينوهيين اللذين يملكهما في أتلانتيك سيتي بزيادة نسبة المبيعات، وذلك عن طريق شراء ثمانية آلاف نسخة[٢] لتجري محاولات بيعها بزائري الكازينوهين، ثم تُهدى النسخ الباقية. كان الكتاب يصوّر ترامب أنّه رجل بارع الذكاء في عقد الصفقات، ولا يتورع عن الكسب على حساب شركائه، ناهيك عن أعدائه.

لكن، قبل أيام فقط من نشر *Trump: the Art of the Deal*، أصيب الاقتصاد بنكسة. في التاسع عشر من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٧، الذي صار يُعرف باسم الإثنين الأسود، هبط المعدل الصناعي لمؤشر داو جونز Dow Jones بنسبة ٢٣% تقريباً. وفّرت هذه الأزمةُ فرصةً لا تعوض بالنسبة إلى ترامب. فقد أدى الانهيار إلى تسارع هبوط أسعار[٣] أسهم شركة Resorts. وبينما كان ترامب قد اشترى غالبية أسهم التصويت، المعروفة بالفئة B، عرَض آنذاك شراء كل الأسهم العادية، المعروفة بالفئة A. وكان من شأن تلك الحركة المفاجئة المتهورة جعْل الشركة ملكاً خاصاً لترامب، وفي النتيجة، كما تصوَّر، تسهيل الحصول على الأموال اللازمة لإنهاء تاج محل. عرض ترامب في بيان صحافي على منظّمي أعمال القمار خياراً صعباً: كان بإمكانهم دعم

1 Casino Control Commission, "In the Matter of the Sale of Certain Shares of Class B Stock of Resorts International, Inc.," October 20, 1987, 2.

2 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 42.

٣ مقابلة مارفن روفمان مع روبرت أوهارو، **واشنطن بوست**، كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٥.

توجّهاته الجديدة، أو سيترك الموضوع برمته، وبذلك يتلاشى مشروع تاج محل. حذّرهم قائلاً: "لن يصير بالإمكان بناء تاج محل إلا بالدعم المالي[1] من شركة Trump Organization".

كان على ترامب إغراق نفسه بالديون لبناء تاج محل. وفي مدينة تحفل بالمقامرين، كان ترامب المقامر الأكبر.

في شباط/فبراير ١٩٨٨، مَثُلَ ترامب أمام لجنة الإشراف على الكازينوهات في جلسة استماع مخصصة للحصول على الترخيص. كانت المسألة الأساسية في الجلسة هي معرفة مدى قدرة ترامب على الحصول على التمويل في أعقاب انهيار الأسواق. أجاب ترامب[2] بأن المصرفيين، وبعد حصوله على كازينو تاج محل، سوف يستجيبون سريعاً لطلب القرض الذي قدمه، بل قال إن المصرفيين سوف يقفون في طابور بانتظار دورهم لتقديم المال إليه. أكد للّجنة أن ثمة أمراً واحداً لن يفعله. لن يسعى إلى الحصول على سندات خردة Junk bonds المحفوفة بالخطر وذات المردود العالي [أوراق مالية تصدرها عادة شركة تسعى إلى تأمين رأسمال سريع لتمويل عملية استيلاء]، فهذه السندات هي التي أطلقت جنون عمليات الاستيلاء. قال ترامب في شهادته إن السندات الخردة "مهزلة المضحك فيها أنها، في الواقع، هي التي تحوِّل الشركات إلى خردة". وأضاف أن المصارف كانت راغبة في منحه القروض بسعر الفائدة الأدنى -كان آنذاك ٩% أو أقل- أي أدنى بكثير مما كان المتعهدون الآخرون يأملون في الحصول عليه: "ما أود قوله هو أن المصارف تتصل بي طوال الوقت: هل نستطيع إقراضك النقود؟ هل يمكننا فعل كذا؟ أو كذا؟".

عبّر أعضاء اللجنة ومحاموها عن شكوكهم: كيف أمكن لترامب الحصول على صفقة جيدة على هذا النحو في الوقت الذي كان فيه الآخرون مضطرين إلى دفع مبالغ أكبر بكثير ليتمكنوا من الاقتراض؟ شرح ترامب الوضع بالقول: "من الأسهل تدبير التمويل إذا كان ترامب هو مالك العقار. عندما أكون موجوداً، تشعر المصارف أنها ستحصل حتماً على فائدتها". وأضاف أن وجوده ينطوي على مكمن جاذبية آخر

---

1 Donald Janson, "Trump Appears before Casino Panel," *New York Times*, February 14, 1988.

٢ شهادة ترامب أمام لجنة الإشراف على الكازينوهات، نص جلسة الاستماع، ٨ شباط/فبراير، ١٩٨٨، ص ٢٧٣-٢٧٤.

بالنسبة إلى المصرفيين: "أنا أنفّذ مشاريعي، ويكون الجميع راضين، وينتهي الأمر بنجاح كبير".

سأله مايكل فاكسيفتش Michael Vukcevich، وهو معاون النائب العام في الولاية: "هل هناك إمكانية حدوث شيء ما قد يتسبب في الإخفاق[1] وتعي أنت إمكانية حدوثه؟".

أجاب ترامب: "شيء ما قد يتسبب في الإخفاق؟ نعم. قد تحدث أزمة اقتصادية. يمكن للعالم أن ينهار. قد تندلع الحرب العالمية الثالثة. ما أعنيه هو أن بالإمكان فشل الكثير من الأمور. لا أعتقد أن ذلك سيحدث".

ضغط أعضاء اللجنة على ترامب بشأن خططه في زيادة المبلغ الذي سينفَق لبناء تاج محل، ليصل إلى مليار دولار، بعد إضافة أجنحة مترفة ومطاعم للذواقة وتجهيزات باذخة، وهو ما وصفته اللجنة بـ"المبالغات". سأله عضو اللجنة ي. كينيث بيردج Kenneth Burdge E.: "ألا يتوجَّب على الناس[2] العيش ضمن إمكاناتهم المالية؟".

قال ترامب إن التكاليف الإضافية ليست ذات أهمية. مع ذلك، هي ضرورية من أجل إبهار الزبائن. وأضاف: "نحن هنا، على الأرجح، نتحدث عن فرق يبلغ خمسين مليون دولار تقريباً. ما أعنيه[3] هو أن أسوأ ما يمكن أن يحدث لتاج محل، هو أن يُفتتح المبنى ويخيب أمل الناس فيه، لأن الأحاديث التي يتداولها الناس حول أمر كهذا تجعله أشبه بعرض في شارع برودواي". في ما بعد، أكّد ترامب[4] لأعضاء اللجنة: "كان موقفي الأساسي على الدوام هو رغبتي في إنجاز الأفضل بالنسبة إلى أتلانتيك سيتي".

كان ذلك بمنزلة أخبار جيدة لعدد كبير من مالكي الأعمال الصغيرة، وكان العديد منهم يرون ترامب أحد المحسنين الكبار للمدينة. كان من شأن تاج محل، فقط، إضفاء المزيد من الألق على أهم مراحل الازدهار في المدينة منذ عقود، إضافة إلى إرسائه أسساً متينة للمتعهدين المحليين، ولمزودي السلع ولآخرين ممن كان عملهم يمثل جزءاً لا يتجزأ من عمليات الكازينو. كان مارتي روزنبرغ Marty Rosenberg،

١ المصدر نفسه، ص ٣٠٠-٣٠١.
٢ المصدر نفسه، ص ٣٤٦.
٣ المصدر نفسه، ص ٣٤٧.
٤ المصدر نفسه، ص ٣٦٢-٣٦٤.

الشريك في ملكية Atlantic Plate Glass Co.، وهي شركة عائلية، شديد الثقة بترامب الذي كان قد دفع له المال المستحق له من الأعمال الإنشائية المعطلة لشركة Resorts، كما كلّفت شركةُ ترامب الشركةَ المذكورة القدرَ الذي تستطيع إنجازه من الأعمال، بما في ذلك تركيب زجاج عاكس على السطح الخارجي[1] وهو ما أضفى على تاج محل ذلك المظهر المبهرج. كانت مرحلة مربحة، فقد كان العمال يعملون على مدار الساعة. تدفقت الدولارات، وكان المبنى سيُفتتح في الوقت المقرر. قال روزنبرغ: "كان ذلك بمنزلة الانفجار، انفجار فعلي. وكان يعني استقراراً مالياً. كانت مرحلة ازدهار".

بينما كان ترامب يحاول إقناع المسؤولين عن التنظيم بأنه يملك المال الكافي لإنهاء تاج محل، برزت مشكلات في أحد ممتلكاته العاملة، وهو كازينو كاسل، الذي كان قد كلّف إيفانا إدارته. سأل ترامب أحد كبار مساعديه: "أليس هذا الكازينو أفضل منشأة في المدينة؟ أين تكمن المشكلة؟[2] لماذا لا يعمل كما ينبغي؟".

كان أحد الأسباب[3] هو بناء أربعة عشر طابقاً إضافياً فوق الفندق، وكانت تلك الطوابق على شكل برج كان قيد الإنشاء. وبحلول مطلع ١٩٨٨ كان قد نُفِّذ منه جزء لا بأس به، لكنه بدأ يؤثر في أساسات كازينو كاسل. كانت إيفانا قد أصرت على بناء الطوابق الإضافية بكلفة تبلغ أربعين مليون دولار لتضم سبعة وتسعين جناحاً مترفاً لجذب الأثرياء. وافق ترامب، آنذاك، خلافاً لنصيحة أحد مديريه التنفيذيين. دخل كازينو كاسل مرحلة الخطر وكان الأمر سينتهي به في ذلك العام بخسارة صافية للمرة الأولى. ازدادت حدة الصدامات بين إيفانا وباقي المديرين التنفيذيين العاملين لدى ترامب. يقول أحد مساعدي ترامب السابقين إن إيفانا كانت تشعر بالاستياء[4] نظراً إلى اضطرارها إلى مراجعة هايد، وبسبب العلاقة الوثيقة بين هايد وبين ترامب. في تلك الأثناء، لم يتوقف المديرون التنفيذيون عن التعبير عن غضبهم لأن إيفانا كانت تتسبب بإبعاد المقامرين عن باقي ممتلكات الشركة في أتلانتيك سيتي، بدلاً

١ مقابلة مارتي روزنبرغ مع شون بوبورغ، **واشنطن بوست**، ١٢ نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

2 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 121.

٣ المصدر نفسه، ص ٧٤.

٤ مقابلة مع جون أودونيل.

من اجتذاب زبائن جدد.

في الوقت نفسه، كان بعض المديرين يتعاطفون مع إيفانا[1]، بعدما علموا أن ترامب كان يعيش علاقة عاطفية مع مارلا ميبلز Marla Maples، وهي ممثلة وعارضة في نيويورك. في نهاية المطاف، نقل ترامب إيفانا من الكازينو وأعادها إلى نيويورك لإدارة فندق بلازا الذي اشتراه أخيراً. كانت لحظة حلوة ومريرة بالنسبة إلى إيفانا. في احتفال أقيم في كاسل لوداع إيفانا، بكت وهي تشكر العاملين معها وتخبرهم أنها ستفتقدهم. توجّه زوجها بالكلام إلى العاملين قائلاً: "انظروا إلى هذا المشهد. لقد اضطررت إلى شراء فندق بمبلغ ثلاثمئة وخمسين مليون دولار لأخرِجها من هنا، وها هي تبكي. هذا ما يدعوني إلى إعادتها إلى نيويورك. لا حاجة بي إلى ذلك... إلى امرأة تبكي.[2] أنا هنا بحاجة إلى شخص قوي ليعتني بهذا المكان".

واجه ترامب المزيد من التساؤلات بشأن خططه لجعل شركة Resorts ملكية خاصة وللسيطرة على تاج محل. وفي إحدى جلسات الاستماع التي عُقدت في منتصف شباط/فبراير ١٩٨٨، عبَّرت عضو لجنة الإشراف، فاليري آرمسترونغ Valerie Armstrong، عن خيبة أملها، وقالت إن شهادة ترامب بشأن استيلائه على Resorts كانت "ممزوجة بالغلو وبالتناقضات وبالعموميات التي جعلت من الصعب تقييم" مدى ملاءمة ترامب للحصول على ترخيص بوصفه مالك الشركة. وتساءلت آرمسترونغ هل كان ترامب قد أسهم في تخفيض سعر أسهم Resorts لكي يتمكن من جعلها ملكية خاصة.

قالت آرمسترونغ أثناء جلسة الاستماع: "رغم أنه بالإمكان استنتاج أن أحداث الأشهر التسعة الماضية كانت ناجمة عن مصادفة[3]، أو دافع مباشر، أو القدر و/أو أحداث خارج نطاق تحكم ترامب أو Resorts، فإن من السهل أيضاً، بل قد يكون من الأسهل، استنتاج أن الأحداث المؤدية إلى الاقتراح الحالي للسيد ترامب [بالاستيلاء] يمكن أن تكون قد رُتِّبت بعناية وتم التلاعب بها وتنظيم أدائها"، لكن آرمسترونغ في

1 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 73-91.

٢ المصدر نفسه، ص ٧٤، ١١١، ١٢١، ١٢٤.

3 New Jersey Casino Control Commission hearing transcript, February 18, 1988, 469-70.

النهاية انضمت إلى بقية أعضاء اللجنة في دعمهم ترامب[1] بعدما قدم طمأنات بشأن خططه.

بعد بضعة أسابيع، وبعدما بدأ ترامب تنفيذ خطته للاستيلاء على Resorts لتصير ملكية خاصة به، قدَّم ميرف غريفن Merv Griffin، المذيع والمنتج التلفزيوني، عرضاً منافساً بالسعر الأعلى. قال غريفن إنه سيدفع مئتين وخمسة وأربعين مليون دولار[2] مقابل شركة Resorts إذ صوَّت ترامب لمصلحة استيلائه عليها وألغى اتفاق الخدمات التي كان قد أبرمه. رفض ترامب العرض، وخاض الاثنان معركة شغلت وسائل الإعلام لأسابيع. في أيار/مايو[3]، اتفق الرجلان على إجراء تسوية ذات شروط معقدة قُسِّمت بموجبها الشركة وموجوداتها: حصل غريفن على الكازينوهات العائدة إلى شركة Resorts في أتلانتيك سيتي وعلى كازينو آخر في جزر الباهاما، وحصل ترامب على مبلغ لا يستهان به لإعفاء Resorts من اتفاقية الخدمات. والأهم من ذلك كله، حصل ترامب على تاج محل.

قال ترامب في كتابه *Trump: the Art of the Comeback*: "تبيَّن أن التسوية التي توصلنا إليها[4]، والتي حصلت بموجبها على اثني عشر مليون دولار ومبنى تاج محل الذي لم يكن قد اكتمل بعد، كانت واحدة من أفضل الصفقات التي عقدتها في حياتي. كنت آنذاك أعتقد أن فرصة [غريفن] في جعْل Resorts شركة ناجحة كانت قابلة للتحقق بقدر ما كانت فرصته للتسبُّب في جعْل [الممثلة] شارون ستون Sharon Stone حاملاً، قابلة للتحقُّق". خلال أيام، أنشأ ترامب، Trump Taj Mahal Funding، لتدبير المال اللازم للبناء. لم يكن بالإمكان تحقيق كل وعود ترامب التي قطعها للجنة بشأن المصرفيين الذين يقرعون بابه وفي جعبتهم مئات ملايين الدولارات. ولم يتمكن من تنظيم قروض بسعر الفائدة الأدنى كما كان يتوقع. بدا كأنه لا يملك سوى خيار

1 Donald Janson, "Trump's Promise Wins Relicensing for Casino," *New York Times*, February 25, 1988.

2 Andrea Adelson, "The Underestimated Merv Griffin," *New York Times*, April 9, 1988.

3 Nina J. Easton, "Merv Griffin's Outrageous Fortune: When Millionaire Griffin Took on Billionaire Trump, They Said It Was a Mismatch. They Were Wrong," *Los Angeles Times*, July 24, 1988.

4 Donald J. Trump with Kate Bohner, *Trump: The Art of the Comeback* (New York: Random House, 1997), 33.

وحيد: السندات الخردة التي أطنب في السخرية منها. كان قد قال إن الشركة التي تلجأ إلى السندات الخردة هي شركات خردة. أما الآن، فصار يرى فيها الحل الوحيد. شرح الأمر بعد عقود قائلاً: "كان بإمكاني تنظيم سندات خردة بأعداد كبيرة على ممتلكاتي في أتلانتيك سيتي، وبذلك أحصل على النقود... الواقع أنني كنت أريد مبلغ x، وقالوا لي: ما رأيك أن نعطيك ضعف المبلغ المطلوب؟، أجبت أنا: قبلت[٥]، لكنني كنت أعرف أنني إذا فعلت ذلك، فسوف أواجه المشكلات. ومع ذلك، تمكنت من الحصول على مبلغ كبير من أتلانتيك سيتي".

في تشرين الثاني ١٩٨٨، وافق ترامب على التعامل مع شركة Merrill Lynch Capital Markets التي وافقت على إصدار وبيع سندات خردة بقيمة ستمئة وخمسة وسبعين مليون دولار[٦]، مُعَدَّة لدفْع فائدة بنسبة ١٤%، أي أكثر بنسبة ٥% من سعر الفائدة الأدنى. كان ذلك كفيلاً بأن يوفِّر ترامب المال اللازم لبناء تاج محل، ولكن كان عليه دفع فائدة تبلغ خمسة وتسعين مليون دولار سنوياً، دون أن نذكر الدين المترتب على الكازينوهين الآخرين[٧] اللذين يملكهما، وعلى باقي ممتلكاته، لكن كل هذا العبء لم يثْنِ ترامب؛ كان يريد غنيمته، وكانت التكاليف تزداد. يسترجع بول روبيلي Paul Rubeli، وهو المدير السابق لعمليات القمار في ترويبكانا في أتلانتيك سيتي، تلك المرحلة قائلاً: "كان تاج محل سيصير[٨] الأكبر والأفضل والأعظم. وكما كان دونالد يقول: سوف يكون ضخماً". كان تاج محل سيصير أكبر وأكثر كلفة من أي شيء يمكن أن يكون قد خطر على بال المتعهد الأصلي. كان من المقرر أن يضم المجمَّع ألفاً ومئتين وخمسين غرفة فندق، وكازينو بمساحة تصل إلى مئة وعشرين ألف قدم، إضافة إلى خمسة آلاف وثمانمئة موظف[٩]، كان ذلك بمنزل دعم كبير للاقتصاد المحلي.

كان ترامب يطالب بمستحقاته سلفاً رغم مشاعر القلق المتنامية بشأن أتلانتيك

٥ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن، **واشنطن بوست**، ٢١ نيسان/أبريل، ٢٠٠٦.

6 "Trump Taj Mahal Funding in Mortgage Bond Offering," *New York Times*, November 9, 1988.

7 New Jersey Casino Control Commission hearing transcript, February 8, 1988, 345–47.

٨ مقابلة بول روبيلي مع روبرت أوهارو، **واشنطن بوست**، كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٥.

9 Casino Control Commission, New Jersey Casino Facility Statistics, 1978–2004.

سيتي. في تموز/يوليو ١٩٨٩، أصدر روفمان، محلل السوق، تقريراً آخر متشائماً للمستثمرين. كان عنوان التقرير: "أتلانتيك سيتي، نيوجرسي -الغرق في الديون- بيوت من أوراق اللعب". كانت رسالة روفمان واضحة وقاسية. قبل خمسة أعوام، كانت الكازينوهات التسعة في المدينة، قد سجلت ربحاً بلغ مئة وتسعة وستين مليون دولار تقريباً، من مكاسب بلغت ملياراً وثمانمئة مليون دولار تقريباً. بحلول ١٩٨٨، تراجعت الأرباح إلى ما دون خمسة عشر مليون دولار، رغم أن المكاسب وصلت إلى مليارين وسبعمئة مليون دولار. كانت المشكلة هي الديون. كتب روفمان: "يبدو تاج محل[1] أشبه بمقامرة كبيرة".

أثناء مباحثات عقد الصفقة، وجد ترامب الوقت الكافي للاتصال بروفمان. ويتذكر المحلل أن ترامب سأله: "مارفن، ألم أعقد صفقة ضخمة؟".

أجاب روفمان: "دونالد، أعتقد أنك ارتكبت غلطة. ما الذي يدعوك إلى امتلاك ثلاثة كازينوهات؟".

قال ترامب بسرعة متجاهلاً السؤال: "سوف تكون[2] ملكية ضخمة".

1 Marvin B. Roffman, "Casino Gaming in Atlantic City: A Crisis Ahead," *Industry Update*, Janney Montgomery Scott, June 2, 1989, 2.

٢ مقابلة مع روفمان.

الفصل الثامن

الرياح الباردة [1]

بَزغ فجر العاشر من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٩، يبشّر بصباح مشمس مشرق. كان يوماً ممتازاً للسفر بالطائرة. بدا ذلك فألاً حسناً لستيفن هايد، الرجل الذي كان موضع ثقة ترامب ومدير عملياته في أتلانتيك سيتي، رغم أن مزاج المدير كان نكداً بسبب المؤتمر الصحافي الذي كان من المقرر عقده في مانهاتن، والذي كان هايد واثنان من كبار موظفي الكازينو سينضمان إلى ترامب لحضوره. في البداية، قلل ترامب من أهمية مباراة الملاكمة التي ستحدث بين هكتور كاماتشو "الفائق الرجولة" Héctor Camacho وبين فيني بازينزا Vinny Pazienza، في مقر المؤتمرات في أتلانتيك سيتي. قال ترامب: "لن تكون [1] مباراة مهمة. الناس لا يأبهون بها. لن أذهب. لا يمكن أن أحضر كل مؤتمر صحافي تافه. فهذا ليس من الرصانة في شيء"، لكن هايد أقنع ترامب بأن ظهور المدير بنفسه كان مهماً على نحو خاص في هذه المباراة، فقد كانت أول مباراة تروج لها شركة فرعية اسمها Trump Sports and Entertainment. وافق ترامب وبدأ يشارك في العمل بهمة، وشرع في تنظيم مشهد إعلامي يضم دعايات تسويق للمباراة.

انحشر مديرو ترامب الثلاثة الآتون من أتلانتيك سيتي داخل طائرة هليوكوبتر من نوع Sikorsky متوجهين إلى مانهاتن. كانت أفكارٌ كثيرة تدور في رأس هايد، ولم

1 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 189.

تكن كلها حول الافتتاح الوشيك لتاج محل. كان الرجل، البالغ الثالثة والأربعين من العمر، يفكر كم من الوقت سيبقى مع ترامب. فقد كان ضغط العمل[1] وتأثيره في حياته العائلية شديدين. كان عليه أن يتحمل جلسات التقريع من ترامب وأن يحمي الآخرين من غضب المدير في الوقت نفسه. وكان هايد قد أسرَّ أخيراً إلى أحد أصدقائه برغبته في ترك العمل بعد عامين والانتقال للعيش في الغرب، مرتع طفولته.

كان المدير الثاني الموجود على متن الطائرة هو مارك غروسنجر إيتس Mark Grossinger Etess وكان في الثامنة والثلاثين، وهو سليل العائلة التي أنشأت منتجع Grossinger في جبال كاتسكيل شمالي مدينة نيويورك. كان عمل إيتس في إمبراطورية ترامب يتسم بطبيعة دقيقة؛ فبالنظر إلى أنه مدير كازينو وفندق تاج محل والمسؤول التنفيذي الرئيسي في المنشأة، كان يتحمل ضغطاً مرهقاً لضمان افتتاح الكازينو والفندق بنجاح تام. أما الرجل الثالث، جوناثان بيناناف Jonathan Benanav، فكان في الثالثة والثلاثين وينحدر من عائلة عاشت تاريخاً غريباً. فقد توفّي جده في أحد معسكرات الاعتقال[2] النازية، وتمكن والده من النجاة بصعوبة بعدما اختبأ في الغابات الرومانية لستة أشهر قبل تحريرها على يد الجيش الروسي. سافر والده إلى تركيا على متن قارب مع ستمئة يهودي. أثناء الرحلة، قابل امرأة وتزوجها بعد ثلاثة أيام. صار ضابطاً في الجيش الإسرائيلي وانتقل لاحقاً إلى الولايات المتحدة للعيش فيها، وهناك قام مع زوجته على تنشئة أولادهما بمن فيهم جوناثان. آنذاك، كان جوناثان نائب المدير التنفيذي في فندق وكازينو ترامب بلازا. وكان قد اشترى أخيراً خاتم الخطبة لصديقته[3] لكنه لم يكن قد قدمه إليها بعد. لم يكن لدى الرجال الثلاثة الكثير للإسهام في الترويج للمباراة سوى بضع كلمات من الدعاية التسويقية المألوفة، لكنهم ذهبوا متوقعين الوقوف مبتسمين أمام آلات التصوير وإجراء لقاء قصير مع ترامب ثم العودة إلى أتلانتيك سيتي بعد الظهر.

عُقد المؤتمر الصحافي في فندق بلازا وفق المقرر ولم يحظَ بتغطية إعلامية كبيرة،

١ المصدر السابق، ص ١٩٠-١٩١.

2 Joshua Benanav obituary, http://www.legacy.com/obituaries/hartfordcourant/obituary.aspx?n=joshua-benanav&pid=86966479

3 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 190.

لكن اللقاء مع المدير في برج ترامب تسبب في تأخير المديرين الثلاثة. فاتتهم الرحلة إلى أتلانتيك سيتي على متن طائرة Sikorsky. تمكن هايد من تأمين رحلة بديلة عن طريق شركة تؤجر طائرات، ولم يكن قد تعامل معها سابقاً. كانت طائرة الهليوكوبتر أيضاً تجربة جديدة، فقد كانت من طراز Agusta وهي صناعة إيطالية، ولم تكن من طراز Sikorsky، لكنها كانت معروفة بأنها طائرة مريحة وآمنة، وهكذا توجّه هايد وبيناناف وإيتس إلى مطار طائرات الهليوكوبتر الكائن في الشارع الستين الشرقي للسفر في رحلة الساعة الواحدة بعد الظهر.[1]

مع ذلك، ما كان يجهله مديرو ترامب الثلاثة، هو وجود كشط بطول بوصتين[2] يكاد لا يُرى على أحد الشفرات الدوّارة في الطائرة، كان قد كبر كجرح لم يُداوَ.

اندفعت نورما فويرديرر، وهي مساعدة ترامب منذ زمن طويل، إلى مكتب المدير في الطابق السادس والعشرين من برج ترامب. كانت الطائرة التي تقل المديرين الثلاثة قد هوت إلى الأرض. مرّت لحظات أليمة. اتصل أحد مسؤولي شرطة نيوجرسي ليبلغ النبأ: لم ينجُ أحد. هلك ثلاثة من مساعدي ترامب، الذين يحظون بثقته الكبيرة، بمن فيهم المديرَان اللذان يحملان الشطر الأكبر من المسؤولية عن افتتاح تاج محل، مع طاقم الطائرة المؤلف من شخصين. علم ترامب لاحقاً أن الكشط الموجود على إحدى الشفرات الدوارة قد اتسع أثناء الطيران نتيجة كلال المعدن. انفصل جزء من الشفرة فوق أحراج الصنوبر في نيوجرسي على ارتفاع ألفين ومئتي قدم، فاختلت الديناميات الهوائية للطائرة وانشطرت في الهواء وتناثر حطامها فوق غاردن ستيت باركوي.

انهار ترامب. سأل مَن حوله هل تلقت العائلات الخبر. جلس أحد المساعدين يراقب ترامب الجالس في مكتبه المطل على سنترال بارك وهو يتصل بعائلات الرجال الثلاثة ويكرر عبارة: "لدي أخبار مروعة"[3]. عندما انتشر الخبر في المكتب انفجر المساعدون الجالسون في الغرف الداخلية بالبكاء، وتعالى صوت عويلهم. قال ترامب بعد سنوات إنه جرّب موقف العسكريين عندما كانوا يخبرون "عائلات الجنود

١ المصدر نفسه، ص ١٩٣.

2 National Transportation Safety Board report, NYC90MA009, Accident, October 10, 1989, Lacey Township, NJ.

٣ مقابلة مع أحد مساعدي ترامب لم يشأ كشف اسمه. أجراها مايكل كرانيش، **واشنطن بوست**، ٤ أيار/مايو، ٢٠١٦.

بمصرعهم. إنها مهمة صعبة. أعني، كان رد الفعل رهيباً"[١].

بعد بضع ساعات، تلقى ترامب مكالمة هاتفية من جون "جاك" أودونيل، مدير فندق وكازينو ترامب بلازا. كان أودونيل يشغل موقعاً مهماً في حياة ترامب وأعماله. في تلك اللحظة، ارتفع شأن موقعه ارتفاعاً كبيراً. كانت انعطافة مأساوية قد أنقذت حياته. فقد كان من الطبيعي أن يكون أودونيل على متن تلك الطائرة. كانت تربطه صداقة متينة بهايد وإيتس، وكان عادة ما يرافقهما إلى المؤتمرات الصحافية الشبيهة بالمؤتمر الذي عقد في ذلك اليوم. وزاد في حزن أودونيل شعورُه بأنه مسؤول عن وجود بيناناف في الطائرة؛ إذ كان قد طلب من زميله الشاب الحلول محله في المؤتمر لأنه كان مشاركاً في مباريات رياضية في هاواي. ظل أودونيل لسنوات يعاني الشعور بالذنب[٢] ولم تفارقه فكرة أن بيناناف، وليس هو، توفّي في ذلك اليوم. ولكن لم يكن هناك متسع من الوقت لكل تلك الأفكار؛ كان عمل أودونيل في تلك اللحظة يتمثل في مواساة ترامب والعودة إلى أتلانتيك سيتي في أقرب ما يمكن.

قال ترامب لأودونيل: "جان، ما حدث أمر مروع. هذا من أفظع الأمور. كنا جالسين ندعو ألا يكون ذلك صحيحاً. ما زلت عاجزاً عن التصديق". تحدث الرجلان بعد بضع ساعات وبدا ترامب أكثر اضطراباً. لم ير ترامب بدّاً من الصعود على متن طائرة هليوكوبتر للذهاب إلى أتلانتيك سيتي، لكن فكرة قطع خط الطيران نفسه الذي سار فيه مديروه جعلته يتحدث عن الحياة بكلمات لا رابط بينها، ويستغرق في التفكير في أحوال الحياة. بدا غير مصدِّق. قال لأودونيل: "سأستقل طائرة هليوكوبتر خلال ساعة وسأذهب لزيارة العائلات. طائرة هليوكوبتر. أليس في ذلك جنون؟ أعتقد أن الحياة تسير كعادتها... علينا الاستمرار في السفر بالطائرات... بطائرات الهليوكوبتر". قال أودونيل لاحقاً إن ترامب، وعلى غير عادته، بدا كأنه يسعى إلى سماع ما يبعث الطمأنينة في نفسه: "لأول مرة منذ عرفته، شعرت بأن صوته ينم عن الخوف والقلق".[٣]

كان موعد افتتاح تاج محل يقترب، وكان الموت قد غيَّب المديرْين التنفيذيين

١ مقابلة ترامب مع مايكل كرانيش، واشنطن بوست، ١٩ أيار/مايو، ٢٠١٦.
٢ مقابلة مع جون أودونيل.

3 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 194–95.

المهمين لدى ترامب. اضطلع أودونيل مؤقتاً بالكثير من المسؤوليات. صار يرى ترامب من زاوية أقرب، وبدأت مشاعر القلق تساوره بشأن مديره.

في اليوم الذي تلى الحادث، اجتمع ترامب بأكثر من مئة مدير من مديريه في قاعة الاجتماعات في أتلانتيك سيتي. كانت خسارة ثلاثة من مديريه التنفيذيين، وبالأخص صديقه هايد، تنفذ إلى أعماقه. يقول ترامب لدى استرجاعه ما حدث: "لقد مُحي من الوجود[1] المديرون الأساسيون عندي" (بعد خمسة وثلاثين عاماً من الحادث، لا يزال ترامب يرى خسارة أولئك الرجال الثلاثة أهم وأصعب أيام حياته، إلى جانب وفاة والديه وشقيقه فريد الابن). وبينما كان يحاول تمالك أعصابه خلال الأيام التي تلت الحادث، عرض على من حوله فكرة لا يمكن أن تخطر سوى لترامب: سوف يبني صرحاً تذكارياً لهم، "صرحٌ لا يتخيله أحد".[2]

لم يستطع ترامب منع نفسه من التفكير في الحادث. تساءل[3] مرة أمام أودونيل هل كان منافسوه هم من قتلوا المديرين الثلاثة، ثم صرف النظر عن فكرة التخريب المتعمَّد بعدما علم أن الرجال الثلاثة حجزوا الرحلة البديلة في آخر لحظة. أظهر التحقيق الفيدرالي أن سقوط الطائرة كان حادثاً ناجماً عن "كشط في رافدة شفرة المروحة ناتج عن التصنيع"[4]. حدث شيء ما في المصنع تسبَّب في ظهور خدش يكاد لا يُرى وأدى بعد سنوات إلى الكارثة.

في مدينة أتلانتيك سيتي، المكان الذي كان يُسوَّق على أنه مهْرب من الواقع، بدت تلك المأساة المفاجئة خارج السياق على نحو خاص. كان ترامب كمن فقد عزيزاً وكان يسعى إلى الحصول على الدعم والتعاطف ولا يكف عن قول إنه كاد أن يستقل الطائرة أو أنه ربما كان سيستقل الطائرة، أو كان يمكن أن يستقل الطائرة. ظهرت تقارير متضاربة آنذاك تناقش مدى صحة احتمال مشاركة ترامب في تلك الرحلة. بعد مضي أشهر، قال ترامب على قناة CNN: "كان من المقرر أن أستقل الطائرة. إذا أخذنا بعين الاعتبار أنهم سألوني: هل تريد الذهاب معنا؟، وأجبت: أعتقد أنني سأذهب،

١ مقابلة ترامب مع كرانيش.

2 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 195.

٣ المصدر نفسه، ص ١٩٧.

4 National Transportation Safety Board report, NYC90MA009.

لكنني أظن أنني مشغول... أعني، كنت على وشك الذهاب. كان الاحتمال خمسين بالمئة".[1] أغضبتْ ملاحظةُ ترامب أودونيل الذي اعتقد أن ترامب كان يحاول تحويل الاهتمام إلى شخصه.[2]

شارك ترامب في حمل نعش إيتس الذي حضر ألف شخص جنازته في نورثفيلد، في نيوجرسي. في اليوم التالي، حضر ترامب جنازة بيناناف في ماونت فيرنون، في نيويورك. هناك، ومن بين كل الأماكن، تجلّى مأزق حياة ترامب العاطفية أمام المشاركين في الجنازة. ذهبت إيفانا بصحبة زوجها إلى صلاة الجنازة. وبينما كانت تغادر الكنيسة، شاهدت مارلا ميبلز. كانت المرة الأولى التي يراها فيها الناس، فقد كانت تقيم منذ أشهر في إحدى الممتلكات الخاصة بترامب، وغالباً في أتلانتك سيتي. كانت إيفانا تعلم بخيانة زوجها، لكن المرأتين المتنافستين على كسب عواطف ترامب كانتا بعيدتين عن بعضهما بعضاً عادة. شاهد أودونيل إيفانا تحدّق بغضب في مارلا. كتب لاحقاً: "كنت واثقاً أنها كانت ستوجّه إليها لكمة في أي لحظة. كانت مارلا تقف مصعوقة".[3] جذب ترامب إيفانا بعيداً.

أخيراً، حضر ترامب جنازة هايد -التي جرت أيضاً، شأن جنازة إيتس، في نورثفيلد، في نيوجرسي- وذلك قبل دفن هايد في مسقط رأسه في أوتا. وقف المئات في طوابير متعرجة خارج دار الجنازة. تأمّل ترامب صورة هايد وذرف دمعة، وقد ارتسمت معالم الصدمة على وجهه. يستعيد أودونيل تلك اللحظة قائلاً: "لأول مرة، رأيت الحزن يغلف وجهه، حزن عميق"، ثم تمالك نفسه. انتهت الجنازة، وقُلبت الصفحة. عاد تركيز ترامب، بسرعة، لينصب على العمل. كتب أودونيل لاحقاً يقول إنه تساءل هل كان ترامب "يهتم بأي شخص عدا نفسه، أو هل كان يشعر بأي أحاسيس صادقة". كان من المقرر افتتاح تاج محل خلال شهرين، رغم أنه كان سيؤجَّل. أما الصرح التذكاري الرائع، فلا بد أن يُبنى يوماً ما. كان أودونيل، كما وصفه ترامب في ما بعد،

١ مقابلة ترامب مع لاري كنغ Larry King، CNN، ٢٧ أيار/مايو، ١٩٩٠.

٢ صدر هذا التأكيد عن أودونيل لأول مرة في *Trumped!* وكرره في مقابلة مع واشنطن بوست في أيار/مايو، ٢٠١٦. عندما سئل ترامب أثناء مقابلة مع **واشنطن بوست** هل كان صعوده على متن الطائرة أمراً محتملاً، أجاب: "لا أريد الخوض في موضوع احتمال كوني على متن تلك الطائرة، لأن الناس سيبدؤون بالأقاويل... لا أريد الخوض في هذا الموضوع. كان أمراً من تلك الأمور".

3 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 198-200.

الشخص الوحيد "المتوازن".[1] التفت ترامب إلى زوجة أودونيل وقال لها إنه صار يعتمد كثيراً على زوجها. قال: "الآن، حان دوره".[2]

كان أودونيل رجلاً فطناً يراقب بدقة الأسلوب الذي يتخذه الناس بالمخاطرة. وكان يعرف معنى الخسارة: توفّي والداه عندما كان صغيراً، ثم تبناه عمه الذي كان يرأس شركة صنع آلات القمار Bally Manufacturing. نشأ أودونيل داخل الشركة وكان مفتوناً بصناعة الماكينات التي تُشغَّل بالقطع النقدية. عندما كان في مطلع العشرين من عمره، عمل في لاس فيغاس، ثم انتقل إلى أتلانتيك سيتي للعمل في كازينو يملكه ستيف واين. سمح له واين بالانتقال للعمل في فندق وكازينو ترامب بلازا حيث صار مديراً. قضى أودونيل الشطر الأكبر من حياته راشداً وهو يراقب الناس تقامر بأموالها: من كبار السن داخل الحافلات إلى مواقع الرهان العائدة لترامب في أتلانتيك سيتي. وبوصفه المدير التنفيذي للكازينو، كان عمله، فعلياً، يتمثل في إغراء الناس لمفارقة الأموال التي جنوها بشق النفس آملين في الربح حتى لو كانت الاحتمالات في غير مصلحتهم. كان عمله، جزئياً، يتمثّل في تسويق تجربة الكازينو بوصفه مسرحاً.

كانت قلة من الكازينوهات تحقق الأرباح فقط عبر اجتذاب الأشخاص ذوي الثراء الفاحش. وبقدر ما كان ترامب يركز على الأثرياء، فإنه كان أيضاً بحاجة إلى الجماهير العادية من أصحاب المتاجر والعمال بالساعة والمتقاعدين الذين كانوا يستأجرون الحافلات إلى شاطئ جرسي ويلقّمون ماكينات القمار بقطعة نقدية إثر أخرى مدفوعين بالإثارة والحيوية اللتين تغلّفان العملية. لم يكن عامل الجذب هنا، بالضرورة، رهاناً بعيد المدى يجعل منهم أثرياء، بل كان قدرتهم، في هذه النسخة من برامج الواقع، على الشعور بأنهم أثرياء، حتى لمدة قصيرة، لكن لا مفر من القول إن عدداً من المقامرين كانوا على الأرجح مدفوعين بقوة ضاغطة، ولم يكن بإمكانهم السيطرة على دافع المراهنة أكثر مما يمكن لإنسان مدمن يسعى إلى الوصول إلى لحظة غيبوبة المخدرات التالية. لم يكن ترامب يأبه كثيراً للتحليل النفسي للمقامرة، الأمر الذي أدهش أودونيل. أدرك أودونيل بمرور الوقت أن ترامب كان صاحب

---

١ مقابلة ترامب مع كرانيش.

2 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 204–5.

ذهنية بسيطة: رابحون مقابل خاسرين، وأن دافعه الأساسي هو الربح، حتى لو لم يكن بحاجة إلى المال.

أصيب أودونيل بخيبة أمل لأن ترامب كان يضع اسمه على المباني لجذب الزبائن مع أنه كان أحياناً يأنف من التعامل مع معظم أولئك الزبائن. قال له ترامب يوماً وهما يسيران متوجِّهَيْن إلى لقاء تعارف مع المقامرين: "هذا هراء".[1] اشتكى ترامب خلال الحفل من أحد المقامرين وكان قد ربح مبلغاً كبيراً، ما يعني أن ترامب خسر. غادر المدير الحفل بعد مدة وجيزة قائلاً: "يكفي، أنا ذاهب". كان أودونيل يعتقد أن على ترامب التحلي بمزيد من الصبر. كانت حسبة بسيطة: كلما طالت مدة وجود المقامرين أمام الطاولة، زاد احتمال خسارتهم، لكن ترامب لم يكن يحب رؤية ما يحدث خلال المدة الفاصلة. لم يكن يستطيع احتمال تفوق أحد عليه.

في العشرين من آذار ١٩٩٠، أي قبل أسبوعين من التاريخ المحدد لافتتاح تاج محل، تحوّلت المخاوف التي عبَّر عنها المحلل مارفن روفمان حول سوق الكازينوهات إلى مادة إعلامية مهمة. فقد نقلت عنه **وول ستريت جورنال** في قصة نشرتها أقوالاً تتعلق بتاج محل، وأحدثت تلك الأقوال تأثيراً مباشراً. ورد في القصة أن الكازينو-الفندق كان عليه أن يربح يومياً مليوناً وثلاثمئة ألف دولار، أو أكثر، لكي يدفع فواتيره وقروضه، وهذا يفوق إمكانية أي كازينو. كانت نبوءة روفمان تقول: "عند افتتاح المنشأة، سوف يحصل على الكثير من الدعاية المجانية، وسوف يحطم كل الأرقام القياسية خلال شهور: نيسان/أبريل وحزيران/يونيو وتموز/يوليو، ولكن، ما إن تهب الرياح الباردة ما بين تشرين الأول/أكتوبر وشباط/فبراير، حتى يصير الفندق-الكازينو عاجزاً عن تحقيق النجاح. السوق ليس هناك... أتلانتيك سيتي مكان قبيح وكئيب.[2] وحتى الزبائن الملتزمون لن يترددوا كثيراً إلى الكازينو".

في صباح اليوم الذي نشرت فيه **وول ستريت جورنال** القصة، كان من المقرر أن يجتمع روفمان مع روبرت ترامب الذي كان يشرف على التحضيرات النهائية ليوم افتتاح تاج محل. كان دور روبرت ترامب قد ترسخ بعد مقتل المديرين الثلاثة وقرار

١ المصدر نفسه، ص ٦٤-٦٥.

2 Neil Barsky and Pauline Yoshihashi, "Trump Is Betting That Taj Mahal Casino Will Hit Golden Jackpot in Atlantic City," *Wall Street Journal*, March 20, 1990.

إبعاد إيفانا عن أتلانتيك سيتي بالإضافة إلى كونه من الأشخاص القلائل المطّلعين على دخائل الأمور الذين يثق بهم دونالد، ما قد أدى إلى تراكم ضغط متزايد عليه. كان روبرت -الرجل المعسول الكلام الحازم ذو التفكير المركّز- خريج جامعة Boston، وكان بارعاً في الشؤون المالية، لكنه كان يفتقر إلى نزعة ترامب الاستعراضية الجذابة، ولذلك كان سعيداً بترك مظاهر الشجاعة لشقيقه، رغم أنه كان أحياناً ينفجر غاضباً كما يفعل دونالد بالضبط. عندما وصل روفمان إلى مكان لقائه مع روبرت، لم يكن محلّل ألعاب القمار يدري أن قصة **وول ستريت جورنال** قد نُشرت. قاد سيارته إلى تاج محل، ثم تأمّل معالم التبذير فيه، وقال في نفسه "هذا، إذاً، ما يمكن لمليار دولار شراؤه".[1]

التقى روفمان بروبرت ومد يده لمصافحته. انفجر روبرت غاضباً. قال إن روفمان قد غدر بحاملي السندات. صرخ روبرت: "اخرج من المبنى، وداعاً".

غادر روفمان المكان مسرعاً تلاحقه الاتهامات بأنه تسبب بالأذى لحاملي السندات. يسترجع روفمان الحادثة: "كانت كل كلمة صدرت عنه بذيئة".[2] اتصل بمكتبه فقيل له أن عليه الرجوع بالسرعة الممكنة. كان دونالد ترامب قد بعث برسالة عبر الفاكس: "سوف يتصل بكم محاميّ سريعاً ما لم يُفصَل السيد روفمان فوراً أو يعتذر"، كما اتصل ترامب بروفمان وقال له: "ابعث لي رسالة تقول فيها إن تاج محل سوف يصير من أنجح الكازينوهات، وسوف أنشرها".

كان روفمان قد ترقى إلى منصب نائب رئيس قسم الأبحاث، وكان يحب عمله. نعم، لقد تكلم بفظاظة، لكنه كان يعتقد أن من واجبه الكلام بهذه الطريقة احتراماً لثقة الناس به. كان محللاً في مجال القمار في وقت كان فيه بعضهم يهزؤون من مهنته بسبب حماسته المبالغ فيها. كان يفخر بتوجيه نداءات قوية ثبتت صحتها كل مرة. عندما واجه روفمان مدير شركته، قال إنه واثق بأن السندات الخردة التي اعتمد عليها ترامب "سوف تفلس". كان جواب المدير، كما قال روفمان، أنه لا يأبه لرأيه حول هذا الموضوع، لكن الأمر الذي أقلقه كثيراً هو تعليق المحلل بأن "أتلانتيك سيتي مكان قبيح وكئيب".

---

1 Roffman with Schwager, *Take Charge of Your Financial Future*, xiii.

٢ مقابلة مارفن روفمان مع روبرت أوهارو، **واشنطن بوست**، ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٥. أعاد روفمان رواية الحادثة في مذكراته *Take Charge of Your Financial Future*.

اتصل المدير بترامب الذي طلب من الشركة إعلام **وول ستريت جورنال** أن ما قاله روفمان قد نُقِل بصورة غير صحيحة، وأن روفمان، في الواقع، يعتقد أن "تاج محل سيُثبِت أنه أعظم قصة نجاح". كتب مدير روفمان رسالة تَراجُع، وشعر روفمان أن لا خيار أمامه سوى التوقيع، لكنْ لم يغمض له جفن تلك الليلة. في الصباح التالي، قال لمديريه إنه يرغب في إعلان توصية "بالبيع الفوري"[١] لسندات تاج محل، لأنه يخشى تدنّي قيمتها. رفضت الشركة السماح له بإعلان رأيه، فكتب المحلل رسالة قال فيها إنه "يلغي تماماً" رسالة التراجع التي كان قد وقّعها. لم يعد بوسع مديريه تحمّل المزيد. وفي مواجهة تهديد ترامب بالمقاضاة، فصلت الشركة روفمان.

كان يمكن أن تنتهي القصة هنا بانتصار ترامب، لكن روفمان أصرّ[٢] على أنه كان على صواب طوال الوقت، وقرر المواجهة قائلاً إن فصله من عمله لم يكن مبرراً. طلب إجراء تحكيم حصل بموجبه على سبعمئة وخمسين ألف دولار من شركته، كما قاضى ترامب، لكنه رضي في النهاية بتسوية لم يكشف عنها النقاب. بعد سنوات، قال ترامب إنه لا يتذكر أنه قرأ أياً من تقارير روفمان. ووصف الملاحظات التي أبداها روفمان على صفحات **وول ستريت جورنال** بأنها "هجوم شرير" وأنها "ليست بالمستحبة على المستوى الإنساني"، لكنه قال في شهادة أدلى بها إنه لم يكن يقصد إطلاقاً فصل روفمان من عمله، وأضاف أنه أراد من روفمان سحب ملاحظاته "غير اللائقة إطلاقاً" فقط.[٣]

أُعِدَّ كل شيء للافتتاح الكبير لتاج محل ترامب. وفي ما عدا بعض العناصر المعمارية البسيطة، لم يكن المبنى يشبه في شيء المبنى الذي يحمل اسمه، الصرح الرخامي المنمق الموجود في الهند، الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع عشر، الذي وصفته الأمم المتحدة بأنه "جوهرة الفن الإسلامي"[٤] في ذلك البلد. كان تاج محل ترامب مبنى فخماً مزخرفاً بإسراف وبأسلوب غير مألوف لم تشهد أتلانتيك مثيلاً له على الإطلاق. قال عنه بعضهم

١ مقابلة مع روفمان، ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٥.

2 Roffman with Schwager, *Take Charge of Your Financial Future*, xi–xxiii; and interview with Roffman, November 16, 2015.

3 Robert O'Harrow, "Trump's Bad Bet," *Washington Post*, January 18, 2016; and interview with Roffman.

4 Taj Mahal, United Nations, World Heritage website, http://whc.unesco.org/en/list/252

إنه ذو طابع كاريكاتوري. كان الكازينو الذي يشغل مساحة مئة وعشرين ألف قدم مربع، وهو مبنى منخفض ممتد على طول الممشى الخشبي، يشرف على الرحلات القصيرة التي كانت تجري للتسلية انطلاقاً من الرصيف البحري الشهير ستيل بيير. وكان تاج محل، الذي تعلوه عشرات المآذن والقباب ذات الشكل الشبيه بالبصلة المكسوة بالألوان: الوردي والأزرق والأخضر، وذلك بتدرجاتها التي تشبه ألوان الحلوى، يضم فندقاً على شكل برج بعلوّ اثنين وأربعين طابقاً[1]، رغم أن ترامب كان قد رقَّم الطابق الأعلى بالرقم واحد وخمسين. وعلى كل واجهة من واجهات البرج الأربع، وعند أعلى نقطة، كُتب اسم ترامب بأحرف كبيرة حمراء اللون.

قاد البوّابون في تاج محل، الذين كانوا يرتدون ثياباً أرجوانية وعمائم ثُبِّتَ عليها ريش، الضيوفَ في الردهة المكسوة برخام كارارا المستورد من إيطاليا. داخل المبنى، ساد الجو نفسه في المطاعم، مثل بومبي كافيه ونيودلهي ديلي، وعلى الجدران المزينة بلوحات جدارية هندية. فوق طاولات البكاراه، تدلت ثريات ضخمة من الكريستال من الأسقف المقنطرة المكسوة بالمرايا. وفي الأجنحة المترفة، كان الضيوف يستمتعون بمرأى التماثيل الرخامية والبرونزية، وبحوض الاستحمام والتدليك المائي الغاطس المحاط بأعمدة يونانية مذهبة.

في تلك اللحظات، توارت التحذيراتُ الملحّة والدينُ الهائل والأزمةُ الزوجية خلف استعراض أحداث الافتتاح التي دامت أسبوعاً. كانت الليالي الأولى حاسمة: كان عشرات آلاف المقامرين ينتظرون ليصبوا دولاراتهم في يديّ ترامب، وكان هو بحاجة إلى خلق انطباع لا تشوبه شائبة لإقناعهم بالعودة. كانت الأجزاء المصنوعة من الكروم قد لُمِّعت، واصطف العاملون كلٌّ في مكانه، ولكن في الصباح التالي، في الثالث من نيسان/أبريل، علم ترامب أن المسؤولين عن التنظيم في الولاية قد أمروا بأن تظل الماكينات التي تعمل بالقطع النقدية مغلقة. والسبب: تضارب غامض في الحسابات. استشاط ترامب غضباً. اتصل هاتفياً بأودونيل، وهو مدير ترامب بلازا، وناشده معالجة الوضع الطارئ في تاج محل. وفق رواية أودونيل، قال ترامب: "جاك، أنا في تاج محل. لدي مشكلات كبيرة هنا.... كنت طوال الصباح أعقد اجتماعات

1 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 289.

مع ممثلي الولاية. لن يسمحوا لي بافتتاح الكازينو. لدي مجموعة من الموظفين الحمقى... عليك المجيء وحل هذه المشكلة... سوف أطرد كل أولئك المغفلين".[1]

هرع أودونيل إلى تاج محل حيث كان ترامب بانتظاره. قال أودونيل إنه يحتاج إلى بعض الوقت لمعرفة مصدر المشكلات. كانت كل دقيقة تكلّف ترامب أرباحاً بقيمة آلاف الدولارات. سأله ترامب: "ماذا يحدث؟"[2] أحد الأشياء التي كانت تحدث هو أن ترامب، قبل ستة أشهر، كان قد تلقى تحذيراً من دينو مارينو Deno Marino، وهو نائب رئيس لجنة الإشراف على الكازينوهات في نيوجرسي. قال مارينو لترامب ولكبار مديريه إن كازينو تاج محل، الذي كان مُقرراً أن يضم ألفين وتسعمئة ماكينة عاملة بالقطع النقدية -أكبر عدد موجود في أي صالة قمار في أتلانتيك سيتي- بحاجة إلى "غرفة عد نقود محكمة" أكبر حجماً، وهي المنطقة الخلفية المؤمَّنة التي يجري فيها، نهايةَ كل يوم، عدّ القطع النقدية والعملات الرمزية (الفيش)، وفرزها وتسجيلها وتهيئتها للمقامرين في اليوم التالي. ووفق رواية مارينو، كان جواب ترامب أن "المكان انتهى بناؤه". لم يكن وارداً بالنسبة إليه تغيير موقع الجدران المصنوعة من كتلة معدنية تغلف طبقة فولاذية بسماكة ربع بوصة.

بعد الليلة الأولى من الافتتاح الباهت لتاج محل، اتضح التأثير المتعاظم لتجاهل ترامب تلك النصيحة. كان العمال في غرفة عد القطع النقدية أشبه بالمجانين، وبدوا عاجزين عن أداء العمل. كان جو الغرفة حاراً على نحو لا يُحتمل. خالف مارينو، الذي كان في المنشأة في تلك الليلة، القواعد، فقد سمح بفتح أحد الأبواب الفولاذية الثقيلة، وكان يفضي إلى رواق داخلي، للسماح بدخول الهواء البارد. عندما انتهى عد النقود، كانت النتيجة نقصان مئتين وعشرين ألف دولار عن العد الأولي الذي أجري على الماكينات نفسها. وبموجب قانون الولاية، لم يكن المشرفون على تنظيم عمل الكازينوهات يسمحون بتشغيل ماكينات القطع النقدية في اليوم التالي ما لم ينطبق الحسابان. لم يشهد مارينو فوضى مماثلة في الكازينوهات الأحد عشر التي كان قد افتتحها قبل تاج محل.

١ المصدر نفسه، ص ٢٧٢-٢٧٣.
٢ المصدر نفسه، ص ٢٨٧-٢٨٨.

نقل مارينو الخبر إلى ترامب، وظلت الماكينات مغلقة طوال اليوم ومعظم اليوم التالي. أخيراً، في وقت متأخر من اليوم الثالث في أسبوع الافتتاح، ارتطم إصبع قدم أحد العمال المتوجهين إلى غرفة عدّ النقود بشيء. عندما نظر العامل إلى الأرض لاحظ أن الباب الفولاذي كان مسنوداً بكيس كبير ثقيل من الخيش كي يبقى مفتوحاً: كان الكيس يحوي عملات رمزية (فيش) بقيمة مئتين وعشرين ألف دولار[١]. لم يصدق ترامب أذنيه. وخلال أيام، هدم الجدار الخارجي لتوسيع الغرفة. ويتذكر أودونيل أنهم وجدوا خلال المدة نفسها "غرفة كاملة مليئة بالقطع النقدية[٢] لم يكن أحد يدري بوجودها".

عندما واجه ترامب الصحافيين، لم تفارق الابتسامة شفتيه، وأكد أن المشكلة الوحيدة في تاج محل هي أنه يدرّ الكثير من المال. "لا نستطيع عد النقود بالسرعة الكافية" (ردَّد عنوانٌ في صحيفة **نيويورك تايمز** الفكرة نفسها: "النجاح يتغلب[٣] على توقّف ماكينات القطع النقدية في تاج محل"). أما بعيداً عن الصحافة، فاختلفت لهجة ترامب تماماً. قال لأودونيل إن عليه "طرد بعض الأشخاص"[٤] لحل المشكلات. ويتذكر أودونيل أن ترامب قال له: "جاك، لا تغادر المكان. لا تتركني".

بينما عاد ترامب إلى نيويورك، كان أودونيل يحاول بالطرق شتى حل المشكلات. بعد ساعات مضنية، سمح ممثلو الولاية بدخول الزبائن إلى الكازينو. كان الافتتاح، في رأي أودونيل، "فشلاً ذريعاً"[٥] منذ البداية، لكن الناس لم تكن تدري سوى القليل مما حدث، فقد كان الجزء الأكبر من التغطية الإعلامية يتناول أبّهة المكان وردهات الكازينو التي كانت تبدو كأن لا نهاية لها، فقد كانت بطول ثلاثة ملاعب لكرة القدم. كانت تتجاوب في الصالات أصوات تساقط القطع النقدية وأحجار النرد والألحان الموسيقية وضحكات الزبائن. كانت كلها ألحاناً بهيجة تدل على أن هناك أموالاً تُجنى، رغم أن كل ذلك لم يكن كافياً في تقديرات ترامب.

في وقت متأخر من تلك الليلة، بينما كان أودونيل يعمل على حل المشكلات في

١ مقابلة مارينو مع إيمي غولدشتاين، **واشنطن بوست**، ٧ نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٢ مقابلة مع جون أودونيل.

3 Tim Golden, "Taj Mahal's Slot Machines Halt, Overcome by Success," *New York Times*, April 9, 1990.

4 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 279-83.

٥ المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

تاج محل، اتصل به ترامب هاتفياً وسأله هل كان يعتقد أن الكازينو سيواجه مشكلات من هذا النوع في حال أن ستيف هايد ومارك إيتس لم يلقيا حتفهما في حادثة الطائرة. أجاب أودونيل أن الرجلين كانا سيتوقعان المشكلات ويعملان على منع حدوث الأزمة. قال ترامب: "أعتقد أن رجال هايد هم الموجودون هنا، وأعتقد أنهم مسؤولون[1] عن هذه المشكلة". كان أودونيل قد أدرك منذ وقت طويل أن ترامب لا يعرف الكثير عن كيفية إدارة الكازينوهات، فقد كانت مجموعة من المديرين البارعين بإشراف هايد هي العنصر الحاسم في نجاحه، لكنه شعر في تلك اللحظة بالانزعاج لأن ترامب بدا كأنه يوجه اللوم إلى الزملاء الراحلين بشأن المشكلات التي كان أودونيل يعتقد أنها حدثت نتيجة خطأ ارتكبه ترامب. توصل أودونيل إلى استنتاج أن أسلوب عمل ترامب هو اللجوء إلى التوبيخ القاسي[2] عندما لا تسير الأمور على ما يرام.

وكان أودونيل قد لاحظ النوع نفسه من رد الفعل عندما بدأ ترامب وصلة تقريع مطولة لمحاسب أسود. يروي أودونيل في مذكراته *Trumped!* أن ترامب قال:

> لدي محاسبون سود في ترامب كاسل وترامب بلازا... أشخاص سود يعدّون أموالي![3] هذا أمر كريه. الأشخاص الوحيدون الذين أريدهم أن يعدّوا أموالي هم رجال قصار يلبسون القلنسوة اليهودية كل يوم. هؤلاء هم الأشخاص الذين أريدهم أن يعدّوا أموالي. لا أحد غيرهم... أريد أن أخبرك بشيء آخر. أعتقد أن هذا المحاسب بليد. والأرجح أن الرجل لا يد له في ذلك لأن البلادة سمة أصيلة في السود. فعلاً إنها كذلك؛ هذا ما أعتقده. هذا أمر لا يستطيعون التحكم به.

نصحه أودونيل ألا يتكلم بهذه الطريقة، لكنه قال إن ترامب تجاهل نصيحته (بعد سنوات، وظّف أودونيل المحاسب في عمله الخاص، وهذا دليل على اعتقاده بأن ترامب كان على خطأ. عام ١٩٩٧، عندما سئل ترامب عن مذكرات أودونيل، قال

١ المصدر نفسه، ص ٢٨٧-٢٨٩.

٢ مقابلة مع جون أودونيل. عبّر أودونيل عن مشاعر مماثلة في مذكراته.

3 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 148;
ومقابلة مع جون أودونيل.

إنها "صحيحة على الأرجح"، لكنه عاد بعد سنوات ليقول إنها "محض خيال"، رغم اعترافه: "لم أقرأ كتابه". في مناسبة أخرى، قال ترامب: "أنا أقل شخص عنصري سبق لكم مقابلته")[1].

بعد يومين من إعادة افتتاح الكازينو، حضر ترامب بطائرته الهليوكوبتر من نيويورك إلى أتلانتيك سيتي. هبطت الطائرة على سطح ترامب كاسل، ثم توجَّه إلى تاج محل لحضور اختتام أسبوع الافتتاح. بالنسبة إلى العامة، بدت الصورة مذهلة: فقد كان ترامب قد تدبر أمر إحضار أحد أكبر نجوم العالم، وهو مايكل جاكسون Michael Jackson، لينفذ جولة في تاج محل. جال الرجلان بسرعة داخل الفندق والكازينو: شخصان غريبان لا يجمع بينهما سوى الثروة والشهرة، تتبعهما وسائل الإعلام ويحتشد حولهما الضيوف. حرص المسؤولون عن الدعاية على أن تعرف وسائل الإعلام مدى انبهار جاكسون بجناح الإسكندر الكبير الذي تبلغ كلفة الليلة فيه عشرة آلاف دولار. جال في الفندق أكثر من مئة ألف شخص وهم مأخوذون بمظاهر الترف الرائعة وبطاولات القمار التي بلغ عددها مئة وسبعاً وستين طاولة. كانت تلك اللحظات الأكثر إثارة للفخر بالنسبة إلى ترامب. فقد كانت الحشود تتحلق حوله[2] أنّى توجّه.

بينما كان أسبوع الافتتاح يشارف على نهايته، اجتمع ترامب مع باقي أفراد فريقه الإداري. بينما أصغى أودونيل باهتمام، كان ترامب يكرر أنه ينوي طرد أي شخص تسبب في حدوث المشكلات: "أريد إبعاد البلهاء من هنا. أريد أشخاصاً مستعدين لإنزال عقوبات قاسية. أريد أشخاصاً متنبهين على الدوام. ما أحتاجه في هذه الشركة هو المزيد من الأشخاص البغيضين المتنبهين على الدوام. أحتاج إلى محاربين".[3] وفي اجتماع آخر، كان أودونيل مع مجموعة من المديرين التنفيذيين، بمن فيهم روبرت ترامب، عندما دخل دونالد وهو يصرخ بسبب بعض الحوادث المؤسفة، قال: "سوف نخسر ثروة!".

تصدى له روبرت بالقول: "دونالد، لا شك في أنك تعرف أنه لا سبيل لتوقُّع أمور

١ مقابلة ترامب مع كرانيش، ومقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن، ٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.
٢ مقابلة مع بيرسكي.
3 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 298-99.

من هذا النوع".

يروي أودونيل أن ترامب أجاب: "روبرت، هدئ روعك! أنا واثق من أنني لن أصغي لما تقوله في هذا الشأن. سبق أن أصغيت إليك وأوصلتني إلى هذا الوضع". بعد هذا الحوار بوقت قصير، علم أودونيل أن روبرت غادر المكان، فقد أخبره أحد المديرين التنفيذيين أن روبرت "طلب من سكرتيرته إحضار بعض الصناديق. قال لها: سأغادر المكان. لست بحاجة إلى البقاء. استقل طائرة هليوكوبتر[١] وعاد إلى منزله" (خلال مقابلة أجريت مع دونالد ترامب في سياق الإعداد لهذا الكتاب، شكك في رواية أودونيل، وقال إن شقيقه "لم يترك العمل"[٢] وإنه فعل "عملاً ممتازاً" في الكازينوهات).

كان ترامب، في العلن، يتحدث بفخر أمام الحشود التي تجمعت للاحتفال بالافتتاح العظيم. أثنى ترامب، بلهجة مزهوة وفصيحة، على المديرين الذين قضوا في حادث سقوط الطائرة، وقال إن أسبوع افتتاح تاج مخل فاق "أكبر توقعاتي"[٣]. فرك مصباح علاء الدين الضخم وظهرت صورة الجني. غطت السماء أشعة الليزر والألعاب النارية، واندفع الزبائن إلى الداخل. وصف المعلقون تاج محل بأنه "أعجوبة العالم الثامنة". تنبأ المنافس السابق لترامب، ميرف غريفن Merv Griffin[٤]، بأن تاج محل سيعيد إلى أتلانتيك سيتي عافيتها. أما المذيع التلفزيوني روبين ليش، فقال في برنامجه Lifestyles of the Rich and Famous ما كان ترامب يرغب في سماعه بالتحديد: "مقامرة دونالد الكبرى تكشّفت عن أوراق تحمل كلها علامة الآس !ace"[٥].

---

١ المصدر نفسه، ص ٢٩٣-٢٩٤.

٢ مقابلة ترامب مع كرانيش. طلب من ترامب أثناء المقابلة ترتيب موعد مع شقيقه روبرت ترامب لمناقشة رواية أودونيل عن تلك الحادثة. قال دونالد ترامب إنه لن يفعل ذلك: "باستطاعتي استدعاء شقيقي الذي أتحدث معه طوال الوقت، لكنني لا أود إضاعة الكثير من الوقت حول هذا الموضوع. هل يبدو ذلك منطقياً بالنسبة إليك؟".

3 Daniel Heneghan and David J. Spatz, "Trump Opens Taj with Flourish," *Press of Atlantic City*, April 6, 1990.

٤ المصدر نفسه.

5 Robin Leach, host, *Lifestyles of the Rich and Famous*, April 1990, https://www.youtube.com/watch?v=GGWjUYWatTo

الفصل التاسع

المطاردة

تحركت إيفانا ترامب في الطابور الواقف أمام Bonnie's، وهو مكان أشبه بمقهى شعبي خاص بهواة التزلج، يقع في منتصف الطريق الواصل إلى جبل أسبن، ويشتهر بفطائر التفاح التي يُعدِّها وبالنبيذ المنكَّه بالتوابل، وبأسعاره الرخيصة المثيرة للدهشة. في الطابور[1] نفسه المخصص للطعام، كانت تقف مارلا ميبلز، العارضة والممثلة التي كانت عشيقة ترامب. كانت عائلة ترامب -إيفانا ودونالد وأطفالهما الثلاثة- يقضون إجازة شتاء ١٩٨٩ في تلك القرية في كولورادو، التي تتمتع بجمال أخّاذ يجعلها أشبه بالصور الموجودة على البطاقات البريدية. لم تكن الأمور على ما يرام بين دونالد وإيفانا، خصوصاً بعدما سمعت بالمصادفة محادثة في جناحهما في ليتل نيل، وهو فندق بدرجة خمسة نجوم كان قد افتتح في ذلك العام. تسترجع إيفانا ما حدث: "رفعت سماعة الهاتف في غرفة الجلوس[2]، وكان دونالد قد أجاب على المكالمة في غرفة النوم. كان يتحدث عن مارلا. لم أفهم ما كان يقول. فلم أكن قد سمعت من قبل اسماً كهذا في حياتي. ذهبت إلى حيث كان دونالد. سألته: من هي مولا؟".

تتذكر إيفانا أن زوجها أجاب: "هي الفتاة التي تلاحقني منذ سنتين".

في مقهى Bonnie's، شاهدت إيفانا زوجها يتحدث مع سيدة خطر لها أنها صديقة

١ مقابلة مع إيفانا ترامب، *Primetime Live*, ABC, May 10, ١٩٩١.

٢ المصدر نفسه، رفضت إيفانا ترامب ومارلا ميبلز طلبات إجراء مقابلات حول هذا الكتاب.

ميبلز. تقدمت إيفانا في الطابور نحو السيدة، وقالت لها: "سمعت من زوجي أن لديك صديقة تلاحقه منذ سنتين. هل لك أن تخبريها أنني أحب زوجي كثيراً؟". عادت إيفانا، وهي متزلجة بارعة، إلى المنحدرات دون أن تدري أن ميبلز كانت تقف خلف صديقتها تماماً، "لأنني لم يسبق لي أن قابلتها، لم تكن لدي أدنى فكرة". تتذكر إيفانا أن ميبلز تبعتها. "كانت منفعلة وتقف خلفي تماماً". قالت العشيقة أمام أولاد ترامب: "أنا مارلا، وأنا أحب زوجك. هل تحبينه أنت؟".

أجابت إيفانا بحدة: "اغربي عن وجهي. أنا أحب زوجي حباً جماً". أما زوجها، الذي نادراً ما يعجز عن التعليق، فلم "يقل أي شيء، أي شيء"، كما تتذكر إيفانا. ذكرت صحف الإشاعات أن ترامب التقط مزلاجيه وتوجّه بعيداً نحو المنحدرات.

كانت النساء تحدِّد شخصية ترامب بقدر ما كان يحددها أي مشروع أو أي ملكية. كان خط الإنتاج الرئيسي في علامة ترامب المميزة قائمة من الأساليب الكفيلة بتحقيق رؤية الرجل المنهمك بالعمل لأسلوب الحياة الذي يتميز بالضخامة، وكان ترامب أحياناً يسوّق لمنتجاته -الكازينوهات، الفنادق، الشقق- عن طريق إحاطة نفسه برموز الحياة المترفة، خصوصاً النساء الجميلات. لم تكن الصورة التي كرّس نفسه لإبرازها تحوي أي قدر من الغموض. كان يهتم بمظهر الأشياء، وكان يحرص على خلق الصور، لوحات من الجمال مُعدّة بأناقة. كان يعرض النساء اللواتي يواعدهن وصديقاته وزوجاته وأولاده كتجسيد للثروة. كان هؤلاء يتأنقون ويقفون بوضعيات تبهر الإنسان العادي. عند ظهور ترامب في مناسبات عامة دون وجود امرأة جميلة إلى جانبه، كان يشعر بأنه عارٍ. كان يحب نوعاً محدداً من النساء: عارضات، فائزات في مسابقات الجمال، ممثلات مبتدئات... كان معظمهن يمثلن النموذج النمطي للجمال: ساقان طويلتان، صدر عامر، شعر كثيف. كانت زوجاته -إيفانا ومارلا، وبعد سنوات، عارضة سلوفانية، ميلانيا كناوس Melania Knauss من خارج مدينة نيويورك، وكن يتكلمن بلكنة متميزة، اثنتان من أوروبا الشرقية، وواحدة من مدينة صغيرة في جورجيا. لم تكن واحدة منهن قد ولدت في موقع متميز. عندما بدأ ترامب يتقدم في السن، بدأ الفارق العمري يزداد. وفي الحياة العامة، أضحت نساؤه أكثر هدوءاً أيضاً.

كان ترامب يعتقد أن صورة الشخصية المشهورة التي كرس نفسه لإظهارها في

وسائل الإعلام ساعدت على تلميع سمعته على نحو لا تقدر أي تحقيقات يجريها مسؤولو الحكومة ولا الصحافيون المتشككون على الحط من شأنها. كان يقول: "لا يهم ماذا يكتبون عنك ما دام بصحبتك مؤخرة شابة جميلة".[1] تبنّى ترامب، بل عزّز صورة الرجل العابث. كان انهيار زيجاته مصحوباً بضجيج إعلامي يُغرِق الصحف بكتابات مسيئة منشورة بأحرف بارزة. وكانت المعركة العلنية المؤلمة للظفر بترامب التي اندلعت بين إيفانا ومارلا، وهما عارضتان سابقتان تحملان اسمين مفضّلين في صحف الشائعات، نسخة واقعية عن مسلسل Dynasty، المسلسل الاجتماعي الذي كان يبث في أوقات الذروة، والذي عكس مبالغات وإفراط ذلك العقد. كانت تلك المحنة، بكل المعايير، عرضاً عاطفياً مرعباً، تبدو ظاهرياً قمة الإحراج ونزاعاً مكلفاً، أيضاً، لكنها بالإضافة لكل ذلك، رسّخت مكانة ترامب بوصفه جائزة، موضوعاً لرغبات النساء الجميلات. كان يتحدث علناً عن علاقاته، كأن سمعته كرجل شهواني ستعزز شعبيته. استغل وسائل الإعلام والمحاكم ومحاميه لمساعدته في التعامل مع زوجاته السابقات. لكن خلف الحفلات وظهوره العلني مع العارضات والممثلات، ورغم عناوين الصحف المثيرة، كانت علاقاته النسائية نادراً ما تبدو شاعرية أو قائمة على الرغبة. يقول أصدقاؤه إن النساء بالنسبة إلى ترامب كنّ على الدوام موضوعاً للمطاردة، وللتعقّب. أما العلاقة الفعلية، فكانت تبدو ثانوية. تقول لويز سنشاين، إحدى المديرات اللواتي عملن معه، إن ترامب في كل ما يفعله "يسعى دائماً وراء شيء ما.[2] وهنا تكمن الإثارة. 'الحياة مع دونالد يجب أن تكون حفلة راقصة'. الناس تنجذب إليه. لا مجال للضجر بصحبته. إنه من النوع الذي يستثير عبارة 'يا إلهي'. تشعر بأنك تريد مرافقته في رحلته. ترامب يحفز الحواس".

كان ترامب يرى في حياته العاطفية العلنية خدمة يقدمها إلى قاعدة زبائنه المحتملين -فهو يخلق طموحات لمن يتشوقون إلى مزيد من الروعة في حياتهم- وإلى بعض النساء المحظوظات. قال: "أنا أخلق نجوماً.[3] أحب خلْق النجوم، وإلى حد ما، هذا ما صنعتُه مع إيفانا. وصنعتُ ذلك مع مارلا. لقد وفّرت فعلاً فرصاً عظيمة للعديد من

1 Harry Hurt III, "Donald Trump Gets Small," *Esquire*, May 1991.

٢ مقابلة لويزا سنشاين مع فرانسيس ستيد سيللرز، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٣ مقابلة ترامب مع نانسي كولينز، *Primetime Live*, ABC, March 10, 1994.

النساء، لكن لسوء الحظ، بعد أن يصرن نجمات، تخمد المتعة بالنسبة إلي. هذا أشبه بعملية خلق. أشبه بإنشاء مبنى. وهذا محزن".

في الكتب الرائجة التي نشرها ترامب، نراه يقدم نفسه موضوعاً شهوانياً لا يقاوَم، لا يسعى وراء أحد، بل هو دائماً الموضوع الذي يسعى إليه الآخرون. قال في مذكراته التي نُشرت عام ١٩٩٧، *Trump, The Art of the Comeback*، مؤكِّداً: "لو سردت القصص الحقيقية[١] لتجاربي مع النساء، وغالباً مع نساء يعشن ظاهرياً حياة زوجية هانئة ومع نساء يشغلن مواقع مهمة، فسوف يصير هذا الكتاب حتماً من الكتب الرائجة (وسوف يصير كذلك على أي حال!)". وفق روايته، كانت تطارده نساء شهوانيات. وصف مرة لقاءً جمعه مع امرأة متزوجة لم يذكر اسمها "سيدة تتحدر من عائلة ثرية ذات مستوى اجتماعي رفيع"، كان زوجها جالساً إلى مائدة العشاء نفسها: "فجأة، شعرت بيدها تحط على ركبتي، ثم على ساقي. بدأت تداعبني بالطرق شتى". وبما أنه كان الموضوع السلبي لتلك الرغبة، كانت المرأة، كما قال، مصرة، فقد قالت له: "دونالد، لا يهمني، لا يهمني. يجب أن أحصل عليك، ويجب أن أحصل عليك الآن".[٢] ذات يوم، وعندما كان ترامب يصحب في سيارته الفارهة امرأة ثرية، "امرأة رائعة الجمال ومثيرة"، كانت على وشك الزواج، "بعد خمس ثوانٍ من إغلاق الباب، قفزت فوقي طالبة مني مضاجعتها".[٣]

كان ترامب يكرر دائماً أن النساء كن يرغبن فيه لكنه كان متحفظاً معهن، فقد كان يشك في ما يراه مشاعر العداء البارعة والماكرة والخادعة لديهن. كتب مرة يقول: "تتمتع النساء بقدرة هائلة على التمثيل.[٤] البارعات منهن يتصرفن بأنوثة كأنهن بحاجة إليك، لكنهن في قرارة أنفسهن قاتلات... شاهدت النساء يتلاعبن بالرجال بغمزة من عيونهن، أو بجزء آخر من أجسادهن... حبي للنساء لا يعادله حب أي شيء آخر، لكنهن في الواقع يختلفن كثيراً عن الصورة السائدة عنهن. هن أسوأ من الرجال بكثير، أكثر عدائية، وبوسعهن أن يكنّ حاذقات. لنعطِ كل ذي حق حقه، ولنحيِّ النساء

1 Trump with Bohner, *Comeback*, 116.

٢ المصدر نفسه، ١١٧.

٣ المصدر نفسه.

٤ المصدر نفسه، ١١٧–١١٨.

لقوتهن الهائلة، القوة التي يخشى معظم الرجال الاعتراف بأنهن يمتلكنها".

لكن، بقدر القوة التي يمكن للنساء استخدامها، نجد أن ترامب نادراً ما يفوت فرصة التباهي برجولته. وحينما سئل عن رأيه بعقار الفياغرا، تبجح بأنه لم يسبق له أن احتاج إلى مساعدة بهذا الشأن، بل إن ما كان يحتاجه في الواقع، هو "فياغرا-مضاد، عقار بتأثير معاكس. أنا لا أتبجح.[1] أنا محظوظ وحسب".

كان الصراع على دونالد في جبل أسبن أكثر من مجرد قصة مثيرة في صحيفة للإشاعات. فقد كان يشير إلى تطوّر طرأ على صورة ترامب، من رجل يستقطب الاهتمام، متهور، يعمل في مجال العقارات، إلى نوع مختلف من الشخصيات المشهورة، رجل استعراض يبرز زوجته لا كشريكة له في العمل، بل كرمز للفتنة التي كان يسوّق لها في مشاريعه التي تشمل الكازينوهات وصناعة الثياب والعطور. كانت إيفانا مديرة رئيسية في شركة العائلة، كانت من جيله، وهي صاحبة الفضل في مظاهر الثراء المبالغ بها داخل ممتلكاته العقارية. ساعدت إيفانا على ترسيخ صورة ترامب المميِّزة: شيء يجمع بين لاس فيغاس وفيرساي كان منتقدو ترامب يرون أنه دليل على الذوق السقيم وحداثة النعمة، بل على العبثية. في المقابل، كانت مارلا تمثل الشباب. عندما صار ترامب في الخامسة والأربعين، ومع التوسُّع السريع لإمبراطوريته رغم الضغوط المالية التي كانت تواجهها (في أحد الأيام كان العنوان الرئيسي لصحيفة **نيويورك ديلي نيوز** *New York Daily News*: "ترامب إلى انحدار")، بدأ يظهر في المناسبات العامة مع نساء أصغر سناً. كانت مارلا تبعث في حياته الحيوية والنشاط لكنها لم تلعب أي دور في أعمال العائلة. وإذا كانت إيفانا قد عززت مجموعة مشاريع ترامب وساعدت دونالد على تغيير صورته إلى رجل عائلة ناجح، فإن مارلا عبَّرت عن جانب مختلف من شخصية ترامب، وهو رغبته في الفصل بين العمل وبين الحياة العاطفية، كما كان والده يفعل. قال ترامب يصف زوجتيه الأولى والثانية: "هما مختلفتان اختلافاً بيّناً عن بعضهما بعضاً، إيفانا امرأة أعمال عملية وقوية الشخصية؛ مارلا ممثلة... لقد أدركت أن تلكما الامرأتين الاستثنائيتين تمثلان طرفي النقيض في شخصيتي".[2]

١ مقابلة ترامب مع ديفيد هوكمان، *Playboy*, October 2004.

2 Trump with Bohner, *Comeback*, 118.

كان لقاء الامرأتين في تلك المنطقة الجبلية يبدو أمراً محتوماً. وكان ترامب قد عمل جاهداً على إبقاء إحداهما بعيدة عن الأخرى لأكثر من عامين. في مانهاتن، كانت مارلا -التي أقامت معظم الوقت في فندق سانت موريتز الذي لا يبعد سوى ثلاثة أبنية عن مقر العائلة ذي الطوابق الثلاثة في برج ترامب- تُحجَب عن الأنظار أحياناً ضمن الإجراءات الأمنية المحيطة بترامب.[١] وكان ترامب يدبّر أمر ظهورها في المناسبات العامة بصحبة رجال آخرين يتظاهرون بأنهم يواعدونها، حتى في المناسبات التي تحضرها إيفانا. وكانت تلك الحيلة تسمح لترامب بأن يكون متكتماً بشأن عشيقته وأن يتصرف بصفاقة صبيانية في الوقت نفسه. شوهدت ميبلز في مباراة لمايك تايسون Mike Tyson عندما اصطحب ترامب مجموعة من المشاهير، بمن فيهم كيرك دوغلاس Kirk Douglas وجاك نيكلسون Jack Nicholson، إلى أتلانتيك سيتي في طائرته الهليوكوبتر Sikorsky. في تلك الرحلة، كانت ميبلز برفقة توماس فيتزسيمونز Thomas Fitzsimmons، وهو صديق مقرّب وشرطي سابق ظنَّ عديدون أنه الرجل الذي تواعده. دخلت الامرأتان أخيراً المدار المحموم لأسبن الصغيرة في ذروة موسم عيد الميلاد. إذاً، كيف لهما ألا تلتقيا بالمصادفة؟

أجبر الحدث الكارثي في أسبن ميبلز على الاختباء -ذهبت إلى غواتيمالا[٢] لبضعة أسابيع للعمل في كتيبة السلام- في الوقت الذي كانت فيه إجراءات طلاق دونالد وإيفانا تتم على صفحات صحف الإشاعات ومكاتب المحامين. كانت مفاوضات الطلاق عسيرة، والتغطية الإعلامية لا ترحم. كان الطرفان يتعاملان في هذه القضية كأنهما في حملة عسكرية. ذات يوم، بلغ الأمر حد وقوف محامي ترامب جيه غولدبيرغ Jay Goldberg على درج المحكمة جنوبي مانهاتن، أمام عدسات كاميرات التلفزة، ملوحاً بشيك بقيمة عشرة ملايين دولار[٣] كان ترامب قد عرضها على إيفانا لوضع حد لذلك النزاع.

صار الشجار العلني شنيعاً إلى درجة لا تطاق: ادّعت إيفانا في شهادة أدلت بها تحت القسم أن ترامب اغتصبها إثر جدال دار بينهما حول عملية جراحية مؤلمة

1 Barrett, *Trump*, 19.

2 Michael Gross, "Marla Maples: Tabloid Life," *New York*, April 6, 1998.

٣ مقابلة غولدبيرغ مع **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

للتخلص من البقعة الصلعاء في رأسه. كانت إيفانا هي من اقترحت اسم جراح التجميل، ولم يكن ترامب راضياً عن النتيجة. واستناداً إلى ما ورد في كتاب *Lost Tycoon*، الذي وضعه هاري هيرت الثالث Harry Hurt III، قالت إيفانا في شهادتها إن دونالد ثبّت ذراعيها خلف ظهرها وجذب شعرها ومزق ثيابها وأجبرها على ممارسة الجنس معه. عام ١٩٩٣، وإثر نشر كتاب هيرت، أضيفت ملاحظة للقارئ على الصفحة الأولى كتبتها إيفانا بناء على إصرار محامي ترامب، قالت فيها: "في شهادة قدمتُها في ما يتصل بالدعوى الخاصة بزواجي، قلت إن زوجي اغتصبني". في "أحد الأيام من عام ١٩٨٩، جرت بيني وبين السيد ترامب علاقة زوجية تصرّف هو أثناءها معي بأسلوب يغاير تماماً الواقع المعتاد خلال زواجنا. وبوصفي امرأة، شعرت بأنني قد تعرضت للاعتداء، لأنني لم ألمس الحب والرقة اللذين كان يبديهما اتجاهي في العادة. أشرتُ في شهادتي إلى تلك الحادثة بتعبير 'اغتصاب'، لكنني لا أريد أن يُفسَّر كلامي بالمعنى الحرفي أو الجنائي". أنكر ترامب بقوة وقوع الحادثة أو حدوث العملية الجراحية. كان ذلك الادعاء، كما قال المتحدث باسم ترامب "تكتيكاً مألوفاً لدى المحامين، استُغِل للحصول على مزيد من المال من السيد ترامب، ولا سيما أن لديه اتفاقية ما قبل الزواج مُحْكمة". يقول غولدبيرغ إن القاضي حث الطرفين، خلال لقاء عاصف عام ١٩٩٠، على الاتفاق على مبلغ رآه ترامب "غير ملائم". فوقف وقال للقاضي: "أنت رجل قذر. سأغادر المكان". تناول معطفه وخرج.[١]

كان ترامب في حياته الزوجية يحرص على توضيح من هو الطرف المسيطر في العلاقة. لم تحدث بينه وبين إيفانا "مشاجرات عنيفة"[٢] والسبب، كما قال، أن "إيفانا كانت في نهاية المطاف تفعل ما أقوله تماماً". شعر ترامب لاحقاً بالأسف لأنه جعلها تعمل في مؤسساته وتدير الفنادق والكازينوهات: "الخطأ الأكبر الذي ارتكبته مع إيفانا هو أنني أخرجتها من دورها كزوجة. صارت المشكلة هي أنها لم تعد ترغب بالحديث إلا حول العمل. عندما كنت أعود إلى المنزل مساء، وبدلاً من الحديث حول أمور الحياة اللطيفة، كانت ترغب في الحديث عن البلازا أو عن النجاح الذي

١ المصدر السابق.
٢ ترامب في برنامج أوبرا Oprah، ٢٥ نيسان/أبريل، ١٩٨٨.

حققه الكازينو ذلك اليوم... لن أعهد مستقبلاً لزوجة بمسؤوليات[١] تتعلق بعملي".

وهذا ما فعله.

مع اندماج حياة ترامب الخاصة بهويته العامة، صار يرى زيجاته أمراً يسهم في تعزيز صورته، وفي النتيجة سمعته في عالم الأعمال، أو عائقاً في وجه أعماله. صرح أثناء سير إجراءات طلاقه من إيفانا: "بدا كأن زواجي هو الجانب الوحيد في حياتي الذي كنت فيه راغباً في القبول بما هو أقل من الكمال".[٢] لم تكن مارلا تمثل له تهديداً بهذا الحجم. فهي لم تكن من ذلك النوع الذي يتحداه، سوى في إلحاحها المستمر عليه ليتزوجها. في هذه المرة، لم يكن هناك أي حديث عن زواج شخصين متكافئين. كان يتفوق عليها في الثروة والشهرة والخبرة والانشغال بالشؤون الدنيوية. يقول غولدبيرغ: "كان من الواضح أن العلاقة حارة، لكنني لم أكن أعتقد أنها ستستمر".[٣]

وبينما كان لدى إيفانا على الدوام برنامج اجتماعي حافل يثير ازدراء ترامب علناً، صار دونالد، في علاقته بمارلا، هو المدير الاجتماعي لحياتها. تسترجع ميبلز ذكرى تلك المدة، قائلة: "ما إن بدأنا نخرج معاً في العلن[٤]، حتى صار يتعين عليّ الظهور بالصورة المتوقعة مني. الشعر ومساحيق التجميل وثياب كبار المصممين، وهكذا تتحول المرأة إلى صورة كاريكاتورية عن نفسها. أعتقد أن أكثر ما أحبَّه [ترامب] فيّ هو أنني لم أكن جزءاً من ذلك العالم. ولكن ما إن بدأنا بالظهور معاً في العلن، حتى غدا راغباً في تغييري لكي أتحول إلى ذلك الحيوان الاجتماعي". تتذكر مارلا أنه، بعد سنوات، "كان ارتداء الثياب والخروج لحضور المناسبات، وأنا ألبس في يدي مجوهرات هاري ونستون Harry Winston، كان على الدوام يشعرني بفقدان الارتياح: كنت أمثل دوراً فحسب. كنت أشعر أن ذلك من متطلبات العمل".[٥]

كان عملها يتلخص في لفت الأنظار. أطلقت عليها صحف الإشاعات اسم خوخة جورجيا. نشأت ميبلز في مدينة دالتون، في ولاية جورجيا، التي ترى في نفسها عاصمة

1 Trump with Bohner, *Comeback*, 137–38.

2 Trump and Leerhsen, *Surviving at the Top*, 47.

٣ مقابلة مع غولدبيرغ.

4 Gross, "Marla Maples."

5 Marla Maples Opens Up," *People*, April 19, 2016.

السجاد في العالم. كان والدها يعمل متعهد عقارات. بعد طلاق والديها، تزوجت والدتها مدير معمل سجاد. كانت مارلا، الشقراء ذات العينين الزرقاوين، تهوى التمثيل منذ صغرها، في برودواي وهوليوود. شاركت في مسابقات جمال -وفازت في عدد منها بما في ذلك مسابقة فتاة الملصقات على شاطئ ريساكا- لكنها لم تشارك في مسابقات جمال أكثر شهرة لأن تلك المسابقات تتطلب وجود موهبة[1] لدى المتبارية.

كان أصدقاؤها يرون فيها فتاة لطيفة كريمة النفس: كانت تصنع المربيات وحلوى الهلام وتوزعها. في عيد الميلاد، كانت تفاجئ أصدقاءها بكنزات وبسلال تصنعها بيديها. جاءت إلى مانهاتن عام ١٩٨٥، وسرعان ما حصلت على أدوار ثانوية قصيرة في أفلام من الدرجة الثانية، وحصلت على دور أكبر في فيديو للتمارين الرياضية. في فيلم الرعب المأخوذ عن قصة الخيال العلمي التي ألفها ستيفان كينغ Stephen King عام ١٩٨٦، Maximum Overdrive، صُرِعت الشخصية التي مثلتها، ولم تكن تحمل أي اسم، تحت ضربات ثمار البطيخ المتدحرجة من الشاحنة. قابلت ترامب بعد مدة قصيرة من قدومها إلى نيويورك، شعرت ميبلز مباشرة بوجود "رابط بيننا،[2] لكن التوقيت لم يكن مناسباً. صرنا نقضي أوقاتاً طويلة في الحديث على الهاتف دون أن نخرج معاً إلى العلن. بحلول عام ١٩٨٨، شعرت أنني أحب هذا الرجل".

ظلت قصة حب ترامب وميبلز، لمدة ثلاث سنوات بعد حادثة أسبن، مسلسلاً متواصلاً في صحف الإشاعات. كان ذهابهما وإيابهما وكل التفاصيل التافهة في حياتهما تُسجَّل بالتفصيل على صفحات الإشاعات وفي التلفزيون. عام ١٩٩٠، وبعد تصريح إيفانا بأن ارتكاب زوجها الزنى يمثل خرقاً لشروط عقد زواجهما، ظهرت ميبلز في قناة ABC، في مقابلة مع دايان سوير Diane Sawyer أُجريَت في منزل يملكه أحد أصدقاء ترامب في أتلانتيك سيتي. قالت المرأة ذات الأعوام الستة والعشرين أمام جمهور التلفزيون الوطني الذي يزيد عدده على ثلاثة عشر مليون شخص: "كان لا يحب أن أشعر بأنني كنت مضطرة إلى الاختباء". رفضت ميبلز الحديث حول حادثة أسبن، وبدلاً من ذلك، وجّهت إلى منافستها مجاملة لاذعة: "أعتقد أنها امرأة بارعة

1 Elizabeth Sporkin, "Ooh-la-la Marla!," *People*, March 5, 1990.

2 Gross, "Marla Maples."

الجمال. أعتقد أنها كانت جميلة قبل العمليات. أعني أنها حالياً فائقة الجمال".[1] كان بإمكان ميبلز إلحاق الهزيمة بغيرها، لكنها كانت أيضاً غالباً ما تُصوَّر على نحو قاسٍ في الصحافة. ورد في إحدى المقالات المنشورة في فانيتي فير: "معرفة مارلا عن كثب أشبه بالضغط بإبهامك على علبة رذاذ ومراقبة أكوام كريمة Reddi-Wip تتدفق".[2]

في تموز/يوليو ١٩٩١، أهدى ترامب ميبلز خاتماً ماسياً[3] يزن سبعة قراريط ونصف، وظل يؤكد لمدة أن الخاتم لا يشير إلى حدوث خطبة. قالت ميبلز إنها تأمل في الزواج بحلول فصل الشتاء، لكن كان عليها الانتظار لعامين إضافيين. في تلك الأثناء، ظهرت ميبلز في دور "Ziegfeld's Favorite" في إنتاج برودواي المسرحية الغنائية The Will Rogers Follies. ملأ ترامب المسرح بالضيوف، ومن بينهم المغنية La Toya Jackson، والصحافي التلفزيوني مايك واليس Mike wallace، ومذيع برامج الحوار التلفزيونية موريه بوفيتش Mauray Povich. أقام ترامب حفلة بعد العرض في البلازا الذي كانت زوجته الأولى، إيفانا، قد ساعدت في تجديد تصميمه الداخلي.

أصر ترامب في هذا الزواج أيضاً على عقد اتفاق ما قبل الزواج، ظهرت ميبلز على التلفزيون للحديث حول هذا الموضوع: "كنت دائماً أقول لترامب إنني سأفعل كل ما يتوجب علي فعله. سوف أوقّع كي يشعر محاموك بالرضا، لكنني لا أريد أن أسمّي ذلك اتفاق ما قبل الزواج. قلت له إنني أريد تسجيل وعودي كتابة بأنني لن أتدخل في صفقات العمل الخاصة به،[4] إذا حدث ووصلت الأمور إلى وضع كهذا". تمّ الزفاف في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٣ بعد التخطيط له في عشرة أيام. ارتدت ميبلز تاجاً ماسياً يبلغ ثمنه مليوني دولار اشتراه دونالد بالدين من صائغ في الجادة الخامسة. حضر الزفاف ألف شخص[5] في قاعة الحفلات الكبرى في البلازا. كانت ابنتهما تيفاني قد ولدت قبل شهرين. أثناء الحفل، عبّر نجم الرياضة و. ج. سمبسون O. J. Simpson عن شكوكه بشأن هذا الزواج، قائلاً: "أظن أن كل شخص في البلاد

١ مارلا ميبلز في مقابلة مع دايان سوير، *Primetime Live*, ABC, April 19, 1990.

2 *Primetime Live*, ABC, April 19, 1990.

3 James Barron, "The Donald Is to Marry!," *New York Times*, July 4, 1991.
في عام ٢٠٠٠، باعت مارلا الخاتم في مزاد.

4 Maples on *Today*, NBC, July 26, 1993.

5 Todd S. Purdum, "In This Plaza, I Thee Wed," *New York Times*, December 18, 1993.

يعتقد أنه إذا نجحت علاقة هذين الاثنين،[1] فسوف تنجح علاقة أي شخص كان" (بعد ستة أشهر، اتُّهم سمبسون بقتل زوجته السابقة نيكول براون سمبسون وأُخلي سبيله في نهاية المطاف).

تألقت ميبلز، التي كانت قد قالت إنها ترغب في حفل زفاف بسيط وهادئ، بثوب من تصميم كارولينا هيريرا Carolina Herrera فيما كانت تقطع الكعكة التي بلغ طولها ستة أقدام أمام الضيوف الذين كانوا مزيجاً من الشخصيات السياسية والرياضية ومن شخصيات تعمل في مجال الترفيه، بمن فيهم ليزا مينيللي Liza Minnelli، وهوارد ستيرن Howard Stern الذي قال عن الثنائي السعيد: "لن يدوم الزواج أكثر من أربعة أشهر"[2] (دام الزواج ست سنوات). ووثّق الحدث سبعة أطقم تلفزيونية وما يقارب مئة مصور. علقت صحيفة **تايمز**: "لم تكن في القاعة عين دامعة".[3] قال ترامب إن الكافيار وحده[4] كلّف أكثر من ستين ألف دولار، لكن هذا النصر بدا باهتاً أمام تدفق الأدرينالين الذي ولّدته عملية المطاردة. قال ترامب في ما بعد: "شعرت بالضجر لدى رؤيتها تسير في الممشى. تساءلت في نفسي: ماذا أفعل أنا هنا؟".[5]

كان الشعور بتسلل مشاعر خيبة الأمل واضحاً للمحيطين بالعروسين. قال غولدبيرغ: "ما إن تزوجا حتى بدا كأن هناك مسافة تفصل بينهما، وغالباً ما كانت تصرفات كل منهما تتضارب مع تصرفات الآخر". شعر ترامب بالضيق من العدد الكبير لأقرباء ميبلز.[6] وخلال بضع سنوات، كان ترامب يتحدث عن مشكلاتهما على الملأ. في كتاب *Trump: The Art of the Comeback*، وصف يوماً عادياً في زواجه: "الساعة السادسة والنصف مساء. أغادر المكتب وأذهب إلى الشقة. مارلا تنتظرني وقد أعدت العشاء، ومع أنني أقدر ما تفعله فعلاً، فإنني أدرك أن هذا الزواج قارب على الانتهاء. لا يبدو أنه يتمتع بفرص النجاح. ربما كان السبب برنامج حياتي، والأغلب

1 Megan French, "O. J. Simpson Made Awkward Comment at Donald Trump's 1993 Wedding to Marla Maples Months before His Arrest: Watch," *Us*, April 6, 2016.

2 Georgia Dullea, "It's a Wedding Blitz for Trump and Maples," *New York Times*, December 21, 1993.

٣ المصدر نفسه.

4 Trump with Bohner, *Comeback*, 140.

5 O'Brien, *Trump Nation*, 7.

٦ مقابلة مع غولدبيرغ.

أنها غلطتي، ولكن يجب أن تتوق فعلاً إلى العودة إلى البيت، وإذا لم تشعر بذلك، فهذا يعني أن شيئاً ما على غير ما يرام".[1]

كان ترامب قد ضمن أنه سيخرج بأقل كلفة ممكنة. وإذا كان الزواج لم يدم طويلاً، فإن اتفاقية ما قبل الزواج حددت بدقة المبلغ الذي تستطيع ميبلز الحصول عليه. قبضت خمسة ملايين دولار أو أقل.[2] كان ترامب، كما قال غولدبيرغ: "يراقب الساعة".[3] لكنه كان أيضاً يراقب خيارات أخرى.

منذ اللحظة التي عبر فيها ترامب الجسر متجهاً إلى مانهاتن بعد التخرج من الجامعة، كان يجد الأساليب الكفيلة بعرض النساء الجميلات بما يخدم نجاحه المالي. وفي اللغة الخاصة بترامب، الرجل المتفوق هو الناجح، والمرأة المتفوقة هي المرأة الجميلة. انتسب إلى Le Clube لأنه كان، كما قال، "النادي الأكثر إثارة[4] في المدينة... كان أعضاؤه يضمون بعض أنجح الرجال في العالم وأجمل النساء في العالم". بدأ يرتاد حفلات جامحة بصحبة نساء يظهرن جميلات في الصور، وكان يحصل عليهن عن طريق الاتصال بوكالات العارضات لطلب المساعدة في ملء قائمة ضيوفه. صار يتردد بانتظام إلى عروض الأزياء في نيويورك ويجلس في الصف الأول، ويظهر في صحف الشائعات ومنشورات دور الأزياء محاطاً بنساء ذوات جمال كلاسيكي وشعر كثيف وشفاه متألقة.

عام ١٩٨٥، تمكن من افتتاح ناديه الخاص، وكان جوّه مزيجاً من النجاح والجمال، وهو المزيج الذي كان يسعى إلى جعله تجسيداً لعلامته الخاصة. اشترى مار-ألاغو، وهو قصر تاريخي في بالم بيتش بنتْه عام ١٩٢٧ إحدى أغنى نساء العالم، وهي مارجوري ميريوذربوست بوست Marjorie Merriweather Post. وكانت قد وهبت القصر الذي يضم مئة وثمانٍ وعشرين غرفة للحكومة الأميركية عام ١٩٧٣، ليكون بمقام البيت الأبيض الصيفي، لكن إدارة الرئيس كارتر سلمت المبنى المطل على المحيط الأطلسي، على أكثر أجزاء شاطئ فلوريدا ترفاً وأناقة، لـPost Foundation،

1 Trump with Bohner, *Comeback*, 210.

2 Bruce Weber, "Donald and Marla Are Headed for Divestiture, "*New York Times*, May 3, 1997.

٣ مقابلة مع غولدبيرغ.

4 Trump with Schwartz, *Art of the Deal* (2015), 94–95.

وهي مؤسسة خاصة، بسبب غلاء تكلفة صيانته. أراد ترامب الحصول عليه، وعرض ثمانية وعشرين مليون دولاراً، لكن المؤسسة قالت إن المبلغ لم يكن كافياً. لم يرفع ترامب السعر الذي يعرضه، بل خفّضه. قرر اللعب بأسلوب عدواني عنيف. فاشترى، عن طريق طرف ثالث، الملكية الموجودة على الشاطئ والكائنة أمام قصر مار ألاغو مباشرة، وهدد ببناء بيت بشع الشكل[1] لحجب مشهد المحيط عن قصر مؤسسة Post. قال ترامب: "أثار ذلك جنون الكل. لم يكن بوسعهم بيع القصر لأنني كنت أملك الشاطئ، وهكذا بدأ السعر ينخفض شيئاً فشيئاً".

في نهاية المطاف، اشترى ترامب القصر الذي كان يراه من معالم المنطقة بمبلغ خمسة ملايين دولار، وكانت صفقة رابحة، إضافة إلى ثلاثة ملايين دولار ثمن القطع الأثرية العائدة إلى مؤسسة Post والأثاث الثمين. حوّل الملكية، التي كانت تشغل أكثر من سبعة عشر فداناً، إلى ناد خاص (عام ٢٠١٥، كان الأعضاء الجدد يدفعون مئة ألف دولار رسم انتساب إضافة إلى رسم سنوي يبلغ أربعة عشر ألف دولار) كان يُؤجّره للمناسبات ولحفلات الزفاف. في بالم بيتش، وهي قرية صغيرة تضم بيوتاً منعزلة وشواطئ خاصة كان أفراد العائلات الملكية وأصحاب المليارات يستمتعون فيها بخصوصيتهم، كانت سيارات Bentley وRolls–Royce تنزلق على جادة South Ocean متوجهة إلى بيوت مخفية خلف سياجات عالية. في قصر مار ألاغو، خفض ترامب ارتفاع السياجات لكي يتاح للمارة رؤية القصر. كما اعتاد دعوة ضيوف من المشاهير، مثل مايكل جاكسون، إلى المبيت في القصر، وهو ما كان يجتذب المصورين الذين يلاحقون المشاهير. وجهت الصحف المحلية نقداً قاسياً إلى ترامب لأنه نشر إشاعات تقول إن الأميرة ديانا ومادونا، ومشاهير آخرين، كانوا بصدد الانتساب إلى ناديه، وكان كل ذلك جانباً من الجهود التي كان يبذلها لإحداث ضجيج حول مار ألاغو. أضاف ترامب إلى القصر قاعة للحفلات على طراز لويس الرابع عشر بلغ ارتفاع سقفها أربعين قدماً، وغلّف الجدران برقائق ذهبية بلغت قيمتها سبعة ملايين دولار (الواقع أن إيفانا كانت هي المسؤولة عن تجديد التصميم). دفع ترامب مئة ألف دولار

[1] مقابلة مع ترامب، تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٥.

ثمن أربعة مغاسل مكسوة بالذهب[1] مركبة قرب صالة الحفلات.

أرسل إليه مجلس بلدية بالم بيتش، الذي روّعه السلوك المتباهي الذي كان يتصرف به، قائمة بالقيود المفروضة على عضوية النوادي وحركة المرور والأشخاص الذين يحضرون الحفلات، وحتى على التصوير، لكن ترامب رفض أن يحاصره أحد. أوصل تلك المعركة إلى محكمة الرأي العام. أرسل محاميه إلى كل عضو من أعضاء مجلس المدينة نسخة عن فيلمين كلاسيكيين تدور أحداثهما حول التمييز: فيلم Gentleman's Agreement، ويروي قصة صحافي يتظاهر بأنه يهودي لفضح نزعة معاداة السامية، وفيلم Guess Who's Coming to Dinner، وهو يظهر رد فعل زوجين من البيض حينما اصطحبت ابنتهما إلى المنزل خطيبها الأسود اللون. كانت الفكرة واضحة ومؤلمة: كان الزعماء السياسيون في المدينة يتغاضون، منذ عقود، عن قواعد تمكّن الأندية الخاصة الموجودة في المدينة من إقصاء اليهود والسود، والآن يريد هؤلاء إهانة ترامب بفرض قواعد صارمة على ناديه الذي كان مفتوحاً أمام أي شخص يستطيع دفع رسومه الباهظة. أصر أعضاء مجلس المدينة على أن ما يشغل بالهم هو حصراً محاولة ترامب تحويل شاطئ هادئ يسوده جو رزين إلى حفل صاخب يجتذب العديد من الغرباء. رغم كل ذلك، نجح تكتيك ترامب. وبمضي الوقت، ألغيت معظم القيود.[2]

كانت الحفلات التي يقيمها ترامب مُعَدَّة حتى تثير، تحديداً، الاهتمام الذي كان يبغضه مجلس المدينة. فقد كان العديد من الضيوف عارضات من ميامي، وكن ينتشرن حول الفناء المكشوف وحوض السباحة. وفي مناسبات اللهو والمرح، كان ترامب يحرص على أن يكون معدل عدد النساء إلى الرجال: ثلاثة إلى اثنين على الأقل. يسترجع مستشار ترامب القديم، روجر ستون Roger Stone، تلك المناسبات: "توجد مئة امرأة جميلة وعشرة رجال. 'هل ترى النعيم الذي نحن فيه؟'[3] أعني، كان الوضع رائعاً".

---

1 Mary Jordan and Rosalind S. Helderman, "Inside Trump's Palm Beach Castle and His 30-Year Fight to Win Over the Locals," *Washington Post*, November 14, 2015.

في عام ٢٠١٤، كسب ترامب من مار ألاغو مبلغ خمسة عشر مليوناً وستمئة ألف دولار، وفق ما ورد في الكشف المالي الذي قدمه ضمن وثائق حملته الانتخابية.

٢ المصدر نفسه.

٣ مقابلة روجر ستون، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

كان ترامب، قبل زيجاته، وخلال المدد الفاصلة بينها، يبرز صورته كزير نساء. كان يتدبر أمر تصويره مع ملكات جمال يرتدين ثياباً مكشوفة، وفي السيارات الفارهة مع عارضات، وأثناء زيارته قصر Playboy الخاص بهيو هفنر Hugh Hefner، كان ترامب يمزج اهتمامه بالنساء ذوات الجمال المعترف به رسمياً، بإمبراطوريته التي لا تكف عن التوسّع، فقد انخرط في مجال أعمال مسابقات الجمال والعارضات. قال في هذا الشأن: "ما أفعله ينجح بسبب الجمال.[4] الناس يحبون المباني التي أشيدها ومسابقات الجمال التي أنظّمها". أسهمت مسابقات الجمال في ازدياد شهرة ترامب في أنحاء العالم،[5] وجعلته يجوب الكرة الأرضية، ويزور البلاد من كل الأنواع ويقف لالتقاط الصور وبجانبه ملكة جمال أي بلد كان، لقصّ شريط منشأة ما، أو لإعلان مشاريعه العقارية والفندقية. كان السياسيون الأجانب وكبار رجالات الأعمال يتلهفون للانضمام إليه في مناسبات تضم ملكات جمال والقليل من مباحثات الأعمال. كان ترامب يرى في مسابقات الجمال ترويحاً محبباً عن النفس يبعده عن المخططات وبرامج العمل والاجتماعات الخاصة بالتأثير البيئي، كما كان يراها فرصة لـ"تنويع"[6] مجموعة استثماراته، ولتقديم نفسه إلى جمهور تلفزيوني واسع: محلي ودولي.

بدأ استثمار ترامب في حفلات الجمال مع مسابقة American Dream Calendar Girl Model Search، التي كانت قد بدأت عام ١٩٦٦ بصورة مشروع مشترك بين شركة تصنيع للعطور والمستحضرات الخاصة بالرجال، وبين شركة تنشر تقويماً دعائياً للسيارات السريعة كانت تريد إضافة صور نساء بثياب مكشوفة إلى صفحات التقويم. عام ١٩٩٢، دخل ترامب في شراكة مع الزوجين اللذين يملكان American Dream، وهما من فلوريدا. كان جورج حوراني وجيل هارث Jill Harth يأملان في أن تضفي علامة ترامب المميزة حيوية على المسابقات التي ينظمانها والتقويم الذي تظهر فيه نساء بثياب السباحة يقفن إلى جانب السيارات السريعة. لم تدم العلاقة طويلاً. بعد

---

4 Bob Morris, "A Night Out With: Donald J. Trump; Previewing the States of Beauty," *New York Times*, January 10, 1999.

٥ خلال حملته الانتخابية، كان ترامب يدَّعي أحياناً وجود علاقات ودية تربطه بروسيا لأنه أشرف على تنظيم "حدث مهم في روسيا"، وهو مسابقة ملكة جمال الكون التي وصفها بأنها "حدث لا مثيل لضخامته".

6 Trump with Bohner, *Comeback*, 96.

حفل عام ١٩٩٣، الذي أُقيم في ترامب كاسل، أقام حوراني وهارث دعوى الإخلال بشروط العقد،[1] وادعيا أن المشروع جعلهما يخسران مئتين وخمسين ألف دولار بصورة عائدات مستقبلية.

وخلال معركة قانونية معقدة امتدت لسنوات، اتهمت هارث ترامب بأنه لمسها. طالبت بتعويض قدره مئة وخمسة وعشرون مليون دولار، وادعت في شهادتها أن ترامب حاول فرض نفسه عليها جنسياً دون رغبة منها وبأسلوب عدواني وذلك خلال حفل عام ١٩٩٣ في مار ألاغو. قالت هارث: "عندما جلسنا إلى مائدة العشاء،[٢] بدأ ترامب مباشرة بلمسي تحت الطاولة". وادّعت أن ترامب، في وقت لاحق من تلك الليلة، أخذها إلى غرفة عادة ما تنام فيها ابنته إيفانكا، التي كانت آنذاك في الحادية عشرة. وهناك عمل ترامب على "تقبيل ومداعبة ومنْع"[٣] هارث من مغادرة الغرفة. غادرت هارث وحوراني القصر في وقت متأخر من الليل. أنكر ترامب بشدة حدوث أيٍّ مما قيل، بل إنه أورد حادثة ذُكرت في National Enquirer عام ١٩٧٧ وتضمنت قولاً لأحد أصدقاء ترامب، لم يُذكر اسمه، يفيد بأن هارث هي من كانت مفتونة بترامب[٤]، لكن هارث قالت في شهادة أدلت بها إن ترامب كان يلاحقها مذ اجتمعت به مع حوراني لأول مرة، حتى بعدما أوضح له حوراني أنهما متزوجان. قالت تحت القسم: "كان دونالد يحدّق فيَّ طوال الاجتماع. ظل يحدّق بي حتى عندما كان جورج يقدم عرضه".

كذلك، ادعت هيرث أن ترامب "أعطى توجيهات بإقصاء المتسابقات السوداوات" من الحفلات التي كان يقيمها في مار ألاغو. وقال حوراني إن ترامب كان عادة ما يحذف صور النساء السوداوات[٥] من كومة الصور التي كانت تُرسل إليه لاختيار المتسابقات اللواتي يصلن إلى نهائيات مباراة اختيار عارضات التقويم. أنكر ترامب بإصرار ادّعاءات الزوجين، ووصف محاميه هارث بأنها "مضلِّلة" وقال إن ادعاءاتها

---

1 Matt Viser, "The Pageant of His Dreams," *Boston Globe*, April 17, 2016.

٢ المصدر نفسه.

٣ المصدر نفسه.

٤ المصدر نفسه.

٥ المصدر نفسه.

كانت "دليلاً واضحاً على وجود اضطراب نفسي". بعد سنوات، قال أحد محامي ترامب "إن القصة بأكملها ملفقة"، وإن هارث "كانت مجرد بيدق في دعوى[١] ركّبها زوجها السابق. عام ١٩٧٧، سوى ترامب قضية الإخلال بشروط العقد مع شركة American Dream، وفي الوقت نفسه، أسقطت هارث الدعوى التي زعمت فيها وجود إساءة سلوك جنسي. قال حوراني لصحيفة **بوسطن غلوب** إنه تلقى دفعة من ترامب لكن لم يكن مسموحاً له الكشف عن المبلغ. قالت هارث إنها أسقطت دعواها[٢] كشرط لتسوية قضية حوراني، وأضافت أن جميع ادعاءاتها صحيحة تماماً.

خلال المدة التي كان فيها ترامب يتعامل مع تلك الدعاوى، انتقل نحو مستوى أعلى من مجال مسابقات الجمال، إلى ما وصفه بأنه "التاج المثلث للجمال".[٣] عام ١٩٩٦، اشترى حصة مسيطرة في الشركة المشرفة على تنظيم مسابقات انتخاب ملكة جمال الكون، التي كانت تشرف أيضاً على تنظيم مسابقتي ملكة جمال أميركا وملكة جمال مراهقات أميركا. قال آنذاك إنه دفع عشرة ملايين دولار[٤] ثمن حصته في المنظمة، لكنه عاد بعد سنوات ليقول إنه دفع مليوني دولار فقط.[٥] بدأ تنظيم مسابقة ملكة جمال الكون عام ١٩٥٢ في كاتالينا في ولاية كاليفورنيا، على صورة مسابقة لثياب السباحة، دون إدراج المكوّن الأكاديمي الذي كانت تتباهى به مسابقة ملكة جمال أميركا. كانت حفلة ملكة جمال الكون معروفة بأنها الأكثر حيوية بين الحفلتين، وسعى ترامب إلى جعلها أكثر جاذبية جنسية. قال إنه، بفضل إشرافه، "صارت ثياب السباحة أصغر[٦] وأصبحت كعوب الأحذية أعلى، وبذلك ارتفعت نسب المشاهدة". والواقع أن نسب المشاهدة انخفضت بمرور الوقت (عندما اشترى ترامب حصة

١ أوردت راشيل ستوكمان Rachel Stockman هذا القول على لسان محامي ترامب، مايكل كوهين، في
"Inside the $125 Million Donald Trump Sexual Assault Lawsuit," *Law Newz*, February 23, 2016.

٢ المصدر السابق، في عام ٢٠١٦، قالت هارث إنها ترى ترامب صديقاً ودعمت حملته في انتخابات الرئاسة.

3 Trump with Bohner, *Comeback*, 96.

٤ المصدر نفسه، ص ١٠٢.

٥ مقابلة مع ماري جوردان، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

6 Judy Bachrach, "What's Behind Donald Trump's Obsession with Beauty Pageants?," *Vanity Fair*, January 13, 2016.

في الحفل عام ١٩٩٦، كانت نسب المشاهدة لحفل ملكة جمال الكون، التي نشرتها شركة Nielsen، قد انخفضت قبل ذلك من خمسة وثلاثين مليون مشاهد عام ١٩٨٤، إلى اثني عشر مليوناً تقريباً. لم يستعدْ الحفل النسب العالية مطلقاً، وفي ٢٠١٣، قبل عامين من بيع ترامب حصته، كان عدد المشاهدين أقل من أربعة ملايين). تحولت إدارة ترامب لتلك الحفلات إلى شأن عائلي، فقد استضافت ابنته إيفانكا في إحدى السنوات حفل انتخاب ملكة جمال المراهقات في أميركا، وشاركت زوجته الثانية مارلا، وهي متبارية سابقة في مسابقات الجمال، في استضافة حفلَيْ انتخاب ملكة جمال الكون وملكة جمال الولايات المتحدة، وكانت زوجته الثالثة، ميلانيا، عضواً في لجنة التحكيم في حفل انتخاب ملكة جمال الولايات المتحدة. ومع أن المديرين المسؤولين عن تنظيم تلك الحفلات كانوا عادة من الرجال، شجع ترامب مشاركة النساء،[1] بمن فيهن مورين ريدي Maureen Reidy، وهي محاسبة في Trump Organization عيّنها ترامب عام ١٩٩٧ أول رئيسة للشركة المنظّمة لحفلات ملكة جمال الكون، وكانت في السابعة والعشرين من العمر.

كان ترامب منخرطاً بحماسة في مجال مسابقات الجمال. عندما ازداد وزن ملكة جمال الكون الفنزويلية أليسيا ماكادو Alicia Machado، عام ١٩٩٦، هاجمها ترامب علناً، ونظم جلسة تصوير خاصة لإظهار ماكادو وهي تتدرب في أحد نوادي مانهاتن. قال ترامب أمام عدد قارب الثمانين من صحافيين ومصورين: "عندما تفوز الفتاة في مسابقة جمال،[2] لا يتوقع الناس أن يزيد وزنها من ١١٨ إلى ١٦٠ خلال أقل من عام، إذ أنها ملتزمة الحفاظ على مظهر جميل تماماً". وصفت ماكادو جلسة التصوير بأنه كمين أعده ترامب لإذلالها. تقول ماكادو: "دخل كمن حقق نصراً، شعرت كأنني هامستر [حيوان من القوارض] يدور حول دولاب[3] لمدة ساعة. كنت أول ملكة جمال للكون تنتخب إثر شرائه الشركة. ولسوء الحظ، كان ذلك يعني أيضاً أنني عايشت مباشرة غضبه وعنصريته وكل مشاعر كره النساء التي يمكن لأي شخص التعبير عنها". بعد سنوات، كتب ترامب يقول إنه فعل ما فعله لحمايتها من فقدان اللقب: "يا إلهي،

١ مقابلة ريدي مع فرانسيس ستيد سيللرز، أيار/مايو، ٢٠١٦.

2 "Weight of the World," *People*, February 10, 1997.

٣ مقابلة أليسيا ماكادو مع جانيل روس، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

كم سببت لي هذه المرأة من مشكلات[1]. أولاً فازت في المسابقة، ثانياً ازداد وزنها خمسين باونداً، ثالثاً طلبتُ من اللجنة ألا تسحب منها اللقب".

كان ترامب يُخضِع المتسابقات لمراقبة دقيقة. قالت كاري بريجين Carrie Prejean، التي كانت ملكة جمال كاليفورنيا عام ٢٠٠٩ والوصيفة الأولى في مسابقة ذلك العام لانتخاب ملكة جمال الولايات المتحدة: "كان ترامب يخضعنا للتفتيش مثل جنرال يستعرض جنوده". تتذكر بريجين أن ترامب سأل ملكة جمال ألاباما أمام بقية المتنافسات عن أجمل المتسابقات في رأيها. عندما أجابت ملكة جمال ألاباما إن ملكة جمال أركانساس كانت "حلوة"، كان جواب ترامب: "لا يهمني إن كانت حلوة. هل هي مثيرة؟". قالت بريجين إن ترامب طرح السؤال نفسه على عدة متسابقات، ثم "نقل الفتيات اللواتي أعجبنه إلى أحد جانبي المسرح، تاركاً الفتيات المرفوضات[2] في الجانب الآخر". قال ترامب إنه كان مضطراً إلى التدخل لأن "الحكام لم يكونوا مدركين ما يتوجب عليهم أداؤه... فلم يفرزوا الفتيات اللواتي لم يكن ينبغي لهن الوصول إلى التصفيات النهائية... ولذلك طوّرتُ نظاماً يكون فيه الجميع موجودين على المسرح... بمن فيهم عدة أشخاص من قناة CBS... كنت على المسرح وكنت أتكلم. كنا ننتقي أجمل وأذكى خمس عشرة فتاة. عندما انخرطت في ذلك المجال... ازداد نجاحه... هذه مسابقة جمال، أليس كذلك؟ المسألة هنا هي الجمال.[3] ولا يسعنا الشعور بالخجل من هذه الفكرة".

بعد بضع سنوات من الاستثمار في مجال انتخاب ملكة جمال الكون، انتقل ترامب إلى جانب آخر من مجال الأعمال: العارضات. عُرِفت وكالته الجديدة في البداية باسم .Trump Models Inc،[4] ثم صار اسمها T Management، بعد مفاوضات طويلة

1 Trump with Bohner, *Comeback*, 106.

2 Carrie Prejean, *Still Standing: The Untold Story of My Fight against Gossip, Hate, and Political Attacks* (Washington, DC: Regnery, 2009), 68.
بعدما أعادت التقارير الصحافية رواية قصص بريجين عن ترامب، التي وردت في كتابها، ظهرت بريجين في عدة مقابلات امتدحت فيها ترامب، وقالت مثلاً: "ليس لدي سوى أشياء إيجابية لأقولها عن ترامب".

٣ مقابلة ترامب مع المؤلفَيْن، ٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.

4 Kate Kelly, "Fashion Café's Tommaso Buti Schemes to Skim Rent from Guccis," *Observer*, April 5, 1999.

بين ترامب وآني فيلتري Annie Veltri، وهي شريكة في ملكية الشركة وواحدة من قدامى العاملين في هذا المجال. كانت شركة T Management، المعروفة بعارضاتها "الأسطوريات"-العارضات القدامى، من باقي الأوجه، "وكالة لا تتمتع بالأهمية"،[١] كما يقول جيمس سكالي James Scully، وهو مدير بارز في اختيار العارضات في مجال الأزياء. لم تكن عارضات وكالة ترامب، عموماً، من الأسماء المألوفة. يقول سكالي إن الأمر برمته كان مجرد إيجاد "أسلوب لإرسال المتباريات[٢] في مسابقات الجمال إلى مكان ما". كان بعض المسؤولين عن تسجيل حجوزات للعارضات في وكالة ترامب أعضاء في لجان التحكيم في مسابقات الجمال، وكانت المتباريات المفضّلات في المسابقات يحظين بعقود عرض في الوكالة. رغم أن ترامب لم يكن منخرطاً في إدارة العمل في مجال العارضات بصورة يومية[٣]، فإنه كان يصدّق على القرارات المهمة، وقالت بعض العارضات إنهن حصلن على عروض لعقود من ترامب مباشرة.

أضاف مجال العارضات ثقافة جديدة إلى إمبراطورية ترامب. كان المسؤولون عن تسجيل حجوزات العارضات، الذين كانوا في البداية يمارسون عملهم من برج ترامب، لا يأبهون بارتداء الملابس النظامية: الطقم والثوب، التي كانت القاعدة المطبقة في مكاتب Trump Organization، فقد كانت ثقافة مجال العارضات أقل رسمية بكثير مما كان المدير يفرض عموماً. قال أحد العاملين في الوكالة، وهو جون باسنياني John Bassignani، "كان الجميع ينادونه 'سيد ترامب' ،'سيد ترامب'. وكنا نحن نناديه 'دونالد' ،'دونالد' ،'دونالد'".[٤]

كان الحديث يدور حول المغنية ماريا كيري Maria Carey. سأله هوارد ستيرن، في برنامجه الإذاعي الذي كان يُبث على المستوى الوطني: "هل يمكن أن تضاجعها؟"، أجاب ترامب: "أضاجعها دون تردد". وفي صباح يوم آخر، طرح مذيع البرنامج

١ مقابلة جيمس سكالي مع **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٢ المصدر نفسه.
٣ مقابلة مع جيم داود Jim Dowd الذي كان يدير شركة علاقات عامة يمثل فيها ترامب، أيار/مايو، ٢٠١٦.
٤ مقابلة جون باسنياني مع فرانسيس ستيد سيللرز، ٤ أيار/مايو، ٢٠١٦.

البذيء السؤال نفسه، لكن حول الأميرة ديانا، التي كانت آنذاك أشهر النساء في العالم وأكثرهن إثارة للإعجاب. أجاب ترامب: "دون تردد. فهي تتمتع بالقامة الطويلة وبالجمال وبالبشرة البديعة... كانت مجنونة، لكن ذلك مجرد تفاصيل تافهة".

شارك ترامب، بدءاً من التسعينيات، عشرين مرة أو أكثر قليلاً في الحديث الصباحي لستيرن، وكان برنامجاً يحظى بالشعبية رغم أنه ازداد بذاءة بمرور السنين. طوَّر ستيرن وترامب نوعاً من الهذر المرح[1] الذي يبث على الهواء مباشرة، وكانا يعطيان علامات لصدور النساء ومؤخراتهن، ويتناقشان حول مزايا الجنس الفموي، ويتبادلان طرح الأسئلة حول رغبة كل منهما في مضاجعة نساء شهيرات بدءاً بسيندي كراوفورد Cinday Crawford وانتهاء بدايان سوير Dian Sawyer. بدا ترامب مسروراً بهذه اللعبة. في أحد البرامج، سأل المذيع الوقح ترامب: "هل ترى الجنس الفموي مهماً؟ لنتكلم هنا رجلاً لرجل، لقد سبق وناقشتُ الموضوع مع العديد من الرجال". أجاب ترامب: "لا، ليس مهماً بالنسبة إلي".

ذات صباح، كان ترامب يتحدث عن جسد نيكوليت شيريدان Nicollette Sheridan، وهي إحدى الممثلات في المسلسل التلفزيوني المسائي Desperate Housewives، فقال: "امرأة بصدر مسطح لا يمكن اعتبارها من الجميلات"، ثم شن هجوماً مضاداً وسأل ستيرن عن زميلة شيريدان في المسلسل: "هوارد، هل كنت لتواعد مارسيا كروس Marcia Cross، أو تفضل التحول إلى مثلي الجنس؟". كان الرجلان يتبادلان التعليقات اللاذعة حول كل النساء الشهيرات من الأنواع كافة، وكانا يركزان خاصة على جاذبية تلك النساء في ما يتصل بالمعاشرة الجنسية. خلال أحد البرامج التي حلّ فيها ترامب ضيفاً، وقد دامت تلك البرامج ما بين ١٩٩٠-٢٠٠٥، قيَّم جسد نجمة تلفزيون الواقع كيم كارداشيان Kim Kardashian: "هل لديها مؤخرة سمينة؟ بالطبع!"، "العملية التي أجرتها لثدييها مرعبة.[2] فهما أشبه بعمودي نور بارزين من جسدها".

تحدث ترامب في أحد تلك البرامج عن إعجابه الشديد بالأميرة ديانا. بعد انهيار

1 Mary Jordan, "From Playboy to President? Trump's Past Crude Sex Talk Collides with His White House Bid," *Washington Post*, May 10, 2016.

2 *Stern* show quotations from Andrew Kaczynski and Nathan McDermott, "Donald Trump Said a Lot of Gross Things about Women on 'Howard Stern,' "*Buzz Feed*, February 24, 2016.

زواجها بالأمير تشارلز عام ١٩٩٢، شرع ترامب يرسل إليها باقات الزهور.[١] بدا مقتنعاً بأن لديه إمكانية مواعدتها. سأله ستيرن بعد مدة وجيزة من موت ديانا في حادث سيارة عام ١٩٩٧: "كان بوسعك الحصول عليها، أليس كذلك؟ كان بإمكانك مضاجعتها".

فكّر ترامب لوهلة، ثم أجاب: "أعتقد أنه كان بإمكاني ذلك".

لم تكن تعليقات ترامب حول رغباته الجنسية تقتصر على حالات نظرية. فخلال أحد اتصالاته الهاتفية بالبرنامج، عام ٢٠٠٠، تحدث عن صديقته ميلانيا كنوس Melania Knauss، ثم أعطاها السماعة، قالت ميلانيا للجمهور الذي كان يستمع إلى برنامج ستيرن: "نحن نمارس علاقة جنسية ممتعة كل يوم. وأحياناً أكثر من مرة". بعد بضع سنوات، وبعد زواج دونالد وميلانيا، سأله ستيرن هل كان ليبقى مع زوجته إذا تشوهت بسبب حادث سيارة، أي إذا كانت قد فقدت ذراعاً وساقاً، وكان "في وجهها مئة قطبة".[٢]

سأله ترامب: "ما وضع الثديين؟"

أجاب ستيرن: "الثديان في وضع جيد".

قال ترامب: "هذا مهم".

رغم كل اللغو الماجن في البرامج الإذاعة وجميع حالات الظهور، المعدة بعناية، مع العارضات ونساء جميلات أخريات، فإن الأشخاص الذين قضوا وقتاً طويلاً مع ترامب خلال التسعينيات لا يصفونه بأنه زير نساء تسيّره رغباته، بل رجل مدمن على العمل، وأحياناً قد يفضل البقاء في البيت: رجل أعمال ذكي يعي جيداً قيمة أنْ يصنفه الناس لاعباً ماهراً. قال غولدبيرغ، وهو المحامي الذي لازم ترامب خلال التسعينيات، إن عدداً من علاقات موكله التي أثارت الكثير من الصخب مع نساء معروفات وأشهر العارضات، كانت مجرد لحظات عابرة أُعدَّت لتلتقطها آلات التصوير. وأضاف: "أعطوه لوحاً من الشوكولاتة واتركوه يجلس أمام التلفزيون. ما أتذكره عنه هو أنه يُنهي يومه بالذهاب إلى المنزل، ليس بالضرورة بصحبة امرأة بل بصحبة كيس من

1 Josh Glancy, "Mogul Sought Trophy Wife," *Sunday Times* (London), August 16, 2015.
تذكر الصحافية سيلينا سكوت Selena Scott، التي كانت تربطها معرفة بالأميرة، أن ديانا قالت عن ترامب: "رجل بغيض يُشعرني بالخوف".

٢ أضاف ترامب أنه يبقى معها حتى لو تشوهت.

الحلوى... كان يخطط لمشاريعه التالية، ويدرس المخططات الأولية ويقابل محاميه دون أن يعلو صوته، ودون أن يتباهى ودون أن يتصرف ببذاءة مع أي كان من العاملين في المكتب، رجل مهذب... لم أسمعه يتكلم بشاعرية[1] عن أي امرأة. أعني أنني سمعته يتكلم بشاعرية عن أعماله".

تقول كيت بوهنر Kate Bohner، التي شاركت في تأليف كتاب *Trump: The Art of the Comeback*، إن الانطباع العام السائد عن ترامب، بأنه زير نساء متعدد العلاقات ورجل ساحر يقضي الليل في السهر، كان جهداً محسوباً هدفه إضفاء الألق على علامته المميزة، لا أكثر. وتضيف: "أحياناً، كنت أراه يتجاذب أطراف الحديث[2] مع سرب من الحسناوات، وأستطيع أن أخمن أن من يراه يعتقد أنه يخطط للفوز بإحداهن، إن صح التعبير، لكنني لم أشعر مطلقاً في حالات كهذه أن الأمر يتعدى أداء موهوباً من جانبه للدعاية لعلامته المميزة. كنت ألاحظ أحياناً أن السيد ترامب يتصرف مع النساء بأبوية أكثر منه كرجل عابث".

غالباً ما كان ترامب يصرح بأنه لو أقام فعلاً علاقات مع كل النساء اللواتي يقال أنه واعدهن، لما كان ليتوفر له الوقت للتنفس. قال ذات يوم إن الناس "قد يفاجؤون إذا عرفوا أن حياتي أقل سحراً[3] مما يعتقدون، بما في ذلك القصص التي تدور حول العارضات الجميلات". وأضاف أن زوجاته جميعاً نساء طيبات، "لكنني متزوج بعملي.[4] وهو زواج حب. بصراحة، هذا ليس سهلاً على أي امرأة في ما يتصل بالعلاقات". في كتابه *Trump: Think Like a Billionaire*، عزا ترامب نجاحه، على غرار "جيف بيزوس Jeff Bezos وستيف جوبز Steve Jobs و تيد تيرنر Ted Turner"، إلى "تركيز لا يفتُر على تحقيق أحلامهم، حتى لو كان ذلك أحياناً على حساب من حولهم... النرجسية قد تكون صفة مفيدة إذا كنت بصدد مشروع عمل. النرجسي لا يُصغي إلى الأصوات السلبية. في مؤسستي، أنا أصغي إلى الأشخاص من حولي، لكن رؤيتي تبقى رؤيتي". أضاف ترامب، إذا شئت أن تفكر كما يفكر أصحاب

١ مقابلة مع غولدبيرغ.
٢ مقابلة كيت بونر Kate Bohner مع ماري جوردان، ٢٠ نيسان/أبريل، ٢٠١٥.
٣ مقابلة ترامب مع ماري جوردان، نيسان/أبريل، ٢٠١٥.
4 Jonathan Van Meter, "Did Their Father Really Know Best?," *New York*, December 13, 2004.

المليارات، لا تأخذ إجازة مطلقاً ("أنا أحب الارتباط [بأولادي] بأسلوب والدي نفسه في الارتباط بي: شغفي بإتقان العمل")، "ليكن لديك مدى اهتمام قصير"، "لا تعتمد على التقنيات" ("ليس لدي بطاقة صراف. لم أستخدمها في حياتي"، و"البريد الإلكتروني للضعفاء")، لا تفكر في الأمور أكثر مما ينبغي ("اليوم الذي اكتشفت فيه أن التفكير الضحل هو نوع من الذكاء[1]، كان بمنزلة تجربة عميقة الأثر")، "خلْ نفسك جيشاً مؤلفاً من رجل واحد... عليك أن تخطط وأن تنفذ خططك وحدك".

رغم الاضطرابات التي رافقت زيجات ترامب، فإن أياً من زوجاته السابقات لم تتعرض له سلباً، في العلن، بعد الطلاق. كان ترامب يحرص على ضمان ذلك. فقد كان، وهو المفاوض البارع، يجعل زوجاته يوقّعن على تعهدات بصون الشؤون الخاصة، وكان في حوزته مكمن القوة القصوى: الأولاد.

كان ترامب غالباً ما يصرح بأنه ليس من الآباء الذين يقضون وقتاً طويلاً خارج المنزل بصحبة أولادهم أو يلعبون الكرة معهم، لكنهم ما إن بلغوا السن المناسبة لتعلّم أصول العمل، حتى صاروا يقضون وقتاً أطول معه، خصوصاً في المكتب. كانت إيفانا قد صرحت علناً بأن "الأطفال قد دُمّروا"[2] بسبب حالة الهياج التي رافقت إجراءات الطلاق -كان دوني الابن يتعرض للسخرية في Buckley، المدرسة الخاصة التي كان يدرس بها في مانهاتن، وغالباً ما كانت إيفانكا تمضي الوقت في البكاء في Chapin، مدرسة الفتيات الكائنة في الجانب الشرقي- لكن أولاد ترامب الثلاثة من زواجه بإيفانا جاؤوا للعمل مع والدهم في شركته الخاصة. تحدث الثلاثة عن بعض اللحظات الصعبة في حياتهم مع والدهم: كان دونالد ذو طبيعة تنافسية لدرجة أنه عندما كان يتزلج مع إيريك، كما قال الابن "كان يحاول دفعي فقط ليتمكن من الفوز على ابنه ذي السنوات العشر في الانزلاق على الجبل"، وأثناء معركة الطلاق، قضى دونالد الابن سنة كاملة لم يتكلم خلالها مع والده، لكنهم في النهاية شعروا بالإعجاب به بصفته رجل أعمال ووالداً يحبهم بطريقته الخاصة، ويرغب بصدق في جعْلهم يعملون معه. قال إيريك ترامب: "كان لوالدَيْ شؤونهما الخاصة، وظهر ذلك إلى العلن، ومن الطبيعي أن ينجرّ

1 Donald J. Trump with Meredith McIver, *Trump: Think Like a Billionaire* (New York: Random House, 2004), xvii-xxiii.

2 Marie Brenner, "After the Gold Rush," *Vanity Fair*, September 1990.

الأطفال إلى كل ذلك بسبب وسائل الإعلام، لكن والدَيْ كانا مصمّمَيْن على إبعادنا عن كل ذلك. وأعتقد أن المدارس الداخلية كانت تمثل، بطريقة ما، الأسلوب البارع الذي لجآ إليه". لكن السعار الذي أحاط بطلاق والديه، ترك أثره في إحدى مراحل حياة إيريك: "كان الكل لا يرغبون في الحديث إلا حول هذا الموضوع، لأن القصة كانت الأهم في العالم، دون أي نقاش. مع ذلك، عندما يكون المرء في العاشرة، يكون عقلك في طور التكوين وتكون أنت في مرحلة تحاول فيها أن تنمو لتصير رجلاً صغيراً... وعليك أن تتمكن من التطور وأنت طفل".[1] كان الحل، بالنسبة إلى إيريك وإخوته، يكمن في العمل. وكما فعل والد دونالد من قبله، صار يحضر أولاده إلى ورشات الإنشاءات ليمارسوا العمل فعلياً.

ولكنّ الكيفية، التي كان يمكن لزوجات ترامب أن يصفن بها حياة العائلة الخاصة، تبقى غير مؤكدة، فقد تدبّر هو مسألة ضبط تعليقاتهن العلنية. في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٠، أعلنت شركة ReganBooks، وهي قسم من Harper Collins، خطتها لنشر كتاب تؤلفه ميبلز بعنوان *All That Glitters Is Not Gold*. أعلنت دار النشر في بيان صحافي أن "المذكرات الصريحة على نحو لافت"، ستكون "القصة الخفية خلف عناوين الصحف" حول "الوقوع في غرام رجل كان شغفه الأكبر الإمبراطورية التي أنشأها". عملت ميبلز مع وكيلة دار الشر، سوزان كراوفورد Susan Crawford، لكتابة ما وصفته هي بـ"القصة الحذرة" لزواجها بترامب. تتذكر كراوفورد أنها استقلت مصعد الخدمات في برج ترامب لمقابلة ميبلز في جناحها الخاص، حيث كانت ستروي لها قصص علاقتها المضطربة مع ترامب وفضيحة منحدرات التزلج، ولقاءاتهما السرية والزواج الذي تمّ في النهاية. تقول الوكيلة: "كانت القصة ستبدو مثيرة".[2]

مع ذلك، لم يُقدَّر للكتاب أن يرى النور. قالت كراوفورد إن مارلا، وبعد عامين من الموعد الذي كان مقرراً لنشره، أي عام ٢٠٠٢، "اتصلت بي وقالت: 'سوزان، لا أستطيع تأليف الكتاب'"، لكن لم يتضح هل كانت مارلا لا تريد لابنتها تيفاني

١ مقابلات أولاد ترامب مع دان زاك، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٢ مقابلة سوزان كراوفورد مع فرانسيس ستيد سيللرز، ١٦ أيار/مايو، ٢٠١٦.

أن تقرأ غراميات والدتها في كتاب رائج، أو هل كانت ميبلز، التي تحوّلت ميولها أخيراً إلى الروحانيات، غيّرت رأيها، أو، هل كان ترامب قد ألغى المشروع بالقوة. صرح ترامب لاحقاً أنه "لم يأسف" بسبب تطورات الأحداث. وأضاف أنها "قد وقّعت تعهداً بتجنب الكشف عن الشؤون الخاصة".[1] وكان ترامب في وقت سابق قد سلّط محاميه على إيفانا التي ظهرت في مقابلة تلفزيونية مع باربرا والترز في أيار/ مايو ١٩٩١. هدد ترامب بقطع[2] نفقتها السنوية البالغة ثلاثمئة وخمسين ألف دولار والمبلغ السنوي المخصص لها للسكن والبالغ خمسين ألف دولار، بحجة أنها خالفت شروط تسوية الطلاق.

هنا أيضاً نجد ترامب يسعى إلى تسيير الأمور وفق إرادته. فقد كانت اتفاقية الطلاق الموقعة عام ١٩٩١، تحظر على إيفانا نشر أو إذاعة "أي مذكرات أو ذكريات أو رسائل أو صور أو مقابلات أو مقالات أو وصف أو تصوير من أي نوع مهما كان... يتعلق بزواجها من دونالد أو بأي جانب من جوانب الأعمال الخاصة بترامب أو بقضاياه المالية... قبل الحصول على موافقة كتابية[3] من دونالد". نشرت إيفانا مذكراتها، لكنها حرصت على تفادي أي توصيف شخصي للزواج، بل إنها لم تشر إلى دورها في المعركة سيئة الذكر في جبل أسبن، بل أوردت ما قالته **نيويورك بوست** عما حدث بينها وبين ميبلز.

بعد مدة طويلة من انهيار الزواج، قال الاثنان إنهما ظلا أصدقاء. قالت إيفانا: "تعامل دونالد مع الطلاق كرجل أعمال. كان عليه أن يفاوض وأن يفوز. وما إن سويت المسائل المالية، حتى صرنا أصدقاء".[4] عام ٢٠٠٨، حضر دونالد حفل زفافها الرابع الذي أقيم في مار ألاغو. وعندما يتذكر ترامب "محاولاته الثلاث ليكون زوجاً"، يصف زوجاته بأنهن "نساء طيبات. طيبات جداً. المشكلة معي هي أنني أحب العمل. قضيت حياتي في العمل، كان العمل يستغرق كل وقتي". عندما سُئل عن زوجاته،

1 Joseph P. Fried, "Tell-All Book on Trump Won't Be Telling It All," *New York Times*, February 24, 2002.

2 Frederick M. Winship, "Trump Ends Ivana's Alimony over TV Interview," UPI, May 14, 1991.

٣ المصدر نفسه.

4 Dana Schuster, "Ivana Trump on How She Advises Donald-and Those Hands," *New York Post*, April 3, 2016.

أثنى على شركته و"مواقعها العظيمة" و"ديونها القليلة". وعن دونالد الزوج؟ قال: "لقد أنشأت شركة عظيمة. الشركة عظيمة ولديها بعض أكبر الأصول في العالم، ولا يمكنك إنجاز ذلك بالعمل خمس ساعات في اليوم فقط".

الفصل العاشر

مجموعة خاصة به

عندما اجتمع زعماء مجموعة الركبي الوليدة United States Football League (USFL) في نيو أورليانز،[1] في كانون الثاني/يناير ١٩٨٤، كان معظم مالكي الفرق يشعرون بالاحترام إزاء ترامب بوصفه الرجل الذي يمكن أن يدخلهم إلى المجموعة الموعودة: مجموعة الركبي الوطنية National Football League (NFL). لكن سرعان ما تغير هذا الشعور. كان نظام العمل بالنسبة إلى فرق مجموعة USFL بسيطاً: تلعب الرياضة الأكثر شعبية في أميركا في فصل الربيع عندما لا توجد منافسة من مجموعة (NFL) أو فرق الجامعات. لقي الموسم الأول لمجموعة USFL نجاحاً متواضعاً. كانت نسب المشاهدة في التلفزيون مقبولة، وكان هناك حضور ممتاز في مباريات بعض الفرق، بل إن بعض الفرق توافر لديها مال كاف لإغراء بعض اللاعبين الثانويين في مجموعة (NFL) وبعض أفضل المواهب في الجامعات لترك المجموعة المهيمنة لكنّ مالكي الفرق كانوا يعتقدون أن مجموعة (USFL)، التي تضم ثمانية عشر فريقاً، لم تكن تحظى بالاعتراف اللائق، أو على الأقل لم تحظ به لغاية أيلول/سبتمبر ١٩٨٣، عندما باع ملك النفط في أوكلاهوما،[2] العجوز المعسول اللسان الذي كان يملك فريق New Jersey Generals، الفريق لمتعهد عقارات من نيويورك يبلغ السابعة والثلاثين من العمر،

---

[1] محضر اجتماع المالكين، ١٨ كانون الثاني/يناير، ١٩٨٤.

[2] Paul Domowitch, "USFL Expects to Cash In on Trump," *Philadelphia Daily News*, November 2, 1983.

كان قد افتتح للتو برجاً شاهقاً بعلو ثمانية وخمسين طابقاً في مانهاتن، وكتب لقبه بالذهب البراق فوق المدخل.

عندما بدأ اجتماع المالكين في قاعة الحفلات الكبيرة في فندق حياة ريجنسي، في صباح أحد أيام كانون الأول/يناير، تأمل ترامب الرجال المحيطين به. قال في سره إن بعضهم كان يتمتع بمستواه نفسه من الغنى والطموح. كان في القاعة أيضاً بعض كبار متعهدي العقارات الآخرين أيضاً، وسفير أميركي سابق[1] في سويسرا، وكان أيضاً شريكاً في بعض الادخارات والقروض الكبرى، والمالك الجديد لفريق لوس أنجلوس، بيل أولدنبيرغ Bill Oldenburg، الرجل المتقلب المزاج والغريب الأطوار، والمعروف أيضاً باسم السيد ديناميت، الذي كان يطلب من أحد موظفيه في شركة الرهانات الخاصة به في سان فرانسيسكو قرْع جرس[2] في كل مرة تربح فيها الشركة مليار دولار جديد. وكان أولدنبيرغ قد حضر في الليلة الفائتة[3] أول عشاء له مع مالكي فرق (USFL) مصحوباً بمجموعة تضم المغني واين نيوتن Wayne Newton. وخلال العشاء، غلبته الحماسة فأعلن أن فريقه الجديد سوف "يسحق" كل الفرق الأخرى.

كانت هناك شكوك تراود ترامب حول بعض مالكي (USFL) الآخرين. كان بعض هؤلاء مجرد أطباء ومحامين، أشخاص يمكن تصنيفهم أثرياء لكنهم يفتقرون المال اللازم للتنافس مع مالكي مجموعة (NFL). وكان بعضهم الآخر راضين على الأرجح ببقاء مجموعة (USFL) أدنى درجة من مجموعة (NFL). لم يروا ما كان ترامب يراه: ثغرة أوجدتها قلة تبصّر مالكي (NFL) وغطرستهم. وللاستفادة من هذه الفرصة إلى الحد الأقصى، كان رأي ترامب أن على مجموعة (USFL) التصرف، وبسرعة، لكن نفاد صبر ترامب بدأ يزعج زملاءه من المالكين. كان هؤلاء يحبون الاهتمام الذي جلبه إلى مجموعتهم، لكن بعضهم بدأ يتذمر من الأمور التي يقولها ترامب ويفعلها. ولم يكن ترامب ليلقي بالاً لشكاواهم.[4]

أوضح لهم ترامب أن المجموعة كانت "تنحدر بسرعة" إلى أن اشترى فريق The

1 "Marvin Warner, 82, Figure in S&L Debacle," *New York Times*, April 13, 2002.

2 Charles Leerhsen, "USFL's New Game Plan," *Newsweek*, March 19, 1984.

3 Jim Byrne, *The $1 League: The Rise and Fall of the USFL*(New York: Prentice Hall Press, 1986), 103–4, 119.

٤ المصدر السابق، ص ١٠٣.

Generals قبل أربعة أشهر. وخلال تلك الأشهر القليلة، تمكن ترامب وحده، كما قال، من إحداث انقلاب كامل في صورة مجموعة (USFL) كما يراها المشجعون والصحافيون والأشخاص الذين يمسكون زمام الشؤون المالية والشبكات التلفزيونية الكبرى. وكانت سلسلة من المفاوضات العلنية بين ترامب وبين اللاعبين النجوم والمدرِّبين في مجموعة (NFL) قد أحثت موجة عارمة من التغطية الإعلامية. قال ترامب إن مديري الشبكات بدؤوا، أخيراً، يأخذون هذه المجموعة على محمل الجد. بدأ يشعر بالضجر من قراءة مقالات تقول إن بعض المالكين كانوا قلقين بشأن تبذيره. وكان غضبه منصبّاً على نحو خاص على مايلز تانينبوم Myles Tanenbaum، متعهد مراكز التسوق ومالك فريق Philadelphia Stars. قال ترامب لزملائه من المالكين المجتمعين في نيو أورليانز: "قبل شهر زارني مايلز في مكتبي. وفي اليوم التالي، قرأت ما حدث في هذا اللقاء السري اللعين في الصحف، حيث روى مايلز كل ما قلته. كتبت له رسالة، رسالة بذيئة إلى حد ما – هذا رائع، مايلز، أنا مسرور لأنك حضرت". قطع ترامب كلامه لدى رؤية تانينبوم يدخل القاعة. "ورأيي أنه عندما ترغب في بعض الشهرة في مرة مقبلة، لا تحاول تحقيق ذلك على حسابي... سأجعل أطقم التصوير تنتظرك... إذا كنت تريد هذه اللعبة، فباستطاعتي أنا أيضاً أن ألعبها. لا يسرّني سماعك تتحدث عن ترامب، الرجل الذي يرمي النقود كيفما اتفق. النقود التي أرميها كيفما اتفق هي لمصلحة المجموعة... لقد منحت المجموعة مصداقيتها".[1]

في ذلك الصباح، في نيو أورلينز، كرر ترامب شرح خطته لتحقيق النجاح لمجموعة (USFL): أجّلوا المباريات إلى الخريف وتباروا مع مجموعة (NFL) على نحو مباشر وبكل تصميم من أجل مبالغ التلفزيون الكبيرة والتفوق الكامل. كانت مجموعة (NFL) قد أخلت مدينة نيويورك بكاملها –انتقل فريق New York Jets إلى خارج ستاد Shea في كوينز للالتحاق بفريق New York Giants في ميدولاندز، في نيو جيرسي– وهو ما وفّر لترامب فرصة نقل فريق Generals إلى المدينة، وبذلك قدم إلى مجموعة (USFL) فريق الركبي الرئيسي الوحيد في عاصمة الإعلام في أميركا.

كان ترامب يحظى ببعض الحلفاء في القاعة، فقد كان العدد من المالكين الآخرين

١ محضر اجتماع المالكين، ١٨ كانون الثاني/يناير، ١٩٨٤.

يرغبون في التأجيل حتى الخريف. كانت مجموعة (NFL) تعاني نزاعاً عمالياً كبيراً، وكان إضراب قد حدث بين اللاعبين عام ١٩٨٢. هبطت معدلات المشاهدة الخاصة بها لأول مرة منذ سنوات. كان بعض المسؤولين في شبكات التلفزيون يتخذون موقفاً عدائياً من رسوم حقوق النقل الباهظة التي تطلبها مجموعة (NFL)، ولذلك أعجبتهم فكرة وجود تنافس في لعبة الركبي للمحترفين. لكن في تلك الحرب الشاملة مع مجموعة (NFL)، كانت مجموعة (USFL) أضعف بكثير - فقد كان الفريق المتوسط في مجموعة (NFL)[1] يحصل على ما يقارب أربعة عشر مليون دولار من العقود التي تبرمها المجموعة مع شبكات التلفزيون، في حين أن كل مجموعة (USFL) [2]كانت تحصل من ABC على أربعة عشر مليون دولار في كل موسم.

مع ذلك، كان ترامب يعتقد أن ثمة سبيلاً إلى الانتصار. قال:

> أنا أضمن لكم، المجتمعين في القاعة، أنني سأُحضر شبكة CBC وشبكة NBC وشبكة ABC لتتعاقد معكم، هذا مضمون، وبمبالغ تفوق بكثير المبالغ الشحيحة التي تحصلون عليها حالياً. كل فريق في هذه القاعة يعاني من أمر واحد: الناس لا يحبون مشاهدة رياضة الركبي في الربيع... راقبوا ما يحدث عندما تتحدّون مجموعة (NFL)... أنا لا أحب الخسارة.[3] ولم يسبق لي أن كنت خاسراً من قبل، وإذا خسرنا الآن، دعوني أقول لكم إن الخسارة ستلاحقنا... وفي كل مرة تُكتب فيها مقالة عنكم، سوف يُقال أنكم كنتم مالكي الفريق اللعين الذي خسر... وأنا لا أنوي أن أكون من الفاشلين.

أضاف ترامب أنه في أسوأ السيناريوهات المحتملة يمكن لمجموعة (USFL) مقاضاة مجموعة (NFL) بسبب خرق القوانين التي تمنع التروستات [تجمُّع الرساميل]، وهنا إما أن تربح حكماً بمبلغ كبير وإما تفرض الاندماج. لكن ما لم يقله ترامب هو أن الدمج سيكون أشبه بلعبة الكراسي الموسيقية، فلن يحصل كل فريق في مجموعة

1 Domowitch, "USFL Expects to Cash In."

2 Paul Attner, "USFL Upbeat, but Sees Tougher Sell," *Washington Post*, February 24, 1984.

٣ محضر اجتماع المالكين، ١٨ كانون الثاني/يناير، ١٩٨٤.

(USFL) على موقع في مجموعة (NFL). وسوف يجد بعض المالكين أنفسهم، لا محالة، واقفين بعد توقّف الموسيقى.

بعد أسبوع، بعث تانينبوم -مالك Philadelphia- رسالة إلى مالك إحدى فرق مجموعة (USFL) لم يكن حاضراً في اجتماع نيو أورليانز: منذ ذلك الاجتماع، ثمة قلق "يتآكلني كل يوم. وهو القلق من خطة دونالد ترامب العظيمة لمجموعة USFL".[1]

في عالم المحصّلة الصفرية، الخاص بترامب، للرابحين والخاسرين، كانت الرياضة تشغل موقعاً خاصاً على الدوام. فعندما كان طفلاً في كوينز، كان من مشجعي فريقَي Brooklyn Dodgers وNew York Yankees، وكان يهوى بشدة جمع بطاقات لعبة البيسبول. في المدرسة، ضُبط عدة مرات مع بيتر برانت، صديق طفولته، وهما يستمعان إلى مباريات البيسبول في الصف[2] عبر راديو ترنسيستور. وفي أكاديمية نيويورك العسكرية، تفوق دونالد في مجال الرياضة، وخصوصاً في رياضة البيسبول: كان يلعب في موقع الانطلاق الأول وكان نجماً في تسديد الأهداف. في الجامعة، في Fordham، لعب ترامب رياضة الركبي حتى أدت إصابة في كاحله إلى منعه من الاشتراك في المباريات،[3] وعند ذاك بدأ يلعب السكواش. عندما كان في مطلع الشباب في مانهاتن خلال السبعينيات، كان يختلط بالمشاهير في Le Club، وربطته صداقة بجورج شتاينبرينر George Steinbrenner، المالك المتعجرف لفريق New York Yankees، الذي كان بارعاً في تحقيق الشهرة (وسوء السمعة). في بداية الثمانينيات، راودت ترامب مراراً فكرة شراء فريق. قدم عرضاً، لم يكتب له النجاح، بمبلغ عشرين مليون دولار لشراء فريق New York mets،[4] وعندما عُرِض فريق Cleveland Indians للبيع، وصل المبلغ الذي عرضه ترامب إلى أربعة وثلاثين مليون دولار لكنّ الصفقة لم تتم بسبب رفض ترامب التعهد بإبقاء الفريق في كليفلاند.[5] كما أجرى ترامب

١ رسالة من مايلز تانينبوم إلى تاد توبيه، ٢٧ كانون الثاني/يناير، ١٩٨٤.
٢ مقابلة بيتر برانت مع مايكل ميللر، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

3 Harry Hurt III, *Lost Tycoon: The Many Lives of Donald J. Trump* (New York: W. W. Norton, 1993), 77–78.

4 Robert Masello, "The Trump Card," *Town & Country*, 1983.

5 Brent Larkin, "Donald Trump's Failed Bid to Buy the Cleveland Indians," *Cleveland Plain Dealer*, October 8, 2015.

مفاوضات مبدئية مع روبرت إرسيه Robert Irsay[1] بشأن فريق Baltimore Colts، التابع لمجموعة (NFL)، قبل أن يقرر إرسيه نقل الفريق إلى إنديانا بوليس.

كانت قيمة ثروة ترامب والسيولة النقدية المتوافرة لديه موضع جدل لا يهدأ، وكان شراء فريق من مجموعة (NFL) يتطلب ثروة كبيرة ومبلغاً نقدياً يمكن التحقق منه. عام ١٩٨٣، كان معدل سعر فريق من مجموعة (NFL) بحدود سبعين مليون دولار. بعدما اشترى ترامب فريق Generals بمبلغ ستة ملايين دولار تقريباً،[2] أخبر كل من سأله (وبعض من لم يسأل) أنه كان يستطيع شراء فريق من مجموعة (NFL)، لكنه اختار فريقاً من مجموعة (USFL) لأن ذلك يمثل تحدياً بالنسبة إليه: "أشعر بالأسى لحال الشخص المسكين الذي سيشتري فريق Dallas Cowboys. فهذه صفقة خاسرة له، لأنه إذا ربح الفريق، ولم لا يربح، فإن الفريق يربح منذ سنوات، ولكن إذا خسر... فسوف يشتهر في كل العالم بأنه خاسر".[3]

شرع ترامب في الإنفاق بلا حساب لتمويل فريق الركبي الذي اشتراه وهو واحد من أفضل فرق مجموعة (USFL). تحولت ردهة برج ترامب إلى مقر لعقد المؤتمرات الصحافية حيث كان ترامب يشرح معركته مع مجموعة (NFL).

عندما اشترى ترامب فريق Generals، كان قد اشترى فريقاً يضم نجماً حقيقياً (وباهظ الثمن) هو هيرشل ووكر Herschel walker، الظهير الذي ربح جائزة Heisman. وفي تلك المدة التي كانت فيها مجموعة (NFL) تمنع الفرق من التعاقد مع طلاب السنوات الأولى والثانية في الجامعة، خالف ووكر التقاليد بأن هجر الدراسة في University of Georgia قبل التخرج لإبرام عقد مع فريق Generals لمدة ثلاث سنوات[4] بقيمة خمسة ملايين دولار، وكانت تلك آنذاك أغلى صفقة في تاريخ رياضة الركبي. في الموسم الافتتاحي لمجموعة (USFL)، عام ١٩٨٣، قاد ووكر المجموعة إلى فوز سريع، لكن الفريق المحيط به تخبط ليسجل نتيجة ٦-١٢. بدأ ترامب يحيط ووكر

1 Michael O'Donnell, "USFL Must Win or Fold: Trump," *Chicago Tribune*, June 24, 1986.

2 Dave Goldberg, "Monday, AM Cycle," *Associated Press*, June 23, 1986.

3 Ira Berkow, "Trump Building the Generals in His Own Style," *New York Times*, January 1, 1984.

4 Joe Nocera, "Donald Trump's Less-Than-Artful Failure in Pro Football," *New York Times*, February 19, 2016.



هاجر فريدريك ترامب، جد دونالد، إلى مدينة نيويورك في السادسة عشرة من عمره، وانتقل إلى الغرب حيث ازدهر عمله خلال مرحلة فورة الذهب قبل أن يعود إلى نيويورك ليؤسس عائلته.



أعلن ترامب ترشحه للرئاسة عن الحزب الجمهوري في حزيران/يونيو 2015 في بهو برج ترامب. من اليسار إلى اليمين: أفراد من عائلته بما فيهم إيريك ترامب ولارا يوناسكا ترامب ودونالد وبارون ترامب وميلانيا ترامب وفانيسا هايدون ترامب وكاي ماديسون ترامب ودونالد ترامب الابن ودونالد جون ترامب الثالث وإيفانكا ترامب وجارد كشنر وتيفاني ترامب.



زار ترامب معرض ولاية أيوا في ديموينس في 14 آب/أغسطس 2015 مرتدياً قبعة الكرة التي تحمل مقولته الشهيرة «فلنُعد إلى أميركا عظمتها»، إذ بدأ حملته قبل عقد المؤتمرات الحزبية في تلك الولاية. خسر ترامب أصوات ولاية أيوا لمصلحة السيناتور تيد كروز لكنه ربح على ستة عشرةَ خصماً ليصبح أول مرشح لحزب رئيسي منذ دوايت آيزنهاور لم يكن قد شغل منصباً انتخابياً في السابق.

بأشخاص موهوبين لكنه كان بداية يحتاج إلى مدرب جديد.

حدد ترامب لنفسه هدفاً عالياً وحاول إغراء دون شولا Don Shula -أكثر المدربين تحقيقاً للفوز في تاريخ مجموعة (NFL)- بترك فريق Miami Dolphins. كان شولا يجني ما يقارب أربعمئة وخمسين ألف دولار في العام،[1] فعرض عليه ترامب مبلغ مليون دولار. لكن المدرب على ما يبدو طلب ميزة إضافية على الصفقة. ظهر ترامب على شاشة CBS، في برنامج NFL Today، ليناقش المفاوضات الجارية مع المدرب. قال إن الصفقة كانت على وشك أن تُبرم لولا عائق واحد: طلب شولا شقة في برج ترامب، ولم يكن ترامب واثقاً من أنه يستطيع تقديم شقة إليه. شعر شولا بغضب شديد -وهو الذي كان لأسابيع يعبّر علناً عن أنه يفكر في الانتقال إلى مجموعة (USFL)- وأعلن في اليوم التالي أنه قطع المفاوضات وأنه سيبقى في ميامي. ادعى ترامب أنه هو من قطع المفاوضات، وليس شولا. قال: "لا أستطيع التخلي عن شقة في برج ترامب. المال شيء والذهب شيء آخر".[2]

بعد الرفض المهين من شولا، التفت ترامب إلى شخص يمكن له أن يتمتع بالشعبية في أوساط عشاق رياضة الركبي في نيويورك هو والت ميكايلز Walt Michaels، وكان مدرباً سابقاً لفريق Jets. درس ترامب قوائم أسماء اللاعبين في عدة فرق تابعة لمجموعة (NFL) لتشكيل فريق رابح لمدربه الجديد. اختار ترامب الظهير الرباعي بريان سايب Brian Sipe[3] -الذي كان سابقاً اللاعب الأغلى ثمناً في مجموعة NFL- من فريق Cleveland Browns، إضافة إلى لاعبين آخرين. تعجب ترامب من حجم التغطية الصحافية التي كانت صفقاته الاعتيادية في مجال رياضة الركبي تحظى بها، والتي كانت تفوق بكثير التغطية التي كانت صفقاته في مجال الأعمال تحظى بها. "أوظف مديراً عاماً للمساعدة في إدارة مشروع بقيمة مليار دولار، فتقرأ بضع كلمات في الصحف.[4] أوظِّف مدرباً لفريق الركبي، وأجد ستين أو سبعين صحافياً يتصلون بالهاتف لإجراء مقابلة معي".

1 Edwin Pope, "Shula's Future? Nobody Knows, "*Miami Herald*, October 23, 1983.

2 Larry Dorman, "Don Shula Won't Join USFL Club," *Miami Herald*, October 25, 1983.

3 Ben Terris, "And Then There Was the Time Donald Trump Bought a Football Team ... ," *Washington Post*, October 19, 2015.

4 Berkow, "Trump Building the Generals."

لكن اللاعب الذي أحدث الضجة الإعلامية الأكبر لفريق ترامب، لم يكن مناسباً فعلياً لفريق Generals. ذات يوم، كان Jim Gould، الرجل الذي وظفه ترامب ليكون رئيس فريق Generals، جالساً في مكتب ترامب. وكانت وسائل الإعلام آنذاك تتحدث عن لورنس تيلر Lawrence Tayler، الظهير الخطي المرعب في فريق New York Giants، وعن غياب رضاه عن عقده. قال غولد: "ربما ينبغي لنا توقيع عقد مع تيلر".[١] وافقه ترامب؛ ما من شك في أن تيلر سيزيد عدد البطاقات المباعة. كانت هناك مشكلة واحدة: كان تيلر ملتزماً عقداً يلعب بموجبه مع فريق Giants خلال عام ١٩٨٧. وضع غولد وترامب خطة.

في ذلك اليوم، تلقى نجم فريق Giants مكالمة هاتفية غير متوقعة: "السيد تيلر، انتظر قليلاً، رجاء، السيد ترامب يود أن يتحدث معك".[٢] بعد بضع ساعات، وصل أحد أعظم اللاعبين في تاريخ رياضة الركبي إلى برج ترامب في سيارة أرسلها ترامب لتقلّه. حيّا غولد تيلر وأخبره أن ترامب أصر أن يريه أولاً عرض شرائح لمدة ثماني دقائق. كان العرض الترويجي يغدق المديح على برج ترامب و"البنّاء ذي الرؤية": هذه مانهاتن من خلال عين ذهبية، وللنخبة القليلة المختارة... أي أمنية، مهما كانت مكلفة أو غريبة، قد تتحقق". كان تيلر لا يزال يجهل سبب وجوده هناك. لم يكن مهتماً بالحصول على شقة، بل كان مهتماً بما سيقوله ترامب بعد دقائق.

عرض ترامب على تيلر مليون دولار زيادة مقابل توقيع عقد يتعهد فيه أنه سيلعب مع فريق Generals بعد انقضاء مدة عقده مع فريق Giants التابع لمجموعة (NFL)، كما عرض عليه ترامب أنه في حال توقيعه العقد في اليوم نفسه، سوف يرسل إليه مبلغ مليون دولار مباشرة عبر البرق. قال تيلر: "طلب مني الاتصال بالمصرف الذي أتعامل معه، وبعد ثلاثين دقيقة أرسل مليون دولار إلى حسابي. قلت 'شكراً دونالد'. احترمت فيه أنه لا يتكلم جزافاً، بل يدعم أقواله بالأفعال".[٣] قبل أن يعود تيلر إلى منزله في تلك الليلة، كان نبأ الصفقة قد تسرب إلى الصحافة، ولم يكن من الصعب التكهن

١ مقابلة جيم غولد مع ويل هوبسون، واشنطن بوست، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

2 "How Donald Trump Destroyed a Football League," *Esquire*, January 13, 2016. 177 *"visionary builder"*: Berkow, "Trump Building the Generals."

3 "How Donald Trump Destroyed a Football League."

بمصدر التسريب. في المقالة التي نشرتها صحيفة **نيويورك تايمز**، تعامل ترامب بحياء مع الأسئلة المتعلقة بتيلر (أجبِر إيرا بيركو Ira Berkow، الصحافي العامل في **نيويورك تايمز**، هو الآخر، على مشاهدة الفيلم الترويجي قبل مقابلته ترامب). قال ترامب: "لا أحد يعرف إن كنا قد وقعنا معه عقداً... من حيث الواقع، ثلاثة أشخاص فقط يعرفون، وهم لورنس ووكيله وأنا".

أغضب "عقدُ المستقبل" الذي استخدمه ترامب لإغراء تيلر إدارةَ فريق Giants، لكن أعضاء الإدارة لم يكونوا راغبين في استمرار هذه الدراما العلنية طويلاً. اشترت إدارة فريق Giants عقدَ تيلر مع Generals، وقدمت إليه صفقة جديدة وعلاوة سخية، ودفعت لترامب مبلغ المليون دولار الذي كان قد أعطاه لتيلر، وسبعمئة وخمسين ألف دولار زيادة على ذلك المبلغ (تقنياً، خلّص تيلر نفسه من العقد[1] بإعطاء ترامب مبلغ مليون وسبعمئة وخمسين ألف دولار من إدارة Giants. ووفّر ذلك على فريق مجموعة (NFL) مهانة الدفع لترامب مباشرة). جعلت هذه الصفقة تيلر من المعجبين الدائمين بترامب: "لا شك في أنه يعرف دائماً كيف يتلاعب بالإعلام. كانت فكرة بارعة لتحقيق الشهرة، تدل على الذكاء".[2]

في الملاعب، أثمرت خطة ترامب المجنونة بتجنب اللعب لموسم واحد. حقق فريق Generals نتيجة ١٤–٤ عام ١٩٨٤. لعب المباريات الفاصلة وخسر في الجولة الأولى. لكن خارج الملاعب، بدأ مالكو الفرق الآخرين ضمن مجموعة (USFL) يغيرون أفكارهم بشأن زميلهم الجديد. كان ترامب قد صار فعلياً واجهة المجموعة، ولم يكن تشدقه بالكلام يناسب مالكي الفريق الآخرين. ذكر ترامب عَرَضاً أمام الصحافيين أنه يعتقد أن على مجموعة (USFL) وضع حد لأربعة على الأقل من الفرق الثماني عشرة، وهي الفرق التي "تملكها جهات ضعيفة"،[3] ثم بدأت تتعالى أصوات تحكي قصصاً منسوبة إلى مصادر في "مجموعة USFL" لم تحدد هويتها، تدعي فيها، كذباً، أن ثمة تحولاً وشيكاً في اللعب من الربيع إلى الخريف. بعدما أعلنت **نيويورك تايمز** الانتقال إلى برنامج خريفي، استناداً إلى معلومات مستقاة من "مديرين

1 Gerald Eskenazi, "Taylor Buys Out Generals' Pact," *New York Times*, January 18, 1984.

2 "How Donald Trump Destroyed a Football League."

3 Byrne, *$1 League*, 127.

تنفيذيين بارزين في مجموعة (USFL)"،[1] أصيب مفوض المجموعة تشيت سيمونز بالسكتة. كان سيمونز، وهو رئيس سابق لقناة ESPN، يحاول التوفيق بين المالكين الذين يريدون تبديل الموسم والمالكين الرافضين لذلك، وتبيّن آنذاك أن ثمة مالكاً يحاول تغيير الموازين لمصلحته عن طريق نشر قصص جديدة مجهولة المصدر. كان لدى سيمونز فكرة صحيحة نوعاً ما عن هوية المالك المذكور.[2]

في اليوم التالي لظهور مقالة **نيويورك تايمز**، أرسل سيمونز مذكرة إلى كل المالكين: "إن نشر شؤون المجموعة في الإعلام هو عمل لا يجوز ويدل على انعدام الضمير، وتشويه الحقيقة هو تصرف شرير". اتصل بترامب الذي لم يؤكد ولم ينفِ أنه مصدر المعلومات. تمالك ترامب أعصابه وهو يستمع لتوبيخ سيمونز لكنه انتقم في وقت لاحق من الأسبوع نفسه. فقد ظهر عمود في صحيفة **لوس أنجلس هيرالد إكزامينر** *Los Angeles Herald Examiner* يحمل عنوان: "ترامب يقول لسيمونز: أنت إنسان لا جدوى منه... لا تفعل شيئاً سوى الجلوس"،[3] وهذا، كما زُعم، ما قاله ترامب لسيمونز إثر مكالمة المفوض الغاضبة حول مقالة **نيويورك تايمز** (قال ترامب لسيمونز إنه لم يتفوه بتلك الكلمات مطلقاً). بعد بضعة أشهر، وعندما أصيب سيمونز بانقراص في أحد أعصابه، قال له الأطباء إن المرض ناجم على الأرجح عن التوتر، صار سيمونز يطلق على مرضه اسم "عصب ترامب".[4]

تراجع النزاع حول التحول إلى فصل الخريف ليصير مجرد نقاش يجري بصورة أساسية بين رجلين: ترامب وجون باسيت John Bassett، وهو منتج أفلام كندي كان منخرطاً في مجموعة World Football League التي توقفت عن العمل. كان باسيت يملك فريق Tampa Bay Bandits،[5] وهو أحد الفرق القليلة في مجموعة (USFL) التي كانت تدر أرباحاً. وكان باسيت، على غرار ترامب، يميل إلى الحركات الاستعراضية، فقد أشرك نجم هوليوود بيرت رينولدز Burt Reynolds في الملكية نظراً إلى شهرته،

١ المصدر نفسه، ص ١٣٧–١٤١.
٢ المصدر نفسه، ص ١٣٨.
٣ المصدر نفسه، ص ١٤١–١٤٣.
٤ المصدر نفسه، ص ١٤٨–١٦٣.

5 "John F. Bassett, 47, Is Dead; Owner of Sports Franchises," *Associated Press*, May 15, 1986.

وكان ينظم في الفواصل بين الشوطين، خلال المباريات، أحداثاً، بما في ذلك مسابقات مايوهات البيكيني وإحراق صكوك الرهانات [احتفال تقليدي يحرق فيه مالكو البيوت وثائق الرهن بعد انتهاء تسديد ثمن البيت]. في البداية، أحب باسيت ترامب. في الاجتماع السابق الذي عقد عام ١٩٨٤ في نيو أورليانز لمالكي الفرق، قال باسيت إن ترامب عزز مصداقية المجموعة، لكن إزعاج ترامب الدائم لمناوئيه بملاحظاته الساخرة جعل باسيت يغير رأيه. في آب/أغسطس، أرسل إلى ترامب رسالة صارمة[1]:

> عزيزي دونالد: ... أصغيت بدهشة للإهانات الشخصية التي وجهتها إلى المفوض والعديد من زملائك إذا لم يعتنقوا القضايا التي تتبناها أنت، أو إذا لم يوافقوك على آرائك... أنت أضخم جسداً مني وأكثر شباباً وقوة، وهذا يعني أنني لن أشعر بأي أسف إذا وجهت إليك لكمة على فمك مباشرة في أي مناسبة قد تبدي فيها ثانية مشاعر الاحتقار لي، أو لأي شخص آخر، لا يسير وفق رغباتك... تحياتي الخالصة، جون ف. باسيت.

بعد بضعة أسابيع، اجتمع مالكو مجموعة (USFL) لسماع نتائج دراسة مهمة أجرتها شركة McKinsey الاستشارية، التي دفعت لها المجموعة مبلغ ستمئة ألف دولار لكي تحدد لها أفضل مسار مالي مستقبلي. أدركت المستشارة شارون باتريك Sharon Patrick[2] أن المجموعة كانت تواجه مشكلات مهما كان الموسم الذي تلعب فيه. قال سبعة من أصل المالكين الثمانية عشر لباتريك إنهم لا يستطيعون الاكتفاء خلال السنتين التاليتين بالعائدات الحالية للمجموعة المتأتية عن العقود التلفزيونية، وقال أربعة من المالكين إنهم سيتمكنون من مواصلة اللعب لكن "بصعوبة كبيرة". كانت خطة ترامب لزيادة الدخل من العقود التلفزيونية عن طريق التحول إلى فصل الخريف تفترض سلسلة

1. Matt Bonesteel, "Donald Trump Was Such a USFL Bully That a Fellow Owner Threatened to Punch Him," *Washington Post*, March 3, 2016.
2. Byrne, *$1 League*, 174, 186–87.

من الأحداث لم تستطع المستشارة استشراف وقوعها.[1] فقد كان من شأن التحول إلى فصل الخريف قبل عام ١٩٨٧ أن يمثّل خرقاً لشروط عقد المجموعة مع شبكة ABC. كما أن باتريك لم تسمع أي شيء يقنعها بأن التحول إلى فصل الخريف ستكون نتيجته إبرام عقد أفضل للمجموعة. فقد أخبرتها شبكة NBC أن لا مصلحة لها في مجموعة (USFL)، وانتهى الأمر. أضافت الشركة أنها لن تعاود الاهتمام بالمجموعة قبل ١٩٨٧، وحصراً في حال تحسُّن نسب المشاهدة. قالت باتريك إنه إذا حاولت مجموعة (USFL) التحول إلى الخريف قبل ١٩٨٧، فسوف ينتهي بها الأمر إلى خسرانها أي عقد مع شبكة مهمة.

قدمت باتريك توصيات إلى المجموعة باختصار النفقات وإطلاق حملة دعائية لتحسين نسب المشاهدة، والإبقاء على وضعها كمجموعة تلعب في الربيع خلال عام ١٩٨٦. بعد ذلك، فقط، عندما يحين وقت تجديد عقود مجموعة (NFL) مع شبكات التلفزة، وتصير مجموعة (USFL) وكيلاً حراً، يمكن التفكير في التحول إلى الخريف.[2] وصف ترامب تقرير باتريك بأنه "هراء".[3] وافقه إيدي أينهورن Eddi Einhorn، المالك الجديد لفريق Chicago المرخَّص المتعثر، التابع لمجموعة (USFL)، قائلاً إنه يشك في أن مديري الشبكات التلفزيونية سوف يتحدثون بصراحة مع "فتاة" من شركة استشارية. كان أينهورن على قناعة بأنّ بإمكانه دفع شبكتين تلفزيونيتين رئيسيتين للتنافس على التعاقد مع مجموعة (USFL) في حال تحولت إلى الخريف. وإذا لم يجْد ذلك، وافق أينهورن ومارفن ورنر، وهو مالك آخر، على أن الخطوة التالية يجب أن تكون إقامة دعوى ضد مجموعة (NFL) بتهمة مخالفة قوانين التروستات. صوّت المالكون لتجاهل توصيات باتريك. دعم أربعة عشر مالكاً من أصل الستة عشر الحاضرين توجُّهَ ترامب للتحول إلى الخريف. قال المفوض سيمونز للصحافيين: "سوف تكون بدايتنا مع مجموعة (NFL) في خريف ١٩٨٦ بداية مباشرة وجدية".[4]

قبل حلول موسم ١٩٨٥، وقّع ترامب عقداً مثيراً متهوراً آخر. فبعد عام على إنفاق

---

١ المصدر نفسه.

2 McKinsey & Company report, USFL internal documents.

3 Byrne, *$1 League*, 197–98, 204.

4 Greg Cote, "USFL Moving to Fall in '86," *Miami Herald*, August 23, 1984.

ثمانمئة ألف دولار على الظهير الربعي بريان سايب، أخرج ترامب الظهير الربعي دوغ فلوتي Doug Flutie، الحائز جائزة Heisman، من Boston College، ووقع معه عقداً بمبلغ سبعة ملايين دولار لمدة خمس سنوات. في مؤتمر صحافي، قال فلوتي بتواضع إنه ليس واثقاً من جهوزيته لبدء اللعب، وإنه يتطلع إلى التعلّم من اللاعب المخضرم سايب، ولكنّ ترامب كانت لديه خطط أخرى، إذ صرح بأن "دوغ فلوتي سيكون جو ناماث Joe Namath مجموعة (USFL)".[5] بعد بضعة أسابيع، قال أحد مالكي الفرق إن ترامب طلب منه أن يبلغ أعضاء فريقه ألا يصعّبوا الأمور على فلوتي.[6] وبّخه المالك ولم يوافق على طلبه. أنكر ترامب أنه تقدم بطلب كهذا. عندما كان فلوتي يلعب بصعوبة في بداية الموسم، اقترح ترامب على باقي مالكي فرق مجموعة (USFL) أن يعيدوا إليه ما دفعه لقاء عقد الظهير الربعي. أقر ترامب أنه أنفق أكثر مما ينبغي، لكنه أضاف أنه كان، بكل غيرية، يؤمن الشهرة للمجموعة (لاحظ مسؤولو مجموعة (USFL) وجود اسم لم يعرفوه يتحدث بالنيابة عن ترامب في التغطيات الإعلامية الخاصة بتلك الحادثة وهو جون بارون،[7] المتحدث الخيالي باسم ترامب الذي كان ترامب يتخفى وراءه أحياناً).

أنهى فريق ترامب Generals، ثانية، الموسم بالفوز ١١-٧، ومرة أخرى أُخرج من الجولة الأولى من المباريات الفاصلة. أما خارج الملاعب، فكانت مجموعة (USFL)، دون أي عقود تلفزيونية، تواجه ظروفاً مقلقة. وكما تنبأت المستشارة، لم تُبْد شبكتا NBC و CBS أي اهتمام، وكانت شبكة ABC حانقة لأن مجموعة (USFL) كانت بصدد إنهاء عقدها. وبدأ يتضح أكثر فأكثر أن الفرصة الوحيدة لبقاء المجموعة تكمن في قاعة المحكمة. صوّت مالكو فرق مجموعة (USFL) لإقامة دعوى ضد مجموعة (NFL)، ومرة أخرى، كان ترامب نجم المناسبة الأوحد. وبينما كان مديرو مجموعة (USFL) يتهيؤون للسفر جواً إلى فلوريدا لحضور اجتماع للمجموعة، تلقي سيمونز رسالة:[8] كان ترامب ينوي عقد مؤتمر صحافي مفاجئ في صباح اليوم التالي يتحدث فيه باسم مجموعة (USFL) حول الدعوى التي ستقام ضد مجموعة (NFL).

5 Byrne, *$1 League*, 256–57.

6 " Owner Says Trump Asked to 'Take It Easy' on Flutie," *Miami Herald*, March 17, 1985.

7 Byrne, *$1 League*, 293.

٨ المصدر نفسه، ص ٢٢٤.

وسيكون إلى جانب ترامب المحامي الذي اختاره لهذه الدعوى، دون استشارة أيٍّ كان، وهو روي كوهين (بعد سنوات، قال مؤرخ سيرة ترامب، هاري هيرت Harry Hurt إن ترامب كان قد وعد كوهين بتسليمه الدعوى كدفعة جزئية لقاء عمله في التفاوض لإبرام اتفاق ما قبل الزواج مع إيفانا).[١]

تحدد موعد النظر في قضية (USFL) ضد (NFL) في نهاية ربيع ١٩٨٦ في المحكمة الفيدرالية في نيويورك. اعتبر العديد من المعلقين الرياضيين أن الدعوى كانت حركة يائسة من مجموعة (USFL) لكن محامي مجموعة (NFL) كانوا يعرفون أن وثيقة داخلية في المجموعة كان من شأنها تعزيز الدعوى المفاجئة لأن خصمها القديم كان قد خرق القانون الفيدرالي في سعيه إلى تعطيل التنافس. أدى اجتماع سري عقد بين ترامب وبين مفوض مجموعة (NFL) بيت روزيل، عام ١٩٨٤، إلى جعل القضية تتأرجح وفق الطرف الذي كان يتحدث بصدق والطرف الذي كان يغش في رواية الحقيقة.

ذات صباح، كان المحرر الإداري في مجلة **سبورتس إيلاستريتيد** *Sports Illustrated*، مارك مولفوي Mark Mulvoy، يلعب جولة من الغولف مع ترامب في لونغ آيلاند، عندما بدأ المطر ينهمر بغزارة. عندما توقف المطر، عاد الرجلان إلى الملعب. لاحظ مولفوي وجود كُرة على بُعد عشرة أقدام من الحفرة لم يتذكر أنه رآها قبل العاصفة[٢]. سأل مولفوي: "كرة من هذه؟".

يقول مولفوي إن ترامب أجاب: "كرتي".

قال مولفوي: "دونالد، ارحمني قليلاً. أنت تكدح طوال اليوم. أنت لا تكذب في مكان عملك".

– "الأشخاص الذين ألعب معهم يغشون طوال الوقت. ينبغي أن أغش لأجاريهم".

بعد التخرج من الجامعة، وبعدما تخلى ترامب عن اهتماماته الرياضية الشخصية، صار يرى الوقت الذي ينقضي في ممارسة الرياضة وقتاً ضائعاً. كان ترامب يعتقد أن الجسم البشري مثل البطارية، ينطوي على كمية محدودة من الطاقة، والتمارين

1 Hurt III, *Lost Tycoon* (1993), 144.

2 Ben Terris, "Does Donald Trump Cheat at Golf?," *Washington Post*, September 4, 2015.

الرياضية لا تفيد بشيء سوى أنها تستنزف هذه الطاقة. ولهذا لم يكن يمارس التمارين الرياضية. عندما علم أن جون أودونيل، أحد كبار المديرين العاملين معه في الكازينو، يتدرب للمشاركة في مباريات Ironman، حذّره قائلاً: "سوف تموت شاباً[1] بسبب الرياضة".

لكن ترامب استمر في لعب الغولف لسنوات، وكان غالباً ما يفاخر بمهارته في اللعبة للدلالة على لياقته البدنية. كان يدّعي أنه نال ثماني عشرة بطولة نواد، ووصفها بأنها "أشبه بمجال اختصاص للهواة"، مشيراً إلى أهم وأشهر دورات الغولف للمحترفين. كان العديد من لاعبي الغولف الذين ربطتهم به علاقة يرونه موهوباً، رغم أنه لم يلتزم أحياناً قواعد اللعبة، لكن قصص حالات الغش الذي كان يمارسه ترامب غدت كثيرة. قال المعلق الرياضي ريك ريلي Rick reilly: "عندما يتعلق الأمر بالغش، يمكن تصنيفه بالحادي عشر في مقياس من واحد إلى عشرة". وأضاف ريلي أنه كان يلعب الغولف مع ترامب بعد ظهر أحد الأيام، وشاهد المتعهد يسجل نتائج كاذبة،[2] إذ يكافئ نفسه بدحرجة الكرة برفق عن قرب لتسقط في الحفرة، ويدّعي تحقيق الهدف -يحدث هذا في العادة عندما تكون الضربات على بعد قدمين أو أقل من الحفرة- عندما تكون كرته على بعد عدة ياردات على الأقل. قال ريلي: "لقد حقق أول هدف سهل في العالم". ورغم أن ترامب كان يكرر دفع الكرة من جديد، فإنه قال لريلي: "احرص على أن تكتب أنني ألعب كرتي الأولى. في الحياة، أنت لا تحصل على كرة ثانية" (أنكر ترامب بإصرار فعله أي خدعة: "لم أغش مطلقاً في الغولف". وفنّد ما قاله ريلي: "لقد قضيت عليه نهائياً، وكتب عني أشياء غير دقيقة... لم يسبق لي ضرب الكرة عالياً لتسقط قرب الحفرة وأحقق هدفاً سهلاً").

عندما خاض ترامب ذلك الرهان الكبير في أتلانتيك سيتي، لم تلعب الرياضة دوراً مهماً في دفع الناس للمجيء إلى الكازينوهين اللذين كان يملكهما. عام ١٩٨٩، رعى ترامب بناء على فكرة طرحها عليه معلّق رياضة كرة السلة في الجامعة، بيلي باكر Billy Packer، دورة Tour de Trump،[3] وهي سباق للدراجات يُعلَن عنه بوصفه جواباً على

---

1 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 171.

2 Terris, "Does Donald Trump Cheat?"

3 Kevin Hogan, "The Strange Tale of Donald Trump's 1989 Biking Extravaganza: Inside the

دورة Tour de France . كانت مسافة السباق تغطي ثمانمئة وسبعة وثلاثين ميلاً، وتشمل خمس ولايات وتنتهي في ظل ترامب بلازا في أتلانتيك سيتي. استمر ترامب في رعاية الدورة لعامين - حملت الدورة في النهاية اسم Tour DuPont - وكان العديد من راكبي الدراجات في السباق يشعرون بالسعادة لأن رجل أعمال أميركياً بارزاً كان يستثمر في رياضتهم. كما شعر المتسابقون في الزوارق البخارية أيضاً بالإثارة عندما دخل ترامب مجال رياضتهم. وكان سباق بطولة القوارب البخارية العالمية، الذي جرت العادة على تنظيمه في مدينة كي ويست ذات الطقس المشمس، قد نُقل إلى أتلانتيك سيتي عام ١٩٨٩ بعدما دفع ترامب مبلغ مئة وستين ألف دولار لاستضافة هذا الحدث، وتغلّب بذلك على العروض[1] المقدمة من مجموعات في كي ويست في هونولولو. سرعان ما بدأ بعض المتسابقين التساؤل حول المنطق الكامن في تنظيم السباق قرب ساحل نيو جيرسي في تشرين الأول/أكتوبر، عندما يكون الموج أعلى منه قرب شاطئ فلوريدا الجنوبي. ثبت أن دواعي القلق تلك كانت أشبه بالتنبؤات. فقد أدى المطر والبحر الهائج إلى إلغاء عدة أيام من السباق. وعندما تسابق أصحاب الزوارق، كانت النتائج كارثية: فقد غرقت عدة قوارب، وتسببت تلك الحوادث في إصابة أحد الذين كانوا يقودون الزوارق بكسر في ظهره.[2] في يوم آخر، وبعدما هدأت الأمواج، قُتل أحد المتسابقين عندما انقلب قاربه.[3]

كان ترامب واحداً من القلائل الذين لم يتذمروا بشأن الطقس خلال ذلك الأسبوع، فقد تبجح أمام الصحافيين بالقول إن المطر يعني حصراً أن المتسابقين سيمضون وقتاً أطول في الكازينوهين العائدين إليه... "من منطلق مالي متشكك،[4] تجولت اليوم في أرجاء [ترامب] كاسل، وإذ به مدينة الازدهار السريع في الولايات المتحدة. كلما صار الجو أسوأ، تحسنت الأعمال".

Making of the Tour de Trump," *Politico*, April 10, 2016.

1 Joe Weinert, "Offshore Race Set for A.C. Trump Wins Rights to Championships," *Press of Atlantic City*, November 19, 1988.

2 Joe Weinert, "Atlantic Batters Powerboats: Deep-V's Outrun Cats in Heavy Seas," *Press of Atlantic City*, October 18, 1989.

3 Joe Weinert, "Boat Flips off A.C.," *Press of Atlantic City*, October 23, 1989.

4 Angus Phillips, "Rain Makes Trump's Mouth Water," *Washington Post*, October 21, 1989.

كانت الملاكمة هي الرياضة التي وفرت لترامب، أكثر من غيرها، كسب الملايين في أتلانتيك سيتي. صادف مجيء ترامب إلى أتلانتيك سيتي بروز أحد أكثر اللاعبين إثارة في تاريخ هذه الرياضة: شاب من بروكلين ذو لثغة مميزة وموهبة في توجيه ضربات قاضية بسرعة تخطف الأبصار. عام ١٩٨٦، صار مايك تايسون، البالغ من العمر عشرين عاماً، أصغر بطل ملاكمة بالوزن الثقيل، وحرص ترامب على أن يضمن إجراء أي مباراة كبرى لتايسون في إحدى ممتلكاته. استطاع ترامب لمدة، ودون مساعدة من أحد، أن ينقل عاصمة الملاكمة من لاس فيغاس إلى أتلانتيك سيتي، وتوّج ذلك المسعى بمباراة تايسون، في حزيران/يونيو ١٩٨٨، ضد مايكل سبينكس. دفع ترامب ما يقارب أحد عشر مليون دولار لاستضافة المباراة[١] وهو سعر قياسي. هزم تايسون سبينكس بالضربة القاضية خلال واحد وتسعين ثانية، أي أقل من الوقت الذي استغرقه تقديم أسرة ترامب وأصدقائه العديدين من المشاهير الذين تحلقوا حول الحلبة في تلك الليلة. مع ذلك، كانت المباراة ضربة حظ لترامب ولمالكي الكازينوهات الآخرين. جمع ترامب بلازا خلال عطلة نهاية الأسبوع أكثر من ثمانية عشر مليون دولار، ووصل المجموع المشترك لكل كازينوهات المدينة الاثني عشر ما يزيد على أربعين مليون دولار. حجز منافسو ترامب صفحة كاملة في إحدى الصحف المحلية لكتابة عبارة: "شكراً، سيد ترامب".[٢]

لم يكن اهتمام ترامب بمهنة تايسون عرضياً، فقد حاول أن يتصرف معه بوصفه مستشاره المالي الشخصي، بل إنه عرض عليه مشورة زوجية عندما كان تايسون على وشك الطلاق من الممثلة روبن غيفنز Robin Givens. وعندما أُدين تايسون بتهمة اغتصاب ديزيريه واشنطن Desiree Washington،[٣] التي كانت في الثامنة عشرة، عام ١٩٩٢، كانت مكالمة ترامب من أولى المكالمات التي تلقاها. بعد بضعة أسابيع –قبل إصدار الحكم على تايسون– عقد ترامب مؤتمراً صحافياً ليتقدم باقتراح غير مألوف: لا ينبغي أن يسجن تايسون بسبب الحكم عليه بجرم الاغتصاب، بل يجب أن يسمح له

1 Hurt III, *Lost Tycoon* (1993), 201-4.

٢ المصدر نفسه.

3 Russ Choma, "The Time Donald Trump Tried to Get Mike Tyson out of Going to Prison for Rape," *Mother Jones*, December 2015.

أن يظل حراً وأن يلاكم، وسوف تعود الأرباح إلى ضحايا الجرائم الجنسية وديزيريه واشنطن. واجه ذلك الاقتراح، بالطبع، انتقادات مدوية، وقال كثيرون إن خطة ترامب من شأنها مساعدته على الاستمرار في الاستفادة مالياً من مهنة تايسون. حُكم على تايسون بالسجن ستة أعوام. بعد عام، لاحظ أحد كتاب سيرة ترامب وجود حزام لبطولة الملاكمة[1] في مكتبه. قال ترامب إن الحزام كان لتايسون، وإنه كان بمنزلة دفعة من تايسون لقاء دين لم يحدد نوعه.

كان لدى ترامب وباقي مالكي الفرق في مجموعة (USFL) أسباب وجيهة للشعور بالتفاؤل. كانت الأسابيع الأولى للمحاكمة التي جرت في القاعة رقم ٣١٨[2] في دار القضاء الفيدرالي جنوب مانهاتن، مخصصة للمجموعة الخاسرة. أعد المحامي الجديد -هارفي ميرسون Harvey Myrson، الذي كان قد حل محل كوهين المريض بناء على طلب ترامب- مرافعة قوية ادعى فيها أن مخالفة مجموعة (NFL) قوانين التروستات كلفت مجموعة (USFL) ملايين الدولارات. أصغت هيئة المحلفين -المؤلفة من ستة أشخاص: رجل وخمسة نساء، لم يكن أحد منهم من هواة رياضة الركبي- بينما كان ميرسون، الذي كانت تفوح منه على الدوام رائحة السيجار،[3] ينتقد دون هوادة مجموعة (NFL) بكلمات منمقة. أبرز دليلين من داخل مجموعة (NFL): وثيقة بعنوان "استنزاف أموال مجموعة (USFL)"، كانت تدعو فرق مجموعة (NFL) إلى سرقة لاعبي مجموعة (USFL) الأقل سعراً، وهو ما يدفع بالمجموعة التي تمر بضائقة مالية إلى إنفاق المزيد؛ وقدَّم عرْضَ شرائح[4] يُظهِر أستاذاً في كلية الأعمال في هارفارد يحث مجموعة (NFL) على اللجوء إلى أساليب مستوحاة من النص الكلاسيكي *The Art of War*، الذي وضعه سن تزو Sun Tzu، وشرح فيه إستراتيجيته العسكرية، مثل ثني شبكة ABC عن الاستمرار في عقدها مع مجموعة (USFL) والتشجيع سراً على الانضمام إلى النقابات في صفوف المجموعة المنافسة وإغراء أكثر "المالكين تأثيراً في مجموعة

1 D'Antonio, *Never Enough*, 322.

2 Richard Hoffer, "USFL Awarded Only $3 in Antitrust Decision:Jury Finds NFL Guilty on One of Nine Counts," *Los Angeles Times*, July 30, 1986.

3 Randy Harvey, "Whom Do You Trust in This Antitrust Case?," *Los Angeles Times*, July 6, 1986.

4 NFL internal documents, *USFL v. NFL* court records.

(USFL) لتركها وإغداق الوعود لهم بمنحهم تراخيص لفرق تابعة لمجموعة (NFL)".

عندما وقف ترامب على منصة الشهود، في الثالث والعشرين من حزيران/يونيو ١٩٨٦، تركزت شهادته على اجتماع سري كان قد عقده في آذار/مارس ١٩٨٤ في جناح في فندق بيير في مانهاتن. اتفق الرجلان على ثلاث حقائق فقط بشأن هذا الاجتماع: التاريخ والمكان والشخص الذي دفع أجرة الغرفة (ترامب). استناداً إلى ما قاله ترامب، كان هو وروزيل أصدقاء منذ سنوات –حضر ترامب عدة حفلات في منزل روزيل وتعرف إلى زوجته أيضاً– لكن عندما انتشرت إشاعات تقول إن ترامب قد يشتري إحدى فرق مجموعة (USFL)، حاول روزيل ثنيه بإصرار عن التورط في هذا الموضوع. بعدما اشترى ترامب فريق Generals، صار روزيل يعامله كأنه "مصاب بالطاعون"[1].

قال ترامب في روايته إن روزيل وعده بأنه إذا بذل جهده للحؤول دون تحوّل مجموعة (USFL) من الربيع إلى الخريف، ولمنْعها من إقامة دعوى خرق قوانين التروستات، فسوف يحصل على امتياز من مجموعة (NFL). وشهد ترامب أنه لم يكن ليقبل صفقة كهذه: "لدي أصدقاء أعزاء في مجموعة (USFL)... ولا يمكن أن أخون أولئك الأشخاص".

عندما وقف روزيل على منصة الشهود، نقض مباشرة كل ما قاله ترامب تقريباً. قال المفوض: "كانت تجمعني به مجرد معرفة. لم يكن صديقي. بل إنه لم يكن في قائمة الأشخاص الذين أتبادل معهم بطاقات التهنئة في عيد الميلاد"[2]. ووفق رواية روزيل، أخبره ترامب أنه سيضيف مالكَيْن جديدَيْن إلى الامتيازات التي تمنحها مجموعة (USFL) في ميامي وشيكاغو: رجلان قويان وثريان. وأضاف روزيل: "ثم قال لي: لكنني لا أريد فعل أمور من هذا النوع". ما كان يريده ترامب فعلاً هو فريقُ توسُّعٍ لمجموعة (NFL) في نيويورك، وعرض أن يتدبّر أمر بناء ملعب جديد لذلك الفريق. أضاف روزيل: "وقال، وأكرر هنا ما قاله بدقة: سأحصل على المال اللازم لشراء فريق New York Generals... ثم أضاف، وهنا أيضاً أكرر ما قاله بدقة: إذا كنت سأترك

---

1 Donald Trump testimony, *USFL v. NFL* court records.

2 Pete Rozelle testimony, *USFL v. NFL* court records.

مجموعة (USFL)، فسوف يدمرهم ذلك نفسياً".

دعم روزيل أقواله بتقديم موجز لما دار في الاجتماع طبَعَه بعد انتهاء الاجتماع. لم يكن ترامب قد دوّن أي ملاحظات حول نقاشه مع روزيل. قال ترامب في معرض الشرح: "في رأيي أن تسجيل الملاحظات أمر غريب جداً. فالناس لا يسجلون ملاحظات حول الأحاديث التي يتبادلونها".

كانت شهادة ترامب نقطة تحوّل في مسار المحكمة. بعد بضعة أيام، قال فرانك روثمان Frank Rothman –محامي مجموعة (NFL) المتحفظ الأشبه بالجد الحنون– إن مصاعب (USFL) المالية هي نتيجة أخطائها. فقد خسرت عقدها التلفزيوني عندما تحولت إلى الخريف بناء على طلب المالك –ترامب– الذي كان يريد شق طريقه بالقوة إلى مجموعة (NFL). قدم روثمان شهادة جون باسيت، الذي كان قد توفّي، وهو المالك المنافس لترامب الذي ناضل لإبقاء موسم المجموعة في الربيع. وكان باسيت قد توفّي بسرطان في الدماغ في الأسبوع الذي بدأت فيه المحاكمة، لكنه قال في شهادة كتابية إن التحول إلى الخريف كان حركة غير مدروسة من جانب (USFL)، وإن هذا التحول كان فكرة ترامب[1].

عندما بدأت مداولات هيئة المحلفين الستة، سرعان ما بدا انقسامهم إلى طرفين متساويين[2]. كان اثنان من المحلفين يعتقدان أن جماعة (NFL) ألحقت أذى واضحاً بمجموعة (USFL) التي كانت تستحق تعويض أضرار بمئات ملايين الدولارات. وكان اثنان آخران يعتقدان أن مجموعة (NFL) لم ترتكب أي خطأ، وأن الدعوى القضائية ما هي إلا خدعة يائسة من خصم يناضل ليبقى على قيد الحياة. أما المحلفَان الباقيان، فكان موقفهما وسطاً. كانت باتريشيا سيبيليا Patricia Sibilia، شأن باقي المحلفين، لا تعرف الكثير عن الركبي أو العقود التلفزيونية. توصلت باتريشيا إلى استنتاج أن (NFL) تصرفت بأسلوب احتكاري وكانت مذنبة بارتكاب فعل لصوصي ضد (USFL)، لكنها كانت تعتقد أيضاً أن مالكي مجموعة (USFL) قد أسرفوا في الإنفاق، ونقلوا الفرق من مدينة إلى أخرى على نحو عشوائي كما يبدو، وحوّلوا المباريات بخطوة غير مدروسة

1 John Bassett deposition testimony, *USFL v. NFL* court records.

٢ مقابلة باتريشيا سيبيليا مع ويل هوبسون، نيسان/أبريل ٢٠١٦.

من الربيع إلى الخريف مخالفين بذلك العقد التلفزيوني. قررت سيبيليا أنها لم تحب ترامب الذي لم تكن قد سمعت باسمه من قبل المحكمة. قالت: "كان شديد الغطرسة وأعتقد أنه كان يحاول أن يتحايل على نحو واضح. كان يريد الحصول على امتياز من مجموعة (NFL)... وكانت مجموعة (USFL) هي الوسيلة الرخيصة للوصول"[١].

بعد إحدى وثلاثين ساعة من التداول، توصلت هيئة المحلفين إلى قرار. كانت سيبيليا توسطت للوصول إلى تسوية غريبة. عندما بدأت رئيسة الهيئة تلاوة القرار، في التاسع والعشرين من تموز/يوليو ١٩٨٦، ظن مالكو فرق مجموعة (USFL) في البداية أنهم حققوا نصراً تاريخياً صاعقاً. حكم المحلفون أن (NFL) كانت احتكارية لكن رئيسة المحلفين تابعت القراءة: "تعويض الأضرار: دولار واحد"، ضاعفته المحكمة إلى ثلاثة دولارات. كانت تسوية سيبيليا تقضي بوصف مجموعة (NFL) بالاحتكارية، ولكن إعفاءها من اللوم بشأن المصاعب المالية التي تواجهها (USFL). احتفل المسؤولون في مجموعة (NFL)، فقد كانوا يعرفون أن خصمهم سيواجه مصيراً أسود إذا لم يحصل على تعويض دسم عن الأضرار. قال أحد المديرين في مجموعة (USFL): "الآن، قُضي علينا، هلكنا"[٢].

وعد ميرسون موكليه أنه سيحصل لهم على تعويض أضرار في الاستئناف، لكن ذلك لم يحصل. ظلت القضية معلقة في محكمة الاستئناف لسنوات بسبب الرسوم القانونية لمجموعة (USFL)، التي تجاوزت خمسة ملايين دولار، والتي اضطرت مجموعة (NFL) لدفعها في نهاية المطاف. لم تلعب مجموعة (USFL) أي مباراة بعد ذلك. وسرعان ما اختطفت (NFL) بعض اللاعبين النجوم: ووكر، فلوتي Flutti، ستيف يونغ Steve Young، لكن معظم لاعبي الفرق التي جرى حلّها إما تقاعدوا وإما حاولوا الالتحاق بفرق (NFL) أو حتى بفرق مجموعة الركبي الكندية. في كتاب *Trump, The Art of the Deal*، كاد ترامب أن يعبّر عن أسفه:

> لقد اشتريت فريقاً خاسراً في مجموعة خاسرة واضعاً لنفسي هدفاً بعيداً.

---

١ المصدر نفسه.

2 Dave Goldberg, "Only Token Damages Against NFL in Antitrust Suit by Rival League," *Associated Press*, July 29, 1986.

كادت الأمور تسير على ما يرامعبر دعوى خرق قوانين التروستات، ولكن عندما لم تجر الأمور على هذا النحو، لم أتراجع. الفكرة هنا هي أنك لا تستطيع أن تكون شديد الجشع. إذا توجهت إلى الهدف مع كل رمية كرة، فسوف ترمي الكرة في اتجاهات خاطئة لمرات عدة.[١]

وألقى بالجزء الأكبر من اللوم على المالكين الآخرين:

إذا كان هناك شيء واحد أخطأتُ في حساباتي بشأنه، فهو مع مجموعة (USFL)[٢]، كان الأمر يتعلق بتقييمي قوة المالكين الآخرين في المجموعة. في أي شراكة، أنت قوي بقدر قوة الحلقة الأضعف.

رغم أن أفول نجم مجموعة (USFL) كان أحد الأخطاء الفاحشة المفضوحة التي اقترفها ترامب، فإن القصة تلاشت من الذاكرة وسط الطوفان الذي لا يهدأ في مشاريع ترامب اللاحقة. ورغم المصير المخزي الذي لحق بمجموعة (USFL)، فإن مغامرة ترامب معها قد منحته، وهو الذي كان قد غدا شخصية مشهورة في نيويورك، أول موجة من الاهتمام على الصعيد الوطني. نُشرت أول لمحة عنه في مجلة توزع في كل أنحاء أميركا[٣]: **سبورتس إيلاستريتيد**، وحصل أول ظهر له على التلفزيون الوطني في البرامج التي تبثها مجموعة (NFL) يوم الأحد قبل المباريات. بالنسبة إلى العديد من الأميركيين، كان ترامب آنذاك، المتعهد الشاب الناجح الآتي من مدينة نيويورك، الذي استولى على مجموعة (NFL).

ألقى بعض من كانوا في مجموعة (USFL) اللوم على ترامب بسبب انهيار المجموعة، وقالوا إن مجموعة (NFL) كان بإمكانها وصف ترامب بالوغد، لأنه كان كذلك فعلاً. قال مايكل تولين Michael Tollin، الذي كان يدير شركة إنتاج تصوّر أفلاماً للدعاية لمجموعة (USFL): "ترامب وحده بإمكانه، إلى حد ما، تحويل المجموعة القوية (NFL) إلى مجموعة خاسرة". كان سبب تورط ترامب مع مجموعة

1 Trump and Schwartz, *Art of the Deal* (1987), 48.

٢ المصدر نفسه، ص ٢٧٦.

3 Barrett, *Trump*, 342.

(USFL) هو "تعظيم الذات،[1] والنرجسية والرغبة في إيجاد سبيل للحصول على فريق في مجموعة (NFL)". عام ١٩٩٩، أخرج تولين فيلماً وثائقياً لقناة ESPN، وهو Small Potatoes: Who Killed the USFL?. بالنسبة إلى تولين، كان الجواب بسيطاً: ترامب. كان مشهد الذروة في الفيلم الوثائقي المقابلة المربكة في برج ترامب، قال ترامب: "لم تعد مجموعة (USFL) حتى لتخطر ببالي. كانت تجربة لطيفة، كانت تسلية، كانت الدعوى رائعة"[2]. عندما سأله تولين هل كانت حركة التحول إلى الخريف قد حدثت بسرعة أكبر من اللازم، أجاب ترامب: "كان لدينا مالكون مشرفون على الموت، كان لدينا مالكون لا يستطيعون تسديد فواتيرهم. عندما تكون في وضع كهذا، يجب أن تتصرف بسرعة... سؤالان آخران وبعد ذلك سأغادر المكان. لقد سئمت هذا الموضوع". عندئذ قدم تولين إلى ترامب نتيجة المحاكمة: تعويض الأضرار من مجموعة (NFL)، وهو شيك بقيمة ثلاثة دولارات وستة وسبعين سنتاً (السنتات كانت فائدة المبلغ). نظر ترامب إلى الشيك محرجاً، ثم أعاده إلى تولين وأنهى المقابلة: "رائع، بإمكانك الاحتفاظ به. لا بأس، شكراً جزيلاً. أتمنى لك حظاً سعيداً".

خسر ترامب ما يقارب اثنين وعشرين مليون دولار[3] في فريق New Jersey Generals. أما فريق The Dallas Cowboy –الفريق الذي قال ترامب إنه يفكر في شرائه عام ١٩٨٣، لكنه لم يشترِه لأن النجاح في مجموعة (NFL) لا يمكن إلا أن يكون "جانبياً"– فقد بيع عام ١٩٨٤ بمبلغ خمسة وثمانين مليون دولار، ثم باعته المجموعة التي حصلت عليه عام ١٩٨٩ لجيري جونز Jerry Jones بمبلغ مئة وسبعين مليون دولار. عام ٢٠١٥، أعلنت مجلة **فوربس** أن Cowboys هو الفريق صاحب الامتياز الأغلى في العالم، فقد كان يساوي أربعة مليارات دولار تقريباً[4].

راودت ترامب فكرة شراء فريق صاحب امتياز ينتمي إلى مجموعة (NFL) عدة مرات بعد ما حدث مع مجموعة (USFL). عام ١٩٨٨، ناقش فكرة شراء فريق New

١ مقابلة مايكل تولين مع ويل هوبسون، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

2 Donald Trump in *Small Potatoes: Who Killed the USFL?*,ESPN Productions, 2009.

3 Blair, *Trumps*, 333.

4 Mike Ozanian, "The Most Valuable Teams in the NFL,"*Forbes*, September 15, 2015.

England Patriots ، لكنه تراجع في نهاية المطاف.[1] وعام ٢٠١٤، قدم عرضاً بقيمة مليار دولار لشراء Buffalo Bills لكنه خسر أمام عرض بقيمة مليار وأربعمئة مليون دولار. في مطلع عام ٢٠١٦، سئل عن إخفاقه في الحصول على فريق Bills. وللمرة الأولى، كان ترامب سعيداً بالخسارة. قال إن الترشّح لرئاسة الجمهورية "أكثر إثارة[٢] وأرخص كلفة".

1 Jeff Horwitz, "Donald Trump: No White House Run If He'd Bought the Buffalo Bills," *Associated Press*, February 7, 2016.

٢ المصدر نفسه.

الفصل الحادي عشر

الانكشاف الكبير

في صباح السادس عشر من حزيران/يونيو ١٩٩٠، كان النسيم بارداً والضباب كثيفاً فوق الممشى الخشبي في أتلانتيك سيتي. كان الناس متجمعين على بسطات الأدراج خارج فندق وكازينو ترامب تاج محل. كانت قد انقضت عشرة أسابيع على الافتتاح الذي حفت به المتاعب، وكان من المتوقع وصول دونالد ترامب لاحتفال مفاجئ بعيد ميلاده الرابع والأربعين.

كان موظفو ترامب، البالغ عددهم ألفين تقريباً، يقفون مع عائلاتهم عند شاطئ المحيط ذي المياه الرمادية على منصة أقيمت خصيصاً لهذه المناسبة. كان دوغ كوكس Doug Cox، وهو خطيب يجيد إثارة الجماهير ويحوز إعجاب ترامب، يدب الحماسة في الحشود. كان رجلاً نحيلاً ذا لحية بيضاء وقد نظم خلال السنوات الأربع السابقة ورشات لإعداد فرق عمل شارك فيها كل موظف تقريباً في الكازينو الخاص بالمتعهد الكبير. كان كوكس في كاليفورنيا لحضور حفل تخرج ابنه من المدرسة الثانوية عندما تلقى مكالمة عاجلة من مدير تاج محل يطلب منه العودة إلى أتلانتيك سيتي لتنظيم مهرجان عيد ميلاد ترامب. جاء كوكس إلى فيلادلفيا في رحلة ليلية بالطائرة، ومن هناك أوصله السائق إلى مكان المهرجان. دعا الجمهور إلى العزف على آلات نفخ موسيقية خيالية في الوقت الذي كان هو فيه يقود ترانيم لحن "I Feel Good" للمغني جيمس براون.[١]

١ المادة الموجودة في هذا المقطع وفي أجزاء أخرى مأخوذة من مقابلات دوغ كوكس Doug Cox

كان بعض الموجودين بين الحشود يدركون مدى حاجة ترامب إلى الترفيه، فقد كشفت بعض التقارير الصحافية أن الكازينوهين كانا يواجهان المشكلات. وكانت صفقات الشراء المحمومة التي يبرمها وتراكم الديون عليه، على نحو يثير الدهشة، وعلاقته بمارلا ميبلز، تهدد آنذاك بإزالة هالة الغموض المحيطة به وبإمبراطوريته. كان النقد المتوافر لديه قليلاً إلى حدّ أنه اضطر، لأول مرة، في اليوم الذي سبق المهرجان، إلى إهمال تسديد دفعة مترتبة على أحد الكازينوهين وتقدر بثلاثة وأربعين مليون دولار مترتبة على كازينو وفندق ترامب كاسل.[1] قبل يومين من الحدث، أي في الرابع عشر من حزيران/يونيو -عيد ميلاد ترامب الفعلي- كانت شركة حسابات كلفها تدقيق حساباته قد أنهت مراجعة شؤونه المالية تدمر الأعصاب، فقد ورد في التحليل، الذي أجرته شركة Kenneth Leventhal & Co.، أن من بين أصول ترامب الاثنين والعشرين -الكازينوهين، واليخت، وفندق بلازا في مانهاتن، وباقي الأصول- ثلاثة فقط تدر أرباحاً. كان قد تراكم عليه دين يبلغ ثلاثة مليارات ومئتي مليون دولار. كما كان ميزان النقد الشهري من مجمل أعماله قد بدأ ينحو نحو منطقة الخطر. كانت قيمة ثروته الصافية مائتين وخمسة وتسعين مليون دولار سلباً.[2]

عندما استقل ترامب طائرته الهليوكبتر في الرحلة التي تستغرق عشرين دقيقة، من نيويورك إلى أتلانتيك سيتي، كانت متاعبه المالية التي لم يتمكن من تسديدها، واحتمال فقدان إدارة كازينو كاسل في حال لم يتمكن من تدبير المبلغ اللازم خلال عشرة أيام، قد أربكت العديد من موظفيه. في ذلك الصباح بالذات، كان العنوان الرئيسي لصحيفة **برس أوف أتلانتيك سيتي** *Press of Atlantic City*: "ترامب لا يسدد دفعة لسندات كاسل".[3]

وصل ترامب متأخراً. عندما هبطت طائرته Super Puma على سطح كاسل، كان

وجو سيربنت Joe Serpente وجفري لودفيغ Jeffrey Ludwig مع إيمي غولدشتاين، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

1 New Jersey Department of Law and Public Safety, Division of Gaming Enforcement, "Preliminary Report on the Financial Condition of the Donald J. Trump Organization Post-restructuring," August 13, 1990, 18.

2 Report on Trump Organization finances, Kenneth Leventhal & Co., June 14, 1990.

3 "Trump Skips Payment on Castle Bond," *Press of Atlantic City*, June 16, 1990.

الوقت قد شارف الظهيرة. أقلته سيارة فارهة في جادة هورون إلى تاج محل. عندما لمح ترامب البالونات واللافتات التي رفعها موظفوه، كان الضباب قد تلاشى. عزفت فرقة موسيقية لحن أغنية عيد الميلاد. وهتف الحشد: "دونالد! نحن نحبك". قدم إليه ثري آسيوي سجادة طُرِّز عليها وجهه.[1] لم يأت أحد على ذكْر عنوان الصحيفة ذي المضمون السلبي. لكن، بينما كان ترامب يقف على المنصة، مرتدياً سترة وربطة عنق حمراء، أمام الراية التي كُتب عليها "نحن ندعمك ٤٠٠% يا دونالد"، كان يبدو عليه أن الأخبار السيئة تشغل باله. صرخ أمام الحشد: "لا يريد أحد الكتابة عن الإيجابيات. لقد أدْهشتُ العديد من الأشخاص خلال السنوات. لكن المفاجأة الكبرى لم تأتِ بعد".[2]

ما من شك في أن ترامب أسس لمهنته عن طريق إدهاش الناس. أنشأ إمبراطورية أكبر من إمبراطورية والده، وبنى ممتلكات من الطراز الأول في مانهاتن، وثلاثة كازينوهات في أتلانتيك سيتي، وحتى شركة طيران. كان يفخر بأنه يشتري أو يبني الأفضل من كل شيء، ويدفع أحياناً أكثر مما ينبغي إيماناً منه باسم ترامب وبِسوقٍ لا تكف عن التوسع. وقد تجلى ميله إلى المشتريات التي ترضي غروره في حيازته أكثر أبنية نيويورك عراقة: فندق بلازا. كان ترامب يتأمل مبنى البلازا الشبيه بالقصر من نافذة مكتبه في برج ترامب القريب من الفندق، قرر الحصول عليه. ولإعلان عن الشراء التي تمت في ١٩٨٨، اشترى صفحة كاملة في مجلة **نيويورك** نشر فيها الخبر إضافة إلى اعتراف مدوٍّ حول صفقة شراء الفندق المؤلف من تسعة عشر طابقاً، الذي كان من معالم المدينة والذي وصفه بأنه أشبه بلوحة الموناليزا الخاصة به. كتب ترامب تحت عنوان "لماذا اشتريت البلازا"[3] عبارة: "لن أستطيع مطلقاً تبرير السعر الذي دفعته، مهما بلغ البلازا من نجاح".

قال ترامب إن السعر -وهو أربعمئة وسبعة ملايين دولار- ليس بالفكرة المهمة. كان الفندق محفوراً في الثقافة الأميركية. فقد جرت أحداث رواية *The Great Gatsby*،

1 "Trump Honored at Birthday Rally," *United Press International*, June 16, 1990.

2 Henry Stern, "Boardwalk Birthday Party for Trump Day After Missed Bond Payment,", June 17, *Associated Press* 1990.

3 "Why I Bought the Plaza," advertisement in New York magazine, September 12, 1988.

للكاتب ف. سكوت فيتزجيرالد F. Scott Fitzgerald، في البلازا.[1] وكان المعماري فرانك لويد رايت Frank Lloyed Wright يعيش في جناح في الطابق الثاني عندما كان يصمم متحف Guggenheim. وكان الفندق هو المكان الذي عاشت فيه إيلواز، البطلة الروائية ذات الأعوام الستة، حيث كانت تخوض مغامراتها مع مربيتها في الطابق الأعلى.

كان ترامب قد عين زوجته إيفانا، التي أشرفت على إنشاء ترامب كاسل في أتلانتيك سيتي، مديرة البلازا، وخوّلها تحويله إلى "أعظم فندق في نيويورك، بل أعظم فندق في العالم".[2] كلفت أعمال الترميم –الثريات المتألقة ومطعم ياباني جديد وإعادة الأبهة الأصلية إلى قاعة الحفلات– خمسين مليون دولار، أي ضعف المبلغ الذي كان ترامب قد عزم على إنفاقه.[3] كان ترامب مهووساً بكيفية إعادة التصميم. بينما كان ذات يوم يتجول في الفندق، هاج غضبه لمرأى بلاطة من الرخام الصيني الذي تم شراؤه بسعر مخفَّض رغم أنه كان قد وافق عليه في البداية؛ قال إنه يبدو رخيصاً ولم تكن درجة اللون الأخضر مناسبة. قالت باربرا ريس التي كانت تشرف على إعادة بناء البلازا: "جن جنونه وألقى اللائمة علي. كان غاضباً لدرجة لا تصدق وقال: هذا هراء، هذا غير مناسب... أنت تخدعينني، أنت وإيفانا". لم تكن تلك المرة الأولى التي يتشاحنان فيها، ولكن لم يسبق لها أن رأته غاضباً على هذا النحو.[4]

لحق الضعف بالأسس المالية للبلازا، التي لم تكن متينة أساساً. كان السعر الذي دفعه ترامب لشرائه –وهو سعر قياسي لفندق أميركي– يفوق بعشرات ملايين الدولارات أعلى عرض يليه مباشرة.[5] اقترض المبلغ، بما في ذلك قرضاً بمبلغ مئة وخمس وعشرين مليون دولار مدعوماً بضمانته الشخصية دون ضمانة إضافية–

1 Theplazany.com/history/

2 "Why I Bought the Plaza."

3 Howard Kurtz, "Loves Won and Lost; The Trump Divorce: Day 2," *Washington Post*, February 14, 1990; and David W. Dunlap, "Trumps Plan to Revamp the Plaza in a Big Way," *New York Times*, December 20, 1988.

٤ مقابلة باربرا ريس مع درو هارويل، **واشنطن بوست**، ٣١ آذار/مارس، ٢٠١٦.

٥ مقابلة مع روبرت ماكسوين ومصرفي آخر يعرف عن الصفقة طلب إخفاء هويته، مع جيري ماركون، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

وكانت تلك حركة خطيرة من جانبه.[1] ولكي يؤمن دفعات الفائدة، كان ينبغي إشغال غرف الفندق، البالغ عددها ثمانمئة وأربع عشرة غرفة -كل ليلة طوال السنة بسعر خمسمئة دولار في الليلة- أي أكثر من ضعف السعر الذي كان الفندق يتقاضاه.[2]

بدأ ترامب يبحث عن شخص يستثمر في نصف فندق بلازا العزيز على قلبه. سافر إلى اليابان للتفاوض مع اليابانيين الأثرياء الذين كانوا تواقين إلى استثمار المال في برج ترامب، لكنهم تراجعوا بسبب ديونه، بالإضافة إلى زعمه أن اليابان كانت "تستغل" الحماية العسكرية الأميركية، وهو تصريح فسره بعضهم بأنه معاد لليابانيين.[3] عاد ترامب إلى الوطن بلا أمل في العثور على مستثمر، وكانت ديون بلازا تتراكم.

بينما كانت الأمور المالية في بلازا تسوء، كانت تسوء أيضاً الأمور المالية في واحدة من رؤى ترامب الأبعد عن الاحتمال: شركة الخطوط الجوية الجديدة Trump Shutter في العام نفسه الذي اشترى فيه الفندق، عام ١٩٨٨، عندما دفع مبلغ ثلاثمئة وخمسة وستين مليون دولار ثمن طائرة ومسارات شمال شرقية كانت ملكاً لشركة Eastern Airlines المفلسة، وهو ثمن رآه العديد من المحللين باهظاً. كانت خطة ترامب تقضي بإعادة تأهيل طائرات الشركة المهترئة البالغ عددها إحدى وعشرين طائرة Boeing ٧٢٧ لتصبح "ماسة في السماء" جديرة بترامب. تعاقد مع شركة لتقدم إليه الاستشارة بشأن الشعار، وبعد خروج أول الطائرات من ورشة الدهان، بدا راضياً لرؤية كلمة TRUMP بلون أحمر وهّاج مكتوبة على جسم الطائرة. لكن حرف T على ذيل الطائرة كان يمثل مشكلة. كان يريده أكبر. وهكذا أعاد الطائرة ليُعاد دهنها.[4]

وكما فعل ترامب لدى شرائه البلازا، استدان المال أيضاً لعقد صفقة الشراء،[5] ما أدى إلى إثقال كاهل شركة الطيران بالدين، حتى إذا قُيِّض لها تحقيق أرباح، فسوف تحتاج إلى عدد من المسافرين لم يكن بالإمكان تحقيقه. وما إن بدأت طائرات شركة

1 Report on Trump Organization finances, Kenneth Leventhal & Co., Schedule II, June 14, 1990.

2 Hurt III, *Lost Tycoon* (1993), 208.

3 Yumiko Ono, "Trump's Condos Lose Their Luster for Tokyo Buyers," *Wall Street Journal*, June 22, 1990.

٤ مقابلة بروس ر. نوبلز Bruce R. Nobles وريه بيلز Bruce R. Nobles مع جيري ماركون، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

5 Kenneth Leventhal & Co. report, June 14, 1990.

Trump Shuttle تقلع في حزيران/يونيو ١٩٨٨، حتى تحولت إلى موضع استنزاف آخر لأمواله.

لم يكن ترامب ملماً بشؤون إدارة شركة طيران. كذلك، لم يكن يلقِ بالاً لنصائح زبائنه. أظهرت استبيانات آراء الركاب أن المسافرين من رجال أعمال لم يكن ليشغل بالهم شيء بقدر توفُّر خدمة تؤمن لهم الوصول في الوقت المحدد وتنقلهم بين: نيويورك وواشنطن وبوسطن. لم يقتنع ترامب بأن ذلك كان كافياً. أصر على تركيب مقاعد جلدية وأقفال من الكروم وألواح كساء من خشب القيقب بنقوش صغيرة. كانت الحمامات من الرخام الصناعي والمغاسل مكسوة بطبقة مذهبة.

كان بعض مظاهر الترف تلك غير عملية وغير ضرورية أيضاً. أصر ترامب على فرش الأرضية بسجاد بلون نبيذي مصنوع من المخمل الفاخر ما جعل من الصعب على المضيفات تحريك عربات وجبات الطعام والشراب. وماذا كان الحل برأي ترامب؟ طلب منهم دفع العربات بقوة أكبر.[١]

لكن مظاهر الترف كانت لها كلفتها: مليون دولار تقريباً لكل طائرة. ومع تعمُّق خسائر شركة الطيران، كانت تخطر لترامب أفكار تحيّر مديريه أحياناً. طلب منهم تقديم فيشة للمقامرة في إحدى الكازينوهات التي يملكها، وغاب عن باله أن رجال الأعمال الذين يسافرون على متن شركته لا يذهبون إلى أتلانتيك سيتي. لم تُصرف سوى فيشتين فقط.[٢] وفي سعي منه إلى خفض النفقات، اقترح تقليل عدد طاقم قمرة الطيار من ثلاثة أشخاص إلى شخصين. لكن مدير الرحلات، بروس ر. نوبلز Bruce R. Nobles، أخبره أن نُظم الأمان لإدارة الطيران الفيدرالية تتطلب وجود طيار ومساعد طيار ومهندس.[٣]

بحلول ربيع ١٩٩٠، كان ترامب يراقب إمبراطورية آيلة إلى الانهيار. ورد في تقرير "لجنة الإشراف على الكازينوهات" أن تلك الإمبراطورية كانت تعاني "محنة مالية قاسية[٤] نتيجة نقص السيولة". خسرت شركة Trump Shuttle أربعة وثلاثين مليون

١ مقابلة مع نوبلز.
٢ المصدر نفسه.
٣ المصدر نفسه.

4 Division of Gaming Enforcement, "Preliminary Report."

دولار خلال النصف الأول من تلك السنة، وكان ترامب يحاول بيعها، إلى جانب يخته. كان افتتاح تاج محل ضربة حظ -لم تدم طويلاً- لكن تاج محل كان يلتهم الأعمال ويحرم باقي ممتلكات ترامب في أتلانتيك سيتي إياها. زاد الوضعَ سوءاً تراجُعُ الحركة الاقتصادية، وبذلك أصبح جورج هـ. و. بوش، الذي خلف رونالد ريغان، مهدداً بألا يُنتخب لولاية ثانية. فجأة، بدا كأن ترامب لا يملك النقد ولا الاعتمادات التي يحتاجها. كان موعد دفعات سندات ترامب كاسل يحل في منتصف حزيران/يونيو. كما كان وقت دفعة قرض بمبلغ ثلاثة وستين مليون دولار يحل في الشهر التالي، وهو قرض حصل عليه ترامب لشراء حصة في مركز تسوق Alexander's،[1] وهو مركز متعثر للبيع بالمفرق للطبقة المتوسطة، كان ترامب يأمل في الاستفادة من الأرض المقام عليها في مشروع خاص به.

في غمرة حاجته الماسّة إلى النقد، خطر لترامب خوض مغامرة متهورة.

عندما بدأ المصرفيون في كل أنحاء البلاد يتشددون في الإقراض، كان ترامب لا يزال بحوزته خط ائتماني بقيمة مئة مليون دولار في Bankers Trust.[2] وبينما كان القلق ينتاب ترامب من أن يحاول المصرفيون الذين يتعامل معهم منع أي تحويل بمبلغ كبير، علم أن المصرفيين ذاهبون في إجازة. انتظر حتى ذهبوا؛ وفي يوم واحد سحب كامل مبلغ المئة مليون. قال في مقابلة أجريت خلال إعداد هذا الكتاب: "قلت في نفسي: اسحب كامل المبلغ... سحبت كل شيء من المصرف". وأضاف أن المصرفيين عندما علموا بما فعله أصيبوا بصدمة، بل إن أحدهم "جن جنونه".[3] بالنسبة إلى ترامب، بدت تلك الخطوة بارعة. لكن المصرفيين رأوا أنها متهورة. رغم ذلك، لم تكن مئة مليون دولار كافية. بدأ شبح الإفلاس يحوم.

جلس ترامب على كرسي إلى طاولة الاجتماعات الطويلة في الطابق الخامس والعشرين من مبنى General Motors في مانهاتن، وهو ناطحة سحاب من الرخام

---

١ المصدر السابق.

٢ مقابلات مع آلان بوميرانتز وروبرت ماكسوين ومصرفي آخر مطلع على المفاوضات مع جيري ماكرون، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٣ مقابلة دونالد ترامب مع إيمي غولدشتاين وجيري ماركون، **واشنطن بوست**، ١٨ أيار/مايو، ٢٠١٦.

والزجاج مبنية على الطراز الجيورجي Georgian، تشغل كتلة كاملة بين الجادة الخامسة وجادة ماديسون. كان ترامب معتاداً إدارة الأمور، لكنه في هذا الصباح الربيعي، من عام ١٩٩٠، وفي شركة Weil, Gotshal & Manges القانونية، كان محاطاً بثلاثين مصرفياً تقريباً يجمع بينهم هدف مشترك: منْع إمبراطورية ترامب المالية المترنحة من السقوط في الهاوية... وأخذ أموالهم معها.

كانت تلك هي المرة الأولى التي يواجه فيها ترامب مجموعة المصرفيين الذين يقرضون، منذ منتصف الثمانينيات، المال اللازم لمعظم مشاريعه ولتأمين وسائل الترف على نطاق واسع. لكن تلك القروض أصبحت مثار قلق شديد لتلك الشبكة الواسعة المؤلفة من اثنين وسبعين مصرفاً. كانت الحصص الأكبر تعود إلى سبع مؤسسات مالية رئيسة –تضم Citibank وChase وBankers Trust– لكن بعض تلك المؤسسات كانت قد باعت أجزاء من تلك القروض إلى مصارف في بريطانيا وألمانيا واليابان.[١]

كان ترامب قد اقترض من المصارف خلال مدة كان فيها الحصول على المال سهلاً، لكن تلك المرحلة كانت تقترب من نهايتها مع تباطؤ الحركة الاقتصادية. في تلك المدة فقط، بدأ المصرفيون مقارنة الملاحظات. قال ترامب في وقت لاحق إن إجراء المفاوضات كانت فكرته.[٢] ولكن، مع خسارة جزء لا بأس به من إمبراطوريته للمال –واقتراب موعد تسديد العديد من القروض– كان لدى المصرفيين أسباب وجيهة للاجتماع بترامب.[٣] شعر المصرفيون بالقلق إزاء ما اكتشفوه. أظهرت الحسابات أن ترامب كان مديناً لهم، كمجموعة، بثلثي دينه البالغ ثلاثة مليارات ومئتي مليون دولار.[٤] وما زاد الأمر سوءاً هو أن العديد من تلك القروض كانت تشترط أنه في حال إخلال ترامب بأيٍّ من تلك الاتفاقات المالية، فإن بإمكان المصارف الأخرى التي أقرضته، الانقضاض والمطالبة بديونها.

١ مقابلات مع مصرفيين بمن فيهم آلان بوميرانتز وروبرت ماكسوين، مع جيري ماركون، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٢ مقابلة ترامب مع غولدشتاين وماركون.

٣ مقابلات روبرت ماكسوين ومصرفيين آخرين مع جيري ماركون، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٤ مذكرة "وحدة التقييم المالي" في "لجنة الإشراف على شؤون الكازينوهات" حول عريضة ترامب بشأن كازينوهاته، ١٦ آب/أغسطس ٢٠١٦.

ولتفادي الدمار المشترك، قرر بعض المصرفيين الأساسيين أن الأمل الأفضل بالنسبة إليهم يكمن في التفاوض بصورة جماعية مع ترامب. سوف يلجمون اندفاع ترامب لكنهم سيتركون له مهمة تسيير أعماله. قال ألان بوميرانتز Alan Pomerantz، وهو محامي شؤون العقارات في شركة Weil, Gotshal، وكان يمثل Citibank[1]: "في الأساس، كانت قيمة ترامب حياً أعلى من قيمته ميتاً".

كان هذا هو سبب قدوم ترامب في ذلك الصباح إلى طاولة الاجتماعات لبدء المفاوضات. لم يكن أسلوب عمل المجموعة متشدداً، ولم يكن قد تم اختيار رئيس للمجموعة. انتهزت إحدى السيدات القلائل الموجودات في الاجتماع، وهي آن لين Ann Lane، الفرصة. كانت لين، وهي في منتصف الثلاثين، مديرة إدارية في Citibank مسؤولة عن إعادة هيكلة الديون المشتركة، وكانت تمثل المصرف المعرَّض للخطر أكثر من غيره. كانت لين تجمع بين المظهر الرزين وبين أسلوب الاضطلاع بالمسؤولية. قالت إن المصرفيين يحاولون معرفة أبعاد المشكلات التي كانوا يواجهونها مع ترامب، وفي النتيجة إيجاد الحلول المقبولة لدى الجميع. كان لترامب أسبابه الخاصة للموافقة. فدون اقتراض مزيد من المال، لن يتمكن، بدايةً، من الوفاء بدفعة سندات كازينو كاسل، التي تُستحق في منتصف حزيران/يونيو، أو بدفعة الملايين الثمانية والعشرين دولار، التي تُستحق في اليوم نفسه لمصرف Manufacturers Hannover Trust Bank.

في تلك الأثناء، كانت متاعب ترامب في الكازينوهات تتفاقم. فقد كان يتشاجر مع كبار مديريه بعدما أجبره موت ثلاثة من مديريه التنفيذيين في حادث تحطم طائرة هليوكوبتر عام ١٩٨٩، على الاضطلاع بدور مباشر أكثر في ممتلكاته في أتلانتيك سيتي.

كان جون أودونيل، وهو مدير فندق وكازينو ترامب بلازا، يرى سلوك ترامب مقلقاً. وكان يتملكه غضب شديد إزاء ما رأى أنه محاولات من ترامب لإلقاء اللوم في المشكلات المالية التي يواجهها على اثنين من المديرين الذين قضوا في حادث الطائرة: ستيفن هايد ومارك إيتس. وقد ورد في مذكرات أودونيل أنه قال يوماً لترامب:

---

١ مقابلة مع بوميرانتز.

"أشعر بالسأم من معاملة هذين الشخصين بهذه الطريقة".

أجاب ترامب: "أنت تشعر بالسأم من معاملتي لهما؟ أنا أشعر بالسأم من النتائج التي ألاحظها هنا وهناك".

- "دونالد، أغرب عن وجهي!"

أملى أودونيل رسالة: "عزيزي دونالد: للتنفيذ مباشرة، أنا أستقيل[١] من منصبي مديراً ومسؤولاً رئيسياً في فندق وكازينو ترامب بلازا. جاك" (بعد سنوات، قدم ترامب رواية مختلفة، قال إنه هو من طرد أودونيل من العمل).[٢]

أدى ترك آخرين العملَ إلى تشتت فريق ترامب. فقد طرَد نائب رئيس قسم الموارد البشرية الذي شكل فريق العمل في تاج محل.[٣] كما خفض درجة مدير كازينو تاج محل، ما تسبب في ظهور ما أصبح في ما بعد واحداً من أساليب إذلاله المفضلة: المدير باهت الحضور "شخصية من الدرجة الثالثة". كانت الأزمة المتفاقمة سبباً في انتشار المزيد من القصص حول سقوطه المحتمل. في حزيران/يونيو، أعلن ترامب إستراتيجيته القائمة على إلقاء اللوم على الآخرين، بمن فيهم هايد، الذي كان يشرف على كل كازينوهات ترامب. قال ترامب: "كان هايد صديقاً عظيماً، لكنني لاحظتُ أموراً كنت أرغب، بصراحة، في تغييرها، لأنني لم أكن راضياً عما رأيت".[٤] واعترف بفظاظة أنه، إثر حادث تحطم الطائرة فقط، "بدأتُ أنخرط في العمل في أتلانتيك سيتي وأراقب ما يجري".

لكن خلال تلك المرحلة تمسّك ترامب بصورته كرجل ملياردير. وصف الآراء التي تقول إنه لا يملك النقد الكافي لدفع أتعاب المتعهدين الذين بنوا تاج محل بأنها

1 O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 326.
مع انتشار خبر نية أودونيل كتابة مذكراته حول تجاربه بعنوان *Trumped!*، زاره أحد محامي ترامب للتعبير عن استيائه. كتب أودونيل لاحقاً يقولٍ إن المحامي جوزيف فسكو Joseph Fusco، حذره من أن ترامب "سوف يبحث عن أي شيء يمكنه من تشويه سمعتك". رفض فسكو التعليق.
O'Donnell and Rutherford, *Trumped!*, 333–34.

٢ مقابلة ترامب مع مايكل كرانيش.

٣ رسالة من دونالد ج. بوزني Donald J. Buzney إلى ترامب، ٧ أيلول/سبتمبر، ١٩٩٠.

4 Diana B. Henriques and M. A. Farber, "An Empire at Risk– Trump's Atlantic City; Debt Forcing Trump to Play for Higher Stakes," *New York Times*, June 7, 1990.

"مضحكة". قال: "لدي أموال طائلة".[1] لكنه كان في الخفاء يتفاوض كالمسعور مع المصرفيين الذين يتعامل معهم.[2] كان بإمكان هؤلاء، في أي لحظة، طلب رد القروض، أي المطالبة بالدفع. ولم يتوقف ترامب عن تذكيرهم بأنهم إذا لم يتركوا له فرصة لالتقاط أنفاسه، فسوف يعانون معاً.

بحلول الأسبوع الأخير من حزيران، كان ترامب والمصرفيين قد توصلوا إلى خطة لإعادة هيكلة ديونه. يقدم أصحاب المصارف خمسة وستين مليون دولار، ويرجئون دفع الفوائد المترتبة على القروض البالغة مليار دولار خمس سنوات. ومقابل هذه الفرصة لالتقاط الأنفاس، يتولى المصرفيون الإشراف على أجزاء كبيرة من إمبراطورية ترامب. ويفرضون رهونات عقارية على عدد من ممتلكاته الثمينة بما فيها الكازينوهات الثلاثة واليخت وطائرته الخاصة. وسوف يجبرونه على بيع الكثير من أملاكه بالإضافة إلى إهانة خاصة تمثلت في تحديد مصروفه الشخصي: أربعمئة وخمسين ألف دولار شهرياً في البداية، ثم تُخفَّض خلال سنتين إلى ثلاثمئة ألف دولار، وقد يمثل هذا المبلغ ثروة لمعظم الناس لكنه كبْحٌ صارم لعادات ترامب.[3] كان المصرفيون يدركون أن ترامب بحاجة إلى الحفاظ على مظاهر حياته، لكي يكون في وضع مناسب يسمح له ببيع أصوله. مع ذلك، ظلت هناك عقبة: رفضت بعض المصارف الأجنبية واحتجّت لأن الصفقة كانت مراعية جداً لترامب. أخيراً، ظل هناك طرفان رافضان، كلاهما في اليابان، حيث تسود ثقافة ترى الديون غير المسددة مبعثاً للعار، وحتى للانتحار. ذات ليلة، أدرك روبرت ماكسوين Robert MacSween، وهو مدير إداري في Citigroup اعتاد التعامل مع المصارف الأجنبية، أن هناك حلاً وحيداً. في الحادية عشرة مساء، كان لا يزال في مكتبه عندما اتصل بترامب في منزله، قائلاً له: "ترامب، عليك أن تأتي حالاً لتتحدث مع هؤلاء الرجال". يذكر ماكسوين أن صوت ترامب كان مثقلاً بالهم كأنه على وشك البكاء: "لماذا أهتم بالأمر؟ لا سبيل

1 Alison Leigh Cowan, "Trump Criticized on Late Payments," *New York Times*, May 4, 1990.

٢ مقابلات مع ثلاثة من المصرفيين المطلعين على المفاوضات مع جيري ماركون، **واشنطن بوست**، أيار/مايو، ٢٠١٦.

3 Division of Gaming Enforcement, "Preliminary Report"; and memo from New Jersey Casino Control Commission, Financial Evaluation Unit, on Donald J. Trump petition regarding his casinos, August 13, 1990.

إلى تحقيق ذلك. انتهى الأمر".

قال ماكسوين إنه أقنع ترامب بارتداء ملابسه وركوب سيارته الفارهة وعبور الأبنية الخمسة التي تفصله عن مقر Citibank. رافقه ماكسوين ولين وبعض المصرفيين الآخرين إلى غرفة اجتماعات تحوي هاتفاً مع مكبر صوت. اتصلوا هاتفياً بالمصرفيين اليابانيين الذين كانوا قد اجتمعوا في مكتب طوكيو. في البداية، كان ترامب محنيّ الظهر مكتئباً. اعتذر من المصرفيين في طوكيو. أشار إليه ماكسوين أن يسرّع قليلاً وتيرة الحديث. التقط ترامب، الذي كان يلعب رامي الكرة، الإيقاع المناسب. وعدَ بأنه ما إن تُعاد هيكلة القروض، حتى تبدأ النقود بالازدياد. سينتهي الأمر على ما يرام. خلال ثلاثين دقيقة، قال المصرفيون الموجودون في النصف الآخر من العالم إنهم سيوقعون الاتفاق.[1]

في الحادي والعشرين من آب/أغسطس، عاد ترامب إلى مكتب شركة Weil, Gotshal، وجلس هذه المرة على رأس طاولة الاجتماعات. جلس بوميرانتز، وهو المحامي الذي كان يمثل مصرف Citibank إلى يساره، وسلمه وثيقة إثر أخرى ليوقعها. قال له بوميرانتز: "دونالد، هذا الحجز العقاري على منزلك. وهذا الحجز على قاربك، وهذا الحجز على مار ألاغو".[2] كان الاتفاق معقداً بمقدار ألفي صفحة بمجموعه. عندما انتهت عملية توقيع الوثائق، كان مصرفيّو ترامب يمسكون مفاتيح إمبراطورية تسرب إليها الوهن.

لكن ترامب صوّر موقفه الذليل أمام المصرفيين على أنه نصر. قال بعد سنوات: "كانت تلك أعظم صفقة أبرمتها في حياتي لأنني رأيت العالم يتهاوى، وبدلاً من انتظار عام، قلت فليذهب كبريائي إلى الجحيم. صدقوني، بعد ستة أشهر، كانت المصارف في وضع صعب لا يسمح لها بإعطاء عشرة سنتات". نجا بأعجوبة. مع ذلك، خلال توقيع الوثائق، دخل أحد المساعدين حاملاً أكداساً من الكتب. فتح ترامب غلاف كل كتاب، وكتب "شكراً" ووقع بخطه الأخرق الواضح، ثم وزع نسخاً من كتابه الصادر حديثاً: *Surviving at the Top*.[3]

---

١ مقابلة مع ماكسوين.

٢ مقابلة مع بوميرانتز.

٣ مقابلة مع ماكسوين. قال ترامب إنه قدّم نسخاً عن كتاب *Art of the Deal*، لكن ماكسوين عرض

طلب المصرفيون من Trump Organization تنظيمَ وضعها المالي الداخلي وتوظيفَ مسؤول مالي رئيس ووضْع خطة مالية.[١] عثر ترامب على الرجل المنشود مصادفة. أمسك نسخة من مجلة لشؤون المال وُضعت على غلافها صور صغيرة لعدد من المديرين الكبار. طلب ترامب من مصرفي يعمل في مجال الاستثمارات، كان يزوره آنذاك، أن يخبره أي من المديرين كان أفضل. أشار المصرفي إلى أحدهم وكان يعرفه، وهو ستيف بولينباخ Steve Boollenbach، وكان يعمل في ممفيس لمصلحة شركة للفنادق وألعاب القمار، كما كان يتوق إلى العودة إلى نيويورك. لم يكن قد سبق لترامب مقابلته. مع ذلك، عرض عليه العمل، وافق بولينباخ، لكنه عندما طلب منحة سخية بمناسبة توقيع العقد، لمح أول بوادر الوضع الذي ينتظره عن كثب. لم يكن لدى مديره المستقبلي نقود لدفع منحة. وضع الرجلان خطة: أقنع ترامب مصرف Citibank برفع الرهن العقاري عن الوحدة 11A في ترامب بارك كوندومنيوم، الذي كان سابقاً فندق باربيزون، جنوب حديقة سنترال بارك.[٢] وهكذا أصبح بولينباخ يملك شقة مساحتها ألفان وثمانمئة قدم مربع تشرف على الحديقة.[٣]

قبل مضي وقت طويل، كان بولينباخ يجلس على كرسي الشهود في مكتب لجنة الإشراف على الكازينوهات، حيث كانت تُعقد جلسة استماع حول صفقة ترامب مع المصرفيين. سُئل بولينباخ عن مقدار ثروة ترامب. أجاب: "قال لي إنه يملك ثلاثة مليارات دولار". كانت الإجابة صحيحة من الوجهة التقنية؛ كان ترامب قد أخبره بذلك. لكن بولينباخ لم يكن يعرف مقدار ثروة مديره. فلم يكن قد انقضى على عمله في الشركة سوى يوم واحد.[٤]

عندما بدأ بولينباخ يغوص في الشؤون المالية للشركة، وجد بانتظاره مفاجأة. كان طاقم الموظفين القليل العدد الموجود في الطابق السادس والعشرين من برج ترامب يضم ثلاثة محاسبين. كان كل منهم يعرف وضع بعض الأجزاء من الإمبراطورية

صورة عن الكتاب الذي قُدِّم إليه، وهو *Surviving at the Top* موقعاً من ترامب.

1 Division of Gaming Enforcement, "Preliminary Report."

٢ مقابلة ستيفن بولينباخ مع آمي غولدشتاين، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل ٢٠١٦.

3 Condominium Unit Deed, October 2, 1990, Release of Part of Mortgaged Premises, October 18, 1990. New York City real estate records obtained through propertyshark.com

٤ مقابلة مع بولينباخ.

المهترئة: الكازينوهات، مثلاً، أو الشقق. ولكن لم يكن أحد منهم يعرف الصورة الكاملة؛ لم تكن هناك تقارير مالية موحدة. بالنسبة إلى بولينباخ، لم تبْد Trump Organization شركةً بقدر ما بدت أشبه برجل واحد يخوض استثمارات. جمع بولينباخ كل الوثائق الإلكترونية لحسابات التكاليف في الشركة،[1] وأدرج كل الأصول ومكاسبها المحتملة وديونها وخسارتها المتوقعة: أرقام أساسية تحسبها كل مشاريع الأعمال بصورة روتينية.

خلال تلك المدة، كان أحد أصدقاء ترامب الموثوقين يشعر بالقلق إزاء أسلوب حياته الذي بدا كأنه يسير صوب التفكك: الفوضى المالية التي يعيشها، ومعركة الطلاق الطويلة، والإذلال. قال هذا الصديق، الذي كشف عما كان يفكر فيه بعد خمسة وعشرين عاماً شرط إخفاء اسمه: "لا أعرف كيف أعبر عن الفكرة بطريقة لطيفة، لكنني كنت أتساءل أحياناً هل سيُقدم أحدهم على الانتحار بسبب كل هذا الضغط؟"، لكن هذا الصديق كان يرى ترامب أبعد ما يكونِ عن الكآبة، إذ "كان يأتي كل يوم في الثامنة صباحاً... ببذلة مكوية وربطة عنق، مركّز التفكير، يسير وهو يتساءل: ماذا سنفعل الآن ؟".[2]

استمر ترامب في التصرف بأسلوب المليونير بما يتماشى مع ما يقوله للناس عن نفسه. تخلّف عن تسديد الدفعات المترتبة على يخته، ومع ذلك، أقنع المصرف بدفع التأمين؛ وافقه المصرف مكرهاً بعدما أشار بولينباخ إلى أنه لكي يحمي المصرف مصالحه يجب تأمين القارب ولا يستطيع المالك دفع قيمة التأمين. تخلف ترامب عن تسديد عدة دفعات لحساب طائرات الهليوكوبتر الخمس التي يملكها، والتي ضج المصرفيون بطلب الحصول عليها؛ فأخفاها في مكان ما من نيويورك لأيام قبل أن يبوح أخيراً بمكانها.[3] حصلت المصارف على الطائرات.

مع ذلك، ظل ترامب ينشر حوله أجواء القوة المحيطة بالنجوم. عندما كان مع بولينباخ في أتلانتيك سيتي، كانا يتمشيان من حين إلى آخر، مع حراس ترامب الأمنيين

---

١ المصدر نفسه.

٢ مقابلة مع أحد ثقات ترامب أجراها مايكل كرانيش وآمي غولدشتاين وجيري ماركون، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٣ مقابلة مع بولينباخ.

الثلاثة الذين لا يفارقوهما، مسافة ميل على الممشى الخشبي من تاج محل إلى فندق وكازينو بلازا ليتناولا طعام الغداء. كان الناس يحتشدون ويتبعونهما متشوقين إلى الاقتراب منه والتحدث معه ولمسه. وكلما طال الوقت الذي أمضاه بولينباخ مع ترامب، ازدادت دهشته إزاء إيمان ترامب الذي لم يتزعزع بأن إمبراطوريته ستتجاوز الأزمة بسلام. لكن بولينباخ أدرك أن خطة الإنقاذ التي تقدَّم بها المصرفيون كانت مجرد حل جزئي، فهي لم تشمل الدين البالغ ملياراً وثلاثمئة مليون دولار[١] على الكازينوهات الثلاثة بما في ذلك مبلغ ستمئة وخمسة وسبعين مليون دولار قيمة سندات الخردة، ذات الفائدة العالية، التي لجأ إليها ترامب لشراء تاج محل. ورغم أن تاج محل كان يسجل أرقاماً قياسية في إيرادات القمار في أتلانتيك سيتي،[٢] كانت معدلات الفائدة على السندات عالية إذ لم يكن بإمكان دخل الكازينو تغطية دفعات السندات. كانت الدفعة الأولى مستحقة الدفع في منتصف تشرين الثاني/نوفمبر، وكان ترامب يواجه خطر العجز عن تسديد هذه الدفعة أيضاً.[٣]

بدأ ترامب، في أواخر الصيف، جولة جديدة من المفاوضات، محاوِلاً إعادة هيكلة الدين المترتب على سندات تاج محل. بدا ترامب متلهفاً لتوفير بعض المال الذي كان بحاجة ماسة إليه لدرجة أنه بدأ التفاوض رغم أنه لم يكن هناك ما يمكن النقاش بشأنه. ذات يوم، جاء كين مويليس Ken Moelis، وهو مصرفي استثمار أوصى بولينباخ باستشارته للمساعدة في إعادة هيكلة دين تاج محل، إلى مكتب ترامب. لو نجح مويليس في مهمته، فسوف يصل أجره إلى ثمانية ملايين دولار. قال ترامب: "هذا جنون"، وطلب منه إنقاص المبلغ مليوناً. لم يتزحزح مويليس عن موقفه. بعد نصف ساعة من النقاش، أخرج ترامب من جيبه عملة معدنية وقال إنه سيرميها في الهواء لتقرير المبلغ الذي سيُتفق عليه. تأكد مويليس من أن العملة لها وجه وظهر، ثم رماها في الهواء. راقب مويليس بفزع العملة وهي تسقط على الطاولة ثم تقفز إلى الأرض لتستقر قرب ترامب. قفز مويليس فوق الطاولة محاولاً رؤية العملة قبل أن يلتقطها

---

١ مذكرة من "لجنة الإشراف على شؤون الكازينوهات" في نيوجيرسي حول عريضة ترامب.

2 Richard D. Hylton, "Trump Now Reported Near Bond-Swap Offer," *New York Times*, September 11, 1990.

3 Division of Gaming Enforcement, "Preliminary Report."

ترامب. لكن الوقت كان قد فات. قال ترامب: "وجه، لقد ربحت!"؛ خُفِّض السعر مليون دولار (بعد سنوات سُئل ترامب هل كان فعلاً قد ربح، أجاب مبتسماً: "الله وحده يعلم. وأنا كما أعتقد").[١]

عندما بدأت المفاوضات، كانت قيمة السندات في السوق قد انخفضت بمعدل ثلاثة وثلاثين سنتاً في الدولار، وباع مالكوها الأصليون عدداً منها إلى مستثمرين متخصصين بشراء الأصول المتعثرة. جاءت لجنة توجيه مؤلفة من مالكي سندات تاج محل لمقابلة بولينباخ وعدد من ممثلي ترامب في نيويورك في فندق بلازا. تمحورت المحادثات حول مقدار حقوق المساهم في تاج محل التي سيحصل عليها مالكو السندات إذا خفضوا معدل الفائدة على السندات التي حددها ترامب، وهي ١٤%. ظلت العروض والعروض المضادة تتراوح صعوداً وهبوطاً. استشاط ترامب غضباً.[٢] قبل يومين من عيد الشكر، أي عندما تستحق دفعة سنداته، اقترح تخفيض معدل فائدته بنسبة أكبر مما اقترح في عروضه السابقة؛ رفض مالكو السندات الفكرة وبدؤوا يتهيؤون ليفرضوا عليه إشهار الإفلاس. توقفت المحادثات في تلك الأمسية.[٣]

في الليلة التالية، عاد الطرفان إلى البلازا. كانت قد برزت في الكواليس فكرة قدمها رجلان محوريان في تلك المحادثات: رئيس لجنة التوجيه المؤلفة من مالكي السندات، هيلل وينبرغر Hillel Weinberger، الذي كان قد اشترى حصة كبيرة من سندات تاج محل المتعثرة لمصلحة الشركة التي يعمل فيها Loews Corp. ، والممول الملياردير كارل أيكان.[٤] كان أيكان على غرار ترامب، من كوينز، وقد اشتهر خلال الثمانينيات بوصفه مستثمراً يتقدم بعروض استيلاء ذات طابع عدائي. استولى على الحصة المسيطرة في شركة الطيران Trans World Airlines، وجردها من أصولها

---

١ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن، **واشنطن بوست**، ٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.

٢ في البداية، قال ترامب إنه سيتخلى عن ٢٥% من أسهم تاج محل، فيما أصرّ مالكو السندات على ٨٥%. عاد ترامب ليعرض ١٩,٩%، فلم يقبل مالكو السندات. مقابلات أجراها بعض مالكي السندات المطلعين على المفاوضات مع إيمي غولدشتاين، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٣ مقابلة مع اثنين من مالكي السندات مطلعين على المفاوضات أجرتها إيمي غولدشتاين، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٤ مقابلة مع أحد مالكي السندات من المطلعين على المفاوضات أجرتها إيمي غولدشتاين، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

وحوّلها إلى ملكية خاصة به، وترك الشركة غارقة في الديون، ما دفع مديرها السابق إلى وصفه بأنه أحد أكثر الرجال جشعاً في العالم.[1]

كان رأي أيكان ووينببيرغر، مثل ما كان رأي مصرفيي ترامب قبلهما، أن تاج محل -واستثماراتهما فيه- سيحتفظ بقيمته إذا احتفظا بترامب ليديره، إذ إن دفع الأخير خارج تاج محل أو إجباره على إشهار إفلاسه سوف يبعدان المقامرين الخائفين على أموالهم، ما يجبرهما على البحث عن مشغّل جديد للكازينو، إضافة إلى أنهما سيضطران إلى الحصول على ترخيص جديد لألعاب القمار. كذلك، سوف تنقض الكازينوهات الأخرى في المدينة كالطيور الكاسرة لتوظيف المضيفين الممتازين العاملين في تاج محل، ولإغراء الأثرياء الذين يترددون على الكازينو بالتحوّل إليهم.[2]

عسكرت أطقم التلفزة في الشارع الخامس والأربعين، خارج مكتب محامي التفليس، حيث كانت مجموعة ترامب ومالكو السندات يخوضون المساومة. حل منتصف الليل وانقضى. تخلّف ترامب عن تسديد دفعة السندات المتوجبة عليه. تحولت المفاوضات إلى الهاتف، وبدأ ترامب يجري المفاوضات بنفسه لغاية الثانية صباحاً. توقف الطرفان. وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود.[3]

في الصباح، قرر مالكو السندات عقد مؤتمر صحافي عند الظهيرة يعلنون فيه أنهم لم يتوصلوا إلى اتفاق. في منتصف النهار، قرر المفاوضون الأساسيون المحاولة من جديد. بحلول الظهيرة، كانوا قد توصلوا إلى اتفاق مع ترامب. نال ترامب ما يريده في تاج محل: ملكية أغلبية طفيفة بـ٥٠,٥% من الأسهم وترؤس مجلس الإدارة. اتخذ الاتفاق صورة نوع جديد من الوسائل القانونية، بإفلاس "مغلّف" يتوجّه فيه الطرفان إلى المحكمة لمدة وجيزة للمصادقة على الاتفاق بدلاً من إقامة دعوى إفلاس تقليدية طويلة الأمد تضع مصير تاج محل والمصرفيين وترامب نفسه تحت رحمة قاضٍ لا يمكن التنبؤ بقراراته. عندما نقل المتفاوضون باسم مالكي السندات تلك التفاصيل إلى المجموعة الأكبر من المالكين، شعر بعضهم بالغضب. فقد كان هؤلاء يرغبون

1 Drew Harwell, "Inside the Rocky Billionaire Bromance of Donald Trump and Carl Icahn," *Washington Post*, April 30, 2016.

٢ مقابلة مع بيرسكي.

3 Hilary Rosenberg, *The Vulture Investors* (New York: John Wiley & Sons, 2000), 285.

في الانتقام من ترامب، لا إنقاذه. اتصل بهم أيكان، وهو الملياردير مالك القسم الأكبر من السندات، وقال لأحد مالكي السندات الغاضبين إن الاتفاق كان أفضل ما يمكن التوصل إليه؛ "نحن جميعاً في طوق نجاة، وقد بدأ يغرق، علينا فعل أمر ما لإنقاذ أنفسنا".[١]

وقف ترامب، بعد ظهر ذلك اليوم، في إحدى غرف الاجتماعات المذهبة في بلازا ليبعد اللوم عن نفسه. قال للصحافيين الموجودين: "تأثر تاج محل بمرحلة ركود كبيرة، وقد تكون الكلمة الأصح هنا أزمة اقتصادية".[٢]

لم يكن الاتفاق المؤقت الذي تم التوصل إليه في ذلك اليوم نهاية الأحداث الدرامية. بعد أربعة أشهر، أي في نيسان/أبريل ١٩٩١، واجه ترامب ثانية منظمي عمل الكازينوهات في نيوجيرسي، فقد كان بحاجة إليهم لتجديد ترخيص تاج محل. وافقت اللجنة على تجديد الترخيص حصراً في حال إبراز مالكي الكازينو ما يثبت أن وضعهم المالي مستقر. لكن التقرير الذي أعدته اللجنة حول وضع ترامب المالي رسم سيناريو أسودَ. فرغم الصفقة المعقودة مع المصرفيين، كان من المتوقع لترامب أن "يستنفد موارده المالية المتوافرة بحلول تموز/يوليو"[٣]، و"لا يمكن أن يصنف وضعه المالي مستقراً".

مع ذلك، عندما اجتمع أعضاء اللجنة بعد ثلاثة أيام في أتلانتيك سيتي للتصويت، كانوا المجموعة الأخيرة التي سمحت لترامب بالتقاط أنفاسه. كان رأيهم أن هناك أموراً ينبغي بحثها تتجاوز وضعه المالي الهش. إذا سحبت اللجنة ترخيصه وأخفق تاج محل، ماذا سيكون مصير الموظفين الذين سيخسرون عملهم، والبائعين الذين سيتوقفون عن المجيء إلى أكبر كازينو في أتلانتيك سيتي، والضرائب التي ستفرضها نيوجيرسي والمدينة؟[٤] وافقت اللجنة، مع وجود صوت واحد معترض، على السماح لتاج محل بالبقاء لعام آخر.

١ المصدر نفسه، ص ٢٨٩.

2 Robert J. McCartney, "Trump to Put N.J. Casino into Bankruptcy Process; Bondholders to Get Half of Taj Mahal," *Washington Post*, November 17, 1990.

3 Division of Financial Evaluation, New Jersey Casino Control Commission, "Report on the Financial Condition of Donald J. Trump," April 15, 1991, 3.

٤ مقابلة مع بيرسكي.

تكفي قصة واحدة من تلك المرحلة لتكون نموذجاً للضغط الذي تعرض له ترامب. في الأسبوع الذي يسبق عيد الميلاد، في عام ١٩٩٠، أرسل فريد، والد ترامب، محامياً إلى نيو كاسل الذي تزين مدخله تيجان مضيئة باللونين القرمزي والذهبي. توجّه المحامي هوارد سنايدر Howard Snyder إلى حجيرة المحاسب في الكازينو وقدم شيكاً مضموناً بمبلغ ثلاثة ملايين وخمسة وثلاثين ألف دولار، مسحوبة على حساب فريد.

بعد ذلك، توجّه سنايدر إلى طاولة لعبة بلاك جاك، حيث دفع له المسؤول عنها كامل قيمة الفيش الرمادية الستمئة والسبعين، وهو خمسة آلاف دولار. في اليوم التالي، حوّل المصرف مئة وخمسين ألف دولار أخرى إلى حساب فريد في كاسل. ومرة أخرى جاء سنايدر إلى الكازينو وقبض كامل قيمة ثلاثين فيشة أخرى.[1]

لم يستفد فريد ترامب ولا محاميه، ولا أي شخص آخر، من الفيش الموجودة بقيمة ثلاثة ملايين وخمسمئة ألف دولار في المقامرة. كانت تلك الفيش الرمادية إستراتيجية طارئة أخرى لتأمين السيولة النقدية لابن فريد الذي يتعرض لضغط ساحق. بعد عقد تقريباً من إقراض فريد ابنه سبعة ملايين ونصف المليون دولار لمساعدته في دفع ديونه، كان ترامب، الذي بلغ منتصف الأربعين، يعود إلى الاتكاء على والده مالياً. وهنا تدخل فريد، لأنه بعد ستة أشهر من توقف ابنه عن تسديد الدفعة الأولى المستحقة لسندات كاسل، كان قد اقترب موعد الدفعة الثانية، وحذّر مديرو الكازينو من أنهم لن يتمكنوا من دفع كامل المبلغ. علم هؤلاء أن والد ترامب يمكن أن يقدم ثلاثة ملايين ونصف المليون دولار نقداً، ولكن هنا تكمن الفكرة المهمة: إذا قدم فريد النقود بوصفها هبة فسوف تذهب إلى جيوب دائني كاسل العديدين. لكن إيداع المبلغ في حساب خاص بالمقامرة كان أسلوباً لتفادي حدوث ذلك.[2] وبالطبع، سدد كاسل أول دفعة مستحقة للسندات في اليوم نفسه الذي أودع فيه محامي فريد أول مجموعة من الفيش.[3]

1 Complaint, New Jersey Division of Gaming Enforcement vs. Trump's Castle Associates Limited Partnership, April 3, 1991.

2 Supplemental Stipulation of Facts, New Jersey Division of Gaming Enforcement, June 26, 1991.

3 Neil Barsky, "Trump's Dad Chips in $3 Million-Plus to Help Pay Interest on Casino Bonds," *Wall Street Journal*, January 21, 1991; and transcript, New Jersey Casino Control Commission meeting, June 19, 1991, 40.

بحلول ذلك الوقت، كان كاسل أكثر كازينوهات ترامب تعرّضاً للخطر. كان ترامب قد عجز عن تسديد ثلاث دفعات للقرض. وكان تاج محل، الأحدث والأجمل، يستقطب جميع الزبائن. مع بداية ١٩٩١، كان النزيف مستمراً. خلال الشهور الثلاثة الأولى من ذلك العام، انخفضت عائدات كاسل من القمار إلى ما يقارب الثلث.[١] وخلال السنة بكاملها، خسر كاسل خمسين مليون دولار.

أكد ترامب بعد سنوات أن دعم كاسل بالملايين على صورة فيش باسم والده كانت فكرة فريد. قال ترامب: "قال والدي: دعني أفعل ذلك، الأمر سهل بواسطة الفيش".[٢]

اشتكى منظمو أعمال الكازينوهات في نيوجيرسي من أن الدائرة المسؤولة عن القمار في الولاية، وفي سعيها إلى التوصل إلى تسوية مع كاسل، وافقت على إخفاء هوية الشخص الذي خطرت بباله تلك الخطة. قال عضو اللجنة فرانك ج. دود Frank J. Dodd: "لا أعتقد أن أحداً في القاعة يجهل كيف تم ذلك.[٣] فريد ترامب لم يستيقظ في منتصف الليل ويقول: أريد شراء فيش بقيمة ثلاثة ملايين ونصف المليون دولار". وبقدر ما كانت الحادثة غير مسبوقة، توصل أعضاء اللجنة إلى قرار بأن الحادثة خالفت حصراً قاعدة وضعت خصيصاً لإبقاء الجريمة المنظمة خارج إطار أتلانتيك سيتي. بموجب القاعدة المذكورة، يجب الموافقة على أي شخص يقرض المال لكازينو، بوصفه "مصدراً مالياً" مؤهلاً. وبما أن فريد كان مصدراً غير مخوّل، صوتت اللجنة بالإجماع على تغريم ترامب كاسل خمسة وستين ألف دولار، وهو مبلغ يفوق ما أوصت به اللجنة المسؤولة عن شؤون القمار، لكنه يمثل أقل من ٢% من المبلغ الذي قدمه فريد إلى كازينو ابنه. لم يعاقَب فريد ولا ابنه ولا أي شخص آخر.[٤]

لكن حبل الإنقاذ الذي وفره شراء الفيش لم يدم طويلاً. في نهاية المطاف، اضطر ترامب، في آذار/مارس ١٩٩٢، تحت ضغط الديون الهائلة المتراكمة إلى إخضاع كاسل وفندق وكازينو بلازا إلى ترتيبات الإفلاس نفسها التي حفظت له، تقريباً، حصته في تاج محل. أخضع ترامب كازينوهاته الثلاثة لإجراءات الإفلاس. ونجا هو بفضل

1 Trump Castle SEC filing, June 1991.

٢ مقابلة ترامب مع روبرت أوهارو، واشنطن بوست، ١٣ أيار/مايو، ٢٠١٦.

3 Transcript, New Jersey Casino Control Commission meeting, June 26, 1991, 172.

٤ المصدر نفسه، ص ١٧٠-١٧٣.

فكرة كانت في مصلحته: كان دائنوه يعتقدون أن اسمه لا يزال يتمتع بقيمة تكفل له البقاء في موضع القيادة.

قبل بضع سنوات، عندما بدأ ترامب يوسّع طموحاته لتتجاوز مانهاتن، ولتشمل الإمكانات المتوفرة في المقصد الأول للمقامرة، الذي كان في حالة بائسة، قال لـ"لجنة الإشراف على الكازينوهات" إنه كان يريد تحقيق الأفضل لأتلانتيك سيتي. بعد سنوات، كشف ترامب منظوراً مختلفاً. كانت الفكرة الأساسية، كما قال، "إن تلك الصفقات كانت مربحة بالنسبة إلي[1]... لم أكن أمثل البلد. لم أكن أمثل المصارف... كنت أمثل دونالد ترامب. وبالنسبة إلي، كانت كل الصفقات مربحة".

لكن المتعهدين الصغار، الذين وثقوا بترامب وبنوا له قصور المقامرة، اكتشفوا أولوياته بأسلوب قاسٍ. ظن مارك كتلر Mark Cutler أنه عقد صفقة العمر عندما حصلت شركته ومقرها في بنسلفانيا، عام ١٩٨٩، على عقد تنفيذ اللافتة التي تحمل عبارة TRUMP TAJ MAHAL المكتوبة بمصابيح النيون الحمراء، التي كانت ستتألق في سماء أتلانتيك سيتي. ذهب كتلر، الذي يعود تاريخ شركته إلى الأيام التي كافح فيها والده وعمه لتأمين معيشتهما أثناء الكساد الكبير، مرتين إلى برج ترامب في نيويورك لإبرام الصفقة معه. شرع رجل الأعمال الكبير صاحب الكازينو يضرب بيده على مكتبه الضخم مطالباً بالأفضل من كل شيء: أفضل المواد، أفضل لمسات نهائية، أفضل أساليب التصنيع، لافتة تدوم طويلاً، بل أصر ترامب على أن تكون الحافات المعدنية للأحرف التي يبلغ طولها عشرين قدماً، المكتوبة على اللافتة، ذات لون أحمر. كان ذلك يتطلب عملاً كثيراً، لكن كتلر أقنعه أخيراً، أن الحافات السود ستجعل كل حرف يبرز على نحو أكثر حيوية مقابل سماء الليل.[2]

في البداية، بدا العمل أشبه بحلم: ربحت شركة Cutler Industries عقداً بقيمة مليونين ونصف المليون دولار. كانت الدفعات تصل بمجرد إرسال الفواتير. قبل شهر من افتتاح تاج محل، طرأ تغيير. حدث تأخير في الدفع تلاه المزيد من التأخير. وسرعان ما وجد كتلر نفسه بانتظار أن يسدد له ترامب ثلاثمئة ألف وثلاثة آلاف

---

١ مقابلة ترامب مع أوهارو.

٢ مقابلة مارك كتلر مع شون بوبُرغ، **واشنطن بوست**، أيار/مايو، ٢٠١٦.

دولار. انضم إلى عشرات المتعهدين الثانويين الآخرين الذين كانوا قد عملوا في بناء تاج محل دون أن يتلقوا أجورهم. كان ترامب مديناً لهم بمبلغ أربعة وخمسين مليون دولار.[1] كان مارتي روزنبرغ، وهو المالك الشريك في Atlantic Plate Glass Co.، قد ركّب الزجاج العاكس اللماع على السطح الخارجي لتاج محل. كان ترامب مديناً لشركته بأكثر من مليون دولار.

عرض ترامب على المتعهدين أن يدفع لكل منهم ثلث مستحقاته. وبالنسبة إلى المبالغ المتبقية، سوف يصدر سندات تسمح له بانقضاء عقد كامل تقريباً قبل تسديد كامل المبلغ. لم يستطع كتلر تحمّل الخسارة. كان الوضع الاقتصادي آنذاك حرجاً، وكان وضع شركته مضطرباً. لم يكن باستطاعته دفع رواتب موظفيه الخمسين، كما لم يكن بوسعه تسديد ثمن المواد التي يحتاجها لتنفيذ اللافتات في الوقت المحدد. سحب الأموال من الرصيد المخصص لدراسة ابنته في الجامعة لكن المبلغ لم يكن كافياً. قال كتلر بعد سنوات: "كان وضعاً كارثياً من الناحيتين المالية والنفسية". فقد كانت الشركة شركته وإرث عائلته. كان قد وسع مهاراته وسمعته، وأخيراً حصل على عقد عمل في تاج محل، بدا كأنه جائزة كبرى، لكنه دمّره. في أيار/مايو ١٩٩١، أشهرت شركة Cutler Industries إفلاسها. بعد سبعة عشر شهراً، سمح القاضي ببيع قطعة الأرض التي كانت تضم مقر الشركة.[2]

كان من المفروض، طوال أشهر بعد توصل ترامب إلى تسوية الأمور مع المصرفيين، أن يعقد اجتماعاً مع مجموعة منهم صباح أيام الجمعة ليعرض أمامهم مقدار ما أنفقه والتقدم الذي أحرزه في تفريغ قاربه Trump Princess والممتلكات الأخرى. لكن، بعد ظهر ذات يوم من أيام تموز/يوليو ١٩٩١، شاهد المصرفيون ترامب على شاشة التلفزيون وإلى جانبه مارلا ميبلز: رفعت مارلا يدها اليسرى لتعرض خاتماً يزن سبعة قراريط ونصف من الماس والزمرد. قال ترامب: "المرأة الأفضل استحقت الأفضل".[3]

صباح يوم الجمعة التالي، عندما رأى المصرفيون ترامب، كان الغضب يتملكهم.

1 Trump Files Payment Plan for Taj Mahal Subcontractors with SEC," *Associated Press*, October 4, 1990.

2 Docket, Bankruptcy Petition #91-21885, US Bankruptcy Court for the Eastern District of Pennsylvania; and interview with Cutler.

3 Linda Stasi, "A Familiar Ring: What Next: Donald," *Newsday*, September 23, 1991.

أراد المصرفيون معرفة من أين له أن يأتي بالنقود الكافية لشراء خاتم بقيمة مئتين وخمسين ألف دولار؟ تفادى ترامب غضبهم. قال إن الخاتم مستعار من الصائغ هاري وينستون مقابل توفير دعاية مجانية له.[1] أدرك المصرفيون أن هذا هو دونالد يتصرف على سجيته. لم تكن تلك المرة الأولى التي اضطروا فيها إلى التعامل مع فوضى تقاطُع حياته الخاصة مع شؤونه المالية. بعد بضعة أشهر، ودون إذن من المصرفيين، أعطى ترامب إيفانا شيكاً مضموناً بقيمة عشرة ملايين دولار،[2] كجزء من اتفاق الطلاق. كان المصرفيون قد وفروا له المال اللازم لاستمرار عمل الكازينوهات ومشاريعه الأخرى، وليس لمساعدته على إنهاء زواجه. دُهش مديره المالي الرئيسي، بولينباخ، عندما علم بأمر الشيك بعد الواقعة، وقال لترامب إنه ما كان عليه أن يفعل ذلك. رد ترامب بجوابه المعتاد: "وماذا يمكنهم أن يفعلوا؟". كانت علاقته بمارلا، وتداعيات طلاقه من إيفانا، أو التساؤلات التي تدور حول علاقاته بنساء جميلات أخريات تشتت تفكيره عن الوضع المتردي لأعماله. طوال سنوات، كان ينحو باللائمة في حدوث المشكلات على مرؤوسيه، وعلى ضعف الاقتصاد... وعلى كل شيء عدا نفسه، لكنه في المقابلة، التي أجريت أثناء إعداد هذا الكتاب، قال: "لقد شردت بتفكيري عن الكرة، وكان السبب، جزئياً، المتاعب التي واجهتها في زواجي"، كما أنه اعترف بالقول: "لم أركّز كما ينبغي للمرء أن يركّز عندما تكون الأمور ماضية على غير هدى".[3]

سمع أول مدير لشركة Trump Shuttle، بروس نوبلز، من بعض النساء أنهن كن يتجنبن السفر على تلك الخطوط بسبب صيت مالكها زير النساء. كان نوبلز مدير فرع نيويورك لشبكة من المديرين التنفيذيين الشباب، وفي أحد الاجتماعات، اقترب منه مدير تنفيذي وقال إنه لا يسافر على متن طائرات Shuttle ولا يسمح لموظفيه باستخدامها. والسبب؟ ترامب لا يعجبه.

اتصل نوبلز بمديره وطلب منه إبعاد حياته الجنسية عن عناوين الصحف، قال له: "نساء الأعمال، على وجه الخصوص، ينزعن إلى تفادي السفر على شركتنا، لا يروق لهن ما يقرأنه عنك في الصحف".

١ مقابلة مع بوميرانتز.
٢ المصدر نفسه، ومقابلة مع بولينباخ.
٣ مقابلة ترامب مع غولدشتاين وماركون.

أطلق ترامب ضحكة خافتة. "نعم، لكن الرجال يروق لهم ذلك".[١]

رغم جميع تلك المشكلات، ظل ترامب يتحدث عن شركته Shuttle وهو يتظاهر بالشجاعة كعادته. في أيلول/سبتمبر ١٩٩١، أكد أن قيمة الشركة تزداد مع تدني أسعار الوقود والتدفق الموسمي للركاب. قال: "لا توجد أي ضغوطات تدفعني إلى البيع".[٢] لكن ما لم يقله ترامب هو أنه، قبل سنة، كان قد بدأ يتخلف عن تسديد دفعات القرض الخاص بالشركة، ما دفع مصرف Citibank، ومؤسسات مالية أخرى، إلى الاستيلاء على الشركة. سُمح لترامب، من وجهة تقنية، أن يظل المالك، لكن المصارف كانت هي صاحبة القرار، وطلبت منه إبقاء الرحلات الجوية لحماية قيمة الشركة حتى تجد مشترياً. كان رأي المصرفيين أن الوضع هنا يختلف عن وضع الكازينوهات حيث كان اسم ترامب يضفي ألقاً ويحافظ على سير العمل. كان ترامب رجل عقارات،[٣] لا شركات طيران. وفي النتيجة، لم يكن اسمه هنا ليعزز قيمة الشركة.

انقضى عام ونصف العام[٤] قبل أن يجد المصرفيون مشترياً، وكان US Airways. في آذار/مارس ١٩٩٢، سحبت المصارف الملكية الاسمية من ترامب. وفي ما يتصل بالمشكلات التي تعرضت لها شركة Shuttle، أنحى ترامب باللائمة على الاقتصاد، وليس قراراته التي لم يكن أحد ليفهمها. فقد قال بعد سنوات: "لو ظل الوضع الاقتصادي جيداً أو لو طرأ عليه التحسّن، لكانت صفقة رابحة. لكن الوضع الاقتصادي لم يكن على ما يرام، وتركت شركة الطيران دون أي أضرار. أعني أنها تابعت العمل بنجاح. عليكم أن تدركوا أن تلك كانت أياماً تضج بالحيوية، كانت المصارف آنذاك تمنحك مالاً أكثر مما تحتاج".[٥]

١ مقابلة مع نوبلز.

2 Agis Salpukas, Company News, "Shuttle Head Is Appointed by Trump," *New York Times*, September 19, 1991.

٣ مقابلة مع شخص مطلع على تعاملات المصرفيين مع ترامب بشأن شركة Trump Shuttle، أجراها جيري ماركون، **واشنطن بوست**، نيسان ٢٠١٦.

٤ مقابلة مع شخص مطلع على تعاملات ترامب مع المصارف بشأن Trump Shuttle، أجراها جيري ماركون ماركون، **واشنطن بوست**، أيار/مايو ٢٠١٦؛
USAIR Inc. SEC filing, April 1992; and US Department of Transportation Order 92-3- 57, March 1992.

٥ مقابلة ترامب مع غولشتاين وماركون.

في نيسان/أبريل ١٩٩٢، نزع العمال حرف T الضخم من على ذيول طائرات Boeng ٧٢٧ التابعة لشركة Trump Shuttle، وهي الطائرات نفسها التي كان ترامب قد ردها ليعاد دهنها بشعارات أكبر حجماً. كانت تلك الشعارات تختفي. لم تعد الشركة، التي لم تربح مطلقاً، تحمل اسمه بعد تلك اللحظة. كان ذلك آخر وضع مخزٍ بعدما رآه المطلعون في ذلك المجال سلسلة من الحسابات غير الصائبة.[١]

لم تكن أمسية يوم السبت عادية في ترامب تاج محل. لدى وصول المدعوين الثمانمئة، من أصدقاء وأقارب ومقامرين، إلى قاعة الحفلات الكبرى، كان يُقدَّم إليهم قناع بالحجم الطبيعي لوجه ترامب. تدفقت المشروبات المجانية. كان العشاء لحم عجل ملفوفاً بالقريدس. بعد تناول العشاء، حضر فنانو التقليد: إلفيس بريسلي يدندن أغنية "My Way"، وشبيهة لمارلين مونرو تغني على شرف ترامب "Happy Celebration to You".[٢] كان الهدف من حفل "رغم كل التوقعات"، الذي صُوِّر كأنه حفل لم شمل، هو إبراز تحسُّن ظروف ممتلكات ترامب في أتلانتيك سيتي. كان الوقت تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٢، أي بعد ثمانية أشهر من موافقة مالكي سندات كاسل وبلازا على تخفيض دفعات الفائدة التي كان ترامب قد حددها مقابل الحصول على نصف ملكيته تقريباً. ومثل ما حدث في ما يتصل بتاج محل، وافق القاضي بسرعة على ذلك الإشهار المعلّب والمرتّب للإفلاس.[٣]

بينما كان الضيوف ينتظرون مضيفهم في قاعة الحفلات الكبرى، كانوا يشاهدون فيلماً يعرض على شاشة كبيرة يُظهر أيام ترامب الأولى في أتلانتيك سيتي وأرباحه الأخيرة من عوائد القمار. لكن الحقيقة الجديدة اللافتة أكثر من غيرها بشأن إمبراطورية ترامب كانت غائبة على نحو واضح عن تلك الأمسية. فقبل الحفل بثلاثة أيام فقط، أُعلن إفلاس رابع ملكية له، والأحب إلى قلبه: لوحة الموناليزا الخاصة به المواجهة لحديقة سنترال بارك، أي فندق بلازا. كان ترامب قد عقد صفقة أخرى

١ مقابلة مع نويلز.

2 William H. Sokolic, "A Celebratory Trump Bash, His Casinos Make a Rebound from a Financial Licking," *Philadelphia Inquirer*, November 9, 1992; and "Donald Trump Reveling 'Against All Odds,' "*Asbury Park Press*, November 10, 1992.

3 "Bankruptcy Court Clears Plan for Trump Plaza, "*Wall Street Journal*, May 1, 1992; and Terry Mutchler, "The Castle's Game Plan Wins in Court, Casino Leaving Bankruptcy," *Associated Press*, May 6, 1992.

خفّض الدائنون بموجبها دفعات ديونه. مقابل ذلك، كانوا سيحصلون على نصف حصته في الفندق، وبذلك، يكسبون حق بيعه إذا توافر لهم سعر مناسب. كان ترامب يتمنى بكل كيانه الاحتفاظ بفندق بلازا[١] من بين كل الملكيات التي ظلت ضمن إمبراطوريته.

هكذا، وجد نفسه خلال السنوات الثلاث الأولى من ذلك العقد يرأس إمبراطورية بالية: أربع حالات إفلاس لشركات. شركة الطيران استولى عليها مصرفيوه. مركز التسوق Alexander's بأيدي المصارف. يخت بطول مئتين واثنين وثمانين قدماً يبحر بأمر من المصرفيين من ميناء إلى آخر في جميع أنحاء الأرض بحثاً عن مشترٍ إلى أن اشتراه أمير سعودي بثمن يقل عما دفعه ترامب بنسبة الثلث.

مع ذلك، بدا كأن لا مكان للحزن في تلك الليلة من يوم السبت في قاعة حفلات تاج محل. في التاسعة مساء، كان ترامب على وشك الظهور أمام الضيوف. وقف خلف لوحة ورقية بعلو السقف مزينة بصور تظهر ارتفاع سعر الأسهم وبعناوين صحف تحتفي بعودته. اخترق ورق اللوحة وخطا نحو الأمام مرتدياً فوق بذلته روباً من الحرير الزاهي اللون وسروال ملاكمة متناسقاً معه.

صدحت موسيقى فيلم Rocky من مكبرات الصوت. صاح المذيع: "فلنسمعها لأجل الملك!"[٢] لكن الملك، إذا كان ترامب هو الملك، كان بحاجة إلى عمل سحري آخر في حال كان له أن يحافظ على بقائه.

كان ترامب قد سحب أموالاً من خطوط الائتمان، وأصدر سندات، بل اعتمد على والده لجمع الأموال. واحتفظ بالإشراف على الكازينوهات الثلاثة المفلسة. بحلول عام ١٩٩٥، شعر بأن الأمر كان يستحق ذلك. كان الاقتصاد قد بدأ التحسن وبدأت أعداد متزايدة من المقامرين بالتدفق على ملكيات ترامب في أتلانتيك سيتي. مع ذلك، كان يواجه ديوناً هائلة.[٣] بدأ تطبيق إستراتيجية جديدة تستند إلى واحدة من أقدم أدوات الرأسمالية. أنشأ شركة ذات ملكية جماعية غدت مالكةً فندق وكازينو

---

١ مقابلة مع شخص مطلع على صفقة بلازا، أجراها جيري ماركون، أيار/مايو، ٢٠١٦.

2 William Sokolic, "A Celebratory Trump Bash," *Philadelphia Inquirer*, November 9, 1992.

3 David Cay Johnston, "Trump Walks a Tightrope in Plan to Sell Casino Stock," *New York Times*, April 3, 1995.

ترامب بلازا وكان يُتوقع لها تشغيل مشاريع الكازينوهات الجديدة لترامب[١]. أصبح بإمكان المستثمرين امتلاك جزء من العلامة المميزة لترامب، في ظل شعار مؤلَّف من الأحرف الأولى من اسم ترامب: DJT.[٢]

نجحت الخطة، في البداية على الأقل. جمعت شركة ترامب مئة وأربعين مليون دولار من المستثمرين بسعر أربعة عشر دولاراً للسهم.[٣] أضاف جزءاً من ذلك المبلغ إلى مبلغ مئة وخمسة وخمسين مليون دولار، وهو قيمة سندات الخردة الجديدة للكازينو، ودفع ثمانية وثمانين مليون دولار من ديونه. عام ١٩٩٦، ارتفع سعر الأسهم ارتفاعاً كبيراً ليبلغ ستة وثلاثين دولاراً، وازدادت قيمة أسهم ترامب في الشركة لتصبح مئتين وتسعين مليون دولار.[٤] وبذلك، عاد، لأول مرة منذ ١٩٨٩، إلى "قائمة فوربس" التي تضم أغنى أربعمئة شخص في أميركا (لكن ذلك لم يرضه، فاتصل بالمحررين من طائرته لإقناعهم بأن قيمته الصافية تبلغ "على الأرجح، أكثر من ملياري دولار"،[٥] أي أربعة أضعاف تقديرات فوربس).[٦]

بعد أقل من عام على إشهار شركة ترامب، دفعت الشركة سعرين عاليين لشراء الكازينوهين المحجوزَيْن الغارقَيْن في الدين العائد لترامب، ترامب تاج محل وترامب كاسل. في الأساس كان هو الشاري والبائع. وبذلك، كان يمكن تحديد السعر الذي يرغب فيه. اشتركت الشركة بمبلغ مئة مليون دولار[٧] زيادة عما كان المحللون يقدرون قيمته. بعد إتمام الصفقة، أصبح بحوزة ترامب ثمانمئة وثمانين ألف دولار[٨] على صورة نقد سائل. بحلول نهاية ١٩٩٦، وجد مالكو الأسهم، الذين راهنوا على

1 Trump Hotels & Casino Resorts S-1 prospectus filed with the Securities and Exchange Commission, 1996, https://www.sec.gov/Archives/edgar /data /943320-96-0000950130/000349.txt

٢ المصدر نفسه.

3 "Trump Gets $295 Million in Sale of Stock, Debt," *St. Louis Post-Dispatch*, June 8, 1995. "Trump Pays 15.5% in Junk Bond Sale," *New York Times*, June 8, 1995.

4 Timothy L. O'Brien, "What's He Really Worth?," *New York Times*, October 23, 2005.

5 O'Brien, *Trump Nation*, 151.

6 Forbes 400 list, 1996.

7 James Sterngold, "Long Odds for the Shares of Trump's Casino Company," *New York Times*, March 9, 1997.

8 Company SEC filing (10-K, March 29, 1997: https://www.sec. gov/Archives/edgar/data/943320000299-97-0000940180/.txt. "Trump paid $884,550 in cash").

مستقبل ترامب الوردي، أنفسهم فجأة مكبّلين بمبلغ مليار وسبعمئة مليون دولار[١] من ديونه. دفعت الشركة جزءاً كبيراً من النقد المتوافر لديها لتسديد فائدة الدفعات. وفي ١٩٩٦، هبط سعر السهم إلى اثني عشر دولاراً، أي ثلث سعره الأقصى. دفعت الشركة لترامب في ذلك العام سبعة ملايين دولار،[٢] بما في ذلك زيادة بلغت خمسة ملايين دولار.

ظلت تفاصيل صفقات ترامب، لسنوات، شأناً خاصاً لا يُكشف عنه. أما في تلك اللحظة، وبما أنه كان يجب على الشركات العامة كشف بيانات أدائها، فقد انكشفت الهوة الفاصلة بين تخطيطاته وبين الواقع أمام الجميع. قال ترامب عام ١٩٩٦ إن كازينو القارب النهري الجديد، في غاري في إنديانا، سوف يحقق عوائد سنوية تبلغ مئة مليون دولار. والواقع أن الكازينو المذكور حقق في ذلك العام أرباحاً لم تتجاوز اثنين وثمانين مليون دولار،[٣] وكانت كلفة تشغيله تبلغ ثمانين مليون دولار. في آذار/ مارس ١٩٩٧، وعندما كان السهم يباع بربع سعره قبل عشرة أشهر، قال محلل الأوراق المالية في Chase، ستيف روغييرو Steve Ruggiero، إن الشركة لم تكن "متعاونة مع جميع المحللين" وهذا، كما قال "يثير الشكوك".[٤]

عام ١٩٩٨، فرضت وزارة المالية الأميركية غرامة على شركة ترامب بقيمة أربعمئة وسبعة وسبعين ألف دولار[٥] لرفضها تقديم تقارير الصفقة المطلوبة وذلك للحيلولة دون تبييض الأموال. وعام ٢٠٠٠، دفع ترامب وشركاؤه مبلغ مئتين وخمسين ألف دولار[٦] لتسوية قضية في نيويورك اتُّهموا فيها بالتمويل السري لحملة دعائية مركّزة ضد

---

1 Daniel Roth, "The Trophy Life: You Think Donald Trump's Hit Reality Show Is a Circus? Spend a Few Weeks atching Him Work," *Fortune*, April 19, 2004

2 Trump Hotels & Casino Resorts 10-K filing with SEC, March 31, 1998, https://www.sec.gov/Archives/edgar/data/943320013201-98-0001047469/.txt

٣ المصدر نفسه.

4 James Sterngold, "Long Odds for the Shares of Trump's Casino Company," *New York Times*, March 9, 1997.

5 FinCEN Announces Penalty against Trump Taj Mahal Associates," January 28, 1998, https://www.fincen.gov/news_room/nr/html/19980128.html

6 Charles V. Bagli, "Trump and Others Accept Fines for Ads in Opposition to Casinos," *New York Times*, October 6, 2000.

دفعت Trump Hotels and Casino Resorts مبلغ خمسين ألف دولار. دفع باقي المبلغ روجر ستون، الذي كان يمارس الضغوط لمصلحته، والمجموعة المناوئة للقمار التي كان ترامب يعلن عندها.

افتتاح كازينو جديد في جبال كاتسكيل. وفي ٢٠٠٢، أورد منظمو الأوراق المالية الفيدراليين اسم مجموعة الكازينو على أنها قد استخدمت أسلوباً من التقارير المالية مصمَّماً حتى يخفف وطأة النتائج السلبية.[١]

عندما كان ترامب مديراً للشركة، خسرت أكثر من مليار دولار[٢] ووصلت حد الخطر كل سنة خلال المدة ما بين ١٩٩٥–٢٠٠٥. خلال ذلك الوقت، هبطت أسعار أسهم الشركة من خمسة وثلاثين دولاراً إلى سبعة عشر سنتاً. فالشخص الذي اشترى أسهماً بقيمة مئة دولار في شركة DJT عام ١٩٩٥، أصبح بإمكانه بيعها بمبلغ أربعة دولارات عام ٢٠٠٥. الاستثمار نفسه في شركة MGM Resorts كان من شأنه زيادة القيمة إلى ستمئة دولار تقريباً. خسر أصحاب أسهم وسندات الشركة[٣] أكثر من مليار ونصف المليار دولار خلال إدارة ترامب. عام ٢٠٠٤، جمّد المسؤولون في سوق البورصة التداول بأسهم الشركة العامة إثر انتشار شائعات تقول إن الشركة بصدد إشهار إفلاسها: الحادثة الخامسة من هذا النوع في حياة ترامب المهنية. وكان من شأن خطة لإعادة تنظيم الشركة خفض حصة أصحاب الأسهم فيها من ٤٠٪ تقريباً إلى ٥٪، ليذهب معظم الفرق إلى مالكي السندات الذين كان ترامب مديناً لهم.

كانت حصة ترامب ستنخفض أيضاً، لكنه كان مصمماً على الاحتفاظ بالإدارة. ولقاء احتفاظه بقيادة الشركة قدم مليوني دولار بصيغة رواتب سنوية، وقطعة أرض تساوي سبعة ملايين ونصف المليون دولار في أتلانتيك سيتي، وحصة أقلية في مسابقة ملكة جمال الكون، التي كانت تملكها الشركة بالشراكة مع NBC.[٤] أقام مالكو الأسهم دعوى قضائية، وأطلقوا على خطته اسم "سلة مشتريات"[٥] ترامب. سوّى ترامب الدعوى بأن وافق على أن يدفع للمساهمين سبعة عشر مليوناً ونصف المليون إضافة

1 "SEC Brings First Pro Forma Financial Reporting Case: Trump Hotels Charged with Issuing Misleading Earnings Release," SEC, January 16, 2002, https://www.sec.gov/news/headlines/trumphotels.htm. NYSE data.

2 NYSE data.

٣ المصدر نفسه. انظر أيضاً
Russ Buettner and Charles V. Bagli, "How Donald Trump Bankrupted His Atlantic City Casinos, But Still Earned Millions," *NewYork Times*, June 11, 2016.

4 "Trump Hotels Agrees to Pay $17.5 Million to Stockholders," *Associated Press*, March 29, 2005.

5 "Trump Offers $17.5 Million to Shareholders," *Associated Press*, March 28, 2005.

إلى أرباح مزاد لبيع الأرض.[١] قال سيباستيان بينياتيللو Sebastian Pignatello، وهو مستثمر من أتلانتيك سيتي، اشترى مئة وخمسين ألف سهم في الشركة في أواخر التسعينيات، إن مالكي السهم خسروا عشرات ملايين الدولارات بسبب ما وصفه استخدام ترامب الشركة كحصالة شخصية له.[٢] بدأ بينياتيللو الشراء حينما كان سعر السهم ثلاثة دولارات، وعندما باع كان السهم يساوي بضع بنسات. استعاد جزءاً من ماله في التسوية، لكنه قال إنه خسر عشرات آلاف الدولارات في هذا الاستثمار. أضاف: "كان ينهب[٣] الشركة طوال الوقت. لا يشعر بأي تأنيب ضمير عندما يتسبب بالأذى لأي كان. وهذا ما يفعله دائماً. لكنه حقق نجاحاً باهراً".

والواقع أن الشركة كانت صفقة ممتازة بالنسبة إلى ترامب. فخلال المدة التي رأس فيها الشركة، من عام ١٩٩٥ إلى ٢٠٠٩، بما في ذلك السنوات الخمس التي كان فيها المدير التنفيذي الرئيسي، دُفع له أكثر من أربعة وأربعين مليون دولار.[٤] وما بين ٢٠٠٦ و٢٠٠٩، اشترت الشركة ما قيمته مليوناً وسبعمئة ألف دولار من السلع التي تحمل علامة ترامب، بما في ذلك مليوناً ومئتي ألف دولار ثمن زجاجات مياه مثلجة تحمل علامة ترامب.[٥]

كانت كازينوهات ترامب تتعثر عاماً إثر عام. وكانت شركة التجارة العامة التي أسسها قد اشترت كاسل (الذي أُعيدت تسميته ليصبح ترامب مارينا) بمبلغ خمسمئة وخمسة وعشرين مليون دولار عام ١٩٩٦، وباعته عام ٢٠١١ بمبلغ ثمانية وثلاثين مليون دولار. لم يكن ترامب يشعر بأي أسف اتجاه أداء شركته: "من وجهة نظر المقاول[٦]، وليس بالضرورة من منظور إدارة شركة بل من منظور مقاول، كان [عرض الأسهم] صفقة من أعظم الصفقات". المقاول، طبعاً، كان ترامب نفسه، والمعنى المتضمن هنا هو أنه حقق ربحاً حتى لو خسر مالكو الأسهم. كان ترامب قد تدبر أمر

١ المصدر نفسه.

٢ مقابلة مع سيباستيان بنياتيللو أجرتها درو هارويل، **واشنطن بوست**، أيار/مايو، ٢٠١٦.

٣ المصدر نفسه.

4 Analysis of SEC 10-K reports.

5 Trump Entertainment Resorts' proxy statement, April 3, 2007, https://www.sec.gov/Archives/edgar/data/943320/000119312507073468 /dd ef14a.htm

6 Roth, "Trophy Life."

ترميم شؤونه المالية، بل إن المحللين المتشككين في مجلة فوربس قالوا، عام ٢٠٠٤، إنه كان يساوي مليارين وستمئة مليون دولار.[١]

مرة أخرى، أنقذ ترامب نفسه عن طريق تسويق نفسه. كان دائماً يقول إن الصورة لا تقل أهمية عن المنتَج الأساسي. في تلك اللحظة، كانت صورته على وشك إطلاق علامته الشخصية إلى الأعالي، وإلى مسرح جديد يشمل البلاد بأسرها، حيث لا يحتاج إلى تعزيز أي شيء، سوى سمعته. كان هناك شخص شبيه به "لا تؤثر فيه الشدائد": واحد من أبرز منتجي البرامج التلفزيونية في البلاد يبحث عن الملياردير المناسب ليكون نجم برنامج من نوع تلفزيون الواقع.

---

1 Jennifer Wang, "The Ups and Downs of Donald Trump: Three Decades On and Off the Forbes 400," *Forbes*, March 14, 2016.

الفصل الثاني عشر

آلة تقدير نِسَب المشاهدة

عندما كانت علامة ترامب المميزة تترنح وتكاد تفقد مكانتها كقاعدة ذهبية، ظهر منتِج تلفزيوني، وهو مهاجر بريطاني، لم يكن قد مضى وقت طويل على عمله بائعَ قمصان قطنية بسعر ثمانية عشر دولاراً في فينيس بيتش. بحلول عام ٢٠٠٢، كان هذا البائع، واسمه مارك بيرنت Mark Burnett، قد صار صاحب فكرة برنامج Survivor "الناجي" ومهندسه الرئيسي، وهو أضخم برنامج من نوع تلفزيون الواقع. كان برنامج "الناجي"، وهو أحد البرامج التي شكلت للشعب الأميركي مصدراً للتأثير والإلهام والتي حظيت بأعلى نِسَب مشاهدة استمرت لمدة طويلة، برنامجاً تلفزيونياً ساحراً جذب ملايين المشاهدين لرؤية أشخاص يتسمون بجمال الشكل وهم يتنافسون في مناطق غريبة نائية، مثل مجاهل أستراليا وجزر البولونيز. حلَّقت نِسَب المشاهدة منذ بداية عرض البرنامج لكن الملايين التي كسبها بيرنت فجأة لم تستطع إخفاء التعاسة التي كانت تغلِّف حياته العائلية: كان لديه أطفال في منزله في نيويورك، ولم يكن معهم إلا نادراً. في إحدى زياراته إلى المنزل خلال إجازة من تصوير البرنامج، قال له ابنه، وكان في العاشرة، إنه نسي شكله.

قال بيرنت في نفسه: "لا بد من وجود طريقة لإعداد برنامج ناجح في مدينة أميركية". كان الطريق إلى الوطن، كما أدرك، يمر عبر دونالد ترامب. جاءت لحظة الإلهام المفاجئة أثناء تصويره آخر حلقة من برنامج "الناجي": Marquesas، في حديقة

سنترال بارك في نيويورك، داخل حلبة تزلج ولمان التي كان ترامب يشغّلها إثر تجديده إياها خلال مدة قصيرة وبكلفة أقل مما كان مقدراً لها، وذلك بعدما قضى مجلس المدينة ست سنوات وأنفق اثني عشر مليون دولار دون أن يكمل إصلاحها. شعر بيرنت بالضجر من قضاء الوقت عالقاً في الأدغال "مع التماسيح والنمل[1] وكل ما يمكنه قتلك". قرر أن تكون خلفية برنامجه التالي نوعاً مختلفاً من الأدغال مصنوعاً من الإسفلت؛ "كل ما كنت أحتاجه هو شخص استثنائي، شخص ينبض بالحياة وبالحيوية"، أي شخصية يمكنها دعم هذه النسخة الجديدة من "الناجي" ذات الخلفية الحضرية، وتكون محبوبة وقوية وساحرة بما يكفي لإقناع الجمهور طوال موسم كامل.

جسّدت حلقةُ تزلج ولمان الفكرةَ أمام نظر بيرنت: كانت كلمة "ترامب" ملصقة على آلة قشط الجليد وكل جدران الحلقة. التقط بيرنت الإشارة وذهب لمقابلة ترامب في مكتبه في برج ترامب. كانت فكرة إنتاج برنامج جديد قد خطرت له في إحدى زياراته إلى بلده، عندما شاهد مستعمرات النمل تندفع حول بعضها بعضاً. كان الأمر يبدو أشبه بمعركة. قلّب الصورة في ذهنه لتتحول إلى فرق متنافسة من الباحثين عن عمل: كان ذلك أساس برنامج "المتدرِّب". دامت مقابلة بيرنت مع ترامب ساعة. قال بيرنت لترامب إن البرنامج سيعرِض كل إمبراطورية ترامب: برج ترامب والكازينوهات والفنادق وطائرة الهليوكوبتر والطائرة الخاصة والشقة الفاخرة وروعة مار ألاغو. كان ترامب سيصبح الشخصية الرئيسية، حَكَم الموهبة، سيصبح المدير – القاضي والمحلفين والجلاد في تلك الغربلة الأسبوعية لمجموعة من الشباب الساعين إلى تحقيق مهمة، والراغبين بشدة في العمل في أحد مشاريع القطب الكبير.

لم يكن ترامب من مشاهدي تلفزيون الواقع، ولم يكن يحب ما سمعه عن تلك البرامج. قال لبيرنت: "هذه برامج الطفيليين في المجتمع".[2] كان قلقاً من أن يشغل البرنامج الكثير من وقته. لكن بيرنت أكد له أنه سيكرس بضع ساعات فقط لكل حلقة، وأن بالإمكان تصوير البرنامج كامله داخل برج ترامب. رغم كل مشاعر القلق التي

١ مقابلة مارك بيرنت مع مارك فيشر، كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٥.
٢ نقله عن ترامب جيم دود الذي كان آنذاك المسؤول عن الدعاية في NBC وصار لاحقاً مدير شركة علاقات عامة، Dowd Ink، مقابلة مع مارك فيشر، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٥.

انتابت ترامب بشأن الوقت، أسَرَته فكرة القيمة الترويجية الكبيرة التي قد ينطوي عليها البرنامج. قال لبيرنت: "سوف تظهر طائرتي الخاصة في كل حلقة، وسوف يظهر تاج محل. حتى لو لم يكن يحقق أرباحاً، فإن تأثيره سيكون هائلاً بالنِسبة إلى علامتي المميزة". رأى ترامب في البرنامج جسراً يوصله إلى سوق جديدة، وجمهور جديد، وبخاصة جمهور الشباب. أكد بيرنت لترامب قوة التلفزيون في مجال صنع الصيت الذائع: كان ترامب مشهوراً لأكثر من جيل لكن برنامجاً تلفزيونياً خاصاً به سيتيح له صياغة صورته على نحو لم يحدث سابقاً، وسيوفر للأميركيين الفرصة لرؤيته بأسلوب مباشر دون وساطة. كان بيرنت يعتقد أن الشخصية المشهورة، دون برنامج خاص بها، ليست سوى نتاج عناوين المحررين وآراء الصحافيين. ومن شأن برنامج يكون فيه ترامب هو النجم أن يتيح له إعادة صياغة نفسه كما يحلو له.

كانت رمية موفقة. خرج بيرنت من الاجتماع الأول بعدما اتفق الرجلان على إنتاج برنامج "المتدرِّب" وتوّجا اتفاقهما بمصافحة. لم يكن ترامب قد أمّن لنفسه حصراً الدور الأول في برنامج من إنتاج أفضل منتج تلفزيوني، بل حصل إلى جانب ذلك على خمسين بالمئة من ملكية البرنامج. لم يستشر أحداً، ولم ينفذ أي بحث. أعجبته الفكرة؛ اقتنع بها. كانت لحظة تشي بطبيعة ترامب، ومثالاً على أسلوبه الغريزي الفوري في اتخاذ القرارات، الذي كان يمارسه بفخر طوال حياته المهنية: شراء برنامج. كسْب جمهور. صقل صورة. قال ترامب: "هذا في غاية السهولة".

لكن البرنامج، أولاً قبل كل شيء، كان بحاجة إلى مقر. رأى عديدون في هوليوود أن برنامجاً تلفزيونياً عن ترامب كان فكرة غبية، بل إن وكيل أعمال ترامب قال له إن برنامج "المتدرِّب" سيكون برنامجاً خاسراً. وأضاف أن البرامج التي تعالج شؤون الأعمال لا تصلح للتلفزيون (قال ترامب إنه طرد وكيل الأعمال[1] بعد وقت قصير: "لو أنني أصغيت إليه، ما كنت قد شاركت في البرنامج"). جال بيرنت على الشبكات التلفزيونية لطرح فكرة البرنامج. لم تتوقف FOX طويلاً عند الفكرة – كان رأيها أن البرنامج ذو طبيعة نخبوية إلى حد الإفراط – فترامب لا يبدو نجماً تلفزيونياً، كما أن المتسابقين من ذوي الثقافة الرفيعة هم نتاج دراسات عالية المستوى، وفي النتيجة،

١ مقابلة لترامب مع مارك فيشر، كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٥.

يصعب على المتفرج الأميركي العادي التماهي معهم عاطفياً.

كانت ABC قد حاولت ذات يوم إقناع ترامب بالمشاركة في برنامج تلفزيون الواقع من نوع آخر تلاحق فيه آلات التصوير ترامب أثناء عقده الصفقات مع السياسيين والمتعهدين، لكن ترامب كره الفكرة؛ رآها تدخلاً مفرطاً في أعماله ولن تنجح تلفزيونياً. أُعجب مديرو ABC بفكرة برنامج "المتدرِّب"، لكن المفاوضات توقفت عند مسألة السعر. كان بيرنت يدرك أنه يحتاج أموالاً طائلة لكل حلقة، ولم يكن بوارد تشويه[1] مفهوم البرنامج. كانت CBS تريد البرنامج أيضاً لكن ترامب كان غاضباً من الشبكة بسبب قرارها تجنب مسارعتها لشراء تراخيص حفلَيْ ملكة جمال الولايات المتحدة وملكة جمال الكون، التي كان يملكها ترامب لغاية ٢٠١٥.

كانت NBC تريد برنامج "المتدرِّب" حتى قبل جولة بيرنت، لا بسبب ترامب، بل بسبب نجاح بيرنت في برنامج "الناجي". كان ترامب بالنِسبة إلى صانعي القرار في الشبكة مجرد رجل أعمال أيقوني كغيره. لا شك في أنه سيبدو رائعاً في البرنامج[2]، لكن أقطاباً آخرين، مثل ريتشارد برانسون Richard Branson أو مارك كوبان Mark Cuban، سيبدون رائعين أيضاً. لكنِ اثنان من المديرين الرئيسيين –جيف زوكر Jeff Zucker، الذي كان آنذاك مدير NBC Entertainment، وجيف غاسبن Geff Gaspin، الذي كان يدير برامج تلفزيون الواقع للشبكة وأصبح لاحقاً مدير NBC Entertainment– وقد كانا من سكان نيويورك منذ مدة طويلة، وكانا يراقبان عن كثب كيف كانت صحف الإشاعات في المدينة تطوِّر تغطية ترامب إلى صناعة تكافلية رابحة؛ كان هذان المديران يعتقدان أن ترامب يعني أكثر مما كان الناس خارج منطقة نيويورك يعلمون، كما كانا يعتقدان أن هؤلاء الناس إذا كانوا على خطأ في ما يتعلق بترامب، فسوف ينجح برنامج "المتدرِّب" على أي حال. كان التصوّر الذي اقتنعت به شبكة NBC، هو قيام ترامب بدور المضيف في البرنامج لعام واحد فقط. وكانت الفكرة هي الطلب من قطب مختلف أن يكون نجم البرنامج في كل موسم. كذلك كان من المقرر أن يخلف ترامب في البرنامج برانسون وكوبان، ومارتا ستيوارت Martha Stewart، المليارديرة

١ مقابلة مع بيرنت.

٢ مقابلة جيف غوسبن مع مارك فيشر، كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٥. برانسون وكوبان ومارتا ستيوارت: مقابلات مديري NBC مع مارك فيشر، ديسمبر ٢٠١٥.

في مجال الأثاث المنزلي، ولم تكن قد أُدينت وسُجنت بتهمة إعاقة العدالة والكذب بشأن مبيعات الأسهم.

لكن تلك الفكرة تلاشت مع بدء تصوير الحلقة الأولى. كان نص برنامج "المتدرِّب" يتطلب قيام المضيف بدور متواضع نسبياً. فقد كان البرنامج يدور حول المتسابقين، وكان أكثر من مئتين وخمسة عشر ألف شخص قد طلبوا أن يكونوا ضمن المرشحين الستة عشر في البرنامج، الذين كانوا سيعيشون داخل ديكور شقة أعدها بيرنت في الطابق نفسه في برج ترامب الذي يضم ديكور غرفة مجلس الإدارة (كان المصعد الذي شوهد المتسابقون وهم يستقلونه "للصعود إلى غرفة مجلس الإدارة" جزءاً من ديكور العرض). وكان من المقرر أن يطرح ترامب تحديا في وجه المتسابقين في مستهل كل حلقة، ثم يظهر في مشهد قصير في غرفة مجلس الإدارة في نهاية الحلقة ليقرر من هو المتسابق الذي لم يكن أداؤه جيداً بما يكفي لعودته إلى البرنامج في الأسبوع التالي.

انسجم ترامب مع دوره التلفزيوني كأنه قضى حياته في الاستعداد له. كان التصوير يستمر ثلاث ساعات تقريباً، وهو وقت أطول مما كان مقرراً. بعد يومين، وبعدما عرض مديرو NBC مقتطفات مبدئية من مشاهد غرفة مجلس الإدارة، كان قرارهم بالإجماع: ينبغي تعديل نص البرنامج. كانت المشاهد التي ظهر فيها ترامب رائعة. قال غاسبن: "بعد الحلقة الأولى، قلنا إننا نريد زيادة المشاهد التي يظهر فيها ترامب". وكذلك كان قرار المشاهدين أيضاً، فقد شاهد الحلقة الأولى عشرون مليون شخص. ارتفع العدد في نهاية الموسم إلى سبعة وعشرين مليوناً. كان الشكل الذي أُخرج به البرنامج، في الواقع، دعاية متواصلة لإمبراطورية ترامب ولأسلوب حياته، مع مقدمة تُظهر مقارنة بين ترامب في سيارته الفارهة، ولبن صورة رجل متشرد يجلس على مقعد في الطريق. يعلو صوت ترامب متبجحاً:

> أنا المتعهد العقاري الأهم في نيويورك. أنا أملك أبنية في كل أنحاء نيويورك. أملك وكالات عارضات، حفل مسابقة ملكة جمال الكون، طائرات، ملاعب غولف، كازينوهات، منتجعات خاصة مثل مار ألاغو... أتقنت فن إبرام الصفقات وحوّلت اسم ترامب إلى علامة من

أجود الأنواع. وبوصفي المعلِّم، أريد نقل بعض خبرتي إلى شخص آخر.

لم يكن النص المكتوب للبرنامج يحوي[1] عبارة "أنت مطرود"، التي تحولت إلى العبارة المميزة للبرنامج. ورغم أن برامج تلفزيون الواقع عادة ما تتخذ شكل خطوط عريضة تضم بعض التفاصيل، أعرب ترامب منذ البداية عن نيته التصرف كما يحلو له. لم يستسغ فكرة حفظ الدور عن ظهر قلب. كان يقرأ الخطوط العامة للحلقة مسبقاً، ولكن ما إن يبدأ التصوير، حتى يشرع بارتجال دوره كما يفعل في كل المناسبات التي يلقي فيها خطاباً. في المشهد الأول في غرفة مجلس الإدارة، وعندما حانت اللحظة التي يقرر فيها ترامب أيّاً من المتسابقين ممن وصلوا إلى النهاية لن يشارك في الحلقة التالية، قال فجأة دون أي تفكير: "أنت مطرود". في كواليس المشهد، عبّر أفراد طاقم الإنتاج مباشرة عن ابتهاجهم بالعبارة، وهكذا ثبتت في مكانها في الحلقات التالية.

لكن، رغم أن عبارة "أنت مطرود" تحولت إلى رمز للصراحة الفظة المعروفة عن ترامب، فإنه لم يكن يقولها بأسلوب ازدرائي شامت. والواقع أن ترامب كان غالباً ما يواجه صعوبة في طرد أحد المشاركين في البرنامج بأسلوب متسرع. كان يهدأ وقد بدا عليه الحرج ويلطف صوته قبل أن يطرد أحد المتسابقين، وغالباً ما كان يستشير المديرَيْن الجالسَيْن إلى جانبه في تلك المشاهد، ويتقبل معظم الأحيان نصيحتهما حتى في حال كانت مغايرة لرأيه.

تطور أسلوب أداء ترامب في البرنامج بسرعة. خلال تصوير الحلقة الأولى، بدا كأنه يدرك بالغريزة أيّ متسابق ينبغي طرده ولم يكن يرى سبباً لإطالة النقاش. لكن الطرد المباشر لم يكن ليؤدي إلى برنامج تلفزيوني مشوق، وهكذا طلب المنتجون من النجم المعروف بنفاد صبره أن يتمالك أعصابه وأن يدع العنصر الدرامي يبرز في تنافس المتسابقين على الجائزة الكبرى المتمثلة في عمل لمدة عام في Trump Organization، بأجر يبلغ مئتين وخمسين ألف دولار. التزم ترامب النصيحة وسرعان ما تعلم كيف يستنزف المتسابقين، وكيف يجعل مشاعر القلق والحرج لديهم تتجلى لحظة اتخاذ القرار عبر مشاهد طويلة كان الجمهور خلالها يجد صعوبة في التوقف

١ مقابلات أجراها ترامب وغاسبن وبيرنت مع مارك فيشر. مقابلات مع مديرَيْن آخرَيْن في NBC أجراها فيشر، كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٥.

عن متابعتها. قال آندي دين Andy Dean، وهو أحد المتسابقين في الموسم الثاني والذي أصبح لاحقاً مدير Trump Productions: "لم يكن ترامب يحتاج إلى ملقّن آلي[١]، ولا أي إرشادات".

خلال أربعة عشر موسماً كان فيها ترامب المضيف والمنتج التنفيذي، اكتسب الكثير من المران في تطوير أسلوب حديث يتسم بالجلافة تتخلله عبارات بيانية قصيرة تعبّر عن السخرية -التي قد تعبّر عن المزاح أحياناً أو قد تكون لاذعة في أحيان أخرى- من المتسابقين الذي وصلوا إلى النهاية؛ ويأسر بذلك المشاهدين بإحساسٍ مسرحيٍّ بالتوقيت. كان ترامب يفاخر بمواهبه المسرحية. وقد عزا موهبته المسرحية إلى والدته التي كانت، كما قال، تتمتع بموهبة طبيعية في الأداء. قال: "لم أتلق أي درس. كنت طوال حياتي أشعر بالراحة أمام آلة التصوير. أنت إما أن تكون ماهراً في هذا الأمر وإما أنك تفتقر المهارة".[٢]

شارك في حلقات المواسم الأولى من البرنامج ما بين ستة عشر وثمانية عشر متسابقاً ومتسابقة، تم اختيارهم بعد مقابلات شخصية واختبارات موحّدة وتقييمات نفسية وطبية.[٣] كان المتنافسون يجتمعون بترامب بصورة أساسية عندما يكلّفهم المهمات، وفي ما بعد في غرفة مجلس الإدارة المكسوة بالألواح الخشبية، حيث كان التوتر يسود المواجهات خارج إطار التصوير بقدر ما كان يسودها في اللقطات المعروضة على شاشة التلفزة. خلال تلك المشاهد، وبعد قضاء ساعتين أو ثلاث يواجه فيها المتسابقون حرارة أضواء الكاميرات التي لا ترحم وعيني الرجل الذي يسعون إلى أن يكون راعيهم - كانوا يشاهدون إنساناً موهوب الأداء معنيّاً بعمق بانطباع الآخرين عنه - كان ترامب مأخوذاً بنِسَب المشاهدة مثل ما أصبح لاحقاً مأخوذاً بأرقام استطلاعات الرأي. قال توم سولوفي Tom Solovey، الذي كان متسابقاً في الموسم الأول والذي بدت في عينيه عندما طُرد نظرة ذاوية أثارت مشاعر الجميع: "ترامب مهووس بالمقاييس واستطلاعات الرأي والبيانات". ذات صباح، وكان ذلك بعدما

١ مقابلة أندي دين Andy Dean مع فرانسيس ستيد سيللرز، كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٥.

٢ مقابلة ترامب مع فيشر. في بدايات الحملة الرئاسية عام ٢٠١٦، وصف حاكم فلوريدا السابق جيب بوش، ترامب، بالقول إن الأخير "ممثل يقوم بدور المرشح للرئاسة". وكان يقصد انتقاده.

٣ مقابلات أجراها المتسابقون مع فرانسيس ستيد سيللرز، كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٥.

خسر برنامج "المتدرِّب" سباق نِسَب المشاهدة لمصلحة البرنامج المنافس على قناة Fox، وهو American Idol، زار سولوفي ترامب ليعرّفه على خطيبته: وجد رجل الأعمال الذي عادة ما يكون فائق الحماسة مسترخياً على مقعده. قال سولوفي، الذي وقّع بعد مدة وجيزة من ذلك الاجتماع عقداً مع Trump Organization للمساعدة في تنشيط معدلات مشاهدة برنامج "المتدرِّب" ولدعم علامة ترامب المميزة[1] عبر ظهوره في برنامج The Oprah Winfrey Show، وذلك للترويج لحفل ملكة جمال العالم ولتسويق كتاب ترامب الصادر أخيراً، قال: "كانت المرة الوحيدة التي رأيته فيها مكتئباً ومغموماً تماماً".

ذات يوم، عندما كانت إليزابيث ياروز Elizabeth Jarosz، وهي متسابقة شاركت في الموسم الثاني وأصبحت لاحقاً مستشارة إستراتيجية العلامة المميزة، تقف قرب ترامب بعد إنهائه مؤتمراً صحافياً، دُهشت عندما التفت إليها ترامب وسألها: "كيف كان أدائي؟ هل كان جيداً؟".

قالت ياروز في قرارة نفسها: "يا إلهي! كم هو قلق". وفي مناسبة أخرى، كانت ياروز تجلس مع ترامب في مقهى وشرح لها رأيه عن أن "كل الدعاية هي دعاية جيدة... عندما يملّك الناس، يكون الوقت حان لتنظيم المزيد من حملات الدعاية،[2] لأن ذلك هو الوقت الذي تتحولين فيه إلى أيقونة".

رغم أن NBC سوّقت لشخصية ترامب في برنامج "المتدرِّب" بوصفها شخصية قوية وشجاعة، فإن منتجي البرنامج ومستشاري العلاقات العامة العاملين لدى ترامب شاهدوا شخصية جديدة تنشأ في البرنامج، شخصية مزجت بمهارة ما بين حب ترامب النفوذ وومضات من التواضع، وبين لمسة من الاستهزاء المرح بالنفس، وبين رغبة غير متوقعة في إفساح المجال أمام خبرة الآخرين. قضى المسؤولَ عن العلاقات العامة في NBC، جيم دود Jim Dowd، الذي تولى لاحقاً الدعاية لترامب مباشرة، ساعات عدة مع ترامب خلال الأسابيع الأولى من البرنامج يراقب عن كثب النجمَ وهو يبتكر شخصية عامة جديدة: "كان يضبط إيقاع أدائه ولم يكن يرغب في الظهور بمظهر الوغد. كان

١ مقابلة سام سولوفي مع فرنسيس ستيد سيللرز، كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٥.
٢ مقابلة إليزابيث ياروز مع فرنسيس ستيد سيللرز، كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٥.

دائماً يقول إن كل ما يفعله رائع، رائع، رائع. لكنه كان واقعياً بهذا الشأن. كان متوتراً بخصوص نِسَب المشاهدة،[١] ولم يكن ليتوقف عن التساؤل: هل سينجح ذلك؟".

كان الخط الفاصل بين ترامب الشخصية وبين ترامب الشخص مشوشاً منذ عقود. وصف مارك سنغر Mark Singer في صحيفة **نيويوركر** ترامب بأنه "مدمن على الغلوّ، يراوغ لمجرد التسلية والربح، صاحب برنامج يُعرض منذ مدة طويلة، برنامج مبهرج لكنه في نهاية المطاف خادع وتافه". خلص سنغر إلى القول إن ترامب "حقَّق الرفاهية المطلقة، حقّق حياة لا تؤرقها تمتمات الروح".[٢] لم يحب ترامب هذا النقد القاسي من سنغر، لكنه كان يصف نفسه دائماً بأنه "آلة تحقق نِسَب مشاهدة مرتفعة".[٣] رأى القائمون على صياغة صورة ترامب في برنامج "المتدرِّب" فرصة لتقديمه كشخص أكثر صدقاً وتنوعاً بدلاً من الشخصية الأنانية المهووسة بالتفاخر التي يعرفها الأميركيون من عناوين صحف الإشاعات والأدوار الصغيرة البارزة في البرامج التلفزيونية. أما ترامب نفسه، فرأى في البرنامج امتداداً لعلامته المميزة واستغل نجاحه فيه لوضع اسمه على ربطات العنق والبذلات والعطور (Success، صُنْع ترامب)، والماء والمصابيح، وعلى بطاقة اعتماد. قال بيرنت: "ترامب يحسب الوعي بالعلامة المميزة. إنه رجل استعراض".[٤]

قال دود: "دونالد لا يفعل شيئاً دون سبب".

أعاد نجاح برنامج ترامب التلفزيوني التساؤلات بشأن أيٍّ الأوجه في شخصيته العامة تعكس حقيقته، وأيٍّ منها لا تعدو كونها مجرد استعراض. كان ترامب على الدوام يهزأ من الفكرة القائلة إنه خلق شخصية منفصلة أو مختلفة يمثّلها على مسرح حياته العامة، وكان أحياناً يصر على أن الأشياء التي يقولها على شاشات التلفزة كان المقصود منها الإثارة أو الترفيه. في كتاب *Time to Get Tough*، الذي نشره عام ٢٠١١، قال إنه شارك في برنامج "المتدرِّب"... "لا من أجل المال، رجاءً، بل لأن

١ مقابلة جيم دود مع مارك فيشر، كانون الثاني/ديسمبر، ٢٠١٥.

2 Mark Singer, "Trump Solo," *New Yorker*, May 19, 1997.

3 Trump, on *Saturday Night Live*, NBC, April 3, 2004.

٤ مقابلة مع بيرنت.

البرنامج يوجِد حضوراً قوياً للعلامة المميزة، ولأن المشاركة فيه مسلية".[1] لكنه صرح لاحقاً بأنه قرر الاشتراك في البرنامج لسبب بسيط جشِع: لأنه "مربح،[2] حتى لو كنتَ غنياً. إنه شيء رائع، لا يملّه الإنسان" (في البداية، كان ترامب يتقاضى أجراً يبلغ مئتي ألف دولار في الحلقة الواحدة، مقابل أدائه بالطبع، كما كان يملك نصف البرنامج).

لكن، أياً كان السبب الأهم بالنِسبة إليه، فإنه كان يعتقد أن البرنامج جعل الأميركيين يرونه بصورة أكثر إنسانية وأكثر تعقيداً من مجرد الزيجات المتهاوية والبيئة المحيطة المكسوة بالذهب والترويج المستمر لاسمه ولهويته. قال ذات يوم إنه جعل الأميركيين يدركون أنه "ذو ثقافة عالية. وهذا شيء لم يكن معظم الناس يعرفونه قبل البرنامج. كانوا يعتقدون أنني بربري".[3]

وأضاف: "أنا أتعاطف مع الناس بقوة لكنني اكتسبت شعبية أكبر بسبب برنامج أطرد فيه الناس من العمل. هذا غريب. أنا شخص صادق. يتفهم الناس فكرة أن على الإنسان أن يفعل ما يجب عليه فعله. قال لي مايكل دوغلاس أنت أفضل ممثل تلفزيوني. أجبته: أنا لا أمثل. هذه حقيقيتي".[4]

غيّر برنامجُ "المتدرِّب" مسارَ حياة ترامب مباشرة. في الصباح التالي لعرض الحلقة الأولى، اصطحب دود ترامب في جولاته على إستوديوهات تلفزيون مانهاتن لإجراء تسعة مقابلات لترويج البرنامج. شهد دود في تلك الجولات مولد نجم: "كان الناس في الشارع يعانقونه. حيثما ذهب، كانت الحشود تتحلق حوله.[5] فجأة، اختفت صورته القديمة الساخرة التي كانت تُنشر على صفحات **نيويورك بوست** برفقة زوجاته وفي الحفلات. أصبح بطلاً، ولم يكن قد جرّب هذا الشعور في حياته. قال لي: لدي عقارات وفندق وملعب غولف، لدي اسم معروف، لكنني أفتقر حب الأميركي العادي واحترامه. الآن توصَّل إلى ما كان يصبو إليه من الحب والاحترام. كان ذلك هو الجسر الذي أفضى به إلى الحملة [عام ٢٠١٦]".

1 Trump, *Time to Get Tough*, 166

٢ مقابلة ترامب مع فيشر.

3 Trump, on *Larry King Live*, CNN, February 27, 2004.

٤ مقابلة ترامب مع فيشر.

٥ مقابلة مع دود.

مع تزايد عدد مشاهدي برنامج "المتدرِّب"، ازداد انخراط ترامب في عمليات الإنتاج والترويج. وبمرور الأسابيع، كان يزداد جدية بشأن البرنامج، وصار يكرّس له وقتاً طول. بدأ يدرس عن كثب السمات الديموغرافية لجمهور المشاهدين. قال غاسبن: "استوعب كل دقائق البرنامج. صحيح أنه لم يأخذه على محمل الجد في البداية، لكنه ما إن وضع قدمه على ذلك المسار، حتى بذل فيه كل ما لديه من جهد... باختصار، أحب دور النجم التلفزيوني".[١] انخفض عدد مشاهدي البرنامج انخفاضاً كبيراً في المواسم التالية، وخصوصاً عندما أضافت الشركة نسخة من بطولة مارتا ستيوارت (عُرضت الحلقة الأولى من برنامجها بعد إطلاق سراحها بستة أشهر). عندما أُلغي برنامج "المتدرِّب" الذي كانت تظهر فيه مارتا بعد موسم واحد، بعث لها ترامب رسالة شامتة قال فيها: "كان أداؤك مريعاً... توخي الحذر وإلا فسوف أعد برنامجاً صباحياً، وقد أُطلِق عليه اسم غرفة مجلس الإدارة، وأقضي على العدد الضئيل من مشاهديك!".[٢]

عندما أصبح البرنامج، في موسمه الأول، على قائمة البرامج العشرة الأكثر مشاهدة، انهالت العروض على ترامب للظهور في برامج حوارية كما لم يحدث من قبل. حجز دود ترامب للظهور في البرنامج الحواري الصباحي الأسبوعي الذي يقدمه دون إيموس Don Imus لمدة عام ونصف العام. كان ظهوره في البرامج، في البداية، بهدف الترويج لبرنامجه التلفزيوني، لكن ترامب شرع فجأة بالحديث حول السياسة. لم يكن يخطر ببال المشاركين معه في "المتدرِّب" أن ترامب سيترشح للرئاسة حقاً، لكنهم يتذكرون أنه رسم خطاً مباشراً من نجاح البرنامج إلى إمكانية وضْع أعلى منصب في الدولة هدفاً له. قال بيرنت: قال ترامب أكثر من مرة، قد أرشح نفسي للرئاسة".[٣]

حوّل البرنامجُ ترامب من ثري متبجح، مر بأسوأ عشر سنوات من حياته، إلى رمز غير متوقَّع للحديث الجدي، إلى مبشّر بتعاليم النجاح الأميركي، إلى إنسان ذي رأي يتمسك بالمعايير في بلد انزلقت، نوعاً ما، إلى مستوى توزيع الجوائز على الأشخاص

١ مقابلة مع غاسبن.

2 Trump open letter to Martha Stewart, quoted in Keith Naughton, "You Were Terrible," *Newsweek*, February 20, 2006.

٣ مقابلة مع بيرنت. عندما سئل هل كان يدعم ترامب للرئاسة، اكتفى بيرنت بالقول: "لا أفقه شيئاً في السياسة لكنني كنت أتسلى كثيراً – كثيراً جداً – بمراقبة السياسيين".

لمجرد حضورهم مناسبات عامة. قبل ترامب، كانت قواعد برامج الواقع تنص على أن البرنامج التلفزيوني يجب أن يكون إيجابياً وملهِماً، لا سلبياً. لكن ترامب غيّر القواعد، كما قال غاسبن. كان بوسع ترامب، شأن سيمون كويل Simon Cowell، الذي يظهر في برنامج American Idol، أن يكون ملهِماً وسلبياً في الوقت نفسه: شخص يصرح بالحقيقة ولا يصلح للسياسة. قال غاسبن: "كان ترامب أميناً قاسياً لكنه صادق. لم يكن ليقول أنت ماهر في عملك عندما لا تكون ماهراً". ورغم أن المشاهدين الملتزمين البرنامجَ كانوا يجدون متعة في أسلوب ترامب الفظ الحاد – كان أحياناً يذلَ المتسابقين الخاسرين – فإن المعجبين بالبرنامج كانوا يرون في ترامب أيضاً ملياردير اً ذا مشاعر إنسانية، عابثاً أحياناً، وراغباً في أحيان أخرى في تغيير رأيه دون انتظار.

كان برنامج "المتدرِّب"، قبل كل شيء، يقدم صورة عن المدير – المضيف بوصفه شخصاً كفوءاً وجديراً بالثقة، يمارس سلطته ويحقق نتائج فورية. كانت المقارنة بالسياسة تبدو واضحة، وقد لاحظ بيرنت ذلك عملياً عندما حصلت عدة بلدان على امتياز تقديم برنامج مماثل في كل أنحاء العالم. لقد تحوّل مقدمو النسخ الأجنبية من "المتدرِّب" إلى مشاهير ذوي طموحات سياسية. قال بيرنت: "الكل يلاحظون ذلك". تكوّنت لدى صاحب فكرة البرنامج قناعة بأن ترامب إذا ترشح للرئاسة، فلن يكون ذلك بسبب "المتدرِّب"، ولكن دون هذا البرنامج، لم يكن الترشيح ليحدث

> يريد الناس سماع الحقيقة دون تزويق، الأسلوب نفسه الذي كان يتصرف به في البرنامج... إمكانية التصريح بما يفكر به بوضوح، لا أن يخفض صوته بالأسلوب التلفزيوني الصحيح من الوجهة السياسية.[1]

عارض ترامب في البداية الفكرة القائلة إن البرنامج لعب دوراً مهماً في إلهامه قرارَ الترشيح، وفي اهتمام الناخبين بحملته. كان يقول إنه كان مشهوراً قبل عرض البرنامج. وكان يسارع إلى استعراض نِسَب المشاهدة في البرامج التلفزيونية الأخرى التي ظهر فيها، والمجلات التي زينت صورتُه أغلفتِها، والكتب الرائجة التي نشرها، ثم يعود ليقول إن برنامج الواقع هذا "كان مستوى مختلفاً من الإطراء، أو من الاحترام، أو

١ المصدر نفسه.

الشهرة. كان مستوى مختلفاً في الواقع. لقد رشحت نفسي لأعيد لأميركا عظمتها، لكن الشهرة ساعدتني، هذا صحيح".[١]

أشبع برنامجُ "المتدرِّب"، على الأقل، نهمَ ترامب للحصول على تقدير الناس. لاحظ غاسبن لدى نجمه، وجودَ "حاجة قوية إلى لحصول على تأييد الناس. قال: كان يتصل بي كل يوم، ما هي نِسَب المشاهدة؟، كانت تلك النِسَب تستثير حماسته". وإذ يتذكر بعض كبار المديرين التنفيذيين في البرنامج السنوات الأولى التي عُرِض فيها، رأوا في توجّه ترامب إلى السياسة والانتخابات جهداً من جانبه ليعيش ثانية نشوة تلك الشهور الأولى التي أحاطه الناس فيها بالتقدير بعد عرض الحلقة الأولى من البرنامج. قال دود: "كان البرنامج أشبه بالسحر، وهذا ما يحاول أن يعيشه من جديد".

مع ارتفاع نِسَب المشاهدة إلى مستويات عالية، كان ترامب يستكشف أساليبَ لتوسيع علامته التلفزيونية المميزة. ففي عام ٢٠٠٧، أعلنت Fox أن ترامب سيكون المنتج المنفذ لبرنامج يحمل اسم Lady or a Trump، وهو من نوع برامج المسابقات الواقعية، إذ يجري إرسال "فتيات عابثات يتسمن بالفظاظة والفجاجة" إلى مؤسسة لتدريس الإتيكيت يُعاد فيها تعليمهن أصول الآداب الاجتماعية. فبعدما حلقت بريتني سبيرز شعر رأسها، وبعد كل تلك العناوين الفاضحة حول ليندسي لوهان Lindsay Lohan وباريس هيلتون Paris Hilton، كان ترامب سيعاود لعب دوره في برنامج "المتدرِّب"، ليكون حَكَماً[٢] يقيّم تطوّر المتسابقات. لكن البرنامج لم يرَ النور.

كما عرض ترامب فكرة إعداد إحدى الشبكات سلسلة درامية مستَلهمة من حياته وأعماله. كانت فكرة البرنامج، الذي كان سيحمل اسم The Tower "البرج"، هي أن يكون بمنزلة برنامج The West Wing بالنِسَبة إلى مجال الأعمال العقارية، إذ تطمح الشخصية الرئيسية فيه إلى تحقيق التميز، وتتوق إلى الربح، وتسعى إلى بناء أعلى بناء في العالم. عُهد إلى غيه والش Gay Walch، وهي كاتبة تلفزيونية معروفة في هوليوود، كتابة الحلقة الأولى التجريبية[٣] من السلسلة، فصوّرت شخصاً استثنائياً صاحب عائلة ذات تركيبة معقدة، أباً لولدين ناضجين، وله زوجة سابقة موظفة لديه.

---

١ مقابلة ترامب مع فيشر.

2 Stephen Zeitchik, "Trump's 'Lady' Comes to Fox," *Variety*, June 12, 2007.

٣ مقابلة غيه والش مع مارك فيشر، كانون الثاني/يناير، ٢٠١٦.

اقتبست الكاتبة بعض المشاهد من الكتب التي نشرها ترامب بما في ذلك الخدعة البارعة التي استخدمها في أتلانتيك سيتي لإبهار مستثمرين محتملين، وذلك عندما طلب من عمال لديه نقل التراب من مكان لآخر للإيحاء بأن الموقع كان يضج بالنشاط رغم أن العمل كان متوقفاً هناك.

عندما قابلتْ والش ترامب للتباحث بشأن برنامج "البرج"، لم يكن لديه اعتراض على ما أنجزته من عمل، ولا حتى على تصوير الشخص الشبيه بترامب على أنه لا يتورع عن أي شيء. قال والش: "أبدى احتراماً شديداً لعمليتي الإبداعية. لم يبدُ عليه أنه يرغب في تسيير الأمور على هواه. استمع لما أقوله بصدق، كان يصغي بدقة". أعطى ترامب ملاحظة واحدة فقط: كان يريد أن يكون لقب الشخصية الرئيسية هو بارون. قال والش، لا مشكلة. برنامج "البرج" سوف يحكي قصة جون بارون: الاسم الذي كان ترامب، لسنوات، يستخدمه عندما يتصل بوسائل الإعلام لإعطائهم معلومات تساعدهم على كتابة مقالات حول ترامب. لم يرَ البرنامج النور؛ قال مديرو الشركة إنه لم يكن بالعظمة الكافية.[1]

عام ٢٠١٥، بعدما كان قد مضى أربعة عشر عاماً على مشاركة ترامب في برنامج "المتدرِّب"، أعلنت شبكة NBC أنها سحبت منه دور المضيف في البرنامج "بسبب التصريحات التحقيرية الأخيرة التي أطلقها دونالد ترامب بحق المهاجرين" (رداً على ذلك، هاجم ترامب الشبكة هجوماً عنيفاً، قائلاً إنها شبكة "من الضعف والحمق إلى حدّ أنها لا تدرك مشكلة الهجرة اللاشرعية الخطيرة". ظل ترامب، حتى بعدما أصبح مرشحاً رئاسياً، يحب الظهور بانتظام في أوقات البث التلفزيوني الرئيسية. صرح أنه لا يزال راغباً في إنتاج برنامج "البرج". قال عام ٢٠١٦: "سوف أنفذ ذلك البرنامج بعد أن أعرف إلى أين يقودني الترشيح الحالي. إذا نجحت، فلن أتمكن بالطبع من فعل ذلك. لن يتوفر لدي الوقت، إضافة إلى أن ذلك لن يكون لائقاً". كان واضحاً أن ترامب يود الحديث عن برنامج "المتدرِّب"، لكن كان عليه أن يستقل الطائرة. مع ذلك، قبل إنهاء المكالمة، سأل المراسلَ الموجود على الطرف الآخر من الخط: "إذاً، سوف يظهر شوارزينيجر Schwarzenegger، في المتدرِّب. هل تعتقد أنه سينجح؟

١ مقابلات مديري الشركة مع مارك فيشر، كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٥.

آمل ذلك. كان الرجل يعمل في السياسة. في النتيجة، قد يتمكن من تحقيق النجاح في هذا البرنامج أيضاً".[1]

إذا استعرضنا حالات الظهور الأولى لترامب في الصفحة السادسة من صحيفة **نيويورك بوست**، وفي برنامج The Howard Stern Show، وضمن مقابلات المشاهير التي تجريها باربرا والترز، نلاحظ أن كان ترامب دائماً يفخر بأنه يعرف كيف يستقطب الاهتمام، يعرف كيف يغذي نَهَم وسائل الإعلام إلى قصص تتعلق بالثروة والجنس والنزاعات، وكيف يمزج بين الموضوعات الثلاثة بمهارة. فالتسلية بالاستثمار في عروض برودواي، والظهور بأدوار قصيرة بارزة في المسلسلات التلفزيونية والأفلام، كان كل ذلك يبدو أقرب إلى البِدَع، وكان يصلح لأن يكون دفقات سريعة من عصارة الشهرة. لكن برنامج "المتدرِّب" كان بمنزلة التطوّر المتواصل للشخصية: خط من الطاقة يصل مباشرة إلى الوعي الأميركي، جسر مهم للتحول من متعهد بناء البيوت إلى رجل سياسة. كانت المسألة مسألة وقت فقط، قبل أن يبدأ ترامب استغلال مهارته كرجل استعراض، ولكن ليس لبيع الشقق وملء غرف الفنادق فقط، بل للذهاب بعلامته المميزة صوب مجالات باهرة.

---

١ مقابلة ترامب مع فيشر.

الفصل الثالث عشر

لعبة الاسم

بنى دونالد ترامب صيته من بيع العقارات لكن الشيء الذي دوماً رغب في تسويقه كان دونالد ترامب. أخيراً، حوّلته نجوميته في تلفزيون الواقع إلى علامة تجارية مألوفة، وكان مصمماً على الاستفادة مالياً من هذا الوضع. كان قد بدأ العمل في هذا المجال قبل انطلاق برنامج "المتدرِّب". ففي منتصف عام ٢٠٠٣، وضع نصب عينيه مارك هاغر Mark Hager، وهو شخصية ثانوية في عالم تراخيص الثياب. كان هاغر قد سبق له إبرام صفقة ثياب مع مغني الراب نيللي Nelly[١]، لكن خبرته في العلامات التجارية المشهورة كانت محدودة. مع ذلك، كان هاغر يتعامل مع محامٍ يتعامل معه ترامب، وفي النتيجة، استفاد من هذه الصلة بينهما لتدبير موعد يقدم فيه عرضاً بمشروع مشترك.[٢] بينما كانت سيارة الأجرة التي تقل هاغر تشق طريقها في شوارع مانهاتن المزدحمة، وكان يراجع في ذهنه العرض الذي سيقدمه، تلقى مكالمة من صديقه المحامي. طرأ تغيير في اللحظة الأخيرة: لم يعد ترامب[٣] مهتماً بالعرض الذي سيناقشه هاغر. كان لديه اقتراحه الخاص.

وجد هاغر ترامب في مزاج مسترخٍ. تحدث ترامب عن دوره كشخصية رئيسية

١ شهادة مارك هاغر: March 3, 2011, *ALM International Corp. v. Donald J. Trump*, 12.

٢ المصدر نفسه.

٣ المصدر نفسه.

في البرنامج الجديد وتنبأ بأن "المتدرِّب" سيحقق نسب مشاهدة مذهلة. كان يتصور أن الشركات ستدفع نقوداً لقاء وضع اسمه على المنتجات المعروضة في البرنامج. أخبر هاغر أنه سيباشر بأزياء الرجال[1]: قمصان، وربطات عنق، وبذلات تحمل طابع المدير الأميركي التقليدي الذي يتبناه منذ عقود. ومن ثَمَّ سينتقل إلى العطور والمياه، وكل ما يمكن تسويقه تحت علامة ترامب التجارية.

عرض ترامب على هاغر أجر سمسرة[2] إذا أفلح في إقناع شركة مشهورة في عالم الثياب بإبرام صفقة تكون الفاتحة لأكثر من عشرين صفقة منح تراخيص[3]. قبِل هاغر التحدي لكنه اكتشف أن مسؤولي صناعة الثياب لم يكونوا يشاطرون ترامب رؤياه. بعد انطلاق برنامج "المتدرِّب" بمدة قصيرة، في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤، عرض نائب هاغر، جيف دانزر Jiff Danzer، الفكرة أمام Phillips–Van Heusen، وهي شركة ملابس مهمة كانت تصنع الملابس لشركة Calvin Klein. ضحك المسؤول عن منح التراخيص في الشركة.[4] فقد كان هذا المدير التنفيذي في مجال صناعة الملابس، كما يتذكر دانزر، لا يرى في ترامب تلك الشخصية القوية داخل غرفة مجلس الإدارة، وهو الدور الذي كان يمثله في البرنامج التلفزيوني، بل يرى فيه الشخصية التي كان عليها[5] في الثمانينيات والتسعينيات: الرجل العابث الذي تلاحقه صحف الشائعات، المعروف بنوبات غضبه في مواجهة حالات إفلاس عدد من مشاريعه. هل هناك ثمة من يرغب في ارتداء ثياب حسب ذوقه؟

أرسل[6] دانزر، الذي لم يثنه الرفض، نسخة عن مقالة نشرت في **نيويورك بوست**

---

١ مقابلة مع مدير ملم بصفقة الثياب مع فيليبس–فان هاوزن، أجرتها روزالند هيلديرمان، **واشنطن بوست**، ٣ نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٢ شهادة هاغر، ٥٠. أثناء مقاضاة لاحقة، شهد ترامب أنه وافق على دفع أجر لشركة هاغر إذا سمسرت لصفقة بشروط معينة، لكن كان هناك جدل بشأن مدى تطبيق تلك الشروط. انظر:
Testimony of Donald J. Trump, April 15, 2013, *ALM International Corp v.Donald J. Trump*, trial transcript, 520–21.

٣ شهادة كاتي غلوسر:
March 8, 2011, *ALM International Corp. v. Donald J. Trump*, 135.

٤ شهادة جيف دانزر:
April 15, 2013, *ALM International Corp v. Donald J. Trump*, trial transcript, 593.

٥ المصدر نفسه، ٥٩٥.

٦ المصدر نفسه.

تحمل عنوان "نجاح برنامج 'المتدرِّب' سيوفر لترامب على الأرجح ثروة جديدة"، إلى المدير في شركة Phillips–Van Heusen. بعدما شرحت المقالة كيف أن البرنامج سيعطي علامة ترامب التجارية دفعاً "لا يقدر بثمن"، أورد ما قاله أحد كبار العاملين في مجال الإعلانات، وهو دوني دويتش Donny Deutsch، إذ قال: "كان اسم ترامب على الدوام يحمل بريقاً استثنائياً[1]، لكنه كان يفتقر إلى عامل المحبة الشخصية الذي نتعرف عليه في البرنامج. كانت تلك العلامة دائماً علامة فائقة الجودة؛ الآن أصبحت فائقة الجودة ولكن ترافقها ابتسامة".

بحلول نيسان/أبريل، وبعد الحلقة النهائية من "المتدرِّب"، لم يعد أحد يسخر من فكرة قمصان أو ربطات عنق أو عطور أو زجاجات ماء تحمل علامة ترامب التجارية. شجع النجاحُ ترامب على إنشاء قسم للتراخيص داخل شركته. بدلاً من تكليف هاغر هذه المهمة. يتذكر دانزر المحادثة التي دارت بينه وبين ترامب، قال ترامب: "كل شيء يندرج ضمن مجال أعمالي، وكل شيء يخرج عن هذا النطاق، وكل ما يتصل بصورتي العامة [كل ما يتعلق بعلامته التجارية] كل ما نقوم به هنا يظل تحت سيطرتي. أنا أقوم هنا على كل شيء.[2] سأدير شؤون تراخيصي بنفسي. شكراً لك".

استحدث ترامب منصباً جديداً هو منصب النائب التنفيذي لمدير التراخيص الدولية، وعهد به إلى كاتي هوفمان غلوسر Kathy Hoffman Glosser، التي عملت في مجال التراخيص لعقدين من الزمن، بما في ذلك الترويج لمؤسسة Marvel Entertainment، حيث وضعت رسوم الرجل العنكبوت[3] على ثياب نوم الأطفال. كان عليها الآن وضع اسم ترامب على الفودكا والصابون. لكن برزت تعقيدات. كان دانزر لا يزال يفاوض Phillips–Van Heusen، وكان ترامب يريد عقد صفقة[4] مع تلك الشركة المهمة في مجالها لإنتاج قمصانه وربطات عنقه. لكن الشركة كانت

1 Paul Tharp, "'Apprentice' Buzz Likely to Mint Trump a New Fortune," *New York Post*, February 11, 2004.

٢ شهادة دانزر، ٦٤٢–٦٤٣.

٣ شهادة غلوسر، ٩.

٤ شهادة دانزر،٥٩٦.

تلتزم الحذر[1] لأنها كانت قد أوقفت للتو منتجات تحمل اسم ريغيس فيلبن Regis Philbin، لأنها تلاشت سريعاً رغم شعبية برنامجه التلفزيوني Who Wants to Be a Millionaire. لجأ ترامب إلى استخدام أقوى وسائله: شخصه. في آب/أغسطس ٢٠٠٤، أعلن ترامب رغبته في مقابلة مديري الشركة.[٢] وبدلاً من استدعائهم إلى برج ترامب، كما درجت العادة، عرض أن يزور مقر شركة القمصان الكائنة في غارمنت ديستريكت. قال مارك ويبر Mark Weber الذي كان مديراً تنفيذياً آنذاك: "شعرت بالذهول".[٣] وصل ترامب إلى مقر مكاتب الشركة، وكان يتصرف بالطريقة التي يتصرف بها في البرنامج التلفزيوني، وشرع يتملق شركاءه المستقبليين.

قال ترامب لويبر: "أنا فعلاً أحترم ريغيس وأحبه.[٤] لكنني أمثل علامة. وأنا بصدد إنشاء علامة. كل ما أفعله، أفعله بأفضل نوعية، وبأرقى ذوق. ولهذا أود عقد صفقة عمل مع شركتكم". كلما ازداد إصرار ويبر[٥] على أن الصفقة لن تنجح، تصاعد الضغط الذي كان يمارسه ترامب. قال له ترامب: "سوف تكسب الشركتان المال. سوف تنجح الصفقة". لدى انتهاء الاجتماع، نظر ترامب إلى غلوسر، التي وظفها أخيراً في منصب مدير التراخيص، وقال لها: "اعملي على أن يتحقق ذلك".[٦]

رغم كل أعباء البرنامج التلفزيوني، خصص ترامب وقتاً لدعم منتجه الجديد. عندما أزاحت شركة الملابس الستار عن غرفة عرض صغيرة في مقرها لعرض منتجاتها الجديدة التي تحمل اسم دونالد ج. ترامب، فاجأ ترامب وميلانيا، ويبر بزيارة، صافحا خلالها الموجودين ووقّعا باسميهما لمن يرغب. كان الحدث حفلة داخل الشركة. كان الصحافي الوحيد الذي دُعي إلى تلك المناسبة يعمل لدى

---

1 Mark Weber, *Always in Fashion: From Clerk to CEO-Lessons for Success in Business and in Life* (New York: McGraw-Hill, 2015), 71.

٢ مقابلة مارك ويبر مع روزالند هيلدرمان، **واشنطن بوست**، ٨ آذار/مارس، ٢٠١٦.

٣ المصدر نفسه.

٤ المصدر نفسه.

٥ Weber، *Always in Fashion*، ٧٢.

٦ شهادة كاتي غلوسر، ١٠ نيسان/أبريل ٢٠١٣:

ALM International Corp v. Donald J. Trump, trial transcript, 111.

قدم ترامب رواية مماثلة في شهادته في القضية: "طلبت من كاتي غلوسر إبرام الصفقة ومعرفة هل كانوا يستطيعون الحصول على صفقة من فيليبس فان هاوزن". شهادة ترامب، ١٥ نيسان/أبريل، ٢٠١٣، ٥١٩-٥٢٠.

صحيفة *Women's Wear Daily*. يتذكر ويبر أنه سأل ترامب: "دونالد، لماذا تفعل ذلك؟".

أجاب ترامب: "لأنني أريد أن أربح،[1] وسوف أفعل كل ما يتطلبه ذلك".

ظلت شركة Phillips–Van Heusen طوال أحد عشر عاماً تصنّع الثياب لترامب، وتتعاقد مع معامل[2] في الصين وهندوراس وبنغلاديش، ودول أخرى، حيث كان العمال الذين كانوا يتقاضون أجوراً زهيدة يطرزون اسم ترامب على ياقات آلاف القمصان. لم يسهم ترامب بأي أموال. كانت الشركة تدفع له نسبة عن المبيعات أي أكثر من مليون دولار سنوياً.[3]

ظهرت الملابس الرجالية[4] التي تحمل علامة ترامب، بالطبع، في إحدى حلقات برنامج "المتدرِّب". كذلك ظهر في البرنامج نوع جديد من الماء المعلب في زجاجات Trump Ice، وTrump Success وهو نوع جديد من العطور. استغل ترامب شعبية البرنامج للحصول على ترخيص باسمه لتصنيع الملابس وربطات العنق والأثاث المنزلي والنظارات ومحافظ الجيب، وحتى الفراش. ظلت تلك المنتجات رائجة لسنوات.[5] كانت المنتجات التي تحمل اسم ترامب تُعرض بشكل ظاهر في مركز تسوق Macy's، وهو متجر يؤمه مشترو الطبقة الوسطى ممن يسعون إلى اقتناء منتجات راقية. بحلول عام ٢٠١٦، كان ترامب يحصل على دخل من

1 Weber, *Always in Fashion*, 73.

2 Rosalind S. Helderman and Tom Hamburger, "Trump Has Profited from Foreign Labor He Says Is Killing U.S. Jobs," *Washington Post*, March 13, 2016.

3 Executive Branch Personal Public Financial Disclosure Report (OGE Form 278e), Donald J. Trump, July 22, 2015, 21.

4 Trump menswear: *The Apprentice*, season 10, episode 8, "Dressed to Kill," original airdate November 4, 2010; Trump Ice: *The Apprentice*, season 1, episode 8, "Ice Escapades," original airdate February 26, 2004; Trump Success: *The Apprentice*, season 12, episode 10, "Winning by a Nose," original airdate April 22, 2012.

٥ في وصْف بصفحة واحدة لأصوله، عام ٢٠١٥، ادّعى ترامب أن قيمة اسمه، وحدها، تبلغ ثلاثة مليارات دولار. في تحليل أجرته واشنطن بوست للكشف الذي قدمه ترامب إلى "لجنة الانتخابات الفيدرالية" وجدت أنه يذكر أن دخله يبلغ ما بين ٦,٠٢ مليون دولار و٣٤,١٥ مليون دولار من العقارات والسلع الاستهلاكية التي منحها تراخيص اسمه، ما بين تموز/ يوليو – أيار/ مايو ٢٠١٦. انظر:

Tom Hamburger, "Trump's Financial Claims Short on Details, Long on Exaggerations," *Washington Post*, June 16, 2015.

خمس وعشرين صفقة تراخيص مختلفة،[1] وقال إنه حصل على حصة ملكية في عشرات الشركات الأخرى التي يبدو أنها أُسِّست لإعطاء التراخيص في جميع أنحاء العالم، وفي ذلك إشارة إلى حجم طموحه. كانت نظرية ترامب في ما يتعلق بعلامته التجارية أن كل ما يمكن أن يُباع، يمكن أن يُباع وهو يحمل اسمه... مقابل أجر بالطبع. لكن ذلك قاده إلى عدة مآزق غريبة. فقد أخفق مشروع بيع Trump Steaks[2] في Sharper Image، وهو متجر لبيع أجهزة ذات تقنية عالية، يوجد في عدد من مراكز التسوق في الضواحي.

عندما كان ترامب يمنح اسمه كعلامة تجارية دون الإسهام بالمال، كان غالباً ما يتمكن من تحقيق أرباح كبيرة حتى في حال فشل المشروع. ومكنه هذا الأسلوب الجديد في العمل من الصمود في وجه الانهيار الاقتصادي العالمي. في البداية، تمكنت صفقات التراخيص التي كان يعقدها من كسب المال السهل الذي كان يتدفق خلال الازدهار الاقتصادي في العقد الأول من الألفية الجديدة عندما كان المستهلكون يملكون نقوداً جاهزة للإنفاق على المنتجات التي تحمل اسم ترامب والتي تظهر بمظهر السلع الفاخرة، وكانت المصارف تتلهف لتمويل مشاريع التطوير العقاري ذات الكلفة المرتفعة. وضمن إستراتيجيته الجديدة، استفاد ترامب من الدمار الذي سببته الأزمة الاقتصادية التي تلت. في أسوأ الأحوال، سمحت له التراخيص بالخروج من الصفقات التي انهارت نظراً إلى انكماش النشاط التجاري، بعدما ملأ جيوبه بمبالغ طائلة. كانت بصيرته الأساسية تملي عليه تجنب إنشاء مشروع واحد في كل مرة وتوسيع طموحه لكي يبني إمبراطورية: سلسلة من الكيانات الصغيرة التي تحمل اسمه دون الاعتماد على أمواله. كانت أعماله هي علامته التجارية المميزة. كان الأمر أشبه بامتلاك كازينو: لدى إدارته بصورة جيدة يربح. أما المقامرون، فهم الأشخاص الذين يدفعون له لقاء حق استخدام اسمه. ترامب لا يمكن أن يخسر.

قلة فقط من المشاريع التي تحمل اسم ترامب حظيت بالاهتمام، أو أحدثت

١ استمارة الكشف المالي الشخصية لدونالد ترامب، مودعة لدى "لجنة الانتخابات الفيدرالية"، ٢٠١٦.

2 Natasha Geiling, "A Definitive History of Trump Steaks," *Think Progress*, March 4, 2016.

جدلاً، بالقدر الذي حظي فيه سعي ترامب إلى تثقيف الجماهير بأسلوبه الخاص.

***

في أحد أيام الربيع الماطرة من عام ٢٠٠٥، استدعى ترامب الصحافيين إلى مؤتمر في ترامب بار، الكائن في الطابق الأرضي من برج ترامب، قرب ترامب غريل Trump Grill، وذلك على بعد خطوات من ترامب آيس كريم بارلور Trump Ice Cream parlor، وترامب ستور Trump Store، الذي كان يسوّق لعطر جديد للرجال تحت اسم دونالد ترامب: Donald Trump, The Fragrance[1]. في المؤتمر، كشف ترامب عن جامعة ترامب Trump University، وهي مُنتج يحمل علامة تجارية ذات هدف نبيل في الظاهر: "ما أود قوله هنا، هو أنني لو خُيِّرتُ بين كسْب المال أو نشر التعليم، فإنني أعتقد أن نشر التعليم يسعدني بالقدر الذي يسعدني فيه كسب المال".[2] في ذلك الوقت، كان سوق الإسكان مزدهراً، وكان الناس العاديون يرون في الاستثمار في العقارات درباً سهلاً للثراء. وعد ترامب بأن جامعته ستبين لهم الوسيلة. قال في الفيلم الترويجي: "في جامعة ترامب، نعلِّم أساليب النجاح.[3] هذا هو الهدف الأساسي، النجاح". لم يكد يمض بعض الوقت على افتتاح الجامعة حتى لحق الضعف بسوق العقارات، ثم انهار. بدلاً من أن تغلق الجامعة أبوابها غيّرت توجهها. بدأت تعليم الناس كيفية كسْب المال في مرحلة كساد السوق. ورد في أحد الإعلانات عن Trump University وقد نُشر في صحيفة صادرة في سان فرانسيسكو عام ٢٠٠٩: "تعلموا من خبراء انتقاهم دونالد ترامب بدقة، كيف تستطيعون أن تكسبوا من أكبر عملية في

1 Stevenson Swanson,"Trump Becomes Institution, Mogul Launches Online Education Enterprise," *Chicago Tribune*, May 24, 2005.

٢ المصدر نفسه.

3 Tom Hamburger and Rosalind S. Helderman, "Trump Involved in Crafting Controversial Trump University Ads, Executive Testified," *Washington Post*, May 31, 2016. See also *Washington Post* video by Peter Stevenson: https://www.washingtonpost.com/politics/trump-involved-in-crafting-controversial -trump-university-ads-executive-testified/201631/05//f032a488-2741-11e6-ae4a-3cdd5fe74204_story.html

التاريخ لتصفية موجودات عقارية".[1]

كان ضغط المبيعات كبيراً. بدأ الأمر عبر حلقات دراسية مجانية، كتلك التي عقدت، عام ٢٠٠٩، في فندق Holiday Inn على أطراف مدينة واشنطن. خارج باب قاعة الحفلات، وُضعت لوحة كبيرة كُتب عليها "ترامب لا يفكر سوى في الأمور العظيمة". داخل القاعة، استمع المستثمرون العقاريون الطامحون للمقدمة الموسيقية لبرنامج "المتدرِّب" ولأغنية فرقة O'Jays الكلاسيكية "For the Love of Money". أمسك أحد المدرسين في جامعة ترامب الميكروفون وصرخ: "والآن، هل أنت جاهزون لتكونوا ترامب التالي، مليونير العقارات؟ نعم أم لا؟"، رد الحضور بحماسة فاترة، حاول المدرس مرة أخرى: "فلنهدم سقف هذا المبنى بصراخنا. أنتم أفضل الناس في العالم. إذاً، هل أنتم جاهزون لتكونوا ترامب التالي، مليونير العقارات، نعم أم لا؟".

"نعم!".

حضر تلك الحلقات الدراسية المجانية التي نُظمت خلال أسبوع في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٩ خمسمئة من سكان واشنطن. أصغى هؤلاء إلى المحاضرين وشاهدوا أفلاماً، فيما كان فريق المبيعات العامل لدى ترامب يعدهم بكشف أساليب الربح من الانكماش الجاري في سوق العقارات. كان المدرسون يقولون للطلاب المحتملين في إحدى الحلقات الدراسية المجانية، في معرض تعليمهم كيفية الاستثمار في العقارات، إنه في حال وجود مبلغ ضئيل من المال أو فقدانه: "اعثر على العقار، نفذ جولة سريعة فيه، ثم انسَ أمره. لا يتوجب عليك امتلاك عقار، عليك أن تسيطر عليه فحسب".[2] خلال تلك الحلقات، استمع الطلاب مراراً لأحاديث حول انخراط ترامب شخصياً في توظيف الأساتذة وتطوير المنهاج.

خلف الكواليس، كان العاملون في الجامعة قد تلقوا إرشادات حول كيفية إثارة

1 Tom Hamburger, Rosalind S. Helderman, and Dalton Bennett, "Donald Trump Said 'University' Was All about Education. Actually, Its Goal Was 'Sell, Sell, Sell!' "*Washington Post*, June 4, 2016.

2 Ian Shapira, "In Downturn, Aspiring Moguls Turn to Trump U. for Wisdom," *Washington Post*, September 26, 2009.

الاهتمام و"وضع الطعم"[1] للزبائن الذين قد يرغبون في التسجيل في تلك الصفوف المُكْلِفة. وردت الإرشادات المتعلقة بإدارة الأحداث من ذلك النوع في "كتاب تعليمات" الموظفين، الذي يضم شرحاً مفصلاً لكيفية الضغط على الطلاب لاختيار الصفوف الأكثر كلفة. عدَّد كتاب التعليمات المذكورة، الطرق الكفيلة بإقناع الحاضرين في الحلقات الدراسية المجانية، وذلك بشراء بطاقة بقيمة ألف وأربعمئة وخمسة وتسعين دولاراً لقاء المشاركة في ورشة مدتها ثلاثة أيام: "ادفعهم للاعتقاد أنك عثرت على حل لكل مشكلاتهم وطريقة تساعدهم في تغيير نمط حياتهم".[٢] حثت التعليماتُ الموجودة في تلك الكتب فريقَ المبيعات على ممارسة مزيد من الضغط باقتراح أن الطلاب الذين يشاركون في المساق الذي يكلف ألفاً وأربعمئة وخمسة وتسعين دولاراً سوف يتاح لهم الانتقال إلى مساقات أعلى مستوى تضم مشرفين وتكلف ما بين تسعة آلاف وتسعمئة وخمسة وتسعين، وأربعة وثلاثين ألفاً وتسعمئة وخمسة وتسعين دولاراً. ملأ الطلاب استمارات طُلب منهم فيها ذكْر الأصول الشخصية التي يملكونها بالتفصيل، وذلك بحجة تقديم توصيات خاصة بكل طالب تساعده على الاستثمار. لكن كتب التعليمات السرية كشفت أن الهدف الحقيقي وراء الحصول على تلك التفاصيل المالية الخاصة بكل طالب هو تحديد الزبائن الذين يمثلون أهدافاً دسمة[٣] للبرنامج الذي يكلف أربعة وثلاثين ألفاً وتسعمئة وخمسة وتسعين دولاراً. في الأمسيات[٤] التي تلت اليوم الأول من الحلقات الدراسية، كان على الموظفين الاستفادة من البيانات المالية لتصنيف كل مشارك وفق الأصول المتوافرة لديه لإنفاقها على المزيد من برامج جامعة ترامب. كانت نصيحة "كتاب

1 "Trump University 2009 Playbook," 36; copies of "playbooks" released in *Cohen v. Trump*, 3:13-cv-02519-GPC-WVG, Order on Motion to Intervene, attachments 1-5, May 31, 2016. See also Hamburger, Helderman, and Bennett, "Donald Trump Said 'University' Was All about Education."

٢ المصدر نفسه، ص.٣٧.

3 "Trump University 2010 Playbook," 36. Copies of "playbooks" released in *Cohen v. Trump*, 3:13-cv-02519-GPC-WVG, Order on Motion to Intervene, attachments 1-5, May 31, 2016. The 2010 playbook was first published by *Politico*. See also Hamburger, Helderman, and Bennett, "Donald Trump Said 'University' Was All about Education."

4 Hamburger, Helderman, and Bennett, "Donald Trump Said 'University' Was All about Education."

التعليمات": "إذا كان بوسعهم دفع تكاليف برنامج النخبة الذهبية Golden elite، لا تسمحوا لهم بالتفكير في أي شيء خارج نطاق النخبة الذهبية".

كان بوب غيلو Bob Guillo، وهو متقاعد يعيش في لونغ آيلاند، واحداً من ستمئة شخص[١] دفعوا خمسة وثلاثين ألف دولار من أجل برنامج النخبة الذهبية، ودفع الحساب من بطاقته الائتمانية في حلقة دراسية في نيويورك. قال لاحقاً إن كل ما حصل عليه هو شهادة ترضية وصورته واقفاً بجانب مجسّم كرتوني لترامب. قال غيلو: "شعرتُ فعلاً أنني أحمق[٢] إذ سمحت لترامب بخداعي". أثار غيلو حفيظة ترامب[٣] عندما قال في إعلانات موّلها خصوم ترامب: "كنت أعتقد أنه يتصرف بصورة قانونية تماماً".[٤]

لم يكن غيلو وحده من شعر بالخديعة. أقام غيلو مع طلاب سابقين آخرين اثنتين من الدعاوى القضائية في كاليفورنيا تتعلقان بالصف. عام ٢٠١٣ أقام المدعي العام في نيويورك، إيريك شنايدرمان Eric Schneiderman،[٥] دعوى بقيمة أربعين مليون دولار ضد ترامب وجامعة ترامب، إذ ادّعى أن ترامب احتال على أكثر من خمسة آلاف شخص عبر برنامج يُقدَّم بوصفه جامعة رغم أنه لم يحقق الشروط المطلوبة في ولاية نيويورك لكي يُصنَّف مؤسسةً تعليمية (بعد مقاومة دامت لسنوات، ألغت الشركة كلمة جامعة من اسمها، وأعادت تسمية نفسها Trump Entrepreneur Initiative[٦] قبل وقت قصير من إغلاقها عام ٢٠١٠).

ذكرت الأطراف المُدعية أن الكثير مما قاله ترامب عن جامعته لم يكن صحيحاً.

---

١ تصريح مارك كوفيز Mark Covais لمعارضة تحرك المدّعين ترخيص الصف ولتعيين مجلس له، مودع في:

3:13-cv- 02519, *Cohen v. Trump.*

2 Emma Brown, "Donald Trump Billed His 'University' as a Road to Riches," *Washington Post*, September 13, 2015. Guillo was one of dozens of plaintiffs in a class action suit against Trump University. See also Jim Zaroli, "Trump University Customer: 'Gold Elite' Program Nothing but Fool's Gold," National Public Radio, June 6, 2016.

3 Adam Edelman, "Donald Trump Hits Back at Dissatisfied Trump University Students, Naming Two Who Appeared in Ads Bashing the 2016 GOP Front-Runner," *New York Daily News*, March 8, 2016.

4 Emma Brown, "Donald Trump Billed His 'University' as a Road to Riches."

5 New York state case 451463-2013.

6 Brown, "Donald Trump Billed His 'University' as a Road to Riches."

منذ الأيام الأولى للجامعة، قال ترامب عن أعضاء الهيئة التدريسية إنهم "أفضل الأفضل، يضمون أساتذة وأساتذة مساعدين... سوف أنتقيهم بنفسي".[١] ووصَفت المادة الإعلانية الجامعة، في استجداء وقح للزبائن، بأنها الموقع "الأفضل مباشرة" بعد موقع المتدرّب لدى ترامب. كان ترامب وفريق المبيعات في شركته يجتذبون الزبائن عن طريق تأكيد أن ترامب لم يكن ينوي الكسب حتى من الصفوف المُكْلفة. قال أحد المدرسين في حديث مسجّل[٢]: "ترامب ليس بحاجة إلى الألف والخمسمئة دولار التي تدفعونها".

وعد ترامب بأنه سيتبرع بالأرباح المتأتية عن جامعته للأعمال الخيرية، لكن لم يستلم أحد أي تبرع[٣] (قال آلان غارتن Alan Garten، محامي ترامب، إن ترامب كان ينوي التبرع بالعائدات للأعمال الخيرية،[٤] لكنه بدلاً من ذلك، أنفق المال للدفاع عن نفسه في تلك الدعاوى القانونية). في ما بعد، قال رئيس الجامعة مايكل سكستون Michael Sexton، إن ترامب لم ينتقِ المدرسين بعناية. وأضاف سكستون أنه لا يتذكر تدريس أي أساليب خاصة بترامب،[٥] عدا فرص الاستثمار التي يتيحها حبس الرهونات. وادعى طلاب سابقون شاركوا في الدعوى أن المدرّبين لم يكونوا يتمتعون بالدراية الكافية في مجال العقارات.[٦]

أنكر ترامب أكثر من مرة ارتكابه أي مخالفات، وأورد استطلاعات للرأي يقول فيها الطلاب، بمن فيهم غيلو، إنهم راضون تماماً عن الدروس. قال إن الطلاب "تلقوا

1 Hamburger, Helderman, and Bennett, "Donald Trump Said 'University' Was All about Education."

2 Brill, "What the Legal Battle Over Trump University Reveals About Its Founder," *Time*, November 5, 2015.

٣ المصدر نفسه. كانت مقالة بريل عن جامعة ترامب أول تقرير يذكر أن ترامب لم يفِ بوعده التبرع للأعمال الخيرية. أكد آلان غارتن لصحيفة واشنطن بوست أن أي عوائد لم تذهب إلى الأعمال الخيرية.

4 Hamburger, Helderman, and Bennett, "Donald Trump Said 'University' Was All about Education."

5 Michael Sexton deposition taken by office of New York State Attorney General, New York City, July 25, 2012. Sexton also said Trump did not pick instructors.

6 Hamburger, Helderman, and Bennett, "Donald Trump Said 'University' Was All about Education."

تلقوا تعليماً حقيقياً قيماً".[1] كما احتجّ بأنه قد منح اسمه للمساقات لكنه لم يتدخل في العمليات اليومية. وعندما قال له محامي المدّعين إن ٢٥٪ من الذين درسوا في جامعة ترامب طالبوا باستعادة نقودهم، قارن ترامب الجامعة بموقع الشراء عبر الإنترنت Home Shopping Network، التي كان لديها قوانين سخية لإعادة النقود، وفي النتيجة نسبة عالية من طلبات استعادة النقود: "زر موقع Home Shopping Network[2] أو مهما كان اسمه، ترى أن عدد حالات استعادة النقود لا يُصدق. يستخدم الناس المنتَج، ويرتدون المنتَج، ثم يعيدونه. لم أكن مضطراً إلى إعادة نقودهم. لقد أعدت ملايين الدولارات لأنني رجل شريف". أصر ممثلو ترامب، كما هو شأنهم في كل أجزاء إمبراطورية التراخيص التي تحمل اسم ترامب، أن حقيقة الحلقات الدراسية كانت ماثلة أمام عينَيْ أي مستهلك يتمتع بالذكاء. فالمساقات، إن شئنا الحق، نُظّمت في قاعات الحفلات في الفندق.[3]

***

بدأ عرض برنامج "المتدرّب" خلال مرحلة التنامي السريع لفقاعة العقارات في البلاد. حاول ترامب الاستفادة من الوضع مالياً ليس فقط بجامعته، بل أيضاً بالإغارة مجدداً على المشاريع التي تحمل علامة ترامب.

انتهى موسم عام ٢٠٠٧ من البرنامج ببث حي من هوليوود بوول Hollywood Bowl. بدا ترامب القابع خلف طاولة مجلس الإدارة التي غدت مألوفة، متواضعاً على غير عادته، فقد كان يعي أنه كان موجوداً في موقع سبَق لفرانك سيناترا Frank Sinatra أن أدى فيه أغانيه. عرض ترامب خياراً بين جائزتين[4] للشخص الذي سيختاره ليكون

1 Donald J. Trump Statement Regarding Trump University, June 7, 2016, https://www.donaldjtrump.com/press -re leases /donald-j.-trump -statement-regarding-trump-university

2 Tom Hamburger, Rosalind S. Helderman, and Alice Crites, "What Trump Said under Oath about the Trump University Fraud Claims-Just Weeks Ago," *Washington Post*, March 3, 2016.

3 Brown, "Donald Trump Billed His 'University' as a Road to Riches."

4 *The Apprentice*, season 6, episode 14, "Decision Time," original airdate April 22, 2007.

الفائز في هذا الموسم: كان أمام المتدرّب الجديد إما الإشراف على تنفيذ منتجع فخم ينيه ترامب في جمهورية الدومينيكان، وإما الإشراف على تنفيذ مشروع إنشاء مبنى يضم شققاً بارتفاع سبعة وأربعين طابقاً، كان من شأنه، كما تبجح ترامب، أن يعيد تشكيل الأفق في مركز أتلانتيك سيتي.

وبينما كان ترامب يعرض فيلماً يظهر رافعات الإنشاء وهي تخيم بظلها على شاطئ البحر الكاريبي وشوارع أتلانتا، فاتته الإشارة إلى أنه لا يملك أياً من الموقعين، ولم يكن مسؤولاً بصورة أساسية عن تعميرهما. كان فقط قد منح ترخيصاً باسمه للمتعهدين المسؤولين عن التطوير. لكن كلا المشروعين، اللذين كان يحاول التسويق لهما في الحلقة الأخيرة من "المتدرّب" في ذلك العام، تعثر في نهاية المطاف. فقد غدا مشروع ترامب تاور أتلانتا[1] قيد حبس الرهن عام ٢٠١٠. وظلت قطعة الأرض التي كان من المقرر تنفيذ المشروع عليها خالية لسنوات.

أما شركاء ترامب في الدومينيكان، فكانوا يكافحون بكل قواهم لتنفيذ مشروع المنتجع الفخم ولجعله واقعاً. كتب الشركاء رسالة إلى إيريك، ابن ترامب، يطلبون فيها منحهم مزيداً من الوقت لتحويل الدفعات الخاصة بالترخيص. قالوا في الرسالة:

> على غرار معظم مشاريع التطوير العقاري للبيوت التي يشتريها الناس إضافة إلى بيوتهم الأصلية، يمكن وصف وضعنا، في ما يتعلق بالنقد المتوفر، خلال السنة والنصف الماضية، بأنه محفوف بالخطر في أفضل الأحوال وأقرب إلى القفز من علو شاهق منه إلى الإدارة المالية الأصولية. أنت تتلقى الدفعات المالية أسرع[2] من أيٍّ من الدائنين الكبار أصحاب القروض ذات الضمانة.

ورغم أن ترامب كان قد حصل على ملايين الدولارات[3] من هذا المشروع، بما في

1 Douglas Sams, "Proposed Trump Towers Site Listed for Foreclosure," *Atlanta Business Chronicle*, February 15, 2010.

2 Letter from Fernando Hazoury to Eric Trump, December 28, 2009, entered as exhibit G to Document 27-4 in *Trump Marks Real Estate LLC v. Cap Cana S.A., et al.*, 1:12-cv-06440-NRB, filed January 17, 2013.

3 Complaint, Document 1, *Trump Marks Real Estate LLC v. Cap Cana S.A., et al.*, 1:12-cv-06440-NRB, filed August 23, 2012.

ذلك دفعة تصل إلى أربعة ملايين دولار لدى إبرام الصفقة، فإنه لم يتورع عن المقاضاة، عام ٢٠١٢، مدعياً أن مشروع الدومينيكان ما زال مديناً له بأربعة عشر مليون دولار. وتمت تسوية الدعوى عام ٢٠١٦.[١]

في نهاية المطاف، تسربت الدعاوى القضائية إلى كل أجزاء إمبراطورية تراخيص ترامب. واجه ترامب دعاوى أقامها أشخاص ممن خسروا دفعاتهم المالية الأولية في مشاريع خاسرة في بايا Baja، في المكسيك، وفي تامبا. بعد كل إخفاق لأحد المشاريع، كان ترامب وممثلوه يقولون إن الملياردير منح اسمه للمشروع فقط، وهو لا يتحمل أي مسؤولية اتجاه تنفيذه. وكان محاميه، غارتن، يقول إن دور ترامب في أعمال من هذا النوع كان واضحاً لكل من يقرأ الوثائق القانونية لكنّ عدداً من اتفاقات التراخيص[٢] كانت تضم عقوداً بالتعهد تجنبَ كشف أي تفاصيل تتعلق بصفقة منح التراخيص، أو حتى حول وجود صفقة كهذه. أحياناً، كان ترامب وابنه إيريك يقولان أيضاً إنهما نفذا استثمارات تضمن حقوق المساهم في مشاريع لم يستثمرا فيها أصلاً. قال ترامب في رسالة وجهها إلى **وول ستريت جورنال**، عام ٢٠٠٧، تتعلق بمبنى فندق وبرج ترامب إنترناشينال، في وايكيكي، في هاواي: "إن ملكية القسم الأكبر من هذا المبنى تعود إليّ،[٣] وأقوم أنا على تطويره". لم يكن ترامب يملك المبنى،[٤] ليس بجزئه الأكبر، ولا بأي جزء آخر. كما لم يكن يطوّره. وحينما سُئل عن هذا التناقض،[٥] صرح في شهادة تحت القَسَم بأنه يملك "اتفاق ترخيص متين بوجه يمكن تصنيفه نوعاً من أنواع الملكية".

بعد أشهر من مواجهة ترامب بهذا التصريح، أعلن ابنه إيريك في مؤتمر صحافي في

1 Stipulation of Voluntary Dismissal, Document 32, *Trump Marks Real Estate LLC v. Cap Cana S.A., et al.*, 1:12-cv-06440-NRB, filed June 10, 2013.

2 E.g., License Agreement between Trump Marks Real Estate LLC and Cap Cana S.A., February 16, 2007, section 16. Filed as exhibit A to Document 27-1 in *Trump Marks Real Estate LLC v. Cap Cana S.A., et al.*, 1:12-cv-06440-NRB, filed January 17, 2013. Also, License Agreement between Trump Marks LLC and PB Impulsores, S. de R.L. de C.V., October 12, 2006, section 18.

3 Donald J. Trump, letter to the editor, *Wall Street Journal*, November 28, 2007.

4 Disclaimer, "Trump International Hotel & Tower" Waikiki Beach Walk is not owned, developed, or sold by Donald J. Trump. www.trump.com, accessed May 1, 2016.

5 Deposition of Donald J. Trump, December 19, 2007, *Donald J. Trump vs. Timothy L. O'Brien, et al.*, No. CAM-L-545-06, 89-90/.

بورتوريكو، أن عائلته ستسهم "بإسهام كبير يضمن حقوق المساهمين"[1] في ملعب للغولف، وفي مشروع منتجع على الساحل الشمالي للجزيرة. لكن الوثائق التي قُدِّمت بعد إفلاس المشروع عام ٢٠١٥، أظهرت أن ترامب لم يكن يملك حق مساهم في المشروع. قال إيريك لاحقاً إن عائلته كانت قد خططت لشراء وحدات في المنتجع، لكن "الصفقات قد تتغير بمرور الوقت".[2]

مع ذلك، حقق آل ترامب أرباحاً طائلة. كانت الصفقات مبهمة، وكانت شروط العقد تتحول إلى مصلحة ترامب. إذا أخفق المشروع، أو إذا أفلس المتعهد، كان بإمكان ترامب الخروج من الاتفاق بكل بساطة.[3] وينطبق الشيء نفسه في حال تأخرت أعمال الإنشاء أو قرر ترامب أن المشروع لا يتوافق ومعاييره العالية. كان من حقه طلب إجراء تغييرات -سقوف أعلى ونوافذ كبرى- لتحقيق تلك المعايير، شرط دفع الشركاء تكاليف التعديلات. وافق ترامب، كعادته، على حضور بضعة أنشطة لتسويق المباني التي تحمل علامته، لكن عقوده كانت تضمن له أن يدفع طرفٌ آخر تكاليف إقامته في أماكن من الدرجة الأولى.[4]

في فورت لوديرديل عام ٢٠٠٥، كشف مشروعُ بناء جديد مؤلف من شقق يحمل علامة ترامب، في نهاية المطاف، المجالَ الكامل لتجربة ترامب في مجال الأعمال العقارية. بدأ المشروع بمظاهر الشجاعة، وبالآمال العريضة وبأسعار مرتفعة لكنّ مشاعر التفاؤل تلاشت بفعل الكساد في سوق العقارات، وبفعل الادعاءات والادعاءات المضادة في عدد من المحاكم، التي كانت تبدو كأن لا نهاية لها.

كان ج. مايكل غودسون J. Michael Goodson من ذلك النوع من الأشخاص الذين يتمتعون بالحصانة ضد محاولات التسويق المبالَغ فيها. قرر غودسون، عام ٢٠٠٤،

---

1 Tom Hamburger and Rosalind S. Helderman, "How Donald Trump Cashes In Even When His Name-Brand Properties Fail," *Washington Post*, July 23, 2015.

٢ المصدر نفسه.

٣ المصدر نفسه. انظر أيضاً اتفاقات منح التراخيص، مثل:
License Agreement between Trump Marks Real Estate LLC and Cap Cana S.A. and License Agreement between Trump Marks LLC and PB Impulsores S. de R.L. de C.V., October 12, 2006.

4 E.g., License Agreement between Trump Marks Real Estate LLC and Cap Cana S.A., February 16, 2007, 32. Filed publicly as Exhibit A to Document 27, 1:12-cv-06440, January 17, 2013.

وهو محام لامع ورجل أعمال من الطراز الأول، الاستثمار في منزل للإقامة فيه من حين إلى آخر، جنوب فلوريدا، حيث كانت شركته Crest Ultrasonics، ومقرها نيوجيرسي، وهي شركة للحام اللدائن تعمل بتقنيات عالية، وقد أسست قاعدة جنوبية بدأت تتنامى بسرعة. في أواخر ذلك العام، كان غودسون يتناول العشاء مع أحد زملائه القدامى في Duke University School of Law، في فندق وبرج ترامب إنترناشينال في مانهاتن، قرب ساحة كولومبس. وكان هذا الزميل قد اشترى شقة في مبنى ترامب، وبدا راضياً بهذا الاستثمار. وبينما كان الصديقان يستمتعان بالطعام الفاخر وبالخدمة الممتازة في الفندق، حثّ الصديقُ غودسون على إلقاء نظرة على ممتلكات ترامب.

في زيارته التالية إلى فلوريدا،[١] زار غودسون الموقع الموجود على الشاطئ لفندق وبرج ترامب إنترناشينال، الذي يضم مئتين وثمانٍ وتسعين غرفة، في فورت لوديرديل. كان المبنى مصمماً ليصبح فندقاً وشققاً يستطيع أصحابها تأجيرها كغرف في الفندق[٢]، وذلك في الأوقات التي لا يقيمون فيها. بدت الفكرة ممتازة بالنسبة إلى غودسون[٣] الذي كان يخطط ليعيش في فلوريدا لبضعة أشهر في السنة. وما إن عاد غودسون إلى منزله في برنستون، في نيو جيرسي، حتى بدأ يتلقى منشورات دعائية من مشروع فورت لوديرديل. كانت الرزمة الأنيقة من المنشورات تتضمن رسالة موقعة من ترامب يصف فيها البرج المزمع إنشاؤه بأنه "أرقى المشاريع التي نفذتُها وأكثرها فخامة".[٤] كان غودسون، الذي تدرّب على المحاسبة قبل التحاقه بكلية الحقوق، قد عمل في صفقات في وول ستريت. قرأ بدقة أدبيات التسويق المطبوعة على ورق صقيل، التي كانت تقدِّم ترامب على أنه متعهد المشروع. ورد في رسالة ترويجية أخرى تحمل توقيع ترامب: "أقدّم ببالغ السرور[٥] آخر مشاريعي، برج وفندق ترامب إنترناشينال، في فورت لوديرديل".

١ مقابلة ج. مايكل غودسون مع توم هامبرغر، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

2 2nd Amended Complaint, *Abercrombie v. SB Hotel Associates LLC et al.*, 07-60702 CACE, 16.

٣ مقابلة غودسون مع هامبرغر.

4 2nd Amended Complaint, *Abercrombie v. SB Hotel Associates LLC et al.*, 12.
2nd Amended Complaint, *Abercrombie v. SB Hotel Associates LLC et al.*, 12.

٥ المصدر نفسه.

اختار غودسون شقة تقع عند مستوى بركة السباحة الخارجية، وكانت تطل على الشاطئ. كان غودسون يدرك أن اسم ترامب، المرتبط بالمعايير العالية، يتطلب مبالغ طائلة. ولذلك حرّر عام ٢٠٠٥ شيكاً بقيمة ثلاثمئة وخمسة وأربعين ألف دولار[١] لحجز مسكنه الجديد الذي يحمل اسم ترامب. جذب صيت ترامب والتصميم الفخم لبرج فورت لوديرديل أنظار مستثمرين أثرياء آخرين بمن فيهم مستشارون عقاريون من ذوي الخبرة. كما اجتذب أيضاً مشترين من الطبقة العاملة وكذلك المتوسطة. سدَّد بائع سيارات مستعملة من ميريلاند، وهو مايكل ليو روسو Michael Leo Rousseaux، الدفعة الأولية بعدما أحضر معه إلى المنزل نشرات تسويق ليريها لوالدته شيلا، وهي مدرِّسة للصف الثامن. قالت الوالدة لاحقاً إن روسو لم يكن باستطاعته دفع ثمن شقة تطل على المحيط، لكنه كان يرغب في امتلاك شقة تحمل اسم ترامب، وظن أن بإمكانه تدبُّر أمر شراء شقة أكثر تواضعاً مطلة على الشارع. بعدما قُتل مايكل عقب بضعة أشهر في شجار نشب بينه وبين زبون سابق، قرر والداه وعائلته تكريم حلمه[٢] والمضي في تسديد الدفعات المتوجبة من أجل الشقة التي تحمل اسم ترامب.

كان الحصول على شقة في ذلك البرج مثل حلم[٣] بالنسبة إلى نارين سيشاران Naraine Seecharan، أيضاً، الذي كان يملك شركة تكييف في كورال سبرينغز، في فلوريدا، وكان سابقاً يدير مطاعم ماكدونالد في منطقة واشنطن العاصمة. كان سيشاران يحلم بأن يصبح غنياً عن طريق استثمارات عقارية ذكية كما فعل ترامب. وهكذا حصل على قرض رهن خاص مقابل منزله وأربعة ممتلكات أخرى للإيجار كان يملكها من أجل تأمين مئتين وتسعة وثمانين ألف دولار كدفعة أولية لشقة في مبنى فورت لوديرديل. قال سيشاران إنه وزوجته كانا يشعران بالطمأنينة بعد استلامهما رسائل من ترامب وحلقة مفاتيح فضية من مخزن Tiffany يزينها اسم ترامب، وذلك بعدما سدّدا الدفعة الثانية. كان سيشاران يقول لنفسه" "لا يمكنك أن تخسر".[٤] كان

١ مقابلة غودسون مع هامبرغر.
٢ مقابلة شيللا روسو مع توم هامبرغر، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٣ كان مايكل غودسون وشيللا روسو ونارين سيشاران مدّعين في القضية المرفوعة ضد ترامب بخصوص المشروع.
٤ مقابلة نارين سيشاران مع توم هامبرغر، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

وكيل المبيعات قد أخبره مراراً، خلال عام ٢٠٠٥، بأن المتعهد هو ترامب.

في نيسان/أبريل ٢٠٠٦، تجمع حشد يحتفل[1] بمشروع فورت لوديرديل حول دونالد ترامب وابنه دون بعد وصولهما بسيارة سوداء فارهة إلى مبنى بونيت هاوس التاريخي، وهو قصر شيِّد على الطراز الكاريبي يقع في إنتراكوستال ووترووي. قدم مغني الراب الهايتي الأصل، وايكليف جين Wyclef Jean، عرضاً أمام بضع مئات من الوكلاء العقاريين والمتعهدين والمشترين. قال جين إنه يتوق أن يتعلم من ترامب؛ "إنه رجل قوي[2] عندما يتعلق الأمر بالأعمال. أنا الآن أشبه بالإسفنجة. أعرف أنني أستطيع تعلُّم الكثير منه". كتب المغني، الذي شجب بعد عشر سنوات تعليقات ترامب حول المهاجرين، بضعة أسطر مرتجلة لضيف الشرف وغناها قبل أن يعتلي ترامب ومرافقوه المنصة ليتكلم عبر الميكروفون: "أنا في ترامب إنترناشينال، في فورت لوديرديل. هبطت في لوديرديل. اتصلت هاتفياً بترامب".[3] وقف ترامب على المنصة وقال: "نحن نحتفل[4] الليلة مع الأشخاص الذين اشتروا، مع المضاربين، مع كل من أسهم في نجاح هذا العمل".

لكن سوق الشقق في فلوريدا، المشبَع أصلاً، كان قد بدأت تظهر عليه إشارات تنذر بالخطر. حمل أحد المسؤولين عن التطوير الميكروفون ليعلن أن الوكيل العقاري التالي الذي سيتمكن من بيع ثلاث شقق في فندق وبرج ترامب إنترناشينال، سوف ينال هدية تشجيعية: أزرار أكمام قمصان ماسية[5] كالتي يرتديها ترامب في تلك الليلة.

خلال ثلاث سنوات، توقف المشروع الذي تم ترويجه بسخاء وسط عدد من الدعاوى القضائية والاتهامات المتبادلة. كانت شركة التطوير الفعلية، SB Hotel Associates، تكافح لتسديد مبلغ مئة وتسعة وثلاثين مليوناً، وهو القرض الإنشائي الذي حصلت عليه في كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٦، عندما بدأت السوق التراجع. أما الجهة المقرِضة، Corus Bankshares Chicago،[6] فأفلست عام ٢٠٠٩، و يعود

١ Trevor Aaronson، "Chump Tower،" *Broward–Palm Beach New Times*، June ٢٢، ٢٠٠٦.
٢ المصدر نفسه.
٣ المصدر نفسه.
٤ آيرونسون، المصدر نفسه.
٥ آيرونسون، المصدر نفسه.
6 Monica Hatcher, "Florida Moves On after Failure of Bank behind Condo Boom," *Miami*

السبب جزئياً إلى أن المؤسسة قدمت عدداً من القروض في جنوب فلوريدا، حيث وقع أسوأ كساد عقاري في البلاد. توقفت أعمال البناء في برج ترامب الذي لم يكن قد اكتمل بعد، عام ٢٠٠٩، إثر إفلاس Corus Bankshares. عام ٢٠١٢، اشترت شركة Corus Construction Venture المبنى الذي لم يكتمل في مزاد حبس الرهن وحملت ديون المشروع البالغة مئة وستة وستين مليون دولار.[١] استؤنف العمل في المشروع، لكن ببطء؛ لم يكن مقرراً فتح أبواب الفندق بوجه الضيوف قبل مطلع ٢٠١٧.[٢] كان موقف ترامب هو الموقف المعتاد منه إزاء المشترين في المشاريع في كل أنحاء البلاد التي أفلست خلال الكساد: نأى بنفسه عن الموضوع،[٣] قال إنه منح ترخيص اسمه للمبنى، فقط لا غير، وإنه لا يملك حصة فيه، وهو في النتيجة ليس مسؤولاً عن إفلاسه.

عندما توقف العمل في المشروع، قال سيشاران لنفسه: "هذه نهاية العالم بالنسبة إلي".[٤]

قالت شيلا روسو: "شعرت بالفزع".[٥]

نصح غارتن[٦]، محامي ترامب، الشاكين بالاتصال بالمسؤولين عن التطوير. فقد كانوا، كما قال، هم الجهة التي وافق المشترون على شراء شققهم منها. والوثائق الرسمية لم تذكر قط أنهم اشتروا من ترامب. عرف مشترو الشقق كل تفاصيل الاستثمار التي لم تردْهم مع سلاسل مفاتيح تيفاني. لم يقتصر الأمر على أن ترامب لم يكن مسؤولاً عن تطوير البرنامج، بل إن قانوناً محلياً[٧] كان يمنع مالكي الشقق في مباني الفندق من استخدام شققهم لأكثر من ثلاثين يوماً في العام. أقرّ أحد شركاء

Herald, September 15, 2009.

1 Doreen Hemlock, "Lauderdale Condo-Hotel That Was to Bear Trump Name Sold at Foreclosure Auction," *Sun-Sentinel*, March 14, 2012.

2 Information on progress of the project from Conrad Hotels & Resorts website, http://conradhotels3.hilton.com/en/hotels/flor ida /conrad-fort -lauderdale-beach-FLLCICI/index.html

3 "We are not the developers." Deposition of Donald J. Trump, November 5, 2013, *Trilogy Properties LLC vs. SB Hotel Associates LLC et al.*, 39.

٤ مقابلة سيشاران مع هامبرغر.

٥ مقابلة روسو مع هامبرغر.

٦ مقابلة آلان غارتن مع توم هامبرغر وروزالند س. هيلدرمان، **واشنطن بوست**، ١٥ نيسان/أبريل ٢٠١٦.

7 2nd Amended Complaint, Abercrombie v. SB Hotel Associates LLC et al., 16.

ترامب – عضو في فريق التطوير الفعلي للمبنى – بالتهمة[1] في قضية تزوير كبرى في وول ستريت كانت تتضمن أيضاً عائلات مافيا إجرامية. كان الشريك، وهو فيليكس ساتر Felix Sater، مهاجراً روسياً سبق له أن أُدين بتهمة طعن رجل في وجهه بعقب زجاجة مرغريتا مكسورة.[2] وعام ١٩٩٨، أقرّ بتهمة التورط في قضية تزوير أسهم زهيدة الثمن أشرفت عليها العصابة. لكن ساتر أُعفي من السجن اعترافاً "بالتعاون الكبير"[3] الذي أبداه مع مكتب التحقيقات الفيدرالي في سلسلة من العمليات السرية. كان ساتر مديراً تنفيذياً كبيراً في شركة Bayrock Group للتطوير ومقرها نيويورك، وكانت قد أقنعت ترامب بمشروع فورت لوديرديل. لكن ماضيه الإجرامي لم يكن معروفاً لدى شركائه[4] أو لمشتري الشقق. قال ترامب إنه أيضاً لم يكن يعرف أن ساتر سبق أن أدين في مؤامرة العصابة المذكورة؛ إذ كانت السلطات الفيدرالية قد أبقت الإدانة طي الكتمان[5] لحماية وضع ساتر كشاهد متعاون. وأضاف أنه لم يكن يعرف ساتر معرفة جيدة عندما وافق على العمل معه، "ولو كان جالساً[6] في الغرفة الآن، ما عرفت شكله".

لكن، عام ٢٠٠٨، في شهادة قدمها ساتر في قضية تشهير، ادعى أنه وترامب كانا على علاقة "ودية" وأنه كان يتردد[7] إلى مكتب رجل الأعمال الكبير الكائن في أحد الطوابق في برج ترامب، أعلى بطابقين من مقر شركة Bayrock، لمناقشة مشاريع تطوير محتملة من لوس أنجلوس إلى الصين. يتذكر ساتر أنه كان يقول للمستثمرين المحتملين في معرض الشرح: "يستطيع أي كان بناء برج. [لكن] أنا أستطيع بناء برج

1 Transcript of sentencing of Felix Sater, 98-CR-1101, October 23, 2009, 6. Filed as Exhibit M in New York State 152324-2014, February 25, 2015.

2 Charles V. Bagli, "Real Estate Executive with Hand in Trump Projects Rose from Tangled Past," *New York Times*, December 17, 2007.

3 Transcript of sentencing of Felix Sater, 98-CR-1101, October 23, 2009, 4. Filed as Exhibit M in New York State 152324-2014, February 25, 2015.

4 Deposition of Donald J. Trump, *Abercrombie v. SB Hotel Associates LLC et al.*, November 5, 2013, 16-17.

5 Rosalind S. Helderman and Tom Hamburger, "Former Mafia-Linked Figure Describes Association with Trump," *Washington Post*, May 17, 2016.

6 Deposition of Donald J. Trump, *Abercrombie v. SB Hotel Associates LLC et al.*, 157.

7 Deposition of Donald J. Trump, *Abercrombie v. SB Hotel Associates LLC et al.*, 157.

ترامب[١] بسبب العلاقة التي تربطني بترامب". وقال ساتر إن Bayrock كانت لديها صفقة حصرية لمدة عام للبدء في بناء برج ترامب في موسكو، حيث عمل مع ترامب لإعداد اقتراح لبناء البرج في موقع معمل مهدوم لأقلام الرصاص. وأضاف ساتر أن العلاقة كانت وثيقة[٢] لدرجة أن ترامب طلب منه مرافقة إيفانكا ودونالد الابن في جولة في موسكو عندما زارا العاصمة الروسية عام ٢٠٠٦ (قال غارتن، محامي ترامب، إن ساتر قابل ولدَيْ ترامب بالمصادفة خلال سفرهما معاً[٣] إلى موسكو، وإن ترامب كانت تربطه علاقة عمل بشركة Bayrock فقط. وأصر على أن ترامب لا تربطه علاقة بساتر، بل علاقته اقتصرت على شركة Bayrock فقط).

أقام أكثر من مئة مشترٍ في فندق Fort Lauderdale دعوى. كانت حجتهم أن ترامب قد احتال عليهم عندما أخفى المعلومات الأساسية حول المشروع. غضب المستثمرون لأن ترامب كان بوسعه ترك المشروع بكل بساطة بعدما حشا جيوبه بالملايين من رسوم الترخيص، دون أن يضطر إلى استثمار ماله في الصفقة. قال سيشاران: "لقد قُضي علينا جميعاً[٤] بسبب هذه الصفقة، لكنه غادرنا ومضى".

كشفت تلك الدعوى أسلوب ترامب العدائي من النقاد وأصحاب الشكوى وحتى من الشركاء السابقين. عندما بدأت قضية Fort Lauderdale، وقع ترامب اتفاقاً مع المسؤولين عن التطوير، SB Hotel Associates، لإعداد دفاع مشترك عن المشروع في حال أصبح هدفاً لدعاوى قضائية. في أواخر ٢٠١٢، فاوضت شركة SB Hotel Associates، التي كانت تمثل الشركتين اللتين طوّرتا المشروع، للتوصل إلى تسوية مع المشترين، وذلك بإعادة جزء من دفعاتهم الأولية، عدا التكاليف القانونية.[٥] رفض ترامب المشاركة في التسوية، وأقام دعوى للاعتراض عليها ولطلب تعويض من SB Hotel Associates بسبب خرقها بنود العقد. في إحدى القضايا التي أقيمت في منطقة

---

١ المصدر نفسه.

٢ المصدر نفسه.

٣ المصدر نفسه.

٤ مقابلة سيشاران مع هامبرغر.

5 Bill Allison, "Legal War over Botched Deal Shows How Trump Wins Even When He Loses," *Foreign Policy*, November 30, 2015.

Broward في فلوريدا، عام ٢٠١٤، توصلت هيئة المحلفين[1] إلى قرار مفاده أن ترامب لم يحتل على المشترين، وسوّيت معظم القضايا الأخرى بحلول ٢٠١٦، فيما كان ترامب يزيح عن كاهله آخر بقايا الانهيار العقاري التاريخي.

عام ٢٠١٦، كان التفاؤل يملأ قلب ترامب بشأن سوق الإسكان. كانت أسعار العقارات السكنية قد حلّقت في كل أنحاء البلاد لسنوات، وكانت أوضاع الممتلكات لا تستقر على حال، فقد كان عدد من تلك الممتلكات في قبضة مشترين يرزحون تحت وطأة قروض رهونات ما كان يجب أن يحصلوا عليها في المقام الأول. حصل العديد من المقترضين على قروض بسعر دون سعر الفائدة الأساسي، فقد كانت معدلات الفائدة منخفضة ومرشحة للزيادة بعد بضعة سنوات، أي إن كارثة كانت بانتظار المقترضين ذوي الدخل الثابت. في السادس من نيسان ٢٠٠٦، أعلن ترامب في مؤتمر صحافي أنه كان يراهن على حدوث ازدهار عقاري. كان قد أسس شركة إقراض، وكان يعتقد أنها ستغير حال هذا المجال من الأعمال، وسوف تنتشر في جميع أنحاء البلاد: كان اسمها Trump Mortgage.

بينما كان السياح يلتقطون الصور من مصاعد ردهة برج ترامب، أعلن ترامب أن شركته الجديدة كانت تتميز بشيء "يراه العديد من الناس العلامة التجارية الأنجح في البلاد، بل في العالم".[2] وكان ابن ترامب، دونالد الابن، قد سعى إلى تعيين أحد معارفه، ي. ج. رايدينغز E. J. Ridings في منصب المدير الرئيسي. تبجح رايدينغز بأن الشركة الجديدة سوف "تمتلك نيويورك" ثم تتوسع إلى الولايات الخمسين. قال ترامب إنه يتوقع أن يكون المشروع عظيماً. قال، مكرراً جملته الشهيرة في برنامج "المتدرِّب": "ي. ج.، إذا لم يحدث ذلك، أنت مطرود".[3] كان كل شيء يبدو رائعاً بالنسبة إلى جان تشيك Jan Scheck، مدير المبيعات الوطنية في الشركة. كان تشيك يقف على

1 Verdict issued in *Deer Valley Realty v. Donald J. Trump*, 12-10560 CACE, 17th Judicial Circuit, Broward County, Florida, March 12, 2014.
المعلومات مأخوذة أيضاً من مقابلة جارد بيك Jared Beck (محامي المدَّعين) مع توم هامبرغر، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل ٢٠١٦.

2 Michael Calderone, "A Friggin' Mortgage Company Opening," *New York Observer*, April 6, 2006.

3 John Carney, "Trump Mortgage Opens," Dealbreaker.com, April 10, 2006.

المنصة إلى جانب ترامب، وكان يشعر بأن الحظ يحالفه كونه يعمل مع "شخص كان أشبه بالإله[1] في مجال العقارات"، كما قال بعد سنوات. "كان كل شخص يتمنى لو يكون دونالد ترامب. كان ترامب يضع اسمه على الأبنية في كل أنحاء البلاد".

ظهر ترامب على شاشة CNBC للترويج لمنتجه الجديد. بدت المذيعة ماريا بارتيرومو Maria Bartiromo، متشككة. أثناء المقابلة، عرضت الشبكة لوحات تُظهر مكامن القلق في السوق الذي كان ترامب يدخله. أظهرت اللوحة الأولى أنباء مفرحة: "مبيعات المنازل الحالية تشهد ارتفاعاً بنسبة ٥,٢% في شباط/فبراير". أما اللوحة الثانية، فكانت تثير القلق: "انخفضت مبيعات المنازل الجديدة بنسبة ١٠,٥% في شباط/فبراير؛ الانخفاض الأكبر خلال تسع سنوات". قال ترامب ساخراً من الأرقام: "أجد متعة في مراقبة الخبراء الاقتصاديين العظام وهم يتنبؤون أين ستكون المعدلات خلال سنة وخلال سنتين، فيما لا توجد لديهم أدنى فكرة عما سيحدث... إذا افترضنا أن المعدلات ظلت على حالها، أو تحسنت قليلاً بدلاً من أن تتحسن كثيراً، إذاً نحن بخير... الوقت مناسب جداً[2] لإنشاء شركة رهونات".

عرضت شركة Trump Mortgage قروضاً سكنية ووعدت بالحصول على الموافقات بسرعة. وظفت الشركة رجال مبيعات ملحاحين وأنشأت عدداً من المكاتب الفرعية. قدم ترامب إلى الشركة طابقاً[3] من مبناه الكائن في ٤٠ وول ستريت، كان جزء من الطابق غرفة مرجل، وكان رجال المبيعات يعرضون فيها الحصول على قروض بفوائد أقل من المعدل؛ كان جزء آخر من المكان مخصصاً لما كان يعرف بمبيعات "البوتيك boutique"، وهي تتوجّه إلى طالبي قروض أفضل تأهيلاً وأعلى دخلاً. كانت صورة ترامب تظهر في أعلى صفحة موقع الشركة وقد كتب تحتها "اتصل بالاختصاصيين في مجال الرهونات العاملين لدي، الآن!". وسعياً إلى مؤازرة من كل أجزاء إمبراطوريته، أدرج ترامب بضع كلمات إلى إحدى الممتلكات التي منحها ترخيص اسمه –مجمّع لقضاء الإجازات في جمهورية الدومينيكان – طالباً من المسؤولين عن تطوير المشروع

١ مقابلة جان تشيك مع مايكل كرانيش، **واشنطن بوست**، شباط/فبراير، ٢٠١٦.
٢ مقابلة ترامب على شاشة CNBC، تقرير **وول ستريت جورنال**، ٩ نيسان/أبريل، ٢٠٠٦.
3 Tom Hamburger and Michael Kranish, "Trump Mortgage Failed. Here's What That Says About the GOP Front-Runner," *Washington Post*, February 29, 2016.

تشجيع المشترين على محاولة الحصول[1] على رهونات من شركة ترامب.

كان ترامب مخطئاً أشد الخطأ بشأن سوق الإسكان. فقد أنشأ شركة رهن عندما كان السوق على حافة الانهيار. خلال ثمانية عشر شهراً من تحذيرات بارتيرمو، تحققت أسوأ مخاوف الخبراء وهوت أسعار البيوت. أُغلقت الشركة تاركة بعض الفواتير دون تسديد. في السنة الأولى، لم تتجاوز أرباح الشركة ثلث المليارات الثلاثة[2] التي كان كبار المديرين التنفيذيين قد تنبؤوا بها في البداية.

خسر سبعة ملايين أميركي[3] منازلهم خلال الكساد الكبير الذي شمل ولايتي الرئيسين جورج و. بوش وباراك أوباما. ظلت تداعيات الأزمة تتردد لسنوات، وكانت النتيجة حدوث خلخلة اقتصادية شكّلت الموضوع الرئيسي في الحملة الانتخابية عام ٢٠١٦ (قال ترامب بعد سنوات إنه كان يعرف أن سوق الإسكان كان "فقاعة[4] لا تلبث أن تنفجر... قلت هذا للعديد من الأشخاص. وكنت على حق. تعرفون طبعاً أنني ماهر في المسائل من هذا النوع"). أصر ترامب آنذاك على أن سبب إخفاق شركة Trump Mortgage يكمن في مكان آخر. قال في معرض الشرح إنه وضع اسمه على عمليات رهن يديرها آخرون؛ "مشاريع الرهن ليست بالعمل الذي كنت أحبه أو أرغب في الانخراط فيه على نحو واسع".[5]

كان رايدينغز، المدير التنفيذي الرئيسي الذي اختاره، واستناداً إلى ما ورد في مقالة في مجلة *Money* نشرت عام ٢٠٠٦، قد بالغ في عرض مؤهلاته في سيرته الذاتية،[6] كما بالغ في وصف خبرته في وول ستريت. كان قد وصف نفسه بأنه "محترف من

1 License Agreement between Trump Marks Real Estate LLC and Cap Cana S.A., February 16, 2007, section 3(i). Filed as exhibit A to Document 27-1 in *Trump Marks Real Estate LLC v. Cap Cana S.A. et al.*, 1:12-cv- 06440-NRB, filed January 17, 2013.

2 Tom Fredrickson, "Undoing of Trump Mortgage," *Crain's New York Business*, August 5, 2007.

3 "7.3 million Boomerang Buyers Poised to Recover Homeownership in Next 8 Years," RealtyTrac.com, January 26, 2015.

4 Trump interview, *Morning Joe*, MSNBC, July 24, 2015, http://www .msnbc.com/morning-joe/watch/donald-trump-rounds-out-the-week-on -morning -joe-490679363866

5 Fredrickson, "Undoing of Trump Mortgage."

لم يستجب رايدنغ لطلبنا منه تقديم تعليق.

٦ المصدر نفسه.

الدرجة الأولى" في أحد أكثر مصارف الاستثمارات شهرة في وول ستريت، لكن المجلة المذكورة، أشارت إلى أنه عمل في قسم السمسرة في Morgan Stanley لأشهر فقط.

لم يكن ذلك يعني نهاية عمل ترامب في مجال الإقراض لكن مشروعه التالي مثّل تحولاً في رؤيته المالية. عندما طلبت شركة تُسمى Meridian Mortgage دعمه عام ٢٠٠٧، وافق على السماح لها بتغيير اسمها إلى Trump Financial. قال آنذاك: "نعتقد أنها [شركة Meridian] ستعمل على نحو أفضل".[١] كانت الصفقة تتيح لترامب الحصول على رسم ترخيص دون المجازفة بأمواله. وسرعان ما توقفت الشركة عن العمل، شأن شركة Trump Mortgage لكن بفضل الرسوم التي حصل عليها، لم يكن المشروع غير ناجح بالنسبة إليه.

عام ٢٠٠٩، منح ترامب ترخيص اسمه[٢] لبرنامج قال عنه إنه سيجعل الآخرين "يؤثِرون الخروج" من الكساد، أيضاً. في ذلك العام، أطلق Trump Network، وبذلك أدخل اسماً جديداً إلى منظمة تسويق طموحة متعددة المستويات كانت تدعى سابقاً Ideal Health وكانت متخصصة في بيع مجموعة كاملة من مكملات الفيتامينات يجري تحديدها على أساس تحليل بول المشتري. ظن العديد من الموظفين في Trump Network أنه سيضطلع بدور مهم في المنظمة، لكنه في الواقع كان يحصل على رسم سخي مقابل استخدام اسمه ومقابل الظهور من حين إلى آخر في أنشطة ترويجية.

قالت جينا نودسون Jenna Knudsen، التي كانت موظفة مبيعات ذات مكانة مرموقة في Ideal Health عندما دخل ترامب ذلك المجال: "كان الناس يصرخون 'يا إلهي' لدى سماعهم بأنه هو المعني بالموضوع. كانوا يصرخون ويتبادلون النظرات قائلين: 'سوف نصبح من أصحاب الملايين!'".[٣] استُقبل ترامب استقبال الأبطال عندما ألقى خطاباً في مؤتمر للمنظمة عقد في ميامي أواخر ٢٠٠٩. بينما كان يسير بخطوات واسعة نحو المنبر، ظهر وجهه المتورد وربطة عنقه الصفراء الفاتحة على الشاشة

1 Frederickson, "Undoing of Trump Mortgage."

2 Ana Swanson, "The Trump Network Sought to Make People Rich but Left Behind Disappointment," *Washington Post*, March 23, 2016.

٣ المصدر نفسه.

العملاقة. قال: "عندما شاركت في برنامج المتدرّب، كانت مخاطرة.[1] لكن هذه ليست مخاطرة"، تعالى هدير أكثر من خمسة آلاف شخص من الحضور تعبيراً عن استحسانهم. قال ترامب إنه كان من المعجبين بما يُسمى التسويق متعدد المستويات، وهي هيكلية في العمل واجهت الكثير من الانتقادات لأنها تكافئ المسؤولين عن المبيعات على أساس عدد الزبائن الذين يقنعهم هؤلاء بالانضمام إلى العاملين في مجال المبيعات. اتهم المدافعون عن المستهلك والمدّعون العامّون الحكوميون بعض برامج التسويق متعددة المستويات بأنها تركيبة هرمية مقنّعة، يصبح فيها المستثمرون الأوائل أثرياء، لكن العديد من الأشخاص في المستويات الأدنى من السلسلة يخسرون أموالهم، أو في أفضل الأحوال، لا يخسرون ولا يربحون.

كان منتَج Ideal Health وTrump Network الأول عقاراً مؤلفاً من عدة فيتامينات محضّرة على أساس شخصي. يُجري الزبائن تحليلاً للبول، وبعد دراسة النتيجة تُعَد توليفة من الفيتامينات على أساس الوضع الصحي للزبون. كان الزبائن يدفعون مئة وتسعة وثلاثين دولاراً وخمسة وتسعين سنتاً لقاء تحليل البول، ثم يدفعون تسعة وستين دولاراً وخمسة وتسعين سنتاً شهرياً ثمناً للفيتامينات، إضافة إلى تسعة وتسعين دولاراً وخمسة وتسعين سنتاً مقابل إجراء تحليل إضافي كل ستة أشهر. امتدح القائمون السابقون على المبيعات المنتَج، قائلين إنه يساعد الزبائن على عيش حياة صحية. لكن وفق تعبير ترامب، هو لم يكن يبيع مجموعات من الفيتامينات منتجة على أساس تحليل البول، بل كان يبيع مظلة ذهبية تساعد على الهبوط الآمن خلال الانكماش الاقتصادي. قال في فيلم ترويجي[2] مخاطباً المسؤولين المحتملين عن المبيعات في الشبكة: "ترغب Trump Network في إعطاء ملايين الأشخاص أملاً متجدداً... عبر خطة تحفزهم وتدفع بهم ليؤثروا الخروج من الكساد. لنخرج من هذا الكساد الآن فوراً عبر أحدث الصِيَغ التي توصّل إليها العلم لتوفير الصحة والعافية، وعبر منظومة يمكن لكم بواسطتها تطوير استقلاليتكم المالية الخاصة. Trump Network توفر للناس

1 Julianna Goldman and Laura Strickler, "Behind the Collapse of the 'Recession Proof' Trump Network," *CBS This Morning*, accessed May 5, 2016, http://www.cbsnews.com/news/donald-trump-network-cbs-news-investigation -supplements-multi-level-marketing

2 Trump promotional video for Trump Network. Available on youtube.com, https://www.youtube.com/watch?v=KjD8AgBKwO4

الفرصة لتحقيق حلمهم الأميركي".

لكن، خلال ثلاث سنوات من موافقة ترامب على منح ترخيص اسمه، عبّر بعض الذين شاركوا في مؤتمر ميامي، وكانوا في غاية الحماسة، عن أسفهم، وقدموا شكاوى إلى لجنة التجارة الفيدرالية تتعلق ببرنامج التسويق متعدد المستويات. عبّر المختصون بالشؤون الصحية في الجامعات عن قلقهم بشأن شرعية منتجات العناية بالصحة، وأوصوا بالتزام الحذر إزاء التحليلات الباهظة الكلفة والمزاعم الصحية المرافقة لها والمتعلقة بالفيتامينات.

في نهاية ٢٠١١، انتهت مدة عقد الترخيص وانسحب ترامب من Trump Network. وفي مطلع العام التالي، بيعت الشركة لشركة أخرى Bioceutica. شعر بعض مسؤولي المبيعات الذين استثمروا آلاف الدولارات في شراء وتسويق منتجات Trump Network بأنهم جرى التخلي عنهم. قالت نودسون: "لقد دمروا آلاف الأشخاص، ولم يكلف أحد نفسه عناء الاعتذار".[1] قدم غارتن، محامي ترامب، الإجابة نفسها عندما برزت الشكاوى حول شركة تسويق مكمّلات الفيتامينات. قال إن ترامب لم يكن منخرطاً في عمليات الشركة. لقد رخّص اسمه فقط.[2]

رغم كل تلك الخيبات التي أحدثت ضجة، نعمت إمبراطورية ترامب الخاصة بالتراخيص ببعض النجاحات اللافتة. فقد كان Trump Hollywood في فلوريدا، وهو مشروع مبنى شقق فخمة تشرف على المحيط، بين ميامي وفورت لوديرديل، محجوزاً بالكامل. كان يضم بركة سباحة واسعة، وأجهزة ترطيب للسيجار وخزنة صغيرة للمشروبات في البهو إضافة إلى صالة عرض الأفلام السينمائية.

لكن الأمر لم يكن على الدوام بهذه الحال. عندما انتهى بناؤه عام ٢٠٠٩، وإثر انهيار سوق الشقق في ميامي، لم يكن الأشخاص الذين طوّروا المبنى في الأصل، قادرين على تأمين سوى قلة من المشترين للشقق التي كان سعرها يبدأ بمليوني دولار تقريباً. بعد سنة، استولى المصرف الذي كان قد موّل أعمال الإنشاء على المبنى بموجب حبس الرهن، وسرعان ما صرّح ترامب بأنه لم يكن مسؤولاً عن

1 Swanson, "The Trump Network."

2 Swanson, "The Trump Network."

ذلك الإخفاق. قال عن المشروع الذي روّج له يوماً ما: "شعرت في نفسي بالدهشة[1] لهذا التوقيت". أضاف أن المتعهد الذي كان مقره في ميامي "خاض مخاطرة كبرى" عندما بنى عمارة شقق عالية بكلفة ثلاثمئة وخمسة وخمسين مليون دولار فيما كان سوق الإسكان على شفا الانهيار. بحلول عيد الشكر عام ٢٠١٠،[2] كان المبنى خاوياً. كان عدد الموظفين كاملاً، لكن عدد الشقق المشغولة كان اثنتين فقط، وكان مشترو الشقتين قد أمّنوا على شققهم وسط حالة الانكماش الاقتصادي، كما يقول كين غروسمان Ken Grossman، وهو مدير صندوق حماية مقيم في شيكاغو كان قد اشترى شقة في المبنى آنذاك.

دخل متعهد جديد على الخط. اشترى Trump Hollywood من حبس الرهن وخفض الأسعار تخفيضاً كبيراً. في حفل باذخ[3] أقيم عام ٢٠١١، نُظِّم بهدف لفت الأنظار نحو المشروع، كان هناك شخص يلف السيجار، ويوزع على كل شخص من الضيوف الذين بلغ عددهم ثمانمئة سيجاراً مصنوعاً باليد، وكانت فرقة جاز مؤلفة من خمسة أشخاص تعزف قرب بركة السباحة، فيما كانت العارضات يتجولن في المكان وهن يتزينّ بمجوهرات من تصميم إيفانكا ترامب. وقف ترامب ليتيح للمصورين التقاط الصور، كان سعيداً لإطرائه ثانية على المشروع بهدف الترويج له. قال: "إعادة انطلاق[4] رائعة لمبنى استثنائي مطل على المحيط".

خلال خمسة عشر شهراً،[5] كانت جميع شقق المبنى قد بيعت، وكان ترامب يحصل على نسبة لم يكشف عنها من كل صفقة بيع. فجأة امتلأ المبنى بالكامل. وبعد سنوات من حصول ترامب على كل رسوم الترخيص، ومن انتهاء مشاركته الرسمية في المبنى، ظل الكتاب السميك الذي يحوي أنظمة ترامب[6] موجوداً في مكتب

1 Paul Owers, "Lenders Foreclose on 200-Unit Trump Condo,"*Sun-Sentinel*, November 19, 2010.

2 Ken Grossman interview with Tom Hamburger and Rosalind S. Helderman, *Washington Post*, April 8, 2016.

3 "Trump Hollywood Treats Guests to a Night to Remember," Social Miami.com.

٤ المصدر نفسه.

٥ مقابلة مع دانيال ليبينسون أجراها توم هامبرغر وروزاليند هيلدرمان، **واشنطن بوست**، ٨ نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٦ مراجعة لكتاب أنظمة ترامب أجراها الصحافيان في **واشنطن بوست**، توم هامبرغر وروزاليند س.

البواب. كان الكتاب يضم إرشادات مفصلة حول سلوك الموظفين (الأظفار: قصيرة مرتبة. الثياب الداخلية: موجودة دائماً. على الموظفين أن يحيّوا الزوار وهم ينظرون في عيونهم مباشرة، على مسافة عشرة أقدام، وأن يقولوا "أهلاً وسهلاً" على مسافة خمسة أقدام).

بالنسبة إلى دانيال ليبينسون Daniel Lebensohn، المتعهد الجديد الناجح، أظهرت التجربة أن إتقان العمل كان يعني تنفيذه بأسلوب هجومي: "وإلا ستكون عرضة للسحق. سوف يُمحى اسمك. ولن يعرفوا من هو دونالد ترامب". في مشروع كان على وشك الإفلاس، قدّر ليبينسون أن ترامب حصل على مبلغ يتراوح ما بين عشرة وعشرين مليوناً.[1]

بعدما أدرك ترامب كيفية الاستفادة من منْح تراخيص العلامة التجارية، سواء أنجح المشروع أم لم ينجح، أصبح جاهزاً للاستيلاء على العالم.

هيلدرمان أثناء جولة في ترامب هوليوود في ٨ نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

١ مقابلة مع ليبينسون أجراها هامبرغ وهيلدرمان.

الفصل الرابع عشر

الإمبراطورية

على مسافة ألف وثلاثمئة ميل، تقريباً، جنوبي شرق موسكو، في باكو عاصمة أذربيجان، وعلى شواطئ بحر قزوين، انتصب في قلب المدينة بناء متلألئ مؤلف من ثلاثة وثلاثين طابقاً مثل شراع نحاسي اللون. أعلنت اللافتة في قمة المبنى الأنيق باللغة الإنكليزية: "برج ترامب". لكن في يوم ربيعي من عام ٢٠١٦، كان البناء مجرد هيكل[١]، بنافذة مكسورة وجزء من الواجهة الحجرية المحطمة مثل سن مفقود. كان البناء مظلماً تماماً في الليل باستثناء المصابيح المتوهجة من لافتة "ترامب".

كان حارسان ومُشْرِف يغالبه النعاس يحرسون المكان الذي ملأت أرضه الأعشاب الضارة. وقد تربعت كرة ضخمة كتب عليها ترامب وسط بركة مليئة بالرمل والفضلات، وبالقرب من المدخل الأمامي المغلق حيث أعلنت لافتة كبيرة: "برج وفندق ترامب الدولي". في الداخل، كانت الردهة المزينة ببلاط جميل رملي اللون وزخارف سود وذهبية، والأسقف المرصوفة بالمرايا والثريا التي تضم شريطاً من المصابيح الشاعرية، قد امتلأت بغبار البناء. كانت مكاتب الاستقبال مغلفة بأغطية بلاستيكية، وكذلك الدرج اللولبي المغلف بالورق المقوى والبلاستيك. في الطابق الثاني، كانت بركة السباحة المكسوة ببلاط نحاسي اللون تنتظر ملأها بالماء. وبجانبها كان حوض الساونا الذي فاحت منه رائحة الأرْز النقي، فيما كانت صالة الرياضة

١ مقابلة كيفين سوليفان، ٢٠١٦.

مجهزة بآلات التمارين التي لا تزال في صناديقها.

كان الحارس الذي يقود الجولة التعريفية ينير طريقه باستخدام تطبيق على هاتفه المحمول، ويتجنب الدوس على أسلاك سائبة متدلية من تمديدات غير منتهية التركيب في ممر في القبو لأنه لم يكن هناك كهرباء أو ماء في برج ترامب. كان موقع بناء ضخماً لكنه مجمد في الزمن.

في أوائل القرن الواحد والعشرين، عندما حول برنامجُ "المتدرِّب" دونالد ترامب من اسم محلي في نيويورك إلى ظاهرة قومية، كان يخطط إلى ما بعد أفق المحيطين الهادي والأطلسي. تأمل الشمال والجنوب والشرق والغرب ورأى عالماً يحتاج إلى ترامب. في أواخر ١٩٩٩، أنشأ المطورون ستة أبراج ترامب دولية سكنية في كوريا الجنوبية[١]. وفي السنة التالية، روج ترامب لبرج ترامب في برلين وقد وصلت تكلفته ما يقارب تسعمئة مليون دولار، وقد سماه ترامب "جسر بين نيويورك وبرلين". عام ٢٠٠٣، وافق مجلس مدينة تورونتو[٢] على برج وفندق ترامب الدولي المؤلف من سبعين طابقاً، الذي أصبح أطول بناء في المدينة. لاحقاً في تلك السنة، كشف ترامب عن مشروع فيلات حول ملعب غولف في جزر غرينادين في الكاريبي، كما أعلن في العقد الأول من القرن الجديد مشاريع تتضمن فنادق وشققاً ومكاتب وملاعب غولف بتوقيع ترامب الذهبي الضخم في دبي وإسرائيل وبنما وأسكتلندا والمكسيك وجمهورية الدومينيكان وتركيا.

عام ٢٠٠٧، أنشأ مجموعة فنادق ترامب، وهي علامة تجارية تستهدف أغنى ٥% من المسافرين في العالم. بالتعاون مع أكبر ثلاثة من أبنائه، الذين أصبحوا الآن مديرين تنفيذيين مرموقين في هذا المجال، لم تضف مؤسسة ترامب عقارات في المدن الأميركية الرئيسية من فورت لاوديردال إلى وايكيكي فحسب، بل سرعت عملية توسعها العالمي بقوة أيضاً. ما بين ٢٠١١ و٢٠١٥، أعلن ترامب صفقات في أكثر من اثنتي عشرة دولة، بما فيها مشروعان في إندونيسيا عام ٢٠١٥، بعدما سبق

1 Trump Organization website: http://www.trump.com/real-estate -portfolio/seoul/trump-world/

2 Jonathan Fowlie, "Trump Tower Planned for Downtown Will Be Tallest in City," *Globe and Mail*, February 7, 2003.

ورشح نفسه للرئاسة. أقيمت عدة مشاريع لترامب في دول، للولايات المتحدة مصالح أمنية واقتصادية ودولية مهمة معها، مثل تركيا والإمارات العربية المتحدة وأذربيجان.

في معظم الحالات، كان دور ترامب في المشاريع الخارجية هو ترخيص علامة ترامب التجارية لشريك محلي مقابل أجور تبلغ ملايين الدولارات، وأحياناً إدارة الفنادق عند افتتاحها. في بعض الحالات، أثبت اسم ترامب نجاحاً منقطع النظير، فيما لم يقدم الاسم إلى المشترين ما كان متوقعاً في حالات أخرى. لكن كما حدث في بعض صفقاته في الولايات المتحدة، عندما كانت تفلس إحدى مشاريعه الخارجية، حصل مع ذلك على ماله، حاصداً ملايين الدولارات حتى إن واجه شريكه المحلي مشكلات مالية أو الإفلاس. عام ٢٠١٢[1]، تبجح ترامب أن جمهورية جورجيا "مزدهرة" وأنها "رائعة" و"ستكون واحدة من أعظم الأماكن في العالم خلال أربع أو خمس سنوات". وأعلن مشروعاً بقيمة ثلاثمئة مليون دولار هناك: "أنفذ مشروعاً ضخماً هناك. وهو مدهش". لكن لم يتم بناء أي شيء. قال محامي ترامب، آلان غارتن، إن الكساد العالمي الذي بدأ عام ٢٠٠٨ فرض إلغاء عدد من المشاريع[٢]. "فقد كثيرون من المطورين محفظتهم الاستثمارية وثرواتهم بكاملها، وقد تعرض السيد ترامب لذلك تماماً مثل أي شخص آخر". مع حلول منتصف ٢٠١٦، أُنهيت وافتتحت سبعة مشاريع خارجية لترامب على الأقل، فيما كان أحد عشر مشروعاً آخر قيد التنفيذ، وبقي المزيد منها في مرحلة التخطيط. وهناك مشاريع أخرى لم تتجاوز مرحلة الإعلان الأولي. وتم تقليص بعضها. مثلاً في دبي، لم يتم بناء برج ترامب الموعود، ولكن ملعبي غولف بتوقيع ترامب كانا قيد الإنشاء عام ٢٠١٦.

مهما كان قدر هذه المشاريع النهائي، فإنها استفادت من أسلوب ترامب، وهو العرض السخي للاستعراض الترويجي. لكن في بعض الأحيان، كان سحر ترامب يذوي فيدخل مع شركائه الخارجيين في نزاعات قانونية، وبصورة أساسية بسبب استخدام ترامب العقود المركبة. ففي تورونتو، هاجم مشترو شقق غاضبون ترامب بعدما وجدوا أنفسهم يحققون أرباحاً على استثماراتهم في أبنية ترامب أقل مما قيل

1 "Trump Lauds Saakashvili on Fox & Friends," Democracy & Freedom Watch, May 2, 2012, http://dfwatch.net/trump-lauds-saakashvili-on -fox-friends-59008-8320

٢ مقابلة كيفين سوليفان، ٢٠١٦.

لهم أن يتوقعوه. لكن ترامب ادعى أن كل تصرفاته كانت ضمن حقوقه المذكورة ضمن الشروط الإضافية في العقد، وعادة ما كان يفوز في مثل هذه الحالات.

في بعض الأحيان، كان ترامب يتعاقد مع مطوري مشاريع محليين أقل صيتاً لم يبنوا أي شيء بمستوى مشاريع ترامب من قبل. وفي حالات أخرى، كان ترامب يبرم صفقات مع شخصيات من خلفيات مشبوهة أو مع مطورين فقدوا الشغف لأسلوب ترامب. في دبي، عام ٢٠١٥، دفعت تعليقاتُ ترامب عن المسلمين[1] أحد شركائه إلى سحب اسم ترامب من مشروع ملعب غولف (لكنه أعاده بعد عدة أيام). وفي تركيا، استنكر مدير مركز تسوق بعلامة ترامب التجارية في إسطنبول ترامب، ووصفه بأنه "لا يفهم معنى الإسلام[2]".

مع ذلك، بقي طموح ترامب العالمي قوياً، وعقد بعض الصفقات مستفيداً من مجالات أخرى منفصلة من إمبراطورية أعماله.

***

عندما سافر ترامب إلى موسكو عام ٢٠١٣ لافتتاح مسابقة ملكة جمال الكون في قاعة حفلات تتسع لسبعة آلاف وثلاثمئة مقعد، تسمى Crocus City Hall، أتاحت مسابقة الجمال الفرصة للتقرب من رجل أعمال بارز كان مهتماً ببناء برج ترامب في روسيا. قبل أن تبدأ المسابقة، انضم ترامب إلى اثنتي عشرة متسابقة لتصوير الفيديو[3] الموسيقي لأغنية "In Another Life"، وهي آخر أغنية لأمين أغالاروف Emin Agalarov، مغني البوب المعروف والناجح في روسيا الذي كان مديراً تنفيذياً في شركة والده للعقارات، والذي كان أيضاً شريك ترامب في روسيا.

1 Andrew Scott, "Damac Removes Trump BillboardsfromAkoya Project in Dubai," *National*, December 10, 2015.

2 "Turkish Business Partner Condemns DonaldTrump's Anti-Muslim Stance," *Guardian*, December 11, 2015

3 "Emin in Another Life Official Music Video Ft. DonaldTrump and Miss Universe 2013 Contestants," YouTube, November 20, 2013 https://www.youtube.com/watch?v=iuZUNjFsgS8

يروي أمين: "قلت، سيد ترامب، هلا كنت في فيديو التصوير لأغنيتي[١]؟ فقال: ماذا يفترض أن أفعل؟ قلت له كن جزءاً منه فقط. فقال: كم ستكون مدته؟ قلت: عشر دقائق".

أجاب ترامب "حسناً، في السابعة صباحاً في بهو فندقي".

في الفيديو، يظهر أمين وهو يحلم حلم يقظة بأنه محاط بملكات جمال يرتدين ملابس السباحة قبل أن يستيقظ ليجد نفسه على طاولة في قاعة اجتماعات حيث ينهره ترامب قائلاً: "أيقظه، الآن!... ما خطبك يا أمين؟ أمين، لننتهي من الأمر. أنت تتأخر دائماً. أنت مجرد فتى وسيم آخر. لقد سئمت منك حقاً. أنت مطرود!".

أراد مدير أمين أن يعيد تصوير المشهد لمرة أخرى، ولكن ترامب لم يقبل: "لا، إنها مثالية، توقف". وذهب. وانتهى التصوير.

بدأ أمين العمل في تطوير المنشآت عن طريق والده الثري، آراس أغالاروف Aras Agalarov، وعادة ما كان يشاهد برفقة فتيات حسناوات في الملأ. كان أمين يوصف أحياناً بأنه دونالد ترامب روسيا[٢]. في بداية ٢٠١٣، كان أمين يبحث عن حسناء لتظهر في فيديو أغنيته الجديدة Amor، فاتصل بمنظمة ملكة جمال العالم[٣]، وسأل عن إمكانية التعاقد مع الأميركية الجميلة أوليفيا كولبو Olivia Culpo التي فازت بمسابقة ملكة جمال الكون عام ٢٠١٢. تم التوصل إلى اتفاق وتم تصوير الفيديو، عندئذ قرر أمين ووالده استقدام مسابقة ملكة جمال العالم إلى موسكو. في نهاية المطاف، وصل الرجلان إلى ترامب، حيث سافر الأب والابن إلى لاس فيغاس[٤] في حزيران/ يونيو لإبرام الصفقة.

هناك، أبهر ترامب الأب والابن بسحره المغري ومزيّة وجوده في البلد المضيف. قابل الأب آراس ترامب[٥] لأول مرة في بهو فندق ترامب البهي. عندما دخل آراس

١ مقابلة أراس وأمين أغالاروف مع مايكل بيرنبوم، ٢٠١٦.

2 "Te Donald Trump of Russia," CNBC interview,May 18, 2015, http://video.cnbc.com/gallery/?video=3000380510

٣ مقابلة أراس وأمين أغالاروف مع مايكل بيرنبوم، ٢٠١٦.

4 "Emin USA launch of Single 'Amor,'" Getty Images photo,June 15, 2013 http://www.gettyimages.com/detail/news-photo/aras-agalarov-donald-trump-miss-universe-2012-olivia-culpo-news-photo/170653701

٥ مقابلة أراس وأمين أغالاروف مع مايكل بيرنبوم.

الفندق مع زوجه وابنته وأمين، كان ترامب يستضيف بعض الأشخاص في البهو، ثم ومضت الكاميرات وفجأة أشار ترامب إلى آراس صارخاً: "هذا هو أكثر الرجال استقامة في روسيا!".

وصف أغالاروف ترامب بأنه "صاحب حضور قوي، لقد أحببته حقاً. لقد أحببته كثيراً". بقيت عائلة أغالاروف في فندق ترامب لثلاثة أو أربعة أيام: تناولوا الطعام في مطاعم فخمة، وحضروا عروضاً في فيغاس. ظهر ترامب مع آراس وأمين في لقطات الغداء الموجودة في فيديو أغنية Amor وتصور مع كولبو. قال أمين إنه "الحلم الأميركي"، وسرعان ما أبرمت الصفقة وتوطدت الصداقة.

قطع أراس أغالاروف شوطاً طويلاً قبل أن يتعرف لأول مرة على أجواء أميركية أشبه بالروايات، مثل لاس فيغاس؛ وكان قد بدأ سيرته العملية[1] بقرصنة الأفلام؛ قال إن أول أعماله نجاحاً هو تحرير فيلم The Godfather حتى يلائم أشرطة الفيديو غير الشرعية. ولد أغالاروف عام ١٩٥٥ في جمهورية أذربيجان التابعة سابقاً للاتحاد السوفياتي، ثم انتقل إلى روسيا ليصنع ثروته بتنظيم معارض تجارية وإنشاء عقارات فخمة بما فيها مجمع التسوق الذي سيجلب إليه ترامب لاحقاً مسابقة ملكة جمال الكون. كما كان لآراس علاقات لا تشوبها شائبة مع حكومة الرئيس فلاديمير بوتين Vladimir Putin. فقد اختار بوتين مجموعة كروكس التابعة لأغالاروف[2] لبناء Far Eastern Federal University قرب فلاديفوستوك، حيث حضر بوتين ووزيرة الخارجية هيلاري كلينتون مؤتمراً معاً هناك. بعد انتهاء مسابقة ملكة جمال العالم بمدة وجيزة، قدم بوتين إلى أغالاروف الميدالية الفخرية[3]، وهي واحدة من أعلى الجوائز المدنية.

بدا ترامب وأغالاروف منسجمين طبيعياً. فكلاهما حلم وحقق حلمه على مستوى عالٍ. وكان لكليهما ذوق استعراضي. كان مجمع كروكس، الذي يملكه آغلاروف، يتميز بمركز تسوق ضخم يدعى فيغاس، وهو حلم مضيء لمكان يضم أكبر صالة

1 Clio Williams, "Relative Values: Russia's Billionaire Property Developer, Aras Agalarov, 59, and His Son, Emin, 35, One of Russia's Biggest Pop Stars," *Sunday Times*, April 8, 2015.

2 "Far Eastern Federal University on Russky Island," Crocus Group press release, May 12, 2011.

3 "Vladimir Putin Decorated Aras Agalarov with the Order of Order (sic)," Crocus Group press release, October 29, 2013.

سينما في روسيا. كان أغالاروف أيضاً يحب وضع اسمه على البناء. كما تقاربت مصالحهما أيضاً: لاحظ ترامب وجود تقارب بين مسابقة ملكة جمال الكون وبين أعماله في الإنشاء، إذ كان يجعل المسابقة، بكل ما فيها من ألق وجمهور تلفزيوني عالمي، طعماً. فقد تنافست دول كثيرة لاستضافة المسابقة سنوياً، وأحياناً كان ترامب يدخل أحد شركائه في الإنشاء من بين حلفائه الأجانب في صفقات لمسابقة. قال أغالاروف إنه أنفق أربعة عشر مليون دولار[١] لتنظيم المسابقة، وأنفق نصفها لترخيص علامة المسابقة التجارية الخاصة بترامب.

لكن الصفقة لم تكن تدور حول الجميلات بملابس السباحة فحسب، فقد خطط ترامب وأغالاروف لأعمال ضخمة مع بعضهما بعضاً، وجلب حرف T المذهَّب إلى موسكو. وقع الرجلان عقداً مبدئياً[٢] للبحث في إنشاء بناء برج ترامب وبرج أغالاروف جنباً إلى جنب ضمن أملاك أغالاروف في موسكو. التقى ترامب مع الأب والابن وبعض رجال الأعمال الروس لمناقشة العرض الذي اقترح أمين أنه سيقحم ترامب فيه بالاستثمار في المشروع، وليس ترخيص اسمه فقط.

منذ عام ١٩٨٧[٣]، عبّر ترامب عن رغبته في بناء برج ترامب في الاتحاد السوفياتي. في ذلك العام، وخلال زيارة إلى موسكو، ولينينغراد (بطرسبرغ حالياً)، ذكر أن مسؤولين من الاتحاد السوفياتي طلبوا منه دراسة بناء فنادق فخمة هناك. قال ترامب آنذاك: "ليس هناك الكثير من الأفكار التي جذبتني، لكن تلك كانت واحدة اعتقدت أنها ستثير اهتمام الكثير من الناس، وليس فقط من وجهة نظر اقتصادية". عام ٢٠٠٨، قال دونالد ترامب[٤] الابن، إن شركة ترامب حريصة على تنفيذ أعمال في روسيا، موضحاً أن المحليين الروس قد صنعوا نسباً "متفاوتة" للمهتمين بالشراء في مشاريع ترامب في نيويورك، ودبي، وأماكن أخرى، ولكنه قال إن روسيا "مكان مخيف" لإنشاء العقارات بسبب المشكلات في النظام القانوني، وسيطرة الحكومة، والفساد، "وأخو مَن يسدد دين من، وإلى ما هنالك...".

١ مقابلة أراس وأمين أغالاروف مع بيرنبوم.

٢ المصدر نفسه.

3 Steve Goldstein, "Trump May Build Hotels in USSR," Philly.com, July 7, 1987.

4 Hazel Heyer, "Executive Talk: Donald Trump Jr. Bullish on Russia and Few Emerging Markets," *Global Travel Industry News*, September 15, 2008.

في حفل مسابقة ملكة جمال الكون في موسكو عام ٢٠١٣، قال ترامب الأب إنه يخوض محادثات جادة لبناء ناطحة سحاب[١] في موسكو. أطلق ترامب مجموعة من التعليقات المحابية لبوتين الذي كان من المقرر أن يلتقيه[٢] في اليوم السابق للمسابقة. لكن بوتين ألغى المقابلة في اللحظة الأخيرة لمقابلة ملك أجنبي. قال آراس: "أرسل بوتين إليه [إلى ترامب] رسالة، رسالة لطيفة، يقول فيها إنه ممتن جداً لهذه الفعالية في روسيا، كما أرسل إليه علبة فيدوسكينو روسية [Fedoskino box علبة رسمت عليها لوحات روسية تقليدية مطلية بطبقة شفافة لامعة]. أعطيته الصندوق والرسالة، فغادر وهو يحمل مشاعر ودية[٣]".

كان ترامب يعبّر عن إعجابه بقيادة بوتين رغم سجله الحافل باضطهاد ومحاكمة الصحافيين والمنافسين السياسيين. مع ذلك، لم ينتصب أي برج لترامب في سماء موسكو. ذكر أمين أن الخطط كانت في حالة توقف مؤقت، وبسبب أساسي هو ضعف سوق الإنشاءات السكنية في روسيا. لم يؤثر تغيير تركيز ترامب في علاقته مع عائلة أغالاروف. يذكر أمين: "في كل مرة أذهب فيها إلى نيويورك، وعندما يكون ترامب في نيويورك أيضاً، أذهب لزيارته". في آخر محادثة لهما، قبل أن يعلن ترامب ترشيحه للرئاسة، "كان ينتقد حكومة الولايات المتحدة الأميركية لأنها لم توطّد علاقتها مع روسيا... وهو يعتقد أنه يجب على أميركا أن تتفق مع روسيا وتتحد معها وأن تتفقا على أهداف مشتركة معاً عوضاً عن مقاتلتها... وقد يكون هذا إنجازاً عظيماً إن أصبح رئيساً وأصبح صديقاً لبوتين... وعائلتنا تصوت حتماً للسيد ترامب". يقول أمين إن ترشيح ترامب كان جيداً للتجارة: "حتى إن لم يصبح رئيساً[٤]، إن موّل علامته التجارية فقط، لعله سيضاعف قيمتها حتى ثلاثة أضعاف، أليس كذلك؟".

بدا لوهلة أن حظ ترامب سيكون أفضل في أذربيجان، موطن عائلة أغالاروف. رغم أن أذربيجان أصبحت دولة مستقلة بحد ذاتها بعد انهيار الإمبراطورية السوفياتية

1 "US 'Miss Universe' Billionaire Plans Russian Trump Tower," RT.com, November 9, 2013.

٢ مقابلة أراس وأمين أغالاروف مع بيرنبوم.

٣ المصدر نفسه.

٤ المصدر نفسه.

عام ١٩٩١، تمكنت عائلة أغالاروف من إعادة الدفء إلى العلاقة عبر زفاف أشبه بزفاف ملكي[1]، لم يكن بالإمكان عقده في ظل حكم الاتحاد السوفياتي، بين عائلتين متنفِّذتَيْن. عام ٢٠٠٦، تزوج أمين أغالاروف بليلى علييف Leyla Aliyeva، الابنة الجميلة لإلهام علييف Ilham Aliyev، وهو رئيس أذربيجان. بمصاهرة عائلة علييف، أصبح أمين الشاب الوسيم فرداً من عائلة معروفة بتجاهلها حقوق الإنسان وقمع حرية الرأي، بما في ذلك سجن الصحافيين الذين كانوا يتحرّون عن أنشطة الحكومة. حكم إلهام علييف الدولة منذ عام ٢٠٠٣، عندما تولى الحكم عن والده، حيدر علييف Heydar Aliyev الذي كان القوة السياسية المسيطرة[2] في أذربيجان منذ ستينيات القرن السابق.

حكمت عائلة علييف البلاد سياسياً واقتصادياً، وكانوا معروفين بثروتهم الطائلة. رغم أن المرتب السنوي للرئيس يتجاوز مئتي ألف دولار بقليل، فإنه كان يمتلك عقارات باذخة ومشاريع أعمال كبيرة. وصف عنوان إحدى المجلات العائلة بأنها "عائلةً كورليوني Coroleony في قزوين[3]"، في إشارة ضمنية إلى برقية ديبلوماسية أميركية تقارن إدارة عائلة علييف[4] بعائلة المافيا، كورليوني، في سلسلة أفلام The God Father.

شكلت أذربيجان دوراً حساساً ومهماً بالنسبة إلى الولايات المتحدة، إذ دوماً وازنت واشنطن بين مصالحها النفطية والأمنية، وبين سجل علييف في الفساد في حقوق الإنسان. وكانت الدولة العلمانية، التي يغلب عليها الطابع الإسلامي بتعداد سكان يبلغ تسعة ملايين شخص، والمتاخمة لإيران ولروسيا، قد اتخذت موقفاً موالياً للغربً، لتشكل بذلك ثقلاً موازياً لطهران وموسكو. كانت الدولةُ الرئيسية المنتجة للنفط والغاز، وممراً مهماً لمشروع[5] SGC (مسار الغاز الجنوبي) الذي تبلغ تكلفته

1 "Emin: A Singer with Connections," BBC News, March 1, 2011.

2 Heydar Aliyev Foundation biography, http://www.heydar-aliyev-foundation.org/en/content/index/63/

3 Michael Weiss, "Te Corleones of the Caspian," *Foreign Policy*, June 10, 2014.

4 Haley Sweetland Edwards, "Azerbaijan: President Aliyev Compared Unfavorably to Hot-Headed Mobster in WikiLeaksCable," *Los Angeles Times*, December 3, 2010.

5 "Southern Gas Corridor," Trans Adriatic Pipeline AGcompany website, http://www.tap-ag.com/the-pipeline/the-big-picture/southern-gas-corridor

خمسة وأربعين مليار دولار، وهو أنبوب للغاز بطول ألفين ومئة ميل يمتد من مدينة باكو إلى إيطاليا ومصمم لنقل غاز بحر قزوين إلى أوروبا، كانت بالنسبة إلى ترامب جاهزةً لصفقة عمل.

في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٤،[1] وفي الوقت الذي كان ترامب فيه يرسل التهنئة بعيد ميلاد صديقه أمين أغالاروف في موسكو، أعلن أنه سينفذ صفقة لبناء فندقٍ في باكو مع الملياردير الأذربيجاني الشاب البارز أنار مامادوف. سيضم ترامب مشروع شركة مامادوف، Garant Holding، لتطوير فندق وبرج ترامب انترناشيونال وبرج باكو، وهو بناء بشكل شراع ومكون من اثنتين وسبعين شقة "فائقة الفخامة"، ومئة وتسع وثمانين غرفةً. سيطلق ترامب اسمه على المشروع الذي استمر البناء فيه لسنواتٍ عدة، وفي النهاية سيدير الفندق. قال ترامب عن المشروع عام ٢٠١٤ في تصريح صحافي: "عندما سنفتتح المشروع عام ٢٠١٥، سيجرب الزوار والسكان المشروع الفخم الذي لا مثيل أي شيءٍ في باكو: سيكون من أفضل الأماكن في العالم".

كان مامادوف سليل عائلة أذربيجانية أشبه بالملكية، وهو ابنٌ لإحدى أقوى العائلات وأكثرها نفوذاً في أذربيجان. كان والده، زياد مامادوف، وزير النقل في البلاد لمدة طويلة والمقرب من الرئيس علييف، وواحداً من أغنى رجالات أذربيجان، ويعود الفضل في ذلك إلى ما تسميه وزارة الخارجية الأميركية[2] "الفساد والانتهازية التي تمارسها النخب المرتبطة بالسياسة".

درس أنار مامادوف[3] في جامعة American InterContinental في لندن، حيث حصل على درجة البكالوريوس عام ٢٠٠٤، ودرجة الماجستير في إدارة الأعمال عام ٢٠٠٥، وبين عشية وضحاها، أصبح ملياردير اً. ولم يكن من المفاجئ الصعود السريع لابن وزيرٍ حكومي ثري في العالم السري الديكتاتوري لجمهوريات ما بعد

1 "Trump Hotel Collection Announces Trump International Hotel & Tower Baku," PR Newswire, November 4, 2014.

2 "2013 Investment Climate Statement–Azerbaijan,"U.S. State Department report, March 2013, http://www.state.gov/e/eb/rls/othr/ics/2013/204596.htm
لم يستجب مامادوف للطلبات المتكررة لإجراء مقابلة أرسلت إليه عبر المسؤولين في شركته وأصدقائه والبريد الإلكتروني و"فايسبوك".

3 "Philanthropist AnarMammadov," Anar Mammadov,WordPress.com, August 14, 2014.

الاتحاد السوفياتي. فقد امتلك أولاد الرئيس علييف الثلاثة ما قيمته خمسةً وسبعين مليون دولار من العقارات في دبي، تتضمن تسعة قصورٍ مطلة على البحر[1] تم شراؤها عام ٢٠٠٩ خلال أسبوعين باسم ابن الرئيس ذي الأحدَ عشرَ ربيعاً.

وأفادت التقارير بأن شركات أنار مامادوف، أو الشركات المرتبطة به، استفادت من العقود المبرمة مع وزارة النقل الذي كان والده يرأسها بما قيمته مليار دولار[2].

قرر الحرس القديم عام ٢٠١١ أن أنار مامادوف هو الرجل الذي تحتاجه البلاد ليقودها إلى الحداثة والتجديد حتى ترقى إلى مصاف دول العالم المتقدمة، فأسّس "الاتحاد الأذربيجاني للغولف"[3] وبنى أول ملعب للغولف في البلاد. تكلم باللغة الإنكليزية وبدا مرتاحاً في أوروبا وأميركا، وأصبح من الوجوه العامة للجماعات الضخمة المؤثرة في الولايات المتحدة. أسس مامادوف "التحالف الأذربيجاني الأميركي" الذي اجتاح واشنطن عام ٢٠١١ كإعصارٍ من النقود. أنفق "التحالف" في السنوات الخمس التالية اثني عشر مليون دولار في استمالة وكسب[4] صانعي السياسة في واشنطن، إذ سمى النقاد في باكو تلك الديبلوماسية بـ"ديبلوماسية الكافيار[5]".

أقام "التحالف" ثلاث حفلات عشاء سنوية ضخمة[6] في واشنطن لعرض الثقافة الأذربيجانية. وقد استقطب العشاء الأول نحو سبعمئة شخص بمن فيهم رئيس مجلس النواب جون بوينر. اجتمع مامادوف مع العشرات من المشرعين، بمن فيهم بوينر،

---

1 Andrew Higgins, "Pricey Real Estate Deals in Dubai RaiseQuestions about Azerbaijan's President," *Washington Post*, March 5, 2010.

2 NushabeFatullayeva, "Mixing Government and Businessin Azerbaijan," Radio Free Europe/ Radio Liberty, April 4, 2013

كشف التقرير أيضاً أن مامادوف كان لبعض الوقت، في أواخر العشرين وأوائل الثلاثين من العمر، يملك حصة ٨١% من Bank Azerbaijan، الذي كان يجري عدداً من تعاملات مامادوف المتعلقة بأعمال النقل.

3 "Inaugural Azerbaijan Golf Challenge Open Praised by Foreign Media," AnarMammadov Tumblr page, http://anarmammadov.tumblr.com/

4 "Azerbaijan America Alliance," OpenSecrets.org report, 2015, http://www.opensecrets.org/lobby/clientsum.php?id=D000064546.

5 Robert Coalson, "Baku Smooths Over Its Rights Record with a Tick Layer of Caviar," Radio Free Europe/Radio Liberty, November 8, 2013.

6 Daniel Swartz, "Speaker Boehner, Congressional Leaders, AMBs reafrm U.S./Azerbaijani Relationship at Dinner Gala," Revamp.com, November 15, 2012, http://www.revamp.com/story.php?StoryID=2127

والرئيسة السابقة للمجلس نانسي بيلوسي، والسيناتور الجمهوري جون ماكين عن ولاية أريزونا. وفي حركة دعم تدل على الأهمية، تعاقد "التحالف" مع عضو الكونغرس السابق دان بورتون، وهو جمهوري من ولاية إنديانا[1]، ليكون رئيس مجلس إدارة "التحالف".

برغم الانتقادات، لم تمنع المخاوف والشكوك حول النظام الأذربيجاني، الذي كان يحظى بشعبية في واشنطن، ترامب، من إتمام صفقته. ظلت مجموعات حقوق الإنسان وغيرها لسنوات تنشر عن فضائح الفساد واسعة الانتشار في أذربيجان، والدور البارز لمامادوف وعائلته في الزمرة الحاكمة، الذي يظهر عند أي بحث في "غوغل" عنها، لكن محامي ترامب، غارتن، قال إن منظمة ترامب قد اتخذت "الإجراءات اللازمة" حول مامادوف والقائمين على شركته قبل إتمام الصفقة، وإنه "لم يكن هناك أي شيء" مثير للشبهات. قال غارتن إن اتفاقية الترخيص[2] بين ترامب وبين "غارانت القابضة" كانت قد وُقعت عام ٢٠١٢ ، أي قبل أكثر من سنتين من إعلان المشروع. ورداً على سؤال حول التقارير الصحافية التي تتساءل عن مصادر ثروة مامادوف، أشار غارتن إلى أن هذه التقارير تعود إلى عامي ٢٠١٣ و٢٠١٤، وقال: "إن كل التقارير خرجت للعلن بعد توقيع الصفقة". الآن، بعدما كانت منظمة ترامب على دراية بالتقارير المتعلقة بمامادوف، قال غارتن: "هناك أمور يجب أن تناقش".

رأى منتقدو النظام الأذربيجاني أن دور مامادوف في صفقة ترامب هو موافقة ضمنية من الحكومة، وقالوا إن نجاح الصفقة اعتمد جزئياً على العلاقات الجيدة مع كبار المسؤولين في البلاد. وقال غانيمات زاهد، الذي كان رئيس تحرير إحدى الصحف الأذربيجانية المعارضة الرئيسية قبل سجنه ثم نقله للعيش في المنفى في باريس، إن شراكة ترامب مع مامادوف كانت مثيرة للقلق جداً، وأضاف[3]: "في أفضل الأحوال، يمكننا القول إنه كان على دونالد ترامب العمل مع واحد من هؤلاء الأشخاص للحصول على الصفقة في أذربيجان، لكن في أسوأ الحالات، كان يعرف

1 Ilya Lozovsky, "How Azerbaijan and Its Lobbyists Spin Congress," *Foreign Policy*, June 11, 2015.

٢ مقابلة آلان غارتن مع كيفن سوليفان، ٢٠١٦.

٣ المصدر نفسه.

أن هؤلاء الناس فاسدون، ولم يعر أي اهتمام لذلك".

عندما أعلن ترامب صفقة الفندق مع مامادوف في تشرين الثاني ٢٠١٤، وهو الشهر نفسه الذي يُقام فيه الحفل السنوي الثالث لـ"التحالف الأذربيجاني الأميركي" في واشنطن، بدا أن أذربيجان المزدهرة كانت لا تزال رهاناً جيداً. قال غارتن إن وسيطاً معروفاً لكلا الجانبين تقرب من ترامب، وإن ترامب كان معجباً بأذربيجان لأنها "بلد كانت تحاول تأسيس نفسها[١]". وقد كانت كل من سلاسل ماريوت والفورسيزنز والسلاسل الأخرى التي تقدم خدمات فاخرة تستثمر هناك، لذلك "إن ذلك شيءٌ ستأخذه بعين الاعتبار"، كما قال غارتن.

كانت باكو في ذلك الوقت مركزاً مزدهراً للتطوير والتحديث ومدعومةً بأرباح النفط. افتتح مركز حيدر علييف الضخم ذو التصميم المستقبلي، الذي صممته المهندسة المعمارية الشهيرة زها حديد، عام ٢٠١٢، ثم تلاه افتتاح أبراج اللهب – ثلاثة أبنية مذهلة وفيها مكاتب وفندق وبناء للشقق السكنية، كما يأخذ كل برج شكل لهب الشمعة – وافتتاح بناء ضخم جديد في مطار باكو يضم باراً للكافيار والشمبانيا.

ظهر فندق باكو على الموقع الرسمي لترامب حيث وعد بافتتاحه عام ٢٠١٥، لكن لم يتم ذلك. اختفى الفندق من على موقع ترامب بعد سنة تقريباً. غادر المدير العام الذي وظفه ترامب[٢] من أجل وظيفةٍ في براغ. تم صرف طواقم البناء وإرسالهم إلى منازلهم وتم إغلاق الفندق. وقال خالد كريملي وهو المدير المالي لشركة مامادوف: "واجهتنا عوائق في عملية البناء[٣]"، مشيراً إلى أن اقتصاد أذربيجان قد انهار عندما انخفض النفط من أكثر من مئة دولار للبرميل الواحد عام ٢٠١٤ إلى ثلاثين دولاراً في العام اللاحق. خفّضت الحكومة الأذربيجانية قيمة عملتها إلى النصف عما كانت عليه سابقاً.

تحول أفق المدينة التي كانت مزدهرةً ذات يوم إلى لوحةٍ قاتمةٍ مع منظر الرافعات

---

١ المصدر نفسه. قال غارتن إنه لا يذكر اسم الوسيط بين ترامب ومامادوف.

2 "Corinthia Hotels Appoint Eric Pere as New General Manager of Corinthia Hotel Prague," Corinthia Hotels press release, November 9,2015 http://www.ihiplc.com/news/news-detail/corinthia-hotels-appoint-eric-pere-as-new-general-manager-of-corinthia-hotel-prague

٣ مقابلة خالد كريملي مع سوليفان.

المتوقفة عن العمل والتي تظهر فوق المباني النصف المنتهية. تم إغلاق الكثير من الأعمال والشركات، وفقد الآلاف وظائفهم، كما عرضت فنادق النجوم الخمس الغرف المطلة على البحر بسعر غرف النجوم الثلاث، وقال كريملي إن البناء قد اكتمل بنسبة ٩٠% عندما أغلق الموقع، كما قال إن الفندق "ربما" كان سيفتتح عام ٢٠١٧.

كان ترامب اللاعب الرئيسي الوحيد الذي لم يخسر المال في المشروع. وقال كل من كريملي وغارتن إن اتفاقه لم يكن يُناقش وأتعابه لم تُخفّض، لكن لم يكشف أي منهما عما كان يُدفع لترامب (في استمارات الإفصاح عن تمويل الحملات الانتخابية، أفصحت حملة ترامب عن إيرادات قدرها مليونان ونصف المليون دولار من هذا المشروع[1] بين كانون الثاني/يناير ٢٠١٤ وتموز/يوليو ٢٠١٥، وثلاثمئة وثلاثة وعشرون ألف دولار أخرى في بند رسوم إدارية في الأشهر اللاحقة).

في الوقت نفسه تقريباً، الذي توقف فيه مشروع فندق ترامب في باكو فجأة، اختفى مامادوف عملياً. قال أصدقاؤه إنه كان يعيش في لندن على نحو رئيسي، وإنه قد توقف عن دفع بعض فواتيره. لم يُقم "التحالف الأذربيجاني الأميركي" العشاء السنوي عام ٢٠١٥ في واشنطن. استقال برتون[2] في آذار ٢٠١٦ قائلاً إنه لم تدفع أتعابه منذ عام، وفي الشهر التالي، بعد الاستفسارات الواردة من صحيفة **واشنطن بوست**، تم الاستيلاء على موقع "التحالف" من دون ضجة. قال غارتن إن مشروع فندق ترامب لا يزال "معلقاً"، و"آمل أن يُعاد العمل فيه، لكننا لا نعلم". وقال كريملي إن مامادوف أطلق اسم ترامب في البداية على الفندق لأنه كان معروفاً أن هذا الفندق ذو النجوم الخمس في باكو سيجذب القادة السياسيين ورجال الأعمال في أذربيجان وكذلك رجال الأعمال الدوليين، وأضاف كريملي: "لكن ترامب الآن مرشح للرئاسة، واسم ترامب ذو قيمة أكبر لمشروع فندق باكو، وكان استثماراً جيداً وغير متوقع"، قال ذلك وهو يضحك وأضاف: "نأمل أن يتم انتخاب ترامب رئيساً".

توجه ترامب في السادس من تموز/يوليو ٢٠١١ إلى بنماسيتي لافتتاح فندق وبرج

---

1 Rosalind S. Helderman and Tom Hamburger, "Donald Trump's Financial Disclosure Lists Hundreds of Positions and Deals," *Washington Post*, July 22, 2015.

2 Carl Schreck, "Ex-U.S. Congressman Quits Azerbaijani Lobby Group, Citing Nonpayment," Radio Free Europe/Radio Liberty, March 2, 2016.

Trump Ocean Club International، وهو أول مشروع له يفتتح أبوابه خارج البلاد. "من قال[1] إن القليل أفضل من الكثير لم يجرب الكثير أبداً"، هكذا كانت المادة الترويجية تتباهى وهي تسوّق المجمع ذا الطوابق السبعين، الذي يضم غرفاً فندقية، وشققاً، ومطاعم، ومكاتب وكازينو: كانت جميعها ضمن البناء الذي يحمل اسم ترامب، الأطول والأكثر غطرسةً في أميركا الوسطى. ظهر ترامب أمام المصورين ببدلة داكنة مع قميص أبيض، وربطة عنقٍ حمراء نارية، وقد شبك في كل ذراع ملكة جمال: على يساره كانت ملكة جمال بنما لعام ٢٠١١، وعلى يمينه كانت جاستن باسك Justine Pasek ام ٢٠١١، وعلى يمينه كانت نما داكنة مع قميص أبيض، ، الحسناء البنمية الحاصلة على التاج في مسابقة ملكة جمال الكون عام ٢٠٠٢ التي كان ترامب من منظميها.

كان مظهر ترامب يروي كل الأشياء الصحيحة حول تلك البلد الاستوائية التي تنبع أهميتها من ضيق نطاقها، ما سمح ببناء قناة بنما التي يبلغ طولها خمسين ميلاً وتصل المحيط الأطلسي بالمحيط الهادئ محدثةً ثورةً في مجال الشحن البحري في نصف الكرة الغربي. كان البنميون تواقين إلى جعل عاصمتهم ترقى إلى مستوى العواصم العالمية، فسمحوا لترامب ببناء برج فيها، ونُقش اسمه بالذهب على ذلك البرج الشراعي الشكل المطل على البحر، وصارت بنما سيتي تُعرف باسم ميامي أميركا الوسطى التي تعيش إيقاعاً سريعاً.

وقف ترامب الآن تحت أسقف الفندق المرتفعة تتودد إليه ملكات الجمال والراقصون الذين يرتدون الزي التقليدي البنمي. شكر الرئيس البنمي ريكاردو مارتينيلي[2]- رجل الأعمال الثري الذي سيهرب بعد عدة سنوات إلى ميامي وسط مزاعم كثيرة حوله بالفساد - ترامب لبيعه بنما الأحرف الخمسة التي تحبها. ترامب وجه بدوره كلمات دافئة إلى مارتينيلي أوحى فيها أن الألق الذي بدأت بنما تتعرف عليه قد يحمل معه مكافآتٍ أكثر: "ربما يود الرئيس أن نعيد مسابقة ملكة جمال الكون هنا".

1 Trump Hotel Collection literature
https://www.trumphotelcollection.com/panama/panama-city-panama-hotels.php

2 "Donald Trump at Press Conference in TrumpPanama," YouTube, July 6, 2011, https://www.youtube.com/watch?v=ZfyvAE6uZLU

مع انتهاء الحفل، بدأت السماء تمطر، فاضت كل شوارع بونتا باسيفيكا المجاورة - بسبب نظام صرفها الصحي السيئ - فتقطّعت السبل بترامب واُحتجز لمدة ساعةٍ تقريباً. تم الاتصال مع الرئيس. علقت السيارات في الشوارع بسبب الفيضانات. أخيراً، أرسل أحدهم سيارة دفعٍ رباعي كبيرة لإخراج ترامب من هناك. لم تكن الأمور تسير بيُسر في فندق بنما.

كان الهدف من الفندق المبني على الواجهة البحرية لبنماسيتي هو جعل هذه المدينة نقطة انطلاقٍ لترامب في عالم التطوير العقاري الدولي. قالت إيفانكا ترامب (ابنة ترامب) خلال زيارة إلى الفندق عام ٢٠١١: "هذا البناء هو جسرٌ مهمٌ جداً[1] بالنسبة إلينا، ونحن نبدأ في التوسع على الصعيد الدولي". وأضافت أن عائلة ترامب لمست أهمية وإمكانات بنما عندما استضافت هذه المدينة مسابقة ملكة جمال الكون عام ٢٠٠٣. دعا متعهد البناء روجر خفيف، الذي هاجر إلى بنما من لبنان قبل ثلاثة عقود، دونالد ترامب[٢] إلى الانضمام إلى مشروع بنما سيتي. كان خفيف قد نفذ بعض المشاريع الناجحة قبل صفقة ترامب، وقال إن تعهدات البناء "كانت هواية لديه" بصورة رئيسية. عام ٢٠٠٢، دفع مليونين وسبعمئة ألف دولار لقاء ثلاثة فدادين من الأراضي المُنشأة حديثاً على طول الواجهة البحرية لبنما سيتي. رأى فيها خفيف فرصة من النوع الذي لن يتكرر: مجمعٌ ضخم مع فندق، ستمئة وثلاثون وحدة سكنية، مكاتب، محلات تجارية للبيع بالتجزئة، وكازينو. وضع خططاً للسنتين المقبلتين، مستحضراً فيها الشكل الشراعي لفندق برج العرب المشهور في دبي.

وللحصول على مبلغ مئتين وثلاثين مليون دولار، تقريباً، وهو التمويل المطلوب لبناء المجمّع، كان خفيف بحاجة إلى اسم: علامة تجارية كبيرة بحجم طموحاته. "في هذه الأيام"، قال: "ترامب هو العلامة التجارية". وهكذا كتب خفيف رسالةً يشرح فيها مشروعه وأرسلها إلى عنوان ترامب في نيويورك. لم يتلق خفيف رداً على رسالته، قال لنفسه: "ربما رُميت في سلة المهملات"، وربما سأل ترامب نفسه: "ما هي بنما بحق الجحيم؟"، لكن خفيف لم يستسلم. فقد تمكن عبر صديقٍ لصديقه

1 Tim Rogers, "Donald Trump to Panama: You're Hired!" *Christian Science Monitor*, February 24, 2011.

٢ مقابلة روجر خاف مع سوليفان.

أن يسافر للقاء ترامب.

سافر خفيف إلى نيويورك، وذهب إلى برج ترامب حاملاً مخططاته، وبيانات عن الأسواق، والتوقعات المالية، ومقطع فيديو قصير عن بنما والمشروع. قال خفيف إنه شرح لترامب أن بنما كانت البيئة المثالية والآمنة وهي صديقةٌ للولايات المتحدة وستجذب المتقاعدين الأميركيين ذوي الكفاءات العالية، وأن علامة ترامب ستجذب الكثير، وأضاف: "لقد سأل كثيراً، أريناه المخططات، تحدثنا عن بنما". انضمت إيفانكا ترامب إلى الاجتماع. "لم نطلب من ترامب أن يستثمر أمواله في المشروع، طلبنا منه بيع الحقوق بتسميته مشروع باسم ترامب". كان خفيف متأكداً أن ترامب سوف يدفع التمويل الذي احتاجه للمشروع.

شكره ترامب لحضوره، وغادر خفيف. في اليوم التالي، بينما كان خفيف في ميامي، رنّ جرس هاتفه. طلب منه المتصل أن يتكلم مع ترامب. ظن خفيف أن صديقاً كان يمزح معه إلى أن سمع صوت ترامب يقول: "روجر، أنا متحمس، لقد أحببت تلك الفكرة فعلاً، أريد ذلك المشروع لابنتي إيفانكا". ثم ما لبثت إيفانكا - ٢٤ عاماً - أن تولت دوراً أكبر في الشركة، وأراد ترامب أن يكون مشروع بنما "طفلها الصغير". التوقيت كان مثالياً لأن ترامب أراد التوسع خارج الولايات المتحدة، وكان مشروع بنما واعداً جداً والأضخم من نوعه في أميركا الوسطى: مشروعٌ بحجم ترامب، كما وصفه خفيف.

ذهب خفيف إلى Bear Stearns في نيويورك حاملاً معه اسم ترامب[1] وأودع صفقة سندات بقيمة ٢٢٠ مليون دولار. قال خفيف إنه لم يكن بمقدوره الحصول على المال دون اسم ترامب، كما أن اسم ترامب سمح له برفع سعر المتر المربع لشققه إلى ثلاثة آلاف دولار وذلك أكثر بثلاث مرات من سعر الوحدات السكنية المجاورة.

قال خفيف وشخصان آخران في بنما، على دراية بتفاصيل المشروع[2]، إن الصفقة الأصلية أعطت ترامب حوالى خمسة وسبعين مليون دولار من رسوم الترخيص وحصةً

1 "Tatcher Proftt Completed Trump Ocean Club Bond Offering," PR Newswire, November 20, 2007.

٢ مقابلات مع كيفن سوليفان، ٢٠١٦. لم يكشف خاف نسبة كل صفقة مبيعات حصل عليها ترامب. رفض غارتن مناقشة أي تفاصيل مالية.

من كل شقة تُباع، وبالإضافة إلى ذلك، ستحصل شركة ترامب على رسوم لقاء إدارة الفندق. وبحلول عام ٢٠١٦، ربح ترامب نحو خمسين مليون دولار[١] من صفقة بنما، استناداً إلى ما قاله شخصان على دراية بالمشروع. ترامب نفسه أعلن إيراداتٍ "بلغت أكثر من خمسة ملايين دولار" من العائدات وأكثر من ثمانمئة وستة وتسعين ألف دولار[٢] عن الرسوم الإدارية من مشروع بنما بين كانون الثاني/يناير ٢٠١٤ وبين تموز/يوليو[٣] ٢٠١٥. في الأشهر التسعة التالية، أبلغ ترامب عن عائدات من صفقة بنما تتراوح بين مليون دولار وخمسة ملايين دولار من الأرباح، ومليون ومئتين وثمانين ألف دولار أخرى عن رسوم الإدارة.

ظلت الأموال تتدفق على ترامب حتى عندما بدأت المشكلات[٤] والخلافات والدعاوى حول مشروع بنما بالظهور. بدأت المشكلات تقريباً بعدما افتتح ترامب المشروع وقص الشريط الحريري له عام ٢٠١١. في غضون عامين، قدمت شركة خفيف طلباً للحماية من الإفلاس تحت الفصل الحادي عشر[٥]، وافقت المحكمة على صفقة لإعادة هيكلة الديون. قال خفيف إن الانكماش الاقتصادي العالمي تسبب في انخفاض مبيعات الشقق بحدّة. لم يتمكن المشترون، الذين أودعوا رعبوناً لشراء الشقق، من إتمام صفقة الشراء، إذ صار من الصعب الحصول على قرضٍ للرهن العقاري. قال خفيف إن نحو ٩٠% من الوحدات السكنية كان مُتعاقداً عليها، لكن أكثر من نصف هؤلاء المتعاقدين لشرائها لم يتمكنوا من إكمال الصفقة والتعاقد، وكان عليهم التخلي عن ٣٠% من ودائعهم، أي ما مجموعه نحو خمسين مليون دولار[٦].

١ مقابلات مع سوليفان. طلبت المصادر إخفاء شخصياتها خشية انتقام ترامب. قال أحد مالكي الشقق في مبنى ترامب: "ترامب يقاضي الجميع". رفض غارتن مناقشة التفاصيل المالية للمشروع.

2 Donald Trump's personal fnancial disclosure, *Washington Post*, released on May 18, 2016 https://www.washingtonpost.com/apps/g/page/politics/donald-trumps-personal-fnancial-disclosure/2033/

3 Helderman and Hamburger, "DonaldTrump's Financial Disclosure Lists Hundreds of Positions and Deals."

4 Jeff Barton, "Trump Ocean Club: Te Good, Bad and Ugly (Part 1)," *Panama Property News*, September 25, 2014.

5 Maria Chutchian, "Panamanian Trump Hotel's Developer's Ch. 11 Plan Gets Nod," Law360.com, May 30, 2013.

٦ مقابلة خاف مع سوليفان.

حتى بعدما تمت الموافقة على صفقة الإفلاس[١]، لم تتوقف المشكلات، بل خرجت عن السيطرة عام ٢٠١٥. لم يكن ترامب يدير الفندق فقط، لكن أيضاً الجزء السكني من المبنى، حيث دفعت شركة ترامب مئة دولار[٢] عن الغرفة رقم ١٥٠٢، وهي غرفة بمساحة مئة وسبعين قدماً مربعاً وقريبة إلى الطابق الخامس عشر، واُستخدمت بوجه رئيسي للمرافق؛ وبموجب القانون البنمي، إن هذه الغرفة الصغيرة جعلت مديري ترامب مؤهلين للمشاركة في مجلس إدارة الوحدات السكنية. ثار أعضاء مجلس الوحدات السكنية عام ٢٠١٥ الذين لم يوظفهم ترامب على ما سموه سوء الإدارة من المديرين المحليين لترامب[٣]، وادعى المالكون أن مديري ترامب قد تجاوزوا[٤] ميزانية مجلس إدارة الوحدات السكنية، وأعطوا لأنفسهم مكافآتٍ لم يُكشف عنها، وخلطوا على نحو غير ملائم بين المسائل المالية للشقق، وبين الفندق، وذلك لجعل الفندق يبدو أكثر ربحيةً. نفت شركة ترامب هذه الادعاءات باستمرار.

قال خفيف ومصدران آخران إن مديري ترامب اقترحوا فرض[٥] ضريبة لمرة واحدة تبلغ أكثر من مليوني دولار على رابطة أصحاب الشقق لتغطية العجز في الميزانية. رفض أعضاء المجلس الغاضبون دفع الضريبة وطالبوا باستقالة أعلى مسؤول رسمي لترامب في بنما، مارك ستيفنسون Mark Stevenson. عقب الاجتماع، استقال ستيفنسون من منصب رئيس مجلس الإدارة، وتولى المُلّاك الآخرون مسؤولية المجلس. طالب المجلس الجديد بعودة أكثر من مليوني دولار ادعوا أنها أنفقت على نحو غير سليم. ردّ محامو ترامب بالمطالبة بأن يدفع أصحاب الوحدات السكنية لترامب رسوم إنهاء التعاقد وقدرها خمسة ملايين دولار، ثم طلب ترامب تعويضاً لا يقل عن خمسة وعشرين مليون دولار[٦] من المالكين، قائلاً إنهم طردوا فريق إدارته بطريقة غير قانونية،

1 Jeff Horwitz, "Panama Condo Owners to Trump: You're Fired!," *Associated Press*, October 11, 2015.

٢ سجلات الأراضي العامة في بنما، حصلت عليها **واشنطن بوست** في نيسان/أبريل ٢٠١٦.

٣ كانت **الأسوشيتد برس** قد أوردت عدداً من تفاصيل الجدل.

٤ مقابلات مع سوليفان.

٥ المصدر نفسه.

٦ ثمة جدل بشأن المبلغ الذي طالب به ترامب. ذكرت **الأسوشيتد برس** أن ترامب قاضى مالكي الشقق مطالباً بمبلغ خمسة وسبعين مليون دولار، كما أن أحد مالكي الشقق الذين قابلتهم **واشنطن بوست** قال إن ترامب طالبهم بخمسة وسبعين مليون دولار. لكن غارتن قال إن ذلك كان سوء

وحاول ترامب - المرشح للرئاسة - أن يُبقي هذا الادعاء سرياً بتقديمه إلى محكمة تحكيم سرية مقرها باريس لكن القضية كشفتها وكالة أنباء **أسوشيتدبرس**[1].

تراجع المجلس[2] وتمت تسوية القضية. قال شخصان على دراية بالقرار إن الجانبين اتفقا على التنازل عن مطالبهما، وقال أشخاصٌ من الجانبين إنهم مُنعوا من الكشف عن التفاصيل، ولكن غارتن قال إن القضية انتهت "ودياً"، وأضاف: "لا أعتقد أن أي شخص تعرض للضغط؛ لدينا الحق في حماية مصالحنا[3] وهذا ما فعلناه". تضمنت التسوية تكتيكاً آخر اتبعه ترامب مراراً وهو اتفاق لمنع إفشاء بنود التسوية. قال أحد مالكي الشقق إن القيود في الاتفاق منعته من التحدث علناً، وإنه يخشى أن ترامب قد يقاضيه بمبلغ قد يدمره. رفض ستيفنسون، وهو المدير السابق السابق لترامب[4] في بنما، التعليق على الموضوع، قائلاً إنه وقع اتفاقا بتجنب التحدث علناً لمدة عام على الأقل، وقال إن انتهاك هذا الاتفاق قد يكلفه مبالغ كبيرة لا يزال ترامب مديناً له بها.

عانى معظم اللاعبين الرئيسيين في صفقة بنماسيتس من الخسائر عندما انهار الاقتصاد وتوقف المشروع. قَبِل معظم حاملي السندات في اتفاق الإفلاس "حلاقةً" كبيرة: تخفيض أرباح استثماره الأصلي. بالنسبة إلى ترامب، بدلاً من أن يكسب خمسة وسبعين مليون دولار من دون أي استثمار، كسب خمسين مليوناً بدءاً من ٢٠١٦ ، وذلك استناداً إلى ما قاله أشخاص على دراية بالصفقة. قال خفيف: "إن الطريقة التي صمم ترامب بها الصفقة مكنته من ضمان أن أسوأ ما قد يحدث فيها هو أنه سيستمر في كسب المال".

حتى بعد كل تلك المشكلات، يعتقد خفيف أنه حصل على صفقةٍ جيدة من

فهم للشكوى. وقال إن شكوى ترامب، التي كتبها غارتن بنفسه، طالبت بخمسة وعشرين مليون دولار لكل سبب من "أسباب الدعوى" المتعددة. وأضاف أن جمْع تلك المطالبات كان نوعاً من التضليل، ولذلك كان المبلغ الذي طلبه ترامب هو خمسة وعشرين مليوناً. قال غارتن: "لا أقصد أن هذا المبلغ قليل، لكننا لم نطالب بخمسة وسبعين مليون دولار".

لم تتمكن **واشنطن بوست** من الحصول على نسخة من الدعوى أو التسوية السرية.

1 Jeff Horwitz, "Fired by Panama Condo Owners, Trump Demands $75 Million," *Associated Press*, November 4, 2015.

٢ مقابلات مع شخصين منخرطين في هذا الجدل، كيفن سوليفان، ٢٠١٦.

٣ مقابلة مع سوليفان.

٤ مقابلة مع سوليفان.

ترامب، فبعد إعادة هيكلة الديون ومع استعادة الاقتصاد العالمي عافيته، كانت أعمال الفندق تتحسن، وبيعت الوحدات السكنية كلها تقريباً، وظل يخت خفيف راسياً قبالة رصيف الفندق.

قال خفيف في مقابلةٍ في برج Trump Ocean Club: "لقد فعل ما كان عليه فعله، ونحن فعلنا ما كان علينا فعله"، وأضاف: "لو لم يحدث ذلك، ما كنّا نجلس هنا في هذا المكتب وهذا الطابق، لأنه لم يكن ليوجد أيٌّ منهما".

***

في مطلع ٢٠٠٦، بدأت الشائعات بالانتشار في شمال شرق أسكتلندا: ترامب كان يفكر في توسيع إمبراطورية الغولف التي يملكها إلى أوروبا، وإلى أسكتلندا: موطن تلك الرياضة ومسقط رأس والدته التي نشأت في قريةٍ صغيرة في جزيرة لويس. يمتلك ترامب عدداً من ملاعب الغولف حالياً، وتقع غالبيتها في مناطق المنتجعات الدافئة في الولايات المتحدة. وضع الآن نصب عينيه إنشاء ملعبٍ للغولف يمكن فيه استضافة بطولة الغولف المفتوحة البريطانية، فانتشرت موجةٌ هستيرية من التوقعات في الصحافة الأسكتلندية حول ذلك وما يمكن أن يشكله من دفع وتقويةٍ كبيرين لاقتصاد البلاد.

في أواخر آذار/مارس، أكد ترامب الشائعات: بعد النظر وتفحص أكثر من مئتي موقع في أوروبا، وقع اختياره على مُلكيةٍ بمساحة ثمانية آلاف فدّان تُستخدم لرياضة الرماية تقع على طول بحر الشمال، على بعدٍ نحو اثني عشر ميلاً شمال أبردين، حيث اقترح بناء "أعظم ملعب للغولف في العالم" على الكثبان الرملية المهيبة. وتوقع ترامب استثمار أكثر من أربعمئة مليون دولار وإيجاد ما لا يقل عن أربعمئة وظيفة جديدة كجزءٍ من مشروع يتضمن ملعبي غولف، وفندقاً فخماً مكوناً من أربعمئة وخمسين غرفة، ومجمّعاً سكنياً مسوّراً يضم مئات الفيلات والشقق. كان من المفترض أن يكون ذلك أهم ما حدث في تلك المنطقة منذ اكتشاف النفط في سبعينيات القرن الماضي، بل حتى أُشيع أن شين كونري Sean Connery سيأتي إلى هنا. سارعت صحيفة *Aberdeen Evening Express* إلى نشر التوقعات والشائعات: "أسعار العقارات سترتفع كالصاروخ،

وسوف تُضخ ملايين الجنيهات في الاقتصاد المحلي، وسوف يظهر المشاهير[1]".

لكن بعض السكان المحليين أثبتوا أنهم صعبو المراس كالساحل الأسكتلندي، إذ تمت حماية جزء من الكثبان الرملية التي انتقلت بالرياح، من البناء عليها، كما دافع علماء البيئة عن فكرتهم القائلة إن المشروع الكبير سيضر بما لا يمكن إصلاحه بمواطن عدد من الطيور والحيوانات المحلية. استمرت التعقيدات بالظهور، وكان قد تم التخطيط لإنشاء مزرعة رياح تجريبية قبالة الساحل تماماً، لأن طول عنفاتها يعادل طول برج ساعة "بيغ بن"، ما يهدد الإطلالة البحرية الكاملة لمشروع ترامب، كما أن بعض الجيران الذين يعيشون في نطاق المشروع لم يكونوا سعيدين لسماع أن شركة ترامب تريد منهم الانتقال في حال تم بناء منتجع الغولف.

تظاهر ترامب بقلة الاكتراث لهذه التحديات، لكنه حذر من أنه إذا أصبح المشروع معقداً كثيراً، فإنه سيتخلى عنه. رغم أن المشروع قد حظي بشعبيةٍ واسعة، فإن بعض المشككين ظلوا يتساءلون عن سبب بناء ترامب ملعباً للغولف في بقعة يعمها الضباب بانتظام. كتب صحافي في صحيفةٍ محلية: "إن المشروع كان خبراً رائعاً للمنطقة وأيضاً لمصنعي ملابس التريكو"، الذين سيجنون أموالاً طائلة عندما ينفذ اللاعبون الكبار ضربتهم الأولى ويشعرون بأن أطرافهم ستتقطع[2] بسبب البرد الذي يحمله النسيم الشمالي الشرقي الذي يبدو كأنه قد أتى مباشرة من القطب الشمالي.

في ذلك الربيع، هبطت طائرة ترامب بوينغ ٧٢٧ الخاصة في أبردين، حيث استقبله عازفو القِرب بمعزوفة Highland Laddie، كما استقبله عددٌ من الصحافيين. يعتقد بعضهم أنه من المستغرب أن ترامب بقي يشير إلى نفسه بأنه ليس أسكتلنديا Scottish بل "إسكتلندي" مثل الويسكي. مع ذلك، تودد معظم المسؤولين المحليين للابن المنحدر من بلدهم وبذلوا ما بوسعهم لتمهيد الطريق نحو الموافقة على مشروع ترامب. تم تخفيض عدد العنفات في مزرعة الرياح من ثلاث وثلاثين عنفةً إلى ثلاث وعشرين، وعدل ترامب خططه، كما ضاعف ميزانية المشروع ثلاث مرات لتصبح

1 Karen Grant, "Donald Trumpets New Dawn for Golf," *Aberdeen Evening Express*, April 1, 2006.

2 "Me Take over Millionaire? Don't (Piggy) Bank on It," *AberdeenPress and Journal*, April 3, 2006.

ملياراً ونصف المليار دولار تقريباً. كذلك توسع في المشروع ليضم مركزاً للمؤتمرات ومساكن للعمال، ومركزاً لبحوث أعشاب المروج، وفندقاً ومنتجعاً، وستة وثلاثين فيلّا فاخرة، وأكثر من ألف مسكن... كل ذلك في منطقةٍ دون البنية التحتية اللازمة للتعامل مع التدفق الكبير للقادمين الجدد. ووعد مسؤولٌ في شركة ترامب بأكثر من ألفٍ ومئتي وظيفة دائمة في المنتجع، بالإضافة إلى آلاف الوظائف الداعمة للمشروع، وقيل للسكان المحليين أن عليهم أن يتوقعوا ارتفاع قيمة ممتلكاتهم بنسبة ٢٠٪، كما قال المسؤولون إن أعمال البناء ستنتهي بحلول ٢٠١٢.

لكن عام ٢٠٠٧، رفض مجلس التخطيط المحلي الخطة في تصويت كانت نتائجه متقاربة، وقرّره أحد أعضاء المجلس، إذ قال إن الطلب الذي قدمه ترامب لم يدعِّم وعوده الكبرى[1] بالازدهار الاقتصادي. كان القانون الأسكتلندي يسمح لترامب باستئناف القرار أو أن عليه مراجعة خططه وإعادة تقديمها، لكنه بدلاً من ذلك، هدد بنقل المشروع إلى أيرلندا. وسرعان ماهرع المسؤولون الأسكتلنديون لتهدئة الأجواء معلنين أن الحكومة الوطنية ستتعامل مع الطلب وستعقد جلسة استماع مستفيضة.

في الوقت الذي بدأ فيه التحقيق العلني، في حزيران/يونيو ٢٠٠٨، كان الركود الأميركي قد ضرب وانتشر، لكن رغم أن انهيار سوق العقارات اُضطرَ شركة ترامب في نهاية المطاف إلى تأخير أو إلغاء عدد من المشاريع، بقي ترامب متمسكاً بمشروعه في أسكتلندا. توقف ترامب لمدة ثلاث ساعات في لويس في طريقه للإدلاء بشهادته في جلسة الاستماع، إذ أبصرت والدته النور وعاشت حتى بلغت الثامنة عشرة ثم انتقلت إلى نيويورك بحثاً عن عمل. كانت الزيارة الأولى لترامب منذ طفولته، وفي مؤتمرٍ صحافي بالقرب من القلعة أمطره صحافيون وقحون بوابلٍ من الأسئلة حول هل كانت زيارته مجرد محاولةٍ خرقاء لتسهيل الدعارة للسكان المحللين. دافعت عنه شقيقته الكبرى، ماريان ترامب باري، قائلةً: "سوف تكون والدتي فخورةً جداً لرؤية دونالد اليوم هنا، ستكون فخورة جداً لرؤية ما أنجزه: كل الأشياء الجيدة التي فعلها، والنجومية التي حققها. أنا هنا لا بسبب تلك الأشياء، بل لأنه أخي. أنا أحبه،

١ مقابلة مارتن فورد مع جينا جونسون، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

إنه لم ينس أبداً أصله، وأصله من هنا؛ إنه رجل محترم، رجلٌ لطيف ومرح[1] أيضاً".

في اليوم التالي، أدلى ترامب بشهادته لساعات، فقال: "إنّ العالم تعمّه الفوضى"، وإن الجزء السكني من المشروع قد يُؤجل حتى يتعافى الاقتصاد، لكنه وعد بإنجاز المشروع، وادّعى أنه يعلم الكثير عن البيئة أكثر مما يعلمه مستشاروه، رغم أنه قد اعترف أنه لم يقرأ تقاريرهم حول الموضوع، وقال: "يمكنك أن تقرأ الكثير[2] من الحياة فقط". وعد ترامب بالمحافظة على الكثبان الرملية، لكن عندما تم اتخاذ قرار بالتصويت ضد التصريح الممنوح لترامب واتهامه بالفشل في فهم طبيعة الملكيات أو بيئتها الهشة، قال ترامب: "لم يخبرني أحدٌ أبداً من قبل أنني لا أعرف كيفية شراء[3] الممتلكات، أنت أول من أخبرني بذلك. لقد فعلت حسناً بشراء العقارات. شكراً على النصيحة".

في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٨، حصل ترامب على الضوء الأخضر، لكن كان لا يزال يتعين عليه كسب الجيران الذين يعتقدون أنه كان يحاول خداعهم. كان أكبر عقارٍ [هناك] يملكه مايكل فوربس، وهو مزارع وصياد وعاملٌ في مقلع للحجارة، وكان يؤدي مختلف أنواع الأعمال، ويعيش مع زوجته في مزرعةٍ محاطةٍ بمجموعة من الأبنية الملحقة. قال ترامب عنه: "إنه يعيش كالخنزير[4]". رفض فوربس البيع. ظهرت كلماتٌ كتبت على أحد الأبنية في مزرعته تقول: لا مزيد من أكاذيب ترامب، وبدأ ترامب السعي لشراء ملكية فوربس باستخدام الشراء الإجباري، وهو إجراءٌ مشابه لما يسمى حق الاستملاك العام في الولايات المتحدة، ويمكن به إجبار بعض الجيران على الخروج من منازلهم. قال ترامب إنه لا يريد للمناظر الجميلة التي تُرى من فندقه الفخم أن "تشوهها الأحياء الفقيرة[5]".

1 Severin Carrell, "Heir of Stornoway: Trump's Flying Visit to theFamily Home," *Guardian*, June 10, 2008

2 Morag Lindsay, "Laid-Back Millionaire Confident of Triumph,"*Aberdeen Press and Journal*, June 11, 2008.

3 Craig Walker, "Trump & Ford Clash at Inquiry," *Aberdeen Evening Express*, June 10, 2008.

٤ وردت في فيلم وثائقي:
Anthony Baxter, You've Been Trumped, Montrose Pictures, 2012.

5 Frank Urquhart, "Donald Trump Jets In and Fires Off 'Slum and Pigsty' Slur," *Te Scotsman*, May 27, 2010.

للأسكتلنديين تاريخ طويل يمتد لقرون في الوقوف ضد قانون البيع الإلزامي؛ اتخذ هؤلاء قراراً بالانتقام من ترامب، فاشترت مجموعةٌ من الناشطين قطعة من أرض فوربس ووضعوا أسماءهم على وثيقة ملكية الأرض، ما عقّد جهود ترامب للحصول على الأرض. ورغم أن القادة المنتخبين كانوا قد انحنوا أمام مطالب ترامب في الماضي، فإنهم وقفوا بشدة ضد إخراج الأسكتلنديين من أراضيهم لإقامة مشروع تجاري خاص عليها، وبدا أن الجانبين سيضطران إلى التعايش جنباً إلى جنب بأسلوب غير سلمي. خارج منزل ديفيد ومويرا ميلن، اللذين كانا يقيمان في محطة تبديل خفر السواحل على تلةٍ فوق ملعب الغولف، زرع موظفو ترامب صفّاً من الأشجار أمام البيوت المطلة على البحر بمواجهة النوافذ، وهو ما حرم العائلات منظر البحر، وعندما مات أول صفٍّ من الأشجار، اقتلعها الموظفون[1] وزرعوا دفعة ثانيةً مكانها، كما حجبوا الرؤية عن بيت سوزي وجون مونرو الريفي، فأنشؤوا تلةً بعلو طابقين أمام الساحة الأمامية لبيتهم، ثم أضافوا سياجاً حولها وبوابةً مقفلة، وكانت النتيجة أنه كلما أمطرت، تمتلئ الساحة الأمامية لمنزلهما بالماء ويتحول الطريق الترابي الذي يستخدمانه إلى طريقٍ طيني زلق.

استمر بناء ملعب الغولف على وتيرته رغم المناوشات والمشكلات على الأرض، وعندما تم افتتاحه عام ٢٠١٢، أقرَّ حتى المنتقدون بأنه كان جميلاً، إذ يتعرج الملعب بين الكثبان الرملية المستقرة ويمتلك إطلالات ساحرة على الخط الساحلي وبحر الشمال. رأى ترامب أنه تحفته، مقارناً إياه بلوحة فنية قيمتها ملايين الدولارات. لكنه أوقف العمل في المنتجع احتجاجاً على مزرعة الرياح التي كانت لا تزال مستمرة في التقدم، وحذر ترامب من أن توربينات الرياح كانت مدمرة، كما حذر من إعلانات في الصحف المحلية تنتقد المشروع. سافر ترامب إلى أسكتلندا مرة أخرى للإدلاء بشهادته في جلسة استماع، متهماً الحكومة الأسكتلندية باستدراجه إلى الاستثمار في بلادها بناءً على وعدٍ كاذب بأن التوربينات لن يتم بناؤها أبداً، وهو ادعاء نفاه المسؤولون. عام ٢٠١٣، أقام ترامب دعوى ضد الحكومة الأسكتلندية وشاهد شعبيته تنهار في بلدٍ احتضنته ذات مرة على أنه واحد من أبنائها.

[1] مقابلة ديفيد ميلن مع جونسون، ١ نيسان/أبريل ٢٠١٦.

استمرت المعركة القضائية حتى أواخر ٢٠١٥، حين حكمت المحكمة العليا البريطانية ضد ترامب: سيستكمل بناء المنتجع المُسمى Trump International Golf Links بجانب مزرعة الرياح. تراجعت مشاعر الارتياح بحدة اتجاه مشروع ترامب في أسكتلندا عقب تصريحاته حول المسلمين والمهاجرين خلال حملته الانتخابية وأدت إلى حصول احتجاجات واعتراضات ضده في أسكتلندا. سحبت جامعة Robert Gordon في أبردين درجة الشرف التي منحتها لترامب عام ٢٠١٠. كانت أكثر عريضة تجمع أعداداً من الموقعين في منطقة أبردين هي عريضة جمعت نصف مليون توقيع تدعو إلى منع ترامب من دخول بريطانيا. عندما قطع ترامب حملته الانتخابية في حزيران ٢٠١٦ ليترأس حفل افتتاح المنتجع الثاني له في أسكتلندا، رفض رئيس الوزراء الأسكتلندي، ترامب ترنبيري Trump Turnberry، حضور الحفل[١].

ظل ترامب على إصراره أن الشعب الأسكتلندي أحبه. قال إن ملعب الغولف العائد إليه بالقرب من أبردين، كان في الواقع بمنزلة مخطط أولي لكيفية عمله رئيساً: "عندما وصلت في البداية إلى أبردين كان الناس يختبرونني ليعرفوا مدى جديتي، تماماً كما فعل الشعب الأميركي حول سباقي إلى البيت الأبيض. يتعين عليّ أن أكسبهم، وأن أقنعهم أنني هنا للعمل وأنني أحمل همومهم في عقلي، حسناً، لقد كسبتْ[٢] أسكتلندا الآن؛ وسوف تكسب الولايات المتحدة أيضاً".

---

1 Scot Macnab, "Nicola Sturgeon Rules Out Meeting DonaldTrump at Turnberry," *Edinburgh Evening News*, June 10, 2016.

2 Donald Trump, "Why Scotland Will Help Me Become USPresident," *Aberdeen Press and Journal*, April 11, 2016.

الفصل الخامس عشر

رجل الاستعراض

صرخ المغني: "المال، المال، المال"، فيما تبختر ترامب صاعداً إلى حلبة مصارعة وسط جمهور هائج[1] يتألف من ثمانين ألفاً من محبي المصارعة في ديترويت. رافعاً قبضته بانتصار، رفع ترامب ذقنه وزم شفتيه فبدا كمصارع بدائي بقميص أبيض وربطة عنق وردية وطقم كحلي. أما شعره الأملس، فكان يلمع بتسريحته اللولبية الشقراء المألوفة تحت أضواء الحلبة الساطعة. بعد أكثر من ثلاثين عاماً في عالم الأضواء، قادته رحلته من تجارة العقارات إلى الشهرة العالمية ولا يزال ترامب إلى الآن يسعى إلى كسب جماهير جديدة. عندما لم يكن يتاجر بمباني الشقق والكازينوهات، كان مشغولاً ببناء شهرته الخاصة بشخصية الملياردير الفريد الذي يستطيع السخرية من نفسه، والبلوتوقراطي [plutocrat الشخص المتنفِّذ بسبب ثروته] الذي يميل إلى تحقيق الشهرة. وبالإضافة إلى الأدوار التي أداها في التلفزيون والسينما، اتجه إلى مجال المحاضرات حيث صار يكسب مئة ألف دولار للظهور في الندوات التحفيزية التي يستضيفها توني روبنز Tony Robbins. أخبر ترامب مرةً الجمهور في سانت لويس أن الريبة المفرطة هي أمر أساسي لتحقيق النجاح، وأكمل قائلاً: "يبدو ذلك فظيعاً لكن عليكم أن تدركوا أن الناس – للأسف... للأسف– خبيثون جداً." وقال لجمهور آخر:

1 Aaron Oster, "Donald Trump and WWE: How the Road to the White House Began at 'WrestleMania,' "*Rolling Stone*, February 1, 2016.

"هل تظنون أننا نختلف كثيراً عن أسود الغابات[1]؟ عندما يؤذيك شخص ما، عليك أن ترد له الأذية[2] مضاعفةً خمسة عشر ضعفاً".

ومن أجل الوصول إلى ملايين الأميركيين المدمنين على الكتب الهزلية والعالم الخيالي للمصارعة المحترفة، وافق ترامب على المشاركة في بطولة مصارعة مبهرجة تدعى "مواجهة المليارديرات"، التي صممها فريق من كتاب السيناريو، إذ كان على ترامب وفنس مكماهون Vince McMahon – صاحب مهرجان Wrestle Mania – أن يتصارعا على جائزة تُظهر حدود العبثية: يحق للفائز أن يحلق شعر خصمه. لم يكن على الرجلين أن يتصارعا فعلياً بل تركا تلك المهمة لمصارعَيْن يتواجهان بالنيابة عنهما. مصارع ترامب كان بوبي لاشلي Bobby Lashley، وهو أميركي من أصل أفريقي وذو أكتاف جبلية ورأس أملس ككرة بلياردو. أما ممثل مكماهون، فكان كتلة عضلات مكسوة بالأوشام يعرف باسم أوماغا Umaga ويسمي نفسه البلدوزر الساموي.

بدأ هذا التحالف مع مكماهون في نهاية الثمانينيات عندما استضاف ترامب مهرجان Wrestle Mania الرابع والخامس في ترامب بلازا في مدينة أتلانتا. أحب ترامب الحشود الكبيرة والمهرجان الانفعالي ووقف لالتقاط الصور مع المصارعين هالك هوغان Hulk Hogan، وأندريه العملاق André the Giant. كانت "مواجهة المليارديرات" فرصة لدمج الجمهورين الضخمين لبرنامج "المتدرِّب" ومهرجان Wrestle Mania، وكان كل من ترامب ومكماهون سعيدين في الترويج لهذا الحدث. خلال الأسابيع التي سبقت المواجهة، نظم رجلا الأعمال عدة لقاءات حماسية. أول تلك اللقاءات كان عندما كرم مكماهون نفسه في "ليلة تقدير المعجبين" (Fan Appreciation Night) في مدينة دالاس.

ظهر وجه ترامب فجأة على شاشة عملاقة فوق الحلبة وصاح قائلاً: "أنت تدّعي أنك تخبر جمهورك ما يودون سماعه وما يحبون، هذا هراء، فهم يريدون القيمة،

1 Steve Kraske, "Flamboyant Trump Plays the PresidentialHinting Game," *Contra Costa Times*, February 13, 2000.

2 Robert McCoppin, "Amen, Brother! Financial Gods Trumpand Robbins Whip Expo Crowd into a Frenzy, but Investors Come for Straight-Shooting Sermons," *Chicago Daily Herald*, November 10, 2005.

ومن يعرف القيمة أكثر مني يا فينس؟". وبعد لحظات، تساقطت الأموال من السقف كأمطار من الدولارات تتطاير فوق أيدي المشاهدين الممتدة لالتقاطها. صرخ ترامب مع صرخات الجمهور قائلاً: "انظر إلى السماء يا فينس[١]، انظر إلى ذلك، بهذه الطريقة تُظهر التقدير"، أما مكماهون، فتلوى وجهه بغضب مفتعل وتمتم قائلاً: "لقد أحرجتني، يا دونالد!".

في ليلة أخرى في بورتلاند وأمام جمهور هائج آخر، دخل ترامب برفقة جميلتين سمراوتين رشيقتين إلى الحلبة، حيث وقّع مع مكماهون "عقداً" للمصارعة. وقال مكماهون إنه سيفوز بسبب حجم "الجريب فروت" التي يملكها، في إشارة واضحة إلى خصيتيه. فرد ترامب: "الجريب فروت[٢] التي تملكها لا تساوي شيئاً مقارنة بأبراج ترامب التي أملكها". فهاج الجمهور وزمجر ترامب: "هل تريد بعضها، يا فينس؟". ودفع مكماهون إلى طاولة مؤتمرات ثم قذفه بشقلبة إلى الوراء. هتف الجمهور فيما صاح المذيع: "دونالد ترامب قذف بالسيد مكماهون على مؤخرته الثرية".

في ظهور آخر لدونالد ترامب، صعّد ترامب الخطاب بينهما قائلاً: "أنا أطول منك، أنا أجمل منك، أنا أقوى منك... سوف أهزمك"، وفي آخر ظهور مشترك بينهما صفع ترامب مكماهون على وجهه بعدما لمس متعهد الحفلات مازحاً خد ترامب، وتفاخر ترامب بعد ذلك قائلاً: "لقد وجهت إليه لكمة[٣]"، واعداً بـ"تصعيد" صدامهما المقبل. استمتع ترامب بدوره واكتشف جمهوراً جديداً متبعاً تعليمات كتاب السيناريو والمنتجين، قال كورت باور Court Bauer الذي كتب الحوار لـ"مواجهة الملياردارات":

> كان يتعامل مع جماهير[٤] غير مستعدة للتعامل بلطف مع أي دخيل،

1 "Donald Trump Gives Away Mr. McMahon's Money on Fan," YouTube, posted July 3, 2012, https://www.youtube.com/watch?v=ybtwz NpJ0YA

2 "Mr. McMahon and Donald Trump's Battle of the Billionaires Contract Signing," YouTube, posted December 8, 2013, https://www.youtube.com/watch?v=vVeVcVBW_CE

3 "Donald Trump Hits Wrestling Promoter Vince McMahon," YouTube, posted August 14, 2015, https://www.youtube.com/watch?v=9CjKfO6ef0

٤ مقابلة كورت باور مع بول شوارتزمان، أيار/مايو، ٢٠١٦.

> وكان عليه أن يكسب ودّهم، ونجح في ذلك بفعالية وبسرعة كبيرة، فهو يعرف كيف يقرأ الجمهور ويتلاعب به... أنت تحاول أن تحولهم من مشاهدين إلى زبائن، لتدفعهم لشراء التذكرة، لشراء تذكرة الدفع على كل مشاهدة.

قال باور إن نجاح ترامب مع جمهور Wrestle Mania أتى من قدرته على التحدث بلغة الأميركي العادي وهو يتمتع بثروة طائلة في الوقت نفسه؛ "يرمز دونالد[١] إلى الطموح، وهذا هو الأمر بالنسبة إلى محبي المصارعة: 'لا أستطيع أن أفعل ذلك في العمل لكن أستطيع فعله عبر المصارعين'، يتحدث دونالد بلغة الطبقة الكادحة لكنه يملك العالم، ويبيع هذا الحلم للناس منذ مدة طويلة". كما كسب ترامب الجمهور من استعداده لأداء دوره إلى أبعد الحدود. ففي ديترويت، قفز على مكماهون، وبعد سقوطهما على الأرض، لكمه على وجهه. فصاح المذيع: "الهيمنة العدائية[٢] لدونالد ترامب على فينس مكماهون!". وعندما وجّه المصارع المتقاعد "ستون كولد" (ستيف أوستن: "Stone Cold" Steve Austin)، الذي كان حكم المباراة، ضربته المشهورة إلى ترامب لاكماً إياه في المعدة ومرديه أرضاً، قال باور: كان ترامب "على استعداد لفعل كل ذلك، لقد تجاوز جميع التوقعات[٣]، لم نكن نعتقد أنه سيفعل أياً من تلك الأشياء".

وصلت "مواجهة المليارادات" ذروتها عندما طرح لاشلي أوماغا أرضاً معطياً ترامب الحق في سلخ فروة رأس مكماهون في منتصف الحلبة. ارتسمت على وجهه ابتسامة شيطانية وأجرى العملية بماكينة حلاقة كهربائية[٤] بالإضافة إلى شفرة وكريم حلاقة. وفي اليوم التالي، ظهر مكماهون في برنامج Today أصلع وباسوداد حول عينه زُعم أنه بسبب لكمة ترامب. ومدعياً الشعور بالإهانة، أوضح متعهد الحفلات ما قد يكون الحقيقة الوحيدة التي لا يمكن إنكارها عن المواجهة وهي

١ المصدر نفسه.

2 "The Battle of the Billionaires Takes Place at WrestleMania," YouTube, posted July 19, 2011, https://www.youtube.com/watch?v=5Nsrw H9I9vE

٣ مقابلة بوير مع شوارتزمان.

4 "The Battle of the Billionaires Takes Place at WrestleMania," YouTube, posted July 19, 2011, https://www.youtube.com/watch?v=5NsrwH9I9vE.

أن "دونالد ترامب رجل ترفيه رائع[1]".

***

يرن جرس الباب ويعلن الخادم وصول الزوجين الشهيرين: "إنه لمن دواعي سروري[2] أن أقدم إليكم السيد والسيدة دونالد ترامب!"، ويدخل دونالد ومارلا ميلز من الباب ليفاجآ الجمهور وملايين المشاهدين الذين يشاهدون المسلسل الكوميدي The Fresh Prince of Bel-Air. تهتف إحدى الشخصيات: "يا إلهي، إنه الدونالد!"، ثم يغمى عليها. وتُمسك شخصية أخرى يد دونالد وتقول بحماسة: "تبدو أكثر ثراء في الحقيقة!".

بحلول عام ١٩٩٤، عندما ظهر في The Fresh Prince of Bel-Air، الذي أطلق مسيرة ويل سميث Will Smith، كانت شهرة ترامب بصفته مطور عقارات وكاتباً ناجحاً جعلت منه سلعة جديدة مرغوبة في هوليوود. تهافت المنتجون على ترامب ليعطي مسلسلاتهم وأفلامهم لحظات من الحقيقة عبر الظهور بشخصيته الحقيقية: المليونير الأشهر في العالم، والاستعراضي الوسيم الصبياني الذي يتمتع بثراء وغرور هائلَيْن. وبدلاً من بيع ناطحات السحاب والكازينوهات، أصبح ترامب يسوق لنفسه بالظهور[3] في أفلام مثل: Zoolander وHome Alone 2، وفي مسلسلات كوميدية مثل: The Drew Carey Show، وThe Nanny للممثلة فران دريشر Fran Drescher. تضمنت ظهوراته الأولى دوراً في فيلم Ghosts Can't Do IT يقول فيه للشخصية التي أدت دورها بو ديريك Bo Derek: "في هذه الغرفة سكاكين[4] حادة بما فيه الكفاية لتقطعك حتى العظام، وقلوب قاسية بما فيه الكفاية لأكلك كالمقبلات".

1 NBC News transcripts, April 2, 2007, https://www.nexis.com/results/enhdocview.do?docLinkInd=true&ersKey=23_T24134647381&format=GNBFI&startDocNo=76&resultsUrlKey=0_T24134669170&backKey=20_T24134669171&csi=157446&docNo=99

2 *The Fresh Prince of Bel-Air*, season 4, episode 25, "For Sale by Owner," https://www.youtube.com/watch?v=Tu1gj010oa8

3 Donald Trump's IMDb page, http://www.imdb.com/name/nm0874339/?ref_=rvi_nm

4 *Ghosts Can't Do It*, dir. John Derek (1989: Triumph Releasing), https://www.youtube.com/watch?v=co0aDXPTK5o

تنزع ديريك نظاراتها وتقول: "أنت أجمل من أن تكون سيئاً".

يرد عليها: "لاحظت ذلك"، ويبرطم شفتيه بطريقته المشهورة (ربح عن هذا الدور جائزة غولدن راسبري لأسوأ ممثل ثانوي).

أراد رجل الأعمال الكبير ترامب أن يُري العالَم رجل الأعمال الواقعي القاسي المتعجرف إلى حد ما. ولكن هوليوود تعرفت على ترامب الممثل المتحمس والمتعاون الذي يحفظ أدواره ولا يتطلب الكثير من التوجيه، وكان "حريصاً على شعره[١]" كما قال شيلي جينسن Shelly Jensen، مخرج مسلسلFresh Prince. سمحت له هذه الأدوار أن يسخر من سمعته المعروفة بالغرور الطفولي كما سوّق لعلامته التجارية دون أي تكاليف وأوصلها إلى ملايين الأميركيين. فبينما كان يظهر بشخصية عدائية في المقابلات التلفزيونية وعلاقاته التجارية - كان يتكلم دوماً عن مقاضاة منتقديه - كانت هذه فرصته ليقدم نفسه بشخصية ذات روح رياضية تستطيع تحمل الانتقادات وحتى يسخر من نفسه. يقول جينسن: "إذا أردت أن تختار رجل أعمال كبير في تجارة العقارات[٢] ليظهر في مسلسل ما، هو واحد من هؤلاء الرجال الذين تسعى خلفهم لأنه من القلائل الذين سيقبلون ذلك".

بعد ذلك بأربع سنوات، ظهر ترامب بشخصيته الحقيقية في مسلسل كوميدي آخر، Spin City، من بطولة مايكل ج. فوكس Michael J. Fox، وذلك بشخصية مستشار العمدة الخيالي لمدينة نيويورك، رونالد وينستون Randall Winston. أراد المنتجون أن يضمنوا في نصوصهم المحلية أجزاء صغيرة من مشاهير نيويورك مثل العمدة رودولف جيولياني Rudolph Giuliani، والسيناتور ألفونسو داماتو Alfonse D'Amato، ورامي فريق يانكي روجر كليمنس Roger Clemens. وفي إحدى الحلقات، بينما يحاول العمدة الخيالي كتابة مذكراته، تنضب قريحته، ما يدفع شخصية فوكس إلى دعوة ترامب إلى السيتي هول.

تقول شخصية فوكس للعمدة: "قد كتب السيد ترامب كتاب *Art of the Deal*[3] ثم الكتاب الجديد الأكثر مبيعاً *Art of the Comeback*. فيقول العمدة: "يا للروعة"، ويدعو

---

١ مقابلة شيللي جينسن مع بول شوارتزمان، أيار/مايو، ٢٠١٦.

٢ المصدر نفسه.

3 *Spin City*, season 2, episode 14, "The Paul Lassiter Story," January 21, 1998.

ترامب إلى الجلوس. يجلس ترامب على كرسي مكتب العمدة متجاهلاً الكرسي المحجوز للضيوف ما يثير ضحك الجمهور. يقول العمدة معلقاً على كتابات ترامب: "لا بد أن البداية كانت صعبة".

تأتيه الإجابة العفوية: "في اليوم الأول تسعة فصول".

قال أحد منتجي Spin City إن مساعد ترامب حذرهم قبل التصوير من أن مديره "خجول ولا يحب المصافحة ويعاني رهاب الجراثيم، كنت أتوقع رؤية رجل مجنون موسوس[١]". وعندما وصل ترامب إلى موقع التصوير، كان مخرج الحلقة آندي كاديف Andy Cadiff يستعد لرؤية "كابوس" بسبب الصورة المسبقة التي كونها عنه من أنه صعب المراس[٢] ومتطلب، "لكن صراحةً أذكر أنه مرح، وكان يقضي وقتاً طيباً، وكان متعاوناً جداً ومستعد وبدا سعيداً للغاية بوجوده هناك. غالباً ما أتذكر الحمقى الذين أتوا إلى البرنامج، ولكنه لم يكن واحداً منهم".

في حلقة من حلقات مسلسل Sex and the City عام ١٩٩٩، بعنوان: "الرجل، الأسطورة، الفياغرا"، لعب ترامب شخصيته الحقيقية في فندق بلازا الذي كان يملكه. تقول شخصية سارا جيسيكا باركر Sarah Jessica Parker، كاري برادشو Carrie Bradshaw: "كوكتيل الكوزموبوليتان ودونالد ترامب[٣]- لا يمكنك أن تكوني أكثر نيويوركية من ذلك". في هذه الأثناء، يرى المشاهدون ترامب وهو ينهي اجتماع عمل على طاولة داخل غرفة السنديان Oak Room في الفندق، ويقول: "اسمع يا إد، علي الذهاب، فكر في الأمر، سأكون في مكتبي في برج ترامب". عندما سلمت مخرجة المسلسل فيكتوريا هوتشبيرغ Victoria Hochberg لترامب الورقة التي تحتوي على جمله في النص، نظر إليهم سريعاً ثم أعاد الورقة إليها، فسألته هوتشبيرغ: "ألا تريد أن تحفظها[٤]"

فأجاب: "لا، لقد حفظتها"، توترت المخرجة وفكرت: "يا إلهي، سنحتاج إلى إعادة المشهد حوالى العشرين مرة"، لكنها قالت بعد ذلك: "لقد أدى المشهد من

١ مقابلة والتر بارنيت مع بول شوارتزمان، أيار/مايو، ٢٠١٦.
٢ مقابلة أندي كاديف مع بول شوارتزمان، أيار/مايو ٢٠١٦.
3 *Sex and the City*, season 2, episode 8, "The Man, the Myth, the Viagra."
٤ مقابلة فكتوريا هوتشبيرغ مع بول شوارتزمان، أيار/مايو، ٢٠١٦.

المحاولة الأولى، إنه دونالد ذو المحاولة الأولى".

عام ٢٠٠٠، أدى ترامب دوراً أكثر خطورة في المسلسل النيويوركي Inner Circle، وهو إنتاج سنوي يعرض مقاطع ساخرة يؤديها إعلاميو السيتي هول والعمدة. يتحرش ترامب، الذي يؤدي دور شخصيته الحقيقية، بجيولياني، الذي كان يؤدي دور امرأة تتسوق في أحد أقسام المتجر. يقول ترامب لشخصية جيولياني الذي كان مرتدياً فستاناً وشعراً مستعاراً أشقر: "أتعلمين، أنت جميلة جداً[1]". وعندما رشّت شخصية العمدة إحدى عينات العطر على نفسها، دفن ترامب وجهه في رقبة وصدر جيولياني، فصرخ: "أيها الولد القذر - دونالد، كنت أعتقد أنك رجل نبيل".

استلهم مخرج المسلسل إيليوت كوكر Elliot Cuker دور ترامب من معرفته به عبر الدائرة الاجتماعية لنيويورك، إذ تضمنت أحاديثهم الاعتيادية تقييم الجمال الأنثوي. قال كوكر: "نتكلم دوماً عن النساء، ما رأيك بهذه المرأة أو تلك، وكأنه قاضٍ متنقّل[2]". لم يبْد الطلب من ترامب "أن يتحرش برودي" تمادياً. يقول كوكر: "أعطيته فكرة عما سيحدث: رودي امرأةٌ جذابةٌ وستؤدي مشهداً حميمياً معها. ستحاول تقبيلها، تماشى مع الأمر، لم أطلب منه أن يقبل صدره، فعل ذلك من تلقاء نفسه، لقد كان عفوياً ومنفتحاً لفعل ذلك. وهذه هي ميزات الاستعراضي الناجح".

لكن كان لترامب بعض الحدود. فعند استضافته في مسلسل Saturday Night Live عام ٢٠٠٤، رفض عرض الكاتب تي سين شانون T. Sean Shannon تأدية دور فنان أوشام يرسم على وجوه الزبائن فقط لأن المناطق الأخرى من الجسد أصبحت موضة قديمة. قال شانون: "كان موقفه أشبه بمن يقول: 'لا، لن أؤدي هذا الدور[3]، ماذا لديك بعد من أفكار؟'". جاء الكاتب بفكرة مشهد آخر مبنيٍّ على قصة *Prince and the Pauper*، حيث يؤدي ترامب دور بواب، ويؤدي دارل هاموند Darrell Hammond دور أخيه التوأم المليونير. يخبر ترامب - الذي يلعب دور البواب - شبيهه أن مكتبه "يشبه متحف Liberace" وأن تسريحته "تشبه سنجاباً قتلته ثم وضعته على رأسك".

1 New York City Inner Circle Show 2000, dir. Elliot Cuker, https://www.youtube.com/watch?v=4IrE6FMpai8

٢ مقابلة إيليوت كوكر مع بول شوارتزمان، أيار/مايو، ٢٠١٦.

٣ مقابلة ت. سين شانون مع بول شوارتزمان، أيار/مايو، ٢٠١٦.

لكن ترامب طلب من شانون أن يعدل المشهد ويجعل الأمير والفقير غير أشقّاء، وقال لشانون: "لكن لا تجعله أخي، لأنني لا أريد أن يعتقد الناس أنني أسخر منه[١]".

قال شانون: "كان ترامب على استعداد للسخرية من نفسه، وكان مستعداً كل يوم، لم يكن متوتراً بل كان ساحراً للغاية ومباشراً، كانت لديه تلك الشخصية، لقد كان دونالد ترامب في جميع الأوقات". وخير مثال على ذلك المونولوج الافتتاحي الذي أداه حينما قال متفاخراً: "إنه لأمر عظيم أن أكون هنا[٢] Saturday Night Live، لكن، بصراحة، إن الأمر أعظم بالنسبة إلى Saturday Night Live أنني هنا، فليس هناك أفضل مني، أنا ماكينة لرفع نسب المشاهدة"، ثم أخبر المشاهدين أن برنامج "المتدرِّب" هو البرنامج الأكثر مشاهدة في أميركا، وأنه "الشخصية التلفزيونية الأعلى أجراً، وكما يعلم الجميع، الأعلى أجراً يعني الأفضل، أليس كذلك؟".

في حفل جوائز الإيمي في السنة التالية، غامر ترامب بالدخول في عالم جديد كفنان. أمام جمهور تلفزيوني على الهواء مباشرةً، دخل ترامب مرتدياً قبعة من القش وبدلة عامل[٣] وحاملاً بيده مذراة وغنى مع نجمة Will & Grace، ميغان مولالي Megan Mullally، أغنية بتقليد ساخر لمسلسل Green Acres الذي تضمن إشارة إلى برج ترامب. وكانت الأغنية جزءاً من فقرة Emmy–Idol، وهي فقرة تقليد ساخر لبرنامج American Idol، إذ يقدم النجوم عروضاً، ثم يصوّت الجمهور للفائز. ربح ترامب ومولالي، ما دفع أحد النقاد إلى الكتابة: "إن تحوُّل الدونالد من رجل أعمال مليونير إلى ظاهرة غريبة في ثقافة البوب[٤] قد اكتمل الآن". وفي اليوم التالي، رنّ هاتف مولالي، كان ترامب هو المتصل، وقال لها: "اسمعي، كان علينا أن نربح فعلاً[٥] وربحنا، وكان لك دور كبير في ذلك، لذلك أود أن أشكرك". التمثيل أمام أربعة عشر مليون مشاهد لم يكن كافياً، وبغض النظر عن المكان، كان على ترامب أن يربح.

---

١ المصدر نفسه.

2 *Saturday Night Live*, season 29, episode 16, https://www.nbc.com/saturday-night-live/season-29/episode/16-donald-trump-with-toots-and-the -maytals-63841

3 57th Annual Emmy Awards, CBS, September 18, 2005, https://www.youtube.com/watch?v=AiZqFGLAeAc

4 Diane Werts, "The Emmys; The Donald 'Idolized,' "*Newsday*, September 19, 2005.

5 Megan Mullally interview on *Conan*, January 18, 2016, https://www.youtube.com/watch?v=47meFVgINLU

في ٢٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥، تألق ترامب في عرض آخر جعل وسائل الإعلام تلهث خلفه: زواجه من زوجته الثالثة ميلانيا كناوس عارضة الأزياء التي يبلغ طولها ١٨٠ سنتميتراً، والتي هاجرت من دولة يوغوسلافيا السابقة إلى الولايات المتحدة. أراد المدير السابق لقسم الترفيه في قناة NBC، جيف زوكر Jeff Zucker، أن يبث حفل الزفاف على الهواء مباشرةً[١]. تحمس ترامب للفكرة معتقداً أن جماهيرية الحدث ستفيد برنامج "المتدرِّب" لكنه رفض العرض. في الحقيقة، لم يحتجْ الزوجان ترامب إلى NBC لجذب الانتباه لزفافهما في قصر مار ألاغو. نشرت مجلة فوغ صورة لميلانيا في ثوبها من تصميم Dior الذي كان ثمنه مئة ألف دولار، واستغرق خمسمئة وخمسين ساعة لتزيينه بألف وخمسمئة من قطع الكريستال[٢]. تحمس كتاب أعمدة الأخبار في الصحف والمجلات لقائمة المدعوين التي تضمنت بيل وهيلاري كلينتون ورودي جيولياني وباربرا والترز وديريك جيتر وآرنولد شوارتزينيغر. وتناوب كل من بول آنكا Paul Anka، وتوني بينيت Tony Bennett، وإلتون جون Elton John، وبيلي جويل Billy Joel، على الغناء للزوجين[٣]. استغل ترامب الحفل للتفاخر بقاعة الحفلات الجديدة في قصر مار ألاغو والأسقف ومغاسل الحمام المكسوة بالذهب.

بدا أن ترامب، الذي بلغ الثامنة والخمسين، بعد زواجين فاشلين، وجد شريكة تلبي رغبته طويلة الأمد في "امرأة سهلة الإرضاء[٤]" لا تسرق الأضواء منه. ميلانيا، التي كانت في الرابعة والثلاثين من عمرها عندما تزوجته، لم تتصدر عناوين الصحف ولم تسْعَ إلى سرقة الأضواء منه. كان أكبر أولاد ترامب يشير إليها بـ"اللوحة" لأنها نادراً ما تتكلم. ولدت باسم ميلانيا كنافس Melanija Knavs في دولة يوغوسلافيا السابقة، وترعرعت في عمارة شقق سكنية لا شكل لها في قرية هيلي في سيفنيكا. وبسبب شعورها بالاختناق من نظام دولتها الاشتراكي، أخبرت صديقاتها في الثانوية أنها تريد أن تهرب من البلدة وتسافر حول العالم. كان عرض الأزياء طريقها. غيرت اسم عائلتها

1 Neil Wilkes, "Trump Regrets Not Televising Wedding," *DigitalSpy*, February 5, 2005, http://www.digitalspy.com/tv/news/a19014/trump-regrets -not-televising-wedding/

2 Julia Ioffe, "Melania Trump on Her Rise, Her Family Secrets, and Her True Political Views," GQ, April 27, 2016.

3 Michael Callahan, "Flashback: When Hillary and Bill Hit the Wedding of Donald and Melania," *Hollywood Reporter*, April 7, 2016.

4 Trump, *Trump: The Art of the Comeback*,141

إلى كناوس وعملت عارضة أزياء في ميلانو وباريس، ثم بدأت بالعمل في نيويورك في منتصف التسعينيات.

فضّلت ميلانيا الانزواء في الظل لكي توفر مالها ولتبتعد عن أجواء النوادي الليلية في نيويورك. قالت صديقتها وزميلتها عارضة الأزياء إيديت مولنار Edit Molnar: "كانت بيتوتية[1]". مع ذلك، في إحدى ليالي عام ١٩٩٨، وجدت ميلانيا نفسها في نادي Kit Kat Klub لأن وكالة عرض الأزياء التي كانت تعمل معها أقامت حفلاً هناك. دونالد، الذي كان قد انفصل عن زوجته مارلا ميبلز أخيراً، كان موجوداً في الحفل بصحبة الوريثة النرويجية الجميلة سيلينا ميدلفارت Celina Midelfart، لكن ميلانيا لفتت نظره وطلب رقم هاتفها. قال لمولنار في تلك الليلة: "إنها رائعة، أريد تلك المرأة". رفضت ميلانيا بداية لعلمها بوجود امرأة أخرى مع ترامب في الحفلة. لكنه أصر، وبعد ذلك بوقت قصير، بدآ الخروج معاً. عرَّفها على العديد من المشاهير مثل مايكل جاكسون وسيلين ديون ومايكل داغلاس وكاثرين زيتا جونس. لكن ميلانيا لم تنبهر بذلك، وقالت: "بالنسبة إلي، لم يكن الأمر جديداً، لقد سبق لي أن كنت برفقة أحد المشاهير".

أصبحت السمراء ذات العينين الزرقاوين والجسد الممشوق هدفاً لصحافة أخبار المشاهير وهي بقرب ترامب أكثر مما كانت عليه بمفردها. تفاخر ترامب بصديقته الجديدة قائلاً: "إنها عارضة أزياء ناجحة جداً جداً"، لكن أكثر لحظاتها شهرةً حدثت بعد بدء علاقتهما، وذلك عندما عرضت صورها مجلة *Sports Illustrated* في طبعتها الخاصة بملابس السباحة. عام ٢٠٠٠ ظهرت على غلاف الطبعة البريطانية لمجلة **جي كيو** مستلقية على وشاح من الفرو في طيارة ترامب البوينغ ٧٤٧ وتبدو عارية إلا من قلادة من الماس وأساور مطابقة. كان العنوان الرئيسي: "ممارسة الجنس على ارتفاع ثلاثين ألف قدم، تكسب ميلانيا كناوس أميالها الجوية بجدارة"، كما أظهر العدد ميلانيا مصفدة إلى حقيبة جلدية مليئة بالمجوهرات وجالسة على جناح طائرة مرتدية حمالة صدر حمراء وسروالاً داخلياً رفيعاً وهي تصوِّب مسدساً كأنها خرجت من أحد أفلام جيمس بوند James Bond.

---

١ مقابلة إيديت مولنار مع ماري جوردان، أيلول/سبتمبر، ٢٠١٥.

بعد زواجها بترامب، عملت ميلانيا في بيع المجوهرات على قناة تسوق منزلي، وأطلقت ماركة مستحضر تجميل للوجه مستخلص من الكافيار. وبعد ولادة ابنهما بارون سنة ٢٠٠٦ وحصولها على الجنسية الأميركية في السنة نفسها، كرست ميلانيا نفسها للأمومة بصورة رئيسية. وكانت تذهب مع بارون لقضاء الإجازات وحدهما عندما لم يكن بإمكان ترامب مرافقتهما بسبب انشغاله معظم الوقت. ساعدها والداها في تربية الطفل إذ كانا يقيمان في برج ترامب أو قصر مار ألاغو كما فعل حمواه السابقان مع أولاده الأكبر. لا يبدو أن غياب ترامب كان يزعج زوجته؛ تقول ميلانيا بلغتها الإنكليزية الركيكة: "نتمتع كلانا باستقلالية كبيرة، ونعطي أنفسنا وبعضنا بعضاً الحرية، فأنا أسمح له بفعل ما يحب: أن يكون لديه شغف وأن يحقق أحلامه وهو يدعني أفعل الشيء نفسه. لا أؤمن بتغيير أي أحد، بل عليك أن تتفهم الأشخاص وتدعهم على طبيعتهم" (تتكلم ميلانيا أيضاً الإيطالية والفرنسية والألمانية).

رغم الحرية التي منحتها لترامب، لم تكن ميلانيا ضعيفة، وعندما وصفها أحد الصحافيين بأنها امرأة صامتة في ظل ترامب، أجابت بحدة: "أنا شخص عنيد للغاية، إنني قوية جداً وحاسمة وغير متذبذبة، وأعرف ما أريد، لست خجولة أو متحفظة لكنني لا أحتاج إلى السعي لجذب الانتباه". وقالت إنها وزوجها يقومان بالأدوار التقليدية؛ "نحب الأشياء نفسها[1]، ونميل كلانا إلى التدقيق بالتفاصيل".

بالنسبة إلى أصدقاء ترامب المقربين، تبدو طباع زوجته الثالثة أفضل ما يوازن سلوكه المتكلِّف باستمرار. تقول لويس سانشاين التي عملت مستشارة لترامب لعدة عقود: "من بين زوجاته الثلاث، ميلانيا هي من يتقن التعامل مع دونالد[2]، فهي مستقلة جداً وهو مستقل جداً، ولا تتردد في أن تبيّن لدونالد الأمور الجيدة من السيئة والصحيح من الخطأ". مع مرور الوقت، أصبحت ميلانيا ربة منزل أكثر من كونها عارضة أزياء فاتنة. من وجهة نظرها، طغى الروتين اللطيف على حياتهما. يستيقظان في الخامسة فجراً: تمارس هي تمارينها الرياضية ويقرأ هو الصحف. وعندما يكون في المدينة، يفضلان تناول طعام العشاء في المنزل ومشاهدة مباراة بيسبول أو كرة

١ المصدر نفسه.

٢ مقابلة لويس سانشاين مع فرانسيس ستيد سيللرز وبول شوارتزمان، أيار/مايو، ٢٠١٦.

سلة على التلفاز، فيما يتصفح آخر الأخبار على "تويتر". حاولت إقناعه بتقليل كمية السكر التي يأكلها لكن محاولاتها لم تكن ناجحة دائماً: "أخبره برأي، أحياناً يستمع إلي[١] وأحيانا لا يستمع".

كان رأي ترامب في ميلانيا مشابهاً: "تتمتع ميلانيا بخصوصية كبيرة... إنها ذكية للغاية ولا تحب التلاعب. هكذا هو الأمر: أعمال. لكنها ذكية جداً ومن أكثر النساء جمالاً[٢]"، كما نسب ترامب الفضل إلى ميلانيا بكونها أكبر مشجعيه وأنها الشريك "الذي يثبتني على الأرض". حظي ترامب أخيراً بزوجة عرفت كيف تؤدي واجباتها الأساسية بأن تكون السيدة دونالد ترامب: تبتسم، تقف إلى جانبه (عادةً إلى يساره)، تعزز علامته التجارية ولا تختلق أي لحظة درامية لتسرق الأضواء منه أو تلهيه عن طموحه.

عام ٢٠١١ تعززت مكانة ترامب من جديد كاستعراضي ذي شهرة واسعة عندما جعلت منه قناة كوميدي سنترال هدفاً لها في حفل انتقادي مليء بالنجوم، وهو شرف مُنح سابقاً لأمثال هيو هفنر وتشيفي تشيز ووليام شاتنر. كانت ميلانيا وإيفانكا بين الحضور. ضحك ترامب وتبرم فيما سخر كاتب مسلسل Family Guy، سيث ماكفارلان Seth MacFarlane، ومغني الراب سنووب دوغ Snoop Dogg، وغيرهم، من تسريحة شعره وزيجاته المتعددة وغروره. قالت الكوميدية ليسا لامبانلي Lisa Lampanelli: "لقد دمَّرْتَ حياة عارضات أزياء[٣] أكثر مما دمرها الشره"، ووصفه ماكفارلان أنه "المأساة الثانية سوءاً التي أصابت نيويورك". أما الكوميدي جيف روس Jeff Ross، فقال إن غرور ترامب "كبير لدرجة أنه يصور نفسه بالفيديو وهو يستمني، ثم يستمني وهو يشاهد الفيديو". وأضاف أن ترامب وميلانيا "متفقان لدرجة أن كلاهما يصرخ باسم دونالد عندما يشعران بالنشوة".

عندما حان دوره للكلام، لعب ترامب دوره الكاريكاتوري بإتقان قائلاً للجمهور: "يا له من شرف كبير لكم أن تكرّموني الليلة"، كما كان لديه رد على الإهانات المتعلقة

١ مقابلة ميلانيا ترامب مع جوردان.
٢ مقابلة بوب وودورد وروبرت كوستا، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
3 Comedy Central Roast of Donald Trump, March 15, 2011, http://www.cc.com/shows/roast-of-donald-trump

بشعره: "ما الفرق بين حيوان الراكون المبلول وشعر دونالد جي ترامب؟ الراكون المبلول لا يملك سبع مليارات لعينة من الدولارات في البنك". وفي الوقت الذي كان يفكر فيه بدخول السباق الرئاسي لعام ٢٠١٢، جاء البرنامج كوسيلة ليظهر أنه رغم ثروته الطائلة، لم يكن أكبر من أن يسخر من نفسه. قال له روس أمام الجمهور: "أثبتَّ لجميع الناخبين الأميركيين أنك تتقبل الانتقاد والمزاح وأنك رجل شعبي".

رغم التظاهر بالمرح، قال الممثلون إن ترامب طلب مسبقاً ألّا يتعرض منتقدوه للموضوع الوحيد الذي يراه خارج الحدود المقبولة: الحجم الحقيقي لثروته. قال أحد الكوميديين الذين قدموا عرضاً تلك الليلة، وهو أنتوني جيسيلنيك Anthony Jeselnik، "قاعدة ترامب هي: لا تقولوا إنني أملك أموالاً أقل[1] مما أقول إنني أملك، اسخروا من أولادي وافعلوا ما تشاؤون لكن لا تقولوا إنني لا أملك ذلك القدر من المال".

عام ٢٠١٣، أدخلت شركةُ مكماهون (World Wrestling Entertainment) ترامب في قاعة الشرف بحفل صاخب في ماديسون سكوير غاردن. وبعد عرض فيديو ترويجي، قُدِّم ترامب على أنه "رجل أعمال كبير وكاتب ناجح ونجم تلفزيون الواقع". دخل إلى المسرح ليواجه صيحات هائجة من التشجيع والاستهجان وهتافات: "أنت سيئ! أنت سيئ[2]"، دونما اكتراث. دعا ترامب هذا الحدث بـ"أكبر شرف على الإطلاق". ووعد بمباراة عودة مع مكماهون "سيقضي عليه" فيها. استمرت هتافات الاستهجان والصفير ولم يهدأ إلا عندما قدّم ترامب زوجته وابنته إيفانكا اللتين كانتا بين الحضور. وأنهى خطابه قائلاً: "أحبكم فعلاً أيها الناس، حتى أولئك الذين لا يحبونني كثيراً".

بعد ذلك بعامين، وبعد عيد ميلاده التاسع والستين، أعلن ترامب أنه مستعد لمشهد من نوع مختلف تماماً: كان مصمماً على أن رجل الاستعراض الحقيقي يستطيع الأداء على أي مسرح. حتى أكبر مسرح في العالم. لكن ذلك كان يتطلب بعض التعديلات.

1 "In Bed with Joan: Episode 7," published April 17, 2013, https://www.youtube.com/watch?v=ZJdVL2O7Nok

2 Video of ceremony posted April 9, 2013, https://www.youtube.com/watch?v=ZBl6cL9GYs0

مثلاً، باع أسهمه في مسابقة ملكة جمال الكون[1] بمبلغ تسعة وأربعين مليوناً وثلاثمئة ألف دولار. قال: "لقد بعتها[2] لأنني سأترشح للرئاسة". وإعادة النظر في الحكمة وراء بعض مواقفه الطائشة، بما فيها تعليقاته الفظة عن الجنس التي قالها في برنامج هوارد ستيرن الإذاعي: "لم أكن أتوقع أبداً أن أكون سياسياً أو أن أترشح للرئاسة".

1 Drew Harwell, Rosalind S. Helderman, and Tom Hamburger,"Trump's Business Booms as He Runs for President, Financial Disclosures Show," *Washington Post*, May 19, 2016.

٢ مقابلة ترامب مع فرانسيس ستيد سيللرز، تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٥.

الفصل السادس عشر

الحِرباء السياسية

ارتدى دونالد ترامب طقماً كحلياً غامقاً، وانطلق إلى الكنيسة المجمَعية الرخامية في الجادة الخامسة على بعد ميل ونصف من برج ترامب. تلك الكنيسة تضم ذكريات كثيرة له: فيها تزوج إيفانا، وفيها تعلم قوة التفكير الإيجابي من قس الكنيسة القديم فيها نورمان فنسنت بيل[٣]. واليوم ذهب إليها ليودع أباه [الوداع الأخير]. فقد توفّي فريد ترامب Fred Trump قبل أربعة أيام، في ٢٥ حزيران/يونيو ١٩٩٩، عن عمر ناهز الثالثة والتسعين. وكانت قد ظهرت عليه علامات داء الزهايمر قبل خمس سنوات[٤]. [فقبل خمس سنوات] كان الرجلان دونالد وفريد يستقلان سيارة معاً، وأخبر دونالد والده بأنه قد اشترى الأرض التي تحت مبنى الإمبايرستيت. فأجاب فريد بقوله: "ذلك مبنى مرتفع، أليس كذلك؟". وتابع يقول: "كم شقة في ذاك البناء؟".

وبعد ذلك اليوم، كان دونالد يرى أباه يذوي شيئاً فشيئاً، واليوم يستلقي فريد في تابوت تحيط به ورود بيض. امتلأت الكنيسة بمئات المعزين: من السياسيين، إلى المقاولين، إلى شخصيات المجتمع المعروفة[٥]. وعندما كان ضوء الشمس وقت

3 Schwartzman, "How Trump Got Religion".

4 Weiss, "The Lives They Lived: Fred C. Trump." Trump sold his interest in the Empire State Building in 2002.

5 Angela Mosconi, "Trump Patriarch Eulogized as Great Builder," *New York Post*, June 30, 1999.

الضحى ينسل من النوافذ الزجاجية العشر الملونة في المحراب[1]، كان أفراد العائلة يقصون لبعضهم بعضاً قصصاً عن ترامب العجوز: كيف كان يصفرُ ويثِبُ على الأدراج الأمامية للمنزل حالما يصل إليه ليلاً بعد عمل دام أياماً طويلة، وكيف علم أحفاده قيمة الدولار، وكيف كانت قصيدته المفضلة "لا تستسلم"[2]. كما أعلن حاكم ولاية نيويورك [السابق] رودولف جولياني Rudolph Giuliani أن فريد ترامب ساعد في جعل نيويورك "أهم مدن العالم"[3].

وعندما جاء دور دونالد في الحديث، ركز على عظمة والده بسرده المشاريع الإبداعية التي شيدها دونالد بمساندة قوية من والده: فندق غراند حياة، وناطحة السحاب برج ترامب، ومبنى ترامب بلازا، ونادي القمار تاج محل ترامب، وناديه الآخر للقمار قلعة ترامب[4]. وقال إنه لمن سخرية الحياة علمه بموت والده مباشرة بعد قراءته مقالة في صحيفة **نيويورك تايمز** تتحدث عن آخر مشروعاته، وهو قصر ترامب، في الحي الغربي من منطقة مانهاتن [في نيويورك]. فقد كان ذلك نجاحاً آخر له، وبرهاناً على أخلاقيات العمل التي تعلمها من والده. لقد ورَّث فريد ابنه ترامب معظم أصول ثروته، وورَّثه رمز كل منجزاته: لقد ورَّثه اسم [العائلة] ترامب. وعلق دونالد بقوله: "إنه الاسم الرائج في عالم التجارة"[5].

قال ترامب إن يوم الدفن "كان حتى اليوم، أصعب أيام حياتي"[6]. فقد كان والده أفضل أصدقائه[7]. وموته جعله يعيد حساباته في حياته الخاصة. فقد قال ترامب، الذي كان نادراً ما يراجع أحوال حياته، في مقابلة معه أجريت لكتابة هذا الكتاب: "شعرت بالوحدة والمسؤولية، لأنني كنت بحق قريباً جدّاً من والدي"[8]. فبدأ ينظر في نفسه

---

1 http://www.marblechurch.org/welcome/histor

2 Blair, *Trumps*, 203.

3 Mosconi, "Trump Patriarch Eulogized as Great Builder".

4 Blair, *The Trumps*, 203.

5 Robin Pogrebin, "Protests Supplanted by Praise; Trump Place Becomes Real, and Even Popular," *New York Times*, June 25, 1999.

6 Mosconi, "Trump Patriarch Eulogized as Great Builder."

٧ مقابلة ترامب مع شون بوبيرغ وروبرت أوهارو ودرو هارويل وإيمي غولدشتاين وجيري ماركون، **واشنطن بوست**، ١٨ أيار/مايو، ٢٠١٦.

٨ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن، ٨ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.

بطريقة مختلفة لا تقتصر على كونه عميد أسرته الجديد أو بانيها، بل رجلاً يمكنه أن يساهم في تغيير شكل العالم[1].

وتلقى ترامب رسالة عزاء من جون كينيدي الابن John F. Kennedy Jr.[2]، الذي كان عمره ثلاث سنوات عندما اغتيل والده الرئيس كينيدي برصاصة قاتل. كتب له كينيدي الابن يقول: "أينما كنت تمضي في حياتك، فإن فقدك أحد والديك سيغيرك"؛ وكان كينيدي الشخصية المنافسة له في نيويورك آنذاك، وكثيراً ما دفعه الديموقراطيون إلى الترشح [لمناصب متعددة]. وفي اليوم نفسه الذي فتح فيه ترامب رسالة كينيدي، توفّي فيه كينيدي ذو الثمانية والثلاثين عاماً، عندما تحطمت طائرة كان يقودها، وقضت المسافرتان معه فيها: زوجته وأختها[3]. ورأى ترامب، الذي كان في الثالثة والخمسين من عمره، تماثلاً في حال عائلتي ترامب كينيدي. فهل كانت كلمات الرثاء الرائعة في وفاة والده تؤذن بأنه سيكون واحداً من كبار رجال الدولة[4]؟ لعل ترامب كان يقول بعد سنوات من ذلك إن وفاة والده ربما دفعته "من أعماقه" إلى أن يقرر في النهاية الترشح للرئاسة[5]. واستغرق منه ذلك القرار سنوات في إعداده.

سألت الصحافية رونا باريت Rona Barrett، التي تحرر عموداً للشائعات، في أجزاء لم تبثَّ من مقابلتها معه سنة ١٩٨٠، قبل نحو عقدين من جنازة فريد ترامب: "ألديك أي علاقات سياسية؟".

أجاب ترامب: "لا؛ بلا ريب"... "لا؛ قطعاً". وكان ترامب جالساً على أريكة في شقته في الجادة الخامسة، يرتدي حلةً سوداء فاحمة وربطة عنق كبيرة بخطوط مائلة. وكانت تلك المقابلة – الراجح أنها كانت الأولى لها على القنوات التلفزيونية – جزءاً من التقرير الخاص لتلفزيون NBC، بعنوان: "رونا باريت تبحث في أغنى

---

1 Donald Trump, *The America We Deserve* (Los Angeles: Renaissance Books, 2000), 23.

2 Donald Trump, *The America We Deserve* (Los Angeles: Renaissance Books, 2000), 24.

3 Mike Allen, "Bodies from Kennedy Crash Are Found," *New York Times*, July 22, 1999.

4 Trump, *The America We Deserve*, 23.

٥ مقابلة ترامب مع بوبيرغ وأوهارو وهارويل وغولدشتاين وماركون.
في هذه المقابلة، عندما سئل ترامب هل كانت وفاة والده قد دفعته إلى الترشح إلى انتخابات الرئاسة، قال: "أتصور أنها دفعتني إلى ذلك، لكن ربما في أعماق نفسي".

أغنياء اليوم"[1]. وكان ترامب في مقابلته يرمي إلى الترويج لمبنى برج ترامب، لكن باريت أرادت اختيار موضوع آخر: مواهب ترامب التنافسية ورغبته في السلطة. وعندما سألته عن رغبته في اتخاذ قرارات تكون محل جدل، تحول ترامب فجأة إلى الحديث عمَّا كان يراه من ضعف القيادة في الولايات المتحدة الأميركية. فأسعار الوقود كانت في ارتفاع، والتضخم المالي كان في تعاظم. كما أن أكثر من أربعين أميركيّاً ممن احتجزوا في السفارة الأميركية لا يزالون أسرى في إيران، في الوقت الذي يقول ترامب [فيه إننا] "نستلقي ونتلقى السباب من كل حدب وصوب... وكل ظني أن البلاد لا تمضي قدُماً في الاتجاه الصحيح"[2].

سُجّلت المقابلة قبل شهر من الانتخابات الرئاسية. وكان ترامب قد تبرع للرئيس جيمي كارتر Jimmy Carter في الوقت نفسه الذي ساعد فيه منافسه رونالد ريغان على جمع المال لحملته الانتخابية. وكان ريغان، الممثل السابق، قد ترشح لانتخابات البيت الأبيض مستخدماً شعاره اللافت: لنجعل أميركا عظيمة تارةً أخرى. وبُهِتت الصحافية باريت من تحول ترامب إلى السياسة. فسألته: "هل تود أن تكون رئيساً للولايات المتحدة الأميركية؟".

أجابها بالنفي. وقال إن السياسة كانت "حياة وضِيعة... ولعل أبراهام لينكولن لم يكن ليُنتخَب في أيامنا هذه بسبب صور التلفزيون. فلم يكن رجلاً وسيماً، كما لم يكن يتبسم مطلقاً". وقال ترامب إنه عرف أناساً كان يمكن أن يكونوا رؤساء "ممتازين" لأنهم كانوا "أذكياء للغاية... ولديهم ثقة بالنفس عالية جدّاً جدّاً... كما أنهم كانوا يبدون احترامهم لكل من حولهم". لكن أيّاً منهم لم يسع إلى المنصب بسبب التدقيق الإعلامي الذي يرون فيه مأساة من المآسي. "لكن يمكن لرجل واحد أن ينعطف بهذه البلاد إلى الأفضل. يمكن لرئيس واحد مناسب أن ينعطف بهذه البلاد إلى الأفضل".

لم يكن ترامب رجلاً ساذجاً في السياسة، فهو ووالده ازدهرت أعمالهما لسنوات طويلة في ثقافة مدينة نيويورك التي تقول بالمصطلح العامي: ادفع لتلعب [pay–to–play إبرام العقود الحكومية مع المشاركين في الحملات الانتخابية]، وذلك عندما

١ مقابلة رونا باريت مع روبرت صموئيل، **واشنطن بوست**، ١٨ أيار/مايو ٢٠٠٦.

٢ مقابلة ترامب مع رونا باريت، ٦ تشرين الأول/أكتوبر، ١٩٨٠، شركة Reelin'in the Years of Productions.

كانا يرعيان إلى حدٍّ ما موظفي الدولة المحليين المنتخَبين. وكان ترامب في غالب الأحيان يستجيب لطلبات الحصول على النقود من أصحاب النفوذ السياسي. كان معياره بسيطاً: هو يريد لمن يفوز بالانتخابات أن يكون رجلاً يمكن له التحالف معه حالما يستلم منصبه[١]. وكان يتبرع أحياناً لدعم مرشحين يتنافسون في الجولة الانتخابية نفسها[٢]. ولم يكن يكترث لآراء المرشح، ولا للحزب السياسي الذي ينتمي إليه المرشح. فهو "يريد رجلاً سيستمر بالصعود... رجلاً سيكون مرتبطاً به أثناء ذلك الصعود"، على حدِّ قول المستشار الديموقراطي في نيويورك، جورج أرتست George Arzt، الذي كان يطلب من ترامب على مر السنين تقديم الدعم إلى عدد من المرشحين[٣].

في أواخر ثمانينيات القرن الماضي، لفتت هبة ترامب السخية انتباه لجنة ولاية نيويورك التي تدقق في أي فساد سياسي محتمل. ولما للَّجنة من سلطة الاستدعاء إلى المحكمة، استدعت ترامب للإدلاء بشهادته في آذار/مارس ١٩٨٨[٤]. وتحت القسم، اعترف ترامب بأن التبرعات السياسية كانت جزءاً رتيباً في أعماله لنحو عقدين من الزمن. وكان يعطي بسخاء شديد إلى حد أنه كان أحياناً لا يعلم كم أنفق. وعندما طلب منه مفوض اللجنة التحقق من أنه قدم مئة وخمسين ألف دولار أميركي إلى مرشحين محليين سنة ١٩٨٥ وحدها، أجابه ترامب بقوله: "أنا حقّاً لا أعلم. أفترضُ أن ذلك قد حدث، نعم".

كان المبلغ الذي تبرع به ترامب سنة ١٩٨٥ يعادل ثلاثة أضعاف الحد السنوي المسموح به للأفراد (خمسون ألف دولار أميركي)، وثلاثين ضعفاً من الحد السنوي المسموح به للشركات (خمسة آلاف دولار أميركي)، وفقاً لقوانين ولاية نيويورك.

١ مقابلات جورج أرست وسيندي داريسون مع شون بوبيرغ، **واشنطن بوست**، ١٨ أيار/مايو، ٢٠١٦.

٢ تحليل البيانات المالية لمدينة نيويورك ولولاية نيويورك وللحملة الفيدرالية، نفذته أليس كريتس، **واشنطن بوست**.

٣ مقابلة جورج أرست مع شون بوبيرغ، **واشنطن بوست**، ١٩ أيار/مايو، ٢٠١٦.

٤ النص المكتوب لـ"جلسة استماع للممارسات المالية الخاصة بالمسؤولين في الحملات على مستوى المدينة وعلى مستوى الولاية"، لجنة ولاية نيويورك الخاصة بأمانة الحكومة، ١٤ آذار/مارس، ١٩٨٨.

لكن ترامب "راوغ" القانون، في نظر لجنة الولاية، وذلك بتوزيع التبرعات بين ثماني عشرة شركة فرعية[1] [تابعة له]. وكلٌّ منها له اسم مختلف عن الأخرى - على سبيل المثال شركة مساكن ملاذ الشاطئ رقم ٢، وشركة ملاذ الشاطئ رقم ٣، وشركة ملاذ الشاطئ رقم ٦ - لكن ترامب هو صاحب النفوذ الأكبر فيها جميعاً[2]. وقال لأعضاء اللجنة إنه لم يكن يعلم "السبب الدقيق" وراء تقديم الهبة على ذلك النحو؛ فالأمر تمّ وفقاً لما أشار إليه محاموه فحسب.

كذلك وجد ترامب وسائل أخرى لتقديم المساعدة المالية إلى المرشحين. ففي حزيران/يونيو ١٩٨٥، منح قرضاً قدره خمسون ألف دولار أميركي لحملة أندرو ستاين AndrewStein، وهو مرشح ديموقراطي كان يسعى إلى أن يكون رئيس مجلس مدينة نيويورك. وبعد ستة أشهر، وكان الدَّين لم يستوفَ بعد، أعفاه ترامب من الدَّين[3]. وقال ترامب لأعضاء اللجنة إنه توقع من حملة ستاين الوفاء بالدَّين، ولم يعلم أن الدين قد خرج من جيبه [بلا عودة] إلا عندما حان أوان الوفاء به. وبعد أكثر من ثلاثين سنة، قال ستاين في مقابلة معه إنه لا يتذكر ذلك الدَّين، لكن التجار المقاولين [منهم ترامب] كانوا قريبين من موظفي الدولة في المدينة آنذاك[4].

امتدت أعمال دونالد إلى ما وراء مدينة نيويورك في ثمانينيات القرن العشرين، وكذلك كانت تبرعاته. فأعطى أكثر من اثنين وسبعين ألف دولار أميركي لمرشحين فدراليين سنة ١٩٨٨، وكان ذلك يفيض بمقدار سبعة وأربعين ألف دولار على ما يسمح به القانون الفيدرالي[5]. وقد اكتشفت "لجنة الانتخابات الفيدرالية" هذه المخالفة بعد مضي سنوات عليها أثناء إجرائها تدقيقاً في الحسابات، فغرَّمته خمسة عشر ألف دولا. قال ترامب آنذاك: "كنا سنقاوم ذلك، لكن الأمر كان سيكلفنا مالاً

---

١ "الفساد والابتزاز في مجال البناء في مدينة نيويورك"، التقرير النهائي للقوة الضاربة الخاصة بالجريمة المنظمة في ولاية نيويورك. نيويورك. دار نشر جامعة نيويورك، ١٩٩٠، ١٢٠.

٢ النص المكتوب لـ"جلسة استماع للممارسات المالية للمسؤولين في الحملات على مستوى المدينة وعلى مستوى الولاية"، لجنة ولاية نيويورك الخاصة بأمانة الحكومة، ١٤ آذار/مارس، ١٩٨٨.

٣ المرجع السابق.

4 O'Harrow, "Trump Swam in Mob-Infested Waters."

5 Martin Tolchin, "10 Pay Fines for Excessive Campaign Donations," *New York Times*, March 18, 1993.

أكثر من تلك الغرامة".

لقد أدرك مايكل دنبار Michael Dunbar، وهو صانع مفروشات في مدينة بورتسموث في ولاية نيوهامشير، قدرة ترامب على الاتصال بالجماهير. ففي ربيع ١٩٨٧، قبل نحو سنة من الانتخابات الرئاسية التمهيدية التي تبدأ من تلك الولاية، كان ناشط الحزب الجمهوري ذاك يبحث عن مرشح للرئاسة. ولدى تصفحه صحيفة **وول ستريت جورنال**، افتُتن دنبار بشخصية ترامب وفطنته في عالم الأعمال. فنشر السُّعاة في حث الجمهوريين على "استخدام ترامب". وأخبره أصدقائه بأن فكرته تلك مثيرة للضحك، لكن دنبار دعا ترامب إلى الحديث أمام نادي الروتاري المحلي. وبعدما انجذب ترامب إلى الفكرة، طلب من دنبار مناقشة الأمر في برج ترامب صيف ذلك العام[1].

دهش دنبار من الترف والبذخ في ردهة البرج، ثم صعد إلى المكتب القائم في الطابق السادس والعشرين، حيث قدم ترامب إليه كأساً من الكولا الخالية من السكر وهما يتباحثان في ما ينويه دنبار: سيسافر ترامب بمروحيته الخاصة إلى مهبط طائرات في ولاية نيوهامشير، ويتحدث أمام جمع من نادي الروتاري في مطعم يوكنز، ثم يعقد مؤتمراً صحافيّاً. أبرمت الصفقة بينهما[2].

بعد بضعة أسابيع، استأثر ترامب بإعلانات الصفحة الكاملة الافتتاحية في شؤون السياسة الخارجية في صحف: **نيويورك تايمز وواشنطن بوست وبوسطن غلوب**، التي كانت قراءتها منتشرة في أوساط ناخبي ولاية نيوهامشير[3]. وكتب ترامب في تلك الإعلانات: "ليس هناك من خطأ في سياسة الدفاع الخارجية الأميركية يجعل عمودها الفقري الصغير يستعصي على الشفاء"، وقد كلفته تلك الإعلانات ما مجموعه خمسة وتسعين ألف دولار أميركي[4]. وأعطى الإعلان فكرة سريعة أولى عن أفكار ترامب السياسية؛ تلك الأفكار التي سيكررها بصيغ مختلفة على مدى عقود مقبلة. فقد

---

١ مقابلة مايكل دنبار مع روبرت صموئيلز، **واشنطن بوست**، ٢٩ نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٢ مقابلة دنبار مع صموئيلز.

3 Michael Oreskes, "Trump Gives a Vague Hint of Candidacy," *New York Times*, September 2, 1987.

4 "There's nothing wrong with America's foreign defense policy that a little backbone can't cure," newspaper advertisement, The Trump Organization, *Washington Post*, September 2, 1987.

تساءل عن السبب الذي يجعل الولايات المتحدة تستمر في دفع تكاليف حماية اليابان والسعودية:

> لتُفرَض الضرائب على هذين البلدين الثريين، لا على أميركا. ولتنتهِ مناحي عجزِنا الضخم، ولتنخفض ضرائبنا، وليُترَك الاقتصاد الأميركي لينمو غير مثقلٍ بتكاليف الدفاع عن هاتين الدولتين اللتين تستطيعان بيسر وسهولة أن تتحملا تكاليف الدفاع عن الحرية فيهما. ويكفينا ما أصاب بلدنا العظيم مما يثير السخرية منها.

أصبحت بعد ذلك صورة سائر العالم الذي يسخر من زعماء الولايات المتحدة سمةً لا تبرح الخطابة السياسية عند ترامب. فقد جاءت مرةً في السنة السابعة من رئاسة رونالد ريغان، قبل بضعة أسابيع فقط من صدور كتاب ترامب *The Art of the Deal* الذي وصف فيه ترامب الرئيس ريغان بأنه "الفنان الناعم"، لكنه تساءل هل كان هناك "ما يخفيه وراء ابتسامته". وهذه الصفعة بوجه الرئيس كانت أمراً مفاجئاً؛ فقد عُرف عن آل ترامب أنهم جمهوريون محافظون على نمط غولد وُوتر Goldwater، وقد جمعوا الأموال لريغان. وقد ثبتت استطلاعات الرأي عند نسبة ٥١٪ لمصلحة ريغان، وازدهرت سوق الأسهم المالية، وانخفضت نسبة البطالة إلى ما دون ٦٪ لأول مرة في ذلك العقد. لكن في تصور ترامب، كانت الولايات المتحدة دولة ساقطة في النشاط العالمي.

كان ترامب قد قال مسبقاً إنه كانت لديه قدرة كبيرة على إنجاز صفقة كصفقة الحد من الأسلحة النووية التي أصبحت واحدة من أكبر إنجازات ريغان التي يفخر بها. فقد أخبر ترامب مراسلاً لصحيفة **واشنطن بوست** سنة ١٩٨٤ بأنه يحلم بتوظيف مهاراته التفاوضية في محادثات نزع الأسلحة النووية مع السوفيات: "بعض الناس لديهم القدرة على التفاوض. فالتفاوض فن يولد أساساً مع الإنسان[1]. فإما أن يكون لديك ذلك الفن أو لا يكون". وليس من المهم عند ترامب ألّا يكون عنده خبير في الصواريخ. "سيستغرق الأمر ساعة ونصف لمعرفة كل ما ينبغي معرفته عن الصواريخ... على كل

1 Lois Romano, "Donald Trump, Holding All the Cards, The Tower! The Team! The Money! The Future!," *Washington Post*, November 15, 1984.

حال، أظن أنني أعرف معظم الأمور عنها. ولا يلزمني إلا مجرد تحديث المعلومات بشأن أوضاعها".

في اليوم الذي ظهر فيه إعلان السياسة الخارجية لترامب، أعلن أنه سيذهب إلى ولاية نيوهامشير، فتلك هي الطريقة المثلى لإشعال حمّى المضاربة السياسية. وعندما سئل ترامب هل كان يسعى إلى المناصب، أجاب متحدث بلسانه لا يُعرَف اسمه: "قطعاً ليست هناك خطة للسعي إلى منصب عمدة مدينة، أو حاكم ولاية، أو عضو في مجلس الشيوخ"... "ولن يبدي تعليقاً بشأن منصب الرئاسة". وقد غذى العنوان الرئيسي في صحيفة **نيويورك تايمز** التوقعات: "ترامب يعطي إشارة مبهمة في موضوع الترشح [للرئاسة]"[1].

في ذلك الصباح المشرق، يوم ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٧، حطت مروحية ترامب في أحد مهابط الطائرات في ولاية نيوهامشير، ومن هناك استقل سيارة ليموزين فاخرة كانت تكاليفها على حساب دنبار، ومضت به إلى مطعم يوكنز. هناك كان جمع من الناس ينتظرونه حاملين لافتات كتب عليها: "اقترعوا الترامب ليكون رئيساً"، و"اقترعوا الترامب الرابح". وفي الخطاب الذي ألقاه عليهم، استلهم ترامب أفكاره من إعلاناته. ففي ما يخص الرئاسة، قال: "لقد اكتفينا من الرجال الذين يقولون: اقترعوا لي لأنني جميل. وليس لدي ما أكرهه في الرجل الجميل، لكنني شخصيّاً اكتفيت منهم"[2].

لكن ما قاله ترامب للمراسلين الصحافيين المجتمعين أضعف معنويات دنبار؛ فقد قال: "لست مهتمّاً بالترشح للرئاسة"[3]. تساءل دنبار لماذا، إذاً، أزعج ترامب نفسه بالمجيء إلى نيوهامشير؛ أكان ذلك مجرد مناورة للترويج لكتابه؟ تلقى دنبار بعد ذلك نسخة من كتاب ترامب كُتب عليها: "إلى مايكل: إنني أقدِّر صداقتك بحق – لقد أنشأتَ جزءاً مثيراً في حياتي – في المستقبل". فكان أمل دنبار أن يكون قد زرع البذرة الأولى[4].

انتهت مغازلة ترامب القصيرة للترشح للرئاسة، لكن شهرة ثروته ظلت تجتذب

1 Oreskes, "Trump Gives a Vague Hint of Candidacy."

2 Amy Hart, "Trump Tells Rotarians He's Not Running for President," *Foster's Democrat Daily*, October 24, 1987, provided by Michael Dunbar.

3 Hart, "Trump Tells Rotarians He's Not Running for President."

٤ مقابلة مايكل دنبار مع روبرت صموئيلز، **واشنطن بوست**، ٢٩ نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

السياسيين من كلا الحزبين [الجمهوري والديموقراطي]. ففي ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٧، أرسَل مساعد ريغان للشؤون السياسية وشؤون الولايات، فرانك دوناتيلي Frank Donatelli، مذكرةً إلى السكرتير الصحافي للرئيس، توم غريسكوم Tom Griscom، يحذره فيها من أن الديموقراطيين في الكونغرس يريدون من ترامب أن يعمل رئيساً لصندوق جمع التبرعات. كتب مساعد ريغان يقول:

> إن براعته في جمع الأموال عظيمة وإذا قبل المنصب، فيمكنه أن يزيد بصورة كبيرة في شوكة الحزب الديموقراطي في العام المقبل... سيكون من المفيد جدّاً أن تجري اتصالاً هاتفيّاً بدونالد ترامب اليوم. فهو على جانب كبير من الغرور وسيسارع إلى الاستجابة لمكالمتك إياه[١].

رفض ترامب دعوة الديموقراطيين له لجمع المال. واستمر أعيان الجمهوريين بالتودد إليه لتقديمه التبرعات إليهم، أو لأنه سيكون مرشحهم الانتخابي في المستقبل. وفي عيد الميلاد في تلك السنة، وقد كانت الانتخابات الرئاسية جارية على قدمٍ وساق، كتب الرئيس السابق ريتشارد نيكسون Richard Nixon رسالة إلى ترامب، بعدما شاهدت زوجته بات Pat رجل الأعمال ترامب في البرنامج التلفزيوني The Phil Donahue Show:

> عزيزي دونالد، لم أشاهد البرنامج، لكن السيدة نيكسون أخبرتني أنك كنت رائعاً فيه. ولعلك تعلم أنها خبيرة في السياسة، وهي تتوقع أنك كلما أردت خوض الانتخابات، ستكون الفائز فيها![٢].

رغم أن ترامب لم يكن مرشحاً انتخابيّاً، فقد استمتع بفضول الآخرين لمعرفة طموحاته وحياته السياسية الناشئة. وتقدم في رحلته مع الصحافة، فأجريت معه مقابلات كرر فيها موقفه في قضايا من قبيل التجارة، واستدرج فيها أسئلة عن طموحاته. قالت له أوبرا وينفري عندما ظهر في برنامجها الحواري ذائع الصيت ربيع ١٩٨٨: "يبدو

---

١ رسالة من فرانك دوناتيلي إلى توم كريسكوم، ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٨٧، ID#٥٤٧٣٠٩، مكتب البيت الأبيض لملفات سجلات الإدارة، مكتبة ريغان الرئاسية.

٢ David K. Li، "'Donald Trump Will Be a Winner' Predicted Richard Nixon،" *New York Post*، September ٩، ٢٠١٥.

ذلك حديثاً سياسيّاً رئاسيّاً بالنسبة إلي".

فقال ترامب: "أنا لا أظن أنني ميال إلى ذلك حقّاً... لعلي لا أفعل ذلك يا أوبرا. لكنني سئمت من رؤية ما يحدث في هذه البلاد. وإذا ساءت الأمور إلى حد كبير، فلن أستبعد إمكانية حدوث ذلك بالمطلق"، ثم أضاف أنه إذا خاض غمار الانتخابات، فستكون له "فرصة مميزة للفوز فيها"[1].

بعد بضعة شهور، حضر ترامب اجتماعه الأول مع الجمهوريين، إذ كان جورج بوش الأب يقبل ترشيح الحزب له للرئاسة. وفي مقابلة على قناة CNN الإخبارية التلفزيونية، سأله مضيف برنامج حواري، وهو لاري كينغ Larry King، عن سببه مجيئه إلى الاجتماع[2]. فأجابه ترامب أنه أراد أن يرى "كيف هو نظام الأمور". وتلى ذلك السؤال أسئلة تبعت ترامب لعقود منها: كيف يصنف ترامب نفسه في السياسة؟ إذ أراد كينغ أن يعرف منه هل كان يصنف نفسه مع "الجمهوريين الشرقيين" [المحافظين]، أو مع "جمهوريي روكفلر-تشيز مانهاتن Rockefeller/Chase Manhattan"، ويعني بهم الجناح الليبرالي في الحزب الجمهوري.

أجاب ترامب: "لم أفكر في الأمر مطلقاً بهذه التسميات".
فسأله كينغ King: "فهل أنت من جمهوريي بوش؟" [المحافظين الجدد].
أجاب ترامب، واضعاً نفسه فرداً من أفراد الناس، مع أنه كان يتباهى دائماً بثروته العظيمة:
أنت تعلم أن الأغنياء لا يحبونني لأنني أنافسهم على الدوام؛ وأحب أن أربح في منافساتي. والحقيقة أنني أنزل إلى شوارع مدينة نيويورك، فأرى الناس الذين يحبونني فعلاً، من سائقي سيارات الأجرة والعمال.
كينغ: "لماذا أنت من الحزب الجمهوري؟".
ترامب: لا أدري لماذا. أنا من الحزب الجمهوري لأنني أؤمن بمبادئ معينة من مبادئ الحزب الجمهوري[3].

---

1 Trump interview with Oprah Winfrey, *The Oprah Winfrey Show*, April 25, 1988.

٢ مقابلة ترامب مع لاري كينغ، CNN، ١٧ آب/أغسطس، ١٩٨٨.

٣ المرجع السابق.

في خريف ذلك العام، تغلب بوش الأب على منافسه الديموقراطي، مايكل دوكاكيس Michael Dukakis حاكم ولاية ماساتشوستس، وكان ذلك يعود إلى حدٍّ ما إلى تصوير مايكل حاكماً ضعيفاً في وجه عالم الجريمة، إذ نشرت اللجنة السياسية المؤيدة لبوش إعلانات تظهر ويلي هورتون WillieHorton، وهو رجل من السود اغتصب امرأة بيضاء في السابعة والعشرين من عمرها عندما أُذن له بالخروج من سجن ماساتشوستس يوم العطلة الأسبوعية أيام كان دوكاكيس حاكماً للولاية. ونشرت حملة بوش الانتخابية إعلانات تشير إلى القضية دون ذكر اسم هورتون. أثبت ذلك فعاليته. يقول النقاد إن الإعلانات كانت لها جدواها بتغذية الخوف والتوتر العرقي في البلاد.

بعد أشهر، احتُجِز ترامب في جريمة شنيعة هددت بتقسيم نيويورك على أسس عرقية عنصرية. ففي ١٩ نيسان/أبريل ١٩٨٩، ذهبت تريشا ميلي Trisha Meili، وهي امرأة تعمل في مصرف استثماري تبلغ الثامنة والعشرين من العمر، للهرولة في سنترال بارك. وبينما كانت تدخل الحديقة من المدخل الشمالي في الحي الشرقي الأعلى باتجاه حي هارلِم، تعرضت ميلي لهجوم، وقُيِّدت بقميصها، وضُرِبت بصخرة، واغتصبت، وتركت كالميتة تسبح في بركة من دمائها. وأبلغ الأطباءُ الصحافيين أنه ليس من الواضح هل كانت لا تزال على قيد الحياة. وإذا كانت لا تزال حية، فمن شبه المؤكد أن دماغها أصيب بالتلف. ظلت "مهرولةُ سنترال بارك"، كما صارت تُعرف، غائبة عن الوعي نحو أسبوعين تقريباً.

اعتقل خمسة صبية، أربعة من السود وواحد لاتيني، تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة. بعد أسبوعين من الجريمة، طالع ملايين من سكان نيويورك الذين يقرؤون صحف المدينة الأربعة الرئيسبة -**نيويورك تايمز**، و**ديلي نيوز**، و**نيويورك بوست**، و**نيوزداي** - إعلاناً على صفحة كاملة دفع تكاليفه ترامب. وكتب فيه: "أعيدوا حكم الإعدام"، كما حذر فيه من "عصابات جوالة من المجرمين المتوحشين"[1]. واستغل ترامب تلك الجريمة الرهيبة لتكون فرصته في التهجم على عمدة المدينة إد كوتش Ed Koch، فقد كان ترامب ينظر في الترشح في مواجهة كوتش في الانتخابات التمهيدية للحزب الديموقراطي؛ وكثيراً ما عادى العمدة بسبب الإعفاءات الضريبية

1 Michael Wilson, "Trump Draws Criticism for Ad He Ran after Jogger Attack," *New York Times*, October 23, 2002.

التي أرادها ترامب لمشروع اقترحه. فوصف ترامب العمدة بأنه رجل "أبله"، أما كوتش فوصف ترامب بأنه إنسان "جشع"[1].

استغل ترامب قضية "مهرولة سنترال بارك" ليهزأ بخصمه أكثر وأكثر. فكتب في إعلانه: "لقد صرح العمدة كوتش بأن الكراهية والضغينة ينبغي محوها من قلوبنا... لا أظن ذلك. فأنا أريد أن أكره هؤلاء المجرمين وقطاع الطرق. يجب أن يساقوا إلى العذاب قسراً، وإذا ارتكبوا القتل، فلا بد من إعدامهم جزاءً على جرائمهم"[2].

لكن كثيرين من السود لم يروا في إعلانات ترامب إعلانات انتهازية فحسب، بل رأوا فيها كذلك تفرقة عنصرية. فدعا المبجَّل أل شاربتون Al Sharpton، الذي أصبح في ما بعد رئيس منظمة تسمى "حركة الأفارقة المتحدة" United African Movement، ترامب إلى الاعتذار علناً عما سماه "الإعلان المثير للضغائن"[3]. وفي اليوم الذي ظهر فيه الإعلان، قال ترامب في المقابلات التلفزيونية إن المراهقين الذين اعتقلوا بسبب الاغتصاب يمثلون مشكلات نيويورك[4]. قدم ترامب نفسه رجلاً عاديّاً لديه المال والشجاعة للحديث بحرية وبلا خوف من عواقب اقتصادية أو أضرار تلحق بسمعته: "عليكم أن تثقوا أنني أكره الناس الذين كبَّلوا هذه الفتاة واغتصبوها بوحشية. عليكم أن تثقوا بذلك"[5].

أصر ترامب على أنه لم يكن عنصريّاً. وبينما كان التوتر يحوم حول القضية، ظهر ترامب لاحقاً في تلك السنة في برنامج خاص لقناة NBC التلفزيونية، كان اسمه "المواقف العنصرية واختبار الوعي Racial Attitudes and Consciousness Exam"، يقدمه براينت غامبل Bryant Gumbel. قال ترامب في البرنامج:

> إن السود ذوي الثقافة العالية لديهم ميزة أكبر من البيض ذوي الثقافة

---

1 Alan Finder, "The Koch-Trump Feud," *New York Times*, June 1, 1987.

2 Wilson, "Trump Draws Criticism for Ad He Ran after Jogger Attack."

3 Al Sharpton letter, ""Sharpton Urges Don King, Tyson to Boycott Trump," *New York Amsterdam News*, May 13, 1989.

4 Fox 5 News, WNYW, transcript and tape, May 1, 1989.

5 Oliver Laughland, "Donald Trump and the Central Park Five: The Racially Charged Rise of a Demagogue," *Guardian*, February 17, 2016. Video: http://www.theguardian.com/us-news/2016/feb/17/central-park-five -donald-trump-jogger-rape-case-new-york

> العالية في سوق العمل... وأظن أحياناً أن السود ربما يعتقدون أنه ليس لديهم ميزة أو شيء من هذا القبيل. لقد قلت في إحدى المناسبات، حتى عن نفسي، إنني لو انطلقت اليوم [في سوق العمل]، لأحببت أن أكون من السود ذوي الثقافة العالية، لأنني أعتقد أن لديهم ميزة حقيقية.

وقد وصف المخرج السينمائي سبايك لي Spike Lee ذلك التأكيد من ترامب بأنه "كلام تافه"[١].

نجت المهرولة من الموت بالضرب الوحشي لكنها أصيبت بعاهة دائمة. وأُدين الشبان، وحكم عليهم بالحبس مدداً تتراوح بين ستة أشهر وثلاثة عشر شهراً. لكن بعد سنوات من ذلك، اعترف مجرم يحترف الإجرام بجريمة الاغتصاب، بعد تطابق نتائج تحليل DNA. فأُلغيت الإدانة، ودفعت المدينة مبلغ واحد وأربعين مليون دولار لتسوية دعوى السجن ظلماً التي رفعها الشبان. وصف ترامب تلك التسوية بأنها "خزي"، رافضاً الاعتذار، وقال: "هؤلاء الشبان لم يكونوا في الواقع ملائكة في الماضي". وقال إنه لم يكن ليعطيهم "قرشاً"، وكابر قائلاً: "إنهم يدينون لدافعي الضرائب في مدينة نيويورك باعتذار لأنهم أخذوا المال من جيوبهم كما تؤخذ قطعة الحلوى من يد الطفل"[٢]. بعد عقود، وصف أحد الشبان الذين اتُّهموا خطأً، وهو يوسف سلام، ترامب بأنه "شخص تملؤه الكراهية" واندفع إلى إصدار الأحكام وأشعل التوترات في المدينة. وقال سلام: "دونالد ترامب: إنه من أشعل النار"[٣].

لم يترشح ترامب لمنصب العمدة. وتغلب رئيس منطقة مانهاتن، ديفيد دينكينز David Dinkins، على كوتش في الانتخابات التمهيدية الديموقراطية وأصبح أول أميركي من أصل أفريقي يتولى أعلى منصب في المدينة.

---

1 The NBC–TV special R.A.C.E.

تم بث البرنامج في الأسبوع الأول من أيلول/سبتمبر ١٩٨٩. والتسجيل المصور للبرنامج أخذ من وثائق الأخبار التلفزيونية المحفوظة لدى جامعة Vanderbilt. وراجع أيضاً:

Walter Goodman, "A Poll of Viewers' Feelings about Racial Issues," *New York Times*, September 8, 1989.

2 Stephen Rex Brown, "Exclusive: Members of the Central Park Five Shocked Donald Trump Is Leading GOP Candidate, Despite Having 'No Compassion,'" *New York Daily News*, August 18, 2015.

3 "Central Park Five Member Recalls Trump, "*Guardian*, February 17, 2016.

وفي السنة التي تلت حادثة الاغتصاب في سنترال بارك، كان ترامب يولي اهتمامه لعلاقته الغرامية مع مارلا ميبلز، وكذلك لكفاحه للوفاء بمئات ملايين الدولارات التي يدين بها. وإذا كانت لدى ترامب أي طموحات سياسية، فقد تم تأجيلها حتماً. ورداً على الشائعات بأنه سيترشح لمنصب حاكم نيويورك، قال ترامب للاري كينغ سنة ١٩٩٠ إن لديه "صفراً من الاهتمام [بذلك الأمر]... فهل يمكن أن تتخيلني أسعى إلى ذلك المنصب؟ ألن تقول إنني شخص مثير للخلاف إلى حدٍّ ما بسبب ذلك؟"[١].

وبقي ترامب خارج المنظومة السياسية، لكنه استمر في التأثير فيها عن طريق جماعات الضغط والتبرع للحملات الانتخابية، فقد أنفق الملايين للتحكم برجال السياسة وبموظفي الدولة، خاصة لحماية ما يملكه من نوادي القمار في مدينة أتلانتيك سيتي من تطفل المنافسين المزعجين. ولم يكن يتردد في إقحام بصمته في الكونغرس الأميركي.

سنة ١٩٩٣، بينما كان يدلي بشهادته أمام لجنة من الكونغرس، شكك ترامب في أن أفراداً من قبيلة في ولاية كونكتيكت ممن يعملون في نادي القمار Foxwoods؛ وكان يرى فيه منافساً خطيراً لأعمال ناديه للقمار في أتلانتيك سيتي، هم من الأميركيين الأصليين [الهنود الحمر]. فقال للّجنة الفرعية لمجلس شؤون الأميركيين الأصليين: "لا يبدون لي هنوداً". وأردف يقول إن القبيلة لن تتمكن من الابتعاد عن عالم الجريمة المنظمة، وتوقع أن [انكشاف] ذلك سيكون "أكبر فضيحة على الإطلاق"[٢].

كانت التعليقات تكراراً لما ورد في مقابلة تنضح بالعنصرية أجراها ترامب قبل شهور[٣]. فقد قال ترامب لصاحب البرنامج [الإذاعي] التهكمي دون أيموس Don Imus: "أظن أن فيَّ دماً هندياً أكثر من كثير ممن يُدعَون هنوداً يحاولون فتح محميات لهم". وكان أيموس يتحدث عن قبائل هندية تسعى إلى فتح نوادٍ للقمار ويبدون في مظهرهم كأنهم "هنود أراذل سكارى"، ويقارنهم بنجم كرة سلة أميركي من أصول

١ مقابلة ترامب مع كينغ، ٢٧ تموز/يوليو ١٩٩٠.
٢ النص الكتابي لـ"جلسة استماع للمراقبة، أمام اللجنة الفرعية الخاصة بشؤون سكان أميركا الأصليين"، واشنطن العاصمة، ٥ تشرين الأول/أكتوبر، ١٩٩٣، ٢٤٢-٢٤٧.
٣ المرجع السابق، ويتضمن التسجيل الصوتي نسخة من حديث ترامب في البرنامج الإذاعي Imus in the Morning.

أفريقية: "بعض هؤلاء الهنود الذين يظهرون في كونكتيكت يبدون بصراحة مثل مايكل جوردان Michael Jordan". فقال له ترامب: "أظن أنك لو ذهبت مرةً إلى هناك، لكنت بالفعل قلت إن هؤلاء ليسوا هنوداً". النائب [في مجلس النواب الأميركي] جورج ميلر George Miller، وكان من الحزب الديموقراطي من كاليفورنيا ويرأس جلسات الاستماع في الكونغرس، استهدف تعليقات ترامب مع إيموس وفي الكونغرس، وقال: "أيها السيد ترامب: هل تعلم متى سمعنا في تاريخ هذا البلد هذا الحوار من قبل؟: إنهم لا يبدون لي يهوداً، إنهم لا يبدون لي هنوداً، إنهم لا يبدون لي إيطاليين. وكان ذلك الاختبار لتحديد إمكانية ذهاب الناس إلى سوق العمل أو العكس، أو لتحديد إمكانية حصولهم على قرض مصرفي: أنت أسود كثيراً؛ أنت لست أسود بما فيه الكفاية". فرد ترامب بأن نوادي القمار في محميات الهنود أصبحت غير منصفة، فهي ذات مزايا "متحيزة".

وسنة ٢٠٠٠، وبينما كانت مدينة نيويورك تنظر في توسيع نوادي القمار للأميركيين الأصليين في منطقة جبال كاتسكيل، قام ترامب بدور في سلسلة من الإعلانات المفرقعة في التلفزيون، والصحف، والإذاعة تتهم أعضاء في قبيلة الموهوك Mohawk الهندية بأن لهم سجلات إجرامية طويلة، وبأن لديهم علاقات مع الغوغائيين الرعاع. وكانت الإعلانات تظهر صوراً لأشرطة الكوكائين ومحاقنه، وتطرح سؤالاً يقول: "هل هؤلاء هم الجيران الجدد الذين نريدهم؟"[1]. كما تضمنت الحملة على نوادي القمار الهندية مسحاً إيهامياً بالهاتف؛ إذ كان من يردون على الهاتف فيه ويعارضون القمار في نيويورك ثم يحوَّلون إلى مكتب حاكم الولاية جورج باتاكي George Pataki لتسجيل شكاواهم[2]. وقد رعت تلك الإعلانات جماعة تدعى "جمعية القانون والسلام"، وكان ترامب هو من يموِّل هذه الجماعة التي كان ييسر لها أعمالها أحد المنافحين القدماء عن ترامب، وهو روجر ستون Roger Stone[3]. وكان ستون، وهو ناشط وصاحب قرار نافذ في الحزب الجمهوري، قد عمل في لجنة نيكسون لإعادة انتخاب الرئيس سنة ١٩٧٢، وكان

1 Neil Swidey, "Trump Plays Both Sides in Casino Bids," *Boston Globe*, December 13, 2000.

2 James M. Odato, "Trump, Associates Detail Campaign," *Times Union*, November 29, 2000.

3 Bagli, "Trump and Others Accept Fines for Ads in Opposition to Casinos."

له دور في حملة المخاتلة والروَغان الكبيرة التي ظهرت إبان فضيحة ووترغيت Watergate[1]. وكان دور ستون في القضية صغيراً لكنه كان حيويّاً، فقد وهب أموالاً لبِيت ماكلوسكي Pete McCloskey، وهو منافس نيكسون في الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري سنة ١٩٧٢، باتخاذه اسماً زائفاً - هو الاتحاد الاشتراكي الناشئ - ثم عمد إلى إبلاغ إحدى الصحف بأنه يبدو أن لدى المرشح المنافس أنصاراً من الشيوعيين. وقد قابل ستون ترامب أول مرة في بحثه عن تبرعات سياسية لمصلحة حملة ريغان الانتخابية سنة ١٩٨٠. فزار ستون محامي ترامب آنذاك، روي كوهين، ووجه المحامي ستون إلى فريد ودونالد ترامب. وأولع ستون بترامب الابن، وانتهى به الأمر إلى أن يشغل محل كُون Cohn بعد وفاته [محامياً لترامب]. وتعاون ستون مع بول مانفورت Paul Manafort (الذي أصبح في ما بعد مدير الحملة الانتخابية الرئاسية لترامب سنة ٢٠١٦)، ومع غيره لإنشاء شركة ضغط (lobbying) سنة ١٩٨١، بعد انتخاب ريغان. وأصبح ترامب واحداً من أوائل الزبائن عند هذه الشركة.

بعد عقدين تقريباً، أصبح ستون في بؤرة الحملة المستترة لمحاربة القمار في نيويورك. وأنفق ترامب أكثر من مئة وخمسين ألف دولار على الإعلانات[2] بالإضافة إلى إعلانات وصلت كلفتها إلى أكثر من ثلاثمئة ألف دولار ذكر أنها أنفقت لمنافحة المشرِّعين في نيويورك في النصف الأول من عام ٢٠٠٠. لكن ترامب وستون لم يذكرا مطلقاً أن نفقات الإعلان كانت ضمن جهود المنافحة، وذلك كما تنص عليه القوانين في الولاية. وقد فرضت لجنة المنافحة في الولاية أكبر عقوبة مدنية في تاريخها - غرامة بمبلغ مئتين وخمسين ألف دولار - ووافق ترامب على أن يقدم اعتذاراً إلى العامة[3]. وأخبر ترامب المراسلين الصحافيين بقوله: "لقد تم حل الأمر"[4]، و"نحن سعداء لأن كل شيء تم بهذه الصورة اللطيفة". وكان من بنود اتفاق التسوية موافقة

1 Roger Stone interview with Tom Hamburger and Mary Jordan, *Washington Post*, May 11, 2016.

2 Bagli, "Trump and Others Accept Fines for Ads in Opposition to Casinos."

٣ اتفاق التسوية بين فنادق وكازينو ترامب وبين لجنة ولاية نيويورك المؤقتة للضغط، ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠٠٠.

4 Bagli, "Trump and Others Accept Fines for Ads in Opposition to Casinos."

لجنة المنافحة على ألّا تحيل القضية إلى اتهام جرمي. وخرقاً لقانون جماعات الضغط في الولاية، تم تحميلها احتمال الجنحة[1].

منذ ذلك الحين، ثابر ترامب على الحرب على نادي القمار المقترح في كاتسكيلز، مصوراً اللعب [بالقمار] خارج المدينة خطراً يهدد نيويورك. فقد قال ترامب في اليوم الذي وافق فيه على دفع الغرامة "إنه سيدمر التقدم الذي أحرز في مدينة نيويورك"[2]، "فهو سيستنزف الأموال إلى خارج المدينة. وبدلاً من شراء السيارات والشقق، سينفق الناس المال في نوادي القمار"، وذلك طبعاً ما كانت تعتمد عليه أعماله في مدينة أتلانتيك سيتي [في ولاية نيوجيرسي]، لكن يظهر أن ترامب لم يرَ تناقضاً في حربه على القمار في نيويورك ما دام ذلك يفيد مصالحه في نيوجيرسي.

حتى مع تحذيره من مخاطر نوادي القمار الهندية في نيويورك، فقد حث على إقامة نادي قمار هندي في ولاية كونكتيكت. فقد كانت لترامب حصة في ذلك المشروع بمشاركة هنود البوكواتك. وبناءً على ما جاء في العقد المبرم سنة ١٩٩٧، وافق ترامب على تحمل تكاليف الجهود التي تبذل في واشنطن لتحصل القبيلة على الاعتراف الفيدرالي [اعتراف الحكومة المركزية الاتحادية في الولايات المتحدة الأميركية] الذي تحتاجه لإقامة ناد للقمار[3]، كما وافق على أن يمدهم بخبرته في هذا المجال. في المقابل، وافقت القبيلة على إعطاء ترامب رسماً إدارياً [شهرياً] يقدَّر بنسبة مئوية من الأرباح المستقبلية لنادي القمار [المزمع إنشاؤه]. وقد استأجر ترامب عناصر ضغط من شركة مركزها في مدينة ميامي، واسمها شركة Greenberg Traurig، للمساعدة في الحصول على اعتراف فيدرالي بالقبيلة[4]. وقد مثل عنصر الضغط رونالد بلات Ronald Platt شركة منتجعات ترامب للفنادق ونوادي القمار سنتي ١٩٩٩ و٢٠٠٠. وفازت القبيلة بالاعتراف الفيدرالي سنة ٢٠٠٢، لكنها تراجعت بعد أمد قصير عن الصفقة

1 Kenneth Lovett, "Republican Game to Pounce on Donald Trump over $250,000 Fine He Paid for Illegal Lobbying to Stop Indian-Run Casino," *New York Daily News*, March 8, 2016.

2 Bagli, "Trump and Others Accept Fines for Ads in Opposition to Casinos."

3 Ruling and Order, March 31, 2004, Trump Hotels & Casino Resorts vs. David A. Roscow, et al., U.S. District Court, Connecticut, Case No. 3:03CV1133.

4 Lobbying Disclosure Act database, U.S. Senate, http://sopr web.senate.gov

المبرمة مع ترامب[1]. وبذلك لن يكون لترامب ناد للقمار في كونكتيكت، ومع ذلك فهو مدين لشركة المنافحة بأكثر من ستمئة ألف دولار[2].

تباطأ ترامب في أداء ما عليه، فزاره بلات في مانهاتن. وعرف ذلك المنافح طعم ما يحدث عندما لا يفوز ترامب، إذ قال بلات لترامب: "أنا هنا لتؤدي ما عليك لنا". فرد عليه ترامب، كما يروي بلات: "لا بد أنه فخر عظيم لك أن تمثلني؛ ما يجعلك تفعل ذلك بلا مقابل ماليٍّ".

وأجابه بلات: "هراء". فالتقط ترامب كرَّاسة أوراق صفراء، وضربها بعنف على الطاولة، وخرج ثائراً من الغرفة، كما يروي بلات. فلحق رجل يقوم على الوساطة بينهما بترامب، ورجع [الوسيط] بعد خمس عشرة دقيقة يحمل صكّاً بالمبلغ في يده. وغادر بلات المكتب وذهب ليصرف الصك المصرفي بأسرع ما يمكنه قبل أن يغير ترامب رأيه. وقال ترامب بعد ذلك بزمن إنه لا يتذكر بلات Platt، لكنه أضاف: "إذا كنت قد أخرت أداء ما عليَّ، فذلك لأنه أدى عملاً خسيساً"[3].

وبينما كان ترامب يبني إمبراطوريته وحياته الشخصية، كانت هناك معركة ملحمية للرئاسة في طور التحضير. فسنة ١٩٩٢، ظهر وجه جديد في المشهد السياسي، إنه بيل كلينتون، حاكم ولاية أركنساس، الذي تغلب على الرئيس بوش [الأب] والملياردير المستقل روس بيروت Ross Perot. لقد أصبح كلينتون الرئيس الثاني والأربعين للأمة الأميركية في كانون الثاني/يناير ١٩٩٣، وسرعان ما أعلن أن زوجته، هيلاري رودهام كلينتون، سيكون لها دور رئيسي في حكومته، وسيكون على عاتقها وضع خطة وطنية للرعاية الصحية. وبعد ثلاثة شهور، كتب طوني أوغست Tony August، وهو منظم مراسم حفل توزيع جوائز صناعة اللعب في مدينة أتلانتيك سيتي، رسالة إلى البيت الأبيض يدعو فيها الرئيس كلينتون إلى حضور الحدث. وكانت للدعوة غاية بعيدة المنال، لكن منظم الحفل ظن أن كلينتون سيصيبها بحضور ضيف الشرف: دونالد

1 Complaint: Trump Hotels & Casino Resorts vs. David A. Roscow.
سنة ٢٠٠٥، بعد ثلاث سنوات من الفوز بالاعتراف الفيدرالي، ألغت وزارة الداخلية قرارها؛ بعد الطعن فيه عبر النائب العام في ولاية كونكتيكت.

٢ مقابلة رونالد بلات مع شون بوبيرغ، **واشنطن بوست**، ١٩ أيار/مايو، ٢٠١٦.

3 Matt Flegenheimer and Steve Eder, "Donald Trump's Trips to Capitol Hill Years Ago Foretold of Campaign," *New York Times*, May 11, 2016.

ترامب. كتب منظم الحفل يقول:

> لست بصانع للوفاق أجمع الناس بعضهم ببعض. لكن إذا كنتما أنتما الاثنان لا يعرف أحدكما الآخر، فلا بد لكما من ذلك. فلديكما أشياء كثيرة مشتركة بينكما: من العمر، إلى الرؤية الواسعة للمستقبل، والأهم من ذلك الموارد والرغبة في جعل أميركا أكبر وأفضل مما هي عليه[١].

لكن أسرة كلينتون لم تذهب إلى الحفل مع ترامب، ومع ذلك أخذت الدوائر الاجتماعية والمهنية للطرفين في التلاقي. فعلى سبيل المثال، كان ترامب واحداً من نحو خمسين من الموظفين البارزين وجامعي التمويل السياسي، اجتمع بهم الرئيس كلينتون في زيارته مانهاتن سنة ١٩٩٤[٢].

لكن كانت هناك حدود للأحداث الاجتماعية. فسنة ١٩٩٦، اقترح السكرتير الشخصي لكلينتون فكرة إرسال رسالة إلى ترامب لتهنئته بعيد ميلاده الخمسين[٣]. وبعد ثلاثة أيام، أرسل السكرتير نفسه توجيهات إلى الشخص الذي كان يسلم المراسلات الشخصية للرئيس يقول فيها: "ألغِ الرسالة المبعوثة إلى دونالد ترامب". لكن ترامب كانَ يؤيد كلينتون بلسانه في أواخرَ تسعينيات القرن المنصرم، فقد قال يوم ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٧، في برنامج Evans & Novak الحواري الذي يبث على قناة CNN التلفزيونية الإخبارية: "أعتقد أن بيل كلينتون إنسان رائع. وأظن أنه أدى عملاً مذهلاً. أعتقد أنه ربما كان أكثر الناس حِلْماً ممن رأيتهم في حياتي، وأنا أظنه إنساناً رائعاً".

بعد شهر من ذلك، ظهرت تقارير إخبارية تقول إن كلينتون كانت له علاقة جنسية سرية بمتمرنة [في البيت الأبيض] تدعى مونيكا لوينسكي Monica Lewinsky، بدأت منذ كانت في الثانية والعشرين من عمرها سنة ١٩٩٥ ودامت أكثر من سنتين. ولم

١ رسالة من طوني أوغست إلى الرئيس كلينتون، ٢١ نيسان/أبريل ١٩٩٣، مكتبة كلينتون الرئاسية، مجموعة دونالد ترامب.

2 Jonathan P. Hicks, "After Skipping President's Talk, Giuliani Meets Clinton in Private," *New York Times*, March 11, 1994.

3 Clinton Presidential Library, Donald J. Trump collection.

يضطرب ترامب للأمر بل أصبح أحد أكبر الداعمين لكلينتون، فقد قال ترامب في آب/أغسطس ١٩٩٨ بعد أيام من اعتراف كلينتون أخيراً بعلاقة تربطه بلوينسكي: "إن أفضل ما كان يفعله حقيقةً أن الاقتصاد أصبح يعمل بصورة عظيمة. ولم أر شيئاً يماثل ذلك. وأنت تعلم أنهم يقولون إن سنوات الثمانينيات كانت سنوات جيدة، لكن التسعينيات أفضل حالاً". وعندما رفعت موظفة حكومية سابقة في ولاية أركنساس، وهي بولا جونس Paula Jones، دعوى تزعم فيها أن كلينتون تحرش بها جنسيّاً، وصفها ترامب بأنها "امرأة خائبة". وأشار ترامب إلى أنه لو كان مرشحاً انتخابيّاً، لكان واجه الجدل نفسه: "ألك أن تتخيل كم سيكون ذلك مثيراً للجدل؟ أنت تفكر بعلاقته بالنساء. وماذا عن علاقاتي – أنا – بالنساء؟"[١].

لقد كان كلينتون متهماً من مجلس النواب بالكذب أمام كبار المحلفين بشأن علاقته بلوينسكي، لكن مجلس الشيوخ لم يدنه، ما مكنه من إتمام دورته الرئاسية الثانية. وفي تلك الأثناء، بدأ ترامب التفكير بجدية أكبر في أن يعقبه [في منصب الرئاسة]. فمع الوصول إلى موعد الانتخابات الجديدة، بدأ ستون، المنافح القديم عن ترامب، فحص ميدان التوقعات الذي يتقدمه جورج بوش الابن من الحزب الجمهوري والغور Al Gore من الحزب الديموقراطي. فقد قال ستون إن تلك ربما كانت اللحظة المواتية لترامب، وإن السبيل أمامه ربما يفتح له عن طريق حزب ثالث[٢]، فقد بدا أن البلاد تتقبل مرشحين من خارج الحزبين السياسيين الرئيسين، إذ فاز روس بيروت، وهو ملياردير من تكساس بلا أي خبرة سياسية، بنسبة ١٨% من أصوات الناخبين سنة ١٩٩٢ وبقي محبوباً من الناس[٣]. لكن ترامب كان ميالاً بخاصة إلى صعود جيسي فينتورا، وهو مصارع محترف من مسابقة المصارعة Wrestle Mania كان قد فاز بصورة غير متوقعة في انتخابات حاكم ولاية مينيسوتا سنة ١٩٩٨ مرشحاً عن حزب الإصلاح[٤]. لقد صنع فينتورا شهرته من ظهوره الاستعراضي بوشاح من الريش في عمله معلقاً تلفزيونيّاً لاتحاد

1 Glenn Kessler, "Trump's Flip-Flop on Whether the Bill Clinton Sex Scandals Are Important," *Washington Post*, May 24, 2016.

٢ مقابلة روجر ستون مع روبرت صموئيلز، **واشنطن بوست**، ٢ أيار/مايو، ٢٠١٦.

3 http://uselectionatlas.org/RESULTS/national.php?year=1992

4 CNN Tonight, CNN, August 18, 2005.

المصارعة العالمي، مقلداً في ذلك المصارع هالْك هوغان. فإذا كان بمقدور فينتورا الانتقال مما كان يعرف باسم نادي الجسم إلى نادي الحُكم، فلعل بوسع ترامب أن يصبح رئيساً.

***

بعد أكثر من ثلاثة أشهر على جنازة والد ترامب، في ٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٩، أعلن ترامب في برنامج لاري كينغ أنه سيترك الحزب الجمهوري لينضم إلى حزب الإصلاح، الذي كان قد سُمِح له بتلقي الأموال الفيدرالية نظراً إلى الأداء الجيد لبيروت Perot في الانتخابات الرئاسية السابقة، والتي قبلها[١]. وبعدما سئم ترامب من نظام الحزبين، أعلن أنه سيشكل لجنة استطلاعية تمهد له خوض غمار انتخابات الرئاسة. وبعد ما يزيد على السنة بقليل، أبدى ترامب تقييمه لسنوات كلينتون بأنها كانت سنوات قلبت مسار البلاد إلى الوراء. فقد قال لكينغ: "أعتقد أن هناك نقصاً كبيراً في روح الحماسة في هذا البلد. أنت تعلم أن ما حدث في السنوات الأربع الأخيرة كان أمراً مقززاً، ويغلبني الظن أن هناك نقصاً عظيماً في روح البلد، وأعتقد أنه لا بد من إعادة هذه الروح إلى هذا البلد"[٢].

ورغم انضمام ترامب إلى حزب الإصلاح، فإنه قال إن قدوته هي الرئيس السابق ريغان رغم انتقاده قبل اثنتي عشرة سنة ذلك الرئيس. لم يكن ترامب متحمساً لسياسات ريغان، لكنه أحب الطريقة التي كان يعمل بها الرئيس السابق، وهي الخصلة نفسها التي انتقدها ترامب ذات مرة: "سيخرج من الرئاسة رئيساً عظيماً؛ وذلك لا يعود بدرجة كبيرة إلى الأمور التي فعلها، بل الأمر لا يعدو أنَّ له سلوكاً وروحاً جعلا البلاد تحت حكم رونالد ريغان بلاداً مدهشة فعلاً... فعنده شيءٌ من التباهي، وعنده شيءٌ من تميز القيادة، وهما شيئان مهمان للرئيس". وقال ترامب إن منافسه الأكبر في الترشح عن "الإصلاح"، وهو بات بيكانن Pat Buchanan، كان يثير الكثير من الشقاق في

1 http://www.fec.gov/press/bkgnd/fund.shtml

2 Larry King Live, CNN, October 8, 1999.

الحزب، وذلك في الوقت الذي كان يرى ترامب في نفسه رجلاً جامعاً للكلمة بالفعل. وقد سأله المذيع التلفزيوني كينغ ذات يوم عن الشخص الذي سيختاره ترامب ليكون مرشحه لمنصب نائب الرئيس؟ فأجاب محدداً احتمالاً واحداً: إنها أوبرا وينفري[1]، مذيعة برنامج تلفزيوني حواري، وهي أميركية من أصول أفريقية، كانت قد سألته قبل أكثر من عقد مضى عن طموحاته السياسية.

طرَح اقتراح ترامب تعيين مقدمة برامج تلفزيونية لتكون نائباً للرئيس أسئلة حول هل ذلك مجرد دعاية مثيرة[2]. لكن ترامب أصر على أن ذلك كان مسعًى جديّاً له. وكان يصف نفسه بأنه رجل محافظ في الوقت الذي كان يبدو فيه ليبراليّاً في كثير من القضايا. ففي *Advocate*، وهي مجلة تعنى بأخبار المثليين، تناول ترامب مسألة حديث بيكانن Buchanan عن "اليهود، والسود، والمثليين، والمكسيكيين... إنه يريد أن يقسم بلدنا"[3]. ودعا ترامب نفسه رجل الوفاق، قائلاً إنه سيوسع قانون الحقوق المدنية ليتضمن حماية المثليين والمثليات ويسمح لهم بالخدمة العسكرية علانيةً، ليلغي العمل بسياسة: لا تسأل ولا تقل، التي كانت مطبقة في عهد كلينتون؛ وكانت تلك السياسة قد رفعت الحظر عن المثليين في الجيش، لكنها حظرت عليهم الحديث عن ميولهم [الجنسية] أثناء أدائهم الخدمة العسكرية. كما دعا ترامب إلى تطبيق نظام رعاية صحية شامل، وإلى حماية الأمن الاجتماعي عن طريق فرض ضريبة المرة الواحدة على بالغي الثراء، وعلى الأموال الجديدة الناجمة عن إعادة التفاوض في الاتفاقات التجارية[4].

بعد أسبوعين من إعلان ترامب لجنته الاستطلاعية، ظهر في البرنامج التلفزيوني الإخباري Meet the Press، حيث ألح عليه مدير الحوار، وهو تيم راسيرت Tim Russert، ببيان نشرته الأخبار نقلاً عنه بشأن العلاقة الغرامية التي تربط كلينتون بلوينسكي: "عندما تقول: لو أن الرئيس أقام علاقة مع امرأة خارقة الجمال، وليس مونيكا، لكان بطلاً"، قاطعه ترامب وقال: "لكنني لم أقل ذلك. لقد قلت إن هناك من يقول: لو أن الرئيس أقام علاقة مع امرأة خارقة الجمال، لكان بطلاً في نظر كل

1 Larry King Live, CNN, October 8, 1999.

٢ مقابلة آل داماتو مع روبرت صموئيلز، واشنطن بوست، ٢٠ أيار/مايو، ٢٠١٦.

3 Paul Alexander, "Trump Towers," *Advocate*, February 15, 2000.

4 Larry King Live, CNN, October 8, 1999.

الناس؛ ولم أقل إنني من قال ذلك"[١].

بدا ترامب الذي ظهر مرات كثيرة جدّاً في برامج تلفزيونية ودية غير مستعد للاستجواب أمام مدير حوار معروف بحدته مثل راسيرت Russert، كما قال إنه يؤيد عمليات الإجهاض المتأخرة، وهي عمليات تجرى بعد الشهر الخامس من الحمل تؤدي إلى موت الجنين وإخراجه من الرحم. وقد رافقه ستون، وهو المستشار السياسي لترامب، في المقابلة. ويقول ستون إن ترامب، بعد مغادرتهما قاعة التصوير، اعترف له بأنه لم يكن يعلم ما هو الإجهاض المتأخر[٢].

وفي كانون الثاني/يناير ٢٠٠٠، نشر ترامب كتابه *The America We Deserve*، وبدأه بعبارة فظة قال فيها: "لننتقل إلى المطاردة. نعم، أنا أفكر في الترشح لرئاسة الولايات المتحدة الأميركية"[٣]. وقال إنه لن يترشح "تفاخراً"، كما قال إنه لن يخوض غمار الانتخابات إلا "إذا أصبحت مقتنعاً بأنني سأفوز". وكتب ترامب أنه مهما حدث فإنه على يقين من أن "الرجال غير السياسيين هم من يمثلون تيار المستقبل". كما أنه تحدث في ما سبق له من تعليقات أدلى بها لراسيرت Russert، فكتب يقول: "عندما سألني تيم راسيرت في برنامج مع الصحافة هل سأحظر الإجهاض المتأخر لو كنت رئيساً، قادتني غريزتي المؤيدة لحق الإجهاض إلى قول لا. لكن بعد البرنامج، استشرت طبيبين أُجِلّهما، وبعدما زوداني بمعلومات إضافية عن هذه العملية، كان استنتاجي هو أنني في الواقع أؤيد الحظر". لكن ماذا كانت نظرته المجملة؟ لقد قال إنه كان رغم "غياب ارتياحه" للإجهاض، يؤيد "حق المرأة في الاختيار"[٤].

***

سافرت حملة لترامب، تشبه الحملة الانتخابية، إلى ولاية مينيسوتا من أجل اجتماع كانون الثاني/يناير ٢٠٠٠ مع فينتورا الذي كان بمنزلة القدوة. ومضى ترامب مع

1 Meet the Press, NBC, October 24, 1999.

٢ مقابلة روجر ستون مع توم هامبرغر وماري جوردان، **واشنطن بوست**، ١١ أيار/مايو، ٢٠١٦.

3 Trump, *The America We Deserve*, 15.

4 Trump, The America We Deserve, 30.

زوجة المستقبل، ميلانيا كناوس، إلى شقة فاخرة في نُزُل نورثلاند في منتزه بروكلين، وهو ضاحية من ضواحي مدينة مينيابوليس، حيث كان ينتظرهم عشرة من أعضاء حملة فينتورا الانتخابية[١]. وقال لهم ترامب إنه يريد أن يعلم كيف لرجل بدأ بأقل الأصوات في استطلاعات الرأي، وكان بعض الناس يرون في ترشحه مزحة، أن ينتهي به الأمر إلى أن يكون حاكم الولاية، وكيف تفوق على سياسيين معروفين جدّاً مثل عمدة مدينة سانت بول St. Paul.

وقد أسدى دِين باركلي Dean Barkley، الذي كان يترأس حملة فينتورا، نصيحة إلى ترامب فقال: "كل ما عليك هو أن تكون صادقاً. لا صادقاً في ما تقوله، بل صادقاً في طريقة قولك له[٢]. وتحدث مع العامة لا عنهم". كما أن فيل مادسن Phil Madsen، الذي أدار عمليات فينتورا على صفحات الإنترنت، قال لترامب كيف استخدمت الحملة الإنترنت لاجتذاب التبرعات ونشر الرسالة التي تحملها.

وسأل ترامب عن تماسك حزب الإصلاح بعد الخلاف الذي وقع بين بيروت Perot وبين فينتورا Ventura بشأن رسالة الحزب. فقد أظهر ترامب اهتمامه بأن يكون عضواً في حزب ضم بيكانن Buchanan وديفيد دوك DavidDuke، العراف الأكبر السابق في منظمة Ku Klux Klan. وتساءل ترامب بصوت مرتفع هل كان هناك انسجام في الفوارق بينهما. فأظهر باركلي شيئاً من التأكيد للأمر[٣].

لاحقاً بعد ظهر ذلك اليوم، ظهر ترامب وفينتورا في وليمة غداء غرفة التجارة المحلية. وكان قد ذهب ترامب الذي يحسن الاستماع والإصغاء، وعاد ترامب الذي يحسن الحديث عن أعماله. فسخر من مرشحي الحزب الجمهوري، وتعالت الضحكات: "أهؤلاء الناس جثث أم ماذا؟"[٤]. لكن ترامب في نهاية المطاف اختار ألّا يخوض الانتخابات. ففي ١٩ شباط/فبراير، كتب في صفحة الآراء الشخصية في صحيفة **نيويورك تايمز**، مقالة يقول فيها إن حملته الاستطلاعية كانت "أعظم درس

١ مقابلة فيل مادسن مع روبرت صموئيلز، **واشنطن بوست**، ٣٠ نيسان/أبريل ٢٠١٦.
٢ مقابلة دين باركلي مع روبرت صموئيلز، **واشنطن بوست**، ٢٨ نيسان/أبريل ٢٠١٦.
٣ المرجع السابق.
4 Cragg Hines, "Trump, Ventura Stir Political Pot," *Houston Chronicle*, January 8, 2000.

في علوم المدنية يمكن لمواطن عادي أن يحظى به"[١]. ولم يكن واثقاً من تمكنه من النجاح مرشحاً لحزب ثالث، خاصة وهو محاصر بالخلافات الداخلية فيه.

لكن هناك بذرة أخرى قد زرعت. والواقع أنه رغم انسحابه للتو من الانتخابات، فقد بقي اسم ترامب في قائمة حزب الإصلاح الانتخابية في ولايتي ميتشيغان وكاليفورنيا. وقد فاز في الانتخابات التمهيدية في كلتيهما[٢].

وبينما كان ترامب ينسحب من الساحة، كان هناك سياسي آخر يدخل إليها في نيويورك. فقد كانت هيلاري كلينتون تبذل جهدها لتحصل على عضوية مجلس الشيوخ الأميركي عن الولاية التي فيها مسقط رأس ترامب، وبدا ترامب متحمساً لمناصرتها. فأثناء حملتها في انتخابات مجلس الشيوخ سنة ٢٠٠٠، وافقت السيدة الأولى على أن تكون ضيفة الشرف في حفل لجمع الأموال للجنة الحزب الديموقراطي في ولاية نيويورك. وقد طرحت جوديت هوب Judith Hope، وهي رئيسة الحزب الديموقراطي في الولاية، سؤالاً على ترامب، هل سيستضيف الحفل في الشقة الفاخرة العلوية من برج ترامب، فقال لها إنه سيكون سعيداً بذلك ما لم يتجاوز عدد الحضور ٥٠ شخصاً. فأجابته هوب بقولها: "لا مشكلة في ذلك".

وفي مساء يوم الحفل، جاء مئتان وخمسون شخصاً، وازدحموا ازدحاماً شديداً، وانسكبت المشروبات والأطعمة على المفروشات وهم يحاولون التقاط الصورة مع ترامب وكلينتون. وقدمت هوب، وقد أخزاها الموقف، اعتذارها إلى ترامب، الذي صفح عما حدث تكرماً منه[٣]. وتم تسجيل ترامب حينذاك شخصاً مستقلّاً [بلا حزب سياسي]، لكن السياسة عنده أصبحت وقتذاك تتميز بالمطاوعة والمرونة، وتتغير كما يتغير لون الحرباء ليتلاءم مع اللحظة التي فيها. وقد بدا سعيداً بالوقوف إلى جانب كلينتون، ومد يد العون إلى الحزب الديموقراطي في الولاية. وقد رفض ترامب في مقابلة أجريت معه بشأن كتابه أن يقر بأنه اقترع لمصلحة هيلاري كلينتون، لكنه قال: "لقد شعرت أن من واجبي أن أكون في صف التوافق، ومن ذلك: التوافقُ مع أسرة كلينتون، والتوافقُ مع كثير من الناس الآخرين. فقد كان من المهم جدّاً لي في أعمالي

1 Donald J. Trump, "What I Saw at the Revolution," *New York Times*, February 19, 2000.

2 http://www.fec.gov/pubrec/fe20002000/presprim.htm

٣ مقابلة جوديث هوب مع شون بوبيرغ، **واشنطن بوست**، ١٩ أيار/مايو، ٢٠١٦.

التوافق مع السياسيين"[١].

فازت كلينتون بمقعد في مجلس الشيوخ، واستمر ترامب بالتبرع لها على مدى عقد بعد ذلك. فقد تبرع لحملات كلينتون الانتخابية ست مرات، وكان مجمل ما قدمه أربعة آلاف وسبعمئة دولار بين سنتي ٢٠٠٢ و٢٠٠٩، كما دعا أسرة كلينتون إلى حفل زفافه هو وميلانيا سنة ٢٠٠٥[٢]. جلست هيلاري كلينتون في الصف الأول في ذلك الحفل الذي أقيم في مار ألاغو.

مع تولي هيلاري منصبها في مجلس الشيوخ سنة ٢٠٠١، انضم ترامب إلى الحزب الديموقراطي[٣]. وبعد سنوات من ذلك، فسر قراره بقوله: "لقد قلت في نفسي، إذا كنت سأخوض أي انتخابات كانت في نيويورك، وهو ما كنت أفكر فيه، فعمليّاً لا يمكنني الفوز بالانتخابات إذا كنت من الحزب الجمهوري"[٤]. وكان أول تأييد كبير يقدمه ترامب بعد انضمامه إلى الحزب الديموقراطي هو تأييده أحد أكثر المرشحين ليبرالية في انتخابات عمدة نيويورك. وكان ذلك فرناندو فيرر Fernando Ferrer الذي كان رئيس منطقة برونكس، وسعى إلى أن يكون أول عمدة للمدينة من أصول لاتينية، واضعاً نفسه القوة الليبرالية المضادة للعمدة الجمهوري المنصرف رودولف جولياني. فقد كان فيرر يظن أن تركيز جولياني ينصب على ضبط الأمن والأسواق في ساحة التايمز سكوير على حساب الطبقات الوسطى والدنيا في المدينة، التي كان يدعوها "نيويورك الأخرى"[٥]. فنفذ حملة مع المبجَّل أل شاربتونAl Sharpton لحشد الناخبين السود واللاتينيين في صفه، وأيد حق إجراء الإجهاض المتأخر.

وفي مساء الجولة الأخيرة من الانتخابات، عقد فيرر مؤتمراً صحافيّاً مع ترامب آملاً في أن يرجح تأييد اللحظة الأخيرة كفَّتَه في الانتخابات[٦]. وفي الأسابيع التي أعقبت هجمات ١١ أيلول/سبتمبر، التي أسقطت البرجين التوأمين لمركز التجارة العالمي،

---

١ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن، ٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.

2 Joshua Gillin, "The Clintons Really Did Attend Donald Trump's 2005 Wedding," *PolitiFact*, July 21, 2015.

٣ لجنة مدينة نيويورك لتاريخ الاقتراع في الانتخابات.

٤ مقابلة ترامب مع بوبيرغ وأوهارو وغولدشتاين وماركون وهارويل.

٥ مقابلة فرناندو فيرر مع شون وبوبيرغ، **واشنطن بوست**، ١٧ أيار/مايو، ٢٠١٦.

6 Michael Cooper and Randal C. Archibald, "Runoff Campaign Turns Confrontational and Strange as Candidates Trade Charges," *New York Times*, October 10, 2001.

وافق فيرر على خطة لإعادة بناء مساحة المكاتب السابقة في المناطق الخارجية [من المدينة]. وقال ترامب للمراسلين الصحافيين إن الخطة كانت خطة "ذكية جدّاً".

فوجئ فيرر بأنه نال التأييد من ترامب، وتساءل في نفسه: "ما الذي أفعله هنا؟"[1]. فذلك ليس مما يراه "سياسة جادة". لكن إذا ساعده ذلك في الفوز بالمنصب، فسيقبل به. لكن فيرر خسر في الانتخابات التمهيدية أمام مارك غرين Mark Green، الذي دعمه ترامب بعد ذلك بالتبرع لحملته الانتخابية بأربعة آلاف وخمسمئة دولار. وأصبح اعتقاد ترامب بأنه لا يفوز في مدينة نيويورك إلا الحزب الديموقراطي فكرة مضلِّلة، فقد ترشح مايكل بلومبرغMichael Bloomberg، الملياردير وإمبراطور وسائل الإعلام، عن الحزب الجمهوري وفاز في الانتخابات العامة.

استمر ترامب في مساعدة السياسيين من كلا الحزبين، وبخاصة إيليوتسبيتزر Eliot Spitzer، وهو النائب العام النشيط السابق الذي كان من الحزب الديموقراطي. وكان ترامب قد قابل سبيتزر Spitzer في تسعينيات القرن العشرين عندما كان ينافس ليصبح النائب العام في نيويورك تحت شعار التغيير الكامل. وقال له ترامب [آنذاك]: "أنت شخص لطيف، لكنك لن تفوز أبداً". وسنة ١٩٩٨، فاز سبيتزر، فأرسل إليه ترامب رسالة مكتوبة بخط اليد[2]، قال فيها، كما يروي سبيتزر: "أخبرتك أنك لن تفوز. لكنك فزت. أرجو لك حظّاً طيباً". وداخل الظرف كان هناك صك مصرفي بعشرة آلاف دولار لإعادة انتخاب سبيتزر. وتعهد ترامب بعد ذلك مساعدة سبيتزر على جمع مئتين وخمسين ألف دولار في حملته الانتخابية الناجحة ليكون حاكم الولاية، وكان من بين النفقات حفلة مسائية لطيفة أقيمت في مبنى ترامب بلازا. واستقال سبيتزر في فضيحة دعارة سنة ٢٠٠٨. وسنة ٢٠١٣، وجه ترامب انتقاداً حادّاً إلى سبيتزر، ووصفه بالحاكم "الفظيع"، وبالنائب العام الذي "آذى كثيرين من الناس الطيبين"[3].

كانت التبرعات السياسية عند ترامب هي تكاليف استمرار أعماله، وذلك يشير إلى أن مزاولته السياسة كانت مرتبطة بصفقات أعماله، ولم تكن مرتبطة بأفكار عقائدية. يقول ترامب: "أنا أعطي أي إنسان. يتصل بي فأعطيه. فهل تعلم أنني عندما أحتاج

١ مقابلة فرناندو فيرر مع شون وبوبيرغ، **واشنطن بوست**، ١٧ أيار/مايو، ٢٠١٦.
٢ مقابلة مع إليوت سبيتزر، **واشنطن بوست**، ١٩ أيار/مايو، ٢٠١٦.
3 Donald Trump, Twitter account, July 10, 2013.

أمراً منهم – بعد سنتين أو ثلاث – أتصل بهم فيلبُّونني"[1]. قال فرانك سانزيلو Frank Sanzillo، المدافع عن ترامب في نيويورك أواخر التسعينيات من القرن الماضي وأوائل العقد الأول من هذا القرن، إن ترامب كان في خصوصياته يزدري السياسيين: "كان يسخر منهم كأن يقول: لنعط حملته الانتخابية خمسة وعشرين ألف دولار، فذلك سيغلق فمه... كان علينا أن نترجم تلك العبارة للسياسي لنقول له: إنه يحبك". كما أن ترامب كان يشمئز من حضور حفلات جمع الأموال للسياسيين، وكثيراً ما كان يسأل سانزيلو: "كم علي أن أدفع زيادةً مقابل ألّا أحضر؟"[2].

أعطى ترامب وشركاته الكبرى ما لا يقل عن ثلاثة ملايين ومئة ألف دولار لمرشحي المدينة، والولاية، والحكومة الفدرالية، من كلا الحزبين، بين سنتي ١٩٩٥ و٢٠١٦، ناهيك عن التبرعات التي ربما تدفقت عبر الشركات المحدودة المسؤولية التي يتحكم بها ترامب[3]. لقد تبرع بستمئة وعشرين ألف دولار لرابطة حكام الولايات من الحزب الجمهوري بين سنتي ٢٠٠٩ و٢٠١٤، وتبرع بأحد عشر ألفاً وخمسمئة دولار لتشارلز رانجل Charles Rangel، وهو عضو في الكونغرس من ولاية نيويورك (يستذكر رانجل فيقول: "كان الشيء الوحيد على الإطلاق الذي حدثني به دونالد ترامب هو دونالد ترامب")[4]. لكن ترامب يقول إن اقتراعه للرئيس كان يذهب دائماً لمصلحة الحزب الجمهوري، فقد اقترع لمصلحة بوش سنة ٢٠٠٠، وقال إنه فقد احترامه للرئيس الثالث والأربعين بسبب طريقة تعامله مع الحرب في العراق، التي وصفها لاحقاً بأنها كانت "كارثة"[5]. وداوم ترامب على القول إنه كان ضد الحرب منذ بدايتها، لكنه في برنامج إذاعي عندما سأله المذيع هوارد ستيرن يوم ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢، هل يدعم الذهاب إلى الحرب – قبل ستة أشهر من الغزو – أجاب بقوله: "نعم، أظنني كذلك. فأنت تعلم أنني كنت أتمنى لو جرت بصورة صحيحة في المرة الأولى" (بعد خمسة أيام من بدء

1 YouTube, presidential debate, August 6, 2015, https://www.youtube.com/watch?v=jiwMCAkK9uE

٢ مقابلة فرانك سانزيلو مع مارك فيشر، **واشنطن بوست**، نيسان/أبريل، ٢٠١٦.

٣ تحليل البيانات المالية لمدينة نيويورك ولولاية نيويورك وللحملة الفيدرالية، نفذته أليس كريتس، **واشنطن بوست**.

٤ مقابلة تشارلز رانجل مع روبرت صاموئيلز، **واشنطن بوست**، ٩ أيار/مايو، ٢٠١٦.

٥ مقابلة ترامب مع روبرت صموئيلز، **واشنطن بوست**، ٢٥ أيار/مايو، ٢٠١٦.

الغزو، سمع مراسل صحافي لصحيفة **واشنطن بوست** مصادفةً ترامب بعد انتهاء حفل الأوسكار [لتوزيع جوائز الأفلام السينمائية] يصف الحرب بأنها "فوضى")[1]. لكنه اقترع لمصلحة بوش مرة أخرى سنة ٢٠٠٤ لأنه شعر أنه من الضروري "دعم خط الحزب الجمهوري". وعندما يتذكر ترامب اقتراع سنة ٢٠٠٤، يقول إنه أظهر ابتعاده عن بوش بتجنب إقامة حفلات جمع المال له[٢] لكنه قدم ألفي دولار لحملة بوش الانتخابية وفقاً لما هو وارد في سجلات الوثائق الحكومية الفيدرالية.

لقد بعثت تصريحات ترامب العلنية إشارات مختلطة بشأن ميوله السياسية. فسنة ٢٠٠٦، قال إن عضو مجلس الشيوخ جون ماكين، الذي أصبح مرشح الحزب الجمهوري [للرئاسة] سنة ٢٠٠٨، لا يمكن أن يفوز، لأنه يدافع عن إرسال المزيد من القوات العسكرية إلى العراق. كما امتدح ترامب المرشح الأخير للحزب الديموقراطي عضو مجلس الشيوخ باراك أوباما، من ولاية إيلينوي، بسبب "خصاله الرائعة"[٣]. ورغم ذلك، تبرع ترامب بثلاثة آلاف وستمئة دولار لماكين في حملته الانتخابية سنة ٢٠٠٨، واقترع لمصلحته[٤].

لقد تنقل ترامب بين الأحزاب سبع مرات بين سنتي ١٩٩٩ و٢٠١٢[٥]. وبعدما سُجّل في الحزب الديموقراطي سنة ٢٠٠١، تحول عائداً إلى الحزب الجمهوري سنة ٢٠٠٣، ثم عاد إلى الحزب الديموقراطي من جديد سنة ٢٠٠٥، وبعدها كان في الحزب الجمهوري سنة ٢٠٠٩، ثم قرر ألا ينتسب إلى أي حزب سنة ٢٠١١، ثم عاد تارة أخرى

1 Michelle Ye Hee Lee, "A Timeline of Trump's Comments on Iraq Invasion: Not Loud, Not Strong, No Headlines," *Washington Post*, February 25, 2016.

٢ مقابلة ترامب مع صموئيلز.

3 Maureen Dowd, "Trump Fired Up," *New York Times*, December 23, 2006

4 Trump interview with Samuels.

5 Voter registration records, New York City Board of Elections.

ترتكز المعلومات عن تاريخ تسجيل ترامب في الأحزاب السياسية على وثيقة قدمتها هيئة الانتخابات في مدينة نيويورك. والوثيقة، التي تصف "الأنشطة في سجل الناخبين"، تحوي رموزاً داخلية تشير إلى التغيرات التي حدثت في سجل ترامب الانتخابي منذ سنة ١٩٩٢. وقد رفض متحدث باسم هيئة الانتخابات شرح تلك الرموز، لكن جيري سكرنيك Jerry Skurnik، وهو مستشار سياسي مركز عمله في مدينة نيويورك وشارك في تأسيس شركة نيويورك الممتازة التي تجمع وتوزع المعلومات الخاصة بسجلات الوكالات، درس الوثيقة بطلب من صحيفة **واشنطن بوست**.

إلى الحزب الجمهوري، ليثير التوقعات مرة أخرى بأنه يسعى إلى الرئاسة. وعندما سئل ماذا سيقول للنقاد الذين رأوا في تبدله المستمر بين الأحزاب دليلاً على أنه ليس لديه معتقدات يعتنقها في قلبه، أجاب ترامب: "أظن أن على المرء أن ينحاز إلى الجانب العملي، لأنك إذا كنت ستترشح لمنصب ما، فعليك أن تصنع أصدقاء من حولك"[١].

وسرعان ما أدت شهرة ترامب إلى وضعه في مقدمة الأشخاص الناجحين [في الانتخابات] سنة ٢٠١٢[٢]. ففي مسح أجرته قناة NBC التلفزيونية وصحيفة **وول ستريت جورنال** بين الناخبين في الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري أوائل نيسان/أبريل ٢٠١١، تبين أنه يأتي تالياً بعد صاحب السبق ميت رومني. ووسط تجمع لأنصار "حركة الشاي" Tea Party، قاد ترامب ساحة المعركة[٣]، إذ انتقد أوباما انتقاداً لاذعاً مع تشديده على أنه لم يتكشَّف له من هم أسلاف أوباما. ووصف توقيع الرئيس على قانون الرعاية الصحية بأنه "قاتل الوظائف!"[٤] [أي سيزيد معدلات البطالة]، وبأنه "واحد من أخطر التهديدات التي تواجه البلاد"[٥]. وقد لفت الانتباه كثيراً إلى التركيز على التأكيد القديم القائل إن الرئيس لم يولد في ولاية هاواي بل في كينيا؛ البلد الأصلي لوالده (مع أن خُمس الأميركيين على الأقل يعتقدون أنه ولد في هاواي). وفي قناة NBC، عبر ترامب عن "شكوك حقيقية" بشأن مولد أوباما في أميركا، وذلك ليعزز دوره قائداً لما بات يعرف بحركة المشككين في مكان ولادة أوباما. وبصورة استفزازية، ألمح إلى أن لديه محققين خصوصيين يفتشون في سجلات هاواي: "لدي أشخاص يدرسون الأمر فعليّاً، ولا يمكنهم تصديق النتائج التي توصلوا إليها... أريد منه أن يُظهِر شهادة ميلاده"[٦].

ولطالما تجاهل أوباما هذه الإهانات الساخرة. لكنه بعد ثلاثة أسابيع، وبينما كان

١ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن، ٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.

2 Jonathan Weisman and Scott Greenberg, "NBC/WSJ Poll: A Donald Trump Surprise," *Wall Street Journal*, April 6, 2011.

3 "NBC/WSJ Poll: Trump Tied for 2nd in 2012 GOP Field," www.nbcnews.com, April 6, 2011.

4 https://twitter.com/realDonaldTrump/status/131778860189626369?lang=en

5 https://twitter.com/realDonaldTrump/status/137640 805908234240?lang=en

6 Seamus McGraw, "Trump: I Have ‹Real Doubts' Obama Was Born in U.S.," *Today News*, April 7, 2011.

ترامب يستعد للذهاب إلى ولاية نيوهامشير في زيارة استطلاعية، أعلن أنه أرسل عضواً من مكتب مستشاري البيت الأبيض إلى هاواي ليعود بنسخة من شهادة ميلاده الكاملة[1]. وعرض أوباما الوثيقة للعلن، وأوضح موقفه بقوله: "ليس لدينا وقت لهذه السخافات". بعد أيام، وبينما كان ترامب يحل ضيفاً على صحيفة **واشنطن بوست** في العشاء السنوي لمراسلي البيت الأبيض باللباس الرسمي، سخر أوباما بإمبراطور العقارات: "أنا اليوم أعلم أنه تفوه ببعض السباب، لكن ما من أحد أكثر سعادة، ولا أكثر فخراً، من دونالد في أن ينتهي من أمر شهادة الميلاد هذه، وذلك لأن بوسعه أخيراً التركيز على القضايا ذات الأهمية، مثل: هل لفّقنا الهبوط على سطح القمر؟". وتعالت قهقهات الضحك بين الحضور، بينما كان ترامب متسمِّر القسمات، رغم أنه أكد لاحقاً أن الدعابات كانت لطيفة، وأن ذلك المساء كان "مدهشاً"[2].

وبعد أسبوعين من ذلك العشاء، أعلن ترامب أنه لن يترشح لانتخابات [الرئاسة] سنة ٢٠١٢، قائلاً: "أعمالي هي شغفي الأكبر، ولست مستعدّاً لترك القطاع الخاص"[3]. وفي مقابلة لاحقة، فسر قراره ذاك بالقول: "أطفالي كانوا صغاراً. وكنت أقوم على أعمال متعددة، أعمالٍ كثيرة، وكنت أريد بالفعل أن أنهيها... وكان لدي عقد موقع مع برنامج المسابقات التلفزيوني: المتدرِّب"[4]. وفي ٢ شباط/فبراير ٢٠١٢، قدم دعمه الرسمي إلى المرشح ميت رومني، وقال: "نحن بالفعل لدينا فرصة لفعل شيء عظيم لبلدنا"[5]. وأصبح ترامب القائمَ بأعمال المتحدث باسم رومني، فكان يسجل النداءات التي ترسل تلقائيّاً إلى الناخبين أثناء الانتخابات التمهيدية، ويهاجم أوباما على "تويتر"، ويعرض تقديم خمسة ملايين دولار هبةً لمن يختاره أوباما أذا أظهر

1 Karen Tumulty and Anne E. Kornblut, "Obama, Frustrated by ‹This Silliness,› Produces Detailed Hawaii Birth Certificate," *Washington Post*, April 27, 2011.

2 Roxanne Roberts, "I Sat Next to Donald Trump at the Infamous 2011 White House Correspondents' Dinner," *Washington Post*, April 28, 2016.

3 Lisa de Moraes, "Donald Trump: I Will Not Be Running for President," *Washington Post*, May 16, 2011.

٤ مقابلة ترامب مع مارك فيشر، **واشنطن بوست**، كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٥.

5 Rachel Weiner and Phil Rucker, "Donald Trump Endorses Mitt Romney," *Washington Post*, February 2, 2012.

الأخير وثائقه الجامعية وبيانات جواز سفره[1]. وقد تجاهل أوباما ذلك الطلب[2]. وفي يوم الانتخابات، سافر ترامب إلى مدينة بوسطن لحضور ما كان متوقعاً من الاحتفال بفوز رومني، وقال لصحيفة **بوسطن هيرالد** إن لديه "شعوراً طيباً" بشأن ما ستؤول إليه الأمور[3]. وبعد ظهور نتائج الانتخابات، امتقع لونه حنقاً من الخسارة، وانكب على وسيلة الإعلام التي بات يفضلها أكثر فأكثر، وهي "تويتر"، لينفّس عن حنقه: "هذه الانتخابات كلها زيف ومهزلة"[4]، "لنقاتل أشد ما يكون القتال، ولنوقف هذا الظلم العظيم والمقزز!"، "لا يمكننا ترك هذا الأمر يمر. فالعالم سيسخر منا"[5]، "يجب أن نزحف إلى واشنطن، ونوقف هذه المهزلة. فأمتنا منقسمة بالكامل!"[6]. وبعد سنوات من ذلك، قال ترامب إنه لو اعتمد رومني على ترامب اعتماداً أكبر، فلعله كان فاز في الانتخابات. وقال ترامب: "لقد فضلوا ألا يستفيدوا من خدماتي – ذلك كان أمراً حسناً بالنسبة إلي لأنني رجل مشغول جدّاً؛ كما تعلم".

وبعد اثني عشر يوماً من انتخابات سنة ٢٠١٢، أرسل ترامب التماساً إلى مكتب براءات الاختراع والعلامات التجارية الأميركي يطلب فيه إقرار عبارة أرادها أن تكون ملكاً له: "فلنُعد إلى أميركا عظمتها".

---

1 From the Desk of Donald Trump: Major Announcement," posted October 24, 2012, https://www.youtube.com/watch?v=MgOq9pBkY0I

2 CBS News, "Donald Trump 5m Offer to PresidentFalls Flat, Joke to Many," October 25, 2012.

٣ غايل في، لورا رابوزا، ميغان جونسون، **بوسطن هيرالد**، ٧ تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٢. كذلك وصّف ترامب حضوره إلى بوسطن وحنقه من الخسارة في مقابلة صحافية مع جانا جونسون Jenna Johnson، نشرت في صحيفة **واشنطن بوست** بتاريخ ١٣ أيار/مايو ٢٠١٦.

4 Donald Trump, @realdonaldtrump, November 6, 2012, https://twitter.com/realDonaldTrump/status/266035509162303492?lang=en

5 Trump, November 6, 2012, https://twitter.com/realDonaldTrump/status/266034957875544064?lang=en

6 Trump, November 6, 2012 https://twitter.com /realDonaldTrump/status/266034630820507648?lang=en

الفصل السابع عشر

قيمة رجل

"حقاً إنني لثري"، بهذه الكلمات أشار ترامب إلى ما يرى فيه مؤهلاته الأساسية للترشح لانتخابات البيت الأبيض. ففي الخطاب الذي أعلن فيه بدء حملته الانتخابية في ١٦ حزيران/يونيو ٢٠١٥، وزع معاونوه وثيقة تفيد بأن ثروته كانت تقدَّر بأكثر من ثمانية مليارات وسبعمئة مليون دولار سنة ٢٠١٤، وهي ثروة تجعله في مصافٍ أثرى أثرياء أميركا[١]. لم يكن ترامب تحديداً أول شخص بالغ الثراء يطمح إلى الرئاسة. فالرئيس جورج واشنطن كان يدير مزارع شاسعة يعمل فيها العبيد. وميت رومني، الذي خسر ترشيح الحزب الجمهوري له سنة ٢٠١٢، بنى ثروة من إدارته شركة Bain Capital، وهي شركة للأسهم الخاصة [التي لا يجري تداولها في سوق الأسهم والسندات المالية]. لكن قلةً من الأشخاص، هذا إن وجد، تبجحت علناً كما فعل ترامب بأن إنشاء مشاريع أعمال مربحة من المؤهلات الأساسية. فالرئيس واشنطن كان قائداً عسكريّاً قاد البلاد إلى نيل الاستقلال؛ ورومني كان حاكم ولاية ماساتشوستس وحقق إقرار قانون لبرنامج الرعاية الصحية. أما ترامب، فلم يسبق له أن شغل أي منصب عام، بل كان يعوّل على نحو مفرط على صورته التي رسمها بعناية بوصفه مديراً حقق نجاحاً مذهلاً في مؤسساته وأعماله. جوهر ما قاله ترامب هو أن ثروته جعلته مؤهلاً بصورة استثنائية لمنصب الرئيس، الرئيس الذي سيجعل من أميركا بلداً ناجحاً بقدر

١ دونالد ج. ترامب، موجز للقيمة الصافية لثروته بتاريخ ٣٠ حزيران/يونيو، ٢٠١٤.

نجاحه. كان يردد: "أنا فخور بثروتي. لقد أديت عملاً مذهلاً"[1].

لكن الوثيقة المذكورة [التي نشرها معاونوه] لفتت الانتباه إلى قضية لاحقت ترامب منذ أيامه الأولى في العمل في المقاولات، وبناء العقارات، والبرامج التلفزيونية: لم يكن هناك طريقة للتثبت من مجموع ثرواته. وبعد شهر، أصدرت حملته بياناً آخر ورد فيه أن "ثروة ترامب الصافية تتجاوز عشرة مليارات دولار"[2]. وعندما سلمت حملته البيانات المالية التي طلبتها الحكومة الفيدرالية، كانت الحملة تتبجح بأن استمارات البيانات "لم تكن مصممة لرجل له ثروة ترامب الهائلة". على مدى عقود من الزمن، كان ترامب يجعل ثروته مكوناً رئيسياً من مكونات هويته، فهو صاحب الصفقات العظيمة. وكان ينتقد علناً بشدة، أو يقاضي، من يمس تقديره نفسه ويشكك في ثروته. لم يقتصر ترامب في حساب ثروته على الدولارات فحسب، بل كان يحسبها أيضاً بناءً على تصوّره عن نفسه بأنه رجل فائق الثراء. وإذا نجح ترامب في مسعاه، فلن يشكك أحد في ما يدعيه من ثروة طائلة. لكن ادعاءاته بالثروة كانت محل استفهام مرات ومرات.

بدأت التساؤلات قبل عقود من بروز ترامب كشخصية عامة. فسنة ١٩٧٦، نشرت صحيفة **نيويورك تايمز** لمحة عن حياته ورد فيها أن ثروته تقدر بأكثر من مئتي مليون دولار. ومع أن الثروة الصافية أمر مختلف عن الدخل، قال بعض المشككين إن ذلك الرقم الكبير يبدو مختلفاً عما جاء في تقرير "لجنة الإشراف على نوادي القمار" في ولاية نيوجيرسي، الذي ورد فيه أن ترامب يدعي أن دخله الخاضع للضريبة سنة ١٩٧٦ كان أربعة وعشرين ألفاً وخمسمئة وأربعة وتسعين دولاراً. كما كان ترامب يتلقى هبة من والديه قدرها ستة آلاف دولار في كانون الأول/ديسمبر من كل سنة[3]، كما كان

1 Transcript of Donald Trump presidential announcement speech, June 16, 2015 https://www.washingtonpost.com/news/post-politics/wp/201516/06//full-text-donald-trump-announces-a-presidential-bid/

2 "Donald J. Trump Files Personal Financial Disclosure Statement with Federal Election Commission," Trump press statement, July 15, 2015 https://www.donaldjtrump.com/press-releases/donald-j.-trump-files-personal-financial-disclosure-statement-with-federal.

٣ تقرير قسم "شؤون ألعاب القمار في دائرة القانون والسلامة العامة" في ولاية نيوجيرسي، إلى "لجنة الإشراف على الكازينوهات"، ١٦ تشرين الأول/أكتوبر، ١٩٨١، ٣٥.

يتلقى حصصاً متزايدة من ودائع العائلة. وقد كثرت التساؤلات عندما تبين أن ترامب لم يدفع أي ضريبة دخل في سنتي ١٩٧٨ و١٩٧٩[١]. فقد زعم أنه نتيجة الاقتطاعات الضريبية وانخفاض قيمة العقارات، كان لديه دخل سالب يقدر بثلاثة ملايين وثمانمئة ألف دولار في تلكما السنتين. وأظهر التقرير نفسه أنه اقترض سبعة ملايين وخمسمئة ألف دولار من والده[٢]، واستخدم حصته من أرباح فندق غراند حياة، المَدين أصلاً، ليخفف بها ديون ناديه للقمار في أتلانتيك سيتي[٣]، كما اعتمد على خط ائتماني قدره خمسة وثلاثون مليون دولار من مصرف Chase Manhattan.

في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، وبعد شروع ترامب في بناء برجه برج ترامب، زاد بصورة مثيرة تقديراته لثروته. فقد علم سنة ١٩٨٢ أن مجلة تُعد العدة لإطلاق تصنيف سنوي للأشخاص الأربعمئة الأعظم ثراءً في أميركا، سيعرَف باسم "فوربس ٤٠٠". قال ترامب في ما بعد إن النقود هي طريقة "للاستمرار في النجاح" في الحياة[٤]. لم تكن القائمة قائمة على أسس علمية تماماً، كما أن محرريها أرادوا إصدارها خلال وقت قصير. لكن واجههم لغز محير: كيف لهم أن يقدِّروا ثروة ترامب وهو يدير شركة خاصة ولا يصرح إلا بالقليل من البيانات المالية؟ يقول هارولد سينيكر Harold Seneker الذي كان آنذاك عضو هيئة التحرير في **فوربس** والمسؤول عن قائمة الأثرياء: "لا يمكنك أن تعرف حجم السيولة النقدية عند ترامب". لذلك كان من الصعب التثبت من قيمة ممتلكاته بالضبط. خمّن المحررون ما يمكن أن تكون عليه قيمة الممتلكات إذا بيعت، ثم طرحوا من تلك القيمة الديون المُصرَّح بها والمترتبة على تلك الممتلكات. أخبر ترامب المجلة أن ثروته تقدر بنحو خمسمئة مليون دولار[٥].

---

١ المرجع السابق. ص.٣٧.
Drew Harwell, "Trump Once Revealed His Income Tax Returns. They Showed He Didn't Pay a Cent," *Washington Post*, May 21, 2016.

2 State of New Jersey Department of Law and Public Safety Division of Gaming Enforcement Report to the Casino Control Commission, PDF32. 294 Atlantic City debt:

٣ المرجع السابق. ص.٢٥.

4 Donald Trump tweet, September 13, 2014, https://twitter.com/realdonaldtrump/status/510935518360895488

5 Randall Lane, "Inside the Epic Fantasy That's Driven Donald Trump for 33 Years," *Forbes*, October 19, 2015.

نتيجة غياب التأكد من الأمر، قرر محررو **فوربس** عرض تقدير موحّد يشمل ثروة دونالد ترامب وثروة أبيه معاً، وكان ذلك بمئتي مليون دولار. قال سينيكر: "كانت القاعدة التي اعتمدنا عليها هي تقسيم أي مبلغ يقوله لنا ترامب على ثلاثة"[١]. استمرت قائمة **فوربس** برفع قيمة ثروات ترامب سنةً بعد سنة. ففي ١٩٨٤، قدرت المجلة أن ثروته تقدر بأربعمئة مليون دولار، ثم أصبحت ملياراً سنة ١٩٨٨. قال ترامب لاحقاً: "أنا أحطم كل رقم مسجل في تاريخ مدينة أتلانتيك سيتي"[٢]. ناء ترامب بثقل الكثير من الديون، لكنه تباهى سنة ١٩٨٨ بأنه كان بمنأى عن الخطر: "ليس من دَين أحمله أكفله شخصيّاً. ولو آل العالم بأجمعه إلى الخراب، فلن أخسر دولاراً واحداً"[٣]. لكن وراء الكواليس كان ترامب يعرّض موارده المالية للخطر نتيجة إسرافه في الاقتراض والإنفاق لمدة وجيزة قبل انهيار أسعار العقارات.

في العاشر من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٨، صعد ترامب إلى منصة البرنامج التلفزيوني الحواري Late Night الذي يقدمه ديفيد ليتيرمان David Letterman، في نيويورك، وجلس إلى جانب مقدم البرنامج. وقدمه ليترمان على أنه الرجل الذي يعرف "كل ما يمكن معرفته عن النقود، والتمويل، والاقتصاد، والموازنات، وما إلى ذلك".

سأله ليترمان: "لعل ثروتك تقدَّر بأربعة مليارات دولار أو نحوها، أصحيح ذلك؟".

فأجابه ترامب وهو يكتم ابتسامته: "أرجو ذلك".

فقال ليترمان: "هل هناك أي طريقة تجعل رجلاً مثلك يسقط في هاوية الإفلاس؟". تعالت الضحكات، فأردف ليترمان: "أنا جادٌّ في سؤالي. هل يمكنك أن تواجه أي عاصفة مالية وتخرج منها ثريّاً عظيماً؟".

تحول ترامب إلى الجدية، وقال: "أود التفكير أن بإمكاني النجاة من معظم العواصف من هذا النوع... فالوقت مناسب جدّاً لادخار قدر ما يستطيع المرء من

---

١ مقابلة هارولد سينيكر مع ألان سلون، **واشنطن بوست**، ٢٠١٦.

2 Jennifer Wang, "The Ups and Downs of Donald Trump: Three Decades On and Off the Forbes 400," *Forbes*, March 14, 2016.

3 Robert Lenzner, "He's His Own Trump Card: New York's Biggest Wheeler-Dealer Looking for Bigger, Better Deals," *Boston Globe*, October 23, 1988.

الأموال على صورة دولارات"[1]. لكن ترامب نفسه لم يكن ليدخر أمواله، فقد كان قد اشترى للتو فندق بلازا بجانب سنترال بارك، كما كان بصدد إطلاق شركة الخطوط الجوية Trump Shuttle. قلة من الناس كانوا يعرفون أن حجم الديون القابع وراء إمبراطوريته يحلق في مستويات جنونية. كان أحد الذين تساورهم الشكوك تحوم حول إمكانية استمرار أعمال ترامب هو خبير في مجال العقارات غير معروف على نطاق واسع اسمه إيب والّاك Abe Wallach.

***

سنة ١٩٨٩، ظهر والّاك، وهو نائب كبير لرئيس شركة عقارية في نيويورك، في البرنامج التلفزيوني MacNeil/Lehrer NewsHour ليتحدث عن الموارد المالية لدى ترامب. كان المقطع الذي حمل عنوان "Trumpty–Dumpty" [اسم شخصية خيالية لها شكل بيضة كبيرة تمشي على حائط لا ينتهي وتكاد تقع عنه] يسأل هل بوسع القطب المالي "المحافظة على إمبراطوريته من الغرق". بدا الوضع منذراً بشؤم. فقد كان ترامب يحمل ديوناً بقيمة ملياري دولار ويحتاج إلى قرض بستين مليون دولار للاستمرار في أعماله. ترنم أحد الصحافيين قائلاً: "ترامب، في أزمة سيولة"، وأردف: "هل يمكن أن يحدث ذلك فعلاً لرمز النجاح في العمل خلال سنوات الثمانينيات الصاخبة". انتقل التقرير من مشهد ترامب الأنيق إلى عنوان رئيسي في الصحف من قبيل: "المصارف تضغط على ترامب".

بعد مراجعة سريعة للبلايا المالية التي حلت بترامب – مع التركيز عليها بإظهار التناقض بين وصفات ترامب في كتابه *Trump: The Art of the Deal* وبين إفلاس شركاته – قدم البرنامج الخبير والّاك. فقال الرجل الرزين الذي يرتدي النظارات والذي تبدو عليه ملامح الوقار، إن ترامب يمكن أن ينحو باللائمة في بعض مشكلاته على هبوط أسعار سوق العقارات، لكن ذلك لا يبرر كل مشكلاته، فقد حمل عبء ديون كبيرة

١ مقابلة ديفيد ليترمان مع دونالد ترامب، ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٨٨ في the eighteen–minute mark:
https://www.youtube.com/watch?v=GmNN2MCJ -7U&feature=youtu.be&t=16m12s

جدّاً. وأضاف والاك: "الواقع أنك إذا دفعت المال الكثير لشراء العقارات، وإذا كان غرورك بقدر ما كان عنده – وما زال عنده – وكنت تشتري كل ما تقع عليه عيناك، فلا بد أن جزءاً من اللوم يقع عليك"[١].

اغتاظ ترامب من البرنامج. بعد أسبوع من عرضه، زار شخص والّاك في غرفته العالية في مدينة نيويورك وسلمه حزمة سميكة من الوثائق. على صفحة الغلاف كُتبت الكلمات: ترامب مقابل والّاك. قال والّاك إن تلك الوثائق كانت تبلغه بأنه وشركته يواجهان مقاضاة أمام المحاكم لتسببهما بخسائر تُقدَّر بمئتين وخمسين مليون دولار، إضافة إلى القذف والتشهير وتشويه السمعة[٢]. صعق والّاك وهو يواجه احتمال هلاكه (بعد سنوات، قال ترامب إنه لا يتذكر أنه قاضى والّاك)[٣]. قال ممثل ترامب إنه سيسحب الدعوى إذا وافق والّاك على تجنب انتقاد ترامب في التلفزيون، وذلك كما يروي والّاك.

بعد مدة قصيرة، استدعى ترامب والّاك. قال ترامب كما يروي والّاك: "يا إيب، سمعت أنك رجل ذكي جدّاً. وأنت لا تريد انتقادي. ففي النهاية، أنا القوة العقارية الرئيسية في نيويورك، وانتقادي هو انتقاد لنيويورك"[٤]. ألمح ترامب إلى أنه يريد توظيف والّاك؛ ودعاه إلى برج ترامب. بعد أسابيع، جاء والّاك، ووصف لترامب مشروعاً على ضفة نهر هدسون في نيوجيرسي يضم آلاف الوحدات السكنية، وملايين الأمتار المربعة من المكاتب التجارية، ومركز تسوق كبير. اجتذب مشروع ضفة النهر ترامب، وتأثر بوالّاك، وفي نهاية المطاف، عرض عليه وظيفة مدير عقارات براتب قدره مئة وخمسة وسبعون ألف دولار؛ قَبِل والّاك ذلك العرض[٥].

مع استقرار والّاك في عمله، كانت إمبراطورية ترامب تُحاصَر أكثر فأكثر من المصارف وأصحاب السندات. واستمر ترامب في اعتقاده بأن كل شيء على ما يرام. خلال ذلك الوقت، قدم وثائق إلى "لجنة الإشراف على شؤون الكازينوهات"

١ مقابلة ماك نيل/ليهرير مع أيب والاك في برنامج NewsHour، عام ١٩٨٩:
https://www.youtube.com/watch?v=KlwCXgZwSCc (10:05)

٢ مقابلة مع إيب والاك، ٢٠١٦.

٣ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن، ٩ حزيران/يونيو، ٢٠٠٦.

4 Abe Wallach, "How to Get Hired by Donald Trump," unpublished manuscript.

٥ المرجع السابق.

تبين أن أصول ممتلكاته تقدر بنحو ثلاثة مليارات وستمئة مليون دولار، بما فيها "الممتلكات العقارية التي يمتلكها بصورة مباشرة"، ودُور سكنه الخاصة، و"الخطوط الجوية التجارية". وقدّر موظفو اللجنة، الذين حللوا ديونه، ثروته الصافية بمئتين وستة ملايين دولار[١]. اطلع المحررون في **فوربس** على تقرير الهيئة ونشروا مقالة في أيار/مايو ١٩٩٠ يفصلون فيها مشكلات السيولة النقدية الكبيرة التي يعاني منها ترامب، وتقييمات الأصول العقارية "التي تبعث على التفاؤل بصورة غير واقعية"، والديون التي تبلغ مليارات الدولارات. خلصت المقالة إلى أن "ترامب بحاجة ملحة إلى مصدر إضافي للحصول على النقود"[٢]. قدرت **فوربس** ثروة ترامب بخمسمئة مليون دولار، بعدما كانت قد قدّرتها في السنة الماضية بمليار وسبعمئة مليون دولار[٣]. وقد أخرج ذلك ترامب من قائمة الأثرياء في **فوربس**؛ وظل غائباً عن القائمة لست سنوات بعد ذلك[٤]. هاجم ترامب القائمة آنذاك، وهي القائمة التي كان يشتهي سابقاً أن يناله تصنيفها. فقال إنها كانت "مسحاً غير صحيح جدّاً"[٥]، و"تقديراً ضبابيّاً اعتباطيّاً إلى حدٍّ كبير لثروات أناس معيّنين"[٦].

كانت مشكلات أخرى تلوح في الأفق. فبعد سنتين من قول ترامب إنه لم يكن يكفل الديون بصفة شخصية، كشفت الوثائق التي لدى "لجنة الإشراف على نوادي القمار" أنه قدم ضماناً شخصيّاً لدين بثمانمئة واثنين وثلاثين مليون دولار[٧]. هذا يعني أن ترامب كان هو نفسه في خطر الانهيار مع إمبراطوريته العظيمة. خلال السنوات التالية، كان والّاك يراقب تكرار مواجهة ترامب الإفلاس واحتمال حل إمبراطوريته. لكن ترامب، عن طريق التفاوض في الصفقات وبيع الأصول والتخلي عن جزء من

١ تقرير "لجنة الإشراف على شؤون الكازينوهات" في ولاية نيوجيرسي حول الوضع المالي لدونالد ج. ترامب، ١٥ نيسان/أبريل، ١٩٩١؛ لم ينشر والّاك المخطوط الذي قُدِّم إلى **واشنطن بوست**.

2 Richard L. Stern and John Connolly, "Manhattan's Favorite Guessing Game: How Rich Is Donald," *Forbes*, May 14, 1990.

3 " Trump Loses Billionaire Status, *Forbes Says*," United Press International, April 27, 1990.

4 Wang, "The Ups and Downs of Donald Trump: Three Decades on and off the Forbes 400."

5 Glenn Plaskin, "Playboy Interview: Donald Trump," *Playboy*, March 1990.

6 Trump and Leerhsen, *Surviving at the Top*, 30.

٧ "لجنة الإشراف على شؤون الكازينوهات" في ولاية نيوجيرسي، عريضة ترامب لنقل حقوق المساهم والضمانات الخاصة بالكازينو إلى المصارف، ١٦ آب/أغسطس، ١٩٩٠.

ملكيته في نوادي القمار، استطاع إعادة هيكلة ديونه والحفاظ على وجوده. عمل والّاك عن كثب مع ترامب في الصفقات العقارية على مدى السنوات الاثنتي عشرة التالية، وأُعجب بالكثير مما رآه، من قبيل رغبة ترامب في الدخول في مجازفات كبيرة. كما أنه يذكر أن ترامب أحياناً لم يكن دؤوباً بما يكفي[١]، وكان يتصرف "دون التفكير في عواقب أفعاله". في أحد الأيام، أخبر ترامب أحدَ الصحافيين أن ثروته تبلغ مليار دولار. ويذكر والّاك أن ترامب هرع إلى مكتبه، وطلب من والّاك إصدار بيان مالي يدعم به ادعاءه. فسّر والّاك الطلب بأن عليه تحرير بيان مالي غير رسمي محمَّل بالتفاؤل قدر الإمكان[٢].

مع تعثُّر أعمال ترامب في أوائل التسعينيات من القرن الماضي، استمرت سوق العقارات التجارية بالهبوط. فأعطى ذلك ترامب فرصة لا مثيل لها لزيادة ثرواته.

كان والّاك يبحث عن صفقات رابحة عندما حضر إلى ناطحة السحاب ٤٠ وول ستريت بطرازها الهندسي المميز الذي يعود إلى العقد الثاني من القرن العشرين، وطوابقها الاثنين والسبعين التي اكتمل بناؤها سنة ١٩٣٠، وكانت البناء الثاني علوّاً في منطقة مانهاتن السفلى، ولم يكن يفوقها ارتفاعاً إلا برجا مركز التجارة العالمية. وفي ظروف من الضعف والتهالك، تنقلت ملكية المبنى بين مالكِين متعاقبين، لكن والّاك كان يرى فيه آفاقاً واعدة لوجود أكثر من مئة ألف متر مربع من مساحة الإيجار يتوِّجها هرم نحاس تعلوه غشاوة خضراء معتقة. حثّ والّاك ترامب على جولة لمدة ثلاث ساعات فيه. وافق ترامب سنة ١٩٩٥ على شراء العقار مستفيداً من انخفاض أسعار العقارات. وقد ذكرت مجلة *Bloomberg Business News* أنه عندما كان المبنى شاغراً بنسبة ٨٩%، دفع فيه ترامب "أقل من ثمانية ملايين دولار"، وأن المالك السابق قدر أن المبنى بحاجة إلى مئة مليون دولار لإصلاحه وإعادة تأهيله[٣].

في الأشهر التالية، ظهرت مشكلة مع شركة محاماة في بعض الطوابق العليا حينما كان ترامب يسعى لإخلاء المبنى لترميمه. ووفقاً لما يقوله ترامب، كان يعتقد أن شركة

١ مقابلة مع إيب والّاك، ٢٠١٦.
٢ المرجع السابق.

3 Bloomberg Business News, "40 Wall Street Is Sold to Trump," December 7, 1995, as published in the *New York Times*.

المحاماة لم تكن تدفع الأجرة المناسبة، وتحوَّل الأمر إلى القضاء. وفي أحد الأيام، اكتشف المحامون أن التدفئة انقطعت وأن المصاعد توقفت عن العمل[١]. وصل ترامب إلى المبنى ليجد المحامين الغاضبين واقفين في الردهة. أخبرهم بأن عليهم صعود ستين درجاً للوصول إلى مكاتبهم. وبعد سنوات من ذلك، خلال مقابلة لإعداد هذا الكتاب، تذكر ترامب ذلك اليوم بابتسامة خبيثة قائلاً:

> ثمة من يقول إنني قطعت التدفئة وعطلت المصعد. كنت منشغلاً جدّاً أثناء الإشراف على أعمال البناء. كنت في المبنى، نزلت، ووجدت أن هناك نحو مئة وعشرين محامياً يقفون في الردهة. كنت محظوظاً إذ كان يرافقني بعض عمال البناء الأشداء؛ فقد كان المحامون متوحشين. قلت لهم: عليكم صعود السلالم لأن المصاعد يجري إصلاحها. هذا ما حدث، تلك هي الحكاية. وليكن ما كان، فمن يعلم ماذا حدث؟.

وسط كل أزمات ترامب – من تكرر إفلاس مؤسساته وتقلص قيمة شركته المتداولة علناً – جاءت صفقة ناطحة السحاب ٤٠ وول ستريت لتكون مثالاً تقليديّاً على طريقة تخطيط ترامب وعناده. رأى والّاك في شراء المبنى الضخم انتصاراً لنفسه ولترامب. بعد مدة طويلة، أشار ترامب بفخر إلى تلك الصفقة، وذلك بعدما ارتفعت قيمة المبنى وفق أحد التقديرات إلى خمسمئة مليون دولار على الأقل[٢]: "يعتقد بعضهم أن تلك الصفقة كانت أفضل صفقة عُقدت في نيويورك على مدى سنوات طويلة طويلة"[٣]. لقد ساهمت الصفقة في نهوض طويل الأجل عمل على استقرار إمبراطورية ترامب. وإلى جانب الكثير من صفقات اتفاقات الترخيص والدخل الآتي من البرنامج التلفزيوني "المتدرِّب"، الذي قدره ترامب بمئتين وأربعة عشر ألف دولار في أربعة عشر موسماً[٤]، ساعد مبنى ٤٠ وول ستريت ترامب على العودة إلى الظهور بصورة

١ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن، ٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٦. قدم والّاك رواية مماثلة في فصل "Wall Street 40" من مخطوطه الذي لم يُنشر.

2 Steve Cuozzo, "Donald Trump Could Sell 40 Wall St. to Fund His Campaign," *New York Post*, May 23, 2016.

٣ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن.

٤ استمارة التصريح المالي لترامب.

إمبراطور العقارات؛ وهي الصورة التي كان يرسمها لنفسه على الدوام.

كانت سمعة ترامب من أعظم أصوله، وكان يحميها بقوة. فسنة ٢٠٠٤، علم ترامب أن الكاتب روبرت سليتر Robert Slater كان يبحث في تأليف كتاب عنه. ووفقاً لما يرويه سليتر، توعده ترامب بجره إلى القضاء في حال نشر الكتاب. كتب محامي ترامب إلى سليتر يقول إنه سيقيم دعوى قضائية إذا ألّف الكاتب الكتاب دون التعاون مع ترامب. بعد ذلك، وفي ما أصبح نمطاً في سلوك ترامب، قلب ترامب موقفه رأساً على عقب. واستدعى سليتر، وقال إنه سمع أن الكاتب كان "شخصاً مدهشاً"، ووافق على التعاون معه. يقول سليتر في السيرة التي نشرها بعد ذلك تحت عنوان *No Such Thing as Over-Exposure: Inside the Life and Celebrity of Donald Trump*، إنه أدرك أن موضوع الكتاب "يريد التحكم بصورته تحكماً كاملاً عن طريق السيطرة قدر استطاعته على ما يُكتب عنه"[1]. أخبر ترامب سليتر أنه إذا أعجب بالكتاب، فسيشتري منه نسخاً كثيرة. وكانت تلك بشرى سارة للناشر، الذي وافق على إطلاع ترامب على الكتاب قبل نشره. يروي سليتر أن ترامب قرأ الكتاب وحث الناشر على حذف أشياء لم تعجبه فيه، منها قصة معرفة مارلا ميبلز بأنه كان يسير بإجراءات طلاقه منها بعد قراءتها مقالة في صحيفة **نيويورك بوست**. كما أن ترامب لم يسر بالصورة التي بدا عليها في الغلاف المقترح للكتاب. فقد قال سليتر في حديث له سنة ٢٠٠٥: "آخر ما ينبغي أن تفعله هو جعْل دونالد ترامب يبدو بديناً"، وشرح كيف تغير الغلاف في اللحظة الأخيرة ليحظى برضا صاحب العلاقة[2].

في كل مرحلة من سيرته في عمله، كان ترامب يسعى إلى معاقبة من يشكك في الصورة التي أراد أن يراه بها العالم[3]. كانت التهديدات بالقضاء إلى حدٍّ ما جزءاً من أسلوب ترامب في العمل؛ تماماً مثل ما كان الكلام الوقح وألاعيب الدعاية وإعادة

1 Robert Slater, *No Such Thing as Over-Exposure: Inside the Life and Celebrity of Donald Trump* (New Jersey: Prentice Hall, 2005), xiii–xxiv.

2 Robert Slater speech at the Library of Congress, "The Hazards and Joys of Writing Books on Donald Trump and Martha Stewart: One Author's Perspective," October 25, 2005 http://www.loc.gov/today/cyberlc /transcripts /2005051025/slater.txt.

٣ مقابلة أبراهام والآك مع روبرت أوهارو الابن ودرو هارويل، **واشنطن بوست**، أيار/مايو ٢٠١٦؛ مخطوط والآك الذي لم يُنشر.

التفاوض على الصفقات. أصبحت كلمة "سأقاضي" شعاره في أعماله، مثل ما أصبحت عبارة "أنت مطرود" رمز صورته التلفزيونية. فعلى مدى ثلاثة عقود، رفع ترامب وشركاته أكثر من ألف وتسعمئة دعوى قضائية، وكان في موقع الاتهام في دعاوى أخرى أُقيمت بحقه بلغت ألفاً وأربعمئة وخمسين دعوى، وفق تحليل لصحيفة *USA Today*[١]. كانت بعض مناوراته القضائية ناتجة عن صفقات معقدة[٢]، لكن بعضها كان يركز على تعقب من يشككون في ثروته أو حتى في ذوقه. ذات يوم، قدم شكوى بتشويه سمعة، بقيمة خمسمئة مليون دولار، ضد ناقد في صحيفة **شيكاغو تريبيون** وصف القاعة الرئيسية في برج ترامب بأنها تشبه "صالة تسوق وضيعة تغص بالبذخ المبهر". رفض القاضي الشكوى. زعمت مجلة **فورتشن** في مقالة لها أن ترامب توعد بأنه "سيقاضي المجلة" في حال كتب أيٌّ من كتابها أي شيء سلبي حول السيولة المالية لترامب[٣].

كانت إحدى أكثر الدعاوى تعبيراً عن سلوك ترامب ناتجة عن تساؤل لا يتوقف حول ترامب: ما قيمة ثروته الفعلية؟ شارك تيموثي أوبرايان Timothy O'Brien، وهو صحافي متخصص في مجال الأعمال ويعمل في صحيفة **نيويورك تايمز** كما يتابع كل ما يتعلق بترامب منذ زمن طويل، في كتابة مقالة سنة ٢٠٠٤ بعنوان: "هل يتوجه ترامب إلى السقوط؟"[٤]. كان ترامب يبدو آنذاك في مرحلة صعود، وقد بدأ يكتسب سمعة بين الجيل الشاب على مستوى البلاد عن طريق البرنامج التلفزيوني "المتدرِّب". في إحدى حلقات البرنامج، أخذ المتنافسين إلى ما كان يصفه بأنه "الفندق الأول" في أتلانتيك سيتي، وهو تاج محل ترامب[٥]. لم يكن أوبرايان على ثقة في أن تاج محل يستحق تلك الصفة، فكتب:

1 Nick Penzenstadler and Susan Page, "Exclusive: Trump's 3,500 Lawsuits Unprecedented for a Presidential Nominee," *USA Today*, June 2, 2016.

2 Roger Parloff, "Highlights in Trump Litigations," *Fortune*, http://archive.fortune.com/2016/highlights-in-trump-litigations/

3 Jerry Useem, "What Does Donald Trump Really Want?," *Fortune*, May 3, 2000.

4 Timothy L. O'Brien and Eric Dash, "Is Trump Headed for a Fall?," *New York Times*, March 28, 2004.

٥ المرجع السابق.

> في الواقع، يحتاج تاج محل كل عون يمكنه الحصول عليه شأنه شأن سائر إمبراطورية القمار المضطربة عند السيد ترامب. فأرصدة نواديه للقمار عالقة بنحو ملياري دولار من سندات الديون تصارع للوفاء بها. لقد طال عليها العمر حتى هرمت، وسبقها منافسون أكثر تألقاً، كما أن وارداتها وأرباحها كانت في انهيار في السنة الماضية.

وتساءل أوبرايان هل كانت مزاعم ترامب مبنية على أرقام حقيقية، أم كانت مجرد مبالغة من بائع حاذق؟ هل كان ترامب رجلاً ناجحاً أم لا؟[١].

في كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٤، أي بعد تسعة أشهر على ظهور المقالة في صحيفة **التايمز**، تلقى أوبرايان عقداً لتأليف كتاب، ووافق ترامب على إجراء سلسلة من المقابلات معه. أمضى الرجلان معاً ساعات في نيويورك، في قصر ترامب مار ألاغو، وكذلك على متن الطائرة الخاصة بترامب في الطريق إلى لوس أنجلوس. كما تحدث أوبرايان مع مدير الشؤون المالية عند ترامب، آلن ويسيلبرغ Allen Weisselberg، بالإضافة إلى موظفين سابقين وحاليين في شركات ترامب، وتفحص الكثير من الوثائق المالية التي وضعت أمامه على طاولة ضخمة للاجتماعات في برج ترامب. وصدر كتابه: *Trump Nation: The Art of Being The Donald*، في خريف ٢٠٠٥، ملقياً الضوء على حب الظهور عند ترامب، وتناقضاته، وشخصيته العامة، لكنه لم يتضمن سخرية تثير سخط ترامب[٢]. فقد كانت مادته قصيرة في ٢٧٦ صفحة ركز فيها على ثروته فحسب. كتب أوبرايان عن اجتماع ضمه مع ترامب في إحدى عطل نهاية الأسبوع، مطلع عام ٢٠٠٥، أثير أثناءه موضوع ثروة ترامب[٣].

قال ترامب لأوبرايان: "سأقول إنها ستة [مليارات]. خمسة إلى ستة. خمسة إلى ستة". حيَّر هذا التقلّب أوبرايان. فقبل بضعة أشهر فقط، قال ترامب جواباً عن السؤال نفسه: "أربعة مليارات إلى خمسة مليارات دولار". في اليوم نفسه، أعطى ترامب أوبرايان صيغة حسابية تشير إلى أن ما يملكه ترامب في نادي القمار يمثل

١ مقابلة أوبريان مع درو هارويل وروبرت أوهارو، واشنطن بوست، أيار/مايو، ٢٠١٦.

2 O'Brien, *TrumpNation: The Art of Being The Donald* (New York: Warner Business Books, 2005).

3 O'Brien, *TrumpNation*, 153.

نحو ٢% من ثروته. إذا صحَّ ذلك، فهذا يعني أن ثروة ترامب هي حوالى مليار وسبعمئة مليون دولار. وخلال المدة نفسها تقريباً، كانت نشرة عن نادي بالم بيتش، الذي يملكه ترامب، تقول إن ثروته تبلغ تسعة مليارات وخمسمئة مليون دولار. تساءل أوبرايان، أهي مليار وسبعمئة مليون، أم تسعة مليارات وخمسمئة مليون، أم قيمة بين القيمتين؟ وهل يمكن أن تكون أقل من ذلك؟ نتيجة حيرة أوبرايان بتقديرات ترامب المتباينة، وارتيابه بالمعلومات التي زوده بها موظفو ترامب، اتصل بثلاثة "ممن هم على معرفة مباشرة بالموارد المالية لترامب". فأخبروه أن ثروة ترامب كانت "تتراوح قيمتها بين مئة وخمسين مليون دولار، وبين مئتين وخمسين مليون دولار"[١].

قبل أسبوع من نشر الكتاب، أطلع أوبريان ترامب وموظفيه على نسخة عنه، وعلموا أن صحيفة **نيويورك تايمز** تعتزم نشر مقالة مقتبسة من الكتاب. في يوم الأحد الموافق ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٥، سارع محام من موظفي ترامب إلى إرسال رسالة إلى المحرر الذي يعمل معه أوبرايان، يتهم فيهاً الأخير بكتابة "بيانات زائفة، وافترائية، ومسيئة للسيد ترامب". وصفت الرسالة الكتاب بأنه "كتاب كذب، وحقد، وإساءة للسيد ترامب"، وطلب من صحيفة **التايمز** أن تزوده بنسخة من المقالة قبل نشرها "لنتمكن من تصحيح بعض التشويهات والأخطاء... فثروة السيد ترامب هي مليارات كثيرة من الدولارات"، كما جاء في الرسالة[٢]. لكن كل ذلك لم يثن **التايمز**. في يوم الأحد، ٢٣ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٥، نشرت الصحيفة مقالة بعنوان: "ما هي ثروته الفعلية؟". بدأت المقالة بالقول: "على مدى عقود، جعل دونالد ترامب، الرجل الثري الأسرع صعوداً في أميركا، ثروته شأناً علنيّاً. لكن في بعض الأحيان كان من الصعب العثور على تلك الثروة"[٣]. بعد ثلاثة أشهر، قاضى ترامب أوبرايان وناشرَي كتابه، وهما مؤسستا Warner Book Group وWarner Books، طالباً خمسة مليارات دولار[٤].

---

١ المرجع السابق. ص. ١٥٤.

2 Jason D. Greenblatt, *Trump v. O'Brien*, on appeal, Appendix to brief of plaintiff/Appellant Donald J. Trump, Volume VII, pdf 315.

3 O'Brien, "What's He Really Worth," *New York Times*, October 23, 2005.

4 *Donald J. Trump v. Timothy L. O'Brien*, Brief of Defendants/ Respondents in Opposition of

مع تقدم سير الدعوى، استدعى محامو أوبرايان ترامب إلى مكتب محاماة وسط مانهاتن للإجابة عن مجموعة من الأسئلة في شهادة تحت القسم بخصوص ادعائه أن كتاب أوبرايان قد أساء إلى سمعته[1]. ركز محامي أوبرايان، أندرو سيرزني Andrew Ceresney، الذي أصبح لاحقاً مدير شعبة فرض القانون في هيئة البورصة والسندات، على الشكوك التي تحوم حول ثروة ترامب وكيف قدَّرها. اعترف ترامب، تحت القسم، أن تقديره لم يعتمد على المعايير التقليدية فقط، من قبيل ميزانياته، وأسهمه، وأصوله الملموسة الأخرى، بل كذلك على شعوره في لحظة معينة.

سأله سيرزني: "والآن يا سيد ترامب، هل كنت دائماً صادقاً تماماً في بياناتك المعلنة عن ثروتك من الممتلكات؟".

قال ترامب: "أحاول ذلك".

سأله سيرزني: "هل سبق لك على إطلاقاً أن كنت غير صادق؟".

أجاب ترامب: "ثروتي الصافية متأرجحة، تتحرك صعوداً ونزولاً وفق الأسواق وتوجهاتها، ووفق مشاعري، وحتى مشاعري الخاصة، لكنني أحاول"[٢].

وعندما طلب سيرزني من ترامب أن يوضح إجابته، قال: "نعم، حتى مشاعري الخاصة، حول أين يقع العالم، مثلاً، وإلى أين يمضي العالم، هذا يمكن أن يتغير بسرعة من يوم إلى آخر... في النتيجة، نعم، حتى مشاعري الخاصة تؤثر في قيمتي لنفسي".

أظهر سيرزني نص مقابلة لمجلة **بلاي بوي** مع ترامب في آذار/مارس ١٩٩٠. كانت المقالة تدور حول فكرة أن ترامب كان، كما قالت المجلة المذكورة، "طفل المليار دولار". أورد المقالة قول ترامب: "بصيرتي هي خير ممتلكاتي. فأنا أعلم ما هي البضاعة الرائجة وأعلم ما هي رغبات الناس". أشار صحافي مجلة **بلاي بوي**، الذي يجري المقابلة، إلى أن مجلة **فوربس** ذكرت أن ثروة ترامب هي مليار وخمسمئة مليون دولار، فيما "أنت تقول إنها ثلاثة مليارات وسبعمئة مليون دولار. فما هو الرقم الصحيح؟".

فقال ترامب للمجلة: "أنا لا أقول شيئاً. مجلتا *Business Week* و**فورتشن** لديهما

Appeal, 9 (001 O'Brien Appeals Brief).

1 Trump deposition, 19.

٢ المرجع السابق، ص. ١٠.

أرقام أعلى من أرقام مجلة **فوربس**"[1].

سأله محامي أوبرايان: "إذاً، أخطأت مجلة **بلاي بوي** في فهْم الأمر؟".

فقال ترامب منكراً إنه وافق على أنه ملياردير: "أنا فعلاً... إنني حتى لا أعلم من أين جاؤوا بذلك". وأردف يقول للمحامي: "أنا لم أقل شيئاً. بإمكان الناس أن يكوِّنوا رأيهم الخاص"[2].

تكرر ذكر ثروة ترامب الصافية مرة بعد أخرى في الشهادة. في إحدى مراحل الشهادة، أعطي ترامب "بياناً بالوضع المالي" يعود إلى عام ٢٠٠٤، كان قد قدمه إلى مصرف North Fork عند تقدمه بطلب للحصول على خط ائتماني[3]. قال محامي أوبرايان إن المصرف المذكور حلّل بيانات ترامب ووثائق أخرى قدمتها شركة ترامب "وتوصل في تقديره إلى أن ثروتك الصافية هي فعليّاً: مليار ومئتا مليون دولار؛ لا ثلاثة مليارات وخمسمئة مليون دولار كما ادعيت. هل تعلم ذلك؟"[4].

قال ترامب إن المصرف لا بد أنه لم يحتسب بعض ممتلكاته: "لم يتمكنوا من إحصاء كل شيء". طُلب من ترامب أن ينظر في تقرير ثروته الصافية الذي أعده Deutsche Bank. كان الرقم أصغر: ٧٨٨ مليون دولار[5]. قال ترامب: "حسناً، إنه رقم خطأ"، وأضاف أن المصارف لا تجري تقييمات دقيقة: "فهم لا يعرفون كم تساوي قيمة الأرض في بالم بيتش. ولا قيمة الأرض في ويستشيستر... ولا يعرفون قيمة معظم هذه الممتلكات".

سأل سيريزني ترامب: "ألم تخبر السيد أوبرايان أن ثروتك تساوي ستة مليارات دولار؟"، مشيراً إلى أن بعض البيانات المالية أظهرت أن ثروته تقدر بثلاثة مليارات وخمسمئة مليون دولار[6].

فقال ترامب: "هذا لا يتضمن قيمة العلامات التجارية"، وأضاف: "قيمة العلامات التجارية عالية جدّاً". وفي مهنة المحاسبة، العلامات التجارية، وحتى المشهورة جدّاً

١ المرجع السابق، ص.٢٧.
٢ المرجع السابق، ص.٢٦.
٣ المرجع السابق، ص.٣٥.
٤ المرجع السابق، ص.٣٦.
٥ المرجع السابق، ص.٣٧.
٦ المرجع السابق.

منها، "ممتلكات غير ملموسة" صعبة التقييم. وفعليّاً كان ترامب يضع قيمة لعلاماته التجارية تصل إلى مليارين وخمسمئة مليون دولار[1].

في العشرين من آذار/مارس ٢٠٠٩، رفضت المحكمة دعوى ترامب على أوبرايان، قائلة إنه ما من دليل يثبت تعمد الأذى في التقديرات المنخفضة لثروة ترامب[2]. لكن ترامب لم يتوقف عند ذلك الحد. ففي السادس عشر من كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٩، قدم طلب استئناف الحكم، وعبّر فيه عن المنطق الضمني الكامن في مهنته وادعاءاته:

> إن الأمر الحاسم في نجاح ترامب في أعماله هو أنه يجب أن يكون معروفاً على نطاق واسع لدى الأوساط المالية والمجتمع عموماً بأنه رجل أعمال ماهر وناجح، ولديه موارد مالية تبلغ في مجموعها مليارات الدولارات. ففي تجارة العقارات ذات المجازفة الكبيرة والمردود العالي، تعتمد قدرة ترامب على عقد الصفقات وضمان التمويل لمشروعاته على المستثمرين الذين يثقون بسمعته وبثروته[3].

ردّ محامو أوبرايان بأن أوضحوا بعبارات لا لبس فيها ما ادّعوا أنه شكوك تحوم منذ وقت طويل حول مزاعم ترامب امتلاكه ثروة طائلة:

> نظراً إلى الارتياب الكبير والمبالغة المفرطة اللذين يحيطان بممتلكات ترامب الخاصة وديونه - والكثير منها عززه ترامب بنفسه وكانت موضع دراسة الكثير من التقارير الصحافية - فإن الأرجح أن أيّاً من البيانات التي تتحدث عن ثروة ترامب لا يمكن أن تسيء إلى سمعته. والواقع أن ترامب في شهادته أشار إلى أن ثروته الصافية تتأرجح بين يوم وآخر وفقاً لمشاعره الخاصة، الأمر الذي يشير إلى وجود بعض الصعوبات

١ المرجع السابق. ص.٦٦.

2 Brief of Defendants/Respondent Timothy L. O'Brien et al., 1-2, doc 001.

3 On December 16: Brief in Support of Plaintiff/AppellantDonald J. Trump in Support of Appeal, 7, doc 000.

المتأصلة في عملية تقدير ثروته[١].

أخفق طلب الاستئناف الذي قدمه ترامب. عام ٢٠١١، قدمت القاضية في شعبة الاستئناف في المحكمة العليا في نيوجيرسي، إيديث ك. باين Edith K. Payne، وجهة نظر كانت تكراراً وملخصاً للنتائج التي توصل إليها أوبرايان:

> إن القسم الأكبر من ثروة السيد ترامب، وفقاً لما يقوله ثلاثة أشخاص يعرفون ممتلكاته معرفة مباشرة ناتج كما يبدومن إرثه (العائلي) المربح. قدر أولئك الأشخاص بأن ثروة السيد ترامب، مفترضين أنها لا تنوء بحمل دين ثقيل، ربما تصل إلى ما يتراوح بين ٢٠٠ مليون دولار وثلاثمئة مليون دولار تقريباً. وهذا مبلغ كبير من النقود يُحسَد عليه وفق مقاييس أكثر الناس، لكنه بعيد جدّاً عن نادي أصحاب المليارات[٢].

كان ترامب يعتقد أنه سيربح القضية، لكنه قال في ما بعد إن ذلك لم يكن مهمّاً له. ففي مقابلة أجريت لإعداد هذا الكتاب، قال إنه أراد أن يرد الضربة إلى أوبرايان الذي وصفه بالقول:

> [إنه] رجل دنيء من الطبقات الدنيا... أحببت فعل ذلك لأنه سيكلفه الوقت الطويل والجهد الكبير والمال الكثير. وسأكون صادقاً معك، فأنا لم أقرأه (كتاب أوبرايان)... لم أقرأه البتة. لقد اطلعت على بعض الأمور التي قالها. فقلت: خذوه إلى القضاء، فذلك سيكلفه الكثير من المال[٣].

قال ترامب إنه قد يرفع دعاوى قضائية أخرى، منها دعاوى على المؤسسات الإعلامية

1 Brief of Defendants/Respondent Timothy L. O'Brien et al., 1–2, doc 001.

2 *Trump v. O'Brien et al.*, Appellate Division decision, September 7, 2011 http://law.justia.com/cases/new-jersey/appellate-division-published/2011/a6141-08-opn.html

٣ مقابلة ترامب مع هارويل وأوهارو وبوبيرغ وغولدشتاين وماركون.

[التي روجت للكتاب] والمسؤولين عن [نشر] هذا الكتاب:

> لقد أقمت دعوى في تلك القضية لأن الكتاب كان شائناً جدّاً. اليوم، صارت دعاوى التشهير صعبة جدّاً، وبصراحة ربما أنظر في أمرها إذا انتُخبْت، لأن من الحيف الكبير أن يكتب شخص ما أي شيء يريده وينجو بفعلته. سأعمل على زيادة عدد دعاوى التشهير، وربما تكون ضدكم أيها القوم. لا أريد أن أهدد، لكنني أرى أن الصحافة كاذبة أشد ما يكون الكذب[١].

انتهت دعوى ترامب القضائية على أوبرايان. لكن اللغط استمر داخل إمبراطورية ترامب. فشركة نادي القمار العامة التابعة لترامب، التي أعلنت إفلاسها سنة ٢٠٠٤ وعادت للظهور باسم Trump Entertainment Resorts، عادت مثقلة بالديون مرة أخرى. وسنة ٢٠٠٩، كان ترامب على خلاف مع أصحاب السندات الذين أرادوا أن تعلن الشركة إفلاسها من جديد[٢]. وبدلاً من أن يواجههم ترامب، قدم استقالته. وقال آنذاك: "كانت الشركة، لبعض الوقت، تمثل في جوهرها أقل من ١% فعليّاً من ثروتي، واستثماري فيها أصبح غير مجدٍ لي الآن"[٣]. وفي إجراءات الإفلاس، وجد ترامب نفسه على خلاف مع كارل إيكان وهو الرجل الذي دوماً وصفه ترامب بأنه صديقه. هذا المستثمر الملياردير له تاريخ قديم مع ترامب، من [مشاركته في] مشاهدة مباريات الملاكمة، إلى مرافقته في رحلاته بالمروحيات خلال سنوات ترامب النشيطة الأولى في مدينة أتلانتيك سيتي[٤]. وفي أوائل تسعينيات القرن الماضي، أيد إيكان الصفقة التي ساعدت ترامب على الاحتفاظ ببعض الملكية عندما خاض ناديه للقمار تاج محل معركته القصيرة الأولى مع الإفلاس.

١ المرجع السابق.

2 Jeffrey McCracken, "Trump Feud Faces a Court Threat," *Wall Street Journal*, February 14, 2009.

3 Drew Harwell, "As Its Stock Collapsed, Trump's Firm Gave Him Huge Bonuses and Paid for His Jet," *Washington Post*, June 12, 2016.

4 Drew Harwell, "Inside the Rocky Billionaire Bromance of Donald Trump and Carl Icahn," *Washington Post*, April 30, 2016.

لكن إيكان انحاز بكل صراحة إلى جانب المشككين في ترامب. كانتTrump Entertainment Resorts في وضع صعب، وحاولت أن تعيد هيكلتها عن طريق إعلان إفلاسها. في إحدى تلك المحاولات، انضم ترامب إلى صندوق حماية يسعى إلى شراء الشركة. وقد تعهد صندوق الحماية إعطاء ترامب حصة ١٠% في حال ترك الشركة تستمر في استخدام اسمه. أيد إيكان صفقة منافسة تنتزع السيطرة الكاملة للشركة مشككاً في أن تكون العلامة التجارية لاسم ترامب تدل على الجودة والنجاح[١]، فقد قال إيكان سنة ٢٠١٠: "إذا كان الاسم على قدر عظيم من القوة، فكيف أفلست الشركات ثلاث مرات؟"[٢].

تغلب صندوق الحماية على إيكان، واستولى على الشركة، وأعطى ترامب حصة ١٠%، وخرجت نوادي القمار من الإفلاس. لكن المشكِلات لم تنته بعد. فسنة ٢٠١١، باعت Trump Entertainment Resorts كازينو ترامب كاسل (الذي صار اسمه بعد ذلك ترامب مارينا) مقابل ثمانية وثلاثين مليون دولار، وهو جزء من ثلاثة عشر جزءاً مما دفعته شركة ترامب ثمناً له قبل خمس عشرة سنة[٣]. قال ترامب إنه خرج من أتلانتيك سيتي في الوقت المناسب. وأعلنت Trump Entertainment Resorts، التي يتبع لها كازينو ترامب بلازا وكازينو تاج محل ترامب، إفلاسها ثانية في أيلول/سبتمبر ٢٠١٤. أُغلق البلازا في الوقت نفسه تقريباً، وهو واحد من أربعة كازينوهات يملكها ترامب من الكازينوهات الاثني عشر في المدينة كانت قد أغلقت في تلك السنة[٤]. ونتيجة لإجراءات الإفلاس في Trump Entertainment Resorts، ظهر إيكان مرة أخرى بصفته شركة تسعى إلى الاستحواذ. وسنة ٢٠١٦، فاز بالسيطرة على الشركة، وكانت أصولها الرئيسية تتمثل في تاج محل[٥]. ومع أن إيكان أصبح مؤيداً سياسيّاً لترامب،

١ المرجع السابق.

2 Alexandra Berzon and Christina S. N. Lewis, "Debating the Value of Trump Name," *Wall Street Journal*, February 26, 2010.

3 Drew Fitzgerald, "Landry's Buys Trump Marina Hotel in Atlantic City for $38 Million," *Wall Street Journal*, February 14, 2011. "Trump's Castle Is Shifting to Publicly Held Company," *Bloomberg Business News*, June 26, 1996. (Sold in 1996 for $525 million).

4 Brent Johnson, "Which Atlantic City Casinos Have Closed and Which Are Still Open?," Star-Ledger, June 3, 2015.

٥ مقابلة كارل أيكان مع درو هارويل، **واشنطن بوست**.

فإنه استمر بالتعبير عن شكوكه في نجاح ترامب في دنيا الأعمال: "لست هنا لأقول إن دونالد رجل أعمال ناجح لكنني أقول إنه صانع عظيم للوفاق، وهذا ما يحتاجه الكونغرس اليوم".

***

عندما أعلن ترامب حملته الانتخابية للوصول إلى البيت الأبيض سنة ٢٠١٥، كانت الأسئلة التي تدور حول ثروته تحتل الصدارة[١]. وقد عرض ترامب تقييماً لممتلكاته، فكان ما عنده من "صفقات اتفاقات الترخيص العقارية، ومشروعات بعلامات تجارية له أو لغيره"، يساوي ثلاثة مليارات وثلاثمئة مليون دولار. لم تشرح حملته كيف توصلت إلى هذا الرقم.

في مدينة نيويورك، كان ترامب يمتلك مجموعة صغيرة من الممتلكات، تضم مبنى ترامب في ٤٠ وول ستريت، والطوابق التجارية في برج ترامب، وعقارين في الشارع السابع والخمسين الشرقي، ومساكن تعاونية في الشارع الحادي والستين الشرقي والشارع الثالث والأربعين الشرقي[٢]. كما كان يمتلك حصصاً صغيرة في مشروعات مثل ١٢٩٠ Avenue of the Americas، وهي مبنًى متعدد الطوابق تمتلكه بصورة رئيسية شركة Vornado RealtyTrust[٣]. كما ترافق اسمه مع بعض المشروعات الأخرى عن طريق صفقات اتفاقات الترخيص لا الملكية، وهي فندق وبرج ترامب إنترناشينال، وقصر ترامب، وترامب بارك أفنيو، وترامب بليس[٤].

بعد شهر من إعلان ترامب حجم ثروته الصافية، أتبعه بملف فيدرالي من اثنتين

١ دونالد ج. ترامب، موجز للقيمة الصافية لثروته بتاريخ ٣٠ حزيران/يونيو، ٢٠١٤:
https://www.scribd.com/doc/296070432/Donald-J-Trump-Summary-of-Net-Worth-as-of-June-30-2014

٢ مقابلة مع جوناثان إنغبر، مؤسس شركة Actovia Commercial Mortgage Intelligence، في ٣ أيار/مايو ٢٠١٦.

٣ تصريح صحافي: "شركة Vornado تستولي على حصة مسيطرة بنسبة ٧٠% في Avenue of the Americas ١٢٩٠ وشارع كاليفورنيا ٥٥٥"، ١٦ آذار/مارس، ٢٠٠٧:
http:// www.vno.com/press-release/clndi9rcjl/vornado-to-acquire-70-controlling-interest-in-1290-avenue-of-the-americas-and-555-california-street

٤ مقابلة مع إنغبر، ٢٠١٦.

وتسعين صفحة، مع بيان لحملته الانتخابية يقدر أصوله بأكثر من عشرة مليارات دولار. لكن لم يجر التدقيق في الأرقام على نحو مستقل، وبعض التقديرات كانت تخالف تقديرات ترامب نفسه. فقد قيّم الملف "نادي ترامب الوطني للغولف"، في مقاطعة ويستشستر في نيويورك، بأكثر من خمسين مليون دولار[١]، لكن في دعوى قضائية سنة ٢٠١٥ يطلب فيها تخفيض الضرائب، جادل محاموه بأن النادي يساوي فعليّاً مليوناً وأربعمئة ألف دولار فقط[٢]. وقال آلان غارتن، وهو محامي شركة ترامب، إنه ينبغي تجنب المقارنة بين القيمتين، لأن إحداهما استخدمت للتخمين الضريبي والأخرى كانت تقديراً لسعر المبيع.

يمكن أن نجد في عائدات ضريبة الدخل الشخصية لترامب الإجابة عن الكثير من الأسئلة. فكل مرشحي الحزبين الرئيسين في السنوات الأربعين الأخيرة نشروا عائداتهم الضريبية[٣]. والعائدات تبين كم جمع ترامب من المال، وكم أنفق منه على الأعمال الخيرية، وكم مرة استخدم الحسومات الضريبية والملاذات الضريبية، وطرقاً أخرى لتقليص حجم فاتورة ضريبته. وقد ظهر ترامب على التلفزيون الوطني بعد بدء مسعاه الرئاسي، وتعهد كشف عائداته "الكبيرة جدّاً... الجميلة جدّاً". لكنه رفض بعد ذلك نشرها، ولم ينشرها حتى أواسط ٢٠١٦. قال إن المشكلة تمثّلت في أن ضرائبه كانت تخضع لتدقيق "دائرة الإيرادات الداخلية" لكنه أيضاً لم ينشر العائدات السابقة التي انتهى التدقيق فيها. وأكد أن الناخبين غير مهتمين بالأمر، وقال: "ليس فيها أي معلومات مفيدة"[٤].

وكثيراً ما تبجح ترامب بقدرته على دفع أقل ما يمكن دفعه إلى الحكومة، وهي عادةٌ وصفها بأنها "الطريقة الأميركية"[٥]. لكن ترامب شنّع على مديري الشركات لأنهم

---

١ التصريح المالي الشخصي لدونالد ج. ترامب، مودع لدى "لجنة الانتخابات الفيدرالية"، في ٢٠١٥، ٢٢.

2 Drew Harwell, "Trump Once Revealed His Income Tax Returns. They Showed He Didn't Pay a Cent."

3 Glenn Kessler, "Trump's False Claim That 'There's Nothing to Learn' from His Tax Returns," *Washington Post*, May 12, 2016.

4 Julie Pace and Jill Colvin, "AP Interview: Trump Says Big Rallies His Key Campaign Weapon," *Associated Press*, May 10, 2016.

٥ مقابلة ترامب مع تشاك تود في برنامج Meet the Press، في ٢٤ كانون الثاني/يناير، ٢٠١٦:
http://www.nbcnews.com/meet-the-press/meet-press-january-24-2016-n 503241

"ينجون بجريمتهم" باستغلالهم بعض الثغرات القانونية لتخفيض ضرائبهم: "إنهم يصنعون ثروة. ولا يدفعون ضريبة. هذه مهزلة، أليست كذلك؟"[١].

بقدر ما كان ترامب يتباهى بثروته، كان يمتدح نفسه بالسخاء. فقد أطلق على موقع شركته على الإنترنت اسم "صانع الصفقات السخي المندفع الذي عز نظيره"[٢]. وفي وليمة غداء لحملته الانتخابية، قال إنه أعطى أكثر من مئة مليون ومليونَيّ دولار للأعمال الخيرية منذ سنة ٢٠١١ حتى حزيران/يونيو ٢٠١٥. لكن صحيفة **واشنطن بوست** وجدت أن لا شيء من تلك الملايين جاء من نقود ترامب الخاصة، بل إن الكثير من تبرعاته كانت على هيئة أشواط مجانية بالغولف في ملاعبه تعطى في سحوبات بالقرعة ومزادات خيرية، وبالقيمة التي كان يحددها ترامب[٣]. كما أنه عدَّ في تبرعاته المالية مجموعة من الهبات المشابهة التي لم يكن يدفع فيها نقوداً. فقدم هبة خيرية سنة ٢٠١٥ للاعبة التنس سيرينا ويليامز Serena Williams، إذ أعطاها تذكرة رحلة من ولاية فلوريدا إلى موقع مباراة لها في ولاية فيرجينيا، وصنف الرحلة تبرعاً خيريّاً بألف ومئة وستة وثلاثين دولاراً وستة وخمسين سنتاً، وفقاً لسجلات اطلعت عليها وسائل الإعلام. وكان من ضمن هبته الخيرية صورة ذات إطار لويليامز[٤].

كانت عطايا كثيرة منه تأتي من مؤسسة خيرية لا ربحية تحمل اسمه، هي دونالد ج. ترامب، وهي مؤسسة لم تتلقَّ أي أموال من ترامب منذ سنة ٢٠٠٩ حتى ٢٠١٤[٥]. يقول ترامب إنه "يقدم الهبات في المقام الأول إلى عدد من المجموعات المختلفة". وعندما طلب منه في إحدى المقابلات أن يذكر تلك المجموعات التي انتفعت بهباته، رفض قائلاً: "لا، أنا لا أريد أن... لماذا يجب عليَّ أن أعطيك سجلات؟ لست مضطراً إلى إعطائك سجلات"[٦].

---

١ مقابلة ترامب في برنامج Face the Nation، في قناة CBS، ٢٣ آب/أغسطس ٢٠١٥.

2 2014 archive of Trump website biography http://web.archive.org/web/20140721012816/http://www.trumpcom/Donald_J_Trump / Biography.asp.

3 David A. Fahrenthold and Rosalind S. Helderman, "Missing from Trump's List of Charitable Giving: His Own Personal Cash," *Washington Post*, April 10, 2016.

٤ المرجع السابق.

٥ المرجع السابق.

٦ مقابلة مع ترامب، ١٣ أيار/مايو ٢٠١٦.

بعيداً عن ذلك، وعد ترامب في كانون الثاني/يناير ٢٠١٦ أن يهب مليون دولار من ماله الخاص للمحاربين القدماء - بالإضافة إلى ملايين الدولارات التي تجمع من العامة - لكنه لم يسلم حصته من المبلغ إلا بعد أربعة شهور، وذلك بعدما ألح عليه صحافي يعمل في **واشنطن بوست**، وهو ديفيد فارنتهولد David Fahrenthold، لمعرفة تفاصيل هبته[١]. قال ترامب لفارنتهولد: "واضح أنك تعلم أنك شخص مقرف"، "أنت فعلاً شخص مقرف. لقد وزعت ملايين الدولارات ولم يكن هناك ما يُلزِمني ذلك"[٢]. بُعيد ذلك، أعلن ترامب أنه أعطى مليون دولار لمؤسسة فرض القانون في مشاة البحرية. وعقد مؤتمراً صحافيّاً في برج ترامب أعلن فيه أنه وهب مبلغ المليون ونصف المليون الأخير الذي عهده إليه المتبرعون الآخرون قبل أربعة أشهر، ليصبح المجموع خمسة ملايين وستمئة ألف دولار، وهو أقل بقليل من الملايين الستة التي كان قد تم التزامها[٣].

قال ترامب: "لم أكن أتطلع إلى الثناء، لكن لم يكن لدي خيار إلا أن أفعل ذلك لأن الصحافة كانت تقول إنني لم أجمع أي مبلغ لأولئك". وصف وسائل الإعلام بأنها "كاذبة" و"متحيزة"، عدا مراسل تلفزيوني وصفه بأنه "دنيء"، وعلق بقوله: "سأستمر في انتقاد الصحافة"[٤].

الترويج للذات، والتبجح، والتقاضي... كان ترامب واضحاً بشأن اللجوء إلى كل تلك الأساليب، بل أكثر منها، وذلك لحماية صورته وتحقيق غايته المنشودة: كسب المال. قال يصف مهنته بصراحة: "أنا أمثل دونالد ترامب"[٥]. أما الآن، وهو يسعى إلى الرئاسة، فإن صاحب المليارات الكثيرة كما يصف نفسه سيحتاج إلى إقناع الناخبين بأنه قيمته للبلد أكبر من ثروته الصافية، وأن بوسعه أن يكون بطلاً لما يتجاوز شخصه.

---

1 David A. Fahrenthold, "Four Months after Fundraiser, Trump Says He Gave $1 million to Veterans Group," *Washington Post*, May 24, 2016.

٢ المرجع السابق.

3 David A. Fahrenthold and Jose A. DelReal, "Trump Rails against Scrutiny over Delayed Donations to Veterans Groups," *Washington Post*, May 31, 2016.

٤ المرجع السابق.

٥ مقابلة ترامب مع روبرت أوهارو ودرو هارويل، **واشنطن بوست**، أيار/مايو ٢٠١٦.

الفصل الثامن عشر

"ترامب! ترامب! ترامب!"

كان كل ما يحيط بحملة ترامب لنيل ترشيح الحزب الجمهوري خارجاً عن المألوف منذ اليوم الأول الذي أعلن فيه ترشيحه. عندما كان يهبط بالمصعد إلى ردهة برج ترامب، كان المعروف عنه أنه رجل أعمال ثري، ومتعهد لتطوير أبنية باذخة، ونجم في برنامج تلفزيون الواقع، ورجل عابث لا يهدأ، وشخصية دائمة على صفحات صحف الشائعات، ويحمل اسماً تحوّل إلى علامة تجارية في كل أنحاء العالم. لم يكن معروفاً عنه أنه رجل سياسة. كانت فكرة الترشح للرئاسة قد داعبت خياله يوماً لكنه أحجم. توقع الجميع أن تكون هذه المرة كسابقتها. كان معدو البرامج الكوميدية التي تعرض آخر الليل هم فقط من يأملون في أن يستمر ترشيحه وقتاً كافياً بما يتيح لهم الاستفادة منه لانتزاع الضحكات.

كان الكل على خطأ، والواقع أن ترامب تحدى كل التوقعات بشأن حملته. أعاد رسم قواعد السياسة الرئاسية في الوقت الذي كان فيه يقلب الحزب الجمهوري رأساً على عقب ويقسم الحزب. ربما كان غرّاً في السياسة، لكنه كان يتمتع ببصيرة لا تخطئ بشأن مصدر غضب العديد من الأميركيين. كانت مهاراته في التواصل مناسبة تماماً لعصر تلفزيون الكابل الذي يبث على مدار الساعة، وإمكانية الوصول الفورية إلى "تويتر"، وجلافة وسائل الإعلام الرقمية الفظة، وتبادل الحديث مع أشخاص لا تُعرف هويتهم. كان يلقي بملاحظات استفزازية، غالباً ما تفتقر إلى الدقة، بل لم يكن

أي مرشح عادي ليجرؤ على التفوه بها. وبالإضافة إلى أنه كان بذلك يشغل وقت الباحثين عن الحقائق، كان غالباً ما ينجو من عواقب ملاحظاته. وهو إذ يفعل كل ذلك، كان يجعل من عدد من الأساليب السياسية القديمة والمقبولة، أساليب عاجزة عفّى عليها الزمن. مرّت معركته الطويلة للحصول على ترشيح الحزب الجمهوري بتقلبات عدة، لكنَّ اليوم الأهم في مسار تلك المعركة كان السادس عشر من حزيران/يونيو ٢٠١٥، يوم تغير كل ما يمت للسباق الجمهوري بصلة، رغم أن أحداً لم يدرك ذلك، ولا حتى ترامب ذاته.

في اليوم الذي سبق، كان جيب بوش قد أعلن ترشيح نفسه من ميامي. كان حاكم فلوريدا السابق يمثل تهديداً حقيقياً، أو هكذا خيّل للجميع. فقد كان قد جمع أكثر من مئة مليون دولار لتمويل حملته، كُدِّس معظمها في لجنة للعمل السياسي ذات مستوى ممتاز، أطلق عليها اسم "الحق في النهضة بالولايات المتحدة Right to Rise USA". وكان يأمل في استخدام اللجنة المذكورة لإضعاف عزيمة منافسيه ولتدميرهم. وبوصفه أخاً لرئيس جمهورية سابق وابناً لرئيس آخر، فقد كان يحمل الاسم الثاني الأكثر التزاماً في سياسة الحزب الجمهوري المعاصرة بعد رونالد ريغان. ورغم أن جيب بوش مرَّ بمرحلة ارتكب فيها بعض العثرات،[١] ورغم بوادر السأم من اسم بوش التي بدأت تظهر في صفوف المقترعين، (كان) المرشح المفضل.

منذ اللحظة التي أعلن فيها دونالد ترشيحه، ذهبت النصوص التقليدية في الحملات المستخدمة أدراج الرياح. تبيّن أن الحشد المتجمع في ردهة برج ترامب يضم بين صفوفه أشخاصاً جاؤوا مدفوعين بإغراء الحصول على قمصان قطنية مجانية[٢] وبحوافز أخرى. كان مدير الحملة كوريه ليواندوسكي قد قضى عطلة نهاية الأسبوع الفائتة في إعداد خطاب إعلان الترشيح، مع بعض المساعدة طبعاً. وكان قد راجع الخطاب مع ترامب لإبراز الأفكار الأساسية في الرسالة التي سيحملها الخطاب. كان إلقاء النص الذي جرى إعداده يستغرق سبع دقائق. وكان ليواندوسكي قد حفظ الخطاب عن ظهر قلب. لذلك، عندما تجاوزت ملاحظات ترامب عشر دقائق، ثم عشرين دقيقة، وتابع

1 Ed O'Keefe, "Jeb Bush Announces Presidential Bid: 'We Will Take Command of Our Future Once Again,' "*Washington Post*, June 15, 2015.

٢ مقابلة كوري ليواندوسكي مع دان بالز وجينا جونسون، ١٩ أيار/مايو ٢٠١٦.

حتى وصل إلى أربعين، قال ليواندوسكي في نفسه: سيكون الأمر مختلفاً هذه المرة.

في كانون الأول/ديسمبر الأسبق، كان ليواندوسكي، وهو ناشط سياسي في الحزب الجمهوري من هامبشاير يفتقر إلى الخبرة في الحملات الرئاسية، قد قابل ترامب لمدة ثلاثين دقيقة. في نهاية المقابلة، كان قد تم توظيفه لإدارة حملة كان لا يدري بوجودها سوى بضعة أشخاص فقط، وذلك لمصلحة مرشح لا يثبت على موقف. وسرعان ما نأى الأخير بنفسه عن عدد من المواقف التي كان قد تبناها لسنوات. فصار يعارض حق الإجهاض وتقييد حرية حمل السلاح. صار يدعو إلى إبعاد المهاجرين رغم أنه سخر عام ٢٠١٢ من سياسة ميت رومني Mitt Romney "الحمقاء[1] في الإبعاد الذاتي [أسلوب للتعامل مع مشكلة المهاجرين غير الشرعيين في الولايات المتحدة يدعو إلى تبني إجراءات تصعّب الحياة على المهاجرين وتدفع بهم إلى ترك الولايات المتحدة طوعاً]، التي كانت أشبه بالجنون. كانت تبدو فاشلة بقدر ما كانت فاشلة، لقد خسر أصوات اللاتينيين. خسر أصوات الآسيويين. خسر أصوات كل من يفكر في القدوم إلى البلاد".

بعدما بدأ ترامب يتحدث في المهرجانات التي كانت تنظَّم في كل أنحاء الولايات المتحدة، تخلى عن فكرة القراءة من نص مُعَد سلفاً. كان يرى النصوص مجرد ملاحظات عامة. وكانت ملاحظاته المرتجلة تزخر بالجمل المؤثرة والتظاهر النرجسي بالشجاعة. أصر على تمويل حملته بنفسه. ونعت زعماء البلدان بالحمقى، وسخر من عشرات السنين التي أبرمت فيها اتفاقات التجارة الدولية، وقال عنها إنها قضت على فرص العمل، وحذّر من خطر "داعش". قال إن الولايات المتحدة تحولت إلى "مكب نفايات لمشكلات الجميع". أعلن موت الحلم الأميركي وتعهد "إعادة عظمة أميركا". ودعا إلى اتخاذ إجراءات حاسمة ضد الهجرة غير الشرعية:

> عندما ترسل المكسيك مواطنيها، فإنها لا ترسل الأفضل منهم... بل ترسل الأشخاص أصحاب المشكلات... وهم يجلبون معهم المخدرات.

1 Ronald Kessler, "Donald Trump: Mean-Spirited GOP Won't Win Elections," Newsmax, November 26, 2012.

يجلبون الجريمة.[1] ينفذون الاغتصاب. ولا أنكر أن بعضهم أناس طيبون.

نظر إلى الحدث كفسحة كوميدية في الحملة الرئاسية المتعثرة. مع ذلك، يُظهر الحدث المذكور بوضوح ما ستحمله الأيام المقبلة. لا يمكن تغيير ترامب. كان ينوي أن يكون شخصاً لا يمكن التنبؤ بتصرفاته. كان الإنسان العفوي المقلق، وكان مفرطاً في الثقة بحدسه الغريزي. كما أنه لن يتصرف كما ينبغي للسياسي أن يتصرف، فقد كان يوزّع الإهانات على الأشخاص والمجموعات متحدياً بذلك الأعراف السياسية. أُطلق عليه اسم المهرج السياسي. لكن ترامب أحس بمكمن العلل وبسبب غضب العديد من الأميركيين، وعرف كيف يتحدث معهم بلغتهم.

بعد ساعات من إعلان ترشيحه، طار إلى أيوا ودخل قاعة هويت شيرمان في ديس موينز، ليُقابَل بعاصفة من صيحات الابتهاج والتصفيق. قالت كاتي واطسون Kathy Watson التي حضرت بالسيارة مع زوجها دون من أوتوموا: "إنه لا يخاف. فهو ليس سياسياً".[2] ومهما كان رأي مؤسسة الحزب في ترامب، فقد كان العديد من الناخبين يرونه جذاباً ويأخذونه على محمل الجد. راقب ستيف شيفلر Steve Scheffler، وهو عضو اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري في أيوا وزعيم الحركة الاجتماعية المحافظة، ترامب، وقرر أنه ليس مجرد طرفة: "لا يمكن التقليل من أهميته إطلاقاً".[3]

في اليوم التالي، أطلق رجل أبيض في الواحدة والعشرين من عمره النار داخل كنيسة تاريخية للسود في تشارلستون في كارولينا الجنوبية، فقتل تسعة أشخاص. بعد حادث إطلاق النار، قالت هيلاري كلينتون في إحدى المقابلات إن العنف العنصري غالباً ما يؤججه الخطاب العام. حذرت كلينتون من البلاغيات الملتهبة:

> على سبيل المثال، ورد في إحدى الكتابات الصادرة عن الحملة الرئاسية للحزب الجمهوري عبارات تؤجج المشاعر[4] ضد المكسيكيين. ينبغي

1 Transcript of Trump announcement, http://time.com/3923128 /donald-trump-announcement-speech/

٢ مقابلة دون وكاتي مع بالز، ١٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٥.

٣ مقابلة ستيف شيفلر مع بالز، ١٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٥.

٤ مقابلة كلينتون مع جون رالستون، *Ralston Live*, Ralston reports.com, June 18, 2015.

للجميع التصدي لذلك والقول إن هذا النوع من الخطاب ليس مقبولاً.

رأى مساعدو ترامب تعليق كلينتون بمنزلة العنصر الحفاز الذي ولّد موجة من الاحتجاجات ضد ترامب. اتخذت الشركات إجراءات سريعة بضغط من زبائنها: تراجعت Univision، وهي أكبر شركة إعلامية تبث باللغة الإسبانية على المستوى الوطني، عن خططها بالنقل المباشر لحفل انتخاب ملكة جمال أميركا، المزمع إقامته في تموز/يوليو، وألغت شركة NBC Universal، التي شاركت ترامب في برنامج "المتدرّب" علاقاتها معه، كما قاطعته كل من مؤسسة PGA، المنظّمة لمباريات الغولف، وNASCAR المنظّمة لسباق السيارات، وتراجع الطباخ جوزيه أندرس José Andres عن خطته بشأن افتتاح مطعم في الفندق الذي كان ترامب يبنيه في جادة بنسلفانيا في واشنطن. شعر رئيس "اللجنة الوطنية الجمهورية"، رينس بريبوس Reince Priebus، بالقلق، فاستدعى ترامب وطلب منه التخفيف من حدة خطابه.

هدّد المحتجّون على تصريحات ترامب بأنهم سيحاولون منع دخول الزبائن إلى متجر Macy's، الذي كان يعرض ملابس تحمل علامة ترامب. وفي مواجهة تلك التهديدات، اتصل المديرُ التنفيذي الرئيسي في المتجر، تيري لاندغرين Terry Lundgren، بالمرشح – الذي كان يرى أنه من أصدقائه – وأخبره أنه سيتوقف عن بيع الثياب التي تحمل اسمه. تذرّع ترامب، الذي تلقى المكالمة أثناء استعداده لإلقاء خطاب أمام المقترعين في نيوهامشاير بأن الاحتجاجات لن تطول، أو لن يكون لها تأثير جدي. عندما نودي على ترامب لاعتلاء المنصة، قال لتيري لاندغرين: "افعل ما بدا لك.[1] لا يهمني". في اليوم التالي، أعلن متجر Macy's أنه قطع علاقته بترامب بسبب تصريحاته التي "تتعارض مع قيم المتجر". لم يتبادل الرجلان الحديث بعد ذلك. قال ترامب عام ٢٠١٦: "كانت تلك أسوأ لطمة[2] تلقيتها في حياتي. كان قد بقي على موعد [الانتخابات] العامة سنة ونصف، قلت لنفسي: هل ستكون الحال على هذا المنوال كل يوم؟".

١ مقابلة ترامب مع بالز وجونسون. قال المتحدث باسم Macy's إن لندغرين لم يعلق على هذا الحديث مع ترامب.

٢ مقابلة ترامب مع بالز وجونسون.

في بداية تموز/يوليو، أعد فريق ترامب لمهرجانه الكبير الأول، فحجز قاعة في منتجع فخم في فونيكس. عندما طلب آلاف الأشخاص الحصول على بطاقات، نقل المسؤولون في الفريق مكان المهرجان إلى قاعة المؤتمرات القريبة. في الحادي عشر من تموز/يوليو، اصطف الآلاف خارج القاعة. وفي الداخل، كان أكثر من أربعة آلاف من المؤيدين لترامب يصرخون تحية له (ادعى لاحقاً أن عدد المحتشدين كان خمسة عشر ألف شخص). بينما كان ترامب يسير ببطء على ممشى يمر وسط الجمهور المحتشد، رفع إبهاميه إلى الأعلى ودار حول نفسه ببطء كأنه مغنٍّ شعبي مسن في جولة يعود فيها إلى جمهوره بعد غياب ليرى أن تذاكر الحفل قد بيعت جميعها. صاح وسط صراخ المبتهجين: "يا إلهي، هذا لا يصدق". كان ذلك الحشد البرهان الذي يحتاجه ترامب للدلالة على أنه يفهم مخاوف الأميركيين ورغباتهم أفضل مما يفهمها الآخرون في الحزب. صرخت الحشود مبتهجة عندما علن ترامبأعلن ترمب أن المهاجرين غير الشرعيين كانوا "يتدفقون كالماء" عبر الحدود، وأنه إذا أصبح رئيساً، "فسوف نستعيد بلدنا".[1] صاح أحد الحضور: "ابن جداراً!". أقلقت تعليقات ترامب في ذلك اليوم السيناتورَ جون ماكين John McCain، وهو النائب الجمهوري عن أريزونا، الذي كان يسعى إلى تطبيق إصلاحات شاملة تتعلق بالهجرة. قال ماكين: "لقد أجج مشاعر المجانين الهائجين".[2]

بعد أسبوع، جلس ترامب في مقعد مريح على منصة في ريف أيوا أمام حشد من المسيحيين الإنجيليين البروتستانت. تحداه فرانك لونتز Frank Luntz، وهو منسق الندوة والمسؤول عن استفتاءات الرأي في الحزب الجمهوري، بأن يحاول الدفاع عن تصريحاته السابقة، وخصوصاً المتعلقة بوصف المهاجرين بالمجرمين المغتصبين، أو بوصف ماكين بأنه "غبي". وسأله لونتز: "هل يليق هذا في حملة الترشيح للرئاسة؟". أجاب ترامب: "مجانين!". "قال عنهم جميعاً إنهم جميعاً مجانين... هؤلاء أميركيون عظماء". وصف ترامب ماكين، وهو مرشح الحزب القديم العظيم

1 Donald Trump, Phoenix, Arizona, July 11, 2015, Full Speech-Donald J. Trump for President," published on July 17, 2015
https://www .youtube.com/watch?v=sPED92gRpsY.

2 McCain, quoted in Ryan Lizza, "John McCain Has a Few Things to Say about Donald Trump," *New Yorker*, July 16, 2015.

[الجمهوري] لعام ٢٠٠٨، بأنه "فاشل". وسط ضحك الحاضرين، رد لورنتز: "إنه بطل حرب! بطل حرب!".

قال ترامب بسخرية: "هو ليس بطل حرب. هو بطل حرب لأنه وقع في الأسر. أنا أحب الأشخاص الذين لا يؤسرون[١]. مفهوم؟".

بينما كان ترامب يغادر المنصة، اقترب منه ليواندوسكي وطلب الحديث معه على انفراد، "أغلقت الباب وقلت: يا إلهي!"، أعاد على مسامعه ما قاله للتو على المنصة وأخبره بمدى الإساءة التي تنطوي عليها أقواله. قرر ترامب عقد مؤتمر صحافي ليشرح الأمر بنفسه. استمرت الأسئلة النارية لمدة نصف ساعة تقريباً وكانت، كما قال ليواندوسكي، "موجعة". رفض ترامب الاعتذار واتهم ماكين بأنه لم يفعل ما يكفي لحماية المحاربين القدماء[٢] أو لدعم إدارة المحاربين القدماء.

كان أكثر منافسي ترامب قد ترددوا في مهاجمته بسبب تعليقاته حول المهاجرين غير الشرعيين يوم إعلان ترشيحه. لكنهم انقضوا في تلك اللحظة ظناً منهم أن هذا المنافس المرتد عن حزبه قد ارتكب غلطة مميتة. كان المحلل الإستراتيجي تشيب سالتسمان Chip Saltsman موجوداً ذلك اليوم مع مرشحه حاكم أركنساس الأسبق مايك هوكابي Mike Huckabee. قال سالتسمان: "كنت مقتنعاً – شأن ٩٨% من الناس – أن تلك الحملة ستكون حملة قصيرة [لترامب]. قال الحاكم: لا، ليس بهذه السرعة. قال إن أرقامه قد ترتفع فعلاً.[٣] أجبت: مستحيل". كان هوكابي على صواب. بحلول أواخر تموز/يوليو، كان ترامب متقدماً على سبعة عشر مرشحاً جمهورياً. قال مايك غلاسنر Michael Glassner، الذي كان قد التحق أخيراً بفريق ترامب، إن تداعيات الجدل الذي دار بشأن ماكين أجبرته على إعادة تقييم المواهب التي تجلت خلال ثلاثة عقود من العمل السياسي... "كان ذلك الحادث هو اللحظة التي بدأت أدرك فيها أن الكثير مما كنت أعتقد أنني أعرفه عن الحملات السياسية، لم يكن ينطبق على هذه الحالة".[٤]

1 Presidential Candidate Donald Trump at the Family Leadership Summit," C-SPAN.org http://www.c-span.org/video /?327045-5/presidential -candidate-donald-trump-family-leadership-summit

٢ مقابلة ليواندوسكي مع بالز وجونسون

٣ مقابلة تشيب سالزمان مع بالز، ١٧ أيار/مايو، ٢٠١٦.

٤ مقابلة مايكل غلاسنر مع بالز وجونسون، ٢٣ أيار/مايو، ٢٠١٦.

وصل صيف ترامب إلى الأوج. حدث الاختبار التالي في بداية آب/أغسطس، عندما استضافت شبكة Fox News أول مناظرة للمرشح الجمهوري. عينت الشبكة المحافظة ثلاثة من ألمع صحافييها في اللجنة التي كانت ستجري المناظرة، وهم: برايت باير Bret Baier، وكريس واليس Chris Wallace، وميغان كيلي Negan Kelly. بالنسبة إلى ترامب، كانت المناظرة أرضاً مجهولة. فقد كان نجماً في برنامج تلفزيون الواقع، لكن السياسيين كانوا مناظِرين محنكين. طرح ذلك الحدث المشحون سؤالاً أساسياً: هل سينال ترامب قصاصه عندما تصل الحملة إلى مناورات الهجوم والدفاع في المناظرات المنقولة على الهواء؟

جلس ترامب في الوسط بوصفه الأول في استطلاعات الرأي، توجّه إليه باير بالسؤال الأول: "هل يوجد أحد هنا، وأنا أرى بعض الأيادي ترتفع، لا يرغب الليلة في مناشدتك دعم المرشح النهائي للحزب الجمهوري، وتجنب حملة مستقلة ضد هذا الشخص؟". أدرك ترامب، وهو الذي غير انتماءه الحزبي سبع مرات خلال أربعة عشر عاماً، مباشرة، أن هذا السؤال كان بمنزلة اختبار لولائه للحزب الذي ينتمي إليه. كان هو المرشح الوحيد الذي اعترض، وكانت هذه حركة خطيرة[١] أمام جمهور يؤيد الحزب الجمهوري. قال لاحقاً: "الجواب الصادق هو ما قدمته".

جاء السؤال الأصعب من كيلي. طلبت من ترامب أن يشرح السبب الذي دعاه إلى وصف النساء بأنهن "خنازير بدينة وكلبات وقذرات وحيوانات مقرفة". حاول ترامب تفادي السؤال. قال دون أن يرتسم أي تعبير على وجهه: "فقط، روزي أودونيل"، سُرَّ العديد من الحاضرين لإجابته. وعندما ضغطت عليه ليقدم إجابة جدية، قال: "أعتقد أن أكبر مشكلة في هذا البلد هي صحة التوجّه السياسي".[٢] تملكه غضب شديد من كيلي لكنه ضبط لسانه. اتهمها بعد المناظرة بمحاولة تخريب ترشيحه: "كان بإمكانك رؤية الدم وهو يتدفق من عينيها، ومن أماكن أخرى في جسدها". فُسِّرت تلك الملاحظة الفظة على أنها إشارة إلى دورتها الشهرية. أصر هو على أنه كان يقصد أنفها وأذنيها.[٣] كانت تلك أيضاً غلطة جسيمة لا داعي لها. ومرة أخرى

---

١ مقابلة ترامب مع بالز وجونسون.

2 Republican Presidential Candidates Debate, Fox News, August 6, 2015.

3 Philip Rucker, "Trump Says Fox's Megyn Kelly Had 'Blood Coming Out of Her Wherever,'

بدا أن لا أهمية لذلك.

هيمن ترامب على الأخبار خلال ذلك الصيف. كان آلة لتحقيق نسب مشاهدة عالية. اجتذبت مناظرة Fox أربعة وعشرين مليون مشاهد، وهو أعلى رقم حققته مناظرة أولية. بدأت شبكات الكابلات نقل مهرجاناته على الهواء مباشرة. صار المذيعون يقرؤون ملاحظاته وتغريداته المتفرقة على "تويتر"، التي كان يطلقها في منتصف الليل. وبدلاً من الذهاب إلى الاستوديوهات لإجراء مقابلات، صار ترامب يحل ضيفاً على البرامج الإخبارية، وحتى على برامج صباح الأحد التي نادراً ما كانت تسمح بمقابلات كهذه. كان يتصل بالصحافيين لتبادل الحديث معهم وهو جالس في مكتبه أو داخل سيارته.

ورغم أنه كان دائماً يستخف بوسائل الإعلام ويصف الإعلاميين بأنهم "منبوذون غشاشون" خلال مهرجاناته، كان يتيح للصحافيين إمكانية التواصل معه على نحو غير مسبوق. وبذلك، حدّد التوجه العام لمنافسيه الجمهوريين كما حدد لهم أجندتهم، وكان هؤلاء قد صاغوا مقاربتهم السياسة على أساس القواعد القديمة، مع التركيز على استخدام لغة منتقاة بعناية مع وسائل الإعلام، وعلى مواقف محترمة ذات أسلوب متطابق مع منافسيهم. لكن قواعد ترامب جعلت الأساليب القديمة تبدو مضحكة. قال داني دياز Danny Diaz وهو مدير حملة بوش: "سواء أكنت مرشحاً يأتي ترامب على ذكْره، أم مرشحاً يتجاهله ترامب، فإن كل سؤال[1] تطرحه عليك وسائل الإعلام الوطنية، كان يتضمن اسم دونالد ترامب".

في بداية حملة ترامب، كانت الإستراتيجية تتطلب منه الاستفادة من شهرة اسمه لتحسين معدلات تأييد الناس له تدريجياً، فقد كانت تلك المعدلات سلبية. كان فريقه يأمل في أن يصبح في الصف الثاني من المرشحين، وينطلق من هناك في ما بعد. قال له ليواندوسكي: "تحرك ببطء تحت شاشة الرادار لبعض الوقت، لا تتلقّ كل السهام".[2] تسارع ذلك الجدول الزمني. كان وضع ذلك الرجل، الغريب عن الحزبين، شديد

"*Washington Post*, August 8, 2015. Also, Trump on *Today*, NBC, August 10, 2015 http://www.today.com/news/donald-trump-megyn-kelly-blood-comment-wasnt-meant-be-insult-t37681

١ مقابلة داني دياز مع بالز، ٢٥ أيار/مايو، ٢٠١٦.
٢ مقابلة لواندوسكي مع بالز وجونسون.

الجاذبية بالنسبة إلى الناخبين الذين شعروا بخيانة كلا الحزبين لهم. كانت الحملة الجديدة بسيطة ومختلفة جذرياً. سوف تكون قوية، وسوف يبدو ترامب كأنه يخوض حملة انتخابات عامة لا حملة تمهيدية. بدأ ينظم مهرجانات ضخمة، ويعلّق على الأخبار اليومية، ويهيمن على الإعلام المباشر، ويهاجم كل من يتحداه. كان يظهر على وسائل الإعلام – شغل من أوقات البث[1] ما تعادل قيمته ملياري دولار استناداً إلى إحدى التقديرات – ولم يكن بحاجة إلى إنفاق الملايين على الإعلانات التلفزيونية.

كانت المهرجانات التي ينظمها تضم خمسة آلاف شخص، أو عشرة آلاف شخص، أو حتى عشرين ألفاً. كان وجوده يملأ ساحات المعارض والملاعب. يقول مايك دوهايم Mike Duhaime الذي كان المحلل الإستراتيجي الرئيسي في حملة حاكم نيوجرسي، تريس كريستي، إن "كل من يقول إن ذلك لا يثير الدهشة[2] ولا يدل على شيء، إنما يخدع نفسه". في إحدى ليالي آب/أغسطس[3]، جذب ترامب ألفي شخص على الأقل إلى مهرجان نظمه في ديري في نيوهامشاير. وعلى بعد عشرين ميلاً في ميريماك، كان بوش يتحدث أمام جمهور لا يزيد عدده على مئة وخمسين شخصاً.

كان أسلوب ترامب المفضل، المتمثل في تنظيم المهرجانات الضخمة بدلاً من تجزئة الحملة إلى عدة مستويات، ينسجم مع عاداته الشخصية. عندما بدأ الحملة، كان يتفادى مصافحة الناخبين بسبب رهاب الجراثيم الذي يسيطر عليه. كان يحتفظ في مكتبه بوعاء مليء بمادة معقمة لليدين، ويفضل التعامل مع سلاسل مطاعم الوجبات السريعة، إذ كان يعتقد أنها أنظف من المطاعم. ورغم أنه يعيش في قصر مذهب يشرف على الجادة الخامسة ويذهب لحضور مهرجاناته في طائرته الخاصة، فقد قدم نفسه بوصفه الصوت المعبّر عن الطبقة العاملة المسحوقة. كان مختلفاً تماماً عن المرشحين السابقين للحزب الجمهوري: رجل أعمال فخور لا يعرف أسلوب التصرف السياسي الصحيح، ويرفض الاعتذار عن أي شيء، حتى لو ندم على ما قاله. زاد ذلك العناد جاذبيته.

---

1 Nicholas Confessore and Karen Yourish, "$2 Billion Worth of Free Media for Donald Trump," *New York Times*, March 15, 2016.

٢ مقابلة مايك دوهايم مع بالز، ١٧ أيار/مايو، ٢٠١٦.

3 Heather Haddon and Beth Reinhard, "Donald Trump and Jeb Bush Duel at Competing Events in New Hampshire," *Wall Street Journal*, August 19, 2015.

حتى هيكلية حملة ترامب[1] كانت تتحدى الأعراف السياسية. فبدلاً من توظيف شبكة ضخمة من المستشارين، تمكن ترامب من تدبير أموره خلال الجزء الأكبر من معركة الترشيح بجهاز أساسي مؤلف من خمسة موظفين مخلصين: ليواندوسكي، وغلاسنر، والمتحدثة باسم الحملة هوب هيكس Hope Hicks، ومدير شؤون وسائل التواصل الاجتماعي دان سكافينو الابن Dan Scavino، والمسؤول عن إعداد الترتيبات الأولية جيغيكوس George Gigicos إلى جانب بضع عشرات من الموظفين الحكوميين الذين لا يتقاضون أجراً عالياً. سخر المناوئون له ومستشارو الحملات من الوضع المتردي الذي سيصل إليه ترامب بسبب هذه التركيبة الهزيلة. لكن المرشح كان يتباهى بفريقه الصغير ويراه مثالاً على الفعالية والكفاءة. كان المستشارون الخمسة يسافرون معه عادة ويتخذون القرارات على متن الطائرة أثناء مراقبتهم تلفزيون الكابل. وكان ليواندوسكي يحب التبجح بأنه كان يجري مقابلات مع كبار العاملين في حملات الحزب الجمهوري لتوظيفهم، ثم يرفضهم عندما يعرف المبلغ الذي يرغبون في تقاضيه.

وبينما كان القائمون على الحملات الأخرى يوافون الصحافيين سراً بدراسات تسيء إلى منافسيهم، كان ترامب يخوض علناً في الشائعات والقصص القذرة. ولكي يثبت أن لديه رقم الهاتف الخليوي الشخصي للسيناتور ليندسي غراهام، قرأه بصوت عالٍ أثناء أحد المهرجانات. كما أشار إلى روايات غير مؤكدة ظهرت في صحف الشائعات تتهم تيد كروز Ted Cruz بخيانة زوجته مع عدة نساء. واتهم الرئيس بيل كلينتون مراراً باستغلال النساء جنسياً. وفي مرحلة تالية من الحملة، حاول زوراً ربط والد كروز، الكوبي المولد، بقاتل الرئيس جون ف. كينيدي: لي هارفي أوزوالد Lee Harvey Oswald. شبّه ليواندوسكي السمة المبتكرة في إستراتيجية ترامب بطابع حملة أوباما عام ٢٠٠٨، قائلاً: "لا يمكن تكرار حملة كهذه".[2] في ما يخص هذه الفكرة، لا يمكن لأحد أن يعارضه.

دمر ترامب الحملات واحدة تلو أخرى. بدأ بحملة المرشح الأول المزعوم. سخر

---

١ مقابلة ليواندوسكي مع بالز وجونسون.

٢ المصدر نفسه.

ترامب من بوش بوصفه جيب "خفيض الطاقة"، وهو أحد النعوت التحقيرية المتعددة التي كان خبير التسميات يطلقها على منافسيه. تبع ذلك وصفه روبيو Rubio بـ"ماركو الصغير" وكروز بـ"تيد الكاذب". يتذكر ترامب ما كان يقوله آنذاك: "قلت خفيض الطاقة وكان ذلك مسلياً. قلت ذلك في أحد الخطابات، وضج المكان حال ما قلت ذلك".[1] لصق الاسم فوراً ببوش الذي أثبت أنه كان يفتقر إلى ثرثرة أخيه المسترخية في جولات الحملة الانتخابية. كان الدمار واضحاً لمستشاري بوش، لكن افتقارهم الإجماع بشأن ما ينبغي فعله جعلهم عاجزين عن التصرف. دعا بعضهم إلى تنظيم رد فعل هجومي. حذّر آخرون من الانجرار "إلى حظيرة الخنازير بصحبة خنزير".[2] في النتيجة، لم يفعلوا شيئاً؛ أهملوا ترامب وحاولوا تحويل تركيز الناخبين على سجل بوش في فلوريدا. لكن تبين أن سوء فهم إحباط الناخبين الجمهوريين كان خطأً قاتلاً. قال غلاسنر: "ربما كان أسوأ قرار اتخذوه هو ألا يغيروا شيئاً أو ألا يتفاعلوا مع الواقع".[3]

اختار ريك بيري Rick Perry الصدام. شن حاكم تكساس السابق، الذي لم يكن لديه ما يخسره، والذي كانت حملته عام ٢٠١٢ قد انتهت بإذلاله وكانت محاولته عام ٢٠١٦ تتعثر حتى قبل دخول ترامب على الخط، هجوماً كاسحاً ولاذعاً على الرجل الذي كان يختطف الحزب المحافظ في البلاد. وصف ترامب بأنه "مزيج سام من الديماغوجية والخواء الروحي الحقير والتفاهة"، وبأنه "سرطان يفتك بالنزعة المحافظة".[4] ارتد الهجوم، الذي حدث في الثاني والعشرين من تموز/يوليو، عن ترامب دون أن يخلف أي أثر. في بداية أيلول/سبتمبر، خرج بيري من السباق.

بعد عشرة أيام من خروج بيري، تبعه سكوت ووكر Scott Walker إلى الخط الجانبي للملعب. لم يكن انكفاء بيري ليشكّل مفاجأة لكن انكفاء ووكر كان مفاجأة. فقد كان حاكم ويسكونسن قد أصبح بطل المحافظين على مستوى البلاد بعدما تغلب على النقابات في ولايته، وبعد نجاحه في تجاوز الاقتراع المباشر لإزاحته عن منصبه.

١ مقابلة ترامب مع بالز، ١٠ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.

2 Ed O'Keefe, Dan Balz, and Matea Gold, "Fall of the House of Bush: How Last Name and Donald Trump Doomed Jeb," *Washington Post*, February 21, 2016.

٣ مقابلة غلاسنر مع بالز وجونسون.

4 Rick Perry, "Defending Conservatism against the Cancer of Trump-ism," RickPerry.org, July 22, 2015.

ظل يتصدر استطلاعات الرأي إلى أن جاء ترامب. لكن شخصية ترامب المهيمنة أطاحت بووكر، فقد هوت أرقامه في استطلاعات الرأي وخبا حضوره في المناظرات. لم تستطع شخصيته الباهتة الوقوف في وجه شخصية ترامب الاستعراضية. قال ووكر لاحقاً: "إذا لم نستطع أن نتغير حتى نتمكن من كسب مزيد من الاهتمام،[1] إذاً، لا سبيل لنا إلى الترشيح". عندما انسحب، شجع باقي المنافسين الخمسة عشر على اللحاق به لإفساح المجال أمام شخص يحمل رسالة محافظة إيجابية يواجه بها ترامب، لكن على غير طائل، إذ ظل الحراك في الميدان يميل إلى ترامب.

تحولت حملة الحزب الجمهوري لعام ٢٠١٦ إلى سنة الدخلاء على السياسة، فقد استنفدت قواها على خلفية الغضب من المؤسسة السياسية. كانت كل استطلاعات الرأي تقريباً تُظهِرُ أن اثنين من خارج مجال السياسة - ترامب والدكتور بِن كارسون Ben Carson وهو جراح أعصاب مرموق متقاعد - كانا يحصلان على أكثر من ٥٠% من أصوات الجمهوريين. وصلت الفكرة إلى المحللين الإستراتيجيين لدى بقية المرشحين وعدّلوا خطابهم على هذا الأساس، لكن في الأوساط الداخلية كان معظم الأشخاص يعتقدون أنه ما إن يصل المقترعون إلى الانتخابات، حتى يتعثر المرشَحان المبتدئان. قال ويت أيريس Whit Ayres وهو المسؤول عن استطلاعات الرأي في حملة روبيو: "كنا على حق تماماً في ما يتعلق ببين كارسون، أما في ما يتعلق بترامب، فقد كنا مخطئين تماماً".[2]

أكدت الرغبة في مرشح لا يتمتع بأي خبرة سياسية مدى قلة الاكتراث التي يشعر بها العديد من الناخبين. كان شعار ترامب، الذي أصبح علامة له، "فلنُعد إلى أميركا عظمتها"، يبشر بالعودة إلى أوقات أفضل - اقتصادياً وثقافياً - في ماضي أميركا. لم يكن ترامب يقدم أيديولوجيا، بل رحلة حنين إلى مكان أفضل. وصف جيمس و. سيزر، من University of Virginia، ظاهرة ترامب بأنها لا تحوي "فكراً عقائدياً" بقدر ما تحوي من "المزاج النفسي"[3] الذي تجذّر بقوة مؤثرة، وذلك "بالنظر إلى وجود زعيم يستطيع التعبير عن هذه القوة بوضوح. كنا نعيش في أجواء تضم مئات

١ مقابلة سكوت ووكر مع بالز، ٢٩ كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٥.
٢ مقابلة ويت أيرس مع بالز، ١٨ أيار/مايو، ٢٠١٦.
٣ مقابلة جيمس سيزر مع بالز، ٤ آذار/مارس، ٢٠١٦.

الآلاف، حرفياً، من الأشخاص الذين فقدوا بيوتهم أو انقلبت حياتهم رأساً على عقب، أو فقدوا أعمالهم، أو مدخرات التقاعد، والذين لاحظوا أن النظام السياسي لم يفعل شيئاً لحل أزمتهم... في الوقت نفسه، اكتسح الديموقراطيون الحكم قائلين إنهم سينظفون واشنطن، لم يتغير شيء... كان الغضب يتفاعل داخلهم، وكل ما كان عليه فعْله هو تحريك تلك المياه قليلاً". [١]

في الثالث عشر من تشرين الثاني/نوفمبر، وكان ليلة الجمعة، فجر انتحاري نفسه في ملعب لكرة القدم شمالي باريس. وخلال دقائق، فتح رجال مسلحون بنادق النار داخل مقاه ومطاعم ومسرح موسيقي في المدينة. خلال أقل من ثلاث ساعات، قتلت ثلاثُ فرقٍ من إرهابيي "داعش" مئة وثلاثين شخصاً. قبل بضعة أسابيع، كان ترامب قد طالب بطرد اللاجئين السوريين[٢] خارج البلاد ومنع أي لاجئين جدد من القدوم. كان ذلك تغييراً لافتاً عما قاله في الصيف، حين صرح بأن "بإمكان" أميركا قبول المهاجرين لتخفيف الأزمة. صباح اليوم الذي أعقب هجمات باريس، افتتح ترامب مهرجانه في بيمونت، في تكساس، بالوقوف دقيقة صمت، ثم شن هجوماً على خطة أوباما "المجنونة" القاضية باستقبال عشرة آلاف مهاجر سوري – ادعى ترامب أن الرقم هو ٢٥٠ ألفاً – في أميركا. صُدِم الديموقراطيون لرؤية باريس تؤيد موقف ترامب. عندما عقد مستشار ديموقراطي اجتماعاً مع فريق مهمته التركيز على سبر آراء الناخبين بشأن الإرهاب، عكس التقرير الصادر عن تلك الجلسة إجماع أعضاء الفريق على أن ترامب كان المرشح الوحيد الذي يمتلك خطة:

> رغم أن العديد منهم انزعجوا بسبب ما قاله عن المسلمين... فإنهم تحدثوا عن قوته، وعن مقاربته الصريحة المباشرة، 'لضربهم في العمق' و'لبناء جدار' لضمان التحكم بمن يدخل البلاد. الناخبون قلقون ويشعرون بأن الأمور خارج نطاق السيطرة.[٣] بالنسبة إلى عدد من الناس، وخصوصاً الرجال، كانت بلاغيات ترامب تتوجه إلى مكامن قلقهم.

١ مقابلة تود هاريس مع بالز، ٤ آذار/مارس، ٢٠١٦.

2 Jenna Johnson, "Donald Trump Says Tough Gun Control Laws in Paris Contributed to Tragedy," *Washington Post*, November 14, 2015.

3 Focus group report provided by confidential source.

بعد بضعة أسابيع، ضرب الإرهاب الأرض الأميركية عندما فتح زوجان، سعيد رضوان فاروق وتاشفين مالك، النار على حفل في مركز للتدريب الصحي وحفل آخر بمناسبة أحد الأعياد في سان برناردينو في كاليفورنيا. قُتل في الهجوم أربعة عشر شخصاً إضافة إلى إصابة أكثر من عشرين شخصاً بجروح بليغة. عاد ترامب وفريقه إلى جذر المشكلة، وإلى ما يرونه سببها الأساسي: الإسلام الراديكالي. والحل: منع المسلمين من دخول أميركا (كان فاروق مواطناً أميركياً مولوداً في أميركا). أملى ترامب على المتحدثة باسمه، هوب هيكس، تصريحاً كتبته على دفتر ملاحظات.

انتظر ترامب حتى السابع من كانون الأول/ديسمبر، ذكرى حادثة بيرل هاربر Pearl Harbor، ليتقدّم باقتراح الحظر، فقد كان مقرراً تنظيم مهرجان على متن بارجة في كارولينا الجنوبية. أصدرت الحملة تصريحاً للمرشح يدعو فيه إلى حظر "كامل وتام"[١] على الأقل مؤقتاً. كان رد الفعل مباشراً وساحقاً. غرد جيب بوش على "تويتر": "دونالد ترامب غير متوازن".[٢] وبينما كان ترامب وطاقمه متوجهين بالطائرة إلى كارولينا الجنوبية، كان مستشاروه يشعرون بالقلق خشية كونهم أساؤوا فهم مزاج الأمة. في تلك الليلة، وبينما كان ترامب يقف على متن بارجة York town، قرأ متحدياً اقتراحه. كان تصفيق الجمهور يصم الآذان. عندما عاد إلى السيارة، قال ترامب لمستشاريه: "ها هو استطلاع الرأي الذي تحتاجونه. هذا هو شعور الناس بشأن هذه القضية".[٣]

أكدت الاستطلاعات الجديدة أحاسيس ترامب، فقد ثبت أن معظم الجمهوريين يوافقون على الحظر. لكن بعض الجمهوريين البارزين وصفوا الحظر بأنه مخالفة للقيم الأميركية الأصلية القائلة بحرية المعتقد. لم يأبه ترامب لكل ذلك، بل قال: "نحن هنا نتكلم عن الأمن، ولا نتكلم عن الدين. نتكلم عن الأمن. بلدنا خارج سيطرتنا". وخلال نقاش بين أعضاء الحزب الجمهوري، تحدى بوش ترامب قائلاً: "إن حظر

1 Donald J. Trump Statement on Preventing Muslim Immigration," December 7, 2015: https://www.donaldjtrump.com/press-releases /donald-j.-trump-statement-on-preventing-muslim-immigration.

2 Bush tweet, December 7, 2015: https://twitter.com/jebbush /status/673990065517891584

٣ مقابلة أحد مستشاري ترامب مع بالز وجونسون، ٢٣ أيار/مايو، ٢٠١٦.

دخول كل المسلمين سيجعل من الصعب علينا فعل ما يتوجب علينا فعله، وهو القضاء على داعش".[1]

بحلول نهاية ٢٠١٥، أدرك خصوم ترامب أنهم أصبحوا يعملون في عالم يحدد شروطه هذا المرشح المرتد عن الحزب. كما أدركوا أن أتباعه كانوا مخلصين له بالكامل. قال هاريس وهو مستشار روبيو لاحقاً: "أدركنا أنه ليس مصنوعاً من مادة التيفلون، بل من التيتانيوم، لا يمكن أن يلتصق به شيء. المؤيدون له سيظلون مؤيدين له مهما حدث. لا يمكن أن تخبرهم بأي شيء جديد".[2] عندما أدرك باقي المرشحين ذلك، كان الوقت قد فات.

خلال ستة أشهر، كان ترامب قد غيّر مشهد سباق المحافظين بالكامل. لكن كان عليه مواجهة الناخبين وجهاً لوجه. بالنسبة إلى ترامب، كان الفوز دائماً هو المهيمن على أفكاره. قال في خريف ٢٠١٥: "إذا لم أربح، فماذا أكون قد فعلت؟ هدرت الوقت".[3] كانت أيوا، التي يسيطر المتدينون المحافظون على مؤتمراتها الحزبية، تمثل منذ زمن طويل نقطة ضعف ترامب. نُصِح ترامب، الذي تزوج ثلاث مرات، بالتركيز على نيوهامبشاير، وذلك لنزعتها الاستقلالية ولجمهور ناخبيها ذوي التوجه الاجتماعي الليبرالي، وعلى كارولينا الجنوبية بسبب روابطها العسكرية. قال ترامب ذات يوم: "قال لي الجميع: لا تذهب إلى أيوا، لا يمكن أن تكون هناك ضمن العشرة الأوائل".[4] عندما تفوق كارسون على ترامب في استطلاعات أيوا، جاء رد فعل الأخير صاخباً في مهرجانين في الولاية: "ما أحمق سكان أيوا؟ ما أحمق سكان البلاد الذين يصدقون هذا الهراء؟". لكن عندما هبطت أرقام كارسون، واجه ترامب في أيوا خصماً أكثر تصميماً وقدرة هو تيد كروز. كان ذلك الرجل الداهية الذي يتمتع بالجاذبية، والآتي من تكساس، يحمل رسالة تناسب ذهنية المحافظين المتدينين، إضافة إلى ادعائه أنه نظم خطة فائقة للتوجه إلى القاعدة الشعبية في ولاية كانت إمكانية التنظيم فيها تحدث فرقاً.

---

1 Republican Presidential Candidates Debate, CNN, December 16, 2015.

٢ مقابلة تود هاريس مع بالز، ١٧ أيار/مايو، ٢٠١٦.

٣ مقابلة ترامب مع بالز وروبرت كوستا وفيليب روكر، ٥ تشرين أول/أكتوبر، ٢١٥.

٤ خطاب ترامب للتسليم بالنتيجة، ديس مورينو، ١ شباط/فبراير، ٢٠١٦.

قبل أقل من أسبوعين من المؤتمر المقرر في الأول من شباط/فبراير، وقف ترامب في متحف خارج دي موينز، على خلفية مزرعة من الغرب، فيما كان تمثال للممثل الراحل جون واين John Wayne يطل من فوق كتفه. أمطره الصحافيون بالأسئلة حول خطته الأساسية. كانت تلك الخطة ضمن الأسرار المحفوظة بإحكام؛ كان مقره الأساسي في ولايته بعيد المنال عن الصحافيين المتطفلين. قال: "أنا راضٍ تماماً عن خطتي الأساسية. لدينا فريق ممتاز. أين هو تشاك!".[١]

جال ترامب ببصره في القاعة بحثاً عن مدير حملته في ولاية أيوا، تشاك لودنر Chuck Laudner، وهو رجل من أيوا معروف بمساعدته السيناتور السابق النائب عن بنسيلفانيا، ريك سانتوروم Rick Santorum، وذلك في إحراز نصر غير متوقع في المؤتمر الحزبي عام ٢٠١٢. قال ترامب: "تشاك! تعال إلى هنا، تشاك". كان ترامب يريد من مدير حملته في الولاية أن يجيب عن السؤال: "إذا لم ينفذ المهمة على أكمل وجه؛ تشاك، أنت مطرود!"، ضحك ترامب.

في كانون الأول/ديسمبر، تفوق كروز في أيوا،[٢] لكن قبل يومين من المؤتمر الحزبي، أظهر استطلاع الرأي الرسمي في أيوا تقدم ترامب بخمس نقاط. ليلة المؤتمر، ألحق الجمهوريون في أيوا هزيمة مؤلمة بترامب، إذ جاء في المرتبة الثانية بعد كروز، أي أنه لم يكد يتفوق على روبيو. ألقى ترامب، الذي شعر بالحرج من أول نكسة أصيب بها، خطاباً هادئاً خفيض النبرة وغادر القاعة بسرعة. لكنه كان حانقاً على كروز وسرعان ما بدأ يهاجمه، اتهم الرجل القادم من تكساس بفعل ألاعيب قذرة، ومن ضمنها جهد نفذه في آخر لحظة لإقناع المقترعين بالتحول عن موقفهم، عندما قال للمتوجهين إلى المؤتمر إن كارسون على وشك الانسحاب من السباق.

تركت هزيمة أيوا مرارة في نفس ترامب لم يستطع نسيانها لأشهر. في المقابلات التي أعقبت حسم مسألة ترشحه، كان يتردد على أيوا: "حصلت على المرتبة الثانية

1 "Donald Trump Endorsed by Actor John Wayne's Daughter at Museum," YouTube, January 19, 2016
https://www.youtube.com/watch ?v =CDRjSXlUIXw

2 Des Moines Register-Bloomberg Politics Iowa Poll, January 30, 2016: http://www.desmoinesregister.com/story/news/elections/presidential/caucus/2016/01/30/donald-trump-reclaims-lead-latest-iowa-poll/79562322/

بغالبية قوية، ولم يكن هناك من أقر بذلك. حصل ماركو على المرتبة الثالثة، وقال الجميع إن ذلك شيء عظيم، قلت أنا 'وماذا عني؟'، لقد حصلت على المرتبة الثانية، ولم يسبق أن حدث معي ذلك".[١] قال ليواندوسكي إن حملة ترامب لم تقدّر انقلاب المواقف حق قدره.[٢] لام ترامب فريقه المسؤول عن ولاية أيوا على هذه الخسارة: "فريقي، أي المجموعة التي كنت أتعامل معها، كان يفتقر المهارة، كان يفتقر الكفاءة". أضاف أنه تعلّم درساً قيماً؛ "جعلني ذلك أدرك أن إدارة الانتخابات عمل مهم. [كروز] كان لديه فريق مؤلف من عدة أشخاص... كانوا يؤلفون قصصاً كاذبة[٣] عن وضعي ويروجوها بين الناس. لكنني، مهما يكن السبب، لم أكن أتوافر على فريق كهذا".

في نيوهامبشاير، تفادى ترامب القواعد التقليدية للولاية في اتباع سياسة التجزيء. كان يعتقد أن الإستراتيجية التقليدية القائمة على إغراء الأفراد كانت سخيفة وعقيمة؛ "يتوجب عليك في هذه الحالة، الذهاب إلى الاجتماعات الصغيرة للقاء الناس، ومجالستهم وتبادل الحديث معهم لساعتين ثم يمكن مرافقتهم إلى منازلهم لتناول العشاء". سأل ترامب مستشاريه لماذا يتعين عليه فعل ذلك، قالوا إن هذا ما درجت عليه العادة دائماً. سخر من ذلك الأسلوب: "يذهب الناس ويتناولون العشاء مع المقترعين... ولنقل مع عائلة تضم خمسة أفراد - الأم والأب والابن والابنة - ويجلسون لتناول العشاء لساعتين ونصف الساعة... إذا فعلت ذلك سأفقد احترام الناس[٤]... سيقولون لا نريد شخصاً كهذا رئيساً للجمهورية".

لكن ترامب عدّل موقفه بعد خسارة أيوا. تغيّر أسلوبه وصار يتوقف لزيارة مركز للشرطة، أو لتناول الإفطار في مطعم متنقل، كما صار يستضيف اجتماعات البلدية في مواقع صغيرة. تولى ليواندوسكي، الذي يعيش في نيوهامبشاير، ومعه المتحدثة الرسمية باسم الحملة، هيكس، أمر المقرات الرئيسية وشرّعوا أبوابها أمام الصحافيين ليثبتا أن لديهما خطة منظمة حقيقية. كان ليواندوسكي يهيئ نفسه للاستقالة في حال خسر ترامب ثانية. رغم خسارته في أيوا، ظل ترامب المرشح المفضل في نيوهامبشاير.

١ مقابلة ترامب مع بالز وجونسون.
٢ مقابلة ليواندوسكي مع بالز وجونسون.
٣ مقابلة ترامب مع بالز وجونسون، ٢٣ أيار/مايو، ٩، ١٠ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.
٤ مقابلة ترامب مع بالز، ١٠ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.

لكن أيوا غيّرت ديناميكيات السباق. كان روبيو يتقدم، وفي حال تحقيقه نتائج قوية في الولاية العنيدة، الولاية الصوانية Granite State، نيوهامبشاير، فسوف يتيح له ذلك دعم الجمهوريين المؤيدين للمؤسسة ترشيحه. كان كروز يأمل في الاستفادة من نتائج أيوا. أما بوش، فكان يكافح لتفادي فقدانه الأهمية. ثم صُدم روبيو بجدار يدعى كريس كريستي Chris Christie في مناظرة جرت قبل ثلاثة أيام من الاقتراع. اتهم كريستي، المدعي العام السابق الذي كان ترشيحه يواجه مشكلات خطيرة، روبيو، بأنه غير مهيأ ليكون رئيساً. وقف روبيو على المنصة جامداً يكرر سلسلة من العبارات المعدة سلفاً حول أوباما وسط همهمات الاستنكار والسخرية الصادرة عن الجمهور.

ليلة الانتخابات ألقى ترامب خطاب نصر ساحق، وحصل على ٣٥% من الأصوات. جاء حاكم أوهايو، جون كاشيش John Cacich، في الدرجة الثانية بفارق كبير ١٦%، أي قبل كروز وبوش وروبيو. كان خطاب النصر الذي ألقاه ترامب يعبّر عن أسلوبه. أشار إلى ليواندوسكي قائلاً: "هل لدى كوريه خطة أساسية أم لا؟". بعد أشهر، وصف ترامب النصر بأنه نقطة تحول نفسية: "المرة الأولى التي خطر لي فيها[1] أنني سأربح الانتخابات، كانت عندما فزت في نيوهامبشاير".

تحول انتباه ترامب الآن إلى الجنوب، بأمل إقصاء بوش وروبيو وكروز. في كارولينا الجنوبية، تكتلت معظم القيادات المنتخبة ضده. غيّر ترامب أسلوبه مباشرة. تجلى ذلك في مناظرة جرت في غرينفيل بعد ثلاثة أيام من فوزه في نيوهامبشاير. دفع نبأ الوفاة المفاجئة لقاضي المحكمة العليا، أنطوانين سكالياAntoinin Scalia ، كروز، إلى التساؤل هل كان ترامب، الرجل الذي لا يحمل أي أيديولوجية محددة، جديراً بالثقة لتعيين قاضٍ للمحكمة يكون محافظاً وموثوقاً. دفعت هذه الكلمات ترامب إلى اتخاذ موقف الدفاع، لكن ذلك كان آخر ما يفكر فيه تلك الليلة. خلال المناظرة، هاجم جورج و. بوش بسبب حرب العراق. قال ترامب: "لقد كذبوا. قالوا إن هناك أسلحة دمار شامل؛ لم يكن هناك أسلحة من هذا النوع. وكانوا يعرفون أنه لا وجود لأسلحة من هذا النوع".

قاطعه جيب بوش قائلاً: "بينما كان ترامب يظهر في برنامج تلفزيون الواقع،

١ مقابلة ترامب مع بالز، ٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.

كان شقيقي يبني جهازاً أمنياً لحماية أمننا". عاد ترامب إلى الهجوم: "لكن لا تنسَ أن برجي التجارة العالمية انهارا خلال عهد شقيقك". صدرت عن الجمهور صرخات الاستنكار، قيل لترامب لاحقاً أنه عرّض انتصاره للخطر. لكنه لم يبدِ أي ندم: "قال لي بعضهم: إنك قضيت على فرصتك في الولاية،[١] أجبت: عليّ أن أكون صادقاً".

بدا ترامب كأنه لا يتوقف عن إثارة المشكلات، فقد دخل في ملاسنة مع البابا فرنسيس. عندما كان البابا عائداً من زيارة إلى المكسيك، قال للصحافيين الموجودين معه على متن الطائرة، إن "الشخص الذي يفكر في بناء الجدران فقط، في كل مكان، ولا يبني الجسور، ليس مسيحياً". وصل التعليق إلى مسامع ترامب، قال: "خطر ببالي مباشرة الفاتيكان، بجدرانه الهائلة، وقلت لنفسي: انتظر لحظة، لديه جدران أكبر، لديه جدران لا تحلم بها"،[٢] ثم أصدر بياناً وصف فيه ما قاله البابا بأنه "مخز"، وأضاف: "إذا هاجمَت، أو عندما تهاجم داعش، الفاتيكان، التي يعرف الجميع أن داعش تعتبرها الجائزة النهائية بالنسبة إليها، أعدكم أن البابا سيتمنى آنذاك ويدعو ربه[٣] أن يكون ترامب رئيساً للجمهورية".

في الليلة السابقة للانتخابات التمهيدية، وخلال مهرجان أقيم في شارلستون، تبجح ترامب برواية قصة مخزية عن الجنرال جون بيرشنغ John Pershing وعن أسلوبه في التعامل مع الإرهابيين الإسلاميين في مطلع القرن العشرين: أوقف رجال بيرشنغ خمسين أسيراً مسلماً في صف، غمسوا خمسين رصاصة في دم خنزير. أطلقت النار على تسعة وأربعين أسيراً فقتلتهم، ثم طلب من الأسير الناجي العودة إلى قومه وإخبارهم بما حدث. في ولاية ذات تقليد عسكري، استخدم ترامب القصة لإظهار القوة. قال ليواندوسكي لاحقاً في معرض الشرح: "عليك أن تكون قوياً. وهذه قوة".[٤] كذّب موقع التحقق من الشائعات Snopes.com هذه القصة منذ زمن طويل،[٥] وأعطى Politifact ترامب مقابل

---

١ مقابلة ترامب مع بالز وجونسون، ٢٣ أيار/مايو ٢٠١٦.

٢ المصدر نفسه.

3 "Donald J. Trump Response to the Pope," February 18, 2016: https://www.donaldjtrump.com/press-releases/donald-j.-trump-response -to-the -pope

٤ مقابلة ليواندوسكي مع بالز وجونسون.

5 David Mikkelson, "Pershing the Thought," Snopes.com, October 31, 2001.

روايته القصة أسوأ تقديراته: كاذب، كاذب [Pants on Fire، في إشارة إلى العبارة الشائعة Liar, Liar, Pants on Fire].[1] وعندما سئل ليواندوسكي: لماذا استخدم ترامب قصة كاذبة؟، أجاب: "هذا نوع من المثال، أليس كذلك؟"[2].

مرة أخرى، ثبت أن القواعد المألوفة لا تنطبق على ترامب. في يوم الانتخابات التمهيدية، في ٢٠ شباط/فبراير، حقق نجاحه الساحق الثاني، إذ حصل في الولاية على نسبة ٣٢,٥% من الأصوات. عاد روبيو، بعد نتيجته النهائية البائسة في نيوهامبشاير إلى المرتبة الثانية، وأزاح عنها كروز بثلاثة أعشار النقطة. حصل بوش على ٨% وانسحب من السباق تلك الليلة، بعدما أنفق أكثر من مئة مليون دولار على حملته ولجنته السياسية الممتازة. لاحظ مستشار روبيو، ويت أيريس Whit Ayres، أن نقاط ترامب السلبية تضاعفت بعد هجومه على بوش والبابا. قال: "صوّت ثلثا الناخبين في كارولينا الجنوبية ضد الرجل لكن المعارضة منقسمة بما يكفي ليحقق الفوز".[3] أدرك منافسو ترامب في تلك اللحظة حجم التحدي الذي ينتظرهم. قال مستشار ما دام السباق يتضمن عدة مرشحين،[4] وستكون هذه مشكلة". أدرك المحللون الإستراتيجيون في المعسكرات المنافسة أن نيوهامبشاير وكارولينا الجنوبية وضعتا ترامب على طريق النصر الذي لا سبيل لإيقافه.

كانت النتائج مقلقة على نحو خاص بالنسبة إلى كروز. كان كروز، طوال الوقت، يعتمد على إستراتيجية جنوبية، معلقاً آماله على النصر في كارولينا الجنوبية ثم على نصر كاسح في الانتخابات التمهيدية في الجنوب في الأول من آذار/مارس، وذلك لجعله في مقدمة السباق. كان ترامب آنذاك قد اكتسب زخماً. بعد كارولينا الجنوبية، ربح ألاباما وأركنساس وجورجيا وتينيسي وفيرجينيا (وماساتشوسيتس وفيرمونت). ربح كروز تكساس، ولايته، وأوكلاهوما، فقط.

حركت الأفضلية المفاجئة الواضحة، التي حصل عليها ترامب، رد فعل قوي داخل صفوف مؤسسة الحزب الجمهوري، كان المحرك فيه ميت رومني. لم يكن من

1 Louis Jacobson, "Donald Trump Cites Dubious Legend about Gen. Pershing, Pig's Blood and Muslims," *Politi Fact*, February 23, 2016.

٢ مقابلة ليواندوسكي مع بالز وجونسون.

٣ مقابلة ويت أيريس مع بالز، ١٨ أيار/مايو، ٢٠١٦.

٤ مقابلة جيف روي مع بالز، ٢٦ أيار/مايو، ٢٠١٦.

المألوف أن يهاجم مرشح سابق للحزب المرشح المحتمل للحزب، لكن رومني وجّه توبيخاً عنيفاً إلى المرشح الأول، ووصف ترامب بأنه "زائف ودجال"، وبرجل أعمال فاشل لا يفقه شيئاً في أمور العالم، وبصاحب مزاج غريب لا يصلح للرئاسة. شجع رومني الناخبين لفعل كل ما بوسعهم لهزيمة ترامب. كان ترامب يفكر بأسلوب مغاير. كان يرى في الانتخابات التمهيدية في الخامس عشر من آذار/مارس، في فلوريدا، مناسبة للقضاء على روبيو. كان سيناتور فلوريدا قد انطلق وهو يحمل صيتاً بأنه موهوب في تنظيم الحملات وواجهة لحزب جديد أكثر تنوعاً. أما بصفة مرشح، فتعثر مساره. في تلك اللحظة، كان سيبرهن على أنه غير كفء، على الإطلاق، لتحدي ترامب. في البداية، حاول اللجوء إلى الهجوم. في المناظرة التي جرت في الخامس والعشرين من شباط/فبراير، في هيوستن، بدأ يهاجم ترامب في مجالات الهجرة والتجارة وممارساته في العمل في نيويورك، ثم حاول اللجوء إلى السخرية، ووصف ترامب بأنه "رجل المواقف السلبية في المناظرات"، وشرع يسخر من مظهره. وصل روبيو إلى الحضيض مع ترامب، ففي مناظرة جرت في ديترويت، تبادل المرشحان التعليقات اللاذعة حول "يَدَيْ ترامب الصغيرتين"، وهي محادثة انحدرت – على نحو لا يصدق – إلى نقاش شبه صريح حول حجم العضو الذكري. أشار روبيو إلى أن يَدَيْ ترامب كانتا غير متناسبتين مع طوله: "وتعلمون بالطبع ما يقال عن الرجل ذي اليدين الصغيرتين؟".

ابتلع ترامب الطعم: "انظروا إلى هاتين اليدين، هل هما صغيرتان؟... أشار إلى يديه: إذا كانتا صغيرتين، فلا بد أن شيئاً آخر صغير أيضاً. أؤكد لكم أن لا مشكلة في ذلك. صدقوني". لم يترك هذا المزاح الفظ أثراً كبيراً في زخم ترامب، لكن روبيو سقط من جهته في دوامة سحيقة. توقف وهو يتذمر. كسب ترامب فلوريدا بنسبة بلغت ٤٦% تقريباً من أصوات المقترعين، فيما حصل روبيو على نسبة ٢٧%. انسحب روبيو من السباق. في ما بعد، قال مدير حملة بوش، داني دياز، إنه في أعقاب انتخابات فلوريدا، "لم يعد هناك أي جدل بشأن مرشح 'المؤسسة'[١] الذي يجري الاقتباس عنه لما تبقى من الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري". كان رأي مستشار كريستي، مايك دوهايم، أنه "كانت هناك نظرية غير صحيحة تقول إن

١ مقابلة داني دياز مع باز، ٢٥ أيار/مايو، ٢٠١٦.

دونالد ترامب يدمر المؤسسة. إما أن المؤسسة هي من أطلقت هذه النظرية[1] وإما أنها تدخلت بعد فوات الوقت". قضى الآخرون وقتاً في مهاجمة بعضهم بعضاً، أكثر مما قضوا في مواجهة تحدي ترامب.

قبل وصول ترامب إلى شيكاغو، مستبقاً الانتخابات التمهيدية التي كانت ستجري في الخامس عشر من آذار/مارس، اشتبك مناوئو ترامب مع المؤيدين له خارج مكان المهرجان. أجبرت نوبة العنف، التي كانت الأسوأ حتى تلك اللحظة، ترامب على إلغاء مشاركته في المهرجان. قضى تلك الأمسية وهو يجري مقابلات عبر الهاتف مع مذيعي التلفزيونات وينتقد المحتجين. في اليوم التالي، اعتُقل رجل عندما حاول القفز إلى المنصة في مهرجان ترامب في أوهايو. كان التوتر قد تراكم في المناسبات التي ينظمها ترامب. كان يمكن للمرشح أن يكون بذيئاً اتجاه المعارضين والمتظاهرين ووسائل الإعلام. عندما كان المحتجون يقاطعون المهرجانات، كان يتم إخراجهم بتشجيع من ترامب. كان يقول: "أخرجوهم"، أو "في الأيام القديمة الجميلة، لم يكن هذا ليحدث لأنهم كانوا يعاملونهم بقسوة"، و"هل تعلمون كيف كانوا يعاملون أشخاصاً كهؤلاء عندما يأتون إلى أماكن كهذه؟ كانوا يخرجونهم على نقالة". كان يبدو كأنه يجد متعة في إثارة حماسة الجمهور بالقول: "كم أود أن ألكمه في وجهه"، و"حاولوا ألا تلحقوا به أذى، إذا حدث ذلك، فسوف أدافع عنكم في المحكمة"، و"لا تأخذكم به رحمة". وعندما سئل هل كان قد خلق أسلوباً في الحديث أسهم إذكاء العنف في مهرجاناته، قال: "آمل ألا أكون قد فعلت ذلك... لدينا هنا بعض المحتجين السيئين. لقد ارتكبوا أموراً سيئة".[2]

بحلول نهاية آذار/مارس، لم يكن قد تبقى سوى منافِسَين في وجه ترامب: كروز، الخصم المناوئ لواشنطن الذي استمر يربح بعض الولايات؛ وكاشيش، الحاكم المعتدل الذي كان قد ربح ولاية أوهايو فقط، وهي مسقط رأسه. كانت القوى التي تحاول إيقاف تقدم ترامب تتمسك بالأمل الواهي وذلك بأن تتمكن من حرمان ترامب العدد الكافي من المفوضين للترشيح، وفرض عقد مؤتمر مفتوح للنقاش، في تموز/

١ مقابلة مايك دو هايم مع بالز، ١٧ أيار/مايو، ٢٠١٦.

2 Debate transcript, CNN, March 10, 2016.

يوليو. كان كروز يأمل أن يمنح تلك الإستراتيجية دعماً في ويسكونسن، في الخامس من نيسان/أبريل. هزم كروز ترامب في أوتاوا، عندما رفض المورمون التصويت للمرشح الأول بتشجيع من رومني. في ويسكونسن، وجد ترامب كل الجهاز المحافظ في الولاية معارضاً له. بدأت المعارضة مع الحاكم سكوت ووكر. ورغم أن ووكر سبق أن أخفق بصفة مرشح رئاسي، لكنه كان قد اختبر التنظيم السياسي في موطنه، ولذلك وضع خبرته في خدمة كروز، إضافة إلى وجود نوع من التحالف بين مذيعي البرامج الحوارية في المحطات الإذاعية المحلية، الذين ظلوا لأسابيع يبثون رسالة ثابتة لا تتغير: لا نريد ترامب.

خلال الأسبوع الذي سبق الانتخابات التمهيدية، برزت كل المشكلات دفعة واحدة. ففي التاسع والعشرين من آذار/مارس، اتُّهم ليواندوسكي بحادثة اعتداء بسيط في فلوريدا. فقد اتهمته ميشيل فيلدز Michelle Fields ، وهي صحافية تعمل لدى Breitbart News، بأنه تصرف معها بخشونة أثناء أحد مهرجانات ترامب. دافع ترامب عن مدير حملته وشجب الاتهام قائلاً: "لا أستطيع تدمير رجل لهذا السبب" (أسقطت التهمة عن ليواندوسكي لاحقاً). في اليوم التالي، تسبب ترامب في إثارة جدل خلال اجتماع في دار البلدية في إحدى المدن مع كريس ماثيوز Chris Mathews، وهو من شبكة MSNBC، إذ صرح ترامب بأنه يؤيد العقاب على الإجهاض. سأل ماثيوز: "بحق المرأة؟". أجاب ترامب: "نعم، يجب أن يكون هناك صيغة ما". بعد ساعات، وفي تراجع نادر من جانب ترامب، سحب ملاحظته قائلاً إن الطبيب حصراً هو من يجب أن يتحمل المسؤولية، "وليس المرأة".

في ويسكونسن، كانت ديموغرافية السكان مؤيدة لترامب، إذ كانت تضم من البروتستانت المتدينين عدداً أقل مما تضم الولايات التي فاز فيها كروز، إضافة إلى رجحان كفة المقترعين البيض من الطبقة العاملة الذين كانوا يشكلون نواة ناخبي ترامب. لكن لم يكن بوسعه التغلب على المجال الضيق لمناوئيه، وعلى زلاته الاجتماعية في الوقت نفسه. في يوم الانتخابات، حصل كروز على ٤٨% مقابل ٣٥% لمصلحة ترامب. كان الابتهاج بادياً على كروز في تلك الليلة وهو يلقي خطاب النصر، وسرعان ما تبدد سرور مستشاريه عندما علموا أن Fox News قطعت بث خطاب النصر

الذي كان يلقيه كروز. قال جيف روي Jeff Roe لاحقاً: "كان قطع البث في منتصف الخطاب مذهلاً. لم نحصل على رد فعل من ويسكونسن".[1]

أثارت ويسكونسن الجدل بشأن مؤتمر الجمهوريين المفتوح للنقاش. قال ترامب: "أعطاهم ذلك بصيصاً من الأمل".[2] بدأ كروز يستهدف مؤتمرات الحزب الجمهوري التالية لجمع المفوضين حوله ممن يمكن أن يدعموه في اقتراع ثانٍ حتى لو كانوا ملتزمين مع ترامب في الاقتراع الأول. في الصراع المعقد على المفوضين، التَفَّتْ حملة كروز على خطة ترامب. كان ترامب قد ربح الاقتراع التمهيدي في لويزيانا، لكن في التدافع لكسب المفوضين، ربح كروز المعركة. في داكوتا الشمالية، حيث كان المفوضون أحراراً، بصورة رسمية، للانتخاب كما يملي ضميرهم، ملأ كروز مجموعة المفوضين بعدد من الأشخاص الموالين له أكبر من العدد الذي تمكن ترامب من تأمينه. وفي كولورادو، حيث كان يجري اختيار المفوضين في المؤتمرات لا في الانتخابات التمهيدية، طرد كروز ترامب تاركاً المرشح الأول دون أي مفوض يقف في صفه. شن ترامب هجوماً عنيفاً على تلك العملية ووصفها بأنها "مزورة". والواقع أن كروز كان، بكل بساطة، يمارس اللعبة بمهارة أكبر.

في أواخر آذار/مارس، انضم بول مانافورت Paul Manafort، وهو من قدامى العاملين في حملات الجمهوريين منذ عهد فورد عام ١٩٧٦ إلى ترامب في قصره مار ألاغو لتناول العشاء. كان مانافورت قد عرض خدماته على ترامب عبر صديق مشترك، وكان معجباً بحملة ترامب منذ بدايتها. جعله ذلك العشاء في فلوريدا يشارك في الحملة، إذ في البداية بحكم عمله مديراً لشؤون المؤتمر الحزبي (أصبح الرئيس لاحقاً)، و[ثانياً] بحكم خبرته الواسعة التي جعلت منه منافساً ليواندوسكي. سرعان ما استنتج مانافورت أن ترامب كان في طريقه للحصول على تأييد مفوضين أكثر من أي مرشح آخر، لكن ليس بالضرورة العدد الذي يحتاجه للانتصار في الاقتراع الأول، وهو ألف ومئتان وسبعة وثلاثون.

طوّر مانافورت خطة جديدة مصممة حتى يزيد عدد المفوضين إلى الحد الأقصى،

---

١ مقابلة جيف روي مع بالز، ٢٦ أيار/مايو ٢٠١٦.

٢ مقابلة ترامب مع بالز وجونسون، ٢٣ أيار/مايو، ٢٠١٦.

وعرض تقديرات الاحتمالات على ترامب. واللافت أنه لم يترك الورقة مع ترامب. كان يريد الاحتفاظ بأرقامه طي الكتمان. لكنه خرج بتصريح علني حمل نبوءة جريئة. بعد ثلاثة أيام على الهزيمة في ويسكونسن، قال: "هدفنا هو أن نكون، في منتصف أيار/مايو، المرشح المحتمل".[1] قال ترامب لاحقاً إنه لم يكن يشك أن مانافورت سيضمن له الترشيح قبل موعد المؤتمر: "شعرت بأن الأمور لن تصل حد الذهاب إلى مؤتمر للنقاش المفتوح... عندما كان كروز يحاول كسب المفوضين للاقتراع الثاني، قلت في نفسي: وماذا يهم إذا كسبهم؟ فنحن لن نصل إلى اقتراع ثانٍ، سوف يحسم الأمر في الاقتراع الأول".[2]

بعد ويسكنسن، بدأت الأمور تميل إلى مصلحة ترامب في سلسلة من المنافسات في الولايات الشمالية الشرقية وساحل الأطلسي الأوسط. في نيويورك، اتّبع ترامب إستراتيجية مصممة لزيادة عدد المفوضين، ونظم مهرجاناته في مواقع لها وزنها في الكونغرس لتعزيز هامش انتصاره. هاجم كروز بعنف لأنه هزئ من "قيم نيويورك" في بداية السباق الرئاسي. أما كاشيش، بوضعه الضعيف المهلهل، فكان غير موجود عملياً. في يوم الانتخاب التمهيدي، في التاسع عشر من نيسان/أبريل، كسب ترامب ٦٠% من الأصوات، وكل المفوضين المهمين، البالغ عددهم خمسة وتسعين، تقريباً عدا ستة. أعادت هذه النتائج صياغة خطاب الحزب الجمهوري بالكامل.

دخل ترامب ردهة برج ترامب وهو يمشي الهوينا على أنغام أغنية فرانك سيناترا New York، New York، وقد بدا عليه الوقار. كان قد ألقى خطاب النصر الذي كان أكثر خطاب ألقاه يحمل مضموناً سياسياً، وعد فيه باستعادة الوظائف من البلاد البعيدة، وبالتفاوض لإبرام صفقات تجارية أفضل، وبمنع الشركات الأميركية من الانتقال إلى المكسيك، وبتقوية الجيش، وبتوفير الرعاية الاجتماعية للمحاربين القدماء، وبالتخلص من مشروع Affordable Care، ومعايير Common Care التعليمية. لم يأت على ذكْر أي شيء يثير الإنزعاج أو حظر دخول المسلمين أو بناء جدار، أو أيّ من أفكاره الأخرى المثيرة للجدل.

---

١ مقابلة بول مانافورت مع بالز، ٨ نيسان/أبريل، ٢٠١٦.
٢ مقابلة ترامب مع بالز، ٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.

لكن مناسبة واحدة فقط، ظهر فيها ترامب، لم تكن كافية لتهدئة مخاوف العديد من أعضاء الحزب التقليديين العديدين. كان بعض الجمهوريين في الكونغرس وفي مقر اجتماع الهيئة التشريعية، الذين روعتهم إهانات ترامب، وأبعدتهم نرجسيته عنهم وأفزعتهم طباعه المتقلبة العصية على التنبؤ، قد نأوا بأنفسهم عن الرجل الذي سيتربع على عرش قائمتهم في تشرين الثاني/نوفمبر. في الجلسات الخاصة، كان مانافورت يعطي التطمينات بأن ترامب سرعان ما سيصبح المرشح المعتدل الذي يرغب فيه زعماء الحزب الجمهوري. ففي اجتماع مغلق عقدته اللجنة الجمهورية الوطنية، قال مانافورت إن ترامب كان يمثل "دوراً" في الجولات الترويجية للحملة، لكنه بدأ يتمحور[1] حول "شخصية ذات طبيعة رئاسية". خلال أيام، أطاح ترامب بكل ما قاله مستشاره الجديد، وهو ما أوضح أن الجناح القائل: "دعوا ترامب يتصرف على سجيته"، كان أكثر معرفة بطبيعته.

بعد أسبوع من اقتراع نيويورك، اكتسح ترامب منافسيه في بنسلفانيا وميريلاند وكونيكتكت وديلاوار ورود آيلاند. كسب كل مقاطعة في كل ولاية. قال للصحافيين: "أرى نفسي المرشح المحتمل". لكن كانت هناك عقبة أخرى ينبغي تجاوزها قبل أن يتقبل الآخرون هذا الادعاء: الانتخابات التمهيدية في إنديانا، في الثالث من أيار/مايو. كان كروز يعرف أن ولاية إنديانا، موطن Hoosier، كانت آخر محطاته، وبذل كل جهد ممكن لتغيير مسار السباق. أعلن تحالف سلام مع كاشيش، إذ سيقرر الاثنان أيهما الأقوى في الولايات التالية، ويبتعدان عن طريق بعضهما بعضاً حيث أمكن ذلك. لكن هذا التحالف الهش سرعان ما انهار، ثم أعلن كروز أن منافسه السابق، كارلي فيورينا Carly Fiorina، سيخوض السباق بصفته نائباً له، وبدا ذلك تصرفاً نابعاً عن اليأس، والهدف منه كسب دورة جديدة. حصل كروز على تزكية حاكم إنديانا، مايك بنس Mike Pence، فرد ترامب بالحصول على تزكية من شخصية أسطورية أخرى، تتمتع بالشعبية، وتؤيد أسلوبه الفظ البدائي، وهو بوبي نايت Boby Knight، مدرّب كرة السلة الرئيسي في Indiana University.

ليلة الانتخابات التمهيدية، ربح ترامب كما كان متوقعاً. وقبل أن يتاح له إلقاء

1 Philip Rucker, Dan Balz, and Robert Costa, "Trump Is Playing 'a Part' and Can Transform for Victory, Campaign Chief Tells GOP Leaders," *Washington Post*, April 21, 2016.

خطاب النصر، كان كروز قد انسحب. تبعه كاشيش في اليوم التالي. وقف أربعة من أعضاء فريق ترامب الأصلي لالتقاط الصور في برج ترامب إثر نجاحهم في إحراز أكثر الانتصارات إثارة للدهشة في التاريخ السياسي. بعد إلقاء الخطب، احتفل مانافورت وبعض أفراد عائلة ترامب في بار لتدخين السيجار[١] قرب برج ترامب. أما المرشح، الذي أصبح آنذاك المرشح المحتمل، فأوى إلى فراشه.

بعد إنديانا، حيث كان في واقع الأمر دون منافس، ربح ترامب آخر انتخابات تمهيدية في كاليفورنيا ونيوجيرسي ونيوميكسيكو بأغلبيات ساحقة. أصبح بإمكانه التوجه إلى انتخابات الخريف. بدلاً من ذلك، وجد نفسه عالقاً في نزاعات. فرغم أن العديد من المسؤولين في الحزب الجمهوري، مدفوعين بالخشية من فوز كلينتون بالرئاسة، أيدوا ترامب، فإن بعض الجمهوريين البارزين نأوا بأنفسهم عنه. كان رئيس المجلس بول ريان Paul Rayan، بعدما زكى ترامب، يشعر بالارتباك يومياً بعد كل شيء يقوله ترامب أو يفعله. قاد رومني الهجوم، وشرح لماذا أحجم عن تزكية ترامب: "كنت أريد أن يرى أحفادي أنني لم أستطع تجاهل ما كان يقوله أو يفعله ترامب، وهي أمور كشفت شخصية ومزاجاً غير صالحَيْن[٢] لزعيم العالم الحر". وقال ريتشارد أرميتاج Richard Armitage، الذي شغل منصب نائب مساعد وزير الدفاع في عهد ريغان، ونائب وزير الخارجية في عهد بوش، إن ترامب: "لا يبدو عليه أنه جمهوري، ولا يبدو أنه راغب في تعلُّم أمور من هذا النوع".[٣] وأضاف أرميتاج، وهو الجمهوري العريق، أنه سيصوت لهيلاري كلينتون. ضمن الأجواء الداخلية للحزب، ظلت الحملة غير مستقرة لمدة خلال الصيف؛ وفي أواخر حزيران/يونيو، طرد ترامب، بتشجيع من أولاده الثلاثة الكبار، ليواندوسكي[٤] بعد مدة من العداء بين مدير الحملة ومانافورت.

بعدما ضمنت هيلاري كلينتون فوزها بترشيح حزبها، وبدأ التحضير للمؤتمرات الحزبية في تموز/يوليو، بدا ترامب مصمماً على تصفية الحسابات القديمة بدلاً من

١ مقابلة مانافورت مع بالز وجونسون، ٢٣ أيار/مايو، ٢٠١٦.

2 Romney quoted in Monica Langley, "Behind Mitt Romney's Increasingly Lonely Challenge to Donald Trump," *Wall Street Journal*, May 28, 2016.

3 Armitage quoted in Michael Crowley, "Armitage to Back Clinton over Trump," *Politico*, June 16, 2016.

4 : Philip Rucker, Jose A. DelReal, and Sean Sullivan, "Donald Trump Fires Embattled Campaign Manager Corey Lewandowski," *Washington Post*, June 20, 2016.

محاولة الوصول إلى قاعدة أكبر من الناخبين. عندما قتل أحد المسلحين، ادّعى الانتماء إلى "داعش"، تسعة وأربعين شخصاً في نادٍ ليلي للمثليين في أورلاندو، عاد ترامب لتكرار نغمته القديمة بالمطالبة بحظر دخول المسلمين إلى البلاد (مرة أخرى، تبيّن أن الجاني، عمر متين، كان مواطناً أميركياً مولوداً في الولايات المتحدة). ألمح ترامب إلى أن رئيس الجمهورية كان متواطئاً مع أعداء البلاد[1] (عندما أوردت صحيفة **واشنطن بوست**، شأن عدد من دور الصحافة، تصريحه هذا، كان رد فعل ترامب إلغاء تصريح الصحيفة بتغطية نشاطاته[2]، وهو أسلوب لجأ إليه في حملته عدة مرات وضد عدد من وسائل الإعلام. في العلن، كان ترامب يصف **واشنطن بوست** بأنها "غشاشة" و"مخادعة"، لكن خلف الكواليس، استمر أعضاء حملته في الإجابة عن أسئلة صحافيي **واشنطن بوست**). أثار ترامب عاصفة جديدة عندما تحدى القاضي الفيدرالي المشرف على قضية مرفوعة ضد جامعة ترامب، واتهم القاضي المولود في إنديانا بأنه يشعر بتضارب المصالح بسبب إرثه المكسيكي. حثّ بعض زعماء الحزب الجمهوري زملاءهم على القفز مما رأوا أنه قطار جامح خرج عن السكة. وصف السيناتور ليندسي غراهام تعليقات ترامب حول القاضي بالقول إنها "أكثر الأشياء بُعداً عن الروح الأميركية[3] صدرت عن سياسي، منذ أيام جو مكارثي. وإذا كان أحدهم يبحث عن فرصة للخروج من هذا المأزق، فها هي الفرصة قد حانت. يأتي وقت يتغلب فيه حب الوطن على كراهية هيلاري". لم يسحب ريان تزكيته لكنه وصف هجوم ترامب على القاضي بأنه "غير مقبول إطلاقاً"... وينطبق عليه التعريف التقليدي للملاحظة العنصرية.[4]

ظل ترامب صامداً وسط كل ذلك، بل متحدياً. بعد حادثة إطلاق النار في أورلاندو، عبّر عن الأمر كما يأتي: "أرفض التصرف كأي سياسي مقبول. أريد فعل

1 Karen DeYoung and Jose A. DelReal, "Trump Says He Was Right about Obama and Terrorists, Citing Questionable 2012 Intelligence Cable," *Washington Post*, June 15, 2016.

2 Paul Farhi, "Trump Revokes *Post* Press Credentials, Calling the Paper 'Dishonest' and 'Phony,' "*Washington Post*, June 13, 2016.

3 Graham quoted in Patrick Healy, Maggie Haberman, and Jonathan Martin, "Democrats Jump on Allies of Trump in Judge Dispute," *New York Times*, June 6, 2016.

4 Ryan quoted in Mike DeBonis, "Ryan Says Trump's Attacks on Judge Fit 'the Textbook Definition of a Racist Comment,' "*Washington Post*, June 7, 2016.

الشيء الصحيح. أريد تقويم الأمور. أريد أن أعيد إلى أميركا عظمتها". وأضاف أن ذلك كان دافعه الوحيد إلى هذا التصرف. ولهذا كان راغباً في التعامل مع السياسيين ذوي الخبرة ومع الصحافة الناقدة ومع الحماية القصوى من رجال الأمن. وصف حياة المرشح بأنها "ليست بالوضع العادي"، حياة كان فيها ركوب السيارة لمسافة بضع مبانٍ عملية شبه عسكرية مدروسة بدقة: "أدخل إلى السيارة، آلاف الأشخاص... يغلقون الطرقات ويتجمع آلاف الأشخاص عند زاوية الشارع، يلوحون بأيديهم، يتحمسون، وكل رجال الأمن. تدخل زوجتي إلى السيارة، وأدخل أنا، تنظر إلي، ونحن في هذه السيارة ذات النوافذ السميكة، والجدران الفولاذية... تقول لي: هل أنت واثق أن هذا ما تريده لما تبقى من حياتك؟[١]".

أجابها أنه واثق.

---

١ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن، ٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.

خاتمة

القانون والنظام

نهض الرجل الذي سيصبح رئيساً من كرسيه الجلدي الوثير، زرّر سترته، ولّوح لزواره بأن يتبعوه: "هيا، يا رفاق، لدي شيء لأريكم إياه". قادنا من مكتبه المكسو بسجاد فخم في برج ترامب بإطلالته الخلابة على سنترال بارك وفندق بلازا الفخم. عبَر القاعة إلى غرفة من دون نوافذ لا تبعد خمس خطوات، ثم قال: "لقد اكتشفت ذلك للتو"، مشيراً إلى طاولة الاجتماعات التي احتلت معظم مساحة الغرفة. رفع يده فوق الطاولة، وأشار إلينا لننظر. كانت كل بوصة من سطح الطاولة ممتلئة بأكوام من المجلات. قال: "كلها من الشهور الأربعة الأخيرة"، وفوق كل غلاف كل مجلة، كان هناك، دونالد ج. ترامب، مبتسماً أو ملوحاً أو مازحاً أو مخادعاً، ولكن دائماً كان هو.

قال: "غلاف مجلة **تايم**، ثلاث مرات في أربعة أشهر، لم يحدث ذلك مع أحد من قبل. هذا رائع". كانت صورته على مجلة **نيويورك تايمز** وعلى مجلة **إسكوير** وعلى *RollingStone* وعلى وعلى...، الرجل الذي كان على وشك أن يتم ترشيحه كمرشح للحزب الجمهوري للرئاسة، يتجلى نجاحه (أو سوء سمعته) على مجلة تلو أخرى. كان فخوراً جداً. كان مشرقاً في هذا اليوم الحزيراني، نموذجاً لقوة التفكير الإيجابي، وجوهر اللاهوت الذي ترعرع معه في مكتب فريد ترامب وكنيسة المبجّل نورمان فنسنت بيل. في تلك اللحظة، كان دونالد ترامب الذي يستطيع تنفيذ الصفقات، الرجل الذي يتخذ القرارات الصعبة، والفتى المتحمس كما وصفته أخته، كان "مجرد صبي

لطيف من كوينز". بعد لحظات، غيَّر مزاجه وأظهر لنا وجهه الآخر، خطَّه الأميركي الكلاسيكي، الأكثر قتامة، مع مسحة من جنون العظمة والقليل من اليأس. كان هذا مؤلف *Crippled America*، راوي الحقيقة الذي قال للحشود الهائلة: "لم يعد لدينا بلد بعد الآن"، المليونير المتغطرس الذي هدَّد بمقاضاتنا حتى بعدما قال إنه كان مستمتعاً بمقابلتنا. ويبدو أن جانبَيْ شخصية ترامب كانا مادة روائية: مادة لشخصيات كُتِبت لتعبّر عن آمال وطموحات أمة عظيمة وشابة، وعن مخاوفها وشكوكها، وغيرتها.

حتى بعدما أمضينا ساعات في الحديث معه – وهي عملية يائسة في غالبية الأحيان استمعَ فيها إلى أي سؤال وكل الأسئلة ثم قدم إجابات غالباً ما كانت لا تحمل أي علاقة بالأسئلة – بدا أن ترامب ليس حقيقياً تماماً، بل شخصية بناها لتحسين إمبراطورية أعماله بنْية مصممة لتكون شخصية رجل عادي وملك مانهاتن المتعالي، في وقت واحد، رمزاً للثراء الأميركي. كان ترامب ساحراً، رجلاً لا يهدأ، مثل لونسوم رودس Lonesome Rhodes بطل فيلم A Face in the Crowd، الذي يعود إلى عام ١٩٥٧ والذي يمثل فيه آندي غريفيث AndyGriffith دور مسافر شعبي ودود من أركنساس، وإن تبين في النهاية أنه رجل ساخر، انتقل من السجن القذر إلى مستوى ذروة المشاهير الأميركيين والسلطة السياسية. كان ترامب رجلاً شعبياً بفطرته، مثل هوارد بيل Beale Howard، المذيع التلفزيوني في Network، في الفيلم الذي يعود إلى عام ١٩٧٦، والذي طلب فيه الصحافي الشعب بكامله أن يفتح النوافذ وأن يهتف: "أنا مجنون ولن أتحمل المزيد بعد الآن!". كان ترامب ساذجاً أحياناً لكنه كان حكيماً، مثل تشونسي غاردينر Chauncey Gardiner، البستاني المغمور الذي حوّلته حكمته الشعبية غير المقصودة إلى منافس رئاسي محتمل في فيلم Being There الذي يعود إلى عام ١٩٧٩.

لقد فتن الأشخاصُ الحقيقيون الأميركيين بأساليب متشابهة خلال مدد متعبة طوال القرن الماضي: أصوات توجهت إلى الفكرة القائلة إن الأجانب أو الآخر كانوا مسؤولين عن مشكلات الأمة، مثل الأب تشارلز كوجلين Charles Coughlin، الكاهن الذي استخدم برنامجه الإذاعي المنتشر في جميع أنحاء البلاد في ثلاثينيات القرن العشرين لنشر رسالة تقول أميركا أولاً، وتتضمن هجوماً على اليهود، وجورج والاس George Wallace، حاكم ولاية ألاباما الداعي إلى العزل العنصري الذي ترشح للرئاسة

في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين بوصفه رجلاً شعبوياً، والذي بشّر بأنه "لا وجود لأدنى فرق" بين الجمهوريين والديموقراطيين، وكذلك باتريك بوكانان Patrick Buchanan، المطّلع على دخائل واشنطن والمرشح الرئاسي الذي شجع الناخبين في تسعينيات القرن العشرين على النهوض مثل "قرويين يحملون المذارير" لاستعادة بلادهم من السياسيين الذين أخفقوا في وقف الهجرة غير الشرعية والدمار الذي أحاق بالتجارة الحرة. توجه هؤلاء الرجال إلى الجانب المظلم في الشخصية الأميركية، والوجه الآخر للنظرية اللاهوتية الواثقة لبيلي غراهام Billy Graham حول الأعمال الجيدة والرأسمالية الصالحة، ومسيرة مارتن لوثر كينغ الابن .King Jr Martin Luther إلى قمة جبل العدالة والإنصاف، ووعْد باراك أوباما بالأمل والتغيير. يؤمن ترامب – شأن العديد من الأميركيين العظماء الحقيقيين والأسطوريين مثل ستيف جوبز Steve Jobs أو جاي غاتسبي Gatsby Jay – بالقدرة التي لا حدود لها للفردية على تحقيق كل شيء تقريباً. ومثل عدد من ثمار الآلة الأميركية الفريدة لصنع المشاهير، اعتقد ترامب أن شهرته ونجاحه يدفعان به إلى مستوى من السلطة التي يستحقها لأنه جنى الكثير من المال. واعتقد أنه بمجرد السير في غرفة، وبالتعبير عن مشاعر الجمهور فقط، يستطيع حرف الأحداث عن مسارها. وأن باستطاعته، على سبيل المثال، جعل أميركا عظيمة مرة أخرى. "صدقوني"، بهذه الكلمة كان قد دعا الحشود خلال حملته: "صدقوني".

لا يمكن لترامب ألا يبدأ بوصف ما حققه. كان بعض الغرباء الغاضبين قد ترشحوا للرئاسة سابقاً، بل إنهم جمعوا أصواتاً معارضة محترمة. أما الآن، في كليفلاند، خلال يوليو/ تموز، وفي الساحة التي أوصلت ليبرون جيمس James Lebron إلى بطولة الرياضات الأولى في المدينة في منتصف القرن، كان دونالد ترامب ذاهباً ليتوّج كمرشح جمهوري للرئاسة، وظل شخصية مستقطِبة، ومثيرة للقلق للعديدين – أربعة من أصل خمسة مرشحين عن الحزب الجمهوري للرئاسة كانوا قد قرروا التغيب عن المؤتمر، بالإضافة إلى عدد من أبرز شخصيات الحزب – لكن ترامب كان عازماً على وضع برنامج يحطم القوالب، وعلى وضْع نفسه على طريق النصر. في ليلة افتتاح المؤتمر، وبعد سلسلة من الخطابات التي ألقاها الفاعلون والناشطون الذين

هاجموا هيلاري كلينتون، والآباء الذين قُتل أطفالهم بيد المهاجرين غير الشرعيين، ومسؤولي الشرطة السود والسياسيين الذين قالوا إن حياة رجال الشرطة هي المهمة، تم إخلاء المنصة وهدر صوت المنتصر الآتي من كوينز في أجهزة تكبير الصوت: "نحن الأبطال".

فجأة، ظهرت فتحة مظلمة في الجزء الخلفي من المسرح، وبرز ظل. البذلة الكبيرة والكتفان العريضان، وتصفيفة الشعر البارزة؛ إنه ترامب دون شك، يتحدى التقاليد، يبعث النشاط في حشد كان قلقاً. لم يكن حضور ترامب متوقعاً حتى الليلة الأخيرة من المؤتمر. سار تحت الضوء ينعم بموجات الهتافات والأناشيد، وأحياناً الإيماءات، ورفع أصبع الإبهام دلالة التشجيع، ثم بدأ إطلاق الوعود: "سوف نربح وبقوة"، وانطلق مسرعاً لتقديم زوجته، اللحظة الأشد إشراقاً في برنامج الليلة الأولى. بهرت ميلانيا الحضور بثوبها الأبيض، وابتسامتها الساحرة، وموقفها الشجاع وهي تحاول بجهد الكلام بلكنة سلوفينية ثقيلة. لكن سرعان ما تلاشى الاستقبال الحار في القاعة، حين انتشرت الأنباء أن أجزاء مهمة من نص خطابها كان منقولاً حرفياً[1] عن خطاب ميشيل أوباما Michelle Obama أمام مؤتمر الحزب الديموقراطي عام ٢٠٠٨. لمدة ست وثلاثين ساعة، نفت حملة ترامب وجود أي مخالفات لكن عندما تبيَّن أن عاصفة وسائل الإعلام حول السرقة الأدبية لن تتوقف، اعترف كاتب الخطاب وتقدم باعتذار.

بدلاً من أن يكون المؤتمر، كما تصور ترامب، ممتعاً ومسلياً، وأكثر مرونة من السرد التقليدي للبيان السياسي، تبين أنه سلسلة من الزلات الاجتماعية والإساءات. كان السعي منذ البداية إلى توحيد الحزب مشوباً بالتمرد المفتوح في الصفوف الأعضاء الموجودين، إذ حاول المئات من المفوضين إجبار أعضاء الحزب الجمهوري على إجراء التصويت بأسلوب النداء بالاسم على القواعد التي تحظر على المفوضين التصويت بناء على ضمائرهم، وطلبوا منهم التصويت بناءً على نتائج الانتخابات التمهيدية في ولاياتهم. هتف الأعضاء: "تصويت بالنداء بالاسم! تصويت بالنداء بالاسم!"، تعطلت ميكروفوناتهم. صاح أحد زعماء التمرد وهو النائب العام السابق عن ولاية فيرجينيا كين كوشينلي Ken Cuccinelli: "عار! عار! عار!". وبصرف النظر

1 Karen Tumulty, Robert Costa, and Jose A. Del Real, "Scrutiny of Melania Trump's Speech Follows Plagiarism Allegations," *Washington Post*, July 19, 2016.

عما تبين من الاقتراع الشفهي وهو أن نصف القاعة تقريباً قد انقسمت بالتساوي، فإنه لن يكون هناك أي اقتراع بالنداء بالاسم. شغّل مديرو المؤتمر الموسيقى، صمت المفوضون الهائجون، وبعد تأخير لبعض الوقت، أعلنوا أنه رغم أن عدداً كافياً من وفود الولايات قد طالبوا بالاقتراع بالنداء بالاسم التزاما بالقواعد، فإن ثلاثة منهم قد تراجعوا عن قراراتهم، وإنه لم تعد هناك مطالب كافية تستلزم إجراء التصويت المفتوح. قال كوشينلي بعصبية: "تافهة هذه السياسة الاستبدادية. لن تشعل هذه الحيلة حماسة أفراد الشعب".

لكن بعض أفراد الشعب لم يكونوا بحاجة إلى إشعال حماستهم. قال جميل شو Jamiel Shaw، وهو والد الشاب اليافع الذي قتل على يد مهاجر غير شرعي، للحشود: "ترامب مُرسَل من الله!". أما إيفان هوبرت Evan Hubert، وهو عامل النظافة يبلغ الثانية والعشرين من العمر من ولاية بنسلفانيا، فقال في الجانب الآخر للمدينة، وذلك خلال المهرجان الأميركي الأول لسائقي الشاحنات والمستمعين للبرامج الإذاعية للقوميين البيض، "أنا مستعد لرؤية من لديه القدرة على إيقاف ما يجري. أعرف أن ترامب سيفعل شيئاً حيال الدين الإسلامي ومشكلة اللاجئين".

لكن العديد من المفوضين كانوا بحاجة إلى الإقناع. باتي ريمان Patty Reiman، الجمهورية المخضرمة والحزبية الناشطة من ولاية ويسكونسن التي أمضت استراحة من المؤتمر في شراء ثوب عليه رسم فيل، كانت في الأساس تدعم ماركو روبيو Marco Rubio للرئاسة، ثم دعمت تيد كروز Ted Cruz. لكنها تحولت، مع شيء من الوجل، إلى ترامب، "لأنني أريد توحيد حزبنا". لكن ما زال لديها بعض الوساوس: "شخصيته كانت قاسية قليلاً. إنه لا يفكر قبل أن يتكلم. كل ما يمكنني أن أتمناه هو أنه سوف يحقق فرصاً رائعة. من الواضح، أنني قلقة".

كانت لوري هاك Lori Hack، وهي ربة منزل من بيوريا من ولاية أريزونا، مندوبة لكروز، لكن النظام المتبع في ولايتها، والقاضي بأن الرابح لأكبر عدد من الأصوات يحصل على باقي الأصوات، اقتضى منها التصويت لترامب المنتصر في الانتخابات التمهيدية في أريزونا. لكنها لم تشأ ذلك... قالت: "لدي ضمير"، وأصرت على الحق في أن تكون مفوضة غير مُلزَمة. وأضافت أن رئيس حزبها غير موافق، وأنه قال لها:

"انتهى أمرك". ونزع منها مركزها وحل محلها شخصٌ يرغب في التصويت لترامب. الآن باتت في الساحة، لكن كضيفة من مؤيدي الحزبيين الجمهوريين المناهضين لترامب من تكساس. قالت: "هذا أمر جيد، لأن لدي ضمير". أما هاك، وهي امرأة في الرابعة والأربعين من عمرها وقد عاشت بعثاً روحياً مسيحياً، فهي جمهورية مخضرمة، وتخشى أن يقود ترامب الحزب إلى الهزيمة، أو أنه إذا انتخب، سيُغرق الأمة في مواجهات خطيرة مع العالم. قالت: "إنه يفتقر إلى المسؤولية الأخلاقية. شخص كاذب مريض. إنسان نرجسي. لو أن كروز أو رومني Romney واجها وضعاً مماثلاً لمحاولة [الانقلاب] في تركيا [في يوليو/ تموز]، لكانا قد فكّرا بتروٍّ. أما ترامب فهو يقفز من وجهة نظر إلى أخرى فحسب، بين لحظة وأخرى". حمي وطيس المعركة بين الأعضاء حول التصويت بالنداء بالاسم، رأت هاك الناس يصرخون على بعضهم بعضاً. بدا الأمر كأن الأمور قد تتطور حدّ الاشتباك الجسدي. لم تحب ما استثاره ترامب في نفوس الناس: "الأمر أشبه بمذهب ديني. الأعضاء غاضبون لدرجة أنهم فقدوا عقولهم. ينطق ترامب بكل الأشياء المثيرة للمشكلات، ويضرب على وتر غضبهم. لكن بعضهم تنبه إلى حقيقة ترامب، أنا واثقة من ذلك". لا تستطيع هاك إقناع نفسها بالتصويت لكلينتون؛ قررت الامتناع عن التصويت في الانتخابات الرئاسية في تشرين الثاني/نوفمبر.

شعر أحد مناصري هاك في المعركة لوقف ترشح ترامب، غاري تيل Gary Teal، وهو نائب رئيس الحزب الجمهوري في واشنطن العاصمة، أنه وقع في الشرك. ففي حال رفضه دعم المرشح، يتوجب عليه الاستقالة من منصبه الحزبي. مع ذلك، قال:

> لا يبدو واضحاً إطلاقاً بالنسبة إلي أن دونالد ترامب يتمتع بالمهارة اللازمة لتهدئة وتشجيع الناخبين المنفعلين، كما كان عليه الأمر في أواخر الستينيات. مازلت أشعر بالصدمة بسبب ذلك. أمضيت السنوات الأربع الماضية في الكتابة عن استحالة حدوث أمر كهذا، لا تقلقوا، الشعب الأميركي لن يقع في غرام ترامب.

لام تيل وسائل الإعلام على بروز ترامب، وقال: "ليس بسبب التحيز الليبرالي، لكن

وسائل الإعلام تصورت أنها إذا نقلت كل ما قاله وفعله، فسوف يقضي هذا على فرصه: سيظهر للناس على حقيقته. يبدو أن ترامب يملك مادة الكريبتونايت Kryptonite التي تحميه من الواقع، فمؤيدوه يفضلون شجْب الذين أثاروا التساؤلات بدلاً من التقليل من حماستهم للرجل الذي رأوا فيه ملياردیراً من الطبقة الكادحة". دعم تيل كريستي خلال الحملة، ثم روبيو. الآن هو بحاجة إلى أن يقرر بشأن ترامب: "تقاتل عادةً من أجل مرشحك وتحاول، ثم يُتَّخذ القرار ويضعونك أمام الأمر الواقع. لكنني لم أصل هناك بعد".

لم يصمَّم مؤتمر ترامب لجذب أناس مثل تيل. كانت ليلة تلو أخرى مع الحلويات اللذيذة للمؤيدين الحقيقيين. حصل المدير التنفيذي لجمعية حملة البنادق الوطنية على حيز زمني إخباري للحديث كي يشرح كيف أن "محكمة عليا في ظل هيلاري كلينتون تعني أن حقك بامتلاك سلاح ناري قد أصبح في خبر كان". ساعة تلو أخرى، كان الموضوع المتداول هو: هيلاري المحتالة، هيلاري الكاذبة، هيلاري النخبوية. في أحد الليالي، عرض الحزب فيلماً حمل عنوان هيلاري المروعة. في كل ليلة، كان النقد اللاذع الذي صب ضد كلينتون يصبح أكثر فظاظة وأعلى صوتاً وأكثر تهديداً أكثر من ذي قبل. كانت مشاعر الغل واللغة السوقية التي تُسمع عند منصات القمصان القطنية في جادة يوكليد وسط كليفلاند - "هيلاري إلى السجن" كان من بين الشعارات الأكثر اعتدالاً - قد وصلت إلى ساحة كويكن لونز وتحولت إلى هتافات من قبيل: "احجزوها!". لعب كريس كريستي دور المدعي العام، ودفع الحشود المبتهجة إلى الصراخ بأعلى أصواتهم: "مذنبة!"، كما فصّل جرائم كلينتون المزعومة: استعمالها مخدم بريد إلكتروني خاص عندما كانت وزيرة للخارجية، ودعمها تحسين العلاقات مع كوبا، وتشجيعها إبرام الاتفاق النووي مع إيران. دعا مندوب ولاية مونتانا إلى شنق كلينتون. قال النائب عن ولاية هامبشاير ومستشار ترامب إنه يجب إطلاق عليها النار من فرقة إعدام.

على غرار تركيز ريتشارد نيكسون Richard Nixon على احترام القواعد الاجتماعية، في مؤتمر عام ١٩٦٨، عرض برنامجُ ترامب، الذي استمر أربعة أيام، صورة أمام مشاهدي التلفزيون أظهرت بلداً يعيش مأزقاً عميقاً، بلداً ضعيفاً يفتقر الأمان، وتحكمه

منظومات هشة وأشخاص لا أخلاق لهم وهم ذوو نيّات شريرة. وصف المتحدثون البلاد بأنها باتت تفقد الاحترام في الخارج والأمل داخل الوطن: بلد على وشك أن تصبح تحت رحمة ما سماه ترامب الإرهابيين "البرابرة". كانت صورة كئيبة عن أمة تتدهور، وعن مجتمع فقد هويته. وباستثناء الهجوم على كلينتون، لاقت تلك المقاربة رد فعل فاتر داخل قاعة المؤتمر، ففي صفوف الوفود، اتكأ مناصرو الحزب على أياديهم أو طووا أذرعهم أو هزوا رؤوسهم. قال عديدون هذه ليست طريقة لربح الانتخابات، ولا هي الطريقة لاستعادة أميركا عظمتها.

أما ذروة المشاعر في الليلة الأولى، فتبدَّت أثناء سماع سلسلة من الشهادات التي قدمها الأشخاص الذين تأثروا بشدة بالهجوم الإرهابي عام ٢٠١٢ على الأميركيين في بنغازي في ليبيا. قالت باتريشيا سميث Patricia Smith التي كان ابنها سيان Sean يعمل في وزارة الخارجية في القسم الدبلوماسي في بنغازي: "أنا ألوم هيلاري كلينتون شخصياً على موت ابني". لكن بينما كانت سميث تتحدث، كان الجمهور الذي كان من المفروض أن يثير خطابُها مشاعره، أي ملايين من المحافظين الذين كانوا يشاهدون Fox News، يستمعون بدلاً من ذلك إلى مكالمة دونالد ترامب الهاتفية عبر برنامج بيل أوريلي Bill O'Reilly، وهي زلة في البرمجة قال المحللون الإستراتيجيون الجمهوريون إنها لم تكن لتحدث في حملة أفضل تنظيماً. حتى أوريلي بدا متفاجئاً من أن ترامب سوف يستبق مؤتمر حزبه... قال أوريلي: "أعتقد أن الإستراتيجية هي[1] دونالد ترامب نفسه".

بعد خطاب ميلانيا، عاد الزوجان بالطائرة إلى نيويورك. قال إنه لم يعد يكترث لمخالطة تلك النماذج السياسية.

كان الموطن الذي عاد إليه دونالد هو مكتبه الذي يسوده هدوء غريب يتناقض مع ضجيج الأصوات المتنافرة في الجادة الخامسة. على طاولة المكتب، واجهته صورة فريد ترامب بوجهه الذي ينم عن الثقة. كان وجه الوالد، الذي وقف أمام غرباء لالتقاط صورته، لا يعبّر عن شيء. كان آخر ثلاثة رؤساء جمهورية قد عرضوا مشكلاتهم مع آبائهم علناً. فقد عبّر كل من كلينتون وأوباما في أحاديثهما وكتاباتهما عن مشاعرهما

1 *The O'Reilly Factor*, Fox News, July 18, 2016.

إزاء التخلي عنهما. ساعد تصميمُهما على إثبات نفسيهما في دفع صعودهما السريع، وانسجم ذلك مع الجاذبية الجماهيرية التي ربما كانت قد نشأت نتيجة حاجة الرجلين، مدى الحياة، إلى كسب الاهتمام والحب المفقودين منذ نشأتهما. أما جورج بوش الابن، فعانى في مرحلة لاحقة من حياته من الظلال الناجمة عن إخفاق رئاسة والده، واختار أيضاً سبيلاً يمكن أن يساعده في تعديل مشاعر خيبة الأمل من مسيرة والده. حمل أولئك الرؤساء الثلاثة علناً، بدرجات متفاوتة، أعباء أثقلت كواهلهم نتيجة الحياة التي عاشها والد كل منهم. أما ترامب، فاعترف بأنه لا توجد مشكلات من هذا النوع، فهو لم يكن صريحاً قط بشأن نسيج حياته العائلية. وهو يعترف أن والده كان، أحياناً، بعيداً: "كان العمل هو حياته[1]... كان شخصاً راضياً بما لديه"، لكنه في نهاية المطاف شخصية محبة قوية. لم يكن ترامب يذكر والدته بأكثر من جملة واحدة. أمام الغرباء كان الغموض يلف هذا الموضوع: "ودودة جداً... مولعة بمظاهر الأبهة[2]... جميلة جداً". كان ترامب يحجب الألم في ماضيه، ويخفي هذا الألم خلف استعراض لا ينتهي لشخصه.

كان ما تبقى من طاولة المكتب مكرساً لدونالد: أكوام المجلات التي تضم صورته، ومقتطفات الأخبار الصباحية التي تدور حوله. لكن في كل هذا المكتب المكرس بالكامل تقريباً للاحتفاء بنجاح ترامب وبأدائه، لم يكن يوجد ما يعبِّر عن مشاعر الرجل الخاصة أو ميوله، ولا شيء يشير إلى هواياته أو اهتماماته الفنية أو ميوله الأدبية، ولا شيء يشي بمعتقداته أو بأزماته، أو بأحلامه. في أحد كتبه، *Trump: Think Like a Billionaire*، أكد ترامب أن رجال الأعمال البارزين ذوي الرؤية ينجحون "لأنهم نرجسيون[3] يكرسون مواهبهم بتركيز لا هوادة فيه لتحقيق أحلامهم، حتى لو كانت أحياناً على حساب من حولهم". واقتبس عن أحد الكتّاب ما يؤيد قوله: "تُظهِر الشخصيات المتألقة الناجحة تصميماً عنيداً ذا هدف وحيد، هو فرض رؤيتها على العالم".

كان ترامب قد وصل إلى قمة السياسة الأميركية من دون حلفاء، فعلياً، وكان صعوده

١ مقابلة ترامب مع المؤلفَيْن، ٩ حزيران/يونيو، ٢٠١٦.
٢ المرجع السابق.
3 Trump with McIver, *Think Like a Billionaire*, xvii–xviii.

معارضاً لهيكلية الحزب. كان ينفر من الأيديولوجيا أكثر من أي شخصية أساسية في السياسات الرئاسية الحديثة. وكان قد فاز في الترشح بمساعدة فريق حملة صغير لدرجة لا تصدق، وبعدد ضئيل من الموالين، ومعظمهم من حديثي العهد في السياسة الرئاسية. كان المستشارون الموثوقون لديه هم أولاده وبناته وزوجاتهم وأزواجهم.

لم يكن لديه أبداً أصدقاء حميمون حقيقيون. عام ١٩٨٠، قال للإعلامية التلفزيونية رونا باريت Rona Barrett: "بصراحة، أعمالي تشغلني لدرجة لا تسمح لي كثيراً بالاستمتاع بصحبة أصدقائي". عادت هي للإلحاح: "بمن ستستنجد إذا كنت في ورطة ولم تكن عائلتك حولك؟"، أجاب: "ربما سأستنجد بك، رونا". بعد ستة وثلاثين عاماً، سئل مرة أخرى، أثناء إعداد هذا الكتاب، عن صداقاته، فأجاب بعد تأنٍّ كبير وغير معتاد: "سؤال مهم. معظم صداقاتي هي علاقات عمل لأن هؤلاء هم الأشخاص الوحيدون الذين ألتقيهم. الأشخاص الذين ألتقيهم، فعلاً، وأقصد اجتماعياً، أي عندما أذهب إلى مناسبات خيرية أو شيء من هذا القبيل... يكون هناك أشخاص لم أتحدث إليهم منذ سنين لكنني أعتقد أنهم أصدقاء". سمّى – طلب إخفاء الأسماء – ثلاثة رجال كان قد تعامل معهم قبل عقدين أو أكثر، رجال لم يكن يراهم في السنوات الأخيرة إلا نادراً. تابع ترامب: "أعني، أعتقد أن لدي العديد من الأصدقاء لكنهم ليسوا أصدقاء بالمعنى الذي يقصده الآخرون ممن لديهم أصدقاء، إذ يكونون معاً طوال الوقت ويخرجون لتناول طعام العشاء طوال الوقت". لكن هل كان هناك شخص يستطيع اللجوء إليه إذا واجهته مشكلة شخصية، أو إذا ساورته بعض الشكوك حول نفسه أو شيءٍ ما فعله؟، قال ترامب: "أفكر أولاً في أفراد عائلتي. لدي الكثير من العلاقات الجيدة. ولدي أعداء جيدون أيضاً، ولا بأس في ذلك. لكنني أفكر أولاً في أفراد عائلتي، قبل الآخرين".

قبل أيام من المؤتمر، توجّه ترامب إلى عائلته طالباً النصيحة: من الذي يجب أن يكون رفيقه في الترشح للانتخابات؟ كان كبار أعضاء الحزب وبول مانافورت، مدير حملته، يضغطون على ترامب ليختار أحد المطّلعين على دخائل الحزب: موظف يتمتع بالاحترام وبإمكانه استعادة ثقة كبار شخصيات الحزب الذين كانوا خائفين من رغبة ترامب – ومن حماسته كما كان يبدو غالباً – في التخلي عن المعتقدات

التقليدية للحزب. توجّه ترامب إلى رجلين كانا أكثر منه صراحة، وأكثر ثورة على المؤسسات التقليدية، وأكثر شبهاً به، هما كريس كريستي، ونيوت غينغريتش Newt Gingrich رئيس مجلس النواب السابق، بل إنه طرح فكرة اختيار جنرال متقاعد كان أيضاً شخصاً صريحاً يعبّر عن رأيه دون مواربة. لكن في الساعات الأخيرة من تلك المداولات المضنية، سأل ترامب أولاده النصيحة، كأنه كان يبحث عن وسيلة للنفاذ من الموضوع. كان الأولاد من رأي مانافورت، الذي أوصى بمايك بنس Micke Pence، وهو حاكم ولاية إنديانا وعضو سابق في مجلس النواب ومضيف برنامج حواري إذاعي. بدا ترامب غير مقتنع بالحكمة من هذه الخطوة وظل متردداً حتى الليلة التي سبقت الإعلان. وافق على فكرة اختيار بنس، لكن في بداية ظهورهما معاً، لم يكن يبد على ترامب أنه شديد الارتياح. في أول مؤتمر لهما، قدم ترامب بنس ثم تركه وحيداً على المنصة. وفي مقابلة مشتركة في برنامج 60 Minutes، استأثر ترامب بالحديث. اختلف الرجلان بشأن التجارة وأساليب الاستجواب والهجرة وحقوق المثليين، لكنهما كانا آنذاك يحاولان الظهور بصورةِ جبهة موحدة، فتوافقا بشأن وعود ترامب بـ"التخلص من داعش، المجموعات الكبيرة منها، و... التخلص منهم بسرعة... وسوف نعلن الحرب. إنها الحرب". في برنامج 60 Minutes، عندما ووجِه ترامب بحقيقة أن رفيقه الجديد في الترشح للانتخابات كان قد صوّت لمصلحة حرب العراق، قال: "أنا لا آبه. كان هذا من زمن طويل وقد مضى" (ادعى ترامب أنه كان قد عارض الحرب منذ البداية، لكن قبل بداية الحرب بستة أشهر، أخبر هوارد ستيرن أنه يفضل الهجوم[1]).

سألته الصحافية ليسلي ستهل Lesley Stahl: لكن ألم تكن تنتقد هيلاري كلينتون بسبب الاقتراع نفسه الذي اختاره بنس لمصلحة الحرب؟ قال ترامب بضحكة خافتة: "يحق لبنس ارتكاب خطأ من حين إلى آخر".

سألت ستهل: "لكن لا يحق لهيلاري كلينتون[2]؟".

أجاب ترامب: "لا، لا يحق لها".

1 Eugene Kiely, "Donald Trump and the Iraq War," FactCheck.org, February 19, 2016.

2 Trump on *60 Minutes*, CBS, July 17, 2016.

لم تقصّر كلينتون في الرد. أطلقت حملتها إعلاناً تلفزيونياً حمل عنوان "قدوة نموذجية"، وظهر فيه أطفال صغار مذهولون يستمعون لتعليقات ترامب الفظة ولغته السوقية وإهاناته الموجهة إلى النساء والمكسيكيين والمسلمين، مع صحافة عاجزة ووسائل إعلام عاجزة عموماً. خلص الإعلان إلى القول: "أطفالنا يراقبون". ظهرت كلينتون في التلفزيون لتشن هجوماً عنيفاً على ترامب أثناء انعقاد المؤتمر: "يفتقر إلى الانضباط الذاتي[1]، وضبط للنفس، والإحساس بالتاريخ، وفهم حدود السلطة التي يجب أن يفرضها أي رئيس على نفسه".

سرّع ترامب هجومه وفق الأسلوب التقليدي لروي كوهن. كان قد أذعن لزعماء الحزب في اختياره نائباً للرئيس، لكن الحملة كانت حملته، والمؤتمر مؤتمره، وكان مصمماً على متابعة الأساليب التي أثبتت نجاحها في الانتخابات التمهيدية، وهكذا ضم رتل المتحدثين لمصلحته نجم تلفزيون الواقع ويلي روبرتسون Willie Robertson من برنامج Duck Dynasty ("أميركا في موقع سيئ... سيكون دونالد ترامب سندكم")، والممثل التلفزيوني سكوت بايو Scott Baio ("لا شيء يبدو صحيحاً... نحن بحاجة إلى دونالد ترامب لإصلاح ذلك")، والمدير التنفيذي لمباريات Ultimate Fighting Championship. بدا الأمر أشبه بتفقد لأسماء المتحدثين الشعبيين العاديين الذين يتوجهون إلى الطبقة الكادحة، وإلى الأميركيين البيض. كان برنامج الترفيه في المؤتمر أشبه بقائمة أغاني لمحطة إذاعة في ضواحي البيض في سبعينيات القرن العشرين: Lynyrd Skynyrd, Three Dog Night, The Doobie Brothers، ثم تأتي فصول ذات توجّه مماثل: Kid Rock, Blues Traveler, Rascal Flaees. صرخ بايو بالحشد: "فلنُعِد إلى أميركا عظمتها".

شجب زعماء الجمهوريون الصورة التي كان يرسلها المؤتمر إلى المشاهدين في المنزل: صورة يغلب عليها طابع البيض، المجموعة الأقدم، وهي صورة تتناقض والجهود المبذولة طوال السنوات العشر الماضية والرامية إلى دعوة المنحدرين من أصول إسبانية، والمهاجرين، والسود، إلى الانتساب إلى الحزب. من بين المفوضين البالغ عددهم ألفين وأربعمئة واثنين وسبعين في كليفلاند، ووفقاً لحسابات "اللجنة

[1] مقابلة مع تشارلي روز، في CBS This Morning، ١٩ تموز/يوليو ٢٠١٦.

الوطنية للجمهوريين"، لم يكن هناك إلا نحو ثمانية عشر شخصاً أسود[١] فقط، مقابل مئة وسبعة وستين في مؤتمر ٢٠٠٤. كان ترامب لا يزال يأمل في الفوز بأصوات الأميركيين من أصل أفريقي، لكن تاريخه من التصريحات المثيرة للجدل حول العرق كان يطارده، إضافة إلى أنه دخل الساحة خلف كلينتون التي كانت تحظى بأصوات السود بنسبة ٨٩% مقابل ٤%[٢]. كان كل الجمهوريين يكافحون للفوز بأصوات السود لكن هذا كان سقوطاً مدوياً. ففي ٢٠٠٤، فاز جورج و. بوش بنسبة ١١% من أصوات السود؛ كان ذلك مفتاح النصر. أما ترامب، ففاز بأصوات عدد قليل من المفوضين السود بمن فيهم جيمس ايفانز James Evans، رئيس الحزب الجمهوري في أوتاه، وهو كان يعرف معنى بروز رجل أسود في حزب غالبيته من البيض. كان إيفانز قد بذل جهداً لترشيح ميت رومني، لكنه عندما فشل، التقى ترامب في جلسة خاصة: "يجب أن ترى بقية أميركا الشخص الذي جلست معه. يقول دليل إستراتيجية الحزب الديمقراطي إنك إذا كنت مرشحاً جمهورياً أبيض، فأنت مرشح عنصري تفتقر الحساسية. لنلقِ نظرة على سياسات اليسار السياسي وكيف دمرت مجتمع السود، وقل لي أنت من هو الأكثر عنصرية[٣]".

تابع مؤتمر كليفلاند بجدية واهتمام الأيام المتتالية من العنف المخيف: محاولة الانقلاب في تركيا، والهجوم الإرهابي على المتنزهين في شواطئ نيس في فرنسا، وجرائم القتل المروعة لضباط الشرطة في دالاس وباتون روج. كان رد مؤتمر ترامب عرْض قائمة من الأحداث المرعبة: سلسلة من المفاهيم التآمرية التي تقوي الإحساس بأن أمة فاقدة رباطةَ الجأش بحاجة إلى قيادة حاسمة لا تساوم. قال ماركوس لوتريل Marcus Luttrell للمفوضين وهو ضابط سابق في قوات العمليات الرئيسية في البحرية الأميركية (SEAL) وكان قد أصيب بجروح خطيرة في أفغانستان: "العالم مكان مظلم، مكان مخيف". وقال نائب ولاية تكساس مايكل مكول Michael McCaul: "مدينتنا التي على التلة هي الآن تحت الحصار... حان الوقت لاستعادة بلدنا". وقال ديفيد

1 Jonathan Capehart, "Guess How Many African American Delegates Are Going to Be at the Republican Convention," *Washington Post*, June 6, 2016.

٢ **واشنطن بوست**، استطلاع الآراء الوطني ABC News، ١١ تموز/يوليو ٢٠١٦.

٣ مقابلة جيمس إيفانز مع كرانيش، ١٨ تموز/يوليو ٢٠١٦.

كلارك David Clarke، وهو شريف مقاطعة ميلووكي، إن حركات مثل Black Lives Matter [حياة السود مهمة] تقود البلاد إلى "انهيار النظام الاجتماعي... وأنا أدعو ذلك فوضى". أصر الممثل أنطونيو ساباتو الابن Antonio Sabāto Jr، كذباً، بعد خطابه في ليلة الافتتاح، على أن باراك أوباما كان مسلماً "على نحو مطلق"[1].

تبنى ترامب السردية القائلة إن البلاد على شفير هاوية التفكك: "سأكون صريحاً، كل شيء يهوي داخل دوامة. عالمنا يهوي في دوامة خارج السيطرة. بلدنا تهوي في دوامة خارج السيطرة. هذا ما أفكر فيه. وسوف أوقف ذلك". لكن على شاشة التلفزيون في ذلك الأسبوع، في كليفلاند، كان مؤتمر الجمهوريين هو الذي بدا أنه يهوي في دوامة خارج السيطرة. عندما ألقى السيناتور تيد كروز خطابه خلال وقت الذروة، الذي أحجم فيه بوضوح عن دعم ترامب، بل حث الجمهوريين قائلاً: "صوتوا كما تملي عليكم ضمائركم"، اجتاحت المؤتمر موجات من أصوات الاستهجان والهتافات: "زكِّ ترامب!"، وفي ذروة الهيجان، من الذي كان يتوجب عليه أن يدخل إلى الساحة غير ترامب نفسه، الذي كان منهمكاً في تحضير خطاب ابنه إيريك، أو التفوق على خصمه الذي كان غير متعاون في السابق، ويتوقَّف ذلك على الرواية التي تصدقها أنت. في كلتا الحالتين، تسبب ذلك في أجواء غريبة من الفوضى المشحونة: آلاف المفوضين الذين ما زالوا يطلقون صيحات الاستهجان بحق كروز خارج المنصة استداروا إلى الجزء الخلفي من القاعة؛ اختفت صيحات الاستهجان وعلت الهتافات والصيحات: "ترامب! ترامب! ترامب!".

أتيحت له الفرصة الأخيرة في المؤتمر لتقديم الفكرة المركزية التي تحدث عنها في يوم من أيام آذار/مارس في واشنطن، حين كان يتعرض للضغط لكي يُظهِر أنه يستطيع التصرف كشخصية رئاسية، وليُظهِر أنه كان أكثر من مجرد الصوت الفظ الساخر لأمة محبطة. في الليلة الأخيرة في كليفلاند، وداخل ساحة أصبحت ملأى في نهاية المطاف وهدأت فيها المعارك الحزبية الداخلية على الأقل لِلَيلة واحدة، جذب ترامب انتباه ثلاثة وخمسين مليون أميركي[2]، أكثر قليلاً مما جذب ميت رومني قبل

1 Michael Edison Hayden, "Antonio Sabato Jr. Says He's'Absolutely' Sure Obama's a Muslim After RNC Speech," ABCNews.com, July 18, 2016.

2 Stephen Battaglio, "35 Million TV Viewers Watch Donald Trump's Acceptance Speech at

أربع سنوات. لم يكن هذا مهرجاناً في حظيرة طائرات في المطار بل كان، في نهاية المطاف، خطاب القبول الرسمي المترافق بالكثير من الأبهة ومهرجاناً مضموناً من حسن النيات. في تلك المرحلة من المؤتمر، كانت اللحظات الوحيدة التي شهدت فيها القاعة شيئاً يماثل الوحدة، هي عندما شرع الخطباء يهاجمون هيلاري كلينتون بوحشية: كلما ازدادت البلاغيات قسوة، أصبحت الهتافات أكثر بدائية. عُرض فيلمان حول سيرة ترامب أثارا شهية المفوضين لسماع الخطاب المهم لمرشحهم. قدم الفيلمان المنتجان بعناية مسحاً مقتضباً لحياة ترامب وسيرته المهنية، إذ عُرضت صور أبراج عالية وملاعب غولف جديدة، ورموز أخرى من حياته كبنّاء. لم يكن هناك ذكْر لمشاريعه في أتلانتيك سيتي، أو لأعماله في مجال القمار أو لمسابقة ملكة الجمال، أو لإفلاس شركاته، أو لحالات طلاقه. كان، كما صورته الأفلام، رجلَ الأعمال ذا البصيرة، الذي ينفِّذ الأشياء التي يعجز عن تنفيذها الآخرون. وهذا ما جعله الرجل المناسب، والرجل الوحيد، الذي يمكنه إنقاذ بلد تمر بمرحلة كئيبة. قالت إيفانكا للأمة الأميركية وهي تقدم والدها: "عندما يكون والدي في المكان نفسه معك، لا داعي أن تشعر بالقلق من الخذلان". اعتلى ترامب المنصة مشرق الوجه وقبَّل ابنته قبلتين، ضربها بخفة على وركيها، وانتظر مدة طويلة قبل أن يهدأ التصفيق.

قال: "من كان ليعتقد ذلك؟"، كررها ثانية. ألقى خطاباً قرأه من الملقن الآلي؛ لم يكن هناك متسع من الوقت للاسترسال المعتاد في التعبير عن المشاعر. كانت لديه قضية ينبغي الدفاع عنها: قضية كئيبة، صورة أمة جريحة مصابة بالدوار، أمة كان هو الوحيد القادر على إنقاذها. كانت أمة خائفة قلقة، محاطة بالجريمة، يخدرها الإرهاب، وتشوش تفكيرها دوامة التغيير اقتصادي المتسارعة. دونالد ترامب سوف يصلح كل ذلك. قال: "أنا مرشح القواعد الاجتماعية". كرر العبارة طوال إلقائه الخطاب، وهو يؤكد كل مقطع بوضوح كأنه يقرع أجراس الخطر من أجل أميركا التي تكاد تضيع.

أعلن أنه "بدءاً من العشرين من كانون الثاني/يناير ٢٠١٧، سوف يتم استعادة الأمان". سيقول الحقيقة. وسوف يمتنع عن قول ما كان لائقاً سياسياً. وسوف يكون،

GOP Convention," *Los Angeles Times*, July 22, 2016.

دون خجل، رئيس "أميركا أولاً". سيوقف المهاجرين غير الشرعيين عند الحدود. وسيبني ذلك الجدار (علت هتافات الحشد بعد تلك الملاحظة؛ ظلت المواقع التي يجلس فيها المفوضون صامتة بوضوح خلال الخطاب الذي استغرق ستّاً وسبعين دقيقة، لكن معظمهم وجدوا شيئاً ليثنوا عليه في وعود ترامب التي تحمل بصماته). سوف يعدّل الاتفاقات التجارية السيئة. وسوف يسحق داعش "بسرعة". وسوف يتغلب على هيلاري كلينتون التي اقترفت "الجرائم الرهيبة، الرهيبة".

هتف الحشد: "اعتقلوها! اعتقلوها!"، لكن ترامب لن يصل إلى هذا المدى. كانت تلك مرحلة جديدة بضوابط جديدة. أوقف هتاف الجمهور وخرج عن النص المكتوب: "دعونا نهزمها في تشرين الثاني/نوفمبر". لم يكن ليتهاون معهم؛ قال: "تركة هيلاري كلينتون، كانت الموت، والدمار، والإرهاب، والضعف"، لكنه كان يحاول تلمس السبيل إلى المزيج الصحيح من الشعبوية الترامبية البحتة والسمو الرئاسي المحدد. سوف يشجب النظام المزور، والإرهاب الإسلامي الراديكالي، ووسائل الإعلام الواهية. وسوف يفرض استقلاله حتى لو هذّب بعض أوجه هذا الاستقلال. وعد بحماية "مواطنينا المثليين والمثليات ومزدوجي الميول الجنسية والمتحولين جنسياً LGBTQ من عنفٍ واضطهادٍ أيديولوجية دخيلة وبغيضة. صدقوني!". بعدما حظيتْ هذه الكلمات بمقدار مقبول من التصفيق، خرج عن النص ليشكر الجمهوريين على الهتاف الداعم للتعليق حول المثليين. وفي مؤتمر كان يتوجه مباشرة إلى القاعدة الشعبية التي كوّنها خلال الانتخابات التمهيدية، كان يناشد أوسع مجالاً إلى حد ما. نعم، لقد أصدر النداءات اللازمة لحماية حقوق حمل السلاح، وللتخلص من برنامج أوباماكير Obamacare، ولتخفيض الضرائب، لكنه تحدث أيضاً ومباشرة إلى أنصار بيرني ساندرز Bernie Sanders، وتجنب على نحو شبه كامل القضايا الاجتماعية، لم يذكر كلمة المكسيك، ولم يعِدْ تحديداً بحظر دخول المسلمين البلاد (ما قاله هو أنه لن يسمح بدخول المهاجرين القادمين من بلدان تعاني الإرهاب).

لم تُظهِر رؤية ترامب مدينةً مشرقة فوق تلة ولم يقدم أي تفاصيل عن كيفية تنفيذه الإصلاحات الجذرية والفورية التي وعد بها. سينفذها فحسب، وبسرعة. بدا أكثر سلاسة الآن؛ عندما قاطعته المعارِضة الوحيدة، لم يقل شيئاً. وقف بهدوء وانتظر

إخراجها من القاعة، رغم أنه بدا يكاد ينفجر لتعريف الجميع برأيه فيها. لكنه كان لا يزال ترامب؛ لا يزال مغروراً، الفتى الفظ الآتي من كوينز، ولا يزال الرجل الذي يقول ما لا يجرؤ الآخرون على البوح به. قال: "أنا صوتكم". "صدقوني. صدقوني".

مع انتهاء المؤتمر، لم يكن هناك من راحة. سيبدأ من الفور الهجوم الخاطف لحملة الخريف، الذي يستمر لمئة يوم: ثلاث مناظرات، مهرجان إثر مهرجان، عاصفة من التهم والتهم المضادة في عدد لا يحصى من المقابلات في تلفزيونات الكابل. كان قد بدا واضحاً أنها ستكون معركة عنيفة بين اثنين من أقل المرشحين شعبية، وهما مرشحا حزبين رئيسيين كانا الأقل حظوة لدى الناس بين المرشحين في التاريخ السياسي الحديث. وفي نهاية هذا الجهد الكبير، كان ترامب واثقاً بأن البيت الأبيض سيكون له. لكن رغم ثقته بالانتصار، قال إنه لم يُمض الكثير من الوقت في التخطيط لما سيفعله في حال الانتصار. قال إنه سيدير البلاد بالطريقة التي كان يدير بها أعماله: يراقب كل شيء عن كثب، ويتمسك بالمعايير العالية. الفرق هنا أنه سيفعل كل شيء من أجل البلد، وليس من أجل نفسه فقط. لكن شكل تلك الإدارة لم يكن واضحاً تماماً. توقَّع ترامب أن يكون أسلوب عمله اليومي مشابهاً لما كان عليه على مدى عقود. لم يكن يحتفظ بجهاز كمبيوتر على طاولة مكتبه في برج ترامب، وكان يتجنب قراءة التقارير الشاملة أو الملخصات. فقد كان يفضِّل أن يطّلع على القضايا شفوياً، وبصورة سريعة. في أحد أيام يونيو/حزيران، زاره وفد من كبار المسؤولين التنفيذيين في صناعة النفط والصلب وصناعات التجزئة. أخبر أحد الرؤساء التنفيذيين ترامب بأن الصين تستغل الولايات المتحدة. يتذكر ترامب المقابلة:

> قال: 'أود أن أرسل إليك تقريراً. أود أن أرسله إليك'... يا إلهي، كان لديه تقرير مطول، مئات الصفحات... قلت له: 'رجاء، لا ترسل لي التقرير. أرسل لي، مثلاً، ثلاث صفحات'... فأنا رجل ذو كفاءة عالية. ويمكنني أيضاً أن أطّلع عليه شفوياً، وسيكون ذلك كافياً... أريد التقارير قصيرة[١]. لا مبرر لجعلها مئات الصفحات لأنني أعلم مضمونها معرفة جيدة... فلدي الكثير من البداهة السليمة ولدي الكثير من الإمكانات في مجال الأعمال.

---

١ مقابلة ترامب مع المؤلّفَين، ٩ حزيران/يونيو ٢٠١٦.

قال إنه لم يكن يتوفر لديه الوقت للقراءة[1]. بما أن واقع الترشح قد أصبح جلياً، فقد فكر في دراسة سيرة لرئيس ما دراسة دقيقة – لم تسنح له الفرصة لقراءة أي سيرة – "لكنني لا أملك الكثير من الوقت. ولم يتوفر لي الوقت مطلقاً. أنا دائماً مشغول بتأدية الكثير من الأعمال. الآن أصبحتُ أكثر انشغالاً، أعتقد أكثر من أي وقت مضى... ليس لدي الكثير من الوقت. وقتي ضيق جداً".

الآن أصبح هناك الكثير مما ينبغي فعله. كانت ابنته إيفانكا قد وعدت الأمة في تلك الليلة الأخيرة من المؤتمر أنه عندما يحل كانون الثاني/يناير، فإن "كل شيء سيعود ممكناً". وكان دونالد ترامب قد أخبر الحشد أنه "بما أن أحداً لا يعرف النظام أفضل مني... فأنا الوحيد القادر على إصلاحه". كان وحيداً فعلاً. فوالده، الذي كان قد حذره من أن يصبح "لا شيء"، كان قد رحل ولم يتمكن قط من رؤية هذه المسيرة الأميركية المذهلة. انضمت عائلته إليه على المنصة من أجل الاحتفال النهائي، تساقطت البالونات الحمر والبيض والزرق، وتقافزت كرات الشاطئ حول الساحة. لكن في تلك اللحظة الأخيرة، كان دونالد ترامب وحيداً. أبرز فكه وزمّ شفتيه، ودخل في النفق المظلم خلف المنصة.

---

١ مقابلة ترامب مع المؤلِّفَيْن، ٢١ نيسان/أبريل ٢٠١٦.

فهرس الأعلام

ت

ج

ل

م

ن

فهرس الأماكن

ر

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

'الكتاب الأكثر واقعية بين الكتب التي وُضِعت حول ترامب'

Booklist

'كتاب مفيد يصوِّر بأسلوب رشيق تلاعب ترامب بوسائل الإعلام'

The New York Times

'لا يستطيع المقترعون ادعاء أن أحداً لم يحذّرهم!'

USA Today



www.daralsaqi.com

ISBN 978-614-03-2015-4

9 786140 320154 >

